

جامعة الجزائر02 –أبو القاسم سعد الله–

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ



الطبّ والأطبّاء في المشرق الإسلامي من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعَة.

The medicine and Doctors in the Mashreq Islamic, through the book ‘Oyoun al-Anba’ fi Tabaqat al-Atibaa’ by Ibn Abi Usaybi’a

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د)؛ تخصص: الدراسات التاريخية في العصر الوسيط

إعداد الطالب: إشراف/ أ. د أمّ الخير عثماني

الحاج زكراوي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د قويدر بشار	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله–	رئيسا
أ.د أمّ الخير عثماني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجيلالي بونعامة–خميس مليانة–	مشرفًا ومقرّرًا
أ.د عبد العزيز بوكنة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله–	عضوًا مناقشاً
أ.د نبيلة عبد الشكور	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله–	عضوًا مناقشاً
د. سعيدة لوزري	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله–	عضوًا مناقشًا
د. عائشة تازي	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة حسيبة بن بوعلي– شلف–	عضوًا مناقشاً

السّنة الجامعيّة (1446هـ/2024–2025م)



University of Algiers 2 - Abou El Kacem Saâdallah
Faculty of Humanities
Department of History



The medicine and Doctors in the Mashreq Islamic, through the book ‘Oyoun al-Anba’ fi Tabaqat al-Atibaa’ by Ibn Abi Usaybi’a

A thesis submitted to obtain a doctoral degree in the LMD system, specializing in Historical Studies in the Medieval Period

Supervised by
Oum el kheir otmani

Prepared by
Elhadj Zekraoui

Committee members

Serving as	Original university	Academic rank	Full name
Committee Chair	University of Algiers 02	Professor of Higher Education	P. koyder bachar
Supervisor	University of Jillali Bounaama - Khemis Miliana	Professor of Higher Education	P.oum el kheir otmani
Examiner	University of Algiers 02	Professor of Higher Education	P. Abdelaziz Boukenna
Examiner	University of Algiers 02	Professor of Higher Education	P. Nabila Abdelchakour
Examiner	University of Algiers 02	Lecturer	D. Saida Lozri
Examiner	Hassiba Ben Bouali University - Chlef	Lecturer	D. Aicha Tazi

Academic year: 1446 AH/ 2024-2025 AD.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي عملي البحثي هذا:

إلى الوالد -شفاه الله وحفِظه-، وإلى الوالدة الكريمة -أدام الله عليها لباس الصّحة والعافيّة-.

إلى زوجتي سندي، وإلى أولادي؛ مَلاك مَيار- محمّد أمير- سراج.

إلى أختي وزوجها، وأولادها، وإلى أحلام مدلّلة العائلة.

إلى إخوتي الأفاضل وزوجاتهم وأبنائهم، وإلى جميع أقاربي دون استثناء.

إلى أخي الأستاذ "عمر قزولة"، وإلى زملائي في متوسّطة "سَعْد بنْ لَشْهَب"

وبالخصوص مدير المؤسّسة "امحمّد بنْ نوي" وأستاذ اللّغة العربيّة "محمّد قزّولة"

والمُشرف التّربوي "معلمي مرباح".

وإلى كلّ مَن شجّعني وساندني مِن قريبٍ أو بعيدٍ.

شكرٌ وعرفان

الحمد والشكر لله على توفيقه ومَنِّه وعطائه، ومِنْ ذلك أنْ سخَّر لي مَن يكون لي السَند والدَعم الحقيقي طوال مدّة إنجاز بحثي، وهي: أستاذتي الفاضلة المشرفة على هذا البحث "**أ.د أم الخير عثماني**" التي بالغتْ في تأدّيّة واجبها معي، بأنْ تعاملت مع بحثي بكلِّ جدّيّة، ومسؤوليّة، فحرَصتْ على سلامة ضبْطِه في جميع جوانبه العلميّة والمنهجيّة، من أجل إثراءه، موظِّفةً خبْرات السّنين في ذلك، حيث سَهِرتْ الليالي لإتمام التصحيحات وتعديل الهَفوات، مُكَرِّسةً لمبدأ الأخذ بيد الطّالب ومساعدته، فلها منّي كلّ عبارات الامتنان والشكر والتّقدير التي لن تُوَفّيها حقّها مهما كثُرت، فجزاها الله عنّي خير الجزاء، ورزقها الخير، حيثما كان.

ولا يفوتني تقديم الشُّكر والامتنان لأساتذتي الأفاضل الذين شرَّفوا هذا البحث المتواضِع بمناقشتهم، ودراستهم له، من أجل إثرائه بمعارفهم وخبراتهم العلميّة، فلهم منّي أوْفَى عبارات التقدير والاحترام، كما أتقدّم بأسمى عبارات الاحترام والتقدير للأساتذة؛ أعضاء لجنة التكوين وتأطير طلبة الدكتوراه في جامعة الجزائر2، بقسم التّاريخ، من خلال هذه المحطّة التكوينيّة في مساري الدراسي، فشَمَلُوني بالرعايّة والتكوين والتأطير، وأذكرُ منهم الأساتذة: **أد. نبيلة عبد الشكور، أ.د عبد العزيز بوكنة، أ.د أحمد شريفي** ... والشكر موصول أيضًا إلى كلّ أساتذتي في مرحلة الماستر بجامعة -الدكتور يحي فارس- بالمديّة، وفي مرحلة الليسانس، بجامعة -محمد بوضياف- بالمسيلة، وإلى جميع مَنْ درستُ لديهم، خلال مساري الدراسي، منذ مرحلة الابتدائي، مرورًا بالمتوسّط فالثّانوي إلى الجامعي، فجميعهم لهم الفضل عليّ، وجزاكم الله عنّي جميعًا خير الجزاء.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير للدكتور "**بشير قزولة**" على التّحفيز والتّشجيع المستمّر، وإلى أستاذ الإعلام الآلي "**ساعد لخذاري**" لما قدّمه لي من مساعدة تقنيّة في مجاله، وإلى كلِّ مَن ساعدني من قريبٍ أو بعيدٍ، تحفيزًا ودعاءً وتمنياتٍ بالتوفيق.

مقدّمة

مقدّمـــة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، مِلْءَ السَّمواتِ والأرضِ، ومِلْءَ ما شاء مِن شيءٍ بعد، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين -محمّد ﷺ-، وبعد:

تُعدّ كتب التّراجم والطّبقات من المصادر المهمّة في التراث العربي الإسلامي، لما تزخَر به من معلوماتٍ حضاريّة قيّمة، فهي واحدةٌ من صُوّر الكتابة التاريخيّة، لما تحتويه من مادةٍ علميّة خام، تحتاج إلى تحليلٍ ونقدٍ، من خلالها يمكننا أن نستَجْمع العديد من المعلومات الغزيرة والنادرة؛ لكونها مادةً مصدريّة، يصعب التعامل معها؛ إذ هي تحتاج الدقّة في الفهم والتحليل، كما تتطلّب من الباحث رَجَاحة العقل، ومَلَكَة اللغة، وقد ارتبطت نشأتها بتدوين السّيرة النبويّة، والعناية بالحديث النبوي الشريف وروايته، والتعرُّف على حياة السَلَف الصّالح والاهتمام بتاريخ الأمّة، وما جعلها متميّزة أكثر هو تنوُّع مواضيعها، فمنها التراجم العامّة، ومنها تراجم الطبقات كالصّحابة والرُوّاة، والمحدِّثين، والحُفّاظ، والقُرّاء، والفقهاء، والأدباء، والشعراء، والأطبّاء والحكّام والفلاسفة، والأنساب، والفهارس، وغيرها. وعلى العموم يمكن القول أنّ كتب الطبقات، اختصّت في غالبيّتها على طبقات تراجمٍ معيَّنة، من حيث المذهب أو من حيث العقيدة أو المهن، وحسب الأقاليم أيضًا.

فالموضوع الحضاري يظلُّ مرهونًا بمدى الاطّلاع على مُتون هذه التّراجم، مع ما يُضافُ إليه من كتب التاريخ العام والموسوعات والمعاجم التي من شأنها تكمِلة ما هو مطروح في ثنايا كتب التراجم، ومِن بين كتب الطبقات المتخصِّصة التي أثارت الفضول لديّ للبحث فيه؛ كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطباء" لصاحبه "موفّق الدين، أبي العباس أحمد بن القاسم، المعروف بـ"ابن أبي أُصَيْبِعَة (ت668هـ/1270م)"، وهو كتابٌ في ظاهِره يحتوي تراجمًا للعديد من الأطباء، مركّزا على نوادرهم وحكاياتهم فيه، وفي باطنه مادّة علميّة غزيرة، تخصّ تطوُّر التعليم الطبي، وصناعة الطب كمهنة، عملها وعلمها، إضافة إلى مواضيع أخرى مختلفة، منذ البداية إلى تاريخ وفاة الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة.

الجميل في هذا الكتاب هو اهتمام أحد المؤرّخين المسلمين بالطبّ وتاريخه؛ لكونه طبيبًا أوّلًا، مسألةٌ فيها نَظَر كما يُقال، تدعو إلى التوقّف والتأمّل والسؤال، مسألةٌ تدفعُ الحَدَاثِي للتفكير في ذلك العلم الذي تحوَّل في القرن(7هـ/13م)، من خلال البيمارستانات ومشاهير الأطباء والمؤلَّفات، والمدارس الطبيّة المتخصِّصة التي تستدعي الكتابة في مواضيعها والتأريخ لها، أطباءٌ كثيرون ضمَّنَهُم ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه، ومرّةً ثانيّة، مسألةٌ تدفع المؤرّخ المعاصر للكتابة في تاريخ الطبّ في الإسلام.

ومرّة ثالثة، تستدعي من دعاة الأصالة البحث أكثر من مرّة عن مقوّماتِ عوامل قوّة الذات، بتكلّمه عن أخلاقيات هذه المهنة أو كما يسمِّيها ابن أبي أُصَيْبِعَة صناعة الطّب، والشيءُ اللافتُ هو أن صاحب هذا المؤلَّف قد ضرَبَ في عُمق التّاريخ فلم يكتف بذكر الأطباء العرب والمسلمين فقط؛ بل تحدّث في مبدئيّة هذه الصناعة، وعرَّج عن وصايا ونواميس أعمدتها "أَسْقْلَبْيوس، وأبُقراط"، وغيرهم من القدامى الذين امتهنوا هذه الصناعة، حتّى وصل إلى الأطباء المسلمين في دولة بني أُمّية، ثمّ بني العباس، وغيرهم، وبهذا فإنّه قد تحدّث وترجم وأرّخ لأطباءٍ عرب وعجم وهنود، وأطباء مصر والشّام والمغرب وكلُّ قطرٍ على حِدة، كما أنّه ترجم لعددٍ كبير من المشاهير الذين لم يُعْرَفوا بكونهم أطباء، لكن حين قراءة هذا الكتاب، نجد أنّ هؤلاء كانوا أطباء، إلى جانب كَوْنهم أُدباء أو شعراء.

ومن خلال هذا كلّه، فإنّ الهدف من هذه الدراسة يخرج عن كونه إعادة لمكنونِ الكتاب، ونظرة في حياة هؤلاء الأطباء، وبسْط نوادرهم وحكاياتهم، فيتعدّى بذلك إلى واقع التعليم الطبي، وتطوُّره عبر العصور، ومدى مطابقته للناموس الطبي، والوصيّة الطبيّة اللّذين ذكر محتواهما الطَّبيب الكحَّال ابن أبي أُصَيْبِعَة، التي في طيَّاتها نستشفُّ شروط كثيرة يجب أن يتحلّى بها الطبيب، وهو ما يُعرف حاليًا بأخلاقيات المهنة، ومدى تشجيع الحكام المسلمين لها، بدءًا من زمن الرسول ﷺ إلى مَن خلفه فيما بعد.

وتتّضح أهميّة الموضوع في كونِه يسلِّط الضوء على جانب مهمٍّ من جوانب الحياة، حيث أنّ صناعة الطبّ عرفها الإنسان مع اللذّة والخير، ومع الصّحّة والسَقَم، ولهذا فإنّ هذه الدراسة ستُصبُّ في مجال تطوُّر الطبّ والتعليم الطبّي، وتبيان دور المسلمين في هذا المجال، من خلال ما كتبه ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، وبالإمكان مطابقة حالة الطب مع ما ذكره المؤلِّف من وصايا ونواميس طبيّة تكلّم بها الأطباء اليونانيّين، فضبطت هذه الدراسة في العنوان التالي: **"الطِّبّ والأطبَّاء في المشرق الإسلاميّ من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبَّاء" لابن أبي أُصَيْبِعَة(ت668هـ/1270م)".**

بإشكاليّةٍ أضبطها كالآتي:

ما واقع صناعة الطّبّ وتعليمها ووضْع الأطبّاء في المشرق الإسلاميّ، وما مدى انعكاس جودة الممارَسَة الطبيّة العمليّة بترتيباتِ وتشريعات التّعليم الطِّبّي، من خلال ما أمَدّنا به ابن أبي أُصَيْبِعَة، من معلوماتٍ في كتابه "عيُون الأنبَاء في طبقات الأطبّاء "؟

وأتبعتُها **بأسئلة جزئيّة**، ناقشتُ إجاباتها في محتويات فصول دراستي:

1- ما أهميّة هذا المؤلَّف (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، وما هو المنهج المتبّع من المؤلِّف (ابن أبي أُصَيْبِعَة)، وكيف نشأت صناعة الطّب؟ ما هي الإضافة التي جاء بها ابن أبي أُصَيْبِعَة؟
2- ما هي العوامل التي ساعدت في تطوّر صناعة الطبّ في المشرق الإسلامي؟ وكيف ساهمت حركة التّرجمة ونقل الكتب في ذلك؟ وما علاقة الخلفاء والحكّام بأطبّائهم؟
3- كيف يمكن تصنيف الأطباء من خلال تراجم الأطباء عند ابن أبي أُصَيْبِعَة؟ ما هي العصور الذهبيّة التي برَز فيها الطب في كلِّ إقليمٍ من أقاليم المشرق الإسلامي؟ وكيف أدّى تعليم الطبّ داخل الأسرة الواحدة إلى وجود أُسَرٍ طبيّة عريقة؟ وكيف كانت العلاقات بين أطبّاء أقاليم المشرق الإسلامي؟
4- أيُّ صورةٍ تلك التي منحنا إيّاها ابن أبي أُصَيْبِعَة حول الأطبّاء، من خلال مؤلّفاتهم، وعلاقاتهم مع الخلفاء، وفيما بينهم، ومن خلال مؤلّفاتهم ورواتبهم، وطِبِّهم، وشِعرِهم، ومعاناتهم، علاجاتهم؟
5- كيف كان واقع التعليم الطبّي؟ ما أهمّ مواصفات معلّم الطب ومتعلِّمه؟ أين كان يتمُّ تعليم الطب؟ ما هي المقرّرات التي كانت تُدَرَّس لطالب الطب؟ فيم تمثّلت وسائل ومناهج تدريس الطبّ؟
6- متى يُصبح طالب الطبّ طبيبًا متمرِّسًا؟ كيف يُمتحَن؟ وما هي الآداب والأخلاقيات المحدِّدة لهذه الممارَسة الصناعيّة؟ وما هي الصّورة الأخلاقيّة التي رسمها الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة لأطبّاء المشرق الإسلامي؟
7- ما أنواع الأمراض التي ضمَّنها ابن أبي أُصَيبِعَة كتابه؟ وكيف تعامل معها الأطباء، من خلال أهمّ معالجاتهم؟ وما عناوين المؤلّفات والإنتاجات العلميّة التي وضعها الأطبّاء كثمرة للخبرة وممارستهم للصناعة الطبيّ

أسبابُ اختيار الموضوع وأهدافه:

يعود اختياري لهذا الموضوع لعدّة اعتباراتٍ أهمُّها:

1-أهميّة كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبَّاء"، حيث يعدّ مصدرًا يحوي الكثير من أمور الطبّ في العصور الغابرة، ومَثلًا صادقًا لألمعِ الأطبّاء من القدامى والعرب، وآدابهم ومفهومهم لرسالة الطبّ وأعمالهم فيها، وبِرسمه لصوُّر المجتمع الإسلامي في ذلك العصر، جعله مرجعًا لكثيرٍ من كتب التاريخ والطب، وأورد

فيه مقتطفات لكتبٍ قد فُقِدت وضاعت مثل، بعض كتب جالينوس، وكتاب حُنَين النّصراني وابنه إسحاق، وغيرها.

2-شخصيّة مؤلِّف الكتاب، وهو الطبيب المؤرّخ "ابن أَبي أُصَيْبِعَة" الذي يميِّزُه عن غيره هو امتهانه لمهنة الطب، والتأريخ لها، وقد عمل في البيمارستان العتيق في دمشق، وكان من أساتذته ابن البَيطار، العالم النباتي الشهير، ومؤلِّف (جامع المفردات)، وكان يتردّد كذلك على البيمارستان الناصِري فيقوم بأعمال الكَحَالة.

3- المساهَمة في إثراء المكتبة الوطنيَّة التَّاريخيّة بدراساتٍ جادّة تهتمّ بتاريخ الأمّة في جانبها المشرقي، خاصّةً في ظلِّ قِلّة الكتابات المحلّيّة التي تهتمّ بهذا الشَّأن، مقارنةً بالاهتمام والتّركيز الكبير من الأساتذة والباحثين الجزائريين على الدّراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، إذْ أنّ الجامعة الجزائريّة تفتقر لزُمرةٍ كافيّة من الباحثين المختصِّين في تاريخ المشرق الإسلامي الّذي يُعدّ بمثابة إرثٍ جماعي للأمّة، بحكم الارتباط التّاريخي والدّيني بين المشرق والمغرب الإسلاميين، وحالة التأثير والتأثّر الدائم بين ضِفَتَيْ العالم العربي والإسلامي، ممّا يُشكِّل حالة نقصٍ أكاديمي للمدرسة الوطنيَّة في الدّراسات التي تُعْن بتاريخ المشرق.

4-قلّة الدّراسات حول هذا المجال -الطّب من خلال مصادر الأطبّاء أنفسهم-في التَّاريخ الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى محدودية اطّلاع الباحثين بما يحتويه كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" من معلوماتٍ غزيرة، يمكن من خلالها استنتاج مدى تطوُّر صناعة الطبّ بالمشرق الإسلاميّ، والعوامل المساعدة في ذلك، وكذلك معرفة واقع التّعليم الطبِّي والممارَسة الطبيّة في المشرق الإسلامي.

المنهج المعتمَد في الدّراسة:

أوّل ما اعتمدتُ عليه في دراسة هذا الموضوع قراءة الكتاب عدّة مرّاتٍ، وأثناء القراءة حاولتُ استنتاج المعلومات التي تخدمُ جميع ما يرتبط بالطبّ والأطبّاء، وذلك بتتبُّعِ ما يوجد ضِمن تلك النوادر والحكايات والمعلومات المختلفة المكَوِّنَة لترجمة كلِّ طبيبٍ، وقمتُ بتقسيم تلك المعلومات حسب تشابهها، بترتيبها وتصنيفها وتبويبها، مع مقارنتها ومناقشتها.

وبالتّالي أكون قد اعتمدتُ على **المنهج التاريخي** لبلوغ المعارف والحقائق، بمُطالعة المعلومات والبيانات المدوّنة في كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" التي تُنْبِؤُ عن حياة الأطبّاء ونوادرهم وحكاياتهم ومؤلَّفاتهم، وغيرها، وكذلك اعتمدتُ على **المنهج الوصفي التّحليلي** الذي يقوم على رصْد ومتابعة دقيقة لظاهرةٍ أو حدَثٍ مُعيَّن، فمِنْ ذلك ما اعتمدتُ عليه في وصف الأطبّاء وتنقّلاتهم وعلاقاتهم

مع الحكّام والخلفاء، وأهمّ المترجِمين، ووصفِ مناهجهم في النقل والترجمة، وعند عرضِ الأُسَر الطبيّة وأهمّ أطبّائها، وفي بَسْطِ علاقات الأطباء فيما بينهم، وفي أهمّ أشعارِهم، وكذا أهمّ عِلاجات الأمراض التي وردت عند ابن أبي أُصَيْبِعَة، أمّا **المنهج التحليلي الاستنتاجي** فاعتمدته في استخراج المعلومات من التّراجم وترتيبها وتفسيرها وتحليلها ونقدها، واعتمدتُ على **المنهج المقارِن**، في التّعليق على بعض الأحداث، من حيث وُرودها في كتب أخرى تأكيدًا وإضافةً أو نفْيًا وتبيانَ النّقِيض، ومقارنةِ نوعيّة الكتابة عند ابن أبي أُصَيْبِعَة مع سابقيه في نفس السّياق؛ أي، التأريخ للأطبّاء، واعتماد هذا المنهج أيضًا في المقارنة بين أقوالهم في بدايات الطبّ، وفي عديد المواضيع المشكِّلة للموضوع.

كما أنّ نوعيّة الدّراسة تطلّبت اعتماد **المنهج الإحصائي**، بوضْع جداول ورسوم بيانيّة تدقيقًا للمعلومات، مُحاوَلةً منّي لاستيفاء ما وَرد من مُهِمٍّ في الكتاب، كإحصاء موارِد ومصادر ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه، وتتبُّع عددِ مرّات ذِكْر كلِّ مصدرٍ، وكذا القيام بإحصاء الأطبّاء، من أجل تسهيل تصنيفهم، حسب الأماكن التي عاشوا فيها، وحسب توزيعهم زمانيًا طيلة السّبعة القرون الهجريّة الأولى، وإحصاء الأُسَر الطبيَّة، وموروثها الإنتاجي العلمي، وغير ذلك.

الدّراسات السّابقة:

بعد التّشاور مع أُستاذتي المشْرفة حول هذا الموضوع، وعلمي بأنّها على اطّلاعٍ ودرايةٍ كاملة بأهمّيته، وأنّ الموضوع لم يُكْتب فيه مِن قَبل بهذا المسَمَّى والمنْحَى، بالإضافة إلى اتصالي بأساتذة متخصِّصين في بعض الجامعات العربيّة كالباحث "محمَّد رَحيم حُلو البَهادلي" الذي وجدتُه مطَّلِعًا على هذا الكتاب، وله بعض المقالات فيه، فقدَّم لي نصائح، وشجّعني على الخوْض في ذات الموضوع.

وفي حدود بحثي واطّلاعي لم أقف على أيّ دراسة أكاديميّة حمَلَت في عنوانها موضوعًا ارتبط بالطبّ أو بالصحّة، من خلال كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء"، مع أنّه يجب القول بأنّ أغلب الدّراسات التي عالجت موضوع الطبّ وما ارتبط به مُحتَّمٌ على أصحابها اعتماد ابن أبي أُصَيْبِعَة كمصدرٍ ضروري، لأهميّته واختصاصه في موضوعٍ لم يخُضْ فيه كثيرٌ من مؤرِّخي العصر الوسيط، وما وجدتُه من كتبٍ حول هذا الموضوع فإنّه لا يخلو من أن يكون دراسات عامّة للعلوم الطبيّة عند المسلمين أو دراساتٍ لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين يكون الطب أحد فروع تلك الدّراسات.

مع وجود بعض الدراسات التي جاءت في شكل مقالات، وهي قليلة، بالنّظر لأهميّة الكتاب وما يحتويه من معلوماتٍ، فعالجت جزئيّات من الكتاب، انحصَرَتْ في منهج المؤلِّف أو في نظريّته في الطّب،

حيث وَجدتُ مقالًا لرحيم حلو مُحمّد البهادلي، بعنوان "**منهج ابن أَبي أُصَيْبِعَة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء**"، ومقالًا آخر لعبد الرحمن حَمادي، **نظريّات نشوء الطبّ لابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"**، وممّا لا شكّ فيه أنّ المقالات بصفةٍ عامّة تُعطي وَمَضات فقط نظرًا لمحدوديّتها ، بحيث لا تستوفي الموضوع بقدْر ما تفتحُ له الباب للبحث أكثر، أين بدأ عملي في هذه الأطروحة.

كما وجدتُ دراسات خاضت في كتاب عيون الأنباء، لكنّها صبَّتْ في معالجة مواضيع غير الطّب كرسالة ماجستير، لإكرام شهاب أحمد النجم، بعنوان "**الجوانب الاجتماعيّة في العراق وبلاد الشام من خلال "كتاب عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعَة ت 668ه**"، تحت إشراف رحيم حُلو محمد البهادلي؛ إذ تركّزتْ هذه الدّراسة على استنتاج الجوانب الاجتماعيّة كالأعياد والمناسبات والجوانب المعاشِيّة والكماليّة، وغيرها، وخَصّتْ به إقليمين من الكتاب فقط هما، العراق والشّام.

ووجدتُ دراساتٍ عالَجتْ موضوع الطبّ ببلاد المشرق الإسلامي أو في جزءٍ منه، دون ارتباطها بابن أبي أُصَيْبِعَة، كأطروحة دكتوراه، للباحث "ناصر بن محمد علي الحازمي"، بعنوان "**الحركة العلميّة الطبيّة في بلاد الشّام زمن الحروب الصّليبيّة (492–692ه/1099–1291م)**"، اعتمدَ صاحبها على ابن أبي أُصَيْبِعَة بشكلٍ كبير، وتركّزت تاريخيا على قرنين من الزمن (5–7ه/11–13م)، وجغرافيًا على بلاد الشّام، ووقَفتُ على أطروحةٍ أخرى، بعنوان "**الموالي وإسهاماتهم الطبيّة في العصر العبّاسي (132–656ه/750–1258م)**"، للدكتور "دحماني محمد"، حيث ضَبَط فيها دَوْرِ الموالي دون سِواهم في تنشيط الحالة الطبيّة، كما وجدتُ كتابًا للباحث "مريزن سعيد مريزن عسيري"، مضمونه في التّعليم الطبي ببلاد المشرق الإسلامي، عَنْوَنَه بـ: "**تعليم الطبّ في المشرق الإسلامي نُظُمُه ومناهجُه حتّى نهاية القرن السابع الهجري**"، حيث اعتمدت الدراسة على المصادر المختلفة، وبالخصوص كتب الأطباء أنفسِهم، على عكس ما أعملُ عليه وهو ما يجعلُ البحث لديّ أكثر ضبْطًا ومحدوديّةً، فالمعلومات أقُومُ باستنتاجها من نوادر وحكايات الأطبّاء، ومن مواقفهم المختلفة، أكثر ممّا أجدُه من معلوماتٍ مباشِرة مُرتّبة ومُبَوَّبَة كما في الكتب الأخرى.

عرض خطّة البحث:

ارتبطت خطّة الموضوع لديّ بكتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء"، إذ أنّها خضعت للمادة المصدريّة الخام، وللمعطيات التّاريخيّة التي حَواها الكتاب، وهو ما تحكَّم في شكلِ الخطّة وحجْمِها، فقسّمتُ البحث إلى مقدّمةٍ، وخمسة فصول، وأخيرًا خاتمة، ومجموعةٍ من الملاحِق التّوضيحيّة؛ ذات العلاقة

المباشِرة بالمتُون، ففي المقدّمة اتّبعتُ الخطوات المتعارَف عليها أكاديميًا مثل: التعريف بالموضوع، وأهمّيته، وأهدافه العلميّة، ودواعي اختياره، مع طرحٍ للإشكال الرئيس، والأسئلة الفرعيّة المصاحِبة له، وتبيين المنهج المعتمَد في الدراسة، ونقدٍ للدراسات السابقة في ذات الموضوع؛ طرْحًا ومنهجًا، وعرْضٍ لأهمّ ما نقدْتُ به مضامين المصادر والمراجع التي استعنتُ بما فيها لإنجاز دراستي، ثمّ استعراض الصعوبات التي اعترضتْني كباحثٍ، وغيرها من النقاط المنهجيّة.

في **الفصل الأوّل**، عرّفتُ بشخصيّة الطّبيب المؤرّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة (ت668هـ/1270م) وسلّطت الضوء على مؤلَّفه " عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء"، إذ تطرّقتُ في المبحث الأوّل لحياة ابن أبي أُصَيْبِعَة، بذكر مولده ونشأته، والتّعريف بأساتذته وتلاميذه ومؤلّفاته، بالإضافة إلى إعطاء لمحةٍ عن العصر الذي عاش فيه، أمّا المبحث الثّاني، فقد كان دراسةً وصفيّةً ونقديّةً للكتاب، بذكر سبب وسنة تأليفه، وإبراز أهمّيته ومحتواه، وإحصاء موارد ابن أبي أُصَيْبِعَة فيه الكتابيّة والشّفويّة، ومقارنةِ الكتاب بما شابَهه من الكتب السّابقة، كما تطرّقتُ في هذا المبحث إلى قضيّة عدم ذِكر ابن أبي أُصَيْبِعَة لزميله الطّبيب ابن النّفيس في هذا الكتاب، وفيما يخصُّ المبحث الثالث من هذ الفصل، فخصّصتُه لدراسة أهمّ ملامح منهج ابن أبي أُصَيْبِعَة في هذ الكتاب، مبرزًا أهمّ العناصر المكوّنِة لتراجمه.

وتحدّثتُ في **الفصل الثّاني** عن الطبّ والعوامِل المساهمة في نشأته وتطوّره في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، بدايةً بالخوض في جدليّة نشأة الطبّ، وإبراز الاختلاف القائم حول ذلك، مع التّعريج على نظريّة ابن أبي أُصَيْبِعَة في الطبّ ونشأته وانتقاله، وتبيان علاقة بعض العلوم بالطّب في المشرق الإسلامي كالفلسفة والحكمة وعلم النُّجوم والفلك، ثمّ أبرزتُ مكانة الأطبّاء ودور السّلطة الإسلاميّة في تشجيع حركة الطبّ بالمشرق الإسلامي، من حيث أنّ الطّبيب من مُستلْزَمات الحكم، وأنَّ الحكَّام كان لهم دور كبير في تهيئة جميع الظّروف من أجل تنشيط الحركة الطبيّة، بتشجيع التَّرجمة، وإكرام الأطبّاء والمبالغة في رواتبهم، وتشيّيدهم للبَيْمَارسْتَانَات، وكذا التَّفضّل عليهم بمنحهم وظائف أخرى إلى جانب مهنتهم في الطبّ كالوزارة والقضاء وغيرها، وتناولتُ في هذا الفصل أيضًا أهميّة المدارس الطبيّة الموروثة كجُنْدَي سَابُور، والإسكندريّة، وأنطاكية، وحَرَّان في تطوّر الطبّ بالمشرق الإسلامي، وبيّنتُ ما كان لأطبَّاء هذه المدارس من أدوار واضحة في ترجمة التراث السُّرياني واليوناني والهندي القديم، ككتب أبُقراط وجالينوس، وغيرهما، وبيّنت مصادر الكتب المترجَمة واللّغات المترْجَم منها وإليها، وصنّفتُ المترجِمين، من حيث نوعيّة وكميّة نقْلِهم.

وفي **الفصل الثّالث**، حاولت قدرَ الإمكان أن أقوم بدراسة إحصائيّة نقديّة لواقع الأطبّاء، في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعَة، فعملتُ على وضع جدولٍ شاملٍ مبرزًا فيه اسم الطبيب وتاريخ حياته وخِدمته للحكّام، كما ذكرتُ ديانة الطّبيب، إذا صرّح بها ابن أبي أُصَيْبِعَة، ثمّ أحصيتُ الأطبّاء، من حيث الأقاليم التي عاشوا فيها، وإبراز الإقليم الأكثر تفوّقًا، من حيث عدد الأطبّاء، ثمّ قسّمتُ الأطبّاء، من حيث فتراتهم الزمنيّة واستنتاج القرن الّذي حوى أكبر عدد من الأطباء، وتقسيم الأطبّاء على الأقاليم، وإبراز فتراتهم الزمانيّة واستنتاج العصر الذهبي للطبّ في كلّ إقليم، وكذلك أحصيتُ الأطبّاء حسب ديانتهم، ومقارنةِ ذلك مع تركيبة المجتمع، وفي مبحث آخر تطرّقت إلى ظاهرة الأُسر الطبيّة، مُحْصِيًا عدد هذه الأُسر في كلّ إقليم، ومبرزًا الدور والخدمة التي قدّمتها كلُّ أسرة، وفي مبحث ثالث استرسلتُ الحديث عن حياة الأطبّاء، من حيث نكباتهم ومِحَنهم، مبرزًا أسباب ذلك ونتيجته، وكجانبٍ آخر من حياة الأطبّاء تطرّقتُ إلى ذكر علاقاتهم ببعضهم البعض، وذِكر وَلَعِهم بالشّعر واعتمادهم عليه في إبراز تلك العلاقات، وفي نَظْم الأَرْجوزات التّعليميّة في الطبّ، ووضْع الوَصْفات والوصايا الطبيّة، وأخيرًا ختمتُ هذا الفصل بذكر تنقّلات الأطبّاء فيما بين أقاليم المشرق الإسلامي، فوضعتُ لذلك جداول توضّحُ أهمّ الأطبّاء المتنقِّلين، مبرزًا الوجهة التي تنقّلوا إليها، وكذا إسهامات أطبّاء بلاد المغرب والأندلس في المشرق الإسلامي.

أمّا **الفصل الرّابع**، فقد جاء بعنوان "تعليم الطبّ مناهجه ومقرّراته في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، في مبحثه الأوّل تناولتُ الموارد البشريّة والماديّة لتعليم الطبّ في المشرق الإسلامي، بالحديث عن الشروط والصّفات التي يجب أن يكون عليها مُتَعَلِّم ومُعَلِّم الطّبّ، مستنتجًا ذلك من خلال ما وَصف به ابن أبي أُصَيْبِعَة الأطبّاء، ومن خلال ما ذكره من وصايا وتنظيرٍ للأطبّاء، سواءٌ القدماء من الأطبّاء اليونانيّين كأبُقراط أو المسلمين كالطّبيب محمّد أبو زكريّا الرّازي، كما تطرّقتُ في هذا المبحث إلى أماكن تعليم الطبّ النّظريّة والتّطبيقيّة، بإبراز دور المساجد في التعليم، ثمّ المجالس الطبيّة الخاصّة في منازل الأطبّاء وفي غيرها من الأماكن، بالإضافة إلى المدارس الطبيّة التي ظهرت بدايةً من القرن(7هـ/13م)، كما عرّجتُ على ذكر نماذج من أماكن تعليم الطبّ التَّطبيقيّة المتمثّلة في البَيمارستانات، وتوضيح دورِها التّعليمي المسايِرِ للدّور العلاجي للمرضى، وذكرتُ بيمارستانًا في العراق وآخر في مصر وبيمارستانًا في الشّام، وفي المبحث الثّاني من هذا الفصل خُضْتُ في قواعد التعليم الطبي بالمشرق الإسلامي، من خلال استعراض المقرّرات الدراسيّة المتمثِّلة في كتب الشريعة والأخلاق والكتب الطبيّة المختلفة، بدايةً بكتب الحكيمين أبُقراط وجالينوس، ثمّ الكتب الطبيّة العربيّة، وشرحتُ دوْر الرواية والتجربة في المعالجة والاستفادة منها، وفي الجزء الثاني من هذا المبحث فصّلتُ في أهمّ الطُرق والمناهج

المساعدة على تعلّم الطبّ؛ مبيّنًا في ذلك أهميّة الملاحظة السريريّة، وضرورة قراءة الكتب وحِفظها، واعتماد الرَّجْز تسهيلًا لذلك ، ثمّ تكلّمت عن طرق تقديم الدّرس الطبّي، سواءٌ النّظري أو التّطبيقي، وبيّنتُ أهميّة منهج السؤال والجواب في الاستفادة من الأطبّاء المعلِّمين، وفي التّأليف في الطبّ.

أمّا في **الفصل الخامس** فقد عنونته بـ: "الممارَسة العمليّة والأخلاقيّة للطبّ في المشرق الإسلامي من خلال كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء"، لابن أبي أُصَيْبِعَة، حيث ابتدأت بالكتابة في موضوع امتحان الطّبيب، مُبرزًا أهمّ المحطّات التي مرّتْ عليها هذه العمليّة، وأتْبعْتُ هذا الموضوع بالتفصيل في موضوع الممارَسة الأخلاقيّة في الطّبّ، مُعَرِّفًا الأخلاق، وذاكرًا لأهمّ مظاهر الأخلاق والآداب الطبيّة في المشرق الإسلاميّ، مع ذكري لِما حصل من تجاوزاتٍ طبيّة، ومنها عرّجْتُ إلى الممارسة العمليّة، بذِكر أهمّ الأمراض والعِلَل الجسمانيّة، والتطرّق إلى كيفيّة معالَجتها، كالمعالجة بالفَصْد والحِجامة وبالأغذيّة، وكذا بعض المعالجات النفسيّة، وختمتُ هذا الفصل بما أنتجه العلماء من مؤلّفاتٍ طبيّة كنتاجٍ للممارَسة الطّويلة والتجربة المحصَّلَة منها.

وجاءت الخاتمة، لتجمع أهمّ النتائج التي توصّلتُ إليها أثناء إنجاز هذا البحث، وهي النتائج التي حاولتُ تذليلها وتبسيطها للقارئ، حتّى تتمَّ الفائدة المرجوَّة من البحث.

نقد للمصادر والمراجع:

بالنسبة لمصادر الدِّراسة، فلا شكّ بأنّ كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" عُدّ بمثابة العمود الفقري لها، لأنّه موضوع الدّراسة، وكلُّ ما يناقَش فيها هو ممّا أثاره صاحب هذا الكتاب، ومع ذلك اجتهدتُ في تنويع المصادر والمراجع إثراءً للموضوع، مناقشةً ومقارنةً وشرحًا وتفسيرًا لكثيرٍ من القضايا والأحداث، فاعتمدتُ على كتب التراجم والطبقات، وكتب التّاريخ العام ، والكتب الطبيّة المتخصِّصة، وكتب الرحلة والجغرافيا، وكتب الأدب، وكتب الحديث والفقه، وكتب السِّياسة الشرعيّة، والأحكام السلطانيّة، وقليلٌ من كتب الفِرق والمقالات، وبعض المعاجم والقواميس وبعض المراجع باللغة الأجنبيّة، وبالنسبة للمراجع، فقد ركّزتُ على دراسات المختصِّين في تاريخ الطبّ، كما اعتمدتُ على بعض الرسائل الجامعيّة والموسوعات والمقالات.

أوّلًا: المصادر: اعتمدتُ الآتي:

1– كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعَة: من كتب التّراجم والطّبقات المهمّة، وقد صنّفتُه مستقِلًّا لأنّ بناء هذا الموضوع، خطّته ومعلوماته والأحداث والقضايا المثارَة فيه، كلّها من خلاله،

لكونه موضوع الدّراسة، ولذلك فقد عُدّ المصدر الرّئيس في بحثي، وهو مصدرٌ غزيرٌ بالمعلومات في جميع الجوانب، إلّا أنّ غالبه كان في الطبّ، بحُكم اختصاصه في تراجم الأطبّاء، وهو من أجلِّ المؤلَّفات التي تناولت تاريخ الطّب وسِيَر أعلامه في العصر الوسيط، حيث حفظ لنا عديد المعلومات التي وصل إليها، والتي عُدّت بالنسبة لنا من المفقودات، فحفظها بنقْلها، كما حفظ روايات مُعاصريه، ممّا يعطي أهميّةً كبرى لنقول الكتاب، يضمُّ هذا الكتاب أكثر من أربعمائة (400) ترجمة، مقسَّمة على أبواب الكتاب الخمسة عشر، فتناول تاريخ الطب، وعرّج على طبقات الأطباء عند الأمّم القديمة، مع اهتمامه بطبقات المترجِمين من الأطباء الذين قاموا بتعريب كتب الطب القديمة، والمباشرة بعد ذلك في ترجمة مشاهير الأطباء، بحكم الارتباط الزّمني أوّلًا، ثمّ بحسب تواجدهم في الأقاليم الجغرافيّة، وأهميّة هذا الكتاب يعود إلى ما حوته تراجم هؤلاء الأطبّاء؛ حيث حفظ لنا أسماءهم، وصفاتهم، وأخبارهم، كدياناتهم، ومؤلّفاتهم، وأشعار الكثير منهم، كما تطرّق إلى تلامذتهم، وشيوخهم، وعلاقاتهم، وجوانب من خدمتهم للحكّام، وبعضا من معالجاتهم، وعلومهم الأخرى من غير الطب، ونوادرهم، وغيرها من المعلومات الهامّة.

2- كتب التّراجم والطّبقات: اعتمدتُ عليها بشكلٍ كبيرٍ، على اعتبار أنّها تحتوي على أخبار مختلَف الفئات وسِيَرها، من حيث إعطاء صورة عامّة حول الشّخص والظروف المحيطة به، وأفكاره ومواقفه، وعديد المعلومات المتعلّقة به، وهاته الكتب ترقَى لِأن تكون تاريخيّة لما تحملُه من مادةٍ تاريخيّة هامّة، ومن أهمّ المصادر التي اعتمدتُ عليها، كتاب "**طبقات الأطبّاء والحكّام**"، لأبي داوود سليمان بن حَسَّان بن جَلجل الأندلسي (ت بعد 377هـ/ 987م)، وهو كتاب يُترجم لأبرز المشتغِلين بالطب في التَّاريخ، وكتاب"**طبقات الأمّم**"، لابن صاعد الأندلسيّ (ت 462هـ/ 1070م)، كما اعتمدتُ على كتاب "**إخبار العلماء بأخبار الحكماء**"، للقِفطي جمال الدّين (ت 646هـ/ 1248م) ، وعلى ابن خلّكان أبي العباس (ت681هـ/1282م)، في كتابه "**وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**"، واعتمدتُ على بعض المصادر المتأخّرة، ومن ذلك كتاب "**سِيَر أعلام النّبلاء**"، لشمس الدّين الذَّهبي (ت 748هـ/1347م)، وكتاب "**الوافي بالوَفيات**"، لصلاح الدّين الصَفَدِي (764هـ)، وكتاب " **المُقَفّى الكبير** " للمقريزي تقيّ الدّين (ت 845 هـ / 1440 م)، وغيرها، وقد ساعدتني هذه المصادر في ترجمة بعض الأعلام من الأطبّاء، ومن غيرهم كالوزراء والحكّام، بالإضافة إلى ما حوتْه من بعض المعلومات حول قضايا معيّنة.

3_ الكتب الطبيّة المتخصِّصة: اعتمدتُ على عديدٍ من كتب الأطبّاء، ولعلّ من أهمّها كتاب "**الذّخيرة في علم الطّبّ**"، لثابت بن قُرّة (ت288هـ/ 901م)، ومؤلّفات محمد بن زكريا الرّازي (ت320هـ/ 932م)، نحو كتاب "**الحاوي في الطّب**"، وكتاب "**الشّكوك**"، وكتاب "**أخلاق الطّبيب**" ، وكتاب

لإسحاق بن عليّ الرُّهَاوي(ت ق4هـ/10م)، بعنوان **"أدب الطّبيب"**، كما اعتمدتُ على كتاب **"القانون"** لابن سينا (ت428هـ/ 1037م)، وكتاب **"المُغْني في الطبّ"**، لسعيد بن هِبة الله (ت495هـ/ 1101م)، ، وكذلك كتاب لعلاء الدين، علي بن أبي الحزم، ابن النّفيس(ت687هـ/ 1288م)**"الموجَز في الطبّ"**.

4- كتبُ التّاريخ العام: اعتمدتُ على الكثير منها، كتاب "**المنتظِم في تاريخ الأمّم والملوك**" لابن الجَوْزي جمال الدّين (ت597هـ/ 1200م) والذي أحالني على حياة الخلفاء، وعلاقاتهم، خاصّةً مع الأطبّاء، وكتاب "**النوادر السلطانيّة والمحاسن اليوسُفيّة**"، لابن شدّاد (ت632هـ/ 1234م)، وكتاب **"الرَوْضَتين في أخبار الدّولتين النوريّة والصلاحيّة"**، لأبي شامة شهاب الدين المقدسيّ (ت665هـ/ 1266م)، وكتاب **"مختصَر الدّول"**، لابن العبري أبو الفرج (ت 685هـ/ 1286م)، كما اعتمدتُ على كتاب "**تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**"، للذهبي، شمسُ الدّين (ت 748هـ/1347م)، وكتاب**"البداية والنّهاية"** لأبي الفداء عماد الدّين بن كثير (ت774هـ/1372م)، حيث أرّخت هذه المصادر للحقبة التي كنت بصدد دراستها، مسهِّلة عليّ الاطّلاع على جميع الجوانب، سواءٌ السياسيّة أو الثّقافيّة أو الاجتماعيّة، وغيرها، واعتمدت كذلك على كتاب "**النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**"، لأبي المحاسن ابن تغْري بَرْدي (ت 874هـ/ 1469م)، وكتاب **"الدّارس في تاريخ المدارس"**، لعبد القادر بن محمّد النُعَيْمي (ت927هـ/ 1521م)، وغيرها من مصادر التّاريخ المهمّة.

5- المعاجم والقواميس: حاولتُ في هذه الدراسة شرح المصطلحات الغامضة التي قد يشكَل على القارئ فهمها، وهو ما جعلني أستعين بالمعاجم والقواميس اللّغويّة، ومن بين المصادر التي اعتمدت عليها، كتاب **"مفاتيح العلوم"**، للخُوارزمي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت387هـ/997م)، واعتمدت على الحِمْيَري نشوان بن سعيد اليمني (ت 573هـ/ 1177م)، من خلال كتابه **"شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلُوم"** ، وكتاب **"لسان العرب"**، لابن منظور (ت711هـ/1312م)، وكتاب **"معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم"**، للسّيوطي جلال الدين (ت911هـ/ 1505م).

6- كتب الرحلة والجغرافيا: اعتمدتُ على هذا النّوع من الكتب للتعريف ببعض المدن والأقاليم، وفي بعض المعلومات الأخرى المتفرّقة، كوصف حالة بعض البيمارستانات، واستنتاج بعض المعلومات حول الأطبّاء، ومن أهمّ المصادر التي اعتمدتُ عليها في هذا الشَّأن كتاب **"رحلة ابن جُبير"**، لابن جبير أبي الحسين (ت614هـ/ 1217م) الّذي وجدتُه حافلاً بالمشاهد والتَّجارب التي اكتسبها صاحبه أثناء تجواله، في وصف البلدان والمدن، ورؤيته لغرائب المشاهد، واطّلاعه على الشؤون والأحوال السياسيّة، والاجتماعيّة،

والثقافيّة، والأخلاقيّة، التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وفيه وصف المساجد البيمارستانات، والمجالس العلميّة، وعديد المعلومات المتنوّعة، ومن كتب الجغرافيا والرّحلة أيضًا، كتاب **"معجم البلدان"**، لشهاب الدّين ياقوت الحَموي (ت626هـ/1229م)، وكتاب **"مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبِقاع"**، لصفِيّ الدّين القطيعي (ت 739هـ/ 1338م)، وأيضًا كتاب **"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"**، لابن فضْل الله العُمَري (ت749هـ/ 1348م) الذي وجدتُه إلى جانب تتبُّعه وصف المدن والأقاليم، قد خصَّص الجزء التّاسع منه لتراجم الحكماء والأطبّاء، معتمدًا على نصوصٍ نقَلها حرفيًا عن ابن أبي أُصَيْبِعَة.

7- كتب الفهارس: من بين كتب الفهارس التي اعتمدتُ عليها، كتاب **"الفهرست"**، لابن النّديم (ت385هـ/ 995م) حيث جوَّدَ فيه صاحبه، واستوعَب استيعابًا يدلُّ على اطّلاعه على فنون العلم، وخاصّةً ما ارتبط بالطّب، مِن أعلامه ومؤلّفاتهم، كما اعتمدتُ على حَاجي خَليفة (ت1067هـ/ 1656م)، في كتابه "**كشفُ الظّنون عن أسَامي الكُتب والفنون**".

9- كتب الشريعة: عندما اقتضتْ الحاجة كان لابدّ من اعتماد كتب الفقه والحديث والعقيدة والفِرق الإسلاميّة، فمِن بين المصادر التي اعتمدتُ عليها، كتاب "**سُنَن التّرمذي**"، للترمذيّ محمد بن عيسى (ت279هـ/892م)، في الحديث، و"**مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه**"، لإسحاق بن منصور الكوسج (ت 251هـ/ 865م) في الفقه، وكتاب "**الفَرْقُ بين الفِرَق وبيان الفِرقة الناجيّة**"، للبغدادي عبد القاهر (ت429هـ/1038م)، وكتاب "**الفِصَل في المِلّل والأهواء والنِّحل**"، لابن حزْم الظاهري عليّ بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/1064م).

كما اعتمدتُ في هذا البحث على بعض الكتب الأدبيّة؛ كمؤلّفات الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان ت 255هـ/869م)، "**الرسائل الأدبيّة**"، وكتاب **"الحيوان"**، واعتمدتُ أيضًا على كتاب "**نهاية الأَرَب في فنون الأدب**"، للنُوَيْري شهاب الدين(ت 733هـ/ 1332م)، وعلى كتاب "**صُبْحُ الأَعشى في صناعة الإنشاء**"، للقَلَقشندي أحمد بن علي(ت 821 هـ/ 1418م).

واعتمدت أيضًا على بعض كتب السّياسة الشرعيّة والحِسبة، ككتاب **"نهاية الرّتبة في طلب الحِسبة"**، للشّيزري (عبد الرحمن بن نصر. ت نحو 590 هـ/1196م)، وكتاب **"الفَخْري في الآداب السُّلطانيّة والدوّل الإسلاميّة"**، لابن الطَقطقي محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ/ 1309م)، وكتاب **"تُحفة الترك فيما يجب أن يعمل في المُلك"**، لنجم الدّين الطّرسُوسي إبراهيم بن علي (ت 758هـ/1357م)، وأغلب ما اعتمدتُ على هذه المصادر، في الفصل الرّابع الخاص بالتّعليم الطّبي،

موضِّحًا الرّقابة التي كانت تُفْرض على صناعة الطبّ، فعالجتْ قضيّة ضرورة امتحان الطّبيب، وحدّدْت الأمور التي يجب أن يُحصّلها، كما حدّدتْ له بعض الآداب والأخلاقيات الطبيّة التي يجب أن يلتزم بها.

ثانيا، المراجع:

اعتمدتُ على مؤلّفات الباحث أحمد عيسى بك(ت1365هـ)، ذات الأهميّة الكبيرة، ككتاب "**معجم الأطبّاء**" الذي جاء كذيلٍ لكتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، و"**تاريخ النبات عند العرب**" و"**تاريخ البيمارستانات في الإسلام**"، وهذا الكتاب يسلّط الضّوء على نشأة البيمارستانات وتطوّرها في الدّولة الإسلاميّة، وقد انتفعتُ به في أكثر من موضع، خاصّةً وأنّ صاحبه يستند في كثيرٍ من معلوماته على ابن أبي أُصَيْبِعَة، واعتمدتُ على كتاب "**تعليم الطبّ في المشرق الإسلامي نُظُمه ومناهجه حتّى نهاية القرن السابع الهجري**"، للباحث مريزن سعيد مريزن عسيري، واستفدتُ منه في الفصل الرّابع في التّعليم الطبي، بحيث تناول صاحبه الطرق والمناهج التّعليميّة وأماكن التعليم النظريّة والتطبيقيّة، ومن الكتب أيضًا كتاب "**تاريخ أطبّاء العيون العرب**"، لنشْأَتْ حَمَارْنة، و"**الموجَز في تاريخ الطبّ عند العرب**"، للدكتور رحاب خضر عكاوي.

كما كان الزِركلي خير الدّين (ت1396هـ) مساعدًا لي في كتابه "**الأعلام**" لسهولة البحث فيه، ولإحالته للمصادر التي أخذ منها، وبالتّالي تسهيل عمليّة البحث في ترجمة بعض الأعلام، كما اعتمدتُ على مؤلَّفَيْنِ، لعمر رضا كحّالة (ت 1408هـ) الأوّل، بعنوان "**العلوم العمليّة في العصور الإسلاميّة**"، والثّاني، بعنوان "**معجم المؤلِّفين**"، ومن المؤلّفات المهمّة أيضًا التي ساعدتني كتاب "**الطّبّ العربي رؤيّة ابستمولوجيّة**"، لماهر عبد القادر محمد علي، حيث استفدتُ منه في الفصل الأوّل، في التّعريف بابن أبي أُصَيْبِعَة، وفي دراسة منهجه.

كما اعتمدت على بعض المؤلّفات المعرّبة ككتاب "**العلم عند العرب وأثره في تطوّر العلم العالمي**"، لألدو ميلي، وكتاب "**تاريخ العلم**"، لجون سارتون، وكتاب "**ابن النّفيس**"، لبول غليونجي، وكتاب " **شمس الله تشرق على الغرب**"، لزيغريد هونكه

واعتمدتُ أيضًا على بعض الكتب الأجنبيّة ككتاب " Science and Civilization in Islam "، للباحث سيد حسين نصر، وكتاب "Histoire de la médecine Arabe "، للوسيان لكلير، وهو الذي اهتمّ بتاريخ الطبّ العربي.

هذا مختصرُ ما اعتمدتُه من مصادر ومراجع، مع العلم أنّي استعنتُ أيضًا ببعض المقالات والأطاريح والرسائل الجامعيّة، إلّا أنّ مجموع ما اعتمدتُه لا يمكن إدراجُه في هذا الموضع، ولهذا يمكن للقارئ الاطِّلاع عليها في قائمة المصادر والمراجع النّهائيّة.

الصّعوبات:

اعترضتني العديد من الصعوبات منها، الخاصّة ومنها العلميّة الموضوعيّة، فأمّا ما اعترضني شخصيًا فإنّي أُؤْثِر ألّا أذكرَه لأنّه يتماشى مع حياة الإنسان، وأمّا الصعوبات العلميّة والتّقنيّة فيمكن توضيحها في التّالي:

من أبرز الصّعوبات التي واجهتني انحصار الدّراسة حول كتاب واحدٍ "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، ومنه خضوعي التّام لما احتواه الكتاب، دون اختيار المواضيع المشكِّلة للدراسة، حيث وجب الالتزام بما وفَّره الكتاب من معلوماتٍ دون سِواها، إلّا ما أدرجتُه شرحًا أو تعقيبًا أو للمقارنة، بينه وبين ما ورد لدى ابن أبي أُصَيْبِعَة، ومحتواه هذا قدَّم معلومات مقتَضَبة حول قضايا معيَّنة، في حين وفَّر معلومات كثيرة حول قضايا أخرى، وأغْفَل كثير من القضايا المهمّة التي كان يمكن إضافتها لهذه الدّراسة، هذا ما جعلني أمام مشكلةِ تحقيق التوازن لمباحث وفصول خطّة الموضوع.

من الصّعوبات أيضًا، احتواء كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء على كثيرٍ من المصطلحات التي ارتبطت بأسماء بعض الأدويّة وبعض المؤلّفات وكذلك بعض الأماكن التي عجزتُ في كثيرٍ من المواضيع على إيجاد معاني دقيقة لها؛ بل وجدتُ صعوبةً حتّى في قراءتها لعدم وجود تشكيلٍ لها، عند ابن أبي أُصَيْبِعَة، وحتّى في المصادر الأخرى، مع أنّ كثير من هذه المصطلحات أعجميّة تعود إلى الفارسيّة أو اليونانيّة.

وكذلك وجدتُ صعوبةً في تصنيف عديد الأطبّاء، من حيث فترتهم الزمنيّة، حيث نجد أسماء لأطبّاء يذكرهم ابن أبي أُصَيْبِعَة، دون أن يحيلنا إلى أيّ قرينةٍ تسهّلُ معرفة فترة حياتهم، ثمّ عند البحث عن هاته الأسماء في المصادر الأخرى لم أجد لها ترجمة، أو وجدتها منقولة عن ابن أبي أُصَيْبِعَة دون إضافاتٍ، هذا بالإضافة إلى عدم تشكيل أسماء الأطبّاء، ممّا صعَّب عليّ قراءة عديد الأسماء ما جعلني في حَيْرةٍ. فكان هذا يأخذ منّي وقتًا طويلًا في سبيل إيجاد مُعينٍ لضبط تشكيله، ولإيجاد على الأقلِّ القرن الذي عاش فيه.

مشكلة أخرى أراها أثَّرتْ على عملي بشكلٍ كبير، وهي جديد الوزارة بضرورة تحديد نسبة القياس، فعلى الرّغم من أهميّتها في تكوين الباحثين، وتعليمهم النقد والتّحليل، إلاّ أنّها في مثل موضوعي تُخِلُّ أكثر ممّا تحسِّن، وذلك ببساطة لاعتماد دراستي على كتاب محدَّد، حيث يتحتَّم عليّ إدراج نصوصه كما هي، لعدم الإخلال بالمعاني، وكذلك للأمانة العلميّة؛ إذ أنيّ أناقش القضايا التي ضمّنها كتابه، كما أناقش طريقة كتابته ومنهجه، وهذا يستدعي وضع أمثلة مصدريّة في وضعها الخام، كي أقدّم لها الشرح اللّازم، هذا ما جعلني في كلّ مرّة أسعى إلى صياغة نصوصه بطريقتي، تفاديًا للاقتباس، فكان لابدّ النّظر في مثل هكذا مواضيع لرفع نسبة الاقتباس فيها.

عدم الاستفادة من المِنح العلميّة الخارجيّة التي تساعد الباحث في الوقوف على بعض المخطوطات التي من شأنها إثراء الموضوع، وكذلك للوصول إلى بعض الدراسات القريبة من الموضوع؛ إذ أنيّ اطّلعتُ على بعض الدّراسات الموجودة بالجامعات العربيّة في المشرق التي تبدو من خلال عناوينها أنّها تساعد في هذا الموضوع، فلم يتسنّ لي الحصول عليها، مع أنيّ تواصلتُ مع بعض الأساتذة في الجامعات العربيّة عن طريق شبكات التّواصل الاجتماعي، إلّا أنّ الاستجابة كانت محدودة جدًّا.

وفي الختام لا يسعني إلّا أن أشكر المشرفة –أ.د أم الخير عثماني– على مساعدتها في هذا العمل، وعلى كلّ مجهوداتها، حيث نصحتْ ووجّهتْ، صحّحت وعدّلتْ، عنّفَتْ واستعْطَفتْ، ليخرج هذا الموضوع بهذا الشّكل، فأرجو أن أكون، قد وُفِّقتُ إلى تقديم الإضافة العلميّة المرجُوّة من هذا الموضوع، كما أسأل الله الكريم أن يجعل لهذا العمل مكانًا ينتفعُ به طلبة العلم، وأن يكون سببًا في فتح آفاق بحثيّة جديدة، خاصّة أنّه أثار الكثير من القضايا التي تحتاج إلى المزيد من العناية البحثيّة، وما توفيقي إلّا بالله ربّ العالمين.

الفصل الأوّل

الطّبيب المؤرِّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة (ت668هـ/1270م) وكتابه "عُيون الأَنْباء في طبقات الأطبّاء" دراسة تاريخيّة نقديّة في المحتوى والمنهج.

الفصل الأوّل

الطّبيب المؤرّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة (ت668هـ/1270م) وكتابه "عُيون الأَنْباء في طبقات الأطبّاء" دراسة تاريخيّة نقديّة في المحتوى والمنهج.

أوّلا: الطّبيب المؤرّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة: حيــاته وعصره.

1- مولده ونشأته.

2- مشايخه وتلاميذه.

3- مؤلّـفــاته.

4- اهتمـامـاته.

5- عصرُ الطّبيب المؤرّخ ابن أَبي أُصَيْبِعَة.

ثانيا: كتاب "عُيون الأنباء في طبقات الأطبّاء":

1- دوافع التّأليف.

2- سنة التّأليف والطبّع.

3- أهميّة الكتاب ومحتواه.

4- الطّبيب ابنُ النَّفِيس وقضيّة تغيّيبه في كتاب "عيون الأنباء وطبقات الأطباء".

5- موارد الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

أ- الموارد من الكتب:

-كتب اليونانيّين.

- المصادر المكتوبة في العصر الإسلامي.

ب- مصادره المرْويّة والشَفَويّة.

ت- المصادر غير المعروفة.

6- الكتب السّابقة للطبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في تاريخ الأطبّاء والفلاسفة:

أ- كتاب "تاريخُ الأَطبّاء والفَلاسفة" لإسحاق بن حُنَيْن (ت298هـ/ 911م).

ب-كتاب "طبقات الأطبّاء والحكماء" لأبي داوود بن سُلَيمان بن حَسّان الأندلسي (ت بعد 384هـ/995م).

ت- "كتاب الفَهْرَسْتْ" لابن النّديم (ت 380هـ/ 990م).

ث-كتاب"طبقات الأمّم" للقاضي ابن صاعِد الأندلسي (ت 462هـ/ 1070م).

ج- كتاب"أخبار العلماء بأخبار الحكماء" لجمال الدّين القِفْطي (ت646هـ / 1248م).

ثالثا: منهج الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في كتاب "عُيون الأنْبَاء في طَبَقَات الأطبّاء".

1-التّرتيب على الطّبقات وتقسيم الكتاب.

2-النّقد والمقارنة.

3- أحجام التّراجم وتكرارها.

4- التّدقيق.

5- شرح المصطلحات الأعجميّة.

6- الآراء والاجتهادات.

7- اعتمادُ الشِعْر واستحضاره.

8- عناصر التّرجمة:

أ- الاسم ولواحِقه.

ب- الولادة والوفاة.

ت- الاهتمام بالموطن والمسكن.

ث- خدمة الحكّام والمكانة لديهم.

ج- الدّيانة.

ح- الصِّفات الخلْقِيّة والعلميّة.

خ- الإنتاج العلمي للأطبّاء.

د- الوظائف من غير الطبّ.

ذ- المشايخ والتلامذة.

ر- تنقّلات الأطبّاء ورحلاتهم.

الفصل الأوّل: الطّبيب المؤرّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة (ت668هـ/1270م) وكتابه "عيون الأَنْباء في طبقات الأطبّاء" دراسة تاريخيّة نقديّة في المحتوى والمنهج.

ممّا يتبادرُ إلى الذّهن عند الحديث عن تاريخ الأطبّاء أو التأريخ للطبّ؛ اسمُ "ابن أَبِي أُصَيْبِعَة" الطّبيب المؤرّخ الّذي يؤكّد حضورَه في أغلب الدّراسات والبحوث الخاصّة بتراجم الأطبّاء وطبقاتهم، من البدايات حتّى وفاته أواخر القرن(7هـ/13م)، وذلك بالنّظر لما حفظه لنا من معلومات موسوعيّة متنوّعة في مؤلَّفه "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" الّذي جمع فيه نوادر وحكايات، طبًّا وحكمةً، وشعرًا، وحفظ لنا مواقفًا وأخبارًا... فكان بمثابة موسوعة شملت جوانب كثيرة تستدعي الدّراسة والبحث.

ولهذا وجب معرفة من يكون هذا الطّبيب المؤرّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة؟ وما مدى تأثير البيئة عليه، نشأةً وعلمًا؟ ثمّ التعرّف إلى أهمّ شيوخه الذين كان لهم دورًا في تنشئته العلميّة، وبعدها الحديث عن مدى تأثيره في طلبة العلم، بذِكر إشاراتٍ عن بعض تلاميذه، مع ذكر أهمّ مؤلّفاته، بتخصيص الدراسة عن كتابه "عُيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء"، ومعرفة دوافع تأليفه له، مع أهمّ مضامينه، ثمّ التعرّض لأهمّ خصائص منهجه المتبّع في ذلك، ثمّ ذكر أهمّ موارده التي استقى منها معلوماته، لتتجلّى أهمّيّة هذا المؤلَّف مقارنةً بسابقِيه؛ ممّن ترْجَم قبله للأطبّاء؟ دون نسيان رأيِ الذين نقلوا عنه أو قرؤوه من المعاصرين واللّاحقين؟ وهذا كلّه سأسعى لإبرازه من خلال هذا الفصل.

أوّلا: الطّبيب المؤرّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة: حيــاته وعصره.

1_ مولده ونشأته: يجدُ الباحثُ صعوبةً كبيرة في إعطاء ترجمة وافيّة للطبّيب المؤرّخ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، نظرا لقلّة المصادر الّتي تعرّضت لذكره، حيث كانت معلوماتها شحيحة ومتشابهة؛ فورد ذكره فيها على أنّه "أحمد بن القاسم بن خليفة الخَزْرَجي، مُوَفَّق الدّين أبو العباس(1)، المعروف بــاسم الشهرة "ابن أَبِي

[1] اليُونِيني قطب الدّين، أبو الفتح، موسى بن مُحمّد (ت 726 هـ)، ذيْلُ مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، (1413 هـ/1992 م)، ج2، ص437.، الصَّفدي (صلاح الدّين خليل بن أيْبك بن عبد الله ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي، (دط)، دار إحياء التراث، بيروت، 2000 م، ج7، ص 193.؛ ابن كثير (أبو الفِداء، إسماعيل بنُ عُمر ت774هـ)، البداية والنّهاية، تح: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988م، ج13، ص299.؛ ابنُ تَغري بَرْدي (أبُو المَحاسن، جمال الدّين ت 874هـ)، النُّجُوم الزّاهِرة في مُلوك مِصر والقَاهرة، (دت)، (دط)، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، دار الكُتب، مصر، ج7، ص 229.؛ حَاجي خَليفة (مصطفي عبد الله القسطنطيني ت 1067هـ)، كشفُ الظّنون عن أسَامي الكُتب والفنون، تح: إكمال الدّين إحسان أُوغْلي وبشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي –مركز دراسات المخطوطات الإسلاميّة، ط1، لندن، إنجلترا، 2021م، ج5، ص62.؛ الزّرِكلِي(خَير الدّين بن محمود بن مُحمّد بن عليّ بنُ فارس ت1396هـ)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م، ج1، ص197.؛ البغدادي (إسماعيل بن مُحمّد، أمين بن مير سليم البابانى ت 1399هـ)، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، وكالة المعارف، إسطنبول، (1951-1955م)، ج1، ص705.؛ عمر رضا

أُصَيْبِعَة"[1]؛ نسبةً إلى لقب جدّه، حسب ما ذكره الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه[2] ليُطلَق هذا اللّقب أُصَيْبِعَة على العائلة بأكملها فيما بعد[3]، كأسرةٍ طبيّة مشهورة تمكّنت في أمور الطبّ وبالخصوص في الكَحَالَة[4]، ويرجع نسبُ ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى الصَّحَابيّ "سعْدُ بنُ عُبَادَة[5]، استنادًا إلى ما ذكره الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة عن عمّه رشيد الدّين[6]، وأكّد ذلك المؤرّخ الإمام الذّهبي (ت748هـ /1348م) عند ترجمته لوالد ابن أَبي أُصَيْبِعَة[7].

اتّفق أغلب الكُتّاب والمؤرِّخون، أمثال الذّهبي شَمْس الدّين، والصَّفدي صَلاح الدّين خَليل بنُ أَيْبَك بنُ عبد الله (ت 764هـ/1362م)، وابنُ كَثير أبو الفِداء إسماعيل بنُ عُمر (ت774هـ/ 1373م)،

كحالة (راغب بن عبد الغني ت 1408هـ)، معجم المؤلّفين، (دط)، مكتبة المثنّى –بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص ص47 ،48.؛ مَاهر عبد القَادر مُحمّد علي، الطّب العربي رُؤية إبستمولوجيّة، دار النهضة العربيّة، ط1، بيروت، 1997م، ص142.

1 كُنية" ابنُ أَبي العباس" أُطلقت عليه قبل أن يُطلق عليه لقب جدِّه "ابن أَبي أُصيبعة". أنظر، هيكل نعمة الله وإلياس مَليحة، موسوعة علماء الطّب، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1991م، ص ص72 ،73.

2 ابن أَبي أُصيبِعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يُونس الخَزْرَجي، موفّق الدّين، أبو العباس ت 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تح: نزار رضا، (دط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (دت)، ص736.

3 من خلال بعض المصادر وجدنا، أنّ عمّه ذُكر بهذا اللقب، حيث ذكره الإمام الذّهبي بقوله: "عليّ بن خليفة بن يونس بن أَبي القاسم، العلّامة رشيد الدّين الأنصاري الخَزْرَجي، ابن أَبي أُصيبِعة، توفيّ شابًا عن سبعٍ وثلاثين سنة. أنظر، الذّهبي، شمس الدّين أبو عبد الله، مُحمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تح: الدكتور بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م. ج13، ص480.

4 رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطّب عند العرب، دار المناهل، بيروت، 2000، ص296.

5 سعدُ بن عُبادة، سيّد بني الخزرج، عقْبِي بَدْري أُحُدِي، يكنّى "أبا ثابت"، شهد المشاهد كلّها، وكان نقيبًا، صاحب راية الأنصار في المشاهد، توفيّ بحُورَان، من أرض الشّام سنة ستّ عشرة، وهو سَعدُ بنُ عُبادة بن دَليم، وقيل: "دَلهم بن حَارثة بن أَبي خُزيمة"، وقيل: "ابن حزام بن أَبي خزيمة بن ثَعلبة بن طريف بن الخَزْرج بن سَاعدة". روى عنه ابن عباس، وأنس بن مالك–رضي الله عنهما–. أنظر، الأصبهاني (أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ت 430هـ)، معرفة الصحابة، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض،ط1، (1419 هـ – 1998م)، ج3، ص1244.؛ البَغَوي (أبو القاسم عبد الله بن مُحمّد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سَابور بن شاهِنشاه ت 317هـ)، معجم الصحابة، تح: مُحمّد الأمين بن مُحمّد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ط1، (1421هـ – 2000م)، ج3، ص13.؛ ابن الأثير، أبو الحسن، عليّ بن أَبي الكرم مُحمّد بن مُحمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَيْباني الجَزَري، عز الدّين (ت 630هـ): أسد الغابة، تح: محمد إبراهيم البنا وآخرون، دار الفكر، بيروت، (1409هـ – 1989م)، ج2، ص204.

6 أبو الحسن عليّ بن خليفة بن يونس بن أَبي القاسم بن خليفة (579–616هـ/1184–1220م)، وهو عمّ ابن أَبي أُصيبِعة، وُلد بحَلَب، اشتغل في أمور الكَحَّالة، والموسيقى، وعَنِيّ بالحكمة، والحساب، كان من المشتغِلين في البيمارستان النُّوري بدمشق، كما كان له مجلسٌ خاص يعلّم فيه صناعة الطّب، من كُتبه: "الموجز المفيد في علم الحساب" أربع مقالات، كتاب "طبُ السُّوق"، "تعاليق ومجربات في الطّب" وغيرهم. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص736.

7 والد ابن أَبي أُصيبِعة هو، أبو القاسم بن خليفة، بن يونس بن أَبي القاسم بن خليفة، الحكيم، سديد الدّين الأنصاري، الخَزْرَجي السَعْدِي العبادي، الكَحَّال، المعروف بـ"ابن أَبي أُصيبِعة"، توفيّ سنة (649 هـ/1252م)، والد صاحب " تاريخ الأطبّاء "موفّق الدّين. أنظر، الذّهبي، المصدر السابق، ج14، ص 631.

بالإضافة إلى ابنُ تَغري بَرْدي أبُو المَحاسن جمال الدّين (ت 874هـ/ 1470م)، على أنّه وُلد بدمشق[1]، وقيل: "وُلد بالقاهرة"[2]، وتوفيّ بصَرْخَد[3]سنة (668هـ/1270م)[4]، لكنّهم اختلفوا حول مدّة وتاريخ حياته، حيث تتعارض في ذلك الرّوايات وتتناقض، وهذا ما يدفعنا إلى الخوض في هذه المسألة قصد الوصول إلى الأقرب صحّةً، فمن بين هذه الرّوايات ما قاله المؤرّخ ابن كثير، وأشار إليه في مؤلّفه المشهور "البداية والنّهاية"؛ من أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة "قد مات عن تسعين عامًّا"[5]، وتبعه في ذلك المؤرّخ النُّعَيْمي (ت927هـ/1522م)، صاحب كتاب "الدّارس في تاريخ المدارس"[6]، وأيضًا ما ذكره الباحث "عمر رضا كحّالة "،في "معجم المؤلّفين"[7]، في حين نجد هناك كتابات أخرى سلَّمت بوفاته عن السّبعين عامًّا، وهذا الّذي أشار إليه كلٌّ من المؤرّخَيْن: ابن تَغْري بَرْدي، في كتابه "النُّجوم الزّاهرة في مُلوك مِصرَ والقَاهرة"[8]، والباحث "أحمد عيسى بك"، في "معجم الأطبّاء"[9].

واستقصاءُ حقيقة ذلك يؤدّي بالضرورة إلى التمعّن في نصوص كتاب "عيون الأنباء"، واستنتاج ما يمكن استنتاجه خدمةً لذلك، فابن أَبي أُصَيْبِعَة كانت له بعض الإحالات الّتي من شأنّها تصويب الأخطاء، وتقريب الوجهات، وذلك بعد بسْطِ ما جاء في التّراجم القليلة، ذات المعلومات اليسيرة التي وصلتنا، والّتي تناقضت عند كثيرٍ منهم، في ذكره لوَفيات سنة(668هـ/1270م)–وهو تاريخ وفاة الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة–. قال المؤرّخ ابن كثير:" أحمد بن القاسم بن خليفة الخَزْرجي الطّبيب ...توفيّ بصَرْخَد،

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، مقدّمة المحقّق عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تح: عامر النّجّار (طبعة أخرى)، ص8.؛ رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطّب عند العرب، ص298.

[2] ادوارد كرنيليوس فانديك Cornelius Van Dyck(ت 1313هـ)، اكتفاء القَنُوع بما هو مطبوع، صحّحَه: السّيد مُحمّد عليّ الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، (1313 هـ / 1896 م)، ص103. وأنا لا أتّفق مع هذا الطرح لتفرّده واختلافه مع جميع التراجم الأخرى التي اطّلعت عليها.

[3] صرْخَد، بالفتح ثمّ السكون، والخاء معجّمة، والدّال مهملة: بلد ملاصق لبلاد "حُورَان" من أعمال دمشق، وهي قلعةٌ حَصينة، وولايةٌ حسنة واسعة. أنظر، الحَمَوِي (شِهاب الدّين، أبو عبد الله، ياقوت بنُ عبد الله الرّومي ت626هـ)، مُعجَم البُلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، مج3، ص401.

[4] الصَّفَدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص 193.؛ رضا كحَّالة، معجم المؤلّفين، ص47.

[5] ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت774هـ)، البِداية والنهاية، ج13، ص299.

[6] النُّعَيْمِي (عبد القَادر بنُ مُحمّد ت 927هـ)، الدّارس في تاريخ المدَارس، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، ط1، 1990م، ج2، ص100.

[7] رضا كحَّالة، معجم المؤلّفين، ص ص47 ،48.

[8] ابنُ تَغري بَرْدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، ص 229.

[9] أحمد عيسى بك، معجم الأطبّاء، ط1، جامعة فؤاد الأوّل، كلّية الطّب، (1361هـ/ 1942م)، ص114.

وقد جاوز التّسعين"[1]، فمن هذا النّص يكون قد وفّر لنا تاريخ الوفاة، كما ذكر العمر الّذي كان قد توفّي عنه، فيكون تاريخ ميلاده، حسب المؤرّخ ابن كثير، سنة(578هـ/1183م)، وتبعه في هذا الباحث "عُمَر رضا كَحّالة" في قوله:" هو أحمد بن القاسم بن خليفة... وقد جاوز التّسعين"، وذلك بعد أن ذكر تاريخ ميلاده ووفاته (596هـ/1200م-668هـ/1270م)، ليقع في التناقض[2]، وربّما أراد قول السّبعين بدل التّسعين في غفلةٍ منه، كما أنّه على اعتبار التّاريخ الّذي حدّده، فإنّ الفارق بين التّقويم الميلادي والهجري ثلاثة عشر يومًا، ومعنى هذا، أنّه لا بدّ وأن يكون تاريخ ميلاده على حساب سبعين سنة ميلاديّة (593هـ/1198م)، أمّا إذا كان تاريخ ميلاده على حساب تسعين سنة، فيكون سنة (578هـ/1183م)[3].

أمّا في الجانب الآخر، فنجد المؤرّخ ابن تغري بردي ، في ذكره في وَفيات سنة (668هـ/1270م)، قال: "وفيها توفيّ الشّيخ مُوَفَّق الدّين أبو العبّاس...مات بصَرْخَد في جُمادى الأوّلى، وقد نيّف على سبعين سنة"[4]، وتبعه الباحث أحمد عيسى، مؤلِّف كتاب "ذَيْلُ عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" الذي نقل ما رواه المؤرّخ ابن تغري بردي[5]، كما ذكر الباحث أسامة عانُوتي أنّ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة قد ولد سنة(600هـ/1203م) بدمشق، وتوفيّ بصَرْخَد سنة (668هـ/1269أو1270م)، بعدما جاوز التّسعين، وأنّه قد أدرك عصر الانحطاط إحدى عشرة سنةً أو اثنتي عشرة سنةً-ويقصد هنا، السّنوات التي تبِعت الاجتياح المغولي على بغداد (656هـ/1258م)[6]-، وإذا كان عمره تجاوز التّسعين فهذا يعني أنّ مولده كان حوالي سنة (578هـ/1183م)، وليس سنة(600هـ/1204م)، كما ذكر، وهذا يبرز مدى التّناقض الّذي وقع فيه[7].

---

1 ابن كثير، المصر السابق، ج13، ص299.

2 عُمَر رضا كَحّالة، المرجع السابق، ج2، ص47.

3ماهر عبد القادر، الطّب العربي رؤية إبستمولوجيّة، ص142.

4 ابنُ تَغري بَرْدي، المصدر السابق، ج7، 229.

5أحمد عيسى بَك، المرجع السابق، ص114.؛ مَاهِر عبد القَادر، المرجع السابق، ص142.

6الاجتياح المغولي لبغداد هو، الاصطلاح الذي يُشير إلى دخول المغول ،بقيادة هُولاكو خان حاكم إلخانيَّة فارس، مدينة بغداد حاضرة الدّولة العبَّاسيَّة وعاصمة الخلافة الإسلاميَّة يوم 9صفر(656هـ/1258م)، بتكليفٍ من الخاقان الأكبر "مُونكوخان" الذي طلبَ من أخيه هُولاكو استكمال فُتُوحات المغول في جنوب غرب آسيا التي كان قد بدأها جدّهما جنكيزخان، وهو ما قام به هولاكو، حيث تمكّن جيشه من اقتحام بغداد بعد أن حاصرها 12 يومًا، فدمَّرها وأباد مُعظم سُكَّانها. أنظر،

Don Nardo, Genghis khan and the Mongole Empire, Lucent books A part of Gal, Cengage learning, United States of America, 2011, p79.

7 ماهر عبد القادر، المرجع السابق، ص142، 143.

وبالعودة إلى بعض الكتّاب المتأخرين، من أمثال: الزِّرِكلِي، وراغب السَّرجاني،...وغيرهما، نجد أنّهم ذكروا تاريخًا آخر سلّموا به، دون أن يشيروا إلى مصادرهم أو اجتهاداتهم في ذلك، حيث ذكر الكاتب راغب السّرجاني، بأنّ ابن الطّبيب أَبي أُصَيْبِعَة قد وُلد في دمشق، نحو سنة (596هـ/1200م)، وتوفيّ في جبل صَرْخَد سنة (668هـ/1270م)[1]، وهو ما قال به المؤرّخ الزِّرِكلِي، في كتابه "الأعلام"[2]، وهو ما يتوافق بعض الشّيء مع السّبعين سنة ونيّفًا التي ذكرها المؤرّخ ابن تَغْري بَرْدي، في كتابه "النّجوم الزّاهرة".

وبعد عرضِ الآراء المختلفة وجَب العودة إلى مُؤَلِّفِ الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لتتبُّع بعض القرائن والمعطيات الّتي من شأنّها أن تُسدّد الآراء، وتفكّ الغموض عن حياته، من ذلك ما قاله الطّبيب المؤرّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة، في صددِ ترجمته لعمّه رشيد الدّين علي بنُ خليفة(ت616هـ/1220م): "هو أبو الحسن علي بنُ خليفة ... مولده بحلَب في سنة تسعٍ وسبعين وخمسمائة، وكان مولد أبي قبله في سنة خمسٍ وسبعين وخمسمائة بالقاهرة المعِزّيّة"[3]، فنفهم من هذا الكلام أنّه يستحيل أن يكون الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قد عاش تسعين سنةً، فلو صحّ هذا لكان تاريخ ميلاده في حدود عام (578هـ/1183م)، فيكون الفارق بينه وبين أبيه أربع سنوات، وبهذا لا يمكن قَبول كلام القائلين بأنّ عمره تسعين عامًّا.

أمّا فيما يخصّ القائلين بأنّه ولد سنة (600هـ/1204م) فهذا يعني أنّه عاش ثمانيّةٍ وستّين عامًا، وهذا لا يوجد له قولٌ عند المؤرّخين القدامى، فيُستبعَد ذلك أيضًا، لكن عند الحديث عن القائلين بأنّه ولد في سنة (596هـ/1200م)، فهذا يعني أنّه عاش حوالي اثنين وسبعين عامًا، فيكون الأقرب صحّةً، وذلك لتوافقه مع ما جاء به المؤرّخ ابن تَغْري بَرْدي، عندما ذكر أنّه عاش ما ينيف عن السّبعين؛ والنَيف هو الزّيادة؛ إذ قال المؤرّخ ابن منظور(ت711هـ/1312م) :"...قال أبو العباس الذي حصّلناه من أقاويل حُذّاقِ البصريين والكوفيّين أنّ النيْف من واحدةٍ إلى ثلاثٍ...ويقال: نِيف فلانٌ على الستّين ونحوها إذا زاد عليها"[4]، وبهذا يكون قد عاش حوالي 72سنة، ولد سنة(596هـ/1200م)، وتوفيّ سنة(668هـ/1270م)، وهذا ما يتوافق مع قوْل الباحثَيْن: راغب السَّرجاني، والزِّرِكلِي. والله أعلم.

---

1 السّرجاني راغب، قصّة العلوم الطّبيّة في الحضارة الإسلاميّة، ط1، مؤسّسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، (1430هـ/ 2009 م)، ص220.

2 الزِّرِكلِي، الأعلام، ج1، ص197.

3 ابن أَبي أُصيبِعة، عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ص736.

4 ابن منظور (مُحمّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدّين ت 711هـ)، لسَان العَرب، دار صادر، بيروت، ط3 -1414 هـ، ج9، ص342.

نشأ الطّبيب المؤرّخ ابن أَبي أُصَيْبِعَة في أسرةٍ اشتهرت بالعلم والأدب؛ فجدّه عُرف عليه أنّه كان ذو فضلٍ بالعلم واتّصالٍ بالعلماء والأطبّاء، فلمّا انتقل إلى مصر، عندما فتحها السلطان "الناصر صلاح الدّين يوسف بن أيوب(532 –589 هـ / 1137 –1193 م)"[1] أصبح في خدمته وخدمة أوّلاده، واجتمع بمعارفه وأصدقائه، على غِرار الإمام العالم جمال الدّين بن أبي الحَوَافِر (ت595هـ/1200م)[2]، والعالم الفاضل أبي الحجّاج يوسف[3]، فوجّه ولديه "القاسِمْ"، والد ابن أَبي أُصَيْبِعَة، و"رشيد الدّين علي" عمِّه، لتعليمهما صناعة الطبّ، وذلك لمعرفته بشرفها، وكثرة احتياج النّاس إليها، وأنّ صاحبها الملتزِم لِمَا يُحبّ من حقوقها يكون مُبَجَّلًا حَظِيًّا في الدّنيا، وله الدّرجة العليا في الآخرة، وتركهما يلازمان ذيْنَك الشيخين ويغتنمانهما، فلازم القاسم أبا الحجّاج يوسف، واشتغل بصناعة الكُحْل وباشر معه أعمالها، ودرس عمّ ابن أَبي أُصَيْبِعَة "رشيد الدّين" الطبّ على ابن أَبِي الحَوافِر[4]، الأمر الذي جعله يتّجه لطلب

[1] يوسف بن أيّوب بن شاذي، أبو المظفّر، صلاح الدّين الأيّوبي، الملقّب ب"الملك النّاصر" (532 –589 هـ / 1137 –1193 م)، مؤسّس الدولة الأيّوبيّة الّتي وحّدت مصر والشّام والحجاز في ظلّ الرّاية العبّاسيّة، بعد أن قضى على الدّولة الفاطميّة، ولد بتِكريت، نشأ في دمشق، وروى الحديث بها وبمصر والإسكندريّة، وليّ الوزارة لدى الخليفة العاضد الفاطمي، ثمّ انفصل عن الفاطميّين، وأحيا السُنّة، واستقلّ بملك مصر... وحقّق أعظم انتصار على الصّليبيّين في معركة حطّين عام 1187م الّذي تلاه استرداد طبَرِيّة وعُكّا، ويافا إلى ما بعد بيروت، ثمّ افتتاح القدس سنة (583هـ/1188م)، اجتمع لحربه ملكَا فرنسا وانكلترا بجيشيهما وأسطوليهما، فعقد صُلحًا بينه وبين كبير الفرنج ريتشارد قلب الأسد. أنظر، ابن شدّاد (يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي المؤصلي، أبو المحاسن، بهاء الدّين ت632 هـ)، النوادر السلطانيّة والمحاسن اليوسفيّة (سيرة صلاح الدّين الأيّوبي)، تح: الدكتور جمال الدّين الشيّال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1415هـ/ 1994م)، ص31، 126.؛ أبو شامة (أبو القاسم شهاب الدّين، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ت 665 هـ)، الرَوْضتين في أخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة، تح: إبراهيم الزّيْبق، ط1، مؤسّسة الرسالة، بيروت، (1418هـ/ 1997م)، ج3، ص275 وما بعدها.؛ المقريزي (أحمد بن عليّ بن عبد القادر، أبو العباس الحُسيني العُبيدي، تقيّ الدّين (ت 845هـ))، السّلوك لمعرفة دُوّل الملوك، تح: مُحمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1997م، ج1، ص149. ؛ الزِرِكلي، المرجع السابق، ج8،ص ص220، 221.

[2] جمال الدّين بن أَبي الحَوافِر، هو الشيخ الإمام العالم أبو عمرو عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عُقيل القَيْسي، ويُعرف ب"ابن أَبي الحَوافِر"، من أفضل الأطبّاء، وله اشتغالٌ جيّد في علم الأدب، وعناية فيه، وله شعرٌ كثير، مولده ومنشؤه بدمشق، واشتغل بصناعة الطّب على الإمام مُهذِّب الدّين بن النقّاش، وعلى الشيخ رضيّ الدّين الرَحْبِي، وخدم بصناعة الطّب الملك العزيز عثمان بن الملك النّاصر صلاح الدّين، وأقام معه في الديّار المصريّة وولّاه رياسة الطّب، وكانت وفاته سنة(595هـ/1200م) بالقاهرة، وقيل: "توفيّ سنة (619هـ/1223م)". أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص ص584، 585.؛ الذّهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص579.

[3] أبو الحجاج يوسف الإسرائيلي، قدم من فاس إلى مصر، وكان فاضلًا في الطّب والهندسة وعلم النجوم، ثمّ سافر إلى الشّام وأقام بمدينة حلب وخدم الملك الظاهر غازي ابن الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب، من مؤلّفاته "رسالة في ترتيب الأغذيّة"، و"شرْح الفصول لأبقراط". أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص696.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السّابق، ص585.

العلم والسَّمَاع من المشايخ، ليُتْقِن العلوم اللّسانيّة على علماء زمانه في بادئ الأمر، ثمّ التوجّه بعدها إلى تَلقِّي علوم الطبّ[1] عن والده الّذي برَع في الكَحَالَة في دمشق وعلى يدِ عمّه الّذي كان عالما في الطبّ[2].

ومن نتيجة تلك البّيئة الثّقافيّة، وعائلته العلميّة، أصبح ابن أَبِي أُصَيْبِعَة مهتمًّا بمهنة الطبّ متميّزًا فيها، ثمّ رحل إلى مصر، واشتغل في إحدى بيمارستانات القاهرة؛ أين التقى بعددٍ من الأطبّاء المشهورين هناك، كالطّبيب "إبراهيم بن الرئيس مُوسَى"[3] ويقول عن ذلك "واجتمعتُ به سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين وستّمائة بالقاهرة، وكنت حينئذ أُطِبُّ في البيمارستان بها، فوجدتُه شيخًا طويلًا"[4].

وذكر مشاهدته للشّيخ السَّديد بن أبي البَيَان"[5] بالبَيْمَارِستَان النّاصِري، بالقاهرة[6]، ليعود بعدها إلى دمشق ويلتقي ببعض أطبّائها عام (633هـ/1236م) قبل أن ينتظم في خدمة الدّولة الأيوبيّة (564–648هـ/1168–1250م)[7]؛ إذ وصلت شُهرته إلى "صَرْخَد" ليرحل إليها[8]، نزولًا عند رغبة حاكمها

---

[1] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص736.

[2] ابن أَبِي أُصيبِعة: المصدر نفسه، ص736–740.

[3] إبراهيم بن الرئيس موسى، هو أبو المنَى إبراهيم ابن الرئيس موسى بن ميمون، منشؤه بفسطاط مصر، وكان طبيبًا مشهورًا، عالما بصناعة الطّب جيّدًا في أعمالها، وكان في خدمة الملك الكامل مُحمّد بن أَبِي بكر بن أيّوب، ويتردّد أيضًا إلى البيمارستان الذي بالقاهرة من القصر ويعالج المرضى فيه. أنظر، ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 583.

[4] نفسه.

[5] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 584.

[6] أتكلم عن هذا البيمارستان في الفصل الرابع، في موضوع أماكن التعليم الطبّي.

[7] الدّولة الأيّوبيّة، من الدوّل التي نشأت في مصر، وامتدّت لتشمل الشّام والحجاز واليمن والنُوبة وبعض أجزاء بلاد المغرب، تأسّست على يد "النّاصر صلاح الدّين الأيّوبي" الّذي تنصّل من الفاطميّين، وانتصر للعبّاسيّين فدعا للخليفة العبّاسي، وأغلق مراكز الشّيعة الفاطميّة، ونشر المذهب السُنّي، اختُلف في بدايات الدولة ونهايتها، قيل: أنّ ابتداء دولتهم ومُلْكهم سنة(564هـ/1169م)، وقال السيّد السمرقندي، في" تحفة الطالب" سنة(559هـ/1165م). أنظر، العبّاسي الصَّفدي (الحسَن بن أَبِي مُحمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي ت بعد 717 هـ)، نُزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من وليّ مصر من الملوك، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، بيروت، (1424هـ/ 2003م)، ص128 .؛ النّويرِي (شهاب الدّين، أحمد بن عبد الوهاب بن مُحمّد بن عبد الدائم القُرَشي ت 733هـ)، نهاية الأرَب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، 1423هـ، ج28، ص351 .؛ ابنُ الوَرْدِي (عمر بن مظفّر بن عمر بن مُحمّد ابن أَبِي الفوارس، أبو حفص، زين الدّين ت 749هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1417هـ/1996م)، ج2، ص78.؛ مُجير الدّين العليمي (عبد الرحمن بن مُحمّد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي ت928 هـ)، التاريخ المعتبَر في أنباء مَن غَبَر، تح: لجنة مختصّة من المحقّقين، إشراف: نور الدّين طالب، ط1، دار النوادر، سوريا، (1431هـ/ 2011م)، ج2، ص72 وما بعدها.؛ العصامي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت 1111هـ)، سِمْط النجوم العَوالي في أنباء الأوائل والتَوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ مُحمّد معوض، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1419هـ/ 1998م)، ج4، ص3 .

[8] راغب السرجاني، قصّة العلوم الطّبيّة، ص ص220، 221.

الأمير عزّ الدّين أيْبك[1]، أحد أمراء الدولة الأيّوبيّة، وقد تلّوَم عليه ذلك شرَف الدّين بن الرَّحْبِي في قصيدةٍ أرسلها له[2].

2-مشايخه وتلاميذه:

من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" نجد الطّبيب المؤرّخ ابن أَبي أُصَيْبِعَة يذكر ضمنه أسماء أهّم الأساتذة الّذين تتلمذ على يديهم، وحمَل المِشعل معهم ومِنْ بعدهم، ليظهر بشخصيته المتميّزة في مجالات عديدة أهمّها الطبّ والتاريخ والأدب عامّةً والشعر خاصةً، ومن بين الشيوخ البارزين الّذين كان لهم الدّور الكبير في تنميّة شخصيّة الطّبيب المؤرّخ ابن أَبي أُصَيْبِعَة العلميّة أذكر:

-**مُهَذب الدّين عبد الرَّحِيم بن عَليّ (ت 628هـ/ 1230م)**، هو العالم مهذّب الدّين، أبو محمّد عبد الرّحيم بن عَليّ بنُ حامِد، المعروف بـ"الدَّخْوار"، ولد ونشأ بدمشق، وكان مولده في سنة(565هـ/1170م)تميَّز في صناعة الكُحْل ونَبَغ فيها، وكُلِّف من طرف الملك العادل (538-615هـ/1144-1219م)[3] بالنّظر في أمر الكَحَّالين ومَنْ يَصْلُحُ منهم، ونظيرَ ارتفاع منزلته عند الملك العادل جعله في دائرة جُلسائه وأصحاب مَشُورته، وأغدَق عليه إنعَامَه، حتّى نال شرَف رئاسة الطبّ في مصر والشّام، كما أنّه عمل في البيمارستان الكبير، وقام يُصنِّف كُتبَه ويعلّم النّاس الطبّ، فكان له فضلًا كبيرًا في تعلّم صناعة الطبّ في عصره، وفي سنة(622هـ/1226م) وقَّفَ دارَه مدرسةً للأطبّاء[4] خدمةً

---

[1] الأمير عزّ الدّين أيْبك، من أمراء الدولة الأيّوبيّة، أستاذ دار المعظّم. اشتراه الملك المعظّم عيسى سنة(607هـ/1211م)، وجعله بمثابة الولد، ثمّ ولّاه صَرْخَد، ولما توفيّ الملك المعظّم عيسى، صاحب دمشق سنة (624هـ/1226م) بقيّ أيبك في خدمة ولده ووريثه على دمشق الملك النّاصر داود، وسانده حين حاول عمّاه الملك الكامل والأشرف موسى انتزاع دمشق منه، وفي سنة (625هـ/1229م)، تسلّم الملك الكامل دمشق وأقرّه النّاصر على مغادرتها إلى الكَرْك، فدخل أيبك في طاعة الكامل بعد أن توثّق لنفسه منه أن يظلّ على حكم صَرْخَد. وظلّ أيبك محتفظًا بمنصبه حينما نزل الملك الكامل عن دمشق لأخيه الأشرف موسى سنة (626هـ/1230م)، قام بإنشاء المدرسة العزّيّة البرّانيّة، وأنشأ المدرسة العزّيّة الجُوّانيّة. أنظر، النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج29، ص327.؛ النُعَيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص427.؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص203.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص679.

[3] مُحمّد بن أيّوب بن شادي، أبو بكر سيف الإسلام، الملقّب بالملك العادل، أخو السلطان صلاح الدّين، كان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدّين أثناء غيبته في الشّام، ثمّ ولّاه أخوه مدينة حلب سنة (579هـ/1184م). فرحل إليها وأقام قليلًا، ثمّ استقلّ بملك الديّار المصريّة سنة (596هـ/1200م)، وضمّ إليها الديّار الشّاميّة، ثمّ مُلْك أرمينيّة سنة(604هـ/1208م)، وبلاد اليمن سنة(612هـ/1216م)، ولما صفا له جوّ الملك قسّم البلاد بين أولاده، وجعل يتنقل من مملكةٍ إلى أخرى، فكان يصيِّف بالشّام ويُشَتِّي بمصر، وعاش أرغد عيش، كان ملكًا عظيمًا حنَكّته التجارب، حازمًا، داهيّة، حسن السيرة محبًّا للعلماء، ولد في دمشق وقيل: "في بعلبك"، وتوفيّ بعالقين (من قرى دمشق)، وهو يُجهِّز العساكر لقتال الإفرنج. أنظر. ابنُ تَغري بَرْدي، المصدر السابق، ج6، ص160 وما بعدها.؛ الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص47.

[4] الكلام عنها في الفصل الرابع، في موضوع أماكن التعليم الطبّي النّظرية -المدارس الطبيّة-.

لهذه الصّناعة، وعَرَضَ عليه ثِقَلٌ بلسانّه وطال به، فاجتهد في مداواة نفسِه واستفرَغ بدنَه بعدّة أدويّة مُسهِّلَة، وكان يتناول كثيرًا من الأدويّة، والمعاجين الحارّة، ويغتذي بمثلها، فعرَضت له حُمّى، وتزايدت به حتّى ضعفت قوَّته وتوالت عليه أمراضٌ كثيرة، حتّى توفيّ بدمشق، ومن بين كتبه: "الجنينة في الطِّبّ"، و"مختصَر الأغاني للأصفهاني" في الأدب، ومختصر الحاوي...[1].

أمّا عن تتلمُذِ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة عليه، فيُذكر أنّه استغلّ فرصةَ تواجده في المعسكر مع أبيه؛ أين كان مُهذَّب الدّين الدَّخوَار في خدمة السُّلطان الكبير، فشرع يقرأ كتب جَالينُوس[2] عنه[3]، كما أنّه أقام بدمشق للقراءة عليه، حين نصَّب نفسه لتعليم الطبّ[4]، كما يَذْكُر اطّلاعَه على كُتُبه في الطبّ وغيره التّي فاقت المائة، حسب الطّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة[5]، ولا شكّ أنّه استفاد منه عمليًا، حيث يذكُر مرافقته له عند معالجته للمرضى بالبَيْمَارسْتَان[6].

–رَضِي الدّين يُوسُف بن حَيْدرة الرَّحبِي(ت631هـ/ 1233م)، هو رضيّ الدّين، أبو الحجّاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرَّحبي، وُلد سنة(534هـ/1140م) بجزيرة ابن عُمَرْ[7]،كان أحد المتميّزين في

---

[1] ابن أَبِي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص 728 وما بعدها.؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص151.؛ الكُتُبِي (محُمّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، الملقّب بصلاح الدّين ت 764هـ)، فَوات الوَفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1974، ج2، ص 315.؛ النُعيمي، المصدر السابق، ج2، ص100.؛ ماهر عبد القادر، الطّب العربي رؤية ابستمولوجيّة، ص 24، 25.

[2]جالينُوس، الحكيم، الفيلسوف، الطّبيعي، اليوناني، من أهل مدينة فَرْغَامُوس، يوناني، إمام الأطبّاء في عصره، ورئيس الطّبيعيّين في وقته، مؤلّف الكتب في الطّب، وعلم الطّبيعة، وعلم البرهان، و هو بعد المسيح بنحو مائتي سنة، وبعد بُقراط بنحو ستّمائة سنة... ظهر جالينوس بعد ستمائة وخمس وستّين سنة من وفاة بُقراط وانتهت إليه الرياسة في عصره، وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم اسْقليبيادس مخترع الطّب وكان معلّم جالينوس ارمينس الرومي، فبرع في الطّب والفلسفة، والعلوم الرياضيّة، وهو ابن سبع عشرة سنة، وأوفي وهو ابن أربع وعشرين سنة، جددّ من علم بقراط، وشرح كتبه، وكانت له بمدينة رومية مجالس مقاميّة، خطب فيها، وأظهر من علمه بالتشريح ما عُرِف به فضله، وكانت مدّة حياة جالينوس سبعًا وثمانين سنة منها، صبيّ ومتعلّم سبع عشرة سنة، وعالم معلّم سبعين سنة، توفي سنة 216م. أنظر، ابن النديم (ت 380هـ) الفهرست، تع: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، (1417هـ/ 1997م)، ص350.؛ ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص109وما بعدها.؛ القِفطي (جمال الدين، أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشَيْباني ت 646 هـ)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1426هـ/2005م). ص99.

[3] طيلة فترة القرون السّبعة الّتي نحن بصدد دراستها ظلّت كتب جالينوس تُدَرّس لمتعلّمي الطّب، وكذا كانت مادةً خصبة حيث أُلّفت عديد المؤلّفات حولها كشروحات واختصارات وتفاسير لها، مع وجود بعض الرّدود عليها.

[4] ابن أَبِي أُصيبِعة؛ المصدر السابق، ص731.

[5] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص728.

[6] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص732.

[7] مدينة إسلاميّة، عمّرها الحسن بن عُمَر التغلبيّ على ضفّة نهر دجلة، وذلك في بدايات القرن(3هـ/9م)، يفصلها عن الموصل ثلاثة أيّام، لها رُسْتاق مخصّب خيراته واسعة، أوّلُ مَن عمّرها الحسن بن عمر بن خطاب التَغْلبي، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلّا من ناحية واحدة شبه الهلال، ويُنسب إليها جماعة كثيرة، منهم: أبو طاهر إبراهيم بن محُمّد بن إبراهيم بن مِهران الفقيه الجَزَري الشافعي. أنظر، الحَمَوي (شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي ت626هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

صناعة الطبّ والمتعيّنين من أهلها، وقد غلب عليه صناعة الكُحْل، كان مبَجّلًا ومقرّبًا من الملوك، اجتمع بالسلطان النّاصر صلاح الدّين يوسف[1]،وأطلق له في كلّ شهرٍ ثلاثين دينارًا مقابل ملازمته القَلْعة والبيمارستان، واهتمّ بتدريس الطبّ فاشتهر من تلاميذه الكثير، ونبَغ منهم جماعة عدَّة، فلو اعْتبر أحدٌ جمهورَ الأطبّاء بالشّام، لوُجِد إمّا أن يكون قد تتلمذ على الرَّحبِي أو قرأ على أحد تلامذته[2]، وكان ابن أبي أُصَيْبِعَة يتبرَّك بالدّراسة عليه في قوله "وكنتُ في سنة اثنتين وثلاث وعشرين وستّمائة قد قرأتُ عليه كتابًا في الطبّ"، وأكثر ما استفادَه منه، ما يتعلّق بالجزء العملي من كلام الطّبيب الرازي أبو بَكر محمّد بنُ زكريّا(ت313هـ/ 925م) وغيره[3].

-سيفُ الدّين الْآمِدِيّ (ت631هـ/ 1233م)، هو سَيفُ الدّين، أَبُو الْحَسن، عَليّ بن أبي عَليّ بن مُحَمَّد بن سَالم التّغلبي **الْآمِدِيّ**، كان عارفًا بالعلوم الحِكَميّة وبالمذاهب الشّرعيّة، متميّزًا في الطبّ، كان نادرًا ما يُقْرِئُ أحدًا من الأمور الحِكَميّة، إلّا أنّ ابن أُصَيْبِعَة يذكر تتلمذَه على يديه، حيث قرأ عليه كتاب "رموز الكنوز"، وهو من تصنيفه؛ لمودّةٍ بينه وبين والد ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، فقد أخذه والدُه إليه وقدَّمَه بين يديْه[4].

-ضياء الدّين بنُ البَيْطار(ت646هـ/1248م)[5]، هو أبو محمّد، عبد الله بن أحمد المالِقِي[6]النّباتي؛ رائدٌ في معرفة النّبات، بأسمائه وعلى اختلاف أنواعه، مُحقّقًا له، وعالِمًا بمواضِع نباته، لم يكتف بما وجده من نباتٍ ببلاد المغرب؛ ممّا عايَن منابِته وتحقَّق من ماهيّته، فشدَّ الرحال إلى بلاد المشرق، وإلى بلاد

(1414هـ/ 1993م)، ج2، ص138.؛ ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن مُحمّد بن إسحاق الهَمَداني ت 365)، البلدان، تح: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1416هـ/ 1996م)، ص364.

[1] النُعيمي، المصدر السابق، ج2، ص100.

[2] ابن أَبِي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص ص672، 673.؛ الذهبي (شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ت 748هـ)، سيّر أعلام النبلاء، تح: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، (1427هـ/ 2006م). ج16، ص267.

[3] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص673.

[4] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص650.

[5] ترجمته في: ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص601.؛ الذّهبي، المصدر السابق، ج16، ص426.؛ ادوارد كرنيليوس فانديك، اكتفاء القَنوع بما هو مطبوع، ص223.؛ مجموعة من المؤلّفين، موسوعة الفقه الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، مصر، (1418هـ/ 1997م)، ج12، ص397.

[6] نسبةً لمدينة مَالَقَة، بفتح اللام والقاف، وقيل: بفتح الميم وألف وكسر اللام وفتح القاف وهاء في الآخر؛ وهي مدينة بالأندلس عامرة، من أعمال ريّة، سُورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء وألْمريّة. أنظر، الحَموي، مُعجم البَلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ج5، ص43.؛ القَلْقشندي (أحمد بن عليّ ت 821 هـ)، صُبْحُ الأعْشَى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق: مُحمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، (1407هـ/ 1987م)، ج5، ص ص211، 212.

الروم[1]، ولقيّ جماعةً يعانون هذا الفنَّ، فأخذ عنهم معرفة نباتٍ كثير، وعايَنه في مواضِعه[2]، وقرّبه إليه الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت635هـ/ 1237م)[3]، وكان يعتمد عليه في الأدويّة المفْرَدَة والحشائش؛ بل وبلغ من المكانة ما جعله رئيسًا على سائر العشّابين، وأصحاب البَسْطاتِ في مصر، كما خدَم الملك الصالح، نجم الدين أيوب[4]، وكان حظيًّا عنده، متقدِّمًا في أيّامه[5]، من مؤلّفاته: كتاب الإبانة والأعلام بما في المنهاج من الخَلَلِ والأوهام، وكتاب شرح أدويّة كتاب دِيسْقُورِيدَسْ[6]، وكتاب الجامع في الأدويّة المفْرَدَة[7]، وهو كتابٌ مشهورٌ ذكر فيه الأدويّة المفْرَدَة، صنَّفه للملك الصالح نجم الدّين أيوب بن الملك الكامل، وكتاب المغْنِي في الأدويّة المفْرَدَة وهو، مُرَتَّبٌ بحَسَب مداواة الأعضاء الآلِمة، وكتابُ الأفعال الغريبة والخَواص العجيبة[8] .

وأوّل اجتماع للطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة به كان بدمشق، في سنة(633هـ/1236م)؛ أين شاهد معه في ظاهِر دمشق كثيرًا من النّبات في مواضِعه، وقرأ عليه تفسيرَه لأسماء أدويّةِ كتاب دِيسْقُورِيدَسْ، ووصف منهجَه في التّدريس وفي كيفيّة تعامُله مع الكتب، قال الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة:" وكنتُ أُحضِر

1 الكتبي، المصدر السابق، ج2، ص160.

2 ابن أَبِي أُصَيبِعة، عيون الأنباء، ص 601.؛ ابن العِماد الحنبلي(عبد الحيْ بن أحمد بن مُحمّد العَكري، أبو الفَلاح (ت 1089هـ)، شَذَرات الذهب في أخبار مَن ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، ،1986م، ج7، ص405 .؛ الذّهبي، سيّر أعلام النُّبَلاء، ج16، ص426.

3 السلطان الكبير الملك الكامل أبو المعالي، وأبو المظفّر مُحمّد ابن الملك العادل، أَبِي بكر بن أيّوب، صاحب مصر والشّام ومَيّافارقين وآمُد وخَلَاْط والحجاز واليمن وغير ذلك. ولد في سنة(576هـ/1181م)، تملّك الديّار المصريّة أربعين سنةً، شطْرها في أيّام والده، وكان عاقلًا، مَهيبًا، كبير القدر، مات بدمشق، في الحادي والعشرين من رجب، سنة(635هـ/1238م). أنظر، الذّهبي، المصدر نفسه، ج16، ص127-129.

4السلطان الملك الصالح عماد الدّين، أبو الخيش إسماعيل، ابن الملك العادل مُحمّد بن أيّوب بن شاذي، صاحب دمشق، تملّك بُصْرى وبعلبك، وتنقّلت به الأحوال، واستولى على دمشق أعوامًا، فحاربه صاحب مصر، ابن أخيه، وجرت له أمورٌ كثيرة ما بين ارتفاعٍ وانخفاض. وكان مليح الشّكل، قليل البخت، شجاعًا بطلًا، شديد البطش مهيبًا. أنظر، الذّهبي، المصدر نفسه، ج16، ص 131.

5ابن أَبِي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص601.

6دِيسْقُوريدَس العين زربى: عاش في الفترة التّي بين أبقراط وجالينوس. ويقال له: "السايح في البلاد"، يمدحه يحيى النحوي، في كتابه في التاريخ ويقول: تفديه الأنفس، صاحب النفس الزكيّة، النافع للناس المنفعة الجليلة، المتعوب المنصوب السايح في البلاد، المقتبِس لعلوم الأدويّة المفردة من البراري والجزائر والبحار والمصوِّر لها، المعدِّد لمنافعها قبل المسألة عن أفاعيلها، وله من الكتب كتاب الحشائش، خمس مقالات وأضاف، إلّا مقالتين في الدواب والسموم، وقد قيل: "أنّ المقالتين منحولتان إليه نقْل حُنَيْن" وقيل: "حُبَيْشْ". أنظر، ابن النديم، الفهرست، ص ص 354، 355.؛ ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص59.

7قال في سبب تسمّيّته: "وسمّيتُه بالجامع، لكونه جمع بين الدواء والغذاء، واحتوى على الغرض المقصود مع الإيجاز والاستقصاء"، كما ذكر الغرض من تأليفه وحدّد ذلك في ستّ نقاط. أنظر، ابن البيطار (ضياء الدّين أَبِي مُحمّد عبد الله ت646هـ)، الجامع لمفردات الأدويّة والأغذيّة، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1412هـ/ 1992م)، ج1، ص ص3، 4.

8ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص602.

لَدَينا عدّة من الكتب المؤلَّفة في الأدويّة المفْرَدَة مثل، كتاب دِيْسْقُورِيدَسْ وجالينوس والغافِقِي[1] وأمثالها... ويذكر أيضًا جُمَلًا من أقوال المتأخِّرين وما اختلَفوا فيه، ومواضِع الغَلَطِ والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعْتِه، فكنتُ أراجع تلك الكتب معه، ولا أجدُه يغادر شيئًا ممّا فيها، وأَعْجبُ من ذلك أيضًا؛ أنّه كان ما يذكُرُ دواءً إلّا ويُعَيِّنُ في أيِّ مقالةٍ هو مِنْ كتاب دِيسْقُورِيدَسْ، وجالينوس، وفي أيِّ عددٍ هو مِنْ جُملة الأدويّة المذكورة في تلك المقالة"[2].

– **الشّيخ السَّديد بنُ أبي البَيَان(ت بعد 636هـ/1239م)**،هو سديد الدّين، أَبُو الْفضل دَاوُود بن أبي الْبَيَان، سُلَيْمَان بن أبي الْفرج، إِسْرَائِيل بن أبي الطّيب، مولده في سنة (556هـ/1162م) بالقاهرة، كان أَقْدَرَ أهل زمانه من الأطبّاء على تركيب الأدويّة ومعرفة مقاديرها وأوزانِهَا، خَدَم الملك العادل، أبا بكر، ابن أيوب[3]، ولهذا الشيخ من الكتب، كتاب الأَقْرَابَاذِين[4] وهو اثنا عشر بابًا، قرأه الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة على يديه، وقام بجمعه معه، وذكر أنّه قد أجاد في جمْعه وبالَغ في تأليفه، واقتصر على الأدويّة المركّبة المستعمَلَة المتداوَلة في البيمارستانات بمصر والشّام والعراق وحوانيتِ الصيادلة[5].

– **موفّق الدّين يعقوب بن سقلاب (ت 625هـ/1228م)**،طبيبٌ نصراني، من سكّان القدس، وبها ولد في حوالي سنة (556هـ/1162م)، له معرفةٌ في كتب جالينوس، اشتغل عليه الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة أثناء تواجُده في المعسكر المعَظَّمِي، فقرأ عليه من كتب أَبُقْراط[6]حِفْظًا واستشراحًا، ووصف منهجه في

---

[1] أبو جعفر، أحمد بن مُحمّد بن أحمد بن السيّد الغافقي، إمام فاضل وحكيم عالم، ويعدّ من الأكابر في الأندلس، وكان أعرف أهل زمانه بقِوى الأدويّة المفردة ومنافعها وخواصّها وأعيانها ومعرفة أسمائها، وله من الكتب "كتابه في الأدويّة المفردة". أنظر، ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 500.

[2] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص601.؛ قنواتي شحاتة، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، ط2، أوراق شرقيّة، بيروت، لبنان، 1996م، ص192.

[3]ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص584.؛ الذّهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص339.

[4]أَقْرابَاذِين هو، لفظ يوناني معناه: "التركيب"؛ أي: "تراكيب الأدوية المفردة، وقوانينها"، صنّفوا فيه: قديمًا، وحديثًا. أنظر، حَاجي خَليفة (مصطفي عبد الله القسطنطيني ت 1067هـ)، كشفُ الظّنون عن أسَامي الكُتب والفنون، ج1، ص547.؛ قنواتي شحاتة، المرجع السابق، ص14.؛ عيسى إسكندر المعلوف، تاريخ الطّب عند الأمّم القديمة والحديثة، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثّقافة، القاهرة، ص40.

[5] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص584.؛ قنواتي شحاتة، المرجع السابق، ص192.

6 أبُقراط، هو السابع من أشرف أهل بيته، من آل اسْقليبيوس، وأعلاهم نسبًا، أبو قراط بن إيراقليدس بن أبقراط بن غنوسيد يقوس بن نبروس بن سوسطراطس...، واضع الطّب الذي قال بفضله الأوائل والأواخر، وكان أكثر حكمته في الطّب وشهرته بها، تعلّم صناعة الطّب من أَبيه إيراقليدس، ومن جدّه أبقراط، وهما أسرّا إليه أصول صناعة الطّب، مدّة حياته خمسًا وتسعين سنة، منها صبيًا، ومتعلّم ستّ عشرة سنة، وعالم معلّم، تسعًا وسبعين سنة، من مؤلّفاته: الفصول، وتقدمة المعرفة، وكتاب الأخلاط. أنظر، ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر سابق، ص 43.؛ ابن جلجل (أبو داوود سليمان بن حَسَّان الأندلسي ت بعد 377هـ)، طبقات الأطبّاء والحكّام، تح: فؤاد سيّد، ط2، مؤسّسة الرسالة، بيروت، (1405هـ/1985م)، ص16؛

التّدريس بقوله:" فكنتُ أرى من حُسن تَأتّيه في الشّرح وشدّة استقصائه للمعاني بأحسن عبارة وأوجزِها وأتمِّها معنًى ما لا يَجْسُر أحدٌ على مثل ذلك ولا يقدر عليه"، ثمّ يذكر خلاصة ما ذكرَه وحاصِل ما قاله حتّى لا يبقى في كلام بُقْراط مَوْضعًا إلّا وقد شرحه شرحًا لا مزيدَ عليه في الجودة، ثمّ أنّه يورد نصّ ما قاله جالينوس[1]في شرحه لذلك الفصل على التّوالي إلى آخر قوله..."[2].

ونجد الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة يقارن بين أستاذَيْه مهذّب الدّين عبد الرَّحيم بن عليّ، ومُوفَّق الدّين يَعقُوب بن سِقْلاب، حيث يذكر جلوسَهُما في الموضع الذي يجلس فيه الأطبّاء عند دار السلطان ويتباحثان في أشياء من الطبّ، فكان يرى أنّ الشيخ مهذب الدين أفصح عبارةً وأقوى براعةً وأحْسن بحثًا، وأنّ الحكيم يعقوب كان أكثر سكينةً وأبْيَنَ قولًا وأوْسَعَ نقلًا؛ لأنّه كان بمنزلةِ التُرجمان المستحضِر لما ذكَره جالينوس في سائر كتبه من صناعة الطبّ[3].

– **شمس الدّين أحمد بن خليل الخويي**[4] **(ت 637هـ/ 1239م)**،هو أَبُو الْعَبَّاس، أَحْمد بن الْخَلِيل بن سَعَادَة بن جَعْفَر بن عِيسَى، من مدينة "خوي"[5]، تميّز في العلوم الحِكميّة وفي الأمور الشرعيّة، قرأ عليه جماعة من المشتغلِين وانتفعوا به، وكان من بينهم ابن أَبي أُصَيْبِعَة الذي قرأ على يديه كتاب "التَبْصِرة" لابن سَهْلان[6].

- **أفضَلُ الدّين الخُونَجِيّ(ت646هـ/ 1248م)**،هو أفضَلُ الدّين، أبُو عبد الله، محمّد بنُ نَامَاوار الخُونَجِيّ، كان فقيهًا شافعيّا، عارفًا بالمذهب، أحد الفضلاء المشهورين، إلّا أنّه الغالب عليه العلوم العقليّة، فإنّه كان تمكُّنه فيها أكثر من الفقه، كما كان متميَّزًا في الأصول والمنطق والفلسفة، كثير التحصيل، قويّ

الشهرستاني (أبو الفتح مُحمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ت548هـ)، المِلَل والنِّحل، (د ط)، مؤسّسة الحلبي، (د ت)، ج2، ص167.

1 يلاحظ من خلال تراجم شيوخ ابن أَبي أُصيبِعة الذين عاشوا في النّصف الأوّل من القرن(7هـ/13م) أنّ هناك اهتمامًا كبيرًا بكتب جالينوس، فنجد ابن أَبي أُصيبِعة يثمّن ذلك ولا يتجاوزه ويذكره في كلّ مرّة، وكأنّه يقول: أنا أتحرّى دراسة طبّ جالينوس وأتخصّص فيه عند مشاهير الأطبّاء.

2 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص698.

3 نفسه.

4 والأصل "الخُويي" بدل الخويي، نسبةً إلى مدينة "خُوَيٌّ". أنظر، عبد العظيم المنذري (زَكيّ الدّين، أبو مُحمّد بن عبد القوي ت 656 هـ)، التكملة لوفيات النَقَلة، تح: الدكتور بشّار عوّاد معروف، ط2، مؤسّسة الرسالة، (1401هـ/ 1981م)، ج3، ص537.

5 خُوَيٌّ بالضّم، ثمّ الفتح، وتشديد الياء؛ بلدٌ مشهور، من أذربيجان، حصين كثير الخير، خرج منه جماعة من العلماء. أنظر، صفيّ الدّين القطيعي (عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل ت 739هـ)، مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ج1، ص493.؛ عبد العظيم المنذري، المصدر السابق، ج3، ص537.

6 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص646.

الاشتغال، بلغ الغاية في أكثر العلوم[1]، كان قاضي القضاة بمصر[2]، ومارَس التّدريس في المدرسة الصالحيّة[3]وأفتى، وصنَّف ودرّس[4]، ويذكر الطّبيب بن أَبِي أُصَيْبِعَة بأنّه اجتمع به بالقاهرة في سنة (632هـ/1235م) فوجده الغاية القُصْوى في سائر العلوم، وقرأ عليه بعض الكُلِّيات من كتاب القانون، للرّئيس ابن سينا[5] [6].

–رفيع الدّين الجِيلي (ت 641هـ/1243م)، رفيع الدّين، أَبُو حَامِد عبد الْعَزِيز بن عبد الْوَاحِد بن إِسْمَاعِيل، بن عبد الْهَادِي الجيلي، تميَّز في العلوم الحِكميّة وأصول الدّين والفقه والعلم الطبّيعي والطبّ، وكان مقيمًا بدمشق، وهو فقيهٌ في المدرسة العَذْراويّة[7]، وله مجلسٌ للمشتغلِين عليه في أنواع العلوم والطبّ[8]، وممّا يؤكّد تتلمُذه عليه، هو ما قاله الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة في ذلك: "وقرأتُ عليه شيئًا من العلوم الحِكَميّة"[9]، كما يذكر خبرًا عن شيخه الّذي اطّلع على نسخةٍ من كتابه "عيون الأنباء" بأنّه احتجَّ عليه لعَدمِ ذكْرِه فيه، وفي المقابل ذَكَرَ مَنْ هو أقلَّ منه شأنًا[10]. والملاحظ من هذا أنّ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة في

---

[1] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص586.؛ المقريزي (تقيّ الدّين ت 845 هـ / 1440 م)، المـُقَفّي الكبير، تح: مُحمّد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م، ج7، ص176.

[2] الذّهبي، سيّر الأعلام، ج16، ص409.

[3] المدرسة الصّالحيّة، بتربة أم الصالح الملك، غرْبيّ الطيبة والجوهريّة الحنفيّة وقَبلي الشّاميّة الجُوانيّة بشرق، بدأ في إنشائها السلطان الملك الصالح نجم الدّين أيّوب سنة (641هـ/ 1243م)، وتعدّ هذه المدرسة هي الأولى من نوعها لتدريس المذاهب السُنيّة في مصر، حيث أُنشئت لتدريس المذاهب الفقهيّة الأربعة بدلًا من المذهب الشيعي الذي كان يُدَرّسه الفاطميون من قبل، وكان لكلّ مذهبٍ مكانًا خاصًا بداخل المدرسة. أنظر، النعيمي، المصدر السابق، ج1، ص239 .؛ السيوطي(عبد الرحمن بن أَبي بكر، جلال الدّين ت911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربيّة – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، (1387هـ/1967م)، ج2، ص263.

[4] الذّهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص557.

5 ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص586.؛ الصَّفدي: الوافي بالوفيات، ج5، ص74.

[6] أَبُو عَليّ الْحُسَيْن بن عبد الله بن عَليّ بن سينا (370 – 428هـ/ 980 – 1037 م) البلْخي، ثمّ البخاري، ويلقّب بالشيخ الرئيس (أبو عليّ)، طبيب، فيليسوف، شاعر، من تصانيفه الكثيرة: القانون في الطّب، تقاسيم الحكمة، لسان العرب في اللغة، النّجاة، الشّفاء، الموجز الكبير في المنطق، وأرجوزته الطّبيّة... أنظر، ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص437 وما بعدها.؛ ابن خلّكان أبو العباس شمس الدّين أحمد بن مُحمّد بن إبراهيم بن أَبِي بكر (ت 681هـ)، وَفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، 1900م، ص157.؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين، ج4، ص20.

[7] المدرسة العذراويّة، أنشأتها الستّ عذراء بنت أخي صلاح الدّين يوسف بن أيّوب، فاتح بيت المقدس، في سنة(580هـ/1185م) داخل باب النصر في حارة الغُرَباء، وهي وقْفٌ على الشافعيّة والحنفيّة، وكان رفيع الدّين الجيلي من بين الذين درّسوا بها. أنظر، النُعيمي، المصدر السابق، ج1، ص ص283، 285.

[8] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص647.

[9] نفسه.

[10] نفسه.

البداية قد سَهَى عن ذِكره بغير قصدٍ أو أنّه لا يرُوق له لسيرته السيّئة وكثرة شكوى النّاس منه[1]، فلم يذكره في كتابه حتّى احتجّ على ذلك، لكنّ يبدو أنّ تبجيل الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة لأستاذه واضح، فقد ذكر في مطلع ترجمته، بأنّه من الأكابر المتميّزين، وأنّه فصيح اللّسان، قويّ الذكاء، كثير الاشتغال والمطالعة، ثمّ عمل فيه قصيدة تدلّ على محبّته له، بمناسبة تولّيه القضاء في سنة(638هـ/1241م)[2].

أرى أنّ الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة كان متردّدًا في ذكر سيرته، متعمّدًا في البداية على عدم ذكره، ربّما بالنّظر لسوء سيرته، فرفيع الدّين هذا قد ذمّه مؤرّخون آخرون[3]، فما عُرف عليه أنّه كان ذا سيرة مذمومة، وسريرة خبيثة، اِستعمَل في قضائه على شهود زُور ووُكلاء، فكان يسلُك طريق الولّاة، ويحكم بالرّشوة، ويأخذ من الخصمين، ولا يعدل أحدًا إلّا بمال[4]، وقيل: "أنّ الرفيع كان فاسد العقيدة، دهريًا، يجيء إلى الجمعة سكرانًا، وأنّ داره مثل الحانة"[5]، انتهى به الحال مقتولًا، حيث تمّ دفعه من موضعٍ فيه هُوّة عظيمة[6].

ممّا تقدّم ذكره يبدو أنّ الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة قد نَهل العلم من عند كبار أطبّاء عصره، ممّن تميّزوا في الكُحْل وغيره، فنال شرف التّتلمذ على أيديهم، أمّا فيما يخصّ تلاميذه؛ فإنّي لم أهتد إليهم، إلّا تلميذٌ واحدٌ، ذكره الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بأنّه درس على يديه وهو أَمِين الدّولة، أَبُو الْفرج، بن موفّق الدّين بن

---

[1] نفسه.

[2] وجاء في مطلع هذه القصيدة وهي مكوّنة من تسعة عشر بيتًا:

مجــــدٌ وسَـــعدٌ دائــم وعَـــلاء ... أَبَد الزَّمَان ورِفـــعَة وسَــنَـاءُ

ببَـقّاء مولانا رفيـــعُ الدّين ذِي ... الجُود العَميم ومَن له النَّعْماءُ

قاضي القُضاة أجلّ مولى لم يَزل ... بعُـلاه يسمُو العِلم والعلمـاءُ

مُـتَــفرّدٌ بالمــكرمــات وَإنَّمــا ... كل الوَرى في بعضها شركــاءُ

لَـو رام كُل بلــــيغ قَوْل أنّــه ... يُحـصِي عُلاه لقصر البلغـاء. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص648.

[3] الكُتبي، المصدر السابق، ج2، 352.؛ الذّهبي، سيَر الأعلام، ج23، ص109.؛ ابن واصل جمال الدّين (مُحمّد بن سالم بن نصر الله بن سالم، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، ت 697 هـ)، مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب، تح: الدكتور حسنين مُحمّد ربيع –الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، د ط، دار الكتب والوثائق القوميّة –المطبعة الأميريّة، القاهرة، مصر، (1377هـ/1957م)، ج5، ص237.

[4] ما جاء في القصيدة التي أرسل بها الطبيب ابن أَبي أُصيبِعة شكرٌ وثناءٌ ومدحٌ، وما يمكن استنتاجه من هذا أنّ رفيع الدّين ربّما لم يكن على هذه السيرة وإنّما تغيّر بعد تولّيه القضاء، فتجبّر حتّى كان كثير من النّاس يتظلّمون منه.

[5] الذّهبي، سيّر أعلام النُّبَلاء، ج16، ص343.؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7، ص376.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص647.

إسْحَق بن القفّ[1]من نصارى الكَرْكُ[2]، وُلد سنة(630هـ/1234م)، كانت تتبيّن فيه النّجابة منذ صِغره، وتحقّقت في كِبَره، وكان وافِر الذّكاء، مبجّلًا للعلماء.

أمّا عن تعلّمه؛ فقد كان بطلبٍ من والده الّذي كانت له صداقة مع الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، من خلال ما قاله: "فقصَد أبوه تعلميه الطبّ، فسألني ذلك، فلازمني حتّى حفظ الكتب الأوّليّة المتداوّل حفْظها في صناعة الطبّ؛ كمسائل حُنَيْنْ، والفصول لأبْقراط، وتقدِمة المعرفة له، وعَرف شرْح معانيها، وفهِم قواعد مبانيها، وقرأ عليَّ بعد ذلك ما يخصّ العلاجات، من كتب أبي بكر، محمد بن زكريا الرّازي، ما عَرف به أقسام الأسقام وجَسِيم العِلّل في الأجسام، وتَحقُّق معاجَلة المعالجة ومعاناة المداواة، وعرّفته أصول ذلك وفصوله، وفَهّمته غوامِضه ومحصولَه[3].

3–مؤلّـفــاته: اشتهر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بكتابه "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" الذي هو موضوع دراستنا، كما أنّه أشار إلى مؤلّفاته الأخرى التي تكون في عِداد المفقودات وهي:

كتابُ مَعَالمُ الأُمَمِ وأَخبَارُ ذَوِي الحِكَمِ: يقول الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة: "فأمّا ذِكر جميع الحكماء وأصحاب التعاليم وغيرهم من أرباب النظر في سائر العلوم، فإنّي أذكر ذلك –إنّ شاء الله تعالى– مُستَقْصى في كتاب "معالم الأمّم وأخبار ذوي الحكم"[4]، ويبدو من نصّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ هذا الكتاب قد جعله مفتوحًا للتحدّث في علومٍ شتّى، وأنّ تأليفه لهذا الكتاب لم يكتمل أو أنّه لم يَشرع في تأليفه بعد.

كتاب إصَاباتُ المنجّمين: أحال إليه في قوله:" وكان والد مُهذَّب الدّين...وله حكايات عجيبة في ذلك، وقد ذكرتُ أشياء منها، في كتاب إصابات المنجِّمين ..."[5]، ويُستنتج من عنوان الكتاب، أنّه ربّما ركزّ فيه على علم النجوم والفلك، وما ارتبط بهما من حكاياتٍ عجيبة، كما يُحيلنا النصّ أنّ هذا الكتاب قد أتمّ تأليفه، وأنّه معروفٌ لدى النّاس عامّةً أو لفئةٍ معيَّنة، إلّا أنّه تَلَف[6].

---

[1]ابن أ بي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 767.؛ الصَّفدي: الوافي بالوفيات، ج28، ص85.

[2] الكَرْكُ، بسكون الراء، وآخره كاف: قريةٌ في أصل جبل لبنان. أنظر، ابن نقطة (أبو بكر، مُحمّد بن عبد الغني ت629 ه)، تكملة الإكمال، تح: عبد القيوم عبد ربّ النبي، ط1، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، (1408–1418هـ)، ج5، ص164.؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص452.

[3]ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص ص767، 768.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة: المصدر نفسه، ص8.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 377.

[6]كرلو نلينلو، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، د ط، مكتبة المثنّى، بغداد، (د ت)، ص46.

كتاب حكايات الأطبّاء في عِلاجات الأَدْواء: ذكر هذا الكتاب في صددِ ترجمته للطّبيب الرّازي، محمّد بن زكريا؛ قال الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة:" وللرّازي أمثالٌ هذا من الحكايات أشياءً كثيرةً جدًّا ممّا جرى له، وقد ذكرتُ من ذلك جملةً وافرة في كتاب "حكايات الأطبّاء في علاجات الأدواء"[1].

كتاب التجارب والفوائد: وقد ذكره عند كلامه عن معالجات الطّبيب عُمران الإسرائيليّ[2] في قوله:"...وقد ذكرتُ من ذلك جُمَلًا، في كتاب التجارب والفوائد..."[3]، وهذا الكتاب لم يذكره بعض المؤرّخين[4].

4–اهتمـامـاته:

ممّا لا شكّ فيه أنّ القارئ لكتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، بالإضافة إلى النّظر في التراجم المقتضَبة حوله؛ يستنتج العديد من ملامِح شخصيّة المؤلِّف الفكريّة والعلميّة، فيرى مُيولَه واهتماماته، وممّا استنتجناه حوله:

ابن أَبي أُصَيْبِعَة الطّبيب: لا يختلف اثنان في كوْن ابن أَبي أُصَيْبِعَة طبيبٌ تميَّز في أمور الكَحَالَة، وخيرُ دليلٍ تكوينه وتعلُّمه الطبّ منذ الصِّغر، وتتلمذه لدى كبار الأطبّاء، ممّن سبق ذكرهم، وقد ذكره المؤرّخُ ابن تَغري بَردي على أنّه كان فاضلًا عالِمًا في الطبّ[5]،متمكّنًا في معرفة الكتب تعلُّمًا وتعليمًا كمسائل حُنَيْن، والفصول لأبقراط، وتقدمة المعرفة له، وكُتبِ أبي بكر محمد بن زكريا الرازي[6]، وأخْذِه علم النّبات والعقاقير من الطّبيب ضياء الدّين بن البَيْطار(ت646هـ/1248م)، وأتمَّ العلم عمليًا في البيمارستان النّاصري في القاهرة[7].

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص419.

[2] أوْحد الدّين عُمران بن صَدقة (ت637هـ/1239م)، وُلد بدمشق في سنة(561هـ/1166م) تميّز في الطّب، بعد أن اشتغل على الشيخ رضيّ الدّين الرَحْبي بصناعة الطّب وتميّز في علمها وعملها، وكان يتردّد إلى البيمارستان الكبير، ويعالج المرضى به في عهد الملك العادل والمعظّم. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص ص696، 697.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص697.

[4] البغدادي (إسماعيل باشا بن مُحمّد أمين بن مير سليم البابابي ت 1399هـ)، هديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين، ج1، ص96.

[5] ابنُ تَغري بَرْدي، النجوم الزاهرة، ج7، ص229.؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص569.

[6]ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق،ص ص767، 768 .؛ الصَّفدي، الوافي بالوفيات، ج28، ص85.

[7] أحمد عيسى (ت1365هـ)، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، (1401هـ/ 1981م)، ص81.؛ راغب السرجاني، قصّة العلوم الطّبية، ص220.

ابن أَبِي أُصَيْبِعَة المؤرّخ: تميّز ابن أَبِي أُصَيْبِعَة كغيره من علماء عصره بالموسوعيّة، فبالإضافة إلى كونه طبيب، فقد قدّم خدمةً كبيرة لهذه الصناعة، بالتأريخ لها، ولِما عرّف من الأطبّاء منذ القديم، فحين يتحدّث عن الطبّ فهو الطّبيب الماهر المبْدع، وحين يتّجه نحو التّاريخ فشهْرته لا تقلّ عن كبار مؤرّخي العرب، فأخذوا عليه[1]، حتّى عدّ أحد أشهر مؤرّخي الطب [2]؛ بل ولقّبوه "مؤرّخ الأطبّاء"[3]، ويعدّ كتابه الشّهير "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" أحد العلامات المضيئة في هذا المجال.

ومن خلاله، بيّن أحوال الطبّ والتطبيب في عصور النّهضة العلميّة، وأخبار المشاهير من الأطبّاء العرب وغيرهم وآدابهم ومفاهيمهم لرسالة الطبّ والطِّبَابة، كما ألقى الضّوء على تطوّر المستشفيات والمراكز الصّحيّة، لذا يُعدّ مصدرًا مهمًّا لدراسة تاريخ الحركة الثقافيّة وتطوّر الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ومن ثَمَّ غدَا مصدرًا مهمًّا للكتب الّتي أُلِّفت بعده، فيما يتعلّق بتاريخ الطبّ والأطبّاء والحكماء، كما يمكن استنتاج العديد من المعلومات التّاريخيّة من خلال تراجمه، في جوانب عديدة من غير الطبّ، ففيه تلميحاتٌ عن حياة الخلفاء والحكّام واستخلافهم في الحضارة الإسلاميّة[4]، وذكر فيه أحداثًا تاريخيّة مشهورة[5]، ومن خلال ما ألّف يمكن الاهتداء إلى جوانب مختلفة سياسيّة، وثقافيّة، واجتماعيّة[6].

ابن أَبِي أُصَيْبِعَة الأديب والشّاعر: بالإضافة إلى ما سبق، يبدو أنّ الطّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة كان مولعًا بالأدب والشّعر، بالنّظر لما وصفه به المترجمون، من أنّه كان عالِما بالطبّ والأدب والتّاريخ، وبما يُستنتَج من موسوعته الطبيّة هذه، ففي العديد من المواضع يُحيلنا إلى تعلّم الأطبّاء الأدب واللّغة وتأليف الكتب فيها ويجعلها من الضروريات[7]، ويذكر أساتذتهم في الأدب، نحو قوله في ترجمته للطّبيب شرفُ الدّين بن الرَّحبِي (ت667هـ/1268م): "واشتغل أيضًا بالأدب على الشيخ علم الدّين السخّاوي(ت 643هـ/1245م)[8] وعلى غيره من العلماء، وقد أتقن علم الأدب إتقانًا ... وله فطرةٌ جيّدة في قول

[1] من أمثال: الذّهبي، وابن الكثير، والنعيمي، وابنُ تَغري بَرْدي، والصَّفدي وغيرهم.

[2] أمين أسعد خير الله، الطّب العربي، المطبعة الأمريكانيّة، بيروت، 1946م، ص36.

[3] الذّهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج14، ص559.

[4] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص171، 723.

[5] مثل، فتح بيت المقدس، وقدوم التتر، وسقوط بغداد...

[6] إكرام شهاب أحمد النجم، **الجوانب الاجتماعيّة في العراق وبلاد الشّام من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أَبِي أُصيبِعة ت 668هـ**، رسالة ماجستير، إشراف رحيم حلو مُحمّد الباهدلي، جامعة البصرة،كليّة التربيّة للبنات، قسم التاريخ، 2019م، ص127 وما بعدها.

[7] على سبيل المثال. ابن أَبِي أُصيبِعة، ص407، 427 ،437، 443، 600، 683.

[8] عَلَمُ الدّين السخّاوي، أبو الحسن، عليّ بن مُحمّد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني المصري السخاّوي المقرئ النحوي، الملقّب "عَلَم الدّين"، ولد ب"سَخا" سنة(558هـ/1164م)كان قد اشتغل بالقاهرة على الشيخ أَبِي مُحمّد القاسم الشاطِبِي المقرئ، وأتقن عليه علم القراءات، والنحو، واللغة، وعلى أبي الجُود غِياث بن فارس بن مكّي المقرئ، وسمع بالإسكندريّة من السِّلَفي وابن عَوْف، وبمصر من البُوصِيرى وأبي

الشعر"[1]؛ بل ويتمّ الاستعانة عند كتابة كُتبهم بمَنْ هُمْ متقنون لأمور اللّغة، فقد أحالنا إلى معلومةٍ مفادها، أنّه عندما أراد إرسال نسخةٍ من كتابه إلى الصاحب أمين الدولة، أخَذ مسودّات من الكتاب، واستدعى شمسُ الدّين، مُحَمَّد الحُسَيْنِي[2]الناسخ، نظرًا لجودة خطِّه، وكوْنه فاضلًا في العربيّة[3]، كما يجب أن أنوّه بتلك الجماليّة والانسيابيّة في سرْد الطّبيب المؤرّخ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة لمختلَف أخباره ومعلوماته.

أمّا عن ميله إلى الشّعر، فكتابه هذا قد حَوى على بعضٍ من قصائده وعلى قصائد وأبيات شعريّة كثيرة لتراجمه، ممّن عُرفوا على أنّهم أطبّاء، لكن تميّزهم في الشّعر كان واضحًا[4]، وكان الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة مثالًا لذلك، ولذلك سنعمد على ذِكر بعضًا ممّا قاله في قصيدة يردّ فيها على الطّبيب مهذّب الدّين، أَبُو سعيد مُحَمَّد أبي حُلَيْقة(ت نحو 660هـ/ نحو 1262م)[5]، عندما راسله، يشكر كتابه في قصيدة كان مطلعها:

وَإِنِّي امْرُؤٌ أجَبْتُكُم لمحَاسنَ ... سَمِعتُ بهَا وَالْأُذن كَالْعَيْنِ تعشقُ

فأجابه على الوزن والرّويّ، ممّا يثبت تحكّمه في اللّغة وتضلُّعه في نَظْم الشّعر:

أَتَانِي كتابٌ وَهُوَ بالنّقش مونّــق ... وَفِيه الْمعَانِي وَهِي كَالشَّمْسِ تُشرِق
كتابٌ كـريم أريحــي ممــجّــد ...صبـــيـح المحــيّا نـُـوره يـــتألّـــقُ

ياسين، ثمّ انتقل إلى مدينة دمشق وتقدّم بها على علماء فنونه واشتهر، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم، وكان الناس يزدحمون عليه في الجامع بدمشق لأجل القراءة، ولا تصحّ لواحدٍ منهم نَوبة إلّا بعد زمان، وكان يركب دابته وهو يصعد إلى جبل الصالحيّين، وحوله اثنان وثلاثة وكلّ واحد يقرأ ميعاده في موضعٍ غير الآخر، والكلّ في دفعة واحدة، وهو يردُّ على الجميع، وشرح «المفصل» للزمخشري، في أربع مجلّدات، وشرح القصيدة الشاطبيّة في القراءات، وكان قد قرأها على ناظِمها، وله خُطَبٌ وأشعارٌ، وكان متعيّنًا في وقته. أنظر، ابن خلّكان، المصدر السابق، ج3، ص340، 341.؛ فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، ج3، 1989م، ص552.

[1] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص676.

[2] لم أجد له ترجمة، وكلّ ما يمكن استنتاجه أنّه عاش في القرن(7هـ/13م) فترة ابن أَبِي أُصيبِعة، وكان قد خدمه، بأن نَسخ له كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، ويحيلنا ابن أَبِي أُصيبِعة، على أنّه كان ينسخ للأسرة ككّل، وذلك لما يمتاز به من جودة الخطّ ومعرفة للعربيّة. أنظر، ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص725.

[3] نفسه.

[4]من أمثال، إسحاق بن يعقوب، والكِندي، والبَديع الإصطرلابي، وابن سينا وكذلك الفارابي، والطّبيب أبو الحكم وعمَاد الدّين الدُّنيسري وغيرهم. ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص275، 288، 377، 446، 607، 615، 761. على الترتيب.

[5] أبو حُليْقة، أبو الوَحش، رشيد الدّين بن الفارس، أَبو الخير بنُ أَبِي سليمان دَاود بن أَبِي المنى بن أَبِي فَانَة (ت نحو 660هـ/ نحو 1262م)، مولده بقلعة جَعبَر سنة(591هـ/1196م)، كان متمكّنًا في صناعة الطّب والحكمة والآداب، معالجته حسنة ومداواته لطيفة، رؤوفًا بالمرضى، اجتمع به ابن أَبِي أُصيبِعة عديد المرّات، اشتغل بصناعة الطّب على عمّه "مهذّب الدّين أَبِي سعيد" بدمشق، وقرأ على مهذّب الدّين الدّخوار، واتّصل بالملك الكامل فخدمه، ثمّ خدم الملك الصالح، ثمّ ابنه الملك المعظّم، ثمّ الظاهر بيبرس، وألّف كتبًا عديدة، كالمختار في ألْف عَقّار، ورسالة في حفظ الصحّة...أنظر، ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص590 .؛ الزِّركلي، الأعلام، ج3، ص23.

هُوَ السَّيِّد الْمولى الْمُهَذّب وَالَّذِي ... بِهِ قد زها فِي الْعلم غربُ ومشـرقُ
حَكِيم حـَوى كل الْعُلُوم بأسْرها ... وَمَـــا عَنهُ بَـــاب للمكَارم يُغلـــقُ
كـــريم لأنْـــواع المحـــامِد جَامِع ... وَلـــكنّه لِلْمَالِ جـــودا مفـــــرّق
إِذا ذُكرَت أَوْصَـــــافُه فـِي محافِل ... فَمِن طيبها نَشْر من الْمِسك يَعبَق

حوَت هذه القصيدة سبعة عشرَ بيتًا، ممّا يُثبت المْيْل الأدبي لابن أَبي أُصَيْبِعَة(1)، ومن القصائد أيضًا التي ذكرها، وقد قالها في الطّبيب رفيع الدّين الجِيلي سنة(638هـ/1241م) يُهَنّئُه فِيهَا عند تولّيه القَضاء، وقد سبق ذِكر بعضٍ منها في مادة الطّبيب رفيع الدّين الجِيلِي(2).

وكتب في رسالةٍ للطّبيب رشيد الدّين بنُ الصُّوري(3) ما نصّه:

لِعلمِ رشيدِ الدّين فِي كلِّ مشْهد   مَنارٌ علا يأتـــمّه كلّ مُهـتدِي
حَكِيم لَديـهِ المكرمات بأسـرِها   تَوارثَـــها عَن سـيّدّ بعد سيّـد
حوى الْفضل عَن آبائه وجُدودِه   فَذَاك قديـــمٌ فِيهِ غير مُجـدد(4)

وممّا قاله في الحكمة:

احذر زَمَانك مَا اسْتَطَعْت فَإِنَّهُ ... دهرٌ يجور على الْكِرَام وَإِن عَدَل
قد كَانَ نجم الدّين أَيُّوب الَّذِي ... مَلَكَ الْبَرِيَّة واستطالَ علَى الدّول
فِي صِحّـــة بسعودهِ حَتَّى عَثَا ... فـــِي جِسْمه دَاءُ فــأعيته الْحِيَل
وصـــفت لَهُ الدُّنْيَا وَظن بِأَنَّهَا ... تبـقَى لَـــهُ أبدا ففاجأه الْأَجَلْ
وعَلى الْحَـــقِيقَة أَنّه نجمٌ عَلَا ... وَكَذَا النُّجُوم وَبعد ذَلِك قد أفَـلْ(5)

1ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص598.

2ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 648.

3 أبو المنصور بن أَبي الفضل بن عليّ (ت639هـ/1242م)؛ وُلد سنة(573هـ/1178م) بصُور، وبها نشأ، ثمّ انتقل عنها واشتغل بصناعة الطّب على الشيخ موفّق الدّين عبد العزيز، وقرأ على الشيخ موفّق الدّين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وتميّز في صناعة الطّب، وأقام بالقدس سنتين، وطبَّ ببيمارستانها، فكانت له معرفة بالأدويّة، حيث حرَّر أدويّة التِرياق الكبير وجَمعها، خَدَم بالطّب الملك العادل أبو بكر بن أيّوب، ثمّ خدم ولَدَه الملك المعظّم عيسى بنُ أَبي بَكر، وكانت له علاقة صَداقة مع ابن أَبي أُصيبِعة، توفيّ بدمشق. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص700.؛ ابن فَضْل الله العُمري (أحمد بن يحيى، شِهاب الدّين ت749هـ)، مَسَالك الأبصَار في ممَالك الأمْصَار، ط1، المجمّع الثّقافي، أبو ظبي، 1423هـ، ج9، ص520.

4 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص 700.؛ الصَّفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص193.

5 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص600.

ومن أشهر قصائده، ما كتبه في أمين الدّولة يمدحه فيها، عندما أرسل له نسخةً من كتابه، وذلك بطلبٍ منه في سنة(643هـ/)1246م)، حوَت اثنين وثلاثين بيتًا[1].

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أنّ كلام المؤرّخ الصّفدي(ت 764هـ/1362م) كان جامعًا، فبحقٍّ كان ابن أَبي أُصَيْبِعَة أديبًا طبيبًا شاعرًا[2]، إلاّ أنّ هناك جوانب أخرى يظهر اهتمامه فيها، من ذلك أنّه يعلّق في كلّ مرّة على خطِّ النُسّاخ، وكأنّي به مولَعٌ بذلك أيضًا، فعند كلامه عن الطّبيب المبَشّر بن فَاتِك(ت نحو500هـ/1106م)ذكر أنّ له تصانيف جليلة في المنطق وغيره من أجزاء الحكمة، وأنّه كان كثير الكتابة، وأنّه اطّلع على خطِّه من خلال كتبه[3]، وقال عن خطّ الطّبيب ابن جَزْلَة يَحْيى بنُ عيسى(ق5هـ/11م): "وكان يكتب خطًّا جيّدًا منسوبًا، وقد رأيتُ بخطِّه عدّة كتبٍ من تصانيفه وغيرها تدلّ على فضلِه وتُعْرب عن معرفته"[4]، وذكر أنّ خطّ أستاذه مهذّب الدّين الدَّخوَار كان منسوبًا وأنّه كان كثير النَّسْخ[5]، كما نجده على علمٍ بأنواع الخطوط[6]؛ إذ نجده يصف كتبًا ترجمها الطّبيب حُنَيْن بن إسحاق يقول أنّها مكتوبة بالكُوفِي[7]، وهو من أشهر الخطوط[8].

5-عصرُالطّبيب المؤرّخ ابن أَبي أُصَيْبِعَة:

للبيئة دور كبير في التّأثير على شخصيّة العلماء وعلى تكوينهم وتوجّهاتهم؛ فقد عاش وشهد الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة نهاية الخلافة العبّاسيّة، معاصرًا بذلك آخر أربعة خلفاءٍ لها؛ النّاصر لدين الله(575-622هـ/1180-1226م)، والخليفة الظاهر بأمر الله (لم يحكم سوى تسعة أشهر. من سنة 622هـ/1226م)، والخليفة المستنصر بالله(622-640هـ/1226-1243م)، والخليفة المستعصم بالله(640-656هـ/1243-1258م)[9].

---

1 أنظر **الملحق رقم (01)**، والمتضمن قصيدة لابن أبي أُصَيْبعة في الطّبيب أمين الدّولة.

2 الصَّفدي، المصدر السابق، ج7، ص193.

3 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص560.

4 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص343.

5 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص728.

6 من أنواع الخطوط، خطّ سياقت، وخطّ التّاج، والخطّ الكُوفي، والخطّ المغربي، والخطّ الرّيحاني، والطرّة، وقلم الاختزال. أنظر. الخطّاط مُحمّد طاهر بن عبد القادر الكردي المكّي، تاريخ الخطّ العربي وآدابه، ط1، المطبعة التجاريّة الحديثة، مصر، 1993م، ص 107-126.

7 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص270.

8 القلْقشندي، المصدر السابق، ج3، ص15.؛ الخطاط مُحمّد طاهر، المرجع السابق، ص111.

9 رحيم حلو مُحمّد، "**منهج ابن أَبي أُصيبِعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء**"، مجلّة أبحاث مَيْسان، البصرة، العدد الثالث، 2006م، ص124.

وكانت بلاد الشّام ومصر بيئة الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة من نصيب الحكم الأيوبي (567-647هـ/1171-1250م)، حيث عرفت هذه الفترة في جانبٍ حَملات صليبيّة متكرِّرة[1]، وفي جانبٍ آخر مثّلت هذه الفترة فترة جهاد الكفّار بجهاد الدّولة الأيوبيّة من بدايتها إلى نهايتها، ومن بين الأحداث الّتي شهدها القرن(7هـ/13م)وعاصرها الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، إعادة فتح بيت المقدس نهائيًا سنة(642هـ/1245م) على يد الملك الصالح أيوب، كذلك هزيمة الصّليبيّين في حملتهم بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا سنة(648هـ/1251م) على مصر[2].

كانت الصّراعات على الحكم، وكذا الهجمات الصّليبيّة مصدر قلقٍ، فقد عرفت كلًا من مصر والشّام الاضطراب والفوضى أكثر بعدما هلك الملك العادل(596-615هـ/1200-1218م)، الّذي استطاع أن يوحّد مملكة أخيه الملك النّاصِر صَلاحُ الدّين(ت 589هـ/1193م) بعد أن تقاسمها أبناؤه[3]، وإخوته، ومزّقوا شملها[4]، فانتهز الصليبيون هذا التفرّق والتّشتّت، وجمعوا جيوشهم في عكّا[5]،

[1] توالت الحملات الصليبيّة على الشّام ومصر وسواحل إفريقيّة؛ ففي عصر ابن أَبي أُصيبِعة كانت الحملة الصليبيّة الرابعة، بجنودها من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا سنة (598 هـ/ 1202م)، والحملة الخامسة بقيادة لويس التاسع وجَان دي بريين، ملك بيت المقدس (616 هـ / 1219م) ، والحملة السادسة بقيادة فريدريك الثاني، بعد خيانة الملك الكامل مُحمّد، بأن يسلّم إليه بيت المقدس، مقابل مساعدته ضدّ أخيه المعظّم عيسى سنة(624 هـ / 1227م)، ثمّ استرجع بيت المقدس منهم النّاصر داود في 6 جمادى الأولى سنة (637 هـ / 1241م)، والحملة السابعة التي قادها لويس التاسع على مصر سنة (646 هـ/ 1248م)، وانتهت بهزيمته وأسْره، على يد القائد المملوكي بيبرس، وفي عصر المماليك (656 هـ- 1258م) دخل المغول بقيادة هولاكو بغداد واقتحموا أسوارها. أنظر، نجم الدّين الطرسوسي(إبراهيم بن عليّ بن أحمد بن عبد الواحد، ابن عبد المنعم ت 758هـ)، تُحفة الترك فيما يجب أن يُعمل في الملك، تح: عبد الكريم مُحمّد مطيع الحمداوي، ط2، (د د ن)، (دت)، ص8.

[2] ابن سعيد المغربي (أبو الحسن، على بن موسى ت 685هـ)، المقتطف من أزاهر الطُرَف، (د ط)، شركة أمل، القاهرة، ج1، ص10.

[3] آلت مصر إلى ابنه الملك العزيز عثمان، واحتفظ ابنـه الأفضل نور الدّين بدمشق وبيت المقدس وبعلبك وصَرْخَد وبانياس، واستولى الملك الظاهر غازي على حلب، أمّا الملك العادل أبو بكر أيّوب، فقد كان من نصيبه الكَرَك والأردن، بالإضافة إلى الجزيرة وديّـار بكر، ورأى الملك العادل أن يظلّ في الجزيرة، كما كانت اليمـن من نصيب سيف الدّين طغتكين. أنظر، جمال بيضون وآخرون، تاريخ المشرق الإسلامي، ط1، دار الأمل، إربد، 1989م، ص184.

[4] قاسم عبده قاسم وعليّ السيّد عليّ، الأيّوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، مصر، (د ت)، ص ص83، 84.

[5] عُكّا، مدينة بالشّام منها إلى مدينة صُور اثنا عشر ميلًا. وبينها وطبرية أربعة وعشرون ميلًا، قال عنها ابن جُبير في رحلته: "هي قاعدة مدن الإفرنج بالشّام، ومحطّ الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، مرفأ كلّ سفينة، والمشبّهة في عِظمها بالقسطنطينيّة، مجتمع السفن والرفاق، وملتقى تجّار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق، سككها وشوارعها تغصّ بالزِحام ... انتزعها الإفرنج من أيدي المسلمين في العشر الأوّل من المئة السّادسة، فعادت مساجدها كنائس، وصوامعها مضارب للنواقيس". أنظر، المهلبي العزيزي (الحسن بن أحمد ت 380هـ)، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمع وتعليق: تيسير خلف، (د ط)، (د م ن)، (د ت)، ص101.؛ ابن جُبير (أبو الحسين ت614هـ)، رحلة ابن جُبير، (د ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ت)، ص249.

وساروا نحو مصر، ليقوموا بمحاصرة مدينة دِمْيَاط[1]، وفتكوا بأهلها فتكةً مات الملك العادل على أثَرها[2]، فعاد الاضطراب وعمّت الفوضى من جديد في صفوف الأيوبيّين بعد وفاته، فتملَّك من بعده ابنه الملك الكامل مصر، وحكم كلٌّ من إخوته ابناء السُّلطان الملِك العَادِل الملك الفَائز أبو إسحاق إبراهيم (ت617هـ/1220م)[3]، والمعظّم شرفُ الدّين عيسى(ت624هـ/1227م)[4]، والملك الأشرَف مظفّر الدّين(ت635هـ/1237م)[5] في الشّام والجزيرة، مع استمرار محاصرة دِمْيَاط من الصليبيّين، فراسَل الملك الكامل إخوته وأعمامه، وطلب معاونتهم لطرد الصليبيّين[6]، لكنّهم فشلوا في طرد الصّلبيّين، ثمّ أبْرم الملك الكامل معهم معاهدة صلح سنة(626هـ/1230م)[7]، تُمكّنه من الفتك بأخويه الملك الأشرف والملك المعظّم بمساعدة صليبيّة، وأغْرى الإمبراطور فرِيدْرِيك الثّاني(590-648هـ/1194-1250م) ملك

[1] دِمْيَاطُ، مدينة مصرية قديمة مخصوصة بالهواء الطيّب، وهي ثغرٌ من ثغور الإسلام، تقع في الإقليم الرابع، بُعدها عن خطّ المغرب ثلاث وخمسون درجة، وهي على ساحل البحر الشّامي، أهلها أغنياء، هوائها لطيف، يحيط بها البحر من جهة الشمال، وخِلجان النيل تفترق عليها، من دمياط يركب إلى بلاد الروم وتقاربها في البحر جزيرة قبرص. أنظر، إسحاق بن الحسين المنجّم (ت ق 4هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كلّ مكان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ، ص87.؛ يَاقوت الحَمَوي، مُعجم البلدان، ج2، ص472.

2 صالح الجعفري (بن الحسين، أبو البقاء الهاشمي ت 668هـ)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تح: محمود عبد الرحمن قدح، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، (1419هـ/1998م)، ج1، ص18.؛ الحموي بن نظيف (أبو الفضائل، مُحمّد بن عليّ ت ق7)، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تح: دكتور أبو العبد دودو، (د ط)، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، ص ص75، 76.

[3] الفائز، أبو إسحاق إبراهيم، ابن السلطان الملك العادل، أَبو بكر مُحمّد، ابن الأجلّ، والد الملوك أَبو الشكر، أيّوب بن شاذي، وكان أقام بالديّار المصريّة مدّةً، ثمّ توجّه إلى البلاد الشّاميّة، فتوفيّ بالموصل سنة (617هـ/1221م). أنظر، عبد العظيم المنذري، المصدر السابق، ج3، ص29.

[4] الملك المعظّم شرف الدّين عيسى، ابن الملك العادل سيف الدّين، أَبو بكر بن أيّوب، صاحب دمشق، كان عالي الهمّة، حازمًا شجاعًا مهيبًا فاضلًا، ولد في سنة(576هـ/1181م) بالقاهرة، وولد أخوه "الأشرف موسى" قبله بليلة واحدة وتوفيّ المعظّم يوم الجمعة، مستهل ذي الحجّة سنة(624هـ/1228م). أنظر، ابن خلّكان، المصدر السابق، ج3، ص ص494، 495.

[5] الملك، الأشْرف، مظفّر الدّين، أبو الفتح، موسى، شاه أرمن، ابن العادل، صاحب دمشق، ولد سنة (576هـ/1181م)، في البداية تملّك القدس، ثمّ أعطاه أبوه حَرَّان والرُّها، وغير ذلك، ثمّ تملّك خلاط، وتنقّلت به الأحوال، ثمّ تملك دمشق، كان جوادًا، سمحًا، فارسًا، شجاعًا، لديه فضيلة. أنظر، الذّهبي، سيّر أعلام النُّبَلاء، تح: بشّار معروف، ج22، ص ص122، 123.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص95.

Gnagoran Biyao, La croisade chrétienne au moyen âge : un épisode peu glorieux de l'Eglise, - Godo Godo - RevHist Arts ArchéolAfr, ISSN 1817-5597, n° 23, (2013) p16.

[7] منهم، مَن وصف هذا الصّلح بالخيانة واستغلال للمصالح الشخصيّة على حساب الأمّة الإسلاميّة، إلّا أنّ هناك من دافع عنه بقوله: "أنّه لا سبيل إلى إنكار أنّ الهدنة الكامليّة- الفردريكيّة أنتجت سلامًا عامًّا بين المسلمين والصليبيّين، منذ سنة 1229م، لمدّة عشر سنوات، وأنّ هذا السلام مكّن للسلطان الكامل أن ينصرف انصرافًا ناجحًا إلى شؤون توحيد الدولة الأيّوبيّة، كما مكّن له الوقوف في وجه اعتداءات الدولة الخُوارزميّة الممتدّة على طول الأطراف الأيّوبيّة عند الرُها، فضلًا عن الدولة السلجوقيّة بالروم، وهى الدّولة المطلّة من الأناضول وآسيا الصغرى على حلب والبلاد الفراتيّة". أنظر، مُحمّد مصطفى زيادة، حملة لويس التّاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، ط1، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة، (د ت)، ص66.

الصليبيّين على اغتيال أخيه الملك المعظّم وإخراج دمشق من سلطانه، فتمّ له ما أراد، ورجع فريدريك إلى فلسطين، وسيطر على القدس وما حولها[1].

لما استولى الملك الصّالح (ت647هـ/1249م) على الشّام ومصر سنة(636هـ/1239م)، حاول توطيد أركان دولته والقضاء على من يناوئونه، فتمّ له ذلك بعد أن انتصر على الصليبيّين وأعوانهم من المناوِئين قبل أن يُعْتقَل بالكَرْك، وقام الملك النّاصر داود (1206-1261م)بالتّوجه بعسكره ومَن معه من أصحاب الملك الصالح إلى القدس، ونازل القلعة التي بناها الفرنج، ونصّب عليها المنْجانيق فحاصرها حتّى سلّمت إليه بالأمان، ثمّ استولى الملك الناصر على جزء من القدس وطهَّره من الفرنج(636هـ/1239م)، ومضى مَن كان فيه من الفرنج إلى بلادهم، فكان كما قال الشّاعر والأديب المصري، جمال الدّين بن مَطْروح(ت649 هـ/1251م)[2]:

الْمَسْجِد الْأَقْصَى لَهُ عادةٌ ... سَارَتْ فَصَارَت مثلًا سائرًا
إِذا غَدا للكفر مستوطنـاً ... أَن يبْـعَـث الله لَـهُ ناصـرا
فـــنـاصـرٌ طـهّــَـره أَوّلا ... ونـــاصــرٌ طـهَّـره آخِـــرا[3]

أمّا استرجاع بيت المقدس ككّل فكان سنة (642هـ/ 1244م)[4]، ممّا جعل الصليبيّين يُرسلون حملةً أخرى مُكَوّنة من خمسين ألف مقاتل يرأسها الملك لويس التاسع؛ صاحب فرنسا، أعدّلها المسلمون أسطولًا كبيرًا قويًّا للقائهم، فانتصروا عليهم، وأسَروا ملِكهم لويس التاسع(647هـ/1249م)[5].

---

[1] نجْم الدّين الطرسوسي، المصدر السابق، ص8.

[2] يحيى بن عيسى بن إبراهيم، جمال الدّين، ابن مطروح: شاعرٌ، أديبٌ مصري. ولد بأسيوط، وتوفيّ بالقاهرة، خدم الملك الصالح أيّوب، وتنقّل معه في البلاد، فأقامه الصالح ناظرًا على الخزانة بمصرَ سنة (639هـ/1242م)، ثمّ نقله إلى دمشق، وقيل: استنابه الملك الصالح أيّوب في وقتٍ على دمشق"، فلبس لبسَ الجند، واستمّر في الأعمال السلطانيّة إلى أن مات الملك الصالح. أنظر، ابن خلّكان، المصدر السابق، ج6، ص266.؛ سبط ابن الجوزي (شمس الدّين أبو المظفّر، يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله 581-654هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: إبراهيم الزيْبق، ط1، دار الرسالة العالميّة، دمشق – سوريا، (1434هـ/2013م)، ج22، ص422، 423.؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ط ابن كثير، ج15، ص218م.؛ ابنُ تَغري بَرْدي، المصدر السابق، ج7، ص27.؛ ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج7، ص427.؛ الزِّرِكلِي، المرجع السابق، ج8، ص162.

[3] ابن واصل (مُحمّد بن سالم بن نصر الله بن سالم ت 697 هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيّوب، ج5، ص247.

[4] أرنست باركرErnest Barker، الحروب الصليبيّة، تر: السيّد الباز العريني، ط2، دار النهضة العربيّة، بيروت، (د ت)، ص120.

[5] ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص208.؛ أبو الفداء (عماد الدّين، إسماعيل بن عليّ ت 732هـ)، المختصَر في أخبَار البَشَر، المطبعة الحسينيّة المصريّة، ج1، ص93.

ولما مات الملك الصّالح أُخْفِيّ خبر موته حتّى تمّ استدعاء ابنه طُوران شاه ليكون خليفته على الحكم[1]، ولم يكن حازمًا فلم تطُل مدّة حكمه وقتله الأمراء، وتولّت من بعده زوجة أبيه الصّالح شجَرْ الدُّرّ[2] الحكم[3]الّتي قرّبت المماليك إلى السّلطة وجعلت منهم الوزراء، ليبدأ عهد حكم المماليك[4]، وشهِد عصر المماليك في القرن(7هـ/13م)حدثين عظيمين في بلاد المشرق، الأوّل، سُقوط بغداد عام (656هـ/ 1258م) على يد التّتار بقيادة هُولاكو[5]، بمساعدة وتدبير من الوزير "ابنُ الْعَلْقَمِيِّ"[6] وزير الخليفة المستعصم بالله عبْدُ الله أبُو أحمد بنُ المستَنصِر(642-656هـ/1244-1258م)[7]، فقبض على الخليفة المستعصم وأهل بيته، وعدد كبير من علماء بغداد وأعيانها وأمرائها، وتمّ قتلهم جميعًا[8].

1 مُحمّد مصطفى زيادة، حملة لويس التّاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، ص ص126، 127.

2 الملكة بنت عبد الله، جارية السلطان الملك الصالح نجم الدّين أيّوب وزوجته وأمّ ولده خليل، وكانت حظيّة عنده إلى الغاية،كانت امرأةً عاقلة مهذّبة خبيرة بالأمور، وكان يرجع إليها بالرأيّ الملك الصالح أيّوب ويستشيرها في مهمّات الأمور، وتقدّمت للمُلك، فخُطب لها على المنابر، وضُربت السّكة باسمها، وأقامت عزّ الدّين أيبك الصالحي، وزير زوجها، وزيرًا لها، توفيّت سنة (655هـ/1257م). أنظر، ابن تَغري بَرْدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص373.؛ زينب فواز (بنت عليّ بن حسين ت 1332هـ)، الدُّرُ المنثور في طبقات ربّات الخُدور، ط1، المطبعة الكبرى الأميريّة، مصر، 1312هـ، ص255.؛ الزِّرِكلي، الأعلام، ج3، ص158.

3 ابن منقذ (أبو المظفّر، مؤيّد الدولة، مجد الدّين، أسامة بن مُرشد بن عليّ بن مقلّد بن نصر ت 584هـ)، لُباب الآداب، تح: أحمد مُحمّد شاكر، ط2، مكتبة السُنّة، القاهرة، (1407هـ/ 1987م)، ص15.؛ ابن خلدون (عبد الرحمن ت808 هـ)، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: د. سُهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، ط1، (1401هـ/ 1981م)، ج5، ص417.

4 قاسم عبده قاسم وعليّ السيّد عليّ، الأيّوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ص ص128، 129.

5 هُولاكو بن تُولى قان بن جنكيزخان، ملك التتار ومقدّمهم،كان طاغيةً، من أعظم ملوك التتار، وكان شجاعًا مقدامًا حازمًا مدبّرًا، ذا همّة عاليّة ومهابة وسطوة وحنكة بالحروب ومحبّة في العلوم العقليّة، استولى على بغداد عاصمة العبّاسيّين وقتل الخليفة المستعصم بالله. أنظر، الصَّفدي، الوافي بالوفيات، ج27، ص233.

6 مُحمّد بن مُحمّد بن عليّ، أبو طالب، الوَزير مؤيّد الدّين، ابن الْعَلْقَمِيّ البغدادي الرّافضي، وزيرُ المستعصِم بالله، مولده في شهر ربيع الأوّل سنة (591هـ/1196م)، مع أنّه من الفضلاء في الإنشاء والأدب،كان وزير سَوْء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين، مات غمًّا وغُبْنًا في سنة (656هـ/1258م). أنظر، الذّهبي، سيرُ أعلام النُّبَلاء، ج16، ص487؛ الكُتبي، فَوات الوَفيات، ج3، ص252.؛ الصَّفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص151.؛ ابن طولون (شمس الدّين مُحمّد بن عليّ ت 953هـ)، إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، تح: مهنّا حَمَد المهنّا، ط1، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، (1418هـ/ 1998م)، ص ص94، 95.

7 المستعصم بالله، وهو آخرُ الخلفاء العباسيّين، عبد الله، أبو أحمد بن المستنصر، أَبي جعفر منصور بن مُحمّد الطاهر، ابن الإمام النّاصر أحمد،كان ضعيفَ الرأي، قد غلب عليه أمراءُ دولته لسوء تدبيره، تولىّ الخلافةَ بعد موت أَبيه المستنصر، سنة(640هـ/1243م)، وكانت مدّة خلافته 16 سنة تقريبًا. أنظر، ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص235.؛ ابن الجَوزي (جمال الدّين، أبو الفرج، عبد الرّحمن ت597هـ)، تلقيحُ فُهوم أهل الأثَر في عيون التّاريخ والسّير، ط1، شركة دار الأرقم بن أَبي الأرقم، بيروت، 1997م، ص69.

8 خرجت جحافل التتار من سهول آسيا الوسطى بقيادة جنكيزخان قبل هذه الموقعة بنحو ثلاثين عامًا، واجتاحت أواسط الصين وشمال غربي الهند وخراسان، وتوغّلت إلى سهول روسيا حتّى نهر الدُون، واجتاحت فارس، حتّى وصلت بغداد عاصمة الخلافة العباسيّة بقيادة هولاكو، وحطّموا كلّ مقاومةٍ، واستسلم الخليفة المستعصم بالله، ودخلوا بغداد وخرّبوها وسفكوا الدّماء في صورة مروّعة، حيث قتلوا الخليفة وأفراد أسرته وأكابر دولته، وكان ذلك في صفر سنة (656هـ / 1258م)، وانتهت بذلك حياة الدولة العباسيّة بعد حكمٍ دام أكثر من خمسة قرون. أنظر، الذّهبي، سيّر أعلام النُّبَلاء، ج16، ص487.؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص189.

واعتقد المغول بأنّ سقوط الخلافة العبّاسيّة قد مهّد لهم الطريق لاكتساح العالم الإسلامي[1]، ولكن ذلك لم يحدث، لهزيمتهم في معركة "عين جَالوت" سنة (658هـ/ 1260م)[2]، بقيادة سلطان مصر المملوكي "قُطُزْ"[3]، ولما تولّى السّلطان "الظّاهر بِيبرسْ" سنة (659هـ/1260م) السّلطنة، عمل على إحياء الخلافة العبّاسيّة وذلك باستدعائه أميرًا عباسيًا اسمه "أبو القاسم أحمد "إلى القاهرة سنة (659هـ / 1261م)، وعقد مجلسًا حضره العلماء والقضاة، وجميع رجال الدولة، وكبار التُجّار، ووجوه الناس، وشهد العُرْبان بصحّة نسَبه، وأقرّ الفقهاء والقُضاة ذلك، وحكم بصحّة شهادتهم وصحّة نسبه، وبايعه القاضي ومن بعده الظّاهر، وتلقّب بـ "المستنصر بالله"، وقلّد الخليفة العباسي الظّاهر بيبرس البلاد الإسلاميّة وما يُضاف إليها وألبسه خِلعَة السّلطنة[4].

ويمكن تلخيص عصر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في الصّراع بين سلاطين الأسرة الأيّوبيّة في مصر، وبين ملوك بلاد الشّام الأيّوبيّين الّتي تمثّلت بالصّراع في أكثر الأحيان بين الإخوة بعضهم مع بعض على السّلطة، وكذلك الخطر الخارجي الذي هدَّد الدولة الأيوبيّة ممثّلًا بأطماع الفرنجة الصّليبيّين، بالاستيلاء

---

[1] "وفي سنة سبع وخمسين وستّمائة أرسل هولاكو إلى الملك النّاصر، صاحب حلب برسالةٍ يقول فيها: يعلم الملك النّاصر أنّنا نزلنا بغداد في سنة ستّ وخمسين وستّمائة وفتحناها بسيف الله تعالى، وأحضرنا مالكها وسألناه مسألتين فلم يُجِب لسؤالنا فلذلك استَوْجب منّا العذاب، كما قال في قرآنكم "إنّ الله لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ". (الرعد: الآية 11)، وصان المال، فآل الدهر به إلى ما آل، واستبدل النفوس النفيسة. بنقوش معدنيّة خسيسة، وكان ذلك ظاهر قوله تعالى: "وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِرًا". (الكهف الآية: 49)، لأنّنا قد بلغنا بقوّة الله الإرادة، ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة، ولا شكّ أنّ نحن جند الله في أرضه، خَلقنا وسلّطنا على مَنْ حلّ عليه غضبه، فليكُن لكم فيما مضى معتبر، وبما ذكرناه وقلناه مزدجَر، فالحصون بين أيدينا لا تُمنع، والعساكر للقائنا لا تضُرّ ولا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُستجاب ولا يُسمع، فاتّعظوا بغيركم. وسلّموا إلينا أموركم...". أنظر، ابن العبري (غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج ت 685هـ)، تاريخ مختصر الدول، تح: أنطون صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشرق، بيروت، 1992م، ج1، ص277 وما بعدها.

[2] موضع عند مدينة بَيْسان ونابلس في غُور الأردن بفلسطين، وجرت فيه موقعة عين جالوت سنة (658هـ – 1260م) بين الجيش الإسلامي في عهد المماليك بقيادة ركن الدّين بيبرس وبين التتار بقيادة كتْبُغا، فقد زحف هولاكو على الشّام والجزيرة، وبسط نفوذه على كلّ الشّام باستسلام دمشق في ربيع الأوّل، ولما سيطر هولاكو على الشّام قرّر غزوَ مصر، وأرسل يهدّد السلطان المصري قُطُز، وردّ عليه قُطز بقتل سفرائه، وحشد قواته على عَجل، ونادى بالجهاد في سائر بلاد الإسلام، وسار بجيشه لملاقاة التتار بالشّام، وكان في مقدّمة جيشه الأمير ركن الدّين بيبرس، وعهد هولاكو أمر غزو مصر إلى نائبيه كتْبُغا وبَيْدر، وارتدّ هو بقسمٍ من قواته نحو الشّرق والتقى الجيش الإسلامي مع الجيش التّتاري في معركة فاصلة في صباح الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة (658هـ – 1260م)، وقتل كتْبُغا، وأَسر ابنه، ومات كثير من جنود التتار، فكانت الهزيمة للتتار، وكان يومًا عظيمًا في تاريخ المسلمين والإسلام، واستطاع بذلك بيبرس في عين جالوت أن ينقذ الإسلام والمدنية كلّها من همجية ووحشيّة المغول، وانتقلت الخلافة لمصر، وازدهرت فيها الحضارة الإسلاميّة بعد ذهاب قرطبة وبغداد زُهاء ثلاثة قرون؛ أي إلى حين ظهور الأتراك العثمانيّين. أنظر، ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص351 وما بعدها. أنظر، العباسي الصَّفدي، نُزهة المالك والمْملوك في مختصر سيرة من وُلِيّ مِصرَ من الملوك، ص149.؛ ابن الدَوَاداري (أبو بكر بن عبد الله بن أَيبك ت بعد 736 هـ)، كنزُ الدُّرر وجامع الغُرر، تح: أُولْرِخ هارمان، عيسى البابي الحلبي،(1391هـ/1971م)، ج8، ص49 .؛ مجموعة مؤلّفين، مجلّة البحوث الإسلاميّة، أمكنة، الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، (د م ن)، (د ت) ، ص ص707، 708 .

[3] العباسي الصَّفدي، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من وَلِيَّ مصر من الملوك، ص149.

[4] مجير الدّين العليمي، التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، ج2، ص ص41، 42.

على مدن السّاحل الشاميّ وتهديدهم لمصر بالذّات، متجسّدًا بحملة لويس التّاسع على دِمياط في سنة (647هـ/ 1249م)، وأيضًا في غزو التتر لمدينة بغداد في سنة(656 هـ/ 1258م) وتدميرهم لها، وزحفهم على بلاد الشّام وتخريبهم لمدنها، حتّى باتوا يشكّلون خطرًا داهما على مصر، فكان أنْ تصدّى لهم سلطان مصر المملوكي الظّاهر بيبرس في "عين جالوت" في سنة (658 هـ/ 1260م)، وردّهم على أعقابهم، مُوقِفًا ذلك الزّحف الهمجي المخرِّب لبلاد المسلمين[1].

غير أنّ هذه الصّراعات والاضطرابات لم تمنع من وجود جانب حضاري علمي مُشِّع في شتّى العلوم، حيث اهتّم الأيّوبيون بمختلف العلوم النّقليّة والعقليّة، وعمل السّلاطين والوُزراء على تقريبهم وتشجيعهم للشّعراء والعلماء والكتّاب، فأحسنوا إليهم وعطَفوا عنهم وأكرموهم لتكتظّ مجالسهم بهم، ومع كثرة انشغالهم بالحروب فقد قاموا بدورٍ كبيرٍ في بناء المساجد والمدارس والبَيْمَارِسْتَانات وغيرها، من المرافق التّعليميّة وتقريب العُلماء والاحتفاء بهم، وقد حظيّ الأطبّاء بنصيبٍ وافرٍ من عنايتهم وحازوا منهم الأموال والعطايا والهبات، فكان ذلك حافزًا للمساهمة في التّدريس، والتّأليف وعلاج المرضى وتَسنَّم الأطبّاء بذلك مكانةً مرموقة[2].

وقد عُرف في عصر ابن أبي أُصيبعة العديد من العلماء والمؤرّخين المشهورين في القرن(7هـ/13م)؛ من أمثال المؤرّخ بهاء الدّين بن شَدَّاد (ت632هـ/1235م) الذي اشتهر بكتابه "النوادر السلطانيّة والمحاسن اليُوسُفيّة"، كذلك الأديب العالم ضياء الدين بنُ الأثير (ت628هـ/ 1230م) الذي تميّز في البلاغة وعلم البيان، وأخوه المشهور المؤرّخ عزّ الدين بن الأثير (ت630 هـ/ 1232م) صاحب كتاب "الكَامِل في التّاريخ"، ومنهم أيضًا المؤرّخ المشهور شهاب الدين أبو شامة (ت656هـ/ 1258م) ومؤلَّفه "كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النوريّة والصَلاحيّة وما وقع من الحروب الصليبيّة، بالإضافة إلى صاحب كتاب "وفَيات الأعيان وأنباء أهل الزمان" للمؤرّخ شمس الدّين بن خلِّكان (ت681هـ/ 1283م)، وابن منظور (630-711هـ/1234-1312م) مؤلّف كتاب "لسان العرب"، وغيرهم من المؤرّخين والمؤلّفين.

---

1 ابن دُقْماق (صَارم الدّين إبراهيم بن مُحمّد بن أيدمر العلائي ت 809 هـ)، نُزهَة الأنَام في تاريخ الإسلام، تح: الدكتور سمير طبارة، ط1، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، بيروت، (1420هـ/ 1999م)، ص7.

2 ناصر بن مُحمّد عليّ الحازمي، **الحركة العلمية الطبيّة في بلاد الشّام زمن الحروب الصّليبيّة (492–692هـ/1099–1291م)**، أطروحة دكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أمّ القرى، كليّة الشريعة والدّراسات الإسلامية، قسم الدّراسات العليا التاريخية، السّعودية، (1426-1427/ 2005-2006م)، ص43.

كان من أثر الحركة العلميّة في عصر الطّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، إنشاء المدارس في جميع أنواع العلوم والمعارف، كدُور القرآن والحديث، ففي الحديث الشريف؛ نجد أنّه في سنة(630هـ/1234م) في ليلة النصف من شعبان فُتحت دار الحديث الأَشْرفيّة نسبةً إلى الملك الأَشرف[1]، وفي سنة (641هـ/1244م) أُنشأت دار الحديث السُكّريّة[2] وغيرها، وكذا انتشار المدارس الفقهية" المخصّصة لتدريس المذاهب الفقهيّة الأربعة[3]، كالمدرسة الأَتابِكيّة، بدمشق[4]، والمدرسة الصّالِحِيّة[5] بمصر وغيرها، كما وُجدت المدارس الخاصّة بتدريس النّحو واللّغة العربيّة كالمدرسة النّحويّة بالقدس الّتي أنشأها الملك المعظّم شَرَفُ الدّين عيسَى بنُ المِلِك العَادِل شَقِيقُ السُّلطَان صَلَاح الدّين الأيّوبي حَاكم دِمشق (615-624هـ/ 1218-1227م)، الخاصّة بالاشتغال في اللغة العربيّة، ووُجدت المدارس الطبيّة الدَّخْواريّة، والدُنيسَريّة، واللَّبُودِيَّة[6] وغيرها من المؤسّسات العلميّة في مختلف العلوم.

شهد القرن(7هـ/13م) تجديد وتشيّيد الجوامع؛ كتجديد الجامع الأُموي[7]، وأنشأ الملك الأَشرف جامع التَّوبة سنة(632هـ/1235م)، وجامع الظاهر بُنِيّ سنة (667هـ/1269م)، كما أنّ الوقف[8] في

---

1 النعيمي، الدّارس في تاريخ المدارس، ج1، ص15.

2 دار الحديث السُكّريّة، وُقّفت هذه المدرسة سنة (674هـ/ 1278م)، بالقصاعين داخل باب الجابية بدمشق، أجمع المؤرّخون على أنّ أشهر مشايخها كان شيخ الإسلام ابن تيميّة، شهاب الدّين عبد الحليم (ت728هـ/1329م). أنظر، النُعيمي، المصدر نفسه، ج1، ص56.

3 منها من تدرّس مذهب واحد كالمدرسة الأتابكيّة بدمشق، ومنها من تدرّس مذهبين كالمدرسة الأسديّة، فهي موقوفة على الحنفيّة والشّافعيّة، ووجدت مدارس تدرّس ثلاثة مذاهب وأربعة، كالمدرسة الصالحيّة بمصر. أنظر، سعيد منصور مرعي القحطاني، **إسهام الوقف في دعم الحركة العلميّة في القرن السابع الهجري**، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، كليّة التربية، قسم التّربية الإسلامية والمقارنة، السّعوديّة، (1430/1431هـ)، ص115.

4 أنشأتها بنت نور الدّين أرسلان بن أتابك، في ليلة وفاتها، كان وقف مدرستها وتربتها بالجبل، ودُفنت بها في سنة(640هـ/1243م). أنظر، النعيمي، المصدر السابق، ج1، ص96.

5 المدرسة الصَّالحية، المعروفة بتربة أمّ الصَّالح، واقفها الصالح، أبو الجيش، إسماعيل بن الملك العادل سيف الدّين أَبي بكر، قال عنه ابن كثير: "واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والإقراء بدمشق، توفيّ سنة ثمان وأربعين وستّمائة، وقد باشر مشيخة الإقراء فيها قرّاء مشهورين منهم، عَلَم الدّين السَّخاوي وأبو الفتح الأنصاري المُلُوني، وزين الدّين الزواوي، والعلّامة شمس الدّين ابن الجَزَري. أنظر، النُعَيْمِي، المصدر نفسه، ج1، ص239.؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص210.

6 أنظر، الفصل الرابع، أماكن التعليم الطي، المدارس الطبية النظرية.

7 ابنُ شدّاد (عز الدّين، أبو عبد الله، مُحمّد بن عليّ بن إبراهيم الأنصاري الحلبي ت 648هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أُمَراءُ الشّام والجَزيرة، تح: سامي دهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، 1375هـ، ص77.

8 وهو تحبيس الأصل، وتسبيل المنفعة أو حبسُ مالٍ يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه ممنوع من التصرّف في عينه بلا عذرٍ، مصروف منافعه في البرّ تقرّبًا إلى الله تعالى، وله أربعة أركان: الواقف، وشرطه أن يكون جائز التصرّف، والموقوف عليه، وما ينعقد به، وسمّيّ وقفًا؛ لأنّ العين موقوفة، وحبسًا لأنّ العين محبوسة. أنظر، برهان الدّين بن مفلح، المبدع شرح المقنع، تح: خالد بن عليّ المشيقح وآخرون، ط1، ركائز للنشر والتوزيع، الكويت، (1442هـ/ 2021م)، ج6، ص418.

هذا القرن ازدهر ازدهارًا كبيرًا، ما أدّى إلى نهضة علميّة كبيرة وشاملة، حيث وُجدت حوالي 410 مؤسّسة وقفيّة، أفرزت علماء أفذاذ وأسماء عظيمة، لا تزال مؤلّفاتهم حاضرة إلى اليوم[1].

وبفضل عدالة الإسلام وسماحته التي أتاحت لأتباع الأديان الأخرى حريّة الاعتقاد بين المسلمين، ففي هذا القرن(7هـ/13م) كان أتباع الديانتين اليهوديّة والنصرانيّة يشكّلون جزءًا من المجتمع الإسلامي[2]، يحْظَوْن بكافة الحقوق الإنسانيّة والدّينيّة[3]، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة: 8] ، وبما أنّهم في دولة الإسلام فمن حقّهم أن يحميهم المسلمون من الأعداء، كما يحمون أنفسهم، مقابل جزيّة يدفعونها لبيت المال، ومن أبرز المهن التي عمل بها أهل الذّمّة مهنة الطبّ، فقد برعوا في تشخيص الأمراض، ووصف العلاج الناجع لها، كما تميّزوا في النّقلة والتّرجمة وهو، ما سنراه لاحقًا عند التكلّم عن الأطبّاء في المشرق الإسلامي.

وبهذا يكون عصر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عصر إحياءٍ للثقافة الإسلاميّة في كافة فروعها، وقد نال الطبّ حظًّا وافرًا من اهتمام الأُمَراءُ الأيوبيّين؛ إذ أنّهم اعتنَوْا بهم عناية خاصّة وأجْرَوا عليهم الجِرايات والرواتِب والمال الوفير، وخصُّوا المتميّزين منهم بخدمتهم وخدمة عائلاتهم، ومن أشهر الأطبّاء الّذين عُرفوا في هذه الفترة عمّ ابن أَبي أُصَيْبِعَة الطّبيب "رَشِيد الدّين عَليّ بنُ خليفَة"(ت616هـ/1220م)، والطّبيب مُهذّبُ الدّين عَبْد الرّحِيم بنُ عَليّ "الدَّخْوَار" (ت 628هـ/1232م) الذي انتهت إليه رياسة الطبّ في أيّامه، وأيضًا الطّبيب سيفُ الدّين عليّ بن محمد الآمُدي (ت631هـ/1234م)، ورَضِيّ الدّين الرَّحْبِي (ت630هـ/1234م) وهو الّذي كان مبجَّلًا عند الملوك وغيرهم...فكان لهذه البيئة العلميّة تأثيرًا في تكوين شخصيّة ابن أَبي أُصَيْبِعَة الطّبيب والمؤرّخ وكذا الأديب الشّاعر.

---

[1] سعيد منصور مرعي القحطاني، المرجع السابق، ص194.

[2] سعيد منصور مرعي القحطاني، المرجع نفسه، ص65.

[3] على النقيض ممّا فعله النصارى مع مسلمي الأندلس، فلم تمض بضعة أعوام على تسليم غرناطة، حتّى بدت نيّات السّياسة الإسبانيّة واضحةً نحو المسلمين، وكانت الكنيسة تحاول خلال ذلك أن تعمل لتحقيق غايتها لتنصير المسلمين بالوعظ والإقناع، ولما فشلت جنَحت الكنيسة عندئذ إلى سياسة العنف والمطاردة، وأذعنت السياسة الإسبانيّة لما تُمليه الكنيسة، ولم تذكر ما قطعت من عهودٍ مؤكّدةً للمسلمين باحترام دينهم وشعائرهم، وكان روح هذه السياسة العنيفة الكردينال خمينس. أنظر، مُحمّد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج5، ص ص314، 315.

ثانيا: كتاب "عُيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"[1]: كتاب "عُيون الأَنباء في طبقَات الأطبّاء" هو أحدُ مؤلّفات الطّبيب الكَحَّال ابن أَبي أُصَيْبِعَة؛ وهو الوحيد الّذي وصلنا من بين مؤلّفاته الخمسة الّتي كنّا قد ذكرناها سابقًا، وهو الّذي اشتهر ذكره لدى العديد من المؤرّخين؛ ذكره المؤرّخ ابن كثير في قوله:" لابن أَبي أُصَيْبِعَة تاريخ الأطبّاء في عشر مجلّدات لُطاف"[2]، بينما قال المؤرّخ الإمام شمس الدّين الذّهبي عند حديثه عن القَاضي والفيلسوف ابن رُشد الحفيد أبي الوَليد محمّد القُرطُبي(ت595هـ/ 1198م)، أسند ترجمةً إلى ابن أبي أُصَيْبِعَة وقال أنّها وُجدت في "تاريخ الحُكَماء"[3]، وفي موضعٍ آخر سمّاه " تاريخ الموَفَّق ابن أَبي أُصَيْبِعَة "[4]، وقال المؤرّخ الصّفدي عنه:"هو الطّبيب الفاضل، صنَّف تاريخًا للطبّ وجَوَّدَه"[5]، وسمّاه المؤرّخ ابن تَغْري بَرْدِي "طبقات الأطبّاء"[6]، وذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، باسم "عيون الأَنْباء في طبقات الأطبّاء "[7]،كما أطلق عليه اسم "طبقات الأطبّاء"[8].

1–دوافع التّأليف:

يعدّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة من المؤرّخين للتاريخ الطبّي والأطبّاء، وهذا ما دفعه لتأليف هذا الكتاب، فضمّنه العديد من التّراجم لمشاهير الأطبّاء والحكماء، وعرّج إلى ذكر البدايات الأوّلى لهذه الصناعة الّتي قال عنها في مقدّمة كتابه بأنّها من أشرف الصّنائع وأربح البضائع، وأنّه من خلالها يتمّ حفظ الصحّة الموجودة واسترجاع الصحّة المفقودة، وأنّه بالنّظر إلى أهميّتها فقد برع فيها العديد من الأطبّاء، وتواترت الأخبار بفضلهم، ونقلت الآثار بعلُوِّ قدْرِهم ونُبْلِهم، وشهدت لهم بذلك مصنّفاتهم ومؤلّفاتهم، هذا الّذي أدّى بابن أَبي أُصَيْبِعَة يعكف على تأليف كتابه، وما يؤكّد ذلك قوله:"... ولم أجدْ لأحدٍ من أربابها ولا مْن أَنْعَم الاعتناء بها كتابًا جامعًا في معرفة طبقات الأطبّاء وفي ذِكر أحوالهم على الوَلاء، رأيتُ أن أذكر في هذا الكتاب نُكَتًا وعيونًا في مراتب المتميّزين من الأطبّاء القدماء والمحْدَثين ومعرفة طبقاتهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم... وذِكْر شيءٍ من أسماء كُتبهم..."[9].

---

[1] أنظر **الملحق رقم (02)**، المتضمّن صورتين لمخطوطة كتاب "عون الأنباء في طبقات الأطباء".

[2] ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص299.

[3] الذّهبيّ، سيّر أعلام النُّبَلاء، ج15، ص427.

[4] الذّهبي، تاريخ الاسلام، ج8، ص253.

[5]الصَّفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص193.

[6] ابنُ تَغري بَرْدي، النجوم الزاهرة، ج7، ص229.

[7]ابن أَبي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص760.

[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص598.

[9] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص ص7، 8.

ولم يقتصر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في كتابه على مشاهير الأطبّاء فقط، إنّما ضمّ إليهم جماعة من الحكماء والفلاسفة الّذين كانت لهم عناية وخبرة بصناعة الطبّ، وترك جميع مَن كان من الحكماء وأصحاب التّعاليم وأرباب النَظر في سائر العلوم الأخرى، وأفْرد لهم كتابا خاصًّا بهم سمَّاه" مَعالمُ الأمّم وأخبَار ذَوِي الحِكَم"[1]، كما أنّه خصّ بتأليفه هذا الكتاب أحد الوزراء قال ابن أَبي أُصَيْبِعَة:" وأمّا هذا الكتاب الّذي قصدتُ حينئذِ على تأليفه، فإنّي جعلتُه منقسمًا إلى خمسة عشر بابًا وسمّيتُه "كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" وخدمتُ به خزانة المؤْلى الصاحب الوزير العالم العادل الرّئيس الكامل سيّد الوزراء، ملك الحكماء إمام العلماء...أمين الدّولة كمال الدّين شَرَفَ المِلَّة أبي الحسن بن غزَال بن سعيد"[2].

2–سنة التّأليف والطّبع: جميع المعطيات التي توفّرت لدينا تحيل إلى أنّ تأليف كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، كان بدمشق سنة(643هـ/1246م)، على الرّغم من وجود مَن يقول: أنّه أُلّف سنة (640هـ/ 1242م)[3]،إلّا أنّا لا نُسَلِّم بذلك، قال عنه المؤرّخ الزِّرِكلِي:"كان مُقامه في دمشق وفيها صنّف كتابه سنة 643هـ ومولده فيها"[4]، كما أنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أكّد لنا أنّ سنة تأليفه للكتاب هو سنة(643هـ/1246م) عندما أشار إلى ناسخِ كتابه، مادحًا خطَّه وإتقانّه العربيّة وقِطع الكتاب وأجزائه قائلًا :" ولما وصلني كتاب أبي أتيتُ إلى دمشق واستصحبتُ معي مسودات من الكتاب واستدعيتُ الشريف الناسخ وهو، شمس الدين محمد الحُسَيْني، وكان كثيرًا ينسَخ لنا وخطّه منسوبٌ في نهاية الجوْدة... ولما تجلّدتُ عملت قصيدة مديحٍ في الصّاحب أمين الدّولة، وبعثتُ بالجميع إليه مع قاضي القُضاة بدمشق رفيع الدّين الجيلي(641هـ/1244م) ... وهذه نسخةُ القصيدة الّتي قُلتُها فيه، وذلك في أوائل سنة ثلاث وأربعين وستّمائة"[5].

وكان قبل ذلك قد كتب نسخة ربّما في سنة (641هـ/1244م) أو قبلها، وذلك لما ذَكَره في ترجمته للطّبيب القَاضي رفيع الدّين الجيلِي الّذي توفيّ في سنة إحدى وأربعين وسِتّمائة كان قد وقَف على نُسْخة من كتاب عيون الأنباء، ولم يكن ضِمن تراجم ابن أَبي أُصَيْبِعَة[6]، والأكيد أنّ الطَّبيب ابن أَبي

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص8.

[2] نفسه.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، مقدّمة المحقّق، تح: عامر النجّار، عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ط1، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص7.

[4] الزِّركلِي، المرجع السابق، ج1، ص 197.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، تح: نزار رضا، ص725.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص647.

أُصَيْبِعَة لم يتوقّف في زيادة الإضافات حتّى سنة(667هـ/1269م)؛ أي: سنة واحدة قبل وفاته، حيث يذكر بعض الأحداث الّتي جرَت له في هذه السّنة ليضمَّها إلى كتابه، من ذلك ذِكرِهِ في ترجمته للطّبيب عماد الدّين الدُّنَيسري (ت686هـ/1287)[1]، بأنّه اجتمع معه سنة سبع وستّين وستمائَة..."[2].

ويذكر الباحثُ عُمَر رِضَا كَحَّالَة أنّه لم يزَل يجمع من كتب الأخبار والطّبقات، ويضيف على كتابه الأصلي، ويغيّر ما وجد فيه من الأغلاط حتّى وفاته، كما أنّ تلاميذه أو ربّما نُسَّاخ كتّابه قد زادوا على مسودّة الكتاب من بَعد وفاته[3]، وقد كُتبت نسخته القديمة سنة (712هـ/1313م)؛ أي: بعد وفاة الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، بحوالي نصف قرن، لكنّها كانت كثيرة الأخطاء، وأحسنُ منها نسخة كُتبت في حدود سنة (1017هـ/1609م)، لكنّها وإنْ كانت فاسدة في بعض أجزائها إلّا أنّه يبدو أنّها نُسخت من أصلٍ قديمٍ جيّد، لأنّ أخطاءها قليلة[4].

وقد تمّ طبع هذا الكتاب في مدينة كونغزبرغ، في روسيا عام 1884م، باعتناء اغسطس مُولَرAugust Müller(1310هـ/1892م)[5]، وهو مُستشرق ألماني قام بطبعه، نقلًا عن نسختين خطّيّتين عثر عليهما في عام 1884م، لتقُوم فيما بعد المطابع المصريّة عام (1299هـ/1883م) بطبع هذا الكتاب، نقلًا عن طبعة المستشرق مُولَر، وهي الطبّعة الأوّلى من هذا الكتاب[6]، وقد أصبحت نادرة الوجود ليقوم الباحث نزار رضا بطبعه في بيروت.

3– أهميّة الكتاب ومحتواه: لا نبالغ إنْ قلنا بأنّه لا يمكن لأيِّ مؤرّخٍ للطبّ أو للأطبّاء في التّاريخ الإسلامي أن يستغني أو يُقْصي كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"؛ لما له من أهميّة كبيرة، بالنظر لما يحتويه من كمٍّ هائل من التّراجم والمعلومات، وهذا بإشادة الجميع؛ سواءٌ ممّن عاصر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، كالشّاعر المصري جَمال الدّين يحي بنُ مَطرُوح(649هـ/ 1251م)، عندما كان معه ابن أَبي أُصَيْبِعَة في داره بدمشق، وذكر بعض ما قاله له:" قال لي: ما سَبَقك إلى تأليف كتابك في طبقات الأطبّاء

---

[1] عماد الدّين، أبو عبد الله، مُحمّد بن القاضي الخطيب (605-686هـ /1208 -1287م)، مولده بمدينة دُنيْسر في سنة(605هـ/1209م) ونشأ بها، واشتغل بصناعة الطّب، أحد علماء الفِقه الشَّافعي، كانت له رحلات، سافر من دُنَيْسر إلى مصر، ثمّ إلى الشّام، وخدم في البيمارستان النُّوري بدمشق. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص761.

[2] نفسه.

[3] عمر رضا كحّالة، العلوم العمليّة في العصور الإسلاميّة، (د ط)، المطبعة التعاونيّة، دمشق، (1392هـ– 1982م)، ص82.

[4] السيّد رزق الطويل، مقدّمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، ط2، المكتبة الأزهريّة للتراث، ص202.

[5] ادوارد كرنيليوس فانديك (ت 1313هـ)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص103.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، مقدّمة المحقق عامر النجار، عيون الأنباء، ص6.

أحدٌ"[1]، وأيضًا ذكر الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة قصّة، مفادها أنّ أمين الدّولة بلغه تأليف ابن أَبي أُصَيْبِعَة لكتاب طبقات الأطبّاء، وأنّ جماعة الأطبّاء الّذين يأتون إليه شاكرين منه، وأنّه ما سبق أحدٌ في كتابه مثلَه، وقال أيضًا أنّ هذا الكتاب جليل القدر، فراسل والده يخبره أنّه قد اجتمع عندي في خزانتي أكثر من عشرين ألف مجلّد، ما فيها شيء من هذا الفنّ، وأشتهي منك أن تبعثَ إليه يكتبُ لي نسخةً من هذا الكتاب، فطلب والد ابن أَبي أُصَيْبِعَة من ابنه بأنْ يكتب له نسخة ففَعَلَ[2].

ومن خلال هذه العبارة –يأتون إليه شاكرين منه–يبدو أنّ الأطبّاء المعاصرين قد اطّلعوا وقرأوا كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ووقفوا على أهمّيّته، ووجدوا فيه إضافات جديدة، وهُم في هذا يشكرون الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة الّذي أرْدف هذا بالعبارة "وهذا الكتاب جليل القدر"، فكأنّ جماعة الأطبّاء يعترفون بعلُوِّ ومكانة الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في هذا الفنّ، وبقدْر الكتاب بين كتُب الطبّ في عصره أيضًا.

كما وردت عبارات الثّناء على لسان الصّاحب أمين الدّولة الّتي كشفت عن نسبة أجلّ الأوصاف العلميّة والتّاريخية أيضًا إلى كتاب عيون الأنباء، وهو ما يتجلّى لنا في عبارة "صنّف كتابًا في طبقات الأطبّاء ما سبق إليه أحدٌ"، وعبارة ".... في خزانتي أكثر من عشرين ألف مجلّد ما فيها شيء من هذا الفنّ"؛ إنّ هاتين العبارتين معاً تقرّران أنّ كتاب عيون الأنباء جاء فريدًا في بابه، كما تكشفان معاً على أنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أراد أن ينسب لكتابه مكانة تاريخيّة رفيعة، وهو يعلم أنّ الطّبيب والمؤرّخ أَبُو دَاوُد سُلَيْمَان بن حسان ابنُ جُلجُل(ت بعد377هـ/987م)[3] كان قبله بثلاثة قرون من الزّمان قد دوَّن طبقات الأطبّاء؛ بل وكان من بين مصادره الّتي اعتمد عليها[4]، ما يؤكد علُوّ كتاب عيون الأنباء في قيمتة وأهمّيّتة، باعتباره متكاملًا متخصّصًا في تراجم الأطبّاء والحكماء، وهو ما نوَّه إليه في بداية مؤلِّفه، حينما ذكر أنّه لم يجد أحدًا من أربابها، ولا مَن أَنْعم على الاعتناء بها كتابًا جامعًا في معرفة طبقات الأطبّاء[5].

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص577.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص725.

[3] سُلَيْمَان بن حسّان، أَبُو دَاوُد، المعروف بابن جُلْجُل: طبيب مؤرّخ، أندلسي، من أهل قرطبة، تعلم الطّب وخدم به هشاما المؤيّد بالله، وسمع الحديث وقرأ كتاب سيبُويه. وصنّف "طبقات الأطبّاء والحكماء"، و "تفسير أسماء الأدويّة المفردة من كتاب ديسقوريدس". أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص493.؛ ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله، مُحمّد بن مُحمّد ت703هـ)، الذّيْل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة، تح: الدكتور إحسان عباس، الدكتور مُحمّد بن شريفة، الدكتور بشّار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ج2، ص ص61،62.؛ الزّرِكلِي، الأعلام، ج3، ص123.

4 أقارن كتاب "عيون الأنباء" بالمؤلّفات السّابقة له، والخاصة بالتأريخ للأطباء والحكماء، في قادم هذا الفصل.

5 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص7.

لقي الكتاب إشادةً ممّن أتى بعد الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة؛ من أمثال المؤرّخين: الذّهبي، وابن تغري بردي، والصّفدي وغيرهم، قال عنه صاحب الوافي بالوفيات: "صنّف تاريخًا للطبّ وجَوَّده"[1]، أمّا من الباحثين المحدِّثين فيذكر الباحث عامر النجّار، أحد محقِّقي الكتاب أنّه من أهمّ الكتب، إنْ لم يكن أهمّها في تاريخ الطبّ في الدّولة الإسلاميّة[2]، بينما يقول عنه المحقّق الآخر نزار رضا: "وقد ترك ذكْرًا خالدًا ومؤلَّفًا ضخمًا ... وهو أحسن كتابٍ في التّراجم -يقصد هنا تراجم الأطبّاء والحكماء- لا يشبهه إلّا كتاب أخبار الحكماء، لكنّه يمتاز عليه بأنّه أوسع وأوْفر مادّةً، جمَعَه وقاسَى في جَمْعِه الصِّعاب..."[3]، ومن الباحثين غيْر العَرب، فقد تكلّم عنه المستشرق الإيطالي ألدو ميلي Milli Aldo بقوله: " إنّ كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، يزوِّدنا بأهمّ المعلومات عن تاريخ الأطبّاء العرب"[4].

أمّا عن محتوى الكتاب، فهو بمثابة الموسوعة الطبّيّة الّتي تجمع كلَّ النُخب المتميّزة في مجال الطبّ؛ من عربٍ وغيرهم من أطبّاء الأمّم الأخرى، منذ ابتداء صناعة الطبّ إلى أيّامه، فكان متميّزًا في إعطاء معلومات كافيّة عن الطبّ والأطبّاء، حيث يقول: "ولم أجد من أربابها -أي: صناعة الطبّ- ولا مَن أَنْعم الاعتناء بها كتابًا جامعًا في معرفة طبقات الأطبّاء وفي ذكر أحوالهم على الوَلاء"[5]، والجميل في الكتاب هو التطرّق إلى الأطبّاء القُدماء والمحْدثين بالنّسبة له، فترجم لكبار الأطبّاء زمن الإغريق والرومان والهنود، كما ترجم للأطبّاء العرب، والعجم، والهنود، والمغرب، وأطبّاء مصر والشّام كلُّ قُطرٍ على حِدى؛ بل وقام بذكْره لكثيرٍ من الشّعر العربي الّذي نظَمه الأطبّاء الّذين ترْجم لهم، وأحالنا على عددٍ كبير من المشاهير الّذين لم يُعرفوا بأنّهم أطبّاء ليُعْلم تمكّنهم في الطبّ إلى جانب كونهم أدباء أو شُعراء...فحاول ذِكر أقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم، وذكر شيئًا من كتبهم، وغرضه من ذلك استحقاقهم لهذا التّقدير يقول:"...فإنّ لهم علينا من النِّعم فيما صنَّفوه، والمِنَّن فيما قد جمَعُوه في كتبهم من علم هذه الصِّناعة ووضعوه، ما هو تفضُّل المعلّم على تلميذه والمُحسن إلى مَن أحسن إليه"[6]، وهو بهذا الكتاب في رأيّه يكون شاكرًا لهم لِما تفضّلوا به بخدمة هذه الصِّناعة الشّريفة.

---

[1] الصَّفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص193.

[2] ابن أَبِي أُصيبِعة، مقدّمة المحقّق، تح عامر النجّار، المصدر السابق، ص9.

[3] ابن أَبِي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص5.

[4] ألدو ميلي Milli Aldo، العلم عند العرب وأثره في تطوّر العلم العالمي، تر: عبد الحليم النّجار ومُحمّد يوسف موسى، (د ط)، طبعة دار القلم، مصر، (1381هـ/ 1962م)، ص330.

[5] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص7.

[6] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص8.

قسّم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة كتابه إلى خمسة عشر بابًا، محاولا بذلك الإلمام بأكثر المعلومات الّتي تخصّ هذه المهنة قبل الإسلام وبعده، مهتمًّا بأدقّ التّفاصيل حول ذلك، وعن أبواب هذا الكتاب سأحاول إعطاء لمحة صغيرة في شكلِ عناوين، مع اعتماد أسلوب دمْج الأبواب حسب القاسم المشترَك لها.

جاء الباب الأوّل، بعنوان "في كيفيّة وجود صناعة الطبّ وأوّل حُدوثها"[1]، أحال الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في هذا الباب بأنّ لكلِّ شيءٍ بداية، فكان لزامًا عليه أنْ يخوض في بدايات صناعة الطبّ وأوّل حدوثها، وذلك ببسْطه للآراء الّتي تكلّمت في ذلك؛ فقال قومٌ أنّ سببها إلهام ووحْي، وآخرون قالوا سببها رؤيا صادقة، وقالوا حدثت بالتّجربة أو بالصدفة، ومنهم من ردّ ذلك لاقتداء النّاس بالحيوانات وغيرها من الآراء المختلفة، ولما انتهى من هذه الجدليّة تكلّم عن أوّل مَن مارس هذه المهنة من مصريين، أو فرس أو شعوب الشّرق القديم، وبيّن صعوبة الفصل في هذه القضيّة وكذلك في معرفة الصّحيح من بين هذه الآراء، ليُدرِج موقفه الخاصّ من كلِّ هذا.

أمّا الباب الثّاني، فذكر فيه طبقات الأطبّاء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطبّ وكانوا المبتدئين بها[2]، وفي هذا الباب أحالنا الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة إلى الأطبّاء الأوائل الّذين كان لهم السّبق والفضل الكبير في هذه الصّناعة، مبرزًا ما قدّموه من مؤلّفات ووصايا وتجارب وغيرها، وقد خصّ هذا الباب في أغلبه على ذكر الحكيم أَسْقْلَبْيُوس[3] لأهميّته، وكتكملة للباب الثّاني، جاء الباب الثّالث بعنوان "طبقات الأطبّاء اليونانيّين الّذين هُمْ من نَسْل أَسْقْلَبْيُوس"[4] بيَّن فيه الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة مساعي الحكيم أَسْقْلَبْيُوس لإبقاء هذه المهنة لأوّلاده وأقربائه دُون النّاس، وأنّه عهَد إليهم ألّا يُعلّموا هذه الصّناعة لأحدٍ إلّا لأوّلادهم ولمن هو من نسْل أَسْقْلَبْيُوس لا غير، وبعد ذِكر الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة لهذه المعلومة عرّفنا بأهمّ الأطبّاء الذين كان يقتدى بهم في صناعة الطبّ من اليونانيّين[5].

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص11-27.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 29-38.

[3] أَسْقْلَبْيُوس ، وتُكتب "اسْقْلَابْيُوس" و"اسْقْلَيْبْيَاذيس": بالعربي معناه "منْع اليَبَس"، وقيل: إنّ أصل هذا الاسم في لسان اليونانيّين مشتقّ من البهاء والنور"، وهذا هو أحد الملوك الأربعة الذين صحبوا هُرْمُس، وأخذوا عنه الحكمة، وكان هذا أكثرهم أخذًا لها وأشهرهم بذكرها، وولّاه هُرمس رُبع الأرض المعمورة يومئذٍ، وهذا الربع هو الذي ملكته اليونانيون بعد الطوفان، وهو طبيب يوناني ذكي الطّبع قويّ الفهم، حريصًا مجتهدًا في علم صناعة الطّب، واتّفقت له اتفاقات حميدة معيّنة على التمهُّر في هذه الصناعة، وانكشفت له أمورٌ عجيبة من أحوال العلاج بإلهامٍ من الله –عزّ وجلّ–. أنظر، القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص13؛ ابن جلجل، طبقات الأطبّاء والحكّام، ص11.؛ ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص30.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص39-42.

[5] في صورة غورس وميتس وبرمانيدس، وافلاطن الطّبيب وابقراط وجالينوس. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص40.

وفي الباب الرّابع، تكلّم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عن دور الحكيم أَبُقراط في تنظيره للطبّ وتعليمه للغرباء، وعنونه بـ"طبقات الأطبّاء اليونانيّين الّذين أذاع أبُقراط فيهم صناعة الطبّ"[1]، وقدّم لنا الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أمورًا وأخبارًا عن أبقراط ونظرته للطبّ، وخوفه من انقراضها، خاصّةً عندما رأى أنّها بادت عن أكثر المواضع الّتي كان الحكيم أَسْقْلَبْيُوس الأوّل قد أسّس فيها التّعليم الطبّي، وبيّن لنا كيف أنّ الحكيم أبقراط قرّر أن يذيع مهنة الطبّ في جميع الأرض وينقلها إلى سائر الناس، كما أنّه بيّن الإضافات التي قدّمها الحكيم أبُقراط في الطبّ مثل، القَسم الطبّي والنّاموس الطبّي ووَصَاياه، ليعرّج بعد ذلك إلى ذِكر مَن أتى بعد الحكيم أبُقراط وعددهم سبعة[2].

أمّا موضوع الباب الخامس فيخصّ "طبقات الأطبّاء الّذين كانوا منذ زمان الحكيم جالينوس وقريبًا منهم"[3]، فتكلّم عن حياة الحكيم جالينوس، وعمّا تفرّد به في الطبّ وعن صفاته وأخلاقه، وعرّج على ذكر مصنّفاته، لينتقل إلى ذكر المشهورين من الأطبّاء؛ ممّن أتى بعده وهم ثمانيّة عشر، دون أن يتوسّع في ذكر أخبارهم.

وضمّن بابه السّادس الأطبّاء الإسكندرانيّين ومن كان في أزمنتهم من الأطبّاء النصارى وغيرهم[4]، وهذا الباب في معلوماته يتّبع الباب السّابق، فهو يصّب فيمن اهتمّوا بتلخيص كتب جالينوس ودراستها، حيث افتتح بقول الطّبيب أَبُو الْحسن الْمُخْتَار بن الْحسن بنُ بُطْلَان(ت458هـ/1066م)[5] الذي يؤكّد على أنّ الإسكندرانيّين عددهم سبعة، وهم من قاموا بجمع وتفسير كتب جالينوس السّتّة عشر، وركّز على الطّبيب الفيلسوف يحيى النَّحْوِيّ(ت حوالي 570م)[6] فذكر أخبارًا عنه وقدَّم لنا عناوين بعضًا من

1 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص43-107.

2 وهم، بندقليس، فيتاغورس، سقراط، أفلاطون، أرسطوطاليس، ثاوفرسطس، الاسكندر الأفروديسي الدمشقي. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص61-106.

3 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص109-150.

4 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 151-159.

5 أَبُو الْحسن، الْمُخْتَار بن الْحسن بن عَبدون بن سعدون بن بُطلَان (ت 458هـ/1066م)، طبيب نصراني، مولده بمدينة بغداد مطلع القرن(5هـ/6م) تميّز في الطّب والفلسفة، كان ابن بطلان معاصراً لعليّ بن رضوان الذي كان رئيس أطباء مصر، وقد جرت بين الطّبيبين مراسلات كثيرة، وهذا ما شجّع ابن بطلان على السفر إلى الديّار المصريّة للاجتماع به، أدىّ الاتصال المباشر بين الطّبيبين إلى قيام عدّة مناظرات طبيّة حِكميّة، من مؤلّفات ابن بطلان المشهورة كتاب "دعوة الأطبّاء". أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص325 وما بعدها.؛ القفطي، المصدر السابق، ص222.

6 يحيى النَّحوي كان نصرانيًا اسكندريا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ، ولد سنة 490م، اختلف الباحثون حول السنة التي توفيّ فيها، إلاّ أنّ هناك إجماع على أنّه توفيّ في سبعينات القرن السّادس الميلادي، كان قويًا في علم النحو والمنطق والفلسفة، وقد فسّر كتبًا كثيرة من الطّبيات، ولقوّته في الفلسفة أُلحق بالفلسفة لأنّه أحد الفلاسفة المذكورين في وقته، عُرف يحي النحوي واشتهر بعدّةِ تسمّيات في الفكر العربي الإسلامي، لعلّ أبرزها يحي النحوي أو غرماطيقوس، وفيلوبونوس، وبدأ بعلم النحو واللغة والمنطق، فبرع في هذه الأمور، وبرز ولأنّه أوّل ما ابتدأ بالنحو فنُسب إليه واشتُهر به

مؤلّفاته، ليعرّج بعد ذلك على الأطبّاء النصارى المعاصرين لهم، كما مثّل الباب السّابع بداية التكلّم عن الطبّ العربي والإسلامي، وعنونه بـــ "طبقات الأطبّاء الذين كانوا في أوّل ظهور الإسلام من أطبّاء العرب وغيرهم"[1]،حيث ذكر الأطبّاء المشهورين في هذه الفترة، وكان مجموع الأطبّاء الّذين ذكرهم في هذا الباب عشرة أطبّاء[2].

خصّص الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة الباب الثّامن لطبقات الأطبّاء السُريانيّين الّذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العبّاس[3]، حيث تتبّع المعروفين والمشهورين منهم في الدّولة العبّاسيّة من عهد الخليفة أبي جعفر المنصور(158هـ/775م)[4]، حتّى عهد الخليفة العبّاسي المكتفي بالله(295هـ/ 908م)[5]، وقد ذكرهم بتسلسلٍ زماني يوحي بوراثة الطبّ في شكل أُسَرٍ طبيّة متميّزة، متطرّقًا لذكر أحوالهم وأخبارهم ونوادرهم وذِكر بعضًا من مؤلّفاتهم، مشيرًا في ذلك إلى الدّور الكبير الّذي لعبته مدرسة جَنْدي سَابور الطبّية[6] التي خلّفت لنا كمّا هائلًا من الأطبّاء.

الباب التّاسع، عنونه بـ"طبقات الأطبّاء النَقَلة الذين نقلوا كتب الطبّ وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم"[7]، من خلال العنوان يتبيّن لنا أنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة تطرّق

ووضع كتبًا كثيرة منها، تفاسير وغيرها، كما كان له لقبًا آخر ب"الرومي"؛ إذ يقال له فيلوبينوس؛ أي:" المجتهد". أنظر، ابن العبري، تاريخ مختصر الدّول، ج1، ص102.؛ ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص152.

1 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص161-181.

2 أبرزهم، الحرث بن كِلْدة، والنَضْرُ بن الحرْثِ بن كلدة، وابن أَبي رَمْثة التَّميمي، وابن أُثَال، وتِيَاذُوق، وزينب طبيبة بني أَوْد.

3 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص183-287.

4 الخليفة العبّاسي الثاني، المنصور عبد الله بن مُحمّد بن عليّ بن العباس، أبو جعفر (95 -158 هـ / 714 -775م) كان معتنيًا بالعلوم محبًّا للعلماء، عارفًا بالفقه والأدب، تولىّ الخلافة بعد وفاة أخيه السفّاح سنة (136 هـ/754م)، بنى مدينة "بغداد" بعد أن أمر بتخطيطها سنة (145هـ/762م)، ومن آثاره: مدينة " المصيصة "، و" الرافِقة " بالرقّة، وزيادةً في المسجد الحرام، وفي أيّامه بدأت ترجمة علوم اليونانيّين والفرس، ومن صفاته، أنّه كان كثير الجدّ والتّفكير، بعيدًا عن اللّهو والعبث. أنظر، الطبري(أبو جعفر، مُحمّد بن جرير(224-310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، (1387هـ/1967م)، ج7، ص471 .؛ المسعودي (أبو الحسن، على بن الحسين بن على ت 346هـ): التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، (د ط)، دار الصاوي، القاهرة، (د ت)، ج1، ص295 .، ابن الجَوْزي (جمال الدّين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن عليّ بن مُحمّد ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمّم والملوك، تح: مُحمّد عبد القادر عطا، مصطفي عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1412هـ/ 1992م)، ج7، ص334م.

5 عليّ المكتفي باللّه بن أحمد المعتضد، ابن الموفّق، ابن المتوكل، أبو مُحمّد (264 -295 هـ / 876 -908 م)، أحد خلفاء الدّولة العباسيّة في العراق، بويع بالخلافة عند موت والده بعهدٍ منه، في جمادى الأولى، سنة(289هـ/902م)، فاستخلف ستة أعوام ونصفًا، وفي أيّامه فُتحت أنطاكية. أنظر، ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج13، ص3.؛ ابن العمراني (مُحمّد بن عليّ بن مُحمّد ت 580هـ)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السّامُرّائي، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، (1421هـ، 2001م)، ص150.

6 الحديث عن أهميّة مدرسة جندي سابور، أتعرض له في الفصل الثاني -المدارس الطبيّة القديمة ودورها في الطبّ الإسلامي-.

7 ابن أَبي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص279-284.

إلى هذا العنصر بالنّظر إلى أهميتّه، فذكر الأطبّاء المترجمين والنّاقلين للموروث اليوناني إلى اللّغة العربيّة، وقد وضع تراجمهم في قالَبٍ مختصرٍ جدًّا، من سطرٍ إلى سطرين، وكان عدد الّذين ذكرهم من المترجمين ونقلة الكتب ثمانيّة وأربعين، أمّا الأبواب، من العاشر إلى الباب الخامس عشر، فقد ذكر فيهم طبقات الأطبّاء حسب الأقاليم؛ نذكرها مرتبّة حسب الأبواب، العراقيّين وأطبّاء الجزيرة[1]، ثمّ أطبّاء العجم[2]، كما ذكر أطبّاء الهند[3]، وذكر أطبّاء المغرب والأندلس[4]، وأطبّاء ديَّار مصر[5]، وأخيرا أطبّاء الشّام[6].

وفي هذه الأبواب ذكر أسماء الأطبّاء المشهورين من هذه المناطق، مهتمًّا بذكر فضلهم في الطبّ، وفي العلوم الحِكميّة والفلسفيّة، ذاكرًا لنوادرهم وحكاياتهم ومؤلَّفاتهم، وأشار إلى معاملاتهم مع المرضى وعن خَدماتهم للسّلاطين ... وكان عدد الذين ذكرهم من الأطبّاء العراقيّين وأطبّاء الجزيرة وديّار بَكْر ثلاثة وثمانون طبيبًا، من غير ما ذكره من نَقَلة ومترجمين، وعدد الّذين ترجم لهم من الأطبّاء الذين ظهروا ببلاد العجم أربعة وعشرين طبيبًا، أمّا أطبّاء الهند، فذكر منهم ستّة، تواجد معظمهم في العاصمة بغداد، وكان عدد المترْجَم لهم من أطبّاء بلاد المغرب سبعة وثمانين، في حين ترجم لثمانيّة وخمسين طبيبًا من المشهورين من ديّار مصر، وترجم لتسعةٍ وخمسين من أطبّاء الشّام، وهاتين البيئتين الأخيرتين مصر والشّام بدت فيهما شخصيّة الطَّبيب ابن أَبِيُ أُصَيْبِعَة، من خلال علاقاته مع أطبّاء بيئته وعصره، فذكر بعضًا من مراسلاته وأخباره معهم، باستثناء طبيب واحد كان علامة استفهام لدى المؤرّخين، بحكم تواجدهما مع بعض تلامذة وأطبّاء، والمقصود هنا هو "ابن النّفيس"[7].

وممّا يجب التّنبه إليه أنّ حظّ النّساء الطّبيبات في كتاب عيون الأنباء وطبقات الأطبّاء شبه معدوم، مع العلم أنّه اشتهر في الحضارة الإسلاميّة عديد الطّبيبات[8]، فمن بين حوالي 440 طبيب لم يذكر إلّا

[1] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص285-412.
[2] أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص413-472.
[3] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص473-477.
[4] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص478-539.
[5] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 540-602.
[6] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص603-768.
[7] ابن النّفيس، عليّ بن أَبِي الحزم القَرْشي، علاء الدّين الملقّب بابن النّفيس (687 هـ /1288م)، مولده في دمشق، ووفاته بمصر، شيخ الأطبّاء فِي عصره، اشتغل على الدّخوار حتّى برع وتميّز في الطّب والعلاج والعلم، من مؤلّفاته "الشّامل في الطّب"، والمهذَّب في الكُحل"، و"شرح القانون لابن سينا، ومات في ذي القعدة بعد أن أوقف داره وأملاكه وجميع ما يتعلّق به على البيمارستان المنصوري بالقاهرة. أنظر، ابنُ تَغري بَرْدي، النجوم الزاهرة، ج7، ص377.؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج9، ص615.؛ الذّهبي، تاريخ الإسلام، ج15، ص597.
[8] ولعلّ أنّ من أشهر الطّبيبات "رُفيدة الأسْلميّة" الّتي اتّخذت خيمةً تداوي فيها الجرحى. أنظر، السيّد الجميلي، غزوات النبي -صلّى الله عليه وآله وسلّم-، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1416هـ، ص83.

ثلاثة، الأولى، زينب، طبيبة بَني أَودٍ[1]، ذكرها في طبقات الأطباء الّذين كانوا في أوّل ظهور الإسلام، فقدّم لها ترجمة مختصرة؛ قال عنها: "كانت عارفة بالأعمال الطبّيّة خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب بذلك"[2]، أمّا الطّبيبتين الأخريتين فهُما، أخت الحفيد أبي بكر بن زَهْر(ت 595هـ/1198م)[3] وابنتها؛ قائلًا: "وكانت أختُه وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطّب والمداواة، ولهما خبرة جيّدة بما يتعلّق بمداواة النّساء، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور، ولا يقبل للمنصور وأهله ولدًا، إلّا أخت الحفيد أو بنتها"[4].

4-الطَّبيب ابن النَّفِيس وقضيّة تغيّبه في كتاب "عيون الأنباء وطبقات الأطباء":

من القضايا التي لا يمكن تجاوزها أو التّغافل عنها هو خلوّ كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء من ترجمةٍ للطبيب ابنُ النَفيس، ممّا يستدعي التساؤل، أسببُها عداوة وقعت بينهما، كما ذكر المستشرق الألماني ماكس مايرهوف Max Meyerhof[5] فأغفل الطّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة ذكره؟ أم أنّ هذه مجرّد اتهامات لاحقت الطّبيبيْن، فيكون الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة قد ذكر أخبارًا عنه لكّنها فُقِدت؟، أم أنّه لم يذكره لسببٍ آخر من غيرِ عداوةٍ أو دسائس وقعت بينهما؟

أُثيرت هذه المشكلة بسبب خلوّ كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء الّذي تداوله النّاس من أيّةِ ترجمةٍ للطّبيب ابن النّفيس (ت687هـ /1288م)، في حين ترجم لأكثر من أربعُمائة طبيب[6]، وذلك بالنّظر لعلاقة الطّبيبيْن ببعضهما البعض، فقد تَتلمذا الاثنان على يد الطّبيب مهذّب الدّين عبد الرّحيم

1 نسبةً إلى الأَوْدِي، بفتحِ الألف وسكون الواو وفي آخرها الدال المهملة، هذه النسبة إلى أَوْد بنُ صعب بن سعد العشيرة من مذحج، والمشهور بهذه النسبة، أبو إدريس إبراهيم بن أَبي حديد الأَوْدِي. أنظر، السَّمْعَاني (أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت 562هـ)، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبةُ ابن تيميّة، القاهرة ج1، ص382.

2 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص181.

3 الوزير الحكيم الأديب، أبو بكر، مُحمّد بن أَبي مروان بن أَبي العلاء بنُ زَهْر، ولد بأشبيليّة وبها نشأ، أخذ الطّب عن أَبيه وباشر أعمالها، وُيوصف بأنّه قد أكمل صناعة الطّب والأدب وعانى عَمل الشعر وأجاد فيه. ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص521.

4 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص524.

5 الدكتور ماكس مايرهوف (1874 – 1945م) Max ،Dr. Meyerhof، ولد في هيلشتايم. تعلّم الطّب ونال الدكتوراه فيه (1897م)، سافر إلى مصر سنة 1900م، ثمّ استقرّ فيها واعتكف على دراسة الطّب العربي. وقد انتخب نائب رئيس المعهد المصري، والجمعيّة الطّبية المصريّة، ثمّ عُين أستاذ تاريخ الطّب في جامعة ليبزيج (1930)، ولكنّه آثر القاهرة وتوفيّ فيها، فكان مايرْهُوف من كبار أطباء العيون العالميّين، وفي طليعة مؤرّخي الطّب العربي، وتعدّ اكتشافاته فيه وكتابته عنه بالفرنسيّة والإنجليزيّة والألمانيّة مرجعًا دقيقًا وافيًا، من آثاره: "مراكب العقاقير والعطور في القاهرة" (1918م)، و"كتاب العشر مقالات في العَيْن" لحُنَيْن بن إسحق، وغيرها كثير. أنظر، نجيب العقيقي، المستشرقون، ط3، دار المعارف القاهرة، مصر، 1964م، ج2، ص766.

6 Ibn al-Nafis, Abrégé Du Canon D'avicenne, traduit par: Amor Chadli et Ali Hemrit, Simpact, 2006, avant-propos, p23.

بن عليّ الدَّخْوار[1]، وتزاملا في البيمارستان النّوري بدمشق، ثمّ في البيمارستان النّاصري بالقاهرة[2]، حيث كان الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة رئيسًا لقسم الرَمَد، وكان الطَّبيب ابن النّفيس مديرًا له، فلمّا غادر إلى صَرْخَد، رأى بعضهم أنّ سَبب هذه المغادرة يعود لخلافٍ وقع بينهما[3]؛ بل أكثر من ذلك أنّه لم يذكر اسم "ابن النّفيس" في الكتاب، ولم يشر إلى أيّ علاقة بينهما، مع أنّه ذكر علاقاته مع آخرين، وجعل المستشرق ماكس مايرهوف عدم ذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة له بمثابة إشهادٍ على شحّ المعلومات حول الطَّبيب ابن النّفيس[4].

وعلى الرّغم ممّا تقدّم فقد وُجدت بعض القرائن الّتي تؤدّي إلى عكس ذلك، ففي سنة 1983م قد أفادنا المستشرق بول غليونجي Paul Ghalioungui[5] بمعلومةٍ عن المحقّق والمؤلّف "يُوسُف العُشّ" على أنّ هذا الأخير قد عَثر في دار الكتب الظاهريّة بدمشق على مخطوطٍ لم يذكر عنوان اسم مؤلِّفه، تبيّن بمقابلتِه بكتاب "عيون الأنباء" أنّه هو نفسه، إلّا أنّه جاء فيه اختصار لبعض الجمل والألفاظ، وقد وجد تقسيمه للمؤلّفين متشابهًا، باستثناء الجزء الخاص بأطبّاء الشّام، حيث وجد ستّة تراجم فقط وكلّها مختصرة، من بينها ابن النفيس الّذى لم يُترجَم له في النسخة المتداولة المطبوعة، وقد كانت ترجمة مختصرة في آخر المخطوط[6]، نصّها: "علاء الدّين بن أبي الحَزم القُرشي المتطبّب _ القرش بفتحتين، قرية في قرب الشّام– كان شيخًا فاضلًا كالبحر الخِضّم، والطَّوْد الأشمّ للعلوم، ولم يكن منفردًا بفنٍّ من الفنون، ولم يكن له غير شرحِ غوامِض كتاب "القانون"، لكنّه دليلٌ على غزارة فضله، وكذلك تصانيف كثيرة في جميع الأنواع، مقبولة عند المحقّقين في أكثر البقاع، مشتملة على حقائق الأنظار ودقائق الأفكار ولطائف الإشارات وطرائف العبارات، وخاصّةً الكتاب المسمَّى موجز القانون، وكتاب الشّامل الّذي ذُكر فيه اختلافات مذاهب العلماء وتفنّن معتقدات معاشِر الحكماء في أصناف العلوم والحكمة، مع ما هو اللُّباب والنّقاوة

---

1 ماهر عبد القادر، المرجع السابق، ص93.

2 رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطّب عند العرب، (د ط)، دار المناهل، بيروت، لبنان، (د ت)، ص281.

3 بول غليونجي، المرجع السابق، ص113.

4 ماكس مايرهوف، ابن النفيس، مُوجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م، ج1، ص281.

5 بول غليونجي (1326 – 1407 هـ- 1908 – 1987 م)، رائد طب الغُدد الصمّاء في مصر، يعد أشهر طبيب لعلاج مرض السكر، وقد كان أستاذًا ورئيسًا لقسم الأمراض الباطنيّة بكليّة طبّ جامعة عين شمس، وزميلًا بكليّة الأطبّاء الملكيّة بلندن، ونائبًا لرئيس الجمعيّة الدوليّة لتاريخ الطّب وهو حائز على جائزة الدولة التقديريّة، اشتهر بمؤلّفاته العلميّة، ومؤلّفاته عن تاريخ الطّب عند الفراعنة المصريين القدماء، ومؤلّفاتٍ عن أعلام الطّب العربي الإسلامي؛ ككتاب بعنوان "عبد اللّطيف البغدادي طبيب القرن السّادس الهجري: شخصيّته، إنجازاته" وآخر بعنوان "ابن النفيس: طليعة العهد العلمي في الطّب" وغيرها. أنظر، مُحمّد خير رمضان يوسف، تتمّة الأعلام للزِركلِي، ط2، دار ابن حزم، بيروت، 1422ه، ج1، ص90.

6 لعلّ السبب في إيجاز هذه الترجمة، أنّ المؤرّخ كان قد توفيّ قبل زميله ابن النفيس بنحو ثمانيّة عشر عامًا، أنتج فيها ابن النفيس الكثير من مؤلّفاته، خاصّةً في الطّب الذي تعلّم فيه واشتغل به على كِبر. أنظر، بول غليونجي، المرجع السابق، ص115.

من حُججهم وأدلّتهم مع البسيط المشْبع والبيان الشافي المقْنع، وله كتب كثيرة وتصانيف جليلة، وله أيضًا شرح الفصول لأبقراط، وثِمار المسائل، وكتاب النّبات في الأدوية المفْردة، وكتاب مواليد الثلاثة، وجامع الدّقائق في الطبّ، وكتاب الشافي، ورسالة في أوجاع الأطفال"[1].

لكن إذا سلّمنا بصحّة هذا النصّ، فما مصير النصّ الآخر الذي وجدناه في كتاب" مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "للمؤرّخ ابن فضل الله العُمَري (ت749هـ/1348م) ، فقد كان أحد مصادره في ترجمة ابن النّفيس، والنصّ مختلف كلّ الاختلاف عن سابقه، قال العُمري: قال ابن أَبي أُصَيْبِعَة[2]–عن ابن النّفيس–: "نشأ بدمشق، واشتغل بها في الطبّ على المهذّب الدّخوار منجبًا، تخرّج عليه جماعة منهم: الرضِيّ وابن قاضي بعلبك، والشمس الكليّ، وكان علاء الدّين إمامًا في علم الطبّ لا يُضاهى في ذلك ولا يُدَانَى، استحضارًا واستنباطًا، واشتغل على كِبَر، وله فيه التصانيف الفائقة والتّواليف الرائقة، صنّف كتاب" الشّامل" في الطب، تدلّ فهرسته على أنّه يكون في ثلاث مائة سَفَر، هكذا ذكر بعض أصحابه، وبيّض منها ثمانين سفرًا، وهي الآن وقف بالبَيْمَارِسْتَان المنصوري بالقاهرة، وكتاب" المهذّب" في الكُحْل، و" شرْح القانون" لابن سينا، في عدّة أسفار، وغير ذلك في الطب، وهو كان الغالب عليه"[3].

وإذا كان هذا النصّ واضحًا، فلماذا يصرّ المستشرق ماكس مايرهوف، على أنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة لم يذكر الطَّبيب ابن النّفيس، أم أنّه لم يقف على هذا النص، وهو سؤالٌ قد يتبادر إلى أيّ قارئ لهذا النص، ولذلك وجب القول بأنّ المستشرق ماكس مايرهوف قد وقف على هذا النصّ وعلّق عليه، فذكر أنّ صاحب مسالك الأبصار، قد أخطأ حينما أدرج اسم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، ودليله في ذلك أنّ "عيون الأنْباء" لا يوجد فيه نصٌّ مشابه[4].

إذن فالمعطيات الّتي بين يدينا، أنّ المستشرق ماكس مايرهوف ينفي ورود ترجمة للطبيب ابن النّفيس عند ابن أَبي أُصَيْبِعَة ويدّعي خصومة بينهما، فيأتي المستشرق بول غليونجي باللغة الأجنبيّة ويُدحض قوله استنادا إلى مخطوط وجده يوسف العش يبيّن عكس ذلك مدرجا نصّ الترجمة الواردة[5]، ثمّ يأتي باحث

---

1 بول غليونجي، المرجع نفسه، ص114.

2 حتّى وإنْ صحّ النص، فلا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال التّسليم بوروده في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، لأنّه لم يذكر صراحةً عنوان الكتاب، وربّما كان قد أخذه من أحد مؤلّفاته الأخرى المفقودة.

3 ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج9، ص ص615، 616.

4 بول غليونجي، المرجع السابق، ص ص115، 116.

5 يرى بول غليونجي، أنّ يوسف العُش بعثوره على هذا المخطوط قد حلّ لغزًا، كما أنّه برّأ ابن النّفيس من دسيسة المؤرّخين ردحًا من الزّمن خيرٌ أو مكيدة افتريت عليه، ولم تتّفق مع ما اشتهر به من سموّ الخُلق وطيب السّريرة. أنظر، بول غليونجي، المرجع نفسه، ص115.

آخر في سنة 1991م وهو "يوسف زيدان" ليجعل كلّ ذلك في موضعِ شكٍّ نافيًا ورود ذلك في أيّ مخطوط[1]، وفي المقابل يرفض المستشرق مايرهوف نصّ "مسالك الأبصار"، ممّا يفتح المجال من جديدٍ للبحث أكثر، تحقيقًا لقول المؤرّخ ابن الجَوْزي(ت597هـ/1200م):" ورأيتُ المؤرّخين يختلف مقادُهم فِي هذه الأنباء ...ومعلومٌ أنّ الكلّ مطلوب، والمحذوف من ذَلِكَ مرغوب"[2].

وعلى العموم ذُكر اسم الطَّبيب ابن النفيس أو لم يُذكر هذا لا يُنقص من قيمة كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، فلا يسعنا إلّا القول بأنّ هذا الكتاب يُعدّ موسوعة طبيّة أرّخت للطبّ وللأطبّاء، وشملت أغلب مناطق العالم من الهند إلى الفرس إلى الجزيرة والعراق وبلاد الشّام ومصر والمغرب ... لم يميزّ الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة بين الطّبيب العربي وغير العربي وبين الطّبيب الإسلامي والمسيحي واليهودي والصابئ لتفوق عدد تراجمه 400 ترجمة، احتوتها 793صفحة.

5–موارد الطّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء":

تنوّعت موارد الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة في كتابه هذا، باعتماده مصادر مكتوبة مختلفة، حافظًا لنا بذلك نصوصًا وروايات وأخبارًا؛ منها ما وصلنا، ومنها ما ضاع بضياع هذه الكتب، كما حفظ لنا أقوالًا رواها عن أصحابها سماعًا ومشافَهةً مُدوِّنًا إيّاها ليحفظها بذلك من الضَّياع، وقد حاولت قدر الإمكان إحصاء هذه المصادر بالشكّل التالي:

أ– الموارد من الكتب:

–كتب اليونانيّين:

اعتمد الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة على المؤلّفات القديمة مُثريًا بها كتابه، خاصّةً في الأبواب الأولى منه، ممّا يدلّ على اطّلاعه على تلك المصادر، وقد نالت مؤلّفات الحكيم جالينوس الحظّ الأوفر، لذَيا ع صيْتِها ولتعلُّق الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة بها كما ذكرت سابقًا، وهذه المصادر جاءت كالآتي:

المؤلّف	الكتاب	عدد المرّات على الأقلّ	الصّفحات
جالينوس	**تفسيره لكتاب الإيمان لأبقراط.**	**خمس مرّات**	**11، 13، 20، 33، 44، 133**

[1] Ibn al-Nafis, op cit, p23.

[2] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمّم والملوك، ج1، ص115.

	كتابه في حِيلة البُرْء.	مرّتان	30،19
	كتابه في الأدويّة المسهِّلة.	مرّة واحدة	16
	كتابه في فينكسFINAKES".	خمس مرّات	30، 126، 127، 145
	لم يذكر اسم الكتاب.	تسع مرّات	30، 34، 35، 47، 55، 59، 126، 128، 133
	كتابه مراتب قراءة كُتبه.	مرّة واحدة	110
	كتاب مسارِب التجارب وغَوارب الغرائب.	مرّة واحدة	110
	كتاب علم التشريح.	مرّتان	113، 117
	تفسير كتاب أفلاطون في السّياسة.	مرّة واحدة	116
	كتابه في الفَصْد أبقراط.	مرّة واحدة	19
	كتاب النَبْض الكبير.	مرّة واحدة	117
	محنة الطّبيب.	مرّتان	121، 127
	كتابه في الأمراض العَسِرة.	مرّة واحدة	123
	كتاب قاطاجانس.	مرّة واحدة	123
	نوادر تَقْدُمة المعرفة.	مرّة واحدة	127
	كتاب الصناعة الصغيرة.	مرّة واحدة	134
	كتابه في أخلاق النفس.	ثلاث مرّات	47، 110، 131
أفلاطون	كتاب السياسة.	مرّة واحدة	31
	كتاب النواميس.	مرّتان	31، 167
	احتجاج سقراط على أهل أثينيّة.	مرّة واحدة	76
بطْليموس	في كتابه إلى غلس في سيرة أرسطوطاليس وخبره ووصيّته وفهرست كتبه المشهورة.	ثلاث مرّات	86، 94، 103
أبقراط	لم يذكر الكتاب.	مرّتان	46، 49
	كتاب إبيدِيميا.	مرّة واحدة	47
أندروماخس	لم يذكر الكتاب.	مرّة واحدة	23

أرسطوطاليس	كتاب سُوفسيطيقا.	مرّة واحدة	92
دياسقوريدس	كتاب دياسقوريدس	مرّة واحدة	59
فرفوريوس	في أخبار الفلاسفة وقِصصهم وآرائهم.	مرّتان	63، 69

تحليل الجدول:

- اعتمد الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة على ثمانيّة مؤلِّفين من القُدماء، أخذ عنهم من خمسٍ وعشرين كتابًا، في ثلاث وخمسين موضعًا، منها اثنا عشر موضعًا لم يذكر فيه اسم الكتاب، وأمام هذا الكمِّ من الكتب المطلَّع عليها تظهر تلك الجدّية والموسوعيّة الّتي تميّز بها المؤلِّف، وربّما كان له معرفة باللغة اليونانيّة، حيث نجده يتكلّم عنها ويوضِّح عديد الأمور فيها[1]. وقد اعتمد على هذه المصادر حصرًا في الأبواب الخمسة الأولى[2]، عند تكلّمه على مبدئيّة صناعة الطبّ، وعند تراجمه للأطبّاء اليونانيّين، وبذلك يكون قد فاضَل المصادر الأصيلة والقريبة من الفترة المراد دراستها.
- حازت كتب الحكيم جالينوس(ت 216م) على الأوّلوية عند الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة؛ فقد اعتمد على سبعة عشر كتابًا، أخذ منها في ثمان وثلاثين موضعًا على الأقلّ، ويدلّ هذا على سعة اطّلاعه على كتبه من جهة، ومن جهة أخرى يتأكّد لنا في كلّ مرّة تعلُّق الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بجالينوس وإعجابه به، وكذلك لأنّ تلك المصادر الأولى للطب، ولذلك كان يبجّل أستاذه ضياء الدّين بن البيْطار(ت646هـ/1248م) ويتعجّب من قوّة حفظه، فقد كان يستحضر في كلِّ مرّةٍ معلومات من كتب جالينوس، دون الرّجوع إلى كتبه[3]، وهذا يؤكّد أنّ ما فعله هو بحث علمي أكاديمي.
- كما اعتمد على ثلاثة مؤلّفات لأفلاطون في أربعة مواضع، واعتمد على بطْليموس وفرفُوريوس وأبُقراط في مرّتين في كلّ واحدٍ منهما، في حين باقي المصادر اعتمدها مرّة واحدة، وهنا لم تتوفر لي المعلومات. إنْ كان اطّلع عليها مترجمةً أم من مصدرها الأصلي؟

[1] مثال ما ذكره أن تُنطق الجيم غينًا أو كافًا، نحو قولِ جالينوس أو غالينوس أو كالينوس، ثمّ ذكر معلومةً عن أحد المصادر، أنّه كلّ ما كان من الأسماء الموضوعة من أسماء الناس وغيرهم يكون آخرها سين، والسين في لغة اليونانيّين حكمها حكم التنوين في العربيّة، ويعلّق ابن أَبي أُصيبِعة على ذلك، أنّه توجد أسماءٌ يونانيّة وهي قليلة لا تنتهي بالسين مثل، سقراط وأفلاطون وأنالوطيقيا، ونيقوماخيا، وترياق، وحكمها حكم بعض الأسماء العربيّة التي لا يكون فيها التنوين. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص ص 129، 130.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 11–150.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص601.

- المصادر المكتوبة في العصر الإسلامي:

أشار الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة إلى مصادره المكتوبة زمن الحضارة الإسلاميّة، وكان أكثر اعتماده على المؤلّفات قبل القرن الخامس الهجري، ربّما لعدم توفّره على الموارد الشّفوية؛ إذ أنّ أسلوب الكتابة لم يكن من ابتكاره، على الرّغم من تفرّده بقيمة المعلومات الّتي قدّمها عن تراجمه، فاستوحى عديد المعلومات من الكتابات الّتي سبقت عصره، وفي هذا الجدول أرتّب المصادر الأكثر اعتمادًا، مع ذكر عدد المرّات:

المؤلّف	الكتاب	عدد المرّات على الأقلّ	رقم الصفحة
يوسف بن إبراهيم أبي الحسن المعروف بابن الدَّايَة (ت265هـ/878م)[1]	لم يذكر[2]	75 مرّة	175 ،249، 251، 257، 259، 375.
حُنَيْن بن إسحق (ت260هـ/ 873م)	نوادر الفلاسفة والحكماء.	37 مرّة	34، 36، 145، 148، 276 .
سُليمان بن حَسّان، المعروف بابنِ جُلْجُلْ (بعد 377هـ/بعد987م)	طبقات الأطبّاء والحكماء	27مرّة	38، 79،161، 286، 311، 495.
أبو الوَفاء المبشر بن فَاتك (ت نحو500هـ/1106م)	كتاب مختار الحِكم ومحاسن الكَلِم[3]	24مرّة	18، 131، 318، 560.

[1] يوسف بن إبراهيم، أبو الحسن، ابن الدّاية (ت265 هـ / 878 م)، من موالي إبْراهيم بن المهْدِي،كان ابن دايته، ونشأ في خدمته، ورحل إلى مصر، وفي أيامه وليّ مصر أحمد بن طولون، وحبسه مرّةً في جانبٍ من داره، وكاد يقتله لولا تشفّع النّاس له، له كتاب في " أخبار الأطبّاء "، وكتاب آخر في " أخبار ابن المهدي ". أنظر، الحَموي (شهاب الدّين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي ت626هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1414هـ/ 1993م)، ج2، ص557.

[2] أكثر الظنّ، أنّه اعتمد كتاب "تاريخ الأطبّاء" لقوْل الزِّرِكلِي: "له كتابٌ في " أخبار الأطبّاء " ... نقل عنه الطبيب ابن أَبي أُصيبِعة جملةً في التعريف بموضعِ جالينوس ومسكنه". أنظر، الزِّرِكلِي: الأعلام، ج8، ص212.

[3] يقول محقّق الكتاب، أنّ ابن أَبي أُصيبِعة اعتمد على هذا المؤلّف، ووصفه بالأمين في نقْله، ملمِّحًا إلى استعانته به في تحقيق الكتاب، قال: " وكان ابن أَبي أُصيبِعة أمينًا ففي كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، ... نقول إنّه في كتابه هذا نَقَل صفحاتٍ طويلة من كتابِ المبشّر بن فاتك، ولكنّه أشار إلى ذلك صراحةً في: كلِّ موضعٍ كان ينقل عنه". أنظر، أبو الوفاء المبشر بن فاتك، مختار الحكم ومحاسن الكلِم، تح وتع: عبد الرحمن بدوي، ط2، دون دار نشر، 1980م، ص11.

أبو القاسم، صاعِدْ بن أحمد بن صاعد(ت462هـ/1072م)[1]	كتاب طبقات الأمّم	20مرّة	61، 70، 287، 496، 517، 605.
عُبَيد الله بن جِبرائيل	مناقب الأطبّاء	22مرّة	111، 207، 330، 416 .
فَثْيون التُّرجُمان[2]	لم يذكر الكتاب	19مرّة	183، 186، 198، 242.
ابن النّدِيم البَغْدَادي (ت380 هـ/990م)	كتاب الفَهْرَسَتْ	17مرّة	91، 151، 288، 300.
المختار بنُ حسن بن بطلان (ت 458هـ/1066م)	مقالة في علَّة نقْل الأطبّاء المَهَرَة تدبير أكثر الأمراض وكتاب دعوة الأطبّاء.	14 مرّة	151، 323، 328، 563.
ثَابِت بنُ سِنان بنُ ثابِت (ت 363هـ/ 973م)	كتاب التاريخ	14 مرّة	206، 305،297، 320.
إسحاق بنُ حُنَيْن (298هـ/ 910 م)	لم يذكُر الكتاب	11 مرّة	60، 81، 110، 234، 275 .
موفّق الدين أسعد بن إلياس بن المُطران (ت587هـ/ 1191م)	كتاب بُستان الأطبّاء ورَوْضة الأَلْباء	11 مرّة	13، 16، 117، 375 .
جمال الدين بن القِفْطي (ت646هـ/ 1248م)	أخبار العلماء بأخبار الحكماء	11 مرّة	405، 414، 551، 673.
إسحق بن علي الرُّهَاوي(ق4هـ)	كتاب أدب الطّبيب	10 مرّات	191، 225، 242، 246.
أَبُو عَلِيٍّ الْقَبَّانِيُّ الحُسَيْن بن محمد بن زِياد (289هـ/ 902م)[3]	لم يذكر الكتاب	7 مرّات	208، 228، 239، 262 .

[1] المؤرّخ أبو القَاسم، صَاعد بن أحمد بن عبد الرّحمن بن صَاعد، الأندلسي التَغْلَبي، (420 –462 هـ / 1029 –1070م)، قرطبي الأصل ألميري المولد،كان من أهل المعرفة والذكاء، تولّى القضاء في طُليطلة إلى أن وافته المنيّة، من مؤلّفاته جوامع أخبار الأمّم من العرب والعجم، وصِوان الحكم، في طبقات الحكماء)، وتاريخ الأندلس، وطبقات الأمّم. أنظر، ابن بشكوال (أبو القاسم، خَلَف بن عبد الملك ت 578 هـ)، الصِلة في تاريخ أئمّة الأندلس، صحّحه وراجع أصله: السيّد عزّت العطّار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، (1374هـ، 1955م)، ص232.؛ الزِّرِكلي، الأعلام، ج3، ص186.

[2] ذكره ابن أَبي أُصيبِعة في طبقات النَقلة، وذكر اطّلاعه على نقْلِه دون ذكرٍ لكتبه، في قوله عنه: "وجدتُ نقْلَه كثير اللَحْن ولم يكن يَعرف علم العربيّة أصلا". أنظر، ابن أُصيبِعة، المصدر السابق، ص280.

[3] أحد أركان الحديث، وحُفَّاظه، رحل وأكثر، وصَنَّف الأبواب والتاريخ والكُنى. أنظر، عبد الغني المقدسي (أبو مُحمّد بن عبد الواحد ت 600 هـ)، الكمال في أسماء الرجال، تح: شادي بن مُحمّد بن سالم آل نعمان، ط1، الهيئة العامّة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسُنّة النبويّة وعلومها، الكويت، وشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، الكويت، (1437هـ/2016م)، ج4، ص221.

موفَّق الدين عبد اللطيف البغدادي(ت629هـ/ 1231م)	**لم يذكر اسم الكتاب**[1]	**7 مرّات**	**350، 685، 691**

من خلال الجدول، يلاحظ أنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة اعتمد على مصادر كثيرة ومتنوّعة، بعضها يُصنّف ضمن المفقودات ككتاب "مناقب الأطبّاء"[2] لعُبَيْد الله بن جِبْرَائِيل الطّبيب(ت450هـ/1049م)، وكتاب "بُستان الأطبّاء ورَوْضة الأَلْباء" للطّبيب ابن المِطْران موفّق الدين(ت587هـ/1192م) الّذي وجده الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في جزأين، في قوله: "ولموَفّق الدّين بن المطران من الكتب: كتاب بستان الأطبّاء ورَوضة الألباء، غرضُه فيه أن يكون جامعًا لكلّ ما يجده من مُلَحٍ ونوادرٍ وتعريفاتٍ مُسْتَحسَنَة ممّا طالعه أو سمعه من الشيوخ..."[3]، وبعض الكتب وصلت إلينا ككتاب "طبقات الأطبّاء والحكماء" لابن جُلْجُل، و"كتاب الفَهْرَسَت" لابن النديم، وكتاب "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" للقِفْطي، وكتاب "أدبُ الطّبيب "للرُّهاوي.

وفي أغلب المواضع يقوم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بالنّقل الحرفي للنّص، كما يُحيل إلى مصدره، من أمثلة ذلك، ما نقله عن الطّبيب المؤرّخ ابن جُلْجُل في مادة يُوحَنَا بنُ مَاسَوَيْه[4]، وقد تكون النّصوص المقتبَسَة من عند هؤلاء طويلة، نورد من ذلك مثالًا؛ فقد أخذ عن المؤرّخ الرُّهاوي، في كتابه أدب الطّبيب، نصًّا حول الطّبيب مَاسَوَيْه -أبو يُوحَنا- وحكاياته مع الوزير الفضل بن الربيع[5]، والخليفة هارون الرشيد في حوالي ثلاث صفحات[6].

وتوجد هناك مصادر أخرى كانت أقلّ حظًّا نقل منها الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في أقلٍّ من خمسة مواضع، أبيِّنها في الجدول التالي:

[1] يستعمل ابن أَبي أُصيبِعة في أغلب المواضع عبارة "ونقلتُ من خطّ الشيخ موفّق الدّين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي"، كما نجده اعتمد عبارة "ومن كلام موفّق الدّين عبد اللطيف البغدادي، ممّا نقلتُه من خطّه". أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، مصدر السابق، ص350، 375، 471، 691.

[2] ذكر فيه شيئًا من أحوالهم ومآثرهم، وكان تأليفه لذلك في سنة(423هـ/1032م). أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 214.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص658.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص346.؛ ابن جلجل، طبقات الأطبّاء والحكماء، ص 65.

[5] الفضلُ بنُ الربيع بن يونس، أبو العباس (138 -208 هـ /755 -824م)، استحجبه الخليفة العباسي المنصور لما قلّد أباه وزارته، ثمّ وزَر للرشيد بعد البرامكة وللأمين بعده. أنظر، المرزباني (أَبو عبيد الله، مُحمّد بن عمران ت384 هـ)، معجم الشعراء، تص وتع: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط2، مكتبة القدسي، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، (1402هـ/ 1982م)، ص312.؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج4، ص37 وما بعدها.

[6] الرُّهاوي (إسحاق بن عليّ ت ق4هـ)، أدب الطّبيب، تح: مريزن سعيد مريزن عسيري، ط1، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، (1412هـ/ 1992م)، ص226 -228.؛ ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص242 -244.

المؤلِّف	الكتاب	عدد المرّات على الأقلّ	الصفحات
أَبُو الحَسَن، عليّ بنُ رضوان.	شرحه لكتاب جالينوس وكتاب المنافع في كيفيّة تعليم صناعة الطبّ.	4 مرّات	20، 44، 154، 480.
أبو معشر الْبَلْخِي، جعفر بن محمّد	المقالة الثانيّة من كتاب الأُلوف وكتاب المذكرات.	3 مرّات	29، 31، 286.
أبو سليمان، محمّد بن طاهر بن بَهرام السِّجِسْتاني.	المنطقي في تعاليقه.	4 مرّات	29، 91، 151، 260 .
يحيى النّحْوي	لم يُذْكَر.	4 مرّات	33، 39، 41، 109.
أبو الحسين، علي بن الحسين المسعودي.	المسَالِك والممَالِك.	4 مرّات	86، 90 ، 111، 124 .
جِبرائيل بن بَخْتِيشُوع.	لم يُذكر.	مرّتان	118، 119.
ابن بَخْتَوَيْه.	كتاب المقدّمات.	مرّتان	124، 288.
أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي[1]	كتاب الخَواص، وكتاب الحَاوي.	4مرّات	24، 129، 159، 232.
أبو الفَرَج ابن هِندو.	كتاب مِفتَاح الطِبّ.	3 مرّات	157، 429، 430.
أبو الفَرج الأصْبَهاني.	الأغَاني.	3مرّات	170، 181، 201.
أبو الريحان البَيْروني.	كتاب الجْمَاهِر فِي الجْوَاهِر.	مرّتان	207، 459.
محمّد بن سَلام.	لم يذكر الكتاب.	مرّتان	215، 216.
أَبُو جَعْفَر، أَحْمد بن يُوسُف بن إِبْرَاهِيم.	رسالة في المكافأة وكتاب حُسْنُ العُقْبى.	مرّتان	264، 286.
هِلَال بن المحسن بن إِبْرَاهِيم.	لم يُذكر.	3 مرّات	304، 309، 310.
مهذّب الدّين عبد الرّحيم بن علي.	لم يُذكر.	مرّتان	611، 613.

[1] من الغريب أن نجد الطبيب ابن أَبي أُصيبِعة لا يعتمد على المؤلّفات الإسلاميّة، كالرازي مثلًا، نظرًا لشهرته وذَياع صَيْتِه وتوفُّر مؤلّفاته، وقد يبرّر ذلك بعدم اهتمام ابن أَبي أُصيبِعة بالجانب الطِّبي البحت، كالأمراض والعلاجات والوصفات وغيرها؛ بل كان جلّ اهتمامه ذِكر أخبار جانبيّة تخص الطّبيب كالنوادر والحكايات وذِكر وصفٍ عام للطبيب، من حيث قوّته في الطّب مِنْ عَدمه.

من الملاحظ أنّه عندما يُتَرجِم لبعض الأطبّاء يعتمد بالدرجة الأوّلى على ما قالوه هُمْ عن أَنْفُسهم أخبارًا ونوادرًا ومعلومات مختلفة[1]، كما اعتمد على مصادر أخرى في موضعٍ واحد على الأقلّ، قاربت الثلاثين مصدرًا منها، ما ذكر فيه المؤلِّف وكتابه[2]، ومنها ما اكتُفِي بذِكر اسم المؤلّف فقط[3].

ب-مصادره المَرْويّة والشَفَويّة:

اعتمد الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في عديد المواضع على نقْل وذِكر معلوماته مُشافَهةً، مستفيدًا من معاصريه وحافظًا للمعلومات التي حصّلوها واهتدَوْا إليها، فكان يشير لهذه المعلومات باعتماد لفظة "حَدّثني"، ولفظة "أخبرني"، كما اعتمد لفظة "أنشدني"، وهذا ما أسعى لحصْره في هذا الجدول، ذاكرا أهمّ المصادر التي سمع منها:

المصدر	اللفظ	عدد المرّات على الأقلّ	نماذج من الصفحات.
الحَكِيم سَديدُ الدّين مَحْمُود بن عُمَر	**حدّثني، أنشدني، أخبرني.**	**خمس عشرة مرّة.**	**353، 390، 402، 501، 560، 571، 641، 706.**
القاضي أبو مروان، محمّد بن أحمَد بن عبد الملك اللَخْمي، ثمّ البَاجي.	**حدّثني.**	**ثلاث عشرة مرّة.**	**520، 524، 529، 530، 533، 536.**
شرف الدّين بنُ الرَّحْبِي.	**أَنشدني.**	**تسع مرّات.**	**676، 681، 682.**
مهذّب الدّين، أبو نَصر، محمّد بن محمّد بن إبراهيم بن الخضر الحلبي.	**أنشدني.**	**ثمان مرّات.**	**359، 360، 377، 382، 383، 387.**
شمسُ الدّين، أبُو عبد الله، محمّد بن الحسَن بن محمّد	**حدّثني.**	**ستّ مرّات.**	**169، 345، 348، 403، 405، 407.**

---

1 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص264، 305، 683.

2 من المصادر التي اعتمد عليها في موضعٍ واحد وذكر فيها المؤلّف وكتابه: عبد الله بن زَهْر، في كتابه التيسير (ص21)، وأوْحد الزمان في كتابه المعتبر (ص26)، والواقدي في تاريخه (ص174)، واعتمد على الجَوْهري، في صِحاحه (ص161)، والواثق بالله، في كتابه المسمّى بالبستان (ص165)، وكتاب الأمثال، لأَبي عبيد القاسم بن سلام (ص173)، وتاريخ الطّبري (ص173)، وكتاب أخبار الحِجاج، لابراهيم بن القاسم الكاتب (180)، وكتاب نور الطُرف ونور الظَرف، لإبراهيم بن عليّ الحُصري (ص203)، وكتاب لأَبي سعيد زاهد العلماء في البيمارستانات (ص414)، وغيرها.

3 كمثال لذلك، أخذ عن ثابت بن قرّة الحرّاني، وأبو نصر الفرابي، وأبو زكريا يحي بن عُدَيْ، وعن أبو الخير بن الخمّار، وعن الحسن بن العباس المعروف بالصَناديقي، وموفّق الدّين، هبة الله أَبي القاسم، المعروف بابن النَحّاس، وحكيم الزمان عبد المنعم الجلياني، ص33، 92، 106، 157، 259، 727، 630 على الترتيب.

القَاضِي نجم الدّين، عمر بن مُحَمَّد بن الكريدي	**حدّثني.**	**أربع مرّات.**	**26، 129، 410، 410.**
مهذّب الدّين، عبد الرّحيم بنُ عليّ.	**حدّثني.**	**أربع مرّات.**	**350، 612، 613، 656.**
شرَفُ الدّين بن عُنَيْن.	**ذَكَرَ لي؛ ممّا حكاه؛ حدّثني.**	**ثلاث مرّات.**	**463، 464، 610.**
والد ابن أَبِي أُصَيْبِعَة.	**ممّا سمعتُه من أبي؛ حدّثني.**	**مرّتان.**	**630، 729 .**
بديعُ الدّين الْبَنْدَهِيُّ.	**أنشدني.**	**مرّتان**	**468، 469.**

تحليل الجدول:

– عبَّر هذا الجدول عن أهمّ المصادر المعتمَدة الشفويّة، حيث وجدت الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة يعتمد على المشافَهة في أكثر من 103 موضعٍ منها، ما ذُكر في هذا الجَدوَل، ومنها مَن لم أذكره لكثرتها، ولاعتمادها مرّةً واحدة[1]، وقد بلغ عدد المصادر التي تمكّنا من إحصائها 43 مصدرًا، ألفاظها تنوّعت بحسب ما وَردَ في الجَدول.

– الملاحظ من الجدول أنّ للطبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة علاقات كثيرة مميَّزة، أقامها في مسقط رأسه بالشّام وعند سفره إلى مصر، ويبدو أنّه يستحضر هذه المعلومات المرويّة في مواضعَ معيّنة، وبذلك يفيدنا بمعلوماتٍ لم تُسجّل كتابةً، فأخذها شفويّةً ومرويّةً عن زملائه وأساتذته.

– من خلال ما أدْرجه الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة من معلوماتٍ، نجده يحيلنا إلى ترجمته متفرّقة، فهو يستحضر معلوماتٍ عنه بمجرّد ذِكْر الراوي والكلام الذي رُوِيّ له، بذكْر أبيات شِعرٍ كانت موجَّهة له خصّيصًا ومعلوماتٍ أخرى، وبأخبارٍ أراد أن يُثْبت بها وجوده.

[1] من غير ما ذُكر في هذا الجدول؛ عشرون مصدرًا. على الأقلّ أخذ منها الطبيب ابن أَبِي أُصيبِعة في موضعٍ واحد في حدود اجتهادي، من تلك المصادر أذكر: جمال الدّين النقّاش السعودي، وأبو عبد الله مُحمّد بن الحسن بن مُحمّد الكَاتب البغدادي، ابن الكريم، والشيخ شِهاب الدّين، عبد الحقّ الصِقِلي النحوي، وأبو الظاهر إسماعيل، والشيخ موفّق الدّين بن البُوري الكاتب النصراني، وشرف الدّين إسماعيل بن عبد الله بن عمر الكاتب المعروف بابن قاضي اليمن، وعزّ الدّين بن السُوَيْدي، وإسحاق بن سليمان المتطبّب، والأمير سيف الدّين المشَدّ عليّ بْن عمر، وغيرهم. الصفحات على الترتيب، ص 16، 172، 262، 653، 654، 727، 760، 480، 724.

- لا شكّ أنّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة جعل اعتماده على هاته المصادر ضِمن منهجه، فجعلها ذات قيمة علميّة تؤدّي بنا إلى توسُّعٍ أكثر في المعرفة، واستزادة في أخبار ومعلومات لم تتأتَّ له بشكلٍ خطّي مكتوب.

-في بعض المواضع يذكر خبرًا أخذه مشافهةً ولم يذكر الذي أخبره به مثال قوله: "وحدّثني بعض مَن كان يعرف ابن المطران، فيما يتعلّق بعُجْبِه وإدلاله على صلاح الدين أنّه كان معه ..."[1].

نجد ابن أبي أُصَيْبِعَة في عديد المواضع يذكر معلومات وأحداث معيّنة حول الطّبيب، ويحيل إلى مصدره بقوله "حدّث" فينسب الكلام لمصدره دون ذكر الكتاب الذي أخذ منه هذا الحديث، أو لأنّ الحديث على سبيل الرواية الشفهية، حيث بدأها من ذلك الراوي، دون ذكر الّذين حملوا هذه الرواية إليه[2].

2-5-3-المصادر غير المعروفة:

أمدّنا الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بالعديد من الأخبار والمعلومات حول تراجمه، دون أن يُحيلنا إلى مصادره، مستعملًا ألفاظًا متنوّعة، كأن يقول: "وجدتُ في مختصَرٍ قديم"[3]، فيورد معلومات مجهول مصدرها، وقوله: "نقلتُ من بعض التواريخ"[4] وغيرها من الألفاظ، نحو قوله: قيل[5]، ويقال[6] وحُكِي[7]، وحَكَى لي مَنْ رآه[8]، في بعض المواقع المنقولة[9]، حدّث بعض العراقيّين[10]، حدّثني بعض المصريين[11]، حدّثني بعض فقهاء العجم[12]، نقلتُ من خطّ بعض المشايخ[13]، ووجدتُ في بعض تواريخ النّصارى[14].

---

1 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص652.
2 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص214.
3 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص113.
4 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص48، 192، 202، 225، 315.
5 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص30، 165، 180، 263، 355، 416، 544، 644، 724...
6 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص124، 150، 286.
7 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص50، 124، 225، 376.
8 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص724.
9 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص43.
10 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص347، 354، 380.
11 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص577.
12 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص642.
13 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص603.
14 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص152.

6-الكتب السّابقة للطبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة في تاريخ الأطبّاء والفلاسفة، يمكن ذكرها في الآتي:

أ-كتاب "تاريخُ الأَطبّاء والفَلاسفة" لإسحاق بن حُنَيْن (ت298هـ/ 911م):

يُعدّ هذا الكتاب أقدم نصٍّ في المشرق الإسلامي، استقصى فيه صاحبه معارفًا من تاريخ يحي النّحوي[1]، وذكر فيه الأطبّاء حتّى سنة (290هـ/ 903م)، نزولًا عند طلب الوزير "أبي الحسين، وليّ الدّولة"، بأنْ يؤلّف له كتابًا يذكر فيه ابتداء الطبّ وجمْعِ تاريخِه وذِكر الفلاسفة المتميّزين[2]، وهذا المؤلَّف وجدت أنّ الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة قد اعتمد عليه في عشرة مواضع[3].

أوّل ما تكلّم فيه الطّبيب اســحاق بن حُنَين هو مبدئيّة صــناعة الطبّ، ثمّ ذكر أسماء الأطبّاء المذكورين، من ظهور الطبّ في جزيرة قُو، فيبتدئ بأَسْــقْلَبْيوس، ثمّ يذكر الأطبّاء بينه وبين جالينوس[4] ويُترجم لكلّ واحدٍ منهم في حدود السّــطرين، ثمّ ذكر منذ الحكيم جالينوس إلى ســنة تأليفه الكتاب (290هـ/903م)[5]، وقدَّر أنّ عدد السّـنين منذ ابتداء الطبّ إلى سـنة تسـعين ومائتين للهجرة سـتّة آلاف وثلاثِ مائةٍ وسبع عشرة سنة[6]، والملاحظ أنّه لم يذكر أطبّاء وفلاسـفة الفترة الإسـلاميّة، فيكون بذلك قد اكتفى بالقُدماء، ثمّ يُجيب عن سـؤالٍ فحواه موضِـع الأنبياء إبراهيم وموسـى وعيسـى -عليهم السّلام- ضـمن هؤلاء الأطبّاء في حدود نصـف صفحة، وبها ينتهي ذِكر الكتاب، دون ذكر أيّ طبيبٍ عربي أو إسلامي[7].

ب-كتاب "طبقات الأطبّاء والحكماء" لأبي داوود بن سُــلَيمان بن حَسّــان الأندلســي (ت بعد 384هـ/995م):

يعدّ كتاب طبقات الأطبّاء والحكماء، الّذي ألّفه ابن جُلْجل عام (377هـ/988م) ثاني أقدم تاريخ للأطبّاء بالعربيّة، بعد كتاب إسحاق بن حُنين، وقد ألّف كتابه هذا بناءً على طلبٍ من أحد أمراء

---

[1]اسحاق بن حُنَيْن (ت 298هـ/ 911م)، تاريخ الأطبّاء والفلاسفة، تح: فؤاد السيّد، مؤسّسة الرسالة، ص 141.
[2]اسحاق بن حُنَيْن، المصدر نفسه، ص149.
[3] ابن أَبِي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص 60، 76، 81، 110، 115، 234.
[4] اسحاق بن حُنَيْن، المصدر السابق، ص ص150، 151.
[5] اسحاق بن حُنَيْن، المصدر نفسه، ص153.
[6]اسحاق بن حُنَيْن، المصدر نفسه، ص155.
[7] اسحاق بن حُنَيْن، المصدر نفسه، ص156.

الدّولة الأُمويّة في الأندلس، والكتاب عبارة عن تراجم لأطبّاء من العهد اليوناني إلى القرن(4هـ/10م)، وقسّم هذه التّراجم إلى تسعِ طبقات نبيّنها في الجدول التالي:

الطبّقة	عنوانها	عدد تراجم الأطبّاء بها.	الصّفحات
الطبّقة الأوّلى	الطبّقة العاليّة الأوّلية، ممّن تكلّم في الحِكمة الطبّيّة والفلسفة العُلويّة.	5	5 – 15
الطبّقة الثانيّة	الحِكَميّة الروميّة اليونانيّة، ممّن تكلّم في الطبّ والفلسفة وبرَع في ذلك.	6	16 – 33
الطبّقة الثالثة	من حكماء اليونانيّة الذين كانوا في دولتهم بعد الفرس، ممّن شَهَر في الطبّ والفلسفة.	3	34 – 40
الطبّقة الرابعة	من حكماء اليونانيّة، ممن تكلّم في الدولة القيصريّة بعد بنيان روما.	1	41 – 50
الطبّقة الخامسة	من الحكماء الاسكندرانيّين.	1	51 – 52
الطبّقة السّادسة	ممّن لم يكن في أصله روميًا ولا سِريانيًا ولا فارسيًا.	4	53 – 62
الطبّقة السّابعة	من حكماء الإسلام، ممّن برع في الطبّ والفلسفة.	11	63 – 83
الطبّقة الثّامنة	من حكماء الإسلام، ممّن سكن المغرب.	3	84 – 91
الطبّقة التّاسعة	الأندلسيّة الحِكميّة منهم والطبّيّة.	23	92– 117
المجموع	/ /	57	

وبمقارنة لتراجُم ابن جُلجل بتراجم ابن أَبي أُصَيْبِعَة نجدها مختصرة جدًّا، أخذ عنه الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في أكثر من ثلاثين موضع[1]، وخاصّةً عند تراجمه لأطبّاء الأندلس.

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص 38، 48، 79، 90، 121، 166، 171، 232، 262، 286، 311، 329، 416، 478، 490، 495.

ت–"كتاب الفَهْرَسْتْ" لابن النّديم (ت 380هـ/ 990م)[1]:

أوّل كتاب أُلّف في التّعريف بمختلَف الفنون وما صُنّف فيها، ألّفه ابن النَديم(ت380هـ/ 990م)، وقد قسّم فيه علوم الإنسانيّة إلى عشرة فروع، استوعب بأبوابها حصيلة الثّقافة العربيّة في عصره، خصّصّ الفنّ الثّالث من المقالة السّابعة في أخبار العلماء وأسماء ما صنّفوه من الكتب، ويحتوي على أخبار المتطبّبين القدماء والمحْدَثين وأسماء ما صنّفوه من الكتب، وأوّل ما خاض فيه جدليّة ابتداءُ الطبّ وأوّل مَن تكلّم فيه، وينقل معلوماته عن الطّبيب إسحاق بن حُنين في ابتداء الطبّ، وينقل عن يحي النّحوي في أوّل من تكلّم فيه[2].

وتكلّم عن الأطبّاء القدماء حتّى وصل إلى أبُقراط، وذكر تعليم الطبّ للغرباء[3]، وتكلّم عن النّقل والتّرجمة بذِكره لأهّم النّقَلة وأهمّ المؤلّفات المترجَمة إلى العربيّة[4]، ثمّ تكلّم عن المحدِثون بدايةً من حُنين بن إسحاق[5]، إلى الطّبيب تِياذُوق[6]وهو آخر طبيب ذكره[7]، كما عَرّج على ذِكر مجموعة من أسماء كتب الفرس والعجم في الطبّ[8]، وقد اعتمد الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عليه كمصدرٍ لمعلوماته في أكثر من اثني عشر موضع[9]، على أنّه يمكن القول أنّ تراجم ابن النّديم كانت مختصرة مقارنةً بما بسَطه ابن أَبي أُصَيْبِعَة[10]، وهذا راجع على أغلب الظنّ إلى ما توفَّر لكلٍّ منهما من مصادر ومعلومات.

---

[1] أبُو الفَرَج، مُحمّد بنُ أبي يعقوب، إسحاق النّديم الورّاق البغدادي، وكان أبو الفرج معتزليًا متشيّعًا، اشتهر بسعة الاطّلاع، وساعده على ذلك طبيعة عمله ورّاقًا، حيثُ أتاحت له الاتصال بالطّبقة المثقّفة في مجتمعه وتوثيق الصلة بهم، وساعدته بعلى التّصنيف، وتعود شهرته إلى كتاب الفهرست الّذى انتهى منه سنة(377هـ/987م)، وله أيضًا كتاب التشبيهات. أنظر، ابن النّديم، مقدّمة المحقّق، تح: إبراهيم رَمضان، الفهرست، ص5.؛ الصَّفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص139.؛ ابن حجر العسقلاني (أحمد بن عليّ ت852هـ)، لسانُ الميزان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدّة، اعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح أبو غدّة، ط1، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، (1423هـ/2002م)، ج6، ص557.

[2]ابن النديم، الفهرست، ص347.

[3]ابن النديم: المصدر نفسه، ص348.

[4]ابن النديم، المصدر نفسه، ص352.

[5] ابن النديم، المصدر نفسه، ص356

[6]تِياذوق (ت 90هـ)، كان في أوّل دولة بني أمّية، خدم بالطّب الحجّاج بن يوسف الثقفي، وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته وكان له منه الجامِكيّة الوافرة والافتقاد الكثير، له وصايا طبيّة مشهورة، ولتياذوق من الكتب، كُنّاش كبير، ألّفه لابنه، وكتاب "إبدال الأدويّة وكيفيّة دقّها وإيقاعها وإذابتها". أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص179وما بعدها.؛ القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص85.؛ ابن النّديم، المصدر السابق، ص365.

[7]ابن النديم، المصدر نفسه، ص365.

[8]ابن النديم، المصدر نفسه، ص364.

[9] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص 91، 151، 246، 260، 286، 287، 288، 300، 318، 329، 414، 416، 416.

[10]كمثال لذلك، ترجم ابن النديم لحُنَيْن بن اسحاق في حدودِ صفحة واحدة، بينما نجد ابن أَبي أُصيبِعة قد خصّص له سبع عشرة صفحة. أنظر، ابن النديم، المصدر السابق، ص356.؛ ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص257- 274.

ث–كتاب"طبقات الأمّم" للقاضي ابن صاعِد الأندلسي (ت 462هـ/ 1070م):

يعدّ من أهمّ الكُتب الّتي عَنيّت بالتأريخ للعلوم عند الأمّم المختلفة، قال عنه الباحث حاجّي خليفة: "وهو كتابٌ صغير الحجم، كثير النَّفع"[1]، جعله صاحبه في أربعة أبواب، الباب الأوّل بعنوان "الأمّم القديمة"، وقسّم هذه الأمّم إلى سبعٍ: الفرس والكِلدانيون واليونانيون والرّوم والقِبط وأجناس التّرك والهند والسّند والصّين[2]، وتكلّم في الباب الثّاني عن اختلاف الأمّم وطبقاتها من حيث الاشتغال[3]وفي الباب الثّالث تكلّم عن الأمّم التي لم تُعْن بالعلوم[4]، ومثَّل الباب الرابع أغلبَ كتابه؛ أين ذكر الأمّم الّتي عَنيّت بالعلوم، وقسّمها إلى ثمانيّة أصنافٍ هي: العلم عند الهند، العلم في الفرس، العلم عند الكلدان، العلم في اليونان، العلوم في الرّوم، العلوم في مصر، العلوم عند العرب ومن ذلك الأندلس، والعلوم في بني إسرائيل[5].

أورد ابن صاعد مختصرًا عن كلّ أمّةٍ، معرّجًا على ذكر تاريخها وموقعها الجغرافي، ذاكرً العلوم التي اشتَهرت بها كلُّ أمّة، متكلّمًا عن أهمّ علمائها من الفلاسفة والأطبّاء والشّعراء والأدباء وعلماء الدّين،

ويعتبر هذا الكتاب من أهمّ الكتب الّتي اعتمد عليها الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في تراجم كتابه[6]، فكان ينقل عنه حرفيًا[7]، ووجدت الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة ينتقده ويصفه بالمُتحامِل على الفيلسوف يَعْقُوب بن إِسْحَق الْكِنْدِيّ(ت256هـ/ 873م)، وذلك بعد أن نقل نصًّا عليه، يقول:" أقولُ هذا الّذي قد قاله القاضي صاعِد عن الكندي فيه تحاملٌ كثيرٌ عليه وليس ذلك ممّا يحُطُّ من علم الكندي، ولا ممّا يصدُّ النّاس عن النّظَر في كتبه والانتفاع بها"[8].

---

1 حَاجي خَليفة، كشفُ الظّنون عن أسَامي الكُتب والفنون، ج2، ص514.

2 ابن صاعد الأندلسي (أبو القاسم، أحمد بن صاعد ت 462هـ/ 1070م)، طبقات الأمّم، نشره وذيّله بالحواشي وأرْدفه بالروايات والفهارس: الأب لويس شيخو اليسوعي، (دط)، المطبع الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين، بيروت، 1912م، ص 5 -7.

3 ابن صاعد الأندلسي، المصدر نفسه، ص7.

4 ابن صاعد الأندلسي، المصدر نفسه، ص8.

5 ابن صاعد الأندلسي، المصدر نفسه، ص 10-90.

6 اعتمد عليه في عديد المواضع. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص 61، 70، 91، 287، 416، 482، 482، 483، 483، 484، 491، 491، 493، 495، 495، 496، 517، 605.

7 كمثال عن ذلك. أنظر، ابن صَاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص 24 -26.؛ ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص ص 91، 92.

8 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 287.

ج–كتاب"أخبار العلماء بأخبار الحكماء" لجمال الدّين القِفْطي (ت646هـ / 1248م):

من نفائس كتب التّراجم، ترجم فيه القِفطي لزُهاء 424 عالم من أعلام الفلسفة، منذ أقدم العُصور وحتّى عصره. قال: "... وقد عزمتُ بتأييد الله، على ذكر من اشتهر من الحُكماء من كلّ قبيلة وأمّةٍ قديِمها وحديثها إلى زماني... وقد قفَّيْتُه ليسهُل تناوُله"(1)، ورتّب تراجمه على الحروف الهجائيّة من الألف إلى الياء، مبتدأً بذكر النّبي إدريس –عليه السّلام–، على أنّه هو أوّل مَن استخرج الحكمة، ذاكرًا كيف بدأ الطبّ والأطبّاء الأوائل، وبعد ذلك أكمل الأطبّاء والفلاسفة على الحروف الهجائيّة، وأراد بناءه على حروف المعجم، معتمدًا الحرف الأوّل فقط، ثمّ ذكر بعد ذلك الكُنَى في أسماء الحكماء(2)وختم كتابه بذِكر الأطبّاء الأبناء في أسماء الحكماء؛ أي: كلُّ منْ ابتدأ بـ "ابن" مثل، ابن وصيف، وابن رَمْثَة(3).

نقل عنه الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في تسع مواضع من كتابه على الأقلّ، إلّا أنّ تراجمه مختصرة، فطابع البحث بينها يظهر جلّيًا، ذلك أنّه لو قمنا بمقارنةٍ في أحد التّراجم المشترَك فيها التي أخذ منها الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة نجد أنّ معلومات هذا الأخير أكثر بكثير من تلك التي بسطها جمال الدّين القِفطي، وفي الجدول التالي أعطي مثالًا:

- المعلومات التي أمدّنا بها القفطي، والطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة حول الطّبيب السَّمَوْأَل (ت 570هـ/ 1174م)(4):

	القفطي	ابن أَبي أُصَيْبِعَة
حياته نشأته وموطنه وعلمه.	**السَّمَوْأَل بن يهوذا المغربي الحكيم اليهودي، أظنّه من الأندلس، قدِم هو وأبوه إلى المشرق، وكان أبوه يشدُو شَدْوًا شيئًا من علم الحكمة، وكان ولده السَّمَوأل هذا قد قرأ فنون الحكمة وقام بالعلوم الرياضيّة وأحْكم أصولها وفوائدها ونوادرها، وكان عدديًا هندسيًا حقيقيًا، وأقام بمدينة**	**السَّمَوْأَل بن يحيى بن عَبَّاس المغربي، سكن مدّةً ببغداد، كان فاضلًا في العلوم الرياضيّة عالمًا بصناعة الطبّ، وأصله من بلاد المغرب، كان أبوه أيضًا يشدو شيئًا من علوم الحكمة، وبلغ السَّمَوْأَل في العدديات مبلغًا لم يصله أحد في زمانه، وكان حاد الذهن جدًّا بلغ في الصناعة الجبريّة الغاية القصوى.**

[1]القفطي، المصدر السابق، ص7.

[2] القفطي، المصدر نفسه، ص 292 – 318.

[3] القفطي، المصدر نفسه، ص 319 وما بعدها.

[4] القفطي، المصدر نفسه، ص161.؛ ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص471.

	المراغة[1] وأوْلد أوْلادًا هناك سَلكوا طريقته في الطبّ.	
مصنّفاته	**ثلاثة مؤلّفات، وذكر له مؤلّفات في الطبّ، دون أن يعدّدها[2].**	**ذكر له عشر مؤلّفات[3].**
رحلاته	**أذربيجان[4]**	**بغداد، بلاد العجم، ديّار بكر، وأذربيجان، الموصل.**
خدمته	**وخدم بيت البَهْلَوان[5] وأمراء دولتهم.**	**وخدم بيت البَهْلَوان وأمراء دولتهم.**
إسلامه	**وأسلم فحَسُن إسلامه.**	**كان يهوديًا، ثمّ أسلم فحسُن إسلامه.**
وفاته	**ومات بالمَرَاغَة قريبًا من سنة (570هـ/1175م).**	**ومات بالمَرَاغَة قريبًا من سنة(570هـ/1175م).**

1مَرَاغَة، بالفتح، والغين المعجّمة، مدينةٌ مشهورة بأذربيجان، وصفها المؤرّخ الرحّالة ابن حَوْقل بقوله: "المراغة، مدينةً نَزِهة، كثيرة البساتين والأنهار والمياه والفواكه الحسنة والخيرات والغلّات من جميع الجهات إلى كثرة الرساتيق والزروع ووفور الحظّ من جميع ما تشتمل عليه الأمصار. أنظر، ابن حَوْقَل (مُحمّد، أبُو القَاسم ت بعد 367هـ)، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938م، ج2، ص335.؛ مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، نسبة ومنسوب، ط1، (د د ن)، (1435هـ/ 2014م)، ص742.

2 يقول القفطي: "وله في ذلك مصنّفات رأيتُ منها كتاب المثلث القائم الزاوية، وقد أحسن في تمثيله وتشكّيله وعدّة صُوره ومبلغ مساحة كلِّ صورة منها، صنّفه لرجلٍ من أهل حلب يدّعي الرف، وصنّف منبرًا في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها، وصنّف كتبًا في الطّب، وصنّف كتابًا في إظهار معائب اليهود وكذِب دعاويهم في التوراة ومواضع الدليل على تبديلها وأحكم ما جمعه". أنظر، القفطي، المصدر السابق، ص161.

3 وللسموأل بن يحيى بن عباس المغربي من الكتب، كتاب المفيد الأوسط، في الطّب، صنّفه في سنة(564هـ/1169م) ببغداد للوزير مؤيّد الدّين أَبي إسماعيل، الحسين بن مُحمّد بن الحسن بن عليّ، ورسالة إلى ابن خدود في مسائل حسابيّة جَبر ومقابلة، وكتاب إعجاز المهندسين، صنّفه لنجم الدّين أَبي الفتح شاه غازي، ملك شاه بن طغرل بك، وفرغ من تصنيفه في صفر سنة(570هـ/1175م)، كما له كتاب الردّ على اليهود، كتاب القوامي في الحساب الهندي، ألّفه في سنة(568هـ/1173م)، وله كتاب المثلّث القائم الزاوية، وقد أحسن في تمثيله وتشكيله، صنّفه لرجلٍ من أهل حلب يدعى الشريف، وكذلك كتاب المنبر في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها، وكتاب في المياه. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص472.

4 أذربيجان أوآذربيجان: بالفتح، ثمّ السكون، وفتح الراء، وكسر الباء الموحّدة، وياء ساكنة، وجيم وقد فتح قوم الذال، وسكّنوا الراء، ومدّ آخرون الهمزة، مع ذلك آذربيجان فإنّها كورةٌ اختطّها أذرباذ بن بيوراسف بن الأسود بن سام بن نوح، حدّها من برذعة مشرقًا إلى أرزنجان مغربًا، ويتّصل حدّها من جهة الشّمال ببلاد الديلم، والجيل، والطرم. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص128.؛ المقدِسي (أبو عبد الله مُحمّد بن أحمد البشاري)، أحسن التّقَاسيم في مَعْرِفَة الأقاليم، ط3، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، (1411هـ/ 1991م)، ص375.

5 شمس الدّين البَهْلوان مُحمّد بن أتابك الدكز، صاحب أَذْرَبِيجان وعراق العجم، من كبار الملوك كوالده، مات أبوه هو وسلطانه رسلان شاه بن طغريل بن مُحمّد بن ملكشاه في سنة واحدة عام(570هـ/1175م)، فتملّك البهلوان، وأقام في السلطنة معه طغريل بن رسلان شاه، مات البهلوان في سنة(581هـ/1186م). أنظر، الذهبي، سير أعلام النُّبَلاء، ج15، ص341.

مصادره	لم يذكر.	**موفّق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي؛ الصاحب جمال الدين بن القفطي.**

أهمّ الاستنتاجات:

أوّلًا يجب التنبّه إلى أنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عاش بعد القِفطي أكثر من عشرين سنة، وبالتّالي فقد يكون أوفَر حظًّا بأن يطّلع على معلوماتٍ أو يسمع أخبارًا أكثر، وأنّ الطّبيب السَّمَوْأَل لم يكن ببعيد زمنيًا عن القفطي، كما أنّه لم يلتق به حتّى يذكر معلومات شاهدها عنه.

فيما يخصّ أصل الطّبيب السَّمَوْأَل وموطنه، فإنّ القفطي قد اعتمد الظنّ من كَوْنه من الأندلس، أمّا الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة فقد ذكر أنّه مغربي الأصل، دون أيّ تردّد، لكنّه جعله في طبقات الأطبّاء الذين ظهروا في بلاد العجم.

فيما يخصّ الإنتاج العلمي، أمدّنا الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بمعلوماتٍ أكثر وأدقّ من تلك المعلومات الّتي بسطها القفطي، حيث يذكر المؤلّف ويذكر سبب وسنة التأليف، كما أنّه لما ذكر مؤلّفه في الطبّ ذكر العنوان وهذا الّذي لم يتأتّ للقفطي.

فيما يخصّ الرحلات وأسفار الطّبيب، فقد كانت معلومات الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أخصب وأوفر، أمّا عن ديانة الطّبيب، فإنّ القفطي ذكر بدايةً أنّه يهودي، ثمّ ذكر فيما بعد إسلامه وتأليفه ردود على اليهود، أمّا الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة فقد آثر عدم نسبته لليهود، حتّى ذكر أنّه كان يهودي، ثمّ أسلم وألّف في الردّ عليهم.

في هذه الترجمة أحالنا الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى مصادره، في حين أنّ القفطي لم يذكر مصادره باستثناء أنّه ذكر اطّلاعه على أحد كتب السموأل، لكن لم يذكر مصادر المعلومات الأخرى، وقد تكون المعلومات التي لديه قد حصّلها بحكم تزامنه مع السَّموأل.

وكخاتمة لهذا المبحث أقول أنّ مؤلَّف الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة يختلف عن هذه المؤلّفات؛ إذ أنّها لم تقتصر تراجمه على الأطبّاء فقط؛ إنّما شملت الأطبّاء والحكماء حتّى الّذين لم تكن لهم علاقة بصناعة الطبّ، ومن هنا تبرز أهميّة كتاب "عيون الأنباء وطبقات الأطباء" الذي يعدّ بدون شكّ المصدر الوحيد الذي قدّم تراجم وافيّة ومفصّلة في الغالب عن تاريخ المشهورين من الأطبّاء العرب والمسلمين وغيرهم.

وأخذ عنه الكثير من المؤرّخين المشهورين، خاصّةً عند تكلّمهم عن تراجم بعض الأطبّاء والفلاسفة وممّن أخذوا عليه على سبيل المثال المؤرّخ ابن خلِّكان في كتابه" وَفَيات الأعيان وأنباء أهل الزّمان"، والمؤرّخ الذّهبي في "سِيَّر أعلام النُّبلاء"، والمؤرّخ ابن الحجر العسقلاني "لسان الميزان"، والمؤرّخ ابن عماد في كتابه" شذرات الذهب"، والمؤرّخ النُعيمي في كتابه "الدّارس في تاريخ المدارس"، وغيرهم.

ثالثا: منهج الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في كتاب "عُيون الأَنْبَاء في طَبقَات الأطبّاء":

إنّ دراسة منهج المؤلّف من الضروريات الّتي لابدّ منها، فهي تحيلنا إلى شخصيّته العلميّة بالدّرجة الأوّلى وإلى المدرسة التي تكوّنت فيها هذه الشّخصيّة، ولأنّ المنهج هو أحد أعمدة البحث العلمي، فإنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة اهتمّ بهذا الجانب، وكان له منهجه الخاص، سأحاول تتبّع بعض ملامحه من خلال الكتاب، حتّى إن لم يُشر إلى منهجه وخطّته في الكتابة إلّا أنّه يمكن استنتاج واستقراء ذلك من خلال مؤلَّفه، لنعرف منهجه من خلال خصائص الكتاب، ومن خلال شخصية المؤلّف ومن خلال عناصر الترجمة، كما يمكن الاستناد إلى منهج المدرسة الّتي تَربّى وتعلّم فيها وهي المدرسة الدَّخواريّة[1] لمعرفة المنهج الّذي اتبعه، وحينما التّعريج على ذكر نقطة معيّنة فإنّه يجدُر بي إعطاء وتقديم بعض الأمثلة من كتابه دون المبالغة وراء حشدها، كي أبتعد عن الأسلوب السّردي وأكتفي بطرح مثالين أو ثلاثة مع شرح هذه الأمثلة.

1-التّرتيب على الطّبقات وتقسيم الكتاب:

رتّب الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة كتابه على أساس الطّبقات، والطّبقة اصطلاحًا تعني تصنيف الرّجال الّذين تقاربت تخصّصاتهم بالمهنة الواحدة، ولما ارتبطت نشأت هذا النّوع من التّأليف، بداية بالعلوم الدّينيّة، فإنّ الرسول ﷺ كان يمثّل مركز الطّبقات الدّينيّة ورأسها، ويليه كالعادة الصّحابة والتابعين وتابعي التّابعين، ومن يليهم طبقة طبقة[2]، ويُعدُّ المؤرّخ ابْن سَعْد محمَّد بْن مَنِيع الزُّهري(ت230هـ/844م) أوّل من ألّف في طبقات الصّحابة -رضوان الله عليهم-وكذلك الإمام البُخاري (ت256هـ/ 870م) في التّاريخ الكبير خدمةً للحديث النّبوي الشّريف[3]، وهذا ما قاد إلى الاهتمام بتراجم الأعْيان من غير الصّحابة والمحدِّثين،

---

[1]المدرسة الدّخوارية، أنشأها مهذّب الدّين عبد الرّحيم بن عَليّ بن حَامد، المعروف بالدّخوار سنة(621هـ/1225م) بالصاغة العتيقة، وهي إحدى مدارس الطّب المشهورة، وسأفصّل فيها لاحقا في الفصل الأخير، أنظر، النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص100.

[2]مُحمّد جميل محمود بني عطا، **كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخيّة (من القرن 5-8هـ/ 11-14م)**، أطروحة دكتوراه في تخصّص التاريخ الإسلامي، جامعة اليرموك، (1429هـ/ 2008م)، ص37.

[3] ابن سعد (مُحمّد بنُ مَنيع الزُّهري ت 230هـ)، مقدّمة المحقّق، الطّبقَاتُ الكَبير، تح: عليّ مُحمّد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (1421هـ/2001م)، ص7.

لِيَشْمل القُرّاء والفُقهاء والحفّاظ، ورافق ذلك أيضًا كتُب تناولت تراجم للشّعراء والأُدبَاء والنُّحاة، واللّغويين، بالإضافة إلى الأطبّاء والحكماء وغيرهم.

اتّخذ الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة لكلّ بابٍ من أبواب كتابه تراجم طبقة من الأطبّاء يجمعهم قاسم مشترك ما، فكانت الطّبقة عنده تعني أحيانًا مجموعة من الأطبّاء ينتمون إلى قوميّة معيّنة مثل السريانيّين، الاسكندرانيّين، آل اسقليبيوس وأطبّاء العجم[1] أو بلد معيّن مثل أطبّاء الهند، الشّام، العراق، ومصر، مهما تباعدت أزمنتهم، كما هو الحال في غالبيّة أبواب الكتاب[2]، واعتمد الطّبقة المجموعة من الأطبّاء قاسمهم المشترك نقلُ وترجمة الكتب، كما في الباب التّاسع من كتابه[3]، وفي أحيانٍ أخرى تعني الطّبقة عنده اشتراك الأطبّاء بفترةٍ زمنيّة لم يُحدّد مداها على وجه الدقّة[4] كأطبّاء البابَيْن السّابع والثّامن[5].

أمّا ترتيبه لتراجم الأطبّاء داخل كلِّ طبقة؛ فقد كان ترتيبًا حسب القِدم والشّهرة والزّمن، فلم يمارس الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة النّمطيّة في ترتيب تراجمه داخل كلِّ طبقة، فاتّبع مبدأ التّعاقب الزّمني، وكان كثيرًا ما يورد لفظ "أوّل "، فمثلًا في الباب الثّاني، قوله عن أَسْقْلَبْيُوس: "هو أوّل مَن ذُكر من الأطبّاء وأوّل من تكلّم في شيءٍ من الطبّ"[6]، وقوله في موضعٍ آخر عن الطّبيب جُورْجِيس[7]، على أنّه "أوّل من بدأ في نقل الكتب"[8]، فيُلاحظ محاولته لترتيب الأطبّاء زمنيًا، وذلك بالاستناد إلى تاريخ وَفَياتهم فرتّبهم على حسب ذلك، وهذا في بعض التّراجم وليس كلّهم، وكذلك اتّخذ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة التّرتيب حسب صِلة القرابة، وهذا ما يجعلنا نستنتج وجود بعض الأُسَر الطبيّة[9]، كما فعل في ترجمته للأطبّاء البختيشعيّين[10]، حيث ذكر الوالد والابن والحفيد، وحفيد الابن[11]، وفي ذكره أيضًا للأطبّاء

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص39، 43، 151، 183، 413.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص285، 478، 540، 603.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص279.

[4] مُحمّد رحيم حُلو، المرجع السابق، ص ص135، 136.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص 161-183.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص29.

[7] جُورجيوس بن جَبرائيل تميّز بصناعة الطّب، وبمعرفة لمداواة وأنواع العلاجات، كان رئيسًا للطب بجَنْدي سابور، ثمّ استدعاه الخليفة أبو جعفر المنصور فخدمه بالطّب، حتّى أصبح حظيًّا عنده رفيع المنزلة، ونال من جهته أموالًا جزيلة، وقد نقل للمنصور كتبًا كثيرة من كتب اليونانيّين إلى العربي. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص183.

[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص159، 259، 279.

[9] أفصّل في ذلك عند الكلام عن ظاهرة الأُسر الطّبيّة، أنظر الفصل الثالث من هذه الأطروحة – ظاهرة الأسر الطّبية–.

[10] هم: جورجيوس وابنه بَختيشوع وجبرائيل بن بختيشوع، وبختيشوع بن جبرائيل، وعبيد الله بن بختيشوع، وجبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 183-214.

[11] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص183 وما بعدها.

الطَيْفوريين[1]، وكذلك أسرة بني زَهْر[2]، وأسرة أَبي المُنَى بنُ أبي فَانة بمصر[3]، وقد تكرّر هذا الأسلوب لدى الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في العديد من المواضع، كما أنّه اتّخذ ترتيب التّراجم حسب التّلمذة، فكان يذكر طبيب وبعده طبيب تتلمذ عل يده، ومثال ذلك عندما تكلّم عن مهذّب الدّين عبد الرّحمن بن علي أغلب التّراجم الّتي تلته هي تراجم لتلامذة الشّيخ الدّخوار[4]، وكلّ هذا يفيد في دراسة الأنساب.

أمّا عن تقسيمه للكتاب فلم يتطرّق إلى ذكر تراجم الأطبّاء قبل أن يخطو خطوةً جدّ مهمّة تمثّلت في الخوض في جدليّة مبدئيّة صناعة الطبّ وأوّل حدوثها، وهدفه في ذلك تعريفنا بوجهات النّظر المختلفة التي تحدّثت عن هذا الأمر، وهو على دراية تامّة بأهميّة هذا المدخل، ثمّ قام بتقسيم أبوابه على أساس الطبّقات فكانت تراجمه في الأبواب الأوّلى من الباب الثّاني حتّى الباب السابع على أساس التعاقب الزمني مِن ذكر آل أَسقْلَبْيُوس ومَن كانوا مبتدئين فيها حتّى الباب الثّامن الذي تناول فيه طبقات الأطبّاء السُّريانيّين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العبّاس.

أمّا في الباب التّاسع، فقد نبّه إلى أهميّة التّرجمة فوضع لها بابًا خاصًّا، وإنْ كان مختصَرًا فقد أحالنا إلى العديد من الشّخصيات الّتي اعتنت بجانب التّرجمة في شتّى العلوم على العموم وفي الطبّ على وجه الخصوص، وكان هذا الباب بالنّسبة له رابط بين الطبّ اليوناني والطبّ الإسلامي لتكون الأبواب الأخرى (من الباب العاشر إلى الباب الخامس عشر) هي ترجمة للأطبّاء في المناطق الإسلاميّة أو المناطق الّتي كانت على علاقة بالحواضر الإسلاميّة وسلوكها، بدايةً بالأطبّاء الّذين ظهروا في بلاد العجم وطبقات أطبّاء الهند، ثمّ أطبّاء بلاد المغرب وأطبّاء ديَّار مصر، وأخيرا أطبّاء الشّام.

2–النّقد والمقارنة:

لم يكن كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" مجرّد كتابٍ يتضمّن خلاله أطرافًا من السِّير أو إعلامًا بالكتابات الّتي دوّنها الطّبيب في عصرٍ أو في عصورٍ سابقة عليه، إنّما ينبغي النّظر في هذا المؤلَّف العمدة على أنّه موسوعة طبيّة، مهما أُختلف حول مصطلح الموسوعة، على حسب ما ذكر الباحث ماهر

[1] الأطبّاء الطّيْفُوريون هم: عبد الله الطّيْفُوري، زكريا بن الطّيْفُوري، وإسرائيل بن زكريا. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص220– 225.

[2] أسرة بني زَهْر، ظهرت في الأندلس، ونبغت في مجال العلوم الطّبيّة، رأس هذه الأسرة أَبي مَروان بن زَهر، ثمّ ابنه أبو العلاء بن زهر، ثمّ حفيده أَبي مروان بن أَبي العلاء... أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص517 وما بعدها.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 587–599.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 728 وما بعدها.

عبد القادر[1]، فقد اتّبع الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة منهجًا مهمًّا في كتابه، بممارسة عمليتَيْ النّقد والمقارنة، والتّعقيب على العديد من الرّوايات التاريخيّة التي تتعلّق بحياة الأطبّاء المترجَم لهم، بما يفْصل رأيه عن النصوص المقتبَسَة، وقد تنوّع النّقد عنه، فوجدته ينقد سلوكيات وتصرّفات تصدُر من بعض الأطبّاء، من ذلك تشنيعه على الطَّبيب ابن مَاسَوَيْه الّذي دبَّر قتل الخليفة المأمون، ويصفه بأنّه عديم المروءة والدّين والأمانة، وأنّه على غير مِلّة الإسلام ولا له تمسّك بدينه[2].

كما وجدته ينقد بعض الروايات ويبيّن حقيقة الأمر، باعتماد مصطلحات تدلّ على ذلك، فكان يذكر في العديد من المواضع عدّة روايات حول قضيّة معيّنة، ثمّ يقول "والأصحّ" أو " والصّحيح " فاصلًا رأيه عن الآخرين ومسدِّدًا لما قالوه، من ذلك أنّه قدّم لنا قصيدة نُسبت إلى الطّبيب الْمُؤَيد مُحَمَّد بن المجلي المعروف بالعَنْتَريّ[3]، وبعد ختامه لها قال الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة:" أقول وهذه القصيدة نُسبت أيضًا للشيخ الرّئيس ابن سينا، وتُنْسب إلى الطّبيب الْمُخْتَار بن الْحسن بنُ بُطْلَان(ت 458هـ/1066م)، والصّحيح أنّها لمحمّد بن المجلّى العَنْتريّ[4] ..."[5]، وفي موضعِ آخر نجده يُدرج حديثًا عن قصّة تجديد البَيْمارستان العَضُدي.

وذكر روايات تفيد بأنّ الطّبيب محمّد بن زكريا الرّازي كان من جملة مَن اجتمع على بناء هذا البيمارستان وأنّ عضُد الدّولة[6] استشاره في الموضع الّذي يجب أن يبنى فيه[7]، وكيف تمّ تعيين الرّازي ساعُورًا للبيمارستان العضُدي، فعقَّب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عن ذلك بقوله:" أقول والّذي صحّ عندي أنّ الرازي كان أقدم زمانًا من عضُد الدّولة بنُ بُوَيْه، وإنّما تردّده إلى البيمارستان من قَبْل أن يجدّده عضد الدولة[8]،

---

[1] ماهر عبد القادر، الطّبّ العربي رؤية ابستمولوجيّة، ص148.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص254.

[3] العَنْتَري (نحو 570 هـ/ 1175 م) مُحمّد بن المجلي بن الصائغ الجَزَري، أبو المؤيّد العنتري، طبيبٌ، عالمٌ بالحكمة والفلسفة، أديب، جيّد الشعر، ذكر له الطبيب ابن أَبي أُصيبِعة عديد الأشعار، كان في أوّل أمره يكتب أخبار الشاعر (عَنترة العبسيّ) فاشتهر بنسبته إليه، وصنّف كتبًا منها، (النور المجتنى) في الأدب والأخبار، رتبه على فصول السنة، وكتاب (الجمانة) في العلم الطّبيعي والإلهي، ورسالة (العشق الإلهي والطّبيعي)، وكتاب (الأقرباذين). ابن أَبي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص389وما بعدها؛ الزِرِكلي، الأعلام، ج7، ص19.

[4] نجده ينسبها إليه وهو العنتري سابق الذّكر، ثمّ يذكر الرّوايات التي تنسبها إلى غيره، ثمّ يعود ويُحكّم رأيه ويؤكّد صحّتها للعَنتَري مُحمّد بن المجلّى.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص391.

[6] عَضُد الدَّوْلَة الْبُوَيْهي (324 -372هـ/936 -983م) فنَّاخُسرو، لقّب بـ "عضُد الدّولة"، ابن الحسن، الملقّب "رُكْن الدَّوْلة"، ابن بُوَيْه الدَّيلميّ، أبو شجاع، أحد المتغلّبين على الملك في عهد الدّولة العبّاسية بالعراق، تولّى مُلك فارس، ثمّ مُلك الموصل وبلاد الجزيرة، وهو أوّل من خُطب له على المنابر بعد الخليفة، وأوّل من لُقّب في الإسلام " شاهِنشاه"، وصفوه بقولهم: "كان شيعيًا، شديد الهيبة، جبّارًا عسوفًا، أديبًا، عالما بالعربيّة، ينْظُم الشعر" أنشأ ببغداد البيمارستان العضُدي وعمّر القناطر والجسور. أنظر، السيوطي (عبد الرّحمن بن أَبي بكر، جلال الدّين ت 911هـ)، بُغية الوُعاة في طبقات اللغويين والنُحاة، تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، (د ط)، المكتبة العصريّة، لبنان – صيدا، ج2، ص247.

[7] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص415.

[8] نفسه.

كما أنّه يقوم بتأييد بعض الرّوايات، فعندما تكلّم عن حقيقة قراءة الطّبيب أَبُو الْقَاسِم عبد الرَّحْمَن بن عَليّ بن أَحْمد بن أبي صَادِق (نحو 470هـ/نحو1077 م)على الشّيخ الرّئيس ابن سينا، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وهذا لا أستبعدُه؛ بل هو الأقرب إلى الصحّة، فإنَّ ابن صَادِق لحق زمان ابن سينا، وكان في بلاد العجم"[1].

ووجدته يقدّم شروحًا لروايات بعد أن يمدّنا بحُكْمٍ أوّلِي بما رواه الآخر، ففي روايةٍ ذَكر المؤرّخ ابن جُلجل أنّ الطّبيب حُنين ابن إسحاق مات "غمًّا وأسَفًا، نتيجةً لمحنته المدبّرة من طرف الطَّيْفُوري[2] طالبًا من الخليفة المتوكل إباحة الحكم عليه بديانة النّصرانيّة"[3]، وعقَّب الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة على هذا بقوله: "أقول، هذه حكاية ابن جُلجُل، وكذلك أيضًا وجدتُ أحمد بن يوسف بن إبراهيم قد ذكر في رسالته في المكافأة بما يناسب هذه الحكاية عن حُنين، والأصحّ في ذلك أنّ بختيشوع بن جبرائيل كان يعادي حُنين ابن إسحاق ويحسده على علمه وفضله... فاحتال عليه بخديعة عند المتوكّل، وتمّ مَكْرُه عليه حتّى أوقع المتوكّل به وحبسه"[4]، لكنّه سرعان ما أفرج عليه، وظهر ما كان احتال به عليه الطّبيب بختيشوع بن جبرائيل، وبعد هذا التسديد من ابن أَبي أُصَيْبِعَة يعرض لنا أقوال حُنين ابن إسحاق عن نفسه فيما يخصّ ما لحقه من المِحن والمصائب والشّرور[5].

وفي مواضع ينتقد بعض المؤرّخين ويردّ قولهم، فقد انتقد المؤرّخ صاعد الأندلسي ووصفه بالمتحامِل على الفيلسوف الكِندي لما حطّ من قيمة مؤلّفاته، في قوله: "ومنها كتبه في علم المنطق ... وقلّما ينتفع بها في العلوم، لأنّها خالية من صناعة التّحليل"، وقوله: "وأمّا صناعة التّركيب وهي، التي قَصَد يعقوب في

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 461.

[2] إسرائيل بن زَكريا الطّيْفُورِي؛ تميّز في الطّب، ونال الاحترام عند الخلفاء والملوك، وكان الخليفة المتوكل بالله يعتمد عليه وله عنده المنزلة المكينة. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص225.

[3] سببها مناظرة جرت بين الطّيْفُورِي وحُنَيْن بن إسحاق، وانتصر فيا حُنَيْن، ممّا جعل الطّيْفُورِي يتربّص به حتّى كان اليّوم الموالي وجد السّبب والذّريعة للإيقاع به، وهي على ما حكاها ابن جُلجُل ونقلها عنه ابن أَبي أُصيبِعة حرفيًا: "فلمّا كان في غد ذلك اليوم أخرج حُنَيْن من كمّه كتابًا فيه صورة المسيح مصلوبًا وصور ناس حوله، فقال له الطّيْفُورِي: "يا حُنَيْن هؤلاء صَلبوا المسيح"، قال: "نعم"، فقال له: "ابْصق عليهم"، قال حُنَيْن: "لا أفعل"، قال الطّيْفُورِي: "ولم؟"، قال: "لأنّهم ليسوا الّذين صلبوا المسيح، إنّما هي صُور"، فاشتّد ذلك على الطّيْفُورِي ورفعه إلى الخليفة المتوكّل على الله يسأله إباحة الحكم عليه بديانة النصرانيّة، فبعث إلى الجاثليق والأساقفة وسُئلوا عن ذلك، فأوجبوا اللّعنة على حُنَيْن، فلُعن سبعين لعنة بحضرة الملأ من النصارى، وقطع زنّاره، وأمر المتوكّل ألّا يصل إليه دواء من قبل حُنَيْن حتّى يستشرف على عمله الطّيْفُورِي، وانصرف حُنَيْن إلى داره فمات من ليلته"، فنفى ابن أَبي أُصيبِعة أن يكون مات لهذا السبب، وذكر أنّه خرج من السّجن بعد ذلك. أنظر، ابن جُلْجُل، المصدر السابق، ص70.؛ ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص ص263، 264.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص264.

[5] نفسه.

كتبه هذه إليها، فلا يَنتفع بها إلّا مَن كانت عنده مقدّمات عتيدة ... وله بعد هذا رسائل كثيرة في علوم جمَّة ظهرت له فيها آراء فاسدة ومذاهب بعيدة عن الحقيقة"[1].

أمّا منهجه في المقارنة، فيختلفُ حسبَ الموضع، حيث يُقارن بين نادرةٍ وأخرى أو بين طبيبٍ وآخر أو بين مناهج الأطبّاء مثال ذلك، ما ذكره من حكايات ونوادر رشيد الدّين أبو حُلَيْقة(ت648 هـ/ 1250م)، وقارنها بنادرة مماثلة لجالينوس، فذكر أنّه جاءته امرأة من الرّيف ومعها ولدها، وكان قد غلب عليه النّحُول والمرض، وشكت إليه حال ولدها، يقول الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة :"... فنظر إليه واستقرأ حاله، وجسّ نبضه، فبينما هو يجسُّ نبضه قال لغلامه: أُدْخُل ناوِلني الفَرَجية[2] حتّى أجعلها عليه، فتغيّر نبض ذلك الشاب...واختلف وزنه، وتغيّر لونه أيضًا فحدَس أنّه يكون عاشقًا، ثمّ جسَّ نبضه بعد ذلك فتساكن، وعندما خرج الغلام إليه وقال له: هذه الفرجيّة، جسّ نبضه فوجده أيضًا قد تغيّر، فقال لوالدته: إنّ ابنك هذا عاشق والتي يهواها اسمها فرجيّة...". وهذه الحكاية جعلت الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة يعود بنا إلى الحكيم جالينوس عندما عُرضت له حالة مماثلة عرف من خلالها أنّ المرأة التي كان يقوم بمداواتها عاشقة، قال الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة :"... وكان المرض قد طال بها وحدَس أنّها عاشقة فتردّد إليها، ولما كان يومًا وهو يجسُّ نبضها وكانت الأجناد قد ركِبوا في الميدان وهم يلعبون، فحكى بعض الحاضرين ما كانوا فيه، وأنّ فلانًا تبيّنت له فروسيّة ولعب جيّد، وعندما سمعت باسم ذلك الرّجل تغيّر نبضها، واختلف...ثمّ أنّ جالينوس، فأشار على ذلك الحاكي سرًّا أن يعيد قوله، فلمّا أعاده وجسّ نبضه وجده أيضًا قد تغيّر فتحقَّق من حالها أنّها تعشق ذلك الرجل"[3].

كما وجدته يقارن بين الأطبّاء، وخاصّةً مشايخه في كلامهم وأبحاثهم ومناهجهم، من ذلك مقارناته في مناهج الأطبّاء النَقَلة والمترجمين، نحو قوله: "كان يقارب حُنين ابن إسحق في النّقل إلّا أنّ عبارة حُنين أفصح وأحلى"[4]، أمّا ما ذكره عن مشايخه؛ كالطّبيب موفّق الدّين يعقوب بن سِقْلَاب الّذي كان يقارنُ منهجه مع شيخه الآخر مهذّب الدّين عبد الرّحيم بن علي: "... فكان الشّيخ مهذّب الدّين أفصح عبارة، وأقوى براعة، وأحسن بحثًا، وكان الحكيم يعقوب أكثر سكينة، وأبْين قولًا وأوسع نقلًا، لأنّه كان

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص287.

[2] الفَرَجيّة، ثوبٌ من غير أكمام يُلبَس على الصدر. أنظر، الحنفي عبد الباسط (زين الدّين بن خليل بن شاهين ت920 هـ)، الرَوْضُ الباسم في حوادث العُمر والتراجم، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، (1435هـ/ 2014م)، ج4، ص268.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص595.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص281.

بمنزلة التّرجمان المستحضِر لما ذكره جالينوس في سائر كتبه من صناعة الطبّ، فأمّا معالجات الْحَكِيم يَعْقُوب فَإِنَّهَا كَانَت فِي الْغَايَة من الْجَوْدَة والنَّجْحِ"[1].

ووجب الوقوف عند عباراته هذه الّتي قارن بها الطّبيبين، فقصد بعبارة "أحسن بحثًا"، بمعنى أكثر اجتهادًا واستقصاء للمعلومات والطّرق، وكانت عبارته في المقابل "أوسع نقلًا، لأنّه كان بمنزلة التّرجمان المستحضِر لما ذكره الحكيم جالينوس "تعني أنّه كان قليل الاجتهاد، وأنّ اعتماده كان على مطلقا على جالينوس"، والطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة على الرّغم من إعجابه بجالينوس، إلّا أنّه ينتقد ابن سِقْلَاب، بوصفه ناقلًا، مع العلم أنّ النصّ في ظاهره مديحًا، لكن بمقابلته عمّا قاله عن شيخه الآخر مهذّب الدّين بوصفه أكثر بحثًا وهو الّذي عُرف بتمكّنه في طبّ جالينوس ومؤلّفاته، فهذا دليل على أهميّة التّجديد لدى الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، وذلك على الرّغم من رواج الطبّ الجالينوسي في بلاد الشّام في تلك الفترة[2].

ويحيلنا إلى شيخٍ آخر، ويذكر منهجه في كيفيّة الاستدلال، فكان الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بعد ما يفرغ الحكيم مهذّب الدّين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان وهو معهم، يجلس مع الشّيخ رضيّ الدّين الرّحبي فيتعلّم كيفية استدلاله على الأمراض وجملة ما يصفه للمرضى، وما يكتب لهم ويبحث معه في كثير من الأمراض ومداواته"[3]، وفي قضيّة أخرى ينتقد أساتذته لأطبّاء آخرين، من ذلك أنّه كان يدرس يومًا عند شيخه رضيّ الدّين الرّحبي كُتب الطّبيب الرّازي، فلمّا وصلا إلى كلام الرّازي في ترتيب تناول الأغذيّة، وقد ذكر الرّازي "أنّ الإنسان ينبغي له أن يأكُل في اليوم مرّتين، وفي اليوم الثّاني مرّةً واحدة"، فقال لي: "لا تسمعْ هذا والّذي ينبغي أن تعتمد عليه أنّك تأكل وقتَ تكون الشّهوة للأكل صادقة في أيِّ وقتٍ كان، سواءٌ أكان مرّتين في النّهار أو مرّة أو ليلٍ أو نهار، فالأكل عند الشّهوة الصّادقة للأكل هو الّذي ينفع، وإذا لم يكن كذلك فإنّه مضرَّة البدن" وقد علّق ابن أبي أُصَيْبِعَة بقوله: "وصدَق في قوله"[4].

3–أحجام التّراجم وتكرارها:

تفاوتت أحجام التّراجم عند الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، فجاءت تراجم بعض الأطبّاء في صفحات، في حين لم تتعدّ تراجم أطبّاء آخرين السّطر والسّطرين، كما كانت هناك تراجم متوسّطة الحجم في حدود

---

1 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص698.

2ماهر عبد القَادر، الطّب العَربي رُؤْية ابستِمُولوجيّة، ص ص152، 153.

3ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص732.

4ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص674.

الصّفحة والصّفحتين، وربّما يرجع ذلك إلى المادّة المتوفّرة لديه من المصادر المختلفة، من حيث قلّتها وكثرتها، وقد يكون حسب رغبة ابن أَبِي أُصَيْبِعَة ليختصّ بوضع تراجم وافيّة للمشهورين وأخرى مختصرة للأقلّ شهرة[1]،وسواءٌ كان هذا أو ذاك فإنّه أطال في تراجم المشاهير[2]، وأمّا التّراجم اليسيرة فقد خصّ بها الأقلّ شهرة، وكذلك النّقلة الّذين ذكرهم في الباب التّاسع، وهذا راجع إلى تكرار بعضهم في أبواب أخرى[3].

أمّا فيما يخصّ تكرار بعض التّراجم، فقد اقتضى منهج الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أن يعيد ذكر بعض الأطبّاء في بابَين، وذلك لطبيعة القاسم المشترك الخاص بكلّ طبقة، فلمّا كان الباب الثّامن يحتوي على تراجم الأطبّاء السّريانيّين، فقد كان الباب التّاسع يضمّ طبقة الأطبّاء النّقَلة، فوردت لهم تراجم في الباب الثّامن، وتكرّرت في الباب التّاسع، وربّما هذا لتسهيل معرفة المهتمّين بنقل الكتب وترجمتها، وتجدر الإشارة إلى أنّ التّراجم في الباب التّاسع كانت جدّ مختصرة، حيث تراوحت بين السّطر والسطرين، وفيها اهتمّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بذكر ما يخصّ النّقل والترجمة من لغةٍ وخطٍّ، قليلٍ أو كثير، وقيمة النّقل من متوسّطٍ إلى حسنٍ إلى جيّد.

4-التّدقيق:

تميّز منهج الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بطابَع التّدقيق والاستقصاء للعديد من الجوانب المهمّة، فقد كان يدقّق في ذكره لمعلوماته، ومثال ذلك عندما تكلّم عن وجود صناعة الطبّ وأوّل حدوثها حاول أن يبسط جميع ما قيل في هذه الجزئيّة ويختمها برأيّه الخاص، قائلًا:" أقول، وانّما نقلنا هذه الآراء الّتي تقدَّم ذكرها على اختلافها وتنوّعها، لكون مقصدِنا حينئذ أن نذكر جُلّ ما ذهب إليه كلُّ فريق"[4]،كما ظهرت ميزة التّدقيق في تناوله لبدايات الأمور، خاصّةً في بداية الأبواب، حيث أنّه حرص في الباب الأوّل على تثبيت أوّل ما قيل في صناعة الطبّ وأوّل حدوثها، كما ورد ذلك في عنوان هذا الباب" كيفيّة وجود صناعة الطبّ وأوّل حدوثها"[5]، وتظهر هذه الميزة أيضًا أثناء حديثه عن أوّل مَن ظهر من الأطبّاء لكلِّ

---

1 مُحمّد رَحيم حُلو، المرجع السابق، ص138.

2 من أمثال، أسْقْلَبيوس ص 29-38؛ أبُقراط ص 43-57؛ جَالينوس ص 109-149؛ جِبرائيل بنُ بختشوع ص187-201؛ الرّازي محمّد بن زكريا ص349-371؛ الشّيخ الرّئيس ابن سينا ص 437-459؛ وابن الهيثم ص 550-560؛ وابن الدَّخوار؛ وعمّ ابن أَبي أُصيبِعة رشيد الدّين عليّ بن خليفة ص 736-750 وأبو الصَّلْت وغيرهم.

3 من هؤلاء، ترجمة إسرائيل بن سَهْل ص224؛ عيس بن مَاسة ص257؛ الحلّاجي، ابن صهار بخت؛ ابن ماهة ص278؛ عيسى بن يحي بن إبراهيم ص277؛ أبو علي الحسن بن عليّ بن أثردي ص400؛ أبو عبد التُوني يزيد ص534 وغيرهم.

4 ابن أَبي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص16.

5 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 11.

طبقة من طبقات الأطبّاء في كتابه[1]، قائلًا:" ... أنّ أبُقراط أوّل مَن وضع صناعة الطبّ وأوّل من دوَّنها...وأسقلبيوس الأوّل هو أوّل مَن تكلّم في شيءٍ من الطبّ"[2]، ويؤكّد ذلك في بداية الباب الثّاني عند ترجمته للحكيم أسْقْلَبْيُوس، على أنّه أوّل مَن ذكر مِن الأطبّاء وأوّل مَن تكلّم في شيءٍ من الطبّ عن طريق التّجربة[3]، ونجده حينما يتكلّم عن نَقَلة الكتب الطبّيّة إلى اللّسان العربي في بداية الباب التّاسع يذكر أوّلهم وهو جُورْجَسْ[4].

5-شرح المصطلحات الأعجميّة:

من منهج الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ترجمته وتفسيره للمصطلحات الأعجميّة، ذات الأصول اليونانيّة والسُّريانيّة، معتمدًا على مصادره الّتي نقل منها، فذكر أنّ ترجمة الحكيم أسقلبيوس باللّفظ العربي تعني "منْع اليَبَسْ،" وأنّ أصل هذا الاسم في لسان اليونانيّين مشتقّ من البَهاء والنّور[5]، أمّا الحكيم أبقراط فيقول أنّ أصل اسمه باليونانيّة "أيْفُوقْرَاطِيسْ"، ويقال "بُقْرَاطِيسْ"، لكنّ العرب لما كانت عادتها تخفيف الأسماء واختصار المعاني قاموا بتخفيف الاسم إلى أبُقراط وبُقراط أيضًا الّذي معناه ضابِط الخيل، وقيل معناه "ماسِك الصّحّة"، وقيل "ماسِك الأرواح"[6]، وسُقْرَاطِيس معناه "المعتصِمُ بالعَدْلِ"[7].

وذكر أنّ أفلاطون في لغتهم يعني "العَمِيم الوَاسِع"[8]، ومن الأسماء التي ذكر معناها وتفسيرها نقلًا عن المؤرّخ المسعودي "أرِسْطُوطَاليس" ويعني "تامّ الفَضِيلة"، و"نِيقُومَاخس" تفسيره "قَاهِر الخَصْم"[9]، أمّا جالينوس، فأصله غَالينُوس، ومعناه "الساكن أو الهادي"، وترجمته إلى العربيّة الفاضل[10]، ومعنى أغلوقن باليونانيّة "الأزْرق"[11]،ونَقل عن الطّبيب حُنين معنى دِيَاسِقُورِيدَسْ، أنّه مركّب باليونانيّة من جزأين "دِيسْقُورِي"، بمعنى "أشْجَار"،و"دُوسْ" باليونانيّة "الله"، فيكون المعنى الكامل ومعناه؛ أي: "مُلْهِمُهُ اللهُ

---

[1] رحيم حلو، المرجع السابق، ص132.
[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص27.
[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص29.
[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص279.
[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص30.
[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص48.
[7] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص70.
[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص80.
[9] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص86.
[10] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص129.
[11] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص134.

للشّجَر والحشَائِش"[1]، كما فسّر أسماء بعض الكتب ككتاب "إِبِيدِيميا"، وتفسير هذه الكلمة "الأمراض الوافدة"[2]، ومعنى اسم الكتاب اليوناني "سُوفَسْطِيقَا" الحكمة المموَّهَة[3].

وممّا فسّره من اللّغة السريانيّة معنى اسم "بَخْتِيشُوع"، وذكر أنّها مركّبة من "بَخْت"، ومعناها "العبد"، ومن "يشُوع" وهو "عيسى -عليه السّلام-"، فيكون المعنى العام لاسم بختيشوع "عبد المسيح"[4]، ومن المصطلحات ذات الأصل الفارسي علّة الوَرْشَكَيْن، و"الوَرْشَكَيْن" اسم رَكَّبتْه الفرس من الكَسْر والصّدْر، واسم الصّدر بالفارسيّة الفصيحة "ور"، وبالعاميّة "بر"، واسم الكسر "أشَكَين" فإذا جمعت اللفظتين كانتا "وَرْشَكَيْن"؛ أي، هذه العلّة من العلّل الّتي يجب أن يكسر عَلَيْهَا الصَّدْر[5]، وعن معنى "هُرْمُس" فهو لقب يُطلق كما يقال "قيصر وكسرى"، وتسمّيه الفرس في سيَّرها "اللهجد"، وتفسيره "ذو عَدْل"[6]، وهذا يؤكد أنّ الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة مهتمّ باللّغات، فكان يستغلّ الفرصة كلّما سنحت له، ليُترجم أو يذكر شرحًا للمصطلح الأعجمي الّذي يذكره، وقد يذكره في عدّة لغات، من ذلك لما ذكر أنّ "البيمارستان" أصله فارسي، ومعناه باللغة العربيّة "مُجَمّع المرْضى"، وباليونانيّة يقال له "أَخْسَنْدُوكَين"[7].

6-الآراء والاجتهادات:

لم يكتف الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بنقل الرّوايات التّاريخيّة وبسْطِها في قالَب سردي، وإن كان قد غلب عليه هذا المنهج، فقد كانت له أراء واجتهادات شخصيّة، واعتمد أسلوب النّقد والتّحليل في الكثير من المواضع، فلم يسلِّم بروايات سابقيه، فمثلًا في بداية الباب الأوّل "كيفيّة وجود صناعة الطبّ وأوّل حدوثها" لم يبسط الروايات مباشرة؛ بل راح يوضّح صعوبة الوصول إلى تحقيق هذا المعنى، ملتمسًا للباحث في هذه القضيّة الأعذار، فقدّم لنا ثلاث نقاط أوّلها، أنّه بعد العهد ببدايات الطبّ وثانيها، أنّ القدماء لم يتّفقوا على قولٍ واحدٍ، متّفقًا عليه أخيرًا أنّ المتكلّمين في هذا لما كانوا فِرقًا وكانوا كثيري الاختلاف أشْكَل التوجيه في أيّ أقوالهم هو الحقّ[8].

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص59.
[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص47.
[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص93.
[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص186.
[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص193.
[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص31.
[7] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص47.
[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص11.

يعتمد الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة على الكثير من الألفاظ التي تدلّ على أرائه واجتهاداته (أقول، رأيتُ، طالعتُ، أرى، حدّثني...) فيبدأ حديثه في الباب الأوّل بكلمة أقول، ثمّ يعرّج على بعض الرّوايات ليُعطي رأيه بقوله:" ونقول أيضًا: يجوزُ أن يشُكّ شاكٌ..."[1]، وقد تكرَّرت في العديد من المواضع، كما أنّه قدّم لنا خُلاصةً لما سبق، مُبديًا رأيه يقول:" وبالجملة، فإنّه قد يكون من هذا وممّا وقع بالتّجربة والاتّفاق والمصادفة... وأقولُ أيضًا وقد أشرْنا إلى ذلك مِنْ قبل أنّه ليس يلزم أن يكون أوّل هذا مختصًّا بموضعٍ دون موضع...، وأرى أنّهم اختلفوا في نسبة صناعة الطبّ..."[2]لِيَنْفي بعد ذلك قوْل النّاس بأنّ أبُقراط أوّل مَن وضع صناعة الطبّ وأوّل من دَوَّنها، فهو مَنْ دوّنها، ولكن أسْقْلَبْيُوس الأوّل هو مَنْ تكلَّم فيها أوّلًا[3].

ومن أمثلة أرائه أنّه عند الكلام على معاصرة الحكيم جالينوس للمسيح يقول:" أقول: وكان مولد جالينوس بعد زمان المسيح بتسعٍ وخمسين سنة، على ما أرَّخه إسحاق، فأمّا قول مَن زعم أنّه كان معاصره وأنّه توجّه إليه ليراه ويؤمن به فغيْر صحيح..." وقدَّم حُججه في ذلك[4]، وأحيانًا ينتقد الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة وينفي بعض الرّوايات، على الرّغم من أنّه لم يُدَعِّم رفضه بأدلّة، بقصدٍ أو بغير قصدٍ منه، فإنّه لم يقتنع برواية نُسبت إلى الحكيم جالينوس قائلًا:" وهذه حكاية أحسبُها مُفْتَعَلة عن جالينوس"[5] ولم يقدّم لنا تفاصيل عن ذلك، وفي مجال رفضه لبعض الرّوايات فإنّه يكتفي بألفاظٍ دالّة على ذلك نحو قوله:" والأصح في ذلك" أو قوله" وذلك غَلط"[6]، ويقف أحيانًا موقف المتشكِّك من بعض الروايات دون نقدِها بعد أن ينتهي من ذِكرها بقوله" والله أعلم"[7].

وفي بعض المواضع يؤيّد الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بعض ما قال أو قام به بعض الأطبّاء؛ فيعلّق على ذلك مبديًا رأيه، ومن أمثلة ذلك أنّه عندما كان يتكلّم عن أستاذه رضيّ الدّين الرحبي، ذكر بعضًا من نوادره وحُسن تصرّفاته مع الصّاحب صفي الدِّين، ابن شُكْر(ت622هـ/1225 م)[8] وزير الملك العادل الّذي لازم أكْل لحم الدّجاج وعَدَلَ على لحم الضّأن فتغيَّر لونه وشَحب، ولم يستطع الأطبّاء مداواته،

---

[1]ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص14.

[2]ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص27.

[3]نفسه.

[4]ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 110.

[5]ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص124.

[6]ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص298.

[7]رحيم حلو مُحمّد، المرجع السابق، ص141.

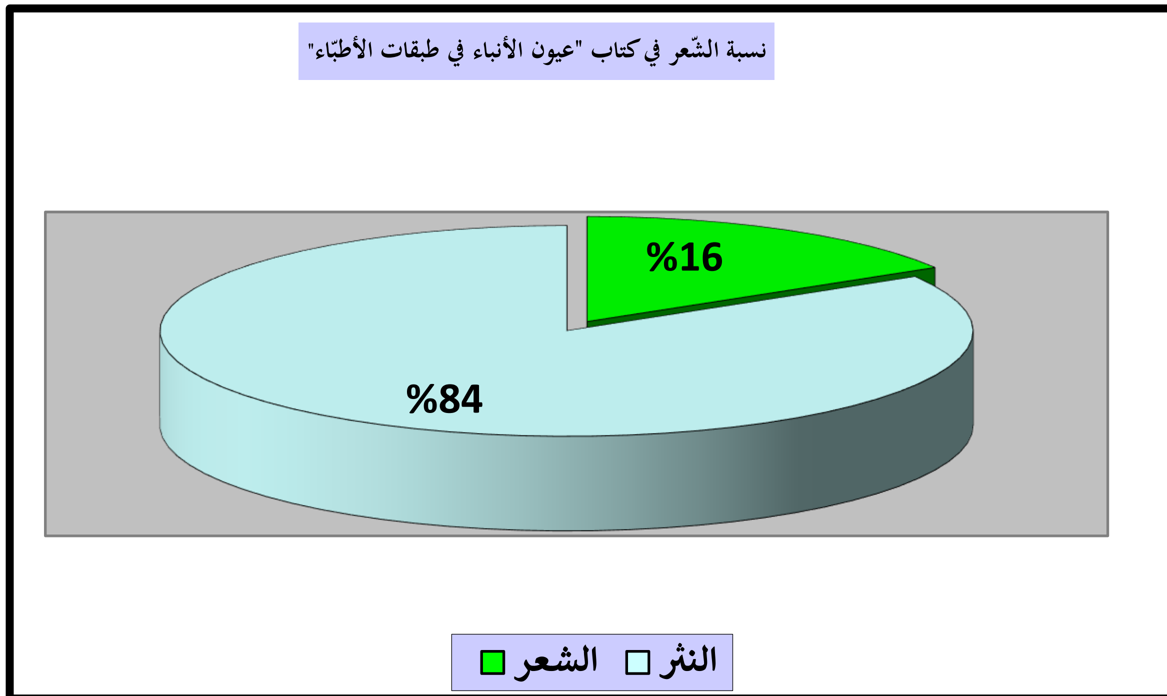
[8]الصاحب صفيّ الدّين، ابْن شكر عبد الله بن عَليّ، أَبُو مُحمّد الشيْبِي (548-622هـ/1154-1226م)، المصري الدَّمِيري المالكي، حدَّث بدمشق ومصر، كان مؤثِرًا لأهل العلم والصالحين، كثير البرّ لهم، شيّد مدرسة مقابلة لداره بالقاهرة، ومصلّى بدمشق، وبلَّط الجامع الأموي، وعمّر الفوارة. أنظر، الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص193.

لينصحه الطّبيب رضيّ الدّين الرّحبي بترك لحم الدّجاج وملازمة أكل لحم الضّأن، فقال الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة:" أقولُ، وهذا إقناعٌ حسَن أوْجَده لِمن أراد علاجه، وتدبيرٌ بليغ في حفظ صحّته..."[1].

7- اعتمادُ الشِعْر واستحضاره:

اهتمّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بالأدب والشّعر، وذلك ما وصفه به أقرانه، وهو ما يظهر جليًّا في كتابه؛ إذ أنّنا لا نجده يترك فرصةً لإدراج أبياتٍ من الشّعر إلّا وفعل، فبَسط شِعر الأطبّاء بمختلف مواضيعه الّتي لها علاقة بالطبّ والّتي في غيره، بأيّ نوع كانت مدحا أو هجاء أو رثاء أو زهدا، أو غيرها، ونظرًا لكثرة ورود الشّعر لديه ارتأيْتُ أن أَحْصي عدد الأبيات الّتي ذكرها، بغية استنتاج نسبة استعمال الشّعر في الكتاب، وقد وجدتُه يكتفي في مواضع بذكر بيتٍ من الشّعر أو بيتين أو أكثر، كما وجدته يُدْرِجِ قصائد طويلة تتعدّى الصّفحة والصفحتين؛ بل وفي مواضع وجدت أكثر من ذلك.

وجدت بعد عملية الإحصاء أنّ عدد الأبيات الشّعريّة بلغ حدود 3530 بيتًا، وأنّ الصفحة الواحدة -ذلك انطلاقًا من نماذج من الكتاب- تحتوي على 28 بيتًا، وعليه فلو أردنا معرفة نسبة الصّفحات الّتي تحتوي عل الشّعر من مجموع الكتاب الّذي يحتوي على 768 صفحة وجدناها 126 صفحة؛ أي: "ما نسبته 16%"، وهذا ما أبيّنه في الرّسم البياني التّالي:

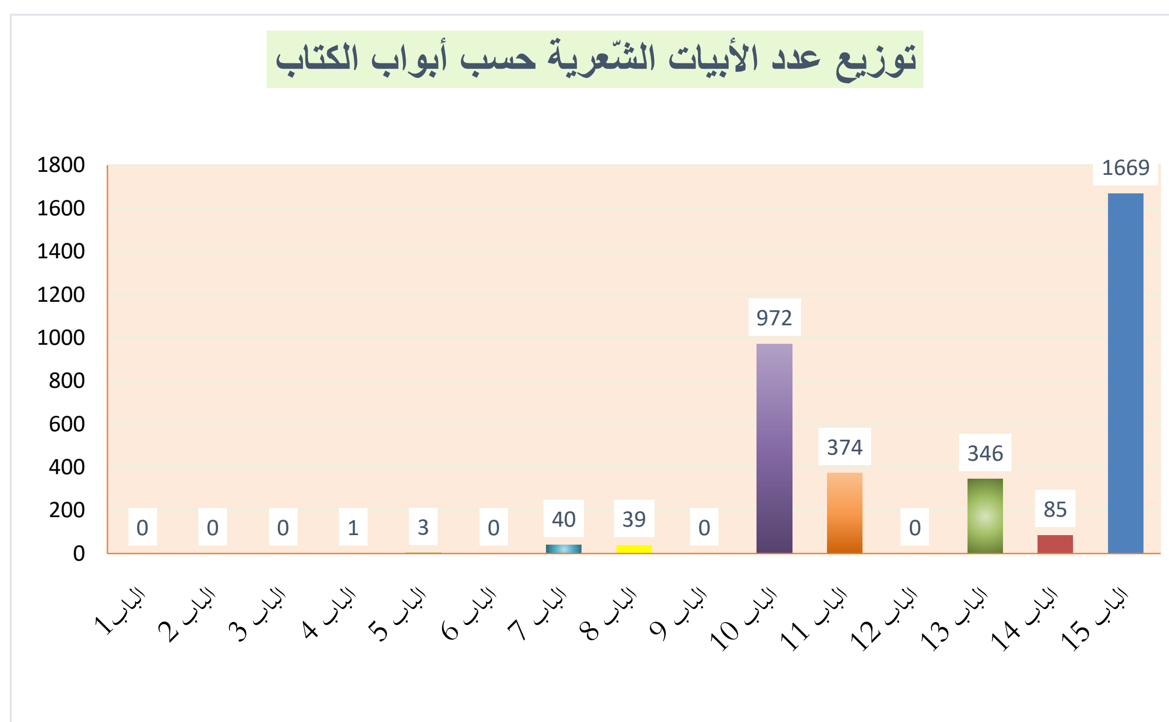


[1]ابن أبي أُصيبعة، المصدر السابق، ص 675.

ومن خلال هذا فالملاحظ أنّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قد اعتمد على الشّعر بشكلٍ كبير، مبرزًا الوجه الآخر للطبيب في ذلك العصر، فلم يمنع الطّبيب قول الشّعر ووصْفِ ما يختلِجه من مشاعر مختلفة، ولم تكن عندهم ما يُعرف بالقطيعة بين العلوم الأدبيّة النّقليّة والعلوم العقليّة، ولم يفوّت الفرصة لبسط بعض قصائده الّتي تبرز تمكّنه في قول الشّعر، فقد كتب قصيدة إلى الطّبيب رفيع الدّين الجِيلِي يهنّئه فيها سنة (638هـ/1241م) بمناسبة تولّيه القضاء، وهي تحتوي على تسعة عشر بيتًا[1]، وذكر أربعة أبيات قالها في مدْح زين الدّين الحافظي[2]، وكتب رسالةً تحتوي على عديد الأبيات إلى بدر الدّين ابن قاضي بعلبك[3] وغيرها، كما نجده يُطربنا بقصائد وأبيات كان قد سمعها من أصحابها مباشرةً، مبرزًا لنا علاقاته، حيث ذكر الكثير من ذلك[4]، أمّا تقسيم الأبيات الشعريّة حسب الأبواب فقد وجدتها كالتالي:

الباب	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15
عدد الأبيات	00	00	00	01	03	00	40	39	00	972	374	00	346	85	1669

التّمثيل البياني: عمود = باب / 1سم = 200 بيت شعري



---

1 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص648.

2 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص668.

3 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص ص752، 753.

4 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص706 وما بعدها، 734، 476، 477.

وردت الأبيات الشّعريّة في الكتاب على النّحو التّالي: خلُوّ كلٌّ من الأبواب؛ الأوّل والثاني والثّالث والسادس والتّاسع والثاني عشر من الشّعر، الأبواب الرّابع والخامس والسّابع والثّامن مجموع الأبيات التي وردت فيهم لا تتجاوز المائة، الباب الرّابع عشر احتوى على 85بيتًا، أمّا البابين الحادي عشر والثّالث عشر فقد احتوى كلٌّ واحدٍ منهما على أكثر من 345 بيتًا من الشّعر، وبلغ عدد الأبيات الشّعرية في الباب العاشر الألف بيتًا، أمّا الباب الأخير الخاص بأطبّاء الشّام فقد تضمّن ما يقارب 1680بيتًا، ومنه نستنتج أنّ أكثر ما ذكره من شعرٍ كان في الباب الأخير من كتابه؛ أي: في بيئة ابن أَبي أُصَيْبِعَة.

8–عناصر التّرجمة:

تراجُم الشخصيات في كتاب ابن أبي أُصَيْبِعَة تراوحت بين الطّول والقصر، حملت في طيّاتها العديد من النّقاط، معتبرًا إيّاها منطلَقًا للتنويه بمراتبهم وأقدارهم ومزاياهم الّتي تميّزوا بها، محاولًا بذلك إبراز جميع ما تعلّق بهم في مختلف مجالات الحياة على العموم وفي المجال العلمي على الخصوص، بيد أنّه ليس جميع تراجمه تشترك بتلك النّقاط وذلك بالنّظر إلى التّرجمة وأهميّتها وكذلك عن ما توفّر لديه من مادة علميّة[1]، كما أنّه يجدر التّنبيه على أنّ عناصر ترجمته لم تكن بالشكّل النّمطي من حيث التّرتيب، فقد يبتدئ في التّرجمة الأوّلى بذكر الاسم والنّسب، ثمّ يعرّج إلى العناصر الأخرى، بينما يبتدئ في ترجمة أخرى بخدمة المترجم له وعلمه أو ذكر موطنه أو مرتبته ضمن طبقة معيّنة...ومن أهمّ العناصر الّتي حوتها تراجم الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة نذكر:

أ–الاسم ولواحِقه:

ما يُذْكَر عادةً في مختلف التّراجم اسم المترجَم له، وكنيته، ولقبه، واسم شهرته ومعرفته، ونحو ذلك، وهذا ما اعتمده الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في مواضع عديدة من كتابه، ونجده في مواضع يكتفي بذكر شخصيّة المترجَم دون لواحق الاسم[2] أو قد يضيف إلى الشّخصيّة المترجم لها اسم الأب والجدّ، ومنهم من ذكره بكنيته فقط مثل، الطَّبيب ابن أَثَال[3]، أبو الحَكَم[4]، كما نجده يجمع كلٌّ من الاسم واللّقب والكنيّة والمهنة أحيانًا، ثمّ يذكر قبيلة المترجَم له، ويضيف ربّما ديانته الّتي عُرف بها والبلد الّذي يُنسب إليه فمثلًا:

---

[1] مُحمّد رحيم حلو، منهج ابن أَبي أُصيبِعة، ص142.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص161، 167، 170، 179، 183، 220 وغيرها كثير.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص171.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص175.

المهنة: فثيون الترجمان(1)، أبو يوسف الكاتب(2)، ابن الجزّار(3)، الشريف الكَحّال(4)...

القبيلة: الكِندي(5)، الشَيْباني(6)، الثَقَفي(7)...

الدّيانة: ثادَرَسْ الأُسْقُف(8)، أبو وَصِيف الصابِئ(9)، علي بن شمّاس المجوسي(10).

الشُّهرة: علي بن يحي المعروف بابن المنجَّم(11).

البلد: قَسْطا بنُ لُوقَا البعلبكي(12)،ابن أبي صَادِق النَّيْسَابُورِي(13).

كما أنّه يقوم في بعض المواضع بشرحِ معنى الاسم كما ذكرت سابقًا، ومن باب الإيضاح، يحرص الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة على ذكر بعض العبارات الّتي تزيد بالتّعريف بهم، كقوله في ترجمة موسى بن إسرائيل متطبّب إبراهيم بن المهدي(14)، وقوله في ترجمة الطّبيب النَّضْر بن الحَرْث على أنّه ابن خالة النّبي ﷺ(15)ونحو ذلك.

ب–الولادة والوفاة:

لم يهتمّ كثيرًا الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بذكر مولد المترجَم لهم، إلّا في مواضع قليلة، وجاءت أغلبها في بداية التّرجمة(16)، وفي مواضع نادرة جمع تاريخ المولد مع تاريخ الوفاة(17)، وفي المقابل لم يُهمل تاريخ الوفاة وحرَص على ذكرها، وقد جاءت أغلبها في آخر التّراجم، وتنوّعت بين ذكر تاريخ الوفاة فقط(18)

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص280.
[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص282.
[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص481.
[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص660.
[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص285.
[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص703.
[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص161.
[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص283.
[9] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص311.
[10] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 319.
[11] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص283.
[12] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص329.
[13] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص461.
[14] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 230
[15] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 167.
[16] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص230، 307، 407،584، 736، 759.
[17] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص496، 671، 697، 706.
[18] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص264، 420.

أو ذِكر عُمْرِ المترجَم له، مع إدراج تاريخ الوفاة[1]، وأحيانًا يذكر تاريخ الوفاة باليوم والشهر والسنة بالإضافة إلى مكان الوفاة[2].

وفي بعض المواضع نجد أنّ التّراجم تتوالى ولم يذكر لا تاريخ ولادة ولا وفاة، مثال ذلك عند ذكره للأطبّاء الطَّيْفُوريين[3]، إلّا أنّه يحيلنا إلى عصورٍ بعض الأطبّاء، من خلال خدمتهم للسّلاطين المشهورين[4]، ومن خلال ذكره لبعض الأحداث داخل التّرجمة، وقد يذكر لنا أنّ المترجَم له كان موجودًا في سنة معيّنة، ربّما جهلًا منه لتاريخ ولادته ووفاته[5]، كما نجده يستعمل ألفاظًا تقريبيّة غير محدودة مثل بَقَيْن[6]، وخَلَوْن[7]، ومستهلّ[8]، وينوّه أحيانًا إلى سبب الوفاة[9].

ت–الاهتمام بالموطن والمسكن:

نال هذا العنصر اهتمامًا كبيرًا عند الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، فقام بتقسيم معظم كتابه على حسب اشتراك المترجم لهم في الموطن، نحو قوله طبقات أطبّاء الهند، وأطبّاء مصر، وأطبّاء الشّام، كما كان يحيلنا ضمن هذه الأبواب إلى الموطن الأصلي لبعض الأطبّاء، ممّن هو من بلد أو إقليم أو مدينة أخرى، ثمّ قدِم ليستقرّ في مكانٍ غير موطنه الأصلي، ليحيلنا بعد ذلك إلى نقطة مهمّة تؤدّي بنا إلى معرفة التّواصل الحضاري، من خلال تنقّلات الأطبّاء إلى المناطق الأخرى[10]، لأخذ العلم أو للاستقرار هناك، ومثال ذلك عند ذكره لأحد أطبّاء الشّام؛ وهو أبو نصر الفارابي؛ يذكر أنّه من مدينة "فَرَابْ"[11] الّتي هي من بلاد التّرك في أرض خُراسان[12]، وقال عن حكيم الزّمان عبد المنعم الجيلاني وهو، الآخر أحد أطبّاء الشّام :" أتى من الأندلس إلى الشّام وأقام بدمشق إلى حين وفاته"[13]، وقال عن الطَّبيب ابن بَذُوخ:" هو أبو

---

1 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص522، 663، 742.

2 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص585- 637.

3 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص220 وما بعدها.

4 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص346، 599، 661.

5 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص428.

6 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص209، 230، 277، 545، 549.

7 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 217، 255، 263، 489.

8 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص301، 503، 722.

9 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 307، 301، 492، 616.

10 أناقش هذا العنصر في الفصل الثالث، مادة تنقّلات الأطباء والعلاقات فيما بينهم.

11 فَرَاب، بفتح الفاء، وتخفيف الرّاء، وآخره باء موحّدة، قرية في سفْح جبل، تبعد عن سمرقند ثمانيّة فراسخ، ينتمي إليها "أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن الفارابِي أبو الفتح". أنظر، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص241.

12 ابن أَبي أُصيبِعة: المصدر السابق، ص603.

13 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 630.

جعفر عمر بن علي بن بَذوخ القَلْعي المغربي"، وكان قد جعله من أطبّاء الشّام المشهورين[1]، ولما ذكر الشريف الكَحّال قال أنّ أصليّته من مصر[2]، وربّما أراد التّنويه إلى ذلك ليميّز بين مَنْ هو شاميّ أو مصري الأصل، وبين مَن هو قادم إلى الشّام أو مصر من مدنٍ وبلدان أخرى[3].

أمّا بالنّسبة إلى الأبواب الّتي لا تحمل في عناوينها قاسم الاشتراك بالمدن أو بالموطن، فقد حرص على ذكر مواطن الأطبّاء، ففي الباب السّابع مثلًا في ذكره لطبقات الأطبّاء الّذين كانوا في أوّل ظهور الإسلام من أطبّاء العرب وغيرهم ذَكر الطّبيب الحارث بن كِلْدَة على أنّه من الطّائف[4]، وتكلّم عن الطّبيب عبد الملك بن أَبْجَرْ الكِناني على أنّه من الإسكندريّة[5]، وبعده ذكر الطَّبيب ابن أَثَالْ على أنّه كان من الأطبّاء المتميّزين في دمشق[6].

ث–خدمة الحكّام والمكانة لديهم:

من المعلومات المهمّة التي أمّدنا بها، وكان حريصًا على ذكرها؛ خدمة الأطبّاء وعلاقاتهم بمسؤولي الدّولة، مبيّنًا المكانة الّتي احتلّوها لديهم، وعن الألفاظ التي اعتمدها في ذلك، نذكر أمثلةً عن ذلك، نحو قوله "استطبَّه معاوية"[7]، و"خدم بصناعة الطبّ المنصور"[8]، أو مثال قوله "كان في خدمة المستضيء بالله"، وقوله عنإسرائيل بن زكريا الطّيفوري أنّه كان متطبّبٌ الفتحَ بنُ خاقان[9]... ومختصًّا بخدمته...وكان

---

1 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 628.

2 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 660.

3رحيم حلو مُحمّد، المرجع السابق، ص144.

4ابن أَبي أُصيبِعة: المصدر السابق، ص161.

5ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 171.

6 نفسه.

7 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص175.

8 ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص183.

9 الفَتْحُ بن خَاقَان (ابنُ أحمد بن غرطوج، أبو مُحمّد ت 247 هـ /861 م)، وزير الخليفة المتوكّل على الله العباسي وجعل له إمارة الشّام، وكان يقدّمه على جميع أهله وولده، وهو أديبٌ، شاعرٌ، فصيحٌ، كان في نهاية الفطنة والذكاء، فارسي الأصل، من أبناء الملوك، واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن، وألّف كتابًا سمّاه " اختلاف الملوك "، وكتابًا في " الصيد والجَوارح "، وكتاب " الرَوْضة والزَهْر"، قُتل مع الخليفة المتوكل. سبْط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج15، ص234.؛ ابن منظور (مُحمّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدّين الأنصاري ت711هـ)، مختصَر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: روحيّة النحاس، رياض عبد الحميد مراد، مُحمّد مطيع، ط1، دار الفكر للطّباعة والتّوزيع والنّشر، دمشق – سوريا، (1402هـ/ 1984م)، ج20، ص251.؛ الذّهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص1202.

المتوكّل يعتمد عليه[1]، فكان الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة يذكر جميع مَن خَدَمه[2]، كما يطلق عبارة "وتقدّم عند المتوكل"[3].

وكان يوجّهنا في غالب تراجمه إلى صلةِ وعلاقة الأطبّاء بالخلفاء والملوك والولّاة والقادة وغيرهم من أصحاب السّلطان، ويذكر ما نالوه من إكرامٍ وإحسانٍ، ومن العبارات الدّالة على ذلك بعد ذكر خدمته لأحدِ ممثّلي السّلطة قوله: "وأنّه كان حظيًّا عنده، رفيع المنزلة، ونال من جهته أموالًا جزيلة"[4]، وقوله في موضعٍ آخر: "حظيًّا عند الخلفاء، رفيع المنزلة عندهم،كثيري الإحسان إليه، وحصَّل من جهتهم من الأموال ما لم يُحَصِّله غيره من الأطبّاء"[5]، وقوله عن أحد الأطبّاء "أنّه خَدَم المعتضد بالله وحظّيّ عنده، وكان كثير الإحسان إليه والإنعام عليه"[6]، وقال: "وكان يُكرِمه ويعزّه أمرًا عظيمًا"[7]،ومن العبارات أيضًا "وبلغ مكانةً... إلى أن صار وزيره وكاتبه"[8]، وقد تكرّر ذكر مثل هذه المعلومات في تراجم الأطبّاء عند الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في أغلب كتابه[9].

ج-الدّيانة:

ممّا يشدّ الانتباه في تراجم الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ذِكْره في عديد المواضع لديانة الأطبّاء، خاصّةً من النّصارى واليهود والصّابئة[10]؛ بل وكان يعرّج في بعض المرّات إلى المذهب من تلك الدّيانات، وغالب ذِكره لذلك يكون في مستهلّ ترجمته؛ كأن يقول: "كان طبيبًا نصرانيًا أو يهوديًا"[11]، وكان يعلّق في بعض المواضع عن مدى إيمان الطّبيب بعقيدته، نحو قوله عن الطّبيب سَلْمَوَيْه بنُ بنَان (ق3هـ/9م): "كان

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص225.

[2] من أمثلة ذلك كثير، أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص226، 342.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص230.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص183.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص187.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص213.

[7] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص321.

[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر انفسه، ص405.

[9]أنظر: ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 295، 311، 414، 415، 462، 550، 572، 580، 647، 736.

[10]الصّابئة، من صَبَأ الرجل: "إذا مال وزاغ"، فبحكم ميل هؤلاء عن سنّن الحقّ، وزيْغهم عن نهج الأنبياء، قيل لهم:" الصابئة"، والصابئة نوعان، حنفاء ومشركون، فالحنفاء هم، من المسلمين المؤمنين، وأمّا المشركون كالصّابئة فهم الذين بعث الله إليهم الخليل إبراهيم -عليه السلام- وهم قوم من المشركين الذين كانوا يعتقدون في الكواكب والنجوم. أنظر، الشهرستاني (أبو الفتح مُحمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت 548هـ)، المِلَل والنِّحل، دط، مؤسّسة الحلبي، (دت)، ج2، ص63.

[11] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص 175، 214، 234، 347، 374، 406، 414، 541، 545، 568، 587.

نصرانيًا حسَنَ الاعتقاد في دينه"[1]، ومن أمثلة ذِكره للمذهب الّذي ينتمي إليه الطّبيب، فقد قال عن زاهد العلماء: "وكان نصرانيًا نسطوريًا[2]"[3]، ونحو قوله: "كان طبيبًا مشهورًا بديّار مصر، نصرانيًا عالمِا بشريعة النّصارى الملكيّة[4]"[5]، وقال عن طبيبٍ آخر أنّه كان ينتحل رأي الفرقة الملكيّة[6]، كما كان يذكر بعضًا ممّن دخل إلى الإسلام بعد أن كان على ديانةٍ أخرى نحو قوله:"... وكان نصرانيًا، ثمّ أسلم وألّف رسالةً في الردّ على النّصارى"[7]، وقال عن يحيى بن إسحق أنّه أسلم، وأمّا أبوه إسحق فكان نصرانيًا[8]،وعن الطّبيب السّمَوْأل(ت 570هـ/ 1174م) قال: "شابٌ بَغدادي كان يَهُوديّا ثمّ أَسْلَم"، وأضاف: "فَحَسُنَ إسلامه وَصَنّف كتابًا في إظهَار مَعَايب اليَهُود"[9].

ح-الصِّفات الخلْقِيّة والعلميّة:

من الأمور الّتي أوّلاها الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أهميّةً بالغة هو إبرازه للصّفات العلميّة والخُلقيّة والنّفسيّة للأطبّاء، فكان يقدِّم وصفًا للطبّيب، مبرزًا لعلمه ومكانته في الطبّ وفي غيره من العلوم، حتّى أنّ وصْفه كان مبالغ فيه في كثير من المواضع، كما كان يعرّج على ذكر صفات خَلْقِيّة كلون الشّعر والبشرة

[1]ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص234.

[2] نسبةً إلى الفرقة النّسطوريّة النّصرانيّة وهم أتباع نِسْطُور؛ الّذي تصرّف في الأناجيل بحكم رأيه وقال: "إنّ الله -تعالى -واحد ذو أقانيم ثلاثة؛ الوجود، والعلم، والحياة"، فكان مخالفًا لفِرق النّصارى الأخرى، وقوله أنّ العذراء ليست أمّ الله حقًّا، وأنّ المسيح لا يقوم بأُقنوم واحد؛ بل بأقنومَين. ويريد بذلك الفّصل بين الطّبيعة الإلهيّة للمسيح والطّبيعة البشريّة فالمسيح ليس طبيعتين فحسب؛ بل شخصيتين متمايزتين أيضًا، وهما شخصيّة عيسى الّذي كان بشرًا، وهذا البشر هو وحده الّذي ولد من مريم العذراء، وكذلك هذا البشر هو الّذي تألّم، وصُلب، ومات على الصّليب، وليس الله؛ لأنّ الله حيٌّ لا يموت، وَهَذِه الْفرْقَة غالبة على الْموصل وَالْعراق وَفَارِس وخراسان. أنظر، ابن حزم الظاهري (أبو مُحمّد، عليّ بن أحمد بن سعيد ت 456هـ)، الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل، (د ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت)، ج1، ص48.؛ الشّهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص29.؛ مُحمّد أحمد الحاج، النّصرانيّة من التّوحيد إلى التّثليث، ط1، دار القلم، دمشق-الدار الشّاميّة، بيروت، 1996م، ص ص184، 185.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص341.

[4] المِلكانيّة، فرقةٌ دينية نصرانيّة أصحاب مِلْكا؛ يقولون بأنّ الله تعالى عبارة عن ثلاثة أسباب؛ أبٌ وابنٌ وروح القُدْس، كلّها لم تَزَل وأنّ عيسى -عليه السلام- إلهٌ تامّ كلّه وإنسانٌ تامّ كلّه ليس أحدهما غير الآخر، وأنّ الإنسان منه هو الذي صُلِب وقُتل، وأنّ الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأنّ مريم ولدت الإله والإنسان وأنّهما معًا شيء واحد، ابن الله. تعالى الله عن كفرهم. أنظر، ابن حزم الظاهري، المصدر السابق، ج1، ص48.؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص27.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص540.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص548.

[7] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص343.

[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص488.

[9] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص471.

والهيئة ومعالم الوجه[1]، وقد يذكر ما عُرف عن الطّبيب من عاهاتٍ كثِقل اللّسان، وثِقل السمع وغيرها[2]، كوصفه للطبّيب عبد الله الطَّيْفُوري: "كان حسن العقل، طيّب الحديث، عليه لكنةً سوَاديّة كانت في لسانه شديدة"[3]، وكان يُبدي بعض ما وصف به أطبّاء مشهورين أطبّاء آخرين، كوصف حُنَين لابن أخته حُبَيْشْ بن الأَعْسَم[4] يقول الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وقال حُنين ابن إسحق -وقد ذكره في بعض المواضع- أنّ حُبَيْشًا ذكِي، مطبوع على الفهم، غير أنّه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه؛ بل فيه تهاون، وإنْ كان ذكاؤه مفرطًا وذهنه ثاقبًا"[5].

خ-الإنتاج العلمي للأطبّاء:

ختم الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أغلب تراجمه بذكره لمؤلّفات الأطبّاء، وتميُّز منهجه في ذلك بذكر جميع ما ألّف الطّبيب في جميع المجالات من الطبّ والحكمة وعلم النجوم والأدب والشّعر وغيرها، كما كان يذكر في عديد المواضع سبب التّأليف ولِمَنْ ألّفه الطّبيب[6]، ويذكر في عديد المواضع اطّلاعه على هاته المؤلّفات معلّقًا عليها من حيث ما حوته وأهميّتها[7]، ويضيف في مواضع ملاحظاته نحو قوله عن مؤلّف ما أنّه لم يتمّ[8]. وممّا نجده في بعض المواضع أيضًا يذكر تاريخ تأليف الكتاب[9].

كما يذكر الطريقة التي ألّف عليها الكتاب من مختصرٍ أو مقالةٍ أو رسالةٍ[10] أو عن طريق المسألة والجواب[11] وغيرها، أمّا المؤلّفات غير العربيّة فقد ذكر أصلَها وذكر المترجِمَ لها[12]، وذكر مراحل

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص31، 465.

[2] رحيم مُحمّد حلو، منهج ابن أَبي أُصيبِعة، ص146.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص220.

[4] حُبَيْش بنُ الحسن النّصراني، ابن أخت حُنَيْن بنُ إسحق وأحد تلامذته، يُصنَّف ضمن الأطبّاء النّقَلة، وذُكر أنّه كان في النّقْل يتحَرّى طريقة حُنَيْن بن إسحاق إلّا أنّه يُقصّر عنه، وهو الذي تمّم كتاب "مسائل حُنَيْن في الطّب" الذّي وضعه للمتعلّمين وجعله مدخلًا إلى هذه الصناعة، ولحُبيش من المؤلّفات: "كتاب إصلاح الأدويّة المسهّلة"، و"كتاب الأدويّة المفردة"، و"كتاب الأغذيّة"، و"كتاب في الاستسقاء"، بالإضافة إلى مقالة في النبض على جِهة التقسيم. أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص276.؛ ابن النّديم، الفهرست، ص359.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص276.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص181، 201، 214، 272، 278، 423، 451، 601، 648.

[7] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص571.

[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص298، 470، 659، 683، 721.

[9] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص570.

[10] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص273، 274، 427، 668.

[11] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص274، 341.

[12] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص186.

ترجمتها[1]، والملاحظ أنّه قد استرسل في الحديث عن مؤلّفات الأطبّاء شرحًا وتفصيلًا، وتنويهًا بمحتوياتها بصورةٍ أوسع ممّا ذكره ابن النّديم[2]، كمثال للمقارنة نجد المؤلّفات التي ذكرها ابن النّديم لحُنين ابن إسحاق حَوَتها صفحة واحدة[3]، وفي المقابل أربع صفحات خصّصها لذكر مؤلّفات حُنَين[4].

د–الوظائف من غير الطّب:

الكثير من الأطبّاء مارسوا وظائف إداريّة أخرى موازاةً مع صناعة الطبّ، أشار إليها الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة على غرار القضاء[5]، والوزارة[6]، والصيرفة[7]، والحِسْبة[8]، والتجارة[9]، والحِرَف[10]، ومنهم من عُيّن ساعورًا في البيمارستان[11]، ومنهم من تولّىَ منصبًا دينيًا، خاصةً من أطبّاء النصارى[12].

ذ–المشايخ والتلامذة:

من منهج الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ذكره للنّشأة العلميّة للأطبّاء، بذِكر شيوخهم الّذين تكوّنوا على أيديهم في الطبّ وفي غيره من العلوم، واعتمد في ذلك على ألفاظٍ عديدة؛ مثل قوله، اشتغل ولازم، وتتلمذ، وتعلّم، صحِب، وسمع، أخذ، قرأ ... وقد يذكر كثيرًا من هذه الألفاظ في ترجمةٍ واحدة[13]، أمّا عن التّلمذة، فنجده يذكر للطبّيب تلامذته باعتماد لفظة "ومن تلامذته"[14] أو "خَلَّف من التّلاميذ"[15]،

---

[1] مثال ذلك قوله: "ولشَانَاق من الكتب كتاب السّموم خمس مقالات، فسّره من اللّسان الهندي إلى اللّسان الفَارسي مَنْكَه الهندي، وكان المتولِّي لنقله بالخطّ الفارسي رجلٌ يُعرف بأَبي حاتم البَلْخي فسّره ليحيى بن خالد، ابن بَرْمَك، ثمّ نُقل للخليفة المأمون على يد العباس بن سعيد الجوهري مولاه وكان المتولّي قراءته على المأمون". أنظر، ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص ص 473، 474.

[2] رحيم حلو مُحمّد، المرجع السابق، ص150.

[3] ابن النديم، الفهرست، ص356.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، عيون الأنباء، ص271-274.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص586- 646.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص405- 440.

[7] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص295- 420.

[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص293.

[9] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص682.

[10] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص661.

[11] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص349، 399، 415.

[12] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص151- 283.

[13] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص560، 568، 728.

[14] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص 287، 298.

[15] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص41- 324.

وكان يترجم للطبّيب، ويذكر أنّه تلميذ لطبيب آخر يكون قد ذكره سابقًا[1]، وممّا يستعمله في هذا الصّدد قوله: "وكان من جملة تلامذته"، ويذكر الأستاذ[2].

وفي مواضع يذكر أنّ للطبّيب تلامذة كُثُر ولا يذكر أسماءهم، ويكتفي بذكر تناوبهم عليه أو مرافقتهم له[3]، كما نجده يذكر بعض الخدمات الّتي قام بها التّلامذة لمشايخهم[4]، ويذكر قيمة التّلميذ لدى شيخه من مكانةٍ وتميُّز[5]، ويذكر كذلك بعض الرّسائل أو الوصايا الموجّهة من الأستاذ لتلميذه[6].

ر– تنقّلات الأطبّاء ورحلاتهم:

اهتمّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بموضوع الرّحلة في طلب العلم أيّما اهتمام؛ لأهميّتها الكبيرة في تكوين الشخصيّة العلميّة، وممّا هو معروف أنّ طلب العلوم ولقاء المشايخ مَزِيدَ كمالٍ في التعلّم وعلى قدْر كثرة الشّيوخ يكون حصول ورسوخ المِلَكَات[7]، ولأنّ الرّحلة العلميّة عُدّت مظهرًا من مظاهر الجديّة في طلب العلم، فقد ضبطها بذِكره في أغلب المواضع البلد الّذي ارتحل إليه الأطبّاء، مثال قوله عن رحلة الطّبيب القُطب المصري: "وكان أصله مغربيًا، وإنّما انتقل إلى مصر وأقام بها مدّةً، ثمّ سافر بعد ذلك إلى بلاد العجم واشتغل"[8]، كما يذكر رحلته إلى مصر والاشتغال على الأطبّاء هناك[9]، وكان الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة يرى أنّ الرحلة تزيد في العلم في قوله عن الطّبيب موفّق الدّين عبد السَّلَام(ق7هـ/13م): "أصله من بلدة حماة[10]، وأقام بدمشق واشتغل على شيخنا الحكيم مهذّب الدّين عبد الرّحيم بنُ عليّ وعلى

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص281- 459.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص461-484.

[3] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص374، 416، 468، 580، 676.

[4] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص279.

[5] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص430-471.

[6] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص290، 427، 466.

[7] ابن خلدون (عبد الرحمن 808 هـ)، العِبَر وديوان المبتدأ، ج1، ص ص744، 745.

[8] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص471.

[9] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص586- 601.

[10] حَمَاة، مدينة كبيرة؛ خيراتها كثيرة ورقعتها واسعة، يحيط بها صُور مُحكَم، وقيل هي، بلدة واقعة في حدود سوريّة وكانت أوّلاً تابعة لإيّالة الشّام، وهي مدينة قديمة التاريخ، ويظنّ كثير من النّاس أنّ بانيها هو حَمْت بن كنعان، لم وقد فتحت حماة سنة (17 هجرية على أيدي المسلمين، وكان بطلها ذلك الفاتح العظيم أبا عبيدة بن الجرّاح فإنّه، رضي الله عنه، قصدها بعد فتح حِمص فتلقّاه أهلها مُذعنين فصالحهم على الجزية والخراج، وحوّل كنيستها إلى جامع. أنظر، الأَمير مُحمّد عليّ (بن مُحمّد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن مُحمّد عليّ ت 1374هـ)، الرحلة الشّاميّة، تحر وتق: عليّ أحمد كنعان، ط1، دار السُوَيدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي –الإمارات العربيّة المتّحدة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، 2002م، ص111.؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص300.؛ أحمد بن ابراهيم الصّابوني، تاريخ حماة، (دط)، مؤسّسة هنداوي، مصر، 2015م، ص21.

غيره، وتميَّز في صناعة الطبّ، ثمّ سافر إلى حَلَب وتزيد في العلم"[1]، ووجدته يدقّق في الأماكن الّتي ذهب إليها الطّبيب، فعندما ذكر الطّبيب "مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدونَ الجَبَليّ العُذْرِي(ق4هـ/10م)" قال أنّه رحل إلى المشرق ودخل البصرة ولم يدخل بغداد وأتى مدينة فُسْطاط مصر، ودبَّر مارستانها"[2].

وأختم بالقول أنّ هناك العديد من الأمور الأخرى كان الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة يذكرها في تراجم الأطبّاء، في محاولةٍ منه لإبراز كافّة ما يتعلّق بصاحب التّرجمة من نوادرٍ وأخبارٍ وطرائفَ وغيرها، ممّا يسهم في رسم المعالم العامّة للمترجَم لهم، من ذلك رصْده لمختلف الصّلات والعلاقات بين الأطبّاء وكذا في علاقاتهم بالخلفاء والحكّام، وكذا ذكر بعضًا من علاجات الأطبّاء، خاصةً تلك الّتي ارتبطت بنادرة أو قصّة معيّنة، كما أدرج في تراجمه الأقوال والحكم والمواعظ والوصايا وغيرها ممّا ارتبط بالأطبّاء، وغير ذلك من المتفرّقات الأخرى الكثيرة الّتي ذكرها في بعض تراجمه، كالجوانب الاجتماعيّة للأطبّاء؛ كالألبسة، والأعياد، وبعض الجوانب المعاشيّة، والكماليّة وغيرها، كما يحيلنا داخل بعض التّراجم إلى ظروف بعض الطّبقة الحاكمة كالخلفاء وعوائلهم والقادة والأمراء وغيرهم[3].

ومن خلال ما سبق يمكن الوقوف على مجموعة من النّتائج؛ أوّلها، أنّ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة طبيب ومؤرّخ وأديب شاعر بشهادة كبار المؤرّخين، وبما أحالنا إليه في كتابه "عُيون الأنبَاء في طبقات الأطبّاء"، وُلد وعاش في دمشق، وكانت له أكثر من زيارة إلى مصر، تُوِّج تواجده بالإقليمين بالخدمة في البيمارستان الكبير بدمشق، والبيمارستان النّاصري بمصر، مزيدا للعطاء الطّبي بخدمة المرضى، واكتسابا للخبرة المهنية، فلم تكن الحالة السّياسية المضطربة جرّاء الهجمات الصّليبية وحالة اللّا استقرار الدّاخلية بسبب فوضى الصّراع على الحُكم عائقًا لذلك، شأنه شأن معاصريه الّذين تميّزوا في علوم عدّة.

ثانياً، أنّ كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، كان الأشهر من بين مؤلّفات ابن أبي أُصَيْبِعَة، لعدم اندثاره كبقية المؤلّفات، ولما يحتويه من مادة علمية رفيعة المستوى تخصّ الأطبّاء الّذين ترجم لهم، حتّى نال ثناء العدو قبل الصّديق من المعاصرين واللّاحقين، وقد ضمّ الكتاب أكثر من أربعمائة ترجمة، اختلفت في الطّول والقصر من حيث أهمّيّة المترجم له ومن حيث ما توفّر له من مَعلومات، والّتي فاقت معلومات سابقيه الّذين أرّخوا للأطبّاء والفَلاسفة، كما أنّ موارده كانت متنوعة؛ حيث اعتمد على كتب القُدماء وكُتُب الحضارة الإسلامية وكذا على المصادر الشّفوية.

---

[1] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر السابق، ص756.

[2] ابن أَبي أُصيبِعة، المصدر نفسه، ص492.

[3] رحيم مُحمّد حلو، المرجع السابق، ص151.

ثالثاً، أنّ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة اعتمد في تأليفه لكتاب "عُيونُ الأنبَاء" منهجًا دقيقًا، فكان بنائه للكتاب على أساس الطّبقات؛ اعتمد في بسط معلوماته والتّعريف بتراجمه على التّدقيق والاستقصاء والنّقد والمقارنة والتّحليل للمعلومات، فلم يكن مجرّد ناقل للرّوايات التاريخية وسردها بل كانت له أرائه واجتهاداته، واتضحت ميوله وبراعته في علوم أخرى إلى جانب الطبّ، كالأدب من خلال الشّعر الكثير الّذي ضمنّه في كتابه، وكذا كتابته التأريخية.

تطرّق ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى عديد الجوانب بالنّسبة للمتَرجم لهم؛ حيث نجده يذكر الاسم والنّسب ثمّ يعرّج إلى العناصر الأخرى، كخدمة المُترجم له وعلمه وذكر موطنه أو مرتبته ضمن طبقة معيّنة، وعديد المعلومات الأخرى، في محاولة منه لإبراز كافّة ما يتعلّق بصاحب التّرجمة من نوادر وأخبار وطرائف وغيرها، ممّا يسهم في رسم المعَالم العامّة للمترجم لهم، كرصده لمختلف الصّلات والعلاقات بين الأطبّاء وكذا في علاقاتهم بالخلفاء والحكّام، وكذا ذكر بعضا من علاجات الأطبّاء، وغيرها من الأمور.

الفصل الثّاني

الطبّ في المشرق الإسلامي والعوامل المساهِمة في نشأته وتطوّره في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء".

الفصل الثّاني

الطبّ في المشرق الإسلامي والعوامل المساهِمة في نشأته وتطوّره في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء".

أوّلا: الطبّ بين الحُكَماء الأوائل والطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة

1- صناعة الطبّ وجودها وأوّل حدوثها

أ-بدايات الطبّ لدى المؤلِّفين السّابقين للطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة

ب - نظريّة نشأة الطبّ عند الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة:

- آراء القُدماء في نشوء الطبّ
- تفصيل الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في مختلف الآراء
- ترجيح الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة
- انتقال الطّبّ

2-علاقة الطبّ ببعض العلوم الأخرى

أ- مع الحكمَة

ب- مع الفَلْسَفة

ت- مع عِلْم الفَلَك وعِلْم النُّجوم

ثانيا: مكانة الأطبّاء ودَوْر السّلطة الإسلاميّة في تشجيع حركة الطبّ بالمشرق الإسلامي

1- الطَّبيب من مستلزَمات الحُكْم

2- تهيئة الظّروف لترجمة الكتب القديمة

3- إكرام الأطبّاء والإنعام عليهم

4- بناء المؤسّسات لتعليم وممارسَة الطبّ

5- رواتب الأطبّاء والمُبالَغة في ذلك

6- تَوَلِيتُهم مناصب إضافيّة بالموازاة مع الطبّ

ثالثا: دَوْرُ المدارس الطبيّة الموروثة وأهميّة التّرجمة في تطوّر الطبّ بالمشرق الإسلامي

1- المدارس الطبّيّة القديمة ودَوْرها في نشأة الطبّ الإسلامي

أ- مدرسة الإسكندريّة

ب-مدرسة أنطاكية

ت- مدرسة حَرَّان

ث- مدرسة جُنْدَيْ سَابُور

2- ترجمة الكتب الطبيّة؛ القائمين عليها ومصادرها

أ- القائمون على التّرجمة

- دَوْرُ الخُلَفاء

- أُسَرٌ وشخصياتٌ علميّة

ب- مصادر الكتب المترجَمة

ت- اللّغات المتَرْجَم منها وإليها

_ التّرجمة من الفارسيّة والسُّريانيّة واليُونانيّة

_من الهنديّة إلى العربيّة

3- الأطبّاء النّقَلة، مناهجُهم وصِفاتهم

أ- أهمّ المترجِمين والكتب المترجَمة

ب- مناهج المترجِمين

ت- تقيّيمُ ابن أبي أُصَيْبِعَة للمترجِمين

- نوعية النّقل

- من حيث كمّيّة النّقل

- صفات المترجِم

الفصل الثّاني: الطبّ في المشرق الإسلامي والعوامل المساهِمة في نشأته وتطوّره في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء".

لدِراسة حالة صناعة الطِّبّ بالمشرق الإسلامي، ومعرفة خصائصها في عصورها وجب معرفة العوامل المساعدة على النَّشأة، والتَّطوّر طِيلة فَتْرة البحْث الممتدَّة إلى أواخر القَرن(7هـ/13م)–وفاة الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة (ت668هـ/1270م)–، وهذا كلّه من خلال ما بسَطه الطبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في كتابه، بدايةً من جدليَّة نشأة الطِّبّ وكيفيّة انتقاله، إلى مختلَف العوامل المساعدة في نشأته بالمشرق الإسلامي وتطوّره، من حيث تأثير بعض المدارس الطبيّة التي ورثها المسلمون بعد الفتح الإسلامي لها، ثُمَّ إلى ما قام به الخُلَفاء والحُكَّام، من تشجيعٍ وإكرامٍ واهتمامٍ بالطِّبّ وَرُوَّادِه من الأطبَّاء، بتوفير جميع ما يلَزَم لهم من إمكانيات مختلفة، وكذلك وجَب معرفة الدّوْر الكبير الّذي لعبته ترجمة العلوم الفارسيّة والإغريقيّة وغيرها إلى العربيّة، ولهذا سنتطرّق في هذا الفصل إلى نشأة الطّبّ والعوامل التي ساعدت على تطوّره واتسّاعه.

أوّلا: الطبّ بين الحُكَماء الأوائل والطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة: لصناعة الطّب أصولٌ وبدايات من بلاد اليونان والحكماء الأوائل وصولًا إلى البلاد الإسلاميّة التي تَصَدَّر بها أطباءٌ عرب وعجم في فتراتٍ زمنيّة مختلفة، وصولًا إلى الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في القرن(7هـ/13م) ويمكن توضيح ذلك في العناصر التاليّة:

1–صناعة الطبّ وجودها وأوّل حدوثها:

أُخْتُلِف في تحديد بدايات الطّبّ وكيفيّة وجوده، فتباينت الآراء حوله، وصَعُب ضبْطه وتحديده، فنجد الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة عن ذلك معلّقًا ومنبّهًا بالكلام في تحقيق هذا عسيرٌ جدًّا، لأنّ الطبّ صناعةٌ مُوغَلة في القِدم، وكلّ مَنْ بَعُد العهد به عَسُرَ النّظرُ فيه، والقُدماء من المتميّزين وذوي الآراء الصّادقة لم يكن لهم اتّفاقٌ على قولٍ واحدٍ، وكذلك المتكلّمين في هذا كانوا فِرَقًا، كثيري الاختلاف جدًّا، بحسب ما وقع إلى كلّ واحدٍ منهم، أَشْكَلَ التّوجيه في أيِّ أقوالهم هو الحقُّ[1]، وقبل أن أتطرّق إلى بدايات الطّبّ، حسب الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، ارتأيت النّظر في هذا الموضوع عند سابقيه؛ ممّن ركّزوا في مؤلّفاتهم على مجالِ الحكمة وتاريخ الطبّ.

أ–بدايات الطبّ لدى المؤلّفين السّابقين للطبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة: من الّذين تكلّموا في بدايات الطبّ ولو بشكلٍ مختصرٍ المؤرّخ ابن النّديم (ت380هـ/990م) في كتابه "الفَهْرَست"، حيث نقل في المقالة السّابعة، في الفنّ الثّالث منها، والمعنونة بـ "أخبار المتطبّبين القُدماء والمحْدَثين" قولًا عن الطَّبيب إسحاق

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، عيون الأنباء، ص11.

بن حُنين، عن الاختلاف القائم حول أوّلِ مَن استنبط الطبّ وأوّل الأطبّاء، فنقَل عدّة آراءٍ، لكنّه لم يُرَجّح أحدها، ورَبَط بداياتها بإقليمٍ من الأقاليم حسب ما اختُلِف فيه، فمنهم من قال أوّل ما ظَهر من الطبّ كان بمصر، وقيل أنّ المستخرِج لها السَّحَرة، وقيل: "أهل بابل"، وقيل: "أهل فارس"، وقيل:" الهند"، وقيل :"اليمن"، وقيل: "الصَقالِبة"[1]، ثمّ أنّه ذكر كلامًا للفَيلَسُوف يحي النّحوي (ق1هـ/ ق7م) تحت عنوان "أوّل مَن تكلّم في الطبّ"، فذكر ثمانيّة من الأطبّاء، ابتداءً بأَسْقْلَبْيوس، وانتهاءً عند جالينوس[2]، ثمّ أشار إلى عدم وصول مؤلّفاتٍ الأطبّاء الذين هم قبل الحكيم أبُقراط أو أنّه لم ينقُل أيًّا من هذه المصنّفات إلى العربي[3]، ويبدو من ذلك أنّ الّذي ذكره المؤرّخ ابن النّديم، وتبنّاه يشير إلى أنّ نشأة الطبّ يكون في إقليم جغرافي محدّد أو لدى قومٍ من الأقوام، أو عن طريق طبيبٍ مشهور، وتدلّ كلّها على أنّ الطبّ في نظره قد نشأ عن طريق الاستنباط والتّعليم والاستخلاص، لا عن طريق الوحْي والإلهام، كما قال غيره عند غيره[4] .

أمّا الطَّبيب ابن رَبْنْ الطّبري، عَليّ بن سَهْل(ت 236هـ/850م) فقد تطرّق إلى هذا الموضـوع بشـــكلٍ مقتضَـــب، في كتابه "فِرْدَوْس الحكمة"، وبالذّات في الباب الأوّل، من المقالة الرّابعة، من النّوع السّـــابع، حيث نقل مقتطفات من كتب الهند الطبيّة[5] التي وردت فيها الآراء التي طرحتها هذه الكتب في موضوع نشوء الطبّ وبدايته، فيذكر أنّ النّاس كانوا في صحّةٍ وسلام، لأنّهم كانوا متحّابين متوافقين، فلمّا انتشر الحِرْصُ والحسد والغضب والتعب، وسواها من أنواع الهموم والمفاسد والذنوب ودخلت عليهم الأسقام، فاجتمع علماؤهم وصُلَحائهم إلى ناسِكهم "فرسريا طري"، وسألوه التضرّع إلى الله فيهم، ففعل وصـــعد قمّة جبلٍ وابتهل إلى الله طويلًا أن يرتاح لخلْقه فعلَّمه الطّبّ[6]، كما أمَدّنا برأيٍ آخر نقله عن كتاب آخر، أنّ علم الطبّ أخذه "دَهْمِيطرا" عن "بَرَهْمَن"، وتَلَقَّاه بَرَهْمَن بالوحي[7].

---

1 ابن النّديم، الفهرست، ص347.

2 نفسه.

3 ابن النّديم، المصدر نفسه، ص348.

4 عبد الرحمن حمادي، **نظريّات نشوء الطبّ لابن أبي أُصَيْبِعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"**، مجلّة القافلة، العدد 3، مج 34، السعوديّة، 1985م، ص13.

5 وهي،كتاب جرك، و"كتاب سَسَرد ونداف واشتا نقهر دي. أنظر، ربن الطّبري (أبو الحسن علي بن سهل)، فردَوْس الحكمة في الطبّ، نَسْخْ وتصحيح، محمد الزبير الصدّيقي، مطبع أفتاب، برلين، 1928م، ص557.

6 نقل هذا عن كتاب جرك. ربن الطّبري، المصدر نفسه، ص ص757، 758.

7 نقل هذا الرّأي من كتاب "سسرد". أنظر، ربن الطّبري، المصدر نفسه، ص758.

والطّبيب ابن رَبْن الطّبري في حديثه عن هذا الموضوع نَسب الرأيان اللّذان أوردهما في تعلّم الطبّ إلى وحْيٍ من الله، وبهذا تبرز لنا وِجهتا نظرٍ في موضوع نشأة الطّبّ؛ إذ أورد المؤرّخ ابن النّديم أوّلهما، بأنّ الطبّ من عملِ النّاس، استنبطوه، واستخرجوه وطوّروه، وأورد ثانيهما ابن ربْن الطّبري، في أنّ الطبّ وحيٌ من الله للبشر، ويمثّل هذان القولان وِجْهَتَيْ النّظر الرئيسيتين اللّتين تعارضتا وتناقضتا مدّةً طويلة من الزّمن، قبل أن يَطرح الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة نظريّته الخاصّة في هذا الميدان.

تحت عنوان "الطّبقة العاليّة الأوّلّيّة عَمّن تكلَّم في الحكمة الطبيّة والفلسفيّة العُلويّة"، وناقلًا عن أبي مَعْشَر الْبَلْخِي المنَجِّم (ت273هـ/ 886م) في كتابه "الأُلُوف"، ذكر المؤرّخ ابن جُلجُل أنّ هُرْمُسْ أو إدريس بالعربيّة[1]أنّه أوّل مَن تكلّم في الأشياء العُلويّة من الحركات النّجوميّة، وأوّل مَن نَظَر في الطبّ وتكلّم فيه[2]، وأنّه لما خاف مِن ذهاب العلم بالطّوفان، قام بالجَبل المعروف بـ"البَربَا" فنَحَته وصَوّر فيه جميع الصِّناعات وصنائعها نقشًا، وصَوّر جميع آلات الصُنَّاع، وأشار إلى صِفات العلوم برسومٍ حِرْصًا منه على تخليد العلوم لمنْ بَعْدَه.

وبذلك يرى أنّ نشأة الطبّ يعود إلى هُرْمُس الأوّل، وأنّ انتقال الطبّ وسواه من العلوم كان عن طريق النّحت والنّقوش، وضمان عدم ضياعها، وتأكيد انتقالها إلى الأجيال التّاليّة، ثمّ ذكر أنّ علم الطبّ قد جُدّد فيما بعد عن طريق هُرمس الثّاني[3] الّذي عاش بعد الطّوفان[4]، قبل أن يمرّ إلى هرمس الثّالث[5]، ثمّ إلى تلامذتهم وأوّلهم أَسْقْلَيْبيُوس، ولم يذكر لنا الكيفيّة الّتي حصّل بها هرمس الأوّل صناعة الطبّ، فيبدو

---

[1] إدريس هو، أُخْنُوخ بن يارد بن مهلائيل بن قِينان بن أنوش بن شِيث بن آدم، أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثماني سنين، وتسمّيّته بإدريس لكثرة درسه، وهو أوّل نبي بعد سيّدنا آدم وشيث –عليهما السّلام–، وهو أوّل مَن خطّ بالقلم بعد آدم، وأوّل منْ خاطَ الثّياب ولبسها، أطلق عليه اليونانيون اسم هُرْمُس أو هرمس الهَرَامِسة، ذكره الله –عزّ وجلّ– في قوله: **﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 56]**. أنظر، المقدسي (المطهر بن طاهر ت نحو 355 هـ)، البَدْءُ والتاريخ، اعتنى بنشره، كِلمان هُوار، مطبعة برطرند، شالون، أَرنست لرُو الصَحّاف، باريس ما بين (1899-1919م)، ج3، ص ص11، 12.؛ ابن كثير (أبو الفداء، إسماعيل 774 هـ)، قصص الأنبياء، (مُستَلًّا مِن كتابه: البداية والنّهاية)، تح، د. مصطفي عبد الواحد، ط1، مطبعة دار التأليف، القاهرة، (1388هـ، 1968م)، ج1، ص 71.؛ القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص8.

[2] ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص ص5، 6.

[3] قال عنه ابن أبي أُصَيْبِعة، أنّه من أهل بابل، وأنّه كان بعد الطوفان، برع في الطبّ والفلسفة والأعداد، وكان تلميذه فيثاغُورَسْ، كما ذكر أنّه هو منْ جَدَّد في علم الطبّ والفلسفة وعلم العدد ما كان قد درس بالطوفان ببابل. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص32.؛ ابن جلجل، المصدر السابق، ص ص8،9.

[4] نفسه.

[5] ويقال له: هُرمُس الثَالث أو هُرْمس المثلّث بالحكمة، كان بعد الطوفان، مسكنه بمدينة مصر، صاحب كتاب الحيوانات ذَوَات السُّموم، كان عالما بالطبّ والفلسفة وبطبائع الأدويّة القَتَّالة والحيوانات المؤْذِيّة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص32.؛ ابن جلجل، المصدر السابق، ص10.

أنّه يحيلنا إلى أنّها مَوْهِبة خالصة[1]، ويرى المؤرّخ القفطي هو الآخر أنّ هرمس الهَرَامِسة إدريس –عليه السّلام– هو أوّل مَن استخرج الحكمة وعلم النّجوم بوحْيٍ من الله –عزّ وجلّ–، وخلفه أصحابه وكان أقواهم عزمًا أَسْقْلَيْبيُوس؛ إذ أنّه اجتهد في حفظ الشّريعة الإدريسيّة[2]، ثم ذكر الكيفيَّة التي حفظ بها هذه الصِّناعات، حيث أنّه لما خاف من ذهاب العلم بالطُّوفان بنى البَرَابي، وصوَّر جميع آلات الصُنّاع وأشار إلى صفات العلوم برسومٍ لمنْ بعده؛ خشية أن يذهب رسْم تلك العلوم[3].

وقام بتقسيم الأرض أربعة أرباع، وجعل على كلِّ ربعٍ مَلكًا من أشهرهم، أَسْقْلَيْبيُوس الّذي تولّى رُبع الأرض الّذي ملكه اليونانيون بعد الطّوفان وقد كان خليفته في الحكمة، وذكر رأيَ يحي النّحوي حول أَسْقْلَيْبيُوس مِنْ أنّه استلهم الطبّ بالوحي، ورأي آخر مِن أنّه استخرج الطب بالتجربة، كما ساق لنا اختلاف بين مَن يقولون بقِدم الطبّ وبين من يقولون أنّه مُحْدَث[4]، ولم يفصّل في ذلك على عكس الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة الّذي أورد معلومات موسّعة في هذا الشأن.

ب– نظريّة نشأة الطبّ عند الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة:

إنّ المطّلع على كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" يُلاحظ الاختلاف الكبير بين صاحب هذا الكتاب وسابقيه في موضوع ابتداء الطبّ، فمَن سبقه من مؤلِّفين تكلّموا عنه بشكلٍ مختصر في مقدّمة كتبهم أو في فصلٍ بسيطٍ من فصوله أو أنّه عُرض بشكلٍ عابرٍ عند ذكرهم لأوائل الأطبّاء، في حين أنّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة استفاض في هذا الموضوع، واختلف طرْحُه عنهم ببسْطِه لجميع ما قيل حول الموضوع من آراء وأفكار، وخصّص بابًا مستقّلًا من كتابه بعنوان "كيفيّة وُجود صناعة الطبّ وأوّل حدوثها"؛ آخذًا السّبق في ذلك.

واتّبع الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أثناء تناوله لهذا الموضوع منهجًا علميّا واضحًا، فتكلّم أوّلًا في صعوبة دراسة الموضوع، ثمّ استقصى ما قاله الأوائل وسابقوه عن نشأة الطبّ، ثمّ ذكر رأيه الخاص بشكلٍ مُجمل وموجز، ثمّ فصّل نقاطه المختلفة بشكلٍ مُوسّع، موضّحًا إيّاها بالأمثلة، معتمدًا على الملاحظات العلميّة والعمليّة.

---

[1] عبد الرحمن حمادي، **نظريّات نشوء الطبّ لابن أبي أُصَيْبِعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"**، ص14.

[2] القفطي، المصدر السابق، ص12.

[3] نفسه.

[4] القفطي، المصدر نفسه، ص ص15، 16.

- آراء القُدماء في نشوء الطبّ:

استعرض الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة العديد من الرّوايات المختلفة، بدايةً من أنّ القول في وجود صناعة الطبّ ينقسم إلى قسمين أوّليّين، فقومٌ يقولون أنّ الطبّ قديم بقِدم العالم، وهذا رأيٌ المعتقدِين بقِدم الأجسام، أمّا مَن اعتقد بحدوث الأجسام فقال بأنّ صناعة الطبّ مُحْدَثة مع حدوث الأجسام[1]، أمّا أصحاب الحدوث فهم قسمين؛ بعضهم يقول بأنّ الطبّ خُلِق مع خَلْق الإنسان، وكان من الأمور الّتي بها صلاح الإنسان، وبعضهم وهم الجمهور قال بأنّ الطبّ استُخْرِج بعدُ"، إلهامًا من الله إلى النّاس، وهذا الذي ذهب إليه كلٌّ من الحكيمين أبقراط وجالينوس وأصحاب القياس وشعراء اليونانيّين أو هو إلهامٌ بالرؤيا، واحتجّوا بأنّ جماعة رأَوا في الأحلام أدويّة استعملوها في اليقظة فشَفَتْهم من أمراض صعبة وشَفت كلُّ مَن استعملها.

وقال قوم بأنّ الله تعالى ألهمها بالتّجربة، ثمّ زاد الأمر في ذلك وقوِيّ، واحتجّوا بأنّ امرأةً كانت بمصر غَلَب عليها الحزن والهمّ، وكانت ضعيفة المعدة وامتلأ صدرها بأخلاطٍ رديئة، وكان حيضها محتبَسًا، فأكلت الرَّاسن[2] عدّة مرّات بشهوةٍ منها له فبرأت ورجعت إليها صحّتها، وجميع مَن كان به شيءٌ؛ ممّا كان بها لما استعمله برأ به، فاستعمل النّاس التّجربة على سائر الأشياء[3].

واحتجّ الحكيم جالينوس بقوله: "الأَوْلَى أنْ نقول أنّ الله تعالى خَلق صناعة الطبّ وألهمها النّاس وذلك أنّه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يُدركه عقل الإنسان..."[4]، ومنهم مَن يقول بأنّ النّاس استخرجوها، وهؤلاء قومٌ من أصحاب التّجربة وأصحاب الحِيَل[5]، إلّا أنّهم اختلفوا أيضًا في الموضع الّذي استُخْرجت منه، فمنهم مَن قال أنّ أهل مصر استخرجوها. وبعضهم قال بأنّ هُرْمسًا استخرجها مع سائر

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص ص11، 12.

[2] الرَّاسِن، نَبَات مُعَمِّر، من فَصِيلة المركّبات، يصل ارتفاعه المترين، ساقُه قويّة وأوراقه سميكة، أزْهَارُه صفراء برُوَيسات كبيرة، يشبه عَبّاد الشّمس. أنظر، ميشال حايك، موسوعة النباتات الطبيّة، ط3، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ج1، ص70.؛ عبد الرزّاق بن حمدوش الجزائري، التّداوي بالأعشاب والنّباتات الطبيّة، (دط)، (د. دن)، (دت)، ص74.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص ص12، 13.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص13.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص12.

الصّنائع الأخرى، ومنهم مَن قال أنّ أهل فُلُوس، وهناك مَن قال بأنّ أهل مُوسْيا[1] وأَفْرُوجيا[2] استخرجوها، وذلك أنّ هؤلاء أوّل مَن استخرج الزَّمر فكانوا يشْفُون بتلك الألحان والإيقاعات آلام النّفس، وذكر أنّ الطبّ ظهر في ثلاث جزائر، في وسط الإقليم الرّابع، إحداها تُسمّى رُودَس[3]، والثّانية تسمّى قنِيدَس[4]، والثّالثة تسمّى قُو[5]، ومن هذه كان أبُقراط...،كما ذكر أنّ المستخرج لها الكِلْدَانِيُّون[6]، وقيل السّحرة من أهل اليمن، وقيل سحرة بابل أو من فارس وقيل الهند ...[7].

– تفصيل الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في مختلف الآراء:

اجتهد الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في هذا الموضوع وتكلّم عن بدايات الطبّ، فأورد لها خمسة أقسام، وفصّل في كلّ قسمٍ بإعطاء أمثلة عمّا يدّعي كلٌ منهم، ثمّ خَتَمَ برأيه.

الإلهام الإلهي، وهو القسم الأوّل؛ إذ ذكر أنّه قد يكون حصول شيءٍ من الطبّ عن طريق ما أوحاه الله إلى الأنبياء والأصفياء، وذكر ادّعاء كلّ فرقةٍ، من يهود وصابئة ومجوس وغيرهم، وذلك بالنّظر لما خصّهم

---

1 مُوسْيا، لم أجد لها تعريف، وقال محقّق كتاب عيون الأنباء، عَامِر النَجّار عنها: "لَعَلَّها مُوزْيَا. فمن المعروف أنّ الإمبراطور الرُّوماني أُغسطس ضمّ إلى رُوما، إسبانيا الشماليّة والغربيّة، ومُدُن كثيرة منها، « موزيا »، وذلك نقلًا عن، وول ديورانت، في كتابه "قصة الحضارة". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، الحاشية 9، تح: عامر النَّجّار، ج1، ص155.

2 أَفْرُوجيا، قد يُقصد بها دولة الفْريجيّين الّتي ظهرت في آسيا الصغرى، حيث ورثت بقايا الحضارة الحيثيّة، وكانت حلَقة اتصالٍ بينها وبين لِيدْيا وبلاد اليونان، وقد انتهى سلطانهم في آسيا الصغرى بقيام مملكة ليديا الجديدة. أنظر، أحمد زكي بك، قاموس الجغرافيّة القديمة، ط1، المطبعة الكبرى الأميريّة، بولاق، مصر، (1317هـ/ 1899م)، ص12.؛ أبن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، الحاشية 9، تح: عامر النّجّار، ج1، ص155.

3 جزيرة ببلاد الروم، وفي الحديث: غزا معاوية قبرس ورُودَس، وهي في الإقليم الرابع، وطولها من جهة المغرب خمسون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف. ورودس: جزيرة مقابل الإسكندريّة، على ليلةٍ منها في البحر، وهي أوّل بلاد أفرنجة، قال المؤرّخ المسعودي: "وهذه الجزيرة في وقتنا هذا، وهو سنة (332هـ/944م) دار صناعة الروم وبها تُبْنى المراكب البحريّة، وفيها خلقٌ من الروم، ومراكبهم تقارب بلاد الإسكندريّة وغيرها من بلاد مصر فتغْير وتَسْبي وتأخُذ. أنظر، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص78.؛ ابن الحنبلي (محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي ت 971 هـ)، سهمُ الألحاظ في وهم الألفاظ، تح: حاتم صالح الضامن، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1407هـ/ 1987م)، ص46.

4 قْنِيدَس، مدينة كنيدوس، من مدن الإغريق القديمة بآسيا الصغرى تقع بالجنوب الغربي بالأناضول، في نهاية رأس بالغ الامتداد في البحر، فهي بهذا الشكل لا تختلف عن كونها جزيرة، وكانت بكنيدوس مدرسةً طبيّةً كبيرة لعبت دورًا هامًّا في تاريخ الطبّ القديم، وأنجبت العديد من الأطبّاء من أهمّهم "يُوريفُون وكتِيسْيَاس". أنظر، جون سارتون، تاريخ العلم، تر: جورج حداد وآخرون، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ج2، ص216، 217.؛ ابن أبي أُصَيْبِعة، عيون الأنباء، تح: عام النجّار، الحاشيّة رقم 4، ص156.

5 قُو، جزيرةٌ في بحر إيجة، موطن الحكيم أبُقراط. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، حاشيّة رقم 5، تح: نزار رضا، ص12.

6 الكِلْدَانيُّون، اسمٌ كان يطلق قديمًا في الأغلب على القسم الجنوبي الأقصى وادَيْ دِجلة والفرات، وكان يتّسع مُلكهم أحيانًا ليشمل بابل، قال فيهم المؤرّخ ابن صاعد الأندلسي: "الكِلدَانيُّون، وهم السُّريَانيُّون والبَابِليون وكانوا شُعوبًا منهم الكَوْثَابِيُّون، والأَثُورِيُّون، والأَرْمَانيون، والجَرَامِقة، وهم أهل الموصل والنَّبْط، وهم أهل سَواد العراق وكانت بلادهم في وسط المعمور، أيضًا وهي العراق والجزيرة التي ما بين دِجلة والفرات المعروفة بديّار ربيعة ومُضَر ... وكانت هذه البلاد واحدة ملكُها واحد ولسانها واحد سرياني، وهو اللّسان القديم لسان آدم –عليه السلام–، وإدريس، ونوح ، وإبراهيم ولوط –عليهم السلام– وغيرهم، ثمّ تفرّعت اللغة العِبرانيّة والعربيّة من اللُّغة السُّريانيّة. أنظر، ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمّم، ص6.

7 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص12.

الله تعالى به من تأييدٍ إلهي[1]، قال الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة:" روى ابن عبّاس -رضيّ الله عنهما- عن النّبي ﷺ أنّه قال: "كان سُليمان بنُ دَاود -عليهما السّلام- إذا صلّى رأى شجرةً نابتةً بين يديه فيسألها، ما اسمك؟، فإنْ كانت لغَرْسٍ غُرست وإن كانت لدواءٍ كُتبت"[2]، ثمّ ذكر ما قاله اليهود، من أنّ الله -عزّ وجلّ- أنزل على موسى -عليه السلام- سَفَرْ الأَشْفِيّة، وقَوْل الصّابئة، أنّ الشّفاء كان يُؤخذ من هياكلهم على يد كُهانّهم وصُلَحَائهم..."، وقَوْل المجوس، من أنّ زرادشت[3] نبيّهم قد جاء بكتبِ علومٍ أربعة زعَموا أنّها جُلِّدت باثْنَيْ عشر ألف جلدِ جامُوسٍ منها الطبّ[4].

الرؤيا الصّادقة، وهي القسم الثّاني، بأنْ يحصل لهم شيئًا من الرؤيا الصّادقة، وقد ساق الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة عديد الأمثلة عن ذلك فذكر حكايةً للحكيم جالينوس، من أنّه أُمِر مرّتين في منامه بأنْ يَفْصِد العِرْق الضارب الذي بين السَبَّابَة والإبهام من اليد اليمنى، فلمّا أصبح فَصَدَ هذا العِرْق وترَكَ الدم يجري إلى أنْ انقطع مِن تِلقاء نفسه فسَكَنَ عنه ذلك الألم الّذي عانى منه مدّةً طويلة[5].

ومن ذلك أيضًا، ما رُوِيَّ أنّ بعض خلفاء المغرب الذي أصابه مرض وطال به ولم ينفع معه دواء، وفي ليلة من اللّيالي رأى النبي ﷺ في نومه وشكا إليه ما يجده، فقال له ﷺ:"اِدْهَن بـ "لَا"، وكُلْ "لَا" تَبْرأْ فلمّا انتبه من نومه بقيّ متعجّبًا من ذلك ولم يفْهَم ما معناه، ففُسِّر له بأن يَدْهَن بالزّيت ويأكل منه فبَرأ، إذ فُسّر نصُ المنام بالآية القرآنيّة: **﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: 35]**، ويدرج أمثلة أخرى، ثمّ يختم بقوله: "أقول ومِثْل هذا أيضًا كثير ممّا يحصُل بالرؤيا الصّادقة، فإنّه قد يعرض أحيانًا

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص17.

[2] أبو نعيم الأصبهاني (أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهران (ت430هـ)، الطب النبوي، تح: مصطفى خضر دونمز التركي، ط1، دار ابن حزم، 2006م، ج1، ص209.؛ الديلميّ (شيرويه بن شهردار، أبو شجاع ت509 هـ)، الفردَوْس بمأثورِ الخطاب، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، (1406هـ/ 1986م)، ج3، ص271.

[3] زَرَادشت، زرادشت بنُ بُورشب وهو رجلٌ ظهر في أذربيجان، ظهر في عهد الملك كشْتاسب بنُ لَهْرَاسب، وزرادشت هذا هو نبيُّ المجوس بزعْمهم، وقد بعث إلى قومه وعمره ثلاثون عامًّا، ودعا الملك كَشتاسب إلى دينه فأجابه الملك واعتنق دينه، فأجبر الناس على دخول هذا الدين وقتل من أجل ذلك من رعيّته مقتلة عظيمة، حتّى دانوا بهذا الدين، وقد أتى بكتاب زعم أنّه وحيٌ من الله تعالى، وكتب في جلد اثني عشرة ألف بقرة. أنظر، الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَيْمي ت606هـ/1210م)، اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين، تح: علي سامي النشار، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د ت)، ص86.؛ ابن الوَرْدي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص37.؛ البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني، أبو منصور ت 429هـ)، الفَرْقُ بين الفِرَق وبيان الفِرقة الناجيّة، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م، ص271.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص ص17، 18.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص19.

لبعض النّاس أن يرَوْا في منامهم صِفات أدويّة ممّن يُوجِدهم إيّاها فيكون بها بُرْؤُهُم، ثمّ تشتهر المداواة بتلك الأدويّة فيما بعد"[1].

المصادَفَة، وهي القسم الثالث، فتتمثّل في أن يكون قد حَصَل لهم شيء منها أيضًا بالاتفاق والمصادفة، وقد أورد العديد من الأمثلة، فأدرج قصصًا عن أطبّاء قدامى، مرّ بهم أو بمن حوْلهم مصادفات أدّت إلى معرفة علاج أو اهتداء إلى دواء، ومن ذلك ما حكاه عن ثلاثة أسباب جرت على غير قصدٍ، بيّنت أنّ لحوم الأفاعي تنفع من الأوْصَاب الشديدة والأمراض العتيقة في الأبدان[2]، وقصّةٌ أخرى مشابهة لمريض يئس من بُرْئِه فأُطلق له أكل ما يريد، فاشترى جرادًا وأكله فبَرأ بذلك، ممّا أدّى بهم البحث عن موطن ذلك الجراد، ثمّ الاهتداء إلى العُشبة التي كان يرعاها، فبالصّدفة تمَّ اكتشاف نَفْع تلك العشبة ومداواته لِما يشبه ذلك المرض[3].

الاقتداء بالحيوانات، ضِمن القسم الرّابع يذكر أن يكون قد حصل شيء منها أيضًا، بما شاهده النّاس من الحيوانات واقتدى بأفعالها وتَشبَّه بها، فذكر أمثلة من عند الطَّبيب الرّازي في كتابه "الخواص" وأمثلة من عند الحكيم جالينوس، مفادُ ذلك ما تقوم به الحيوانات كالخطّاف والعُقاب والحيّات ...، لعلاج ما يطرأ عليها أو على أبنائها من أمراض[4].

الإلهام، وهو القسم الخامس، ومضمونه لا يختلف عن مضمون القسم السّابق، حيث يدرج ما تقوم به الحيوانات بأنْ ألهم الله لها، وهي الغريزة الحيوانيّة والّتي تؤدّي بها إلى اختيار ما ينفعها والابتعاد عمّا يضرّها، وختَم الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قوله في هذا بقوله: " فإذا كانت الحيوانات الّتي لا عقول لها أُلْهِمت مصالحها ومنافعها كان الإنسان العاقل المميّز المكلّف الّذي هو أفضل الحيوان أَوْلى بذلك، وهذا أكبر حُجّة لمن يعتقد أنّ الطبّ إنّما هو إلهامٌ وهداية من الله سبحانه لخلقه"[5].

- ترجيح الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة:

يقدّم الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة كلامًا يجمع فيه بين الآراء المختلفة، بحيث لا يقصي رأيًا من الآراء وذلك في قوله:" ...بالجملة فإنّه قد يكون مِن هذا، وممّا وقع بالتجربة والاتّفاق والمصادفة أكثر ما حصّلوه

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص21.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص21، 22.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص23.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص24، 25.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص 24-26.

من هذه الصّناعة، ثمّ تكاثَرَ ذلك بينهم وَعَضَّدَهُ القياس بحسب ما شاهدوه، وأدّتهم إليه فِطرتهم، فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء الّتي حصلت لهم بهذه الطرق المتفنِّنة المختلفة أشياء كثيرة، ثمّ أن تأمّلوا تلك الأشياء واستخرجوا عِلَّلها والمناسبات الّتي بينها، فتحصُل لهم من ذلك قوانين كليّة ومبادئ منها يبتدأ بالتعلُّم والتّعليم ..."[1].

وملخّص ذلك أنّ العلم يبدأ بالملاحظة، ثمّ الاستقراء والاستنتاج، والقياس، فيستخلص العلماء القوانين العامّة والشّاملة، وعندها يصير منطلق هذه العلوم قوانينها العامّة، ومنها ينتقل إلى الجزئيات التي هي الأصل الأوّل؛ أي، يتمّ التدرّج في التّعليم من الكلّيات إلى الجزئيات، وعند استنباطها يتدَرَّج من الجزئيات إلى الكلّيات، ولا يلزم أن يكون ذلك مختصًّا بموضعٍ دون آخر، ولا يتفرَّد به قومٌ دون قومٍ.

ويُحيلنا إلى سبب اختلاف كلّ قومٍ في نسبة صناعة الطبّ إليهم، بقوله: "وأرى أنّهم إنّما اختلفوا في نسبة صناعة الطبّ إلى قوم بحسب ما قد كان يتجدَّد عند قوم فيُنْسَب إليهم، فإنّه قد يمكن أن تكون صناعة الطبّ في أمّة أو في بقعة من الأرض فتندثر وتَبِيد بأسبابٍ سماويّة أو أرضيّة كالطَّواعين المفنيَّة والقُحوط المجلّيّة والحروب المبيدة والملوك المتغلِّبة والسِّيَر المخالِفة، فإذا انقرضت في أمّةٍ ونشأت في أخرى وتطاوَلَ عليها الزّمن نُسِيّ ما تَقدَّم، وصارت الصّناعة تُنسب إلى الأمّة الثّانيّة دون الأوّلى، ويُعتبَر أوّلها بالقياس إليهم فقط، فيُقال لها مُذْ ظهرت كذا وكذا، وإنّما يعنى في الحقيقة مُذْ ظهرت في هذه الأمّة"[2].

– انتقال الطّبّ:

اتّفق مؤلّفو التّراجم على أنّ اليوناني الحكيم أَسْقْلَيْبيُوس هو أوّل من تكلّم في شيءٍ من الطبّ، وهو أوّل مُعلِّمو الطبّ الثّمانيّة:

أسْقلَيْبيُوس الأوّل، وهو أوّل من ذُكر من الأطبّاء وأوّل من تكلّم في شيءٍ من الطبّ على طريق التّجربة، وكان يونانيًا، ويقال أنّه انكشفت له أمورٌ عجيبة من أحوال العلاج بإلهامٍ إلهي، ويُحْكَى أنّه وَجَد علم الطبّ في هيكلٍ كان لهم بروميّة[3].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص27.

[2] نفسه.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص29.؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج9، ص295.

غُورس، وهو الثّاني من الحُذَّاق، كانت مدّة حياته سبعةً وأربعين سنة، وكان منذ وفاة أسْقلَيبيُوس إلى وقت ظهور غُورس ثمانمائة سنة وخمسين سنة[1]، وكان بينهما أطبّاء[2]، وقد اعتمد التّجربة.

مَينَس الطَّبيب، وهو الثّالث من الأطبّاء الثمانيّة المشهورين، عاش أربعًا وثمانين سنة، وكان بين ظهوره وبين وفاة غُورَسْ خمسمائة وستّين سنة، وعُرفت الفترة الّتي بينهما العديد من الأطبّاء المشهورين[3]، ووجد أنّ الاعتماد على التّجربة وحدها خطأ فضَمَّ إليها القياس، وقال لا يجب أن تكون التّجربة بلا قياس[4].

بَرْمَانِيدَس،هو الرّابع من الأطبّاء الثّمانيّة، مدّة حياته أربعين سنة، أسقط التّجربة وانتحل القياس وحده[5]، وعُرِف العديد من الأطبّاء بينه وبين سابقه مينس[6].

أَفْلَاطن الطَّبيب،هو الخامس من الأطبّاء الثّمانيّة، عاش ستّين سنة، جمع التّجربة مع القياس، وأحرق كُتُب الّذين فصلوا بينهما، ورِثه أوّلاده في ذلك إلى أنْ ظهر أسقليبيوس الثّاني[7].

أسْقلَيبْيُوس الثّاني، هو السّادس من المشهورين الثّمانيّة، نَظَر في الآراء القديمة فوَجد أنّ الّذي يجب أن يُعْتَقَد هو رأي أفلاطن فانْتَحَلَه؛ أي، الجمع بين التّجربة والقياس، واستمرّ في تعليم الأقرباء دون سواهم[8].

أبُقْراط، وهو السّابع من الأطبّاء الثّمانيّة الكبار، أبوه من آل أسْقلَيْبيُوس، وأمّه من آل أَيْرَاقْلِيس، فجمع الطبّ من الجهتين، تعلّم الطبّ من أبيه أَيْرَاقْلِيدَس ومِن جدّه أبُقراط، وهما أسَرَّا إليه أصول صناعة الطبّ، عاش خمسًا وتسعين سنة، واتّخذ الغُرباء وعلّمهم هذه الصّناعة[9].

---

[1] حاجي خليفة (مصطفي بن عبد الله القسطنطيني ت1067 ه)، سلّم الوصول إلى طبقات الفُحول، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أُوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، 2010م، ج3، ص7.

[2] وكان في هذه الفترة بين أَسقليبيوس وبين غورس من الأطبّاء المذكورين: سورندوس، ومانيوس، وساوثا، وسومسيس اندس، وسقوريدس الأوّل وسيقلوس، وسيمرياس، وأنطيماخس، وقلغيموس، وأغانيس، وأيرقلس، وأسطورس الطبيب. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص40.

[3] أبيقورس وسقوريدوس الثاني، وأخطيفون، وأسقوريس، وراوس، واسفقلس، وموطيمس، وأفلاطن الأوّل الطبيب، وأبقراط الأوّل ابن غنوسيديقوس. أنظر، نفسه.

[4] نفسه.؛ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج3، ص363.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص40.؛ حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص374.

[6] الأطباء المذكورين سمانس، وغوانس، وأبيقورس، وأسطافنس، وأنيقولس، وساوارس، وحوراطيمس، وفولوس، وسوانيديقوس، وساموس، ومثينانوس الثاني وأفيطافلون، وسوناخس، وسويازيوس، ومامالس. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص40.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص41، 42.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص42.

[9] نفسه.؛ صديق حسن خان (أبو الطيّب، محمد صديق خان ت 1307هـ)، أبجد العلوم، ط1، دار ابن حزم، (1423هـ، 2002م)، ص631.

جَالينُوس، ذكره الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة على أنّه خاتم الأطبّاء الكبار، وهو ثامنهم، لم يجئ بعده من الأطباء إلّا مَنْ هو دون منزلته، ومُتعلِّم منه، وكانت مدّة حياة الحكيم جالينوس سبعًا وثمانين سنة، ذلك لأنّه عندما ظهر وجد صناعة الطبّ قد كَثُرت فيها أقوال الأطبّاء السوفسطائيّين وانْمَحَتْ محاسِنها، فأبْطَلَ ذلك، وأيَّد كلام أبُقراط وآراءه وآراء التابعين له، وصنَّف في ذلك كتبًا كثيرة[1].

وبهذا يكون الحكيم أَسْقلَيبيُوس قد شكّل أسرةً، تمتهن الطبّ فحصّلها بالتّجربة وشَرع في تعليمها لأوّلاده وأقاربه، وعهَد إليهم ألّا يُعَلِّمُوا هذه الصّناعة لأحد إلّا لأوّلادهم، ولمن هو مِن نَسْل أَسْقلَيبيُوس[2]، وخلَّف أَسْقلَيبيُوس من التلاميذ، من ولدٍ وقرابةٍ ستّة، كلُّ واحدٍ من هؤلاء ينتحل رأي أستاذه أسقليبيوس وهو رأي التّجربة، إذ كان الطبّ إنّما خَرَج له بالّتجربة ولم يزلْ الطبّ ينتقل من هؤلاء التّلاميذ إلى مَنْ عَلَّموه من الأهل إلى أنْ ظهر غُورَس، واستمرّ في ذلك[3].

ويذكر الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّه خلَّف ابنين مَاهِرَيْن في صناعة الطبّ وعهِد إليهما أنْ لا يُعَلِّما الطبّ إلّا لأوّلادهما وأهلَ بيته وأنْ لا يُدْخِلَا في صناعة الطبُ غريبًا وعهد إلى مَنْ يأتي بعده كذلك، وأَمَرَهُم بأنْ لا تخرَجَ صناعة الطبُ إلى الغرباء؛ بل يُعَلِّمها الآباء الأبناء[4]، لذا قيل: "صناعة الطبّ قبل أبقراط كنزًا وذخيرة يكْنِزُها الآباء ويدَّخِرونها للأبناء، وكانت في أهل بيتٍ واحدٍ منسوب إلى أسْقلَيبيُوس"[5].

ويقال: أنّه كان له في جميع أقاليم الأرض اثنا عشر ألف تلميذًا، وكان يعلّم الطبّ مشافهةً[6]، وكانت الصّناعة فيهم خاصّة، يعلِّم الرجل منهم ولَدَه أو ولد ولدِه فقط، وتعليمهم بالمخاطبة، حتّى لا يفهمه أحدٌ سِواهم، فيُفَسِّر ذلك اللُّغْز الأبّ للابن، والطبّ في الملوك والزُهّاد فقط، يَقْصِدون به الإحسان

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص109.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص39.؛ القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص17.؛ عثماني أم الخير، **"تاريخ الطب والعلوم الطبيّة من خلال كتب التراجم"**، كتاب المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين" جامعة الشارقة، المجلّد الأوّل، إصدارات مؤسّسة الشارقة الدوليّة لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين/ دوريات المؤتمر الثالث لتاريخ العلوم عند العرب و المسلمين، (5 – 7 ديسمبر 2017م)، نشر في شهر أفريل 2018م، ص173.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص39.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص33.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص44.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص33.

إلى الناس مِنْ غير أجرةٍ ولا شرطٍ[1]، إلى أن تَضَعْضع الأمرُ فيها على زمن أبقراط، ورأى أنّ أهل بيته وشيعته قد قَلُّوا، ولم يأمن أن تنقرض الّصناعة، فابتدأ في تأليف الكُتب على جِهَةِ الإيجاز[2].

ولما خاف على صناعة الطبّ أن تنقرض، ورأى أنّها قد بادت من أكثر المواضع الّتي كان أَسْقلَيبيُوس الأوّل أسّس فيها التعليم، فالتّعليم الّذي كان بمدينة رُودُس فإنّه باد بسرعة لأنّه لم يكن لأربابه وارث، وأمّا الّذي كان منه بمدينة قِنِيدَس فطفِئَ، لأنّ الوارثين له كانوا نَفَرًا يسيرًا، وأمّا الّذي كان منه بمدينة "قُو" وهي الّتي كان يسكنها أبقراط فثَبُت وبقي منه بقايا يسيرة لقلّة الوارثين له[3]،فرأى أن ينشرَها في جميع الأرض، ويُعلّمها لكلّ المستحقّين لها، حتّى لا تَبِيد، وقال: إنّ الجُودَ بالخير يجب أن يكون على كلّ أحدٍ يستحقُّه قريبًا أو بعيدًا، واتّخذ الغرباء وعلَّمهم هذه الصناعة الجليلة[4]، وعهِد إليهم العهد الّذي كَتبه، وأَحْلَفَهُم بالأَيْمان المذكورة فيه[5] ألّا يُخالفوا ما شرَطَهُ عليهم، وأنْ لا يُعلِّموا هذا العلم أحدًا، إلاّ بعد أخْذ هذا العهد عليه[6]، وهو عبارة عن قَسَم طبي لمن أراد أن يتصدّى للطبّ[7]، ورأى أهل بيته قد اختلفوا في صناعته، وتخوَّفَ أن يكون ذلك سببًا لفساد الطبّ، فعَمَد إلى تدوينه بأغماضٍ في الكتب، وكان له ولدَين فاضلين وتلميذ فاضل، فعلّمهم هذه الصّناعة، وشَعَرَ أنّها قد تخرجُ عن أهل أَسْقلَيبيُوس إلى غيرهم، فوضَعَ عهدًا، استحْلَف فيه، مِن الذي يبتغي له أن يتعلّم صناعة الطبّ[8]، ثمّ وضع وصيةً[9] عرَّف فيها جميع ما يُحْتاج إليه الطَّبيب في نفسه[10].

كما قام الحكيم أبُقراط بإظهار وتدوين صناعة الطبّ، فقد ذكر بأنّه أوّل مَن دَوَّن صناعة الطبّ، وشَهَرَها وأَظْهَرها، وجعل أسلوبَه في تأليف كُتبه على ثلاث طرائق من طُرُق التعليم، أحدها على سبيل اللّغز، والثانيّة على غاية الإيجاز والاختصار، والثّالثة على طريق التساهل والتبيّين، ويذكر الطَّبيب ابن ابي

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص44.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص33.؛ عثماني أمّ الخير، المرجع السابق، ص173.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص44.
[4] ابن النّديم، الفهرست، ص348.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص44.
[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص45 وما بعدها.
[7] أفصّل في مضامينه عند التّكلّم عن امتحان الطّبيب، وعن أخلاقيات مهنة الطّب، في الفصل الرّابع.
[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 45.
[9] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص46 ،47.
[10] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص44 ،45.

أُصَيْبِعَة أنّه بَلَغ مجموع الكتب التي خلَّفها الحكيم أبُقراط نحو ثلاثين كتابًا، وأنّه مَنْ أراد تعلُّمَ صناعة الطبّ بطريقة صحيحة كان من الضَّروري التّعريج على كُتُبه خاصّةً الاثنا عشر المشهورة من سائر كتبه[1].

ويستنتج ممّا تقدّم أنّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قد تفوَّق في طرحه لهذا الموضوع على سابقيه، ليس من ناحية استيفاء واستقصاء الآراء فحسب، وإنّما من ناحية تعميق البحث، وتطوير النّظرة إلى كيفيّة نشوء الطبّ، بحيث أنّه كَوْنَ نظريّته الخاصّة في هذا المجال بشكلٍ متكاملٍ ومنطقي ومقبولٍ أيضًا، ليُوَضِّح لنا نشأة الطبّ وتطوّره ليأخذ الشّكل الّذي وجده عليه الحكيمان أبقراط وجالينوس، وهو الشّكل الّذي انتقل إلى العرب في عصر نهضتهم، عصر الحضارة الإسلاميّة.

2–علاقة الطبّ ببعض العلوم الأخرى:

أشار الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في بدايات تراجمُه إلى علم الأطبّاء والعلوم المختلفة الّتي كانوا متميّزين فيها، وهذه العلوم أغلبها يرتبط بالطبّ؛ على غِرار الحكمة والفلسفة وعلم النجوم ومعرفة النّبات، ويختلف في ضرورة تمكُّن الطَّبيب فيها، فمنهم مَنْ يجعلها إضافة تُساهم في بناء الشخصيّة العلميّة للطّبيب، ومنهم مَن يراها ضروريّة، بحيث لا يمكن للطّبيب أن يكون طبيبًا إلّا بارتباط الطبّ بأحدها.

أ– مع الحكمة:

الحكمة لغةً؛ مِنْ حَكَمَ. الْحَاءُ وَالْكافُ وَالْميمُ أَصْلٌ واحدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ. وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ، وَالْحِكْمَةُ هذا قياسها، لأنّها تمنع من الجهل، وتقول: "حَكَّمْتُ فلانًا تَحْكِيمًا، منعتُه عمَّا يريد، وَحُكِّمَ فلان في كذا، إذا جُعل أمره إليه[2]، ووردت هذه اللّفظة في قوله: **﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ﴾** البقرة: **269**، وسُمّيت حكمة، لأنّها مانِعة من الجهل[3]، ومنه: سمّيّت حكمة اللِّجام، لأنّه يمنَع بها الدّابة، ويقال: "أحْكَمْتُ الشيء، إذا جعلْتُه ممتنِعًا من العَيْب"، وفي الخبر: (إنَّ من الشِّعر لحكمًا)، ومعناه: "إنّ في الشِعْر كلامًا رافعًا يمنع عن الجهل والسَفَه، وينهي عنهما"[4].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص53.

[2] بن فارس القزويني الرازي (أحمد بن زكريا، أبو الحسين ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ/ 1979م)، ج2، ص91.

[3] نشوان بن سعيد الحِمْيَرى اليمني (ت 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح، حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت –دار الفكر، دمشق، (1420هـ/ 1999م)، ج3، ص1533م.

[4] الهروي (أبو عبيد، أحمد بن محمد ت401 هـ)، الغريبين في القرآن والحديث، تح: أحمد فريد المزيدي، مراجعة: فتحي حجازي، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيّة السعوديّة، (1419هـ/ 1999م)، ج2، ص ص477، 478.

وقيل: علمُ الحكمة هو ما يُبْحَث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه من الوجود بِقدْر الطَّاقَة لتصير النفس الإنسانيّة بتحصيلها كَامِلَة مُضاهيّةً لِلْعَالم الْعَقلِيّ، وتستعدُّ بذلك للسعادة القُصوى الأُخرويّة"، وَقيل: "استكمالُ النَّفس الإنسانيّة بالتصورات والتصديقات النظريّة بِقدر الطَّاقَة البشريّة"، وَقيل: "استكمال النَّفس الإنسانيّة فِي قُوَّتها النظريّة بِمَعْرِفَة الحَق، وَفِي قوَّتِها العمليّة بِفعل الْخَيْر"، وَقيل: "استكمالها بتصوُّر الْأُمُور والتصديق بالحقائق النظريّة والعمليّة[1].

ويذكر القاضي المؤرّخ الشِّيزَري عبد الرّحمن بنُ نَصر (ت نحو 590هـ/ 1094م) في كتابه "نهاية الرُّتبة في طلب الحِسْبَة" ما نصّه: "حُكِيّ أنَّ ملوك اليونان كانوا يجعلون في كلِّ مدينة حكيمًا مشهورًا بالحكمة، ثمّ يعرضون عليه بقيّة أطباء البَلد ليمتحِنهم، فمَنْ وجده مُقَصِّرًا في عمله أمَرَه بالاشتغال وقِراءة العلم، ونَهاه عن المداواة"[2]، كما ذكر الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، على لسان الطَّبيب الرّازي أنّ الحقيقة في الطبّ غايةٌ لا تُدْرَك، والعِلاج بما تنُصُّه الكتب دون أعمال الماهِر الحكيم برأيِه خَطَر"، وأضاف: "الاستكثار من قراءة الحكماء والأشراف على أسرارِهم نافع لكلّ حكيمٍ عظيم الخَطر"[3].

وكان الأطبّاء الكِبار يلومُون مَنْ هُم دونَهم بعدم تمكّنهم في الأمور الحِكميّة أو أنّهم يذكرون فضلهم في أمور الطبّ، ويذمّونَهم في الحكمة، حتّى أن الرئيس ابن سينا كان معاصرًا للطّبيب أبي الفرج بن الطيّب (ت 435هـ/1043م) يحْمِد كلامه في الطبّ، وأمّا في الحكمة فكان يذُمُّه، وكان ابن سينا يقول فيه: "إنّه كان يقع إلينا كُتُبٌ يعْمَلُّها الشيخ أبو الفرج أبو الطيّب في الطبّ ونجدُها صحيحة مُرْضيَّة خِلاف تصانيفه التي في المنطق والطبيعيات ومَن يجري معها"[4].

يَصْعُب فهْم مقصد الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة فيما يذكره عن الطَّبيب، حيث يصفه بالحكيم تارةً وبالطَّبيب تارةً أخرى، وقد يذكر أنّه حكيم وطبيب[5]؛ فنجد مصطلحات الحكمة تتكرّر نحو قوله "من

[1] البركتي (محمد عميم الإحسان المجدّدي)، التعريفات الفقهيّة، ط1، دار الكتب العلميّة، (1424هـ/ 2003م)، ص81.

[2] الشيزري (عبد الرحمن بن نصر ت نحو 590 هـ/1196م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشره: السيّد الباز العَريني، إشراف، محمد مصطفى زيادة، (د ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1365هـ/ 1946م)، ص97.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص420.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص323، 324.

[5] يقول العَروضي السَّمرقندي: "وأمَّا الطَّبيب، فينبغي أن يكون رقيق الخُلُق، حكيم النفس، جيّد الحَدْس، والحدس حركة نفسيّة تُوحي بالآراء الصَّائبة أعني، سرعة الانتقال من المجهول إلى المعلوم، ولا يكون الطبيب رقيق الخلق ما لم يعرف شرف النفس الإنسانيّة، ولا يكون حكيم النفس ما لم يعرف المنطق، ... وما لم يعرف الطبيب المنطق والجنس والنوع، فإنّه لا يستطيع أن يفرّق بين الفصل والخاصّة والعرض، كما أنّه لا يستطيع إدراك العِلّة، وإذا

الحكماء الفضلاء وطبيبٌ عالمٌ وفيلسوفٌ متكلِّم، وغلَبت عليه الحكمة "[1]، وقوله: "متميّزٌ في الحكمة فاضلٌ في صناعة الطب"[2]، ونحو قوله: "وعَلامة وقتِه في العلوم الحِكَميّة"[3]، وقوله: "كان حكيمًا طبيبًا"[4]، وقوله في آخر: "كان أوْحَد وقتِه وعلامَةُ زمانِه في صناعة الطب وفي العلوم الحِكَميّة"[5]، ومن قوله: "وكان اشتغاله بصناعة الطب والعلوم الحِكميّة"[6]، وقوله: "فاضلًا في الصناعة الطبيّة، مُتقنًا للعلوم الحِكميّة، مُتَحلّيًا بالفضائل"[7]، و"جيّد المداواة، لطيف المداراة، عارفًا بالعلوم الحِكميّة "[8].

كما ذكر مؤلّفات الأطبّاء في مجال الحكمة، فعن أحمد بن أبي الأشعث، أنّه كان فاضلًا في العلوم الحِكميّة متميّزًا فيها، وله تصانيف كثيرة في ذلك، تدلّ على ما كان عليه من العلم وعلُوّ المنزلة[9]، وألّف الرّازي مؤلّفات في الحكمة من بينها، كتابٌ إلى أبي القاسم بنُ دَلف في الحكمة، كتاب إلى ابن أبي السَاج (ت288هـ/ 901م) في الحكمة، كتابٌ إلى الدّاعي الحسن الْأَطْرُوشَ (304هـ/ 916م) في الحكمة، كتاب سرُّ الأسرار في الحكمة[10]، ولابن سينا كتاب الإشارات والتنبيهات، وهي آخر ما صنَّف في الحكمة وأجْوَدَه، وكان يُظَنُّ بها، كتاب الهداية في الحكمة[11].

أحال الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى عديد الأقوال الحكميّة، أورد أمثلة مختصرة عن ذلك مثل قولهم: "البِطْنة بيت الداء والحِمْية رأس الدواء وعَوِّدوا كلَّ بدَنٍ ما اعتاد"[12]، وقولهم: "عدمُ الحكمة هو العُقْم العظيم"[13]، قال الحَرْثُ بنُ كِلَدة: مَنْ سَرَّهُ البَقاء ولا بَقَاء فلْيُباكِر الغداء ولْيُعجِّل العِشاء ولْيُخفِّف الرِداء

جهل العِلّة لا يستطيع أن يُصيب في العلاج". أنظر، النِظامي العروضي السَّمَرْقَنْدِي، جهار مقالة، حواشي، محمد بن عبد الوهّاب القزويني، تر: عبد الوهاب عزّام ويحي الخشّاب، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1368هـ/1949م)، ص74.

[1]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص376.

[2]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص399.

[3]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص402.

[4]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص405.

[5]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص407.

[6]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص430.

[7]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص614.

[8]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص651.

[9]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص331.

[10]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص426.

[11]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص457.

[12]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص165.

[13]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص390.

ولْيُقِّل الجِماع[1]، وممّا قاله تِياذُوق يُوصي الحَجّاج: "لا تأكلن حتّى تجوع، ولا تتكارَهَنْ على الجِماع، ولا تحْبِس البوْل، وخُذْ من الحَمَّامِ قبل أن يأخذ منك"[2]، ومِنْ كلام الطَّبيب بَخْتِيشُوع بنُ جبرائيل: "الشُرْبُ على الجوع رديء والأكل على الشَبَع أرْدَأ"، وقال: "أكلُ القليل ممّا يضرُّ أصْلَح مِنْ أكلِ الكثير ممّا ينفع"[3].

ب- مع الفلسفة:

الفلسفة اسمٌ يوناني دخيل في العربية، مركّب من جزأين "فِيلَا"، ومن "سُوفْيا"، ففِيلا تعني: الإيثار، وسوفيا تعني: الحكمة، ليكون معناها العام إيثار الحكمة[4] أو محبّة الحكمة[5]، وقد تزامن تأثّر المسلمين بالفلسفة مع التّرجمة، فحتّى ولم تكن هي المقصد إلّا أنّ المترجمين بشروحاتهم وتعليقاتهم وتراجمهم قد أخذوا منها، ولذلك فإنّ الفلسفة الإسلاميّة لم تحذ حذْو الأعمال المترجَمة وشروحها؛ بل هي وُجدت في خِضّم هذه الأعمال وكانت امتدادًا لها، ولم تكن مصطلحاتها تُدَوَّن على سبيل التدريب اللّغوي البحت، لقد اكتسبت الفلسفة الإسلاميّة نوعًا من تحديد الملامح حين اضطلعت بمهمّة تجمع بين الترجمة والشرح أو التعليق والتأمّلات الشخصيّة والأمثلة التطبيقيّة[6]، وغلبت الفلسفة على مباحث الطبّ عند متأخِّري اليونان؛ بل عند كثيرٍ من أطبّاء العرب بعد ذلك، خاصّةً ممّن أرادوا حفظ التّراث الإنساني[7]، فكان كلّ مَنْ يُقبل على دراسة الفلسفة يتعلّم الطبّ والعكس صحيح، فكانت الفلسفة والطبّ بذلك توْأمين مَنْ يدرُس أحدهما وجَب عليه دراسة الآخر[8].

ولا شكّ في أنّ السّبب في امتزاج الفلسفة بالطبّ، هو تفسير اليونانيّين للكَوْن والاستدلال على قوانينه بالتّفكير المجرّد والمنطق المقنَن، لإيمانهم بقابليّة الكون للتّفسير العقلي، وبسببيّة الأحداث الطّبيعيّة،

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص165.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص179.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص209.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص604.
[5] الخوارزمي أبو عبد الله (محمد بن أحمد بن يوسف ت 387هـ)، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، (د ت)، ص153.
[6] ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، إعداد إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، تر: نخبة من أساتذة الجامعات المصريّة والعربيّة، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، (1418هـ/1998م)،ج25، ص7910.
[7] بركات محمد مراد، ابن النّفيس، (د ط)، دار كتب عربيّة، (دت)، ص16.
[8] مصطفى الشكعة، مناهج التّأليف عد العلماء العرب، ص552.

ولذلك نجد أثَر الفلسفة في الطبّ واضحًا في جانبه النّظري والعلاجي[1]، ولهذا نجد الطَّبيب الرّازي يجمع بين الأطبّاء والفلاسفة؛ يقول: "متى اجتمع أرسطو وجالينوس على معنى فذلك هو الصّواب، ومتى اختلفا صَعُب على العقول إدراك صوابه"[2]، وقال أيضًا: "مَن لم يُعْن بالأمور الطّبيعيّة والعلوم الفلسفيّة والقوانين المنطقيّة وعَدَل إلى اللّذات الدُنيائيّة فاتَّهِمْه في علمه، لاسيّما في صناعة الطبّ"[3].

ويذكر الطّبيب أبو الفَرج عليّ بن هِنْدُو (ت420هـ/ 1029م) أنّ الحكيم جالينوس لتفخيمه أمْرَ الطبّ، جعل الطَّبيب فيلسوفًا[4]، وذكر له الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ضِمن مؤلّفاته "كتاب في أنّ الطَّبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفًا"[5]، إلّا أنّه يرى العكس من ذلك، حيث يرى صحّة العكس بأنْ يكون الفيلسوف طبيبًا، لأنّ الطَّبيب يُفيد أبدان النّاس الصحّة، والفيلسوف هو المحيط بحقائق الموجودات، والفلسفة عامّة[6] مُحْتَوِيّة على الطبّ وغيره[7].

ومن الأطبّاء مَنْ جعل الفلسفة ضرورةً لابدّ منها؛ كالطَّبيب المصري ابن رضوان الّذي يرى أنّه لا يجب إطلاق لفظ الطَّبيب إلّا إذا كان المتولّي للطبّ يتعاطَى الفلسفة، وإلّا فهو ليس طبيبًا؛ بل متطبِّبًا[8]، وعلى هذا الأساس سلك الأطبّاء العرب وخصوصًا المشهورين منهم مَسْلك الفلسفة إلى جانب الطبّ[9]، ومن هؤلاء الطَّبيب الفيلسوف محمد بن زكريا الرّازي (ت313هـ/925م)، والفيلسوف الطَّبيب الشيخ الرّئيس بن سينا (ت428هـ/1037م)[10] اللّذان كان لمدرستَيْهما أثرًا في تعليم الطبّ، فقد كانا طبيبين

---

[1] بركات محمد مراد، المرجع السابق، ص17.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، عيون الأنباء، ص420.

[3] نفسه.

[4] ناصر بن محمد علي الحازمي، **الحركة العلميّة الطبية في بلاد الشّام زمن الحروب الصّليبيّة**، ص229.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص146.

[6] يقول محمد عبد الرّحمن مرحبا، وهو يقارن بين العلم في العموم مع الفلسفة: "لكن ما معنى العلم بلا فلسفة؟ وفي حوزة مَن نشأت العلوم؟ أوَ لم تكن جنينًا في أحشاء الفلسفة؟ ترعرعت ونمت في رعايتها، حتّى إذا استقلّت عنها أخذت تتدفّق في وصفها للأشياء عند عِللها القريبة تاركةً للفلسفة الأمّ مهمّة مواصلة السّير بحثًا عن العِلل البعيدة والمبادئ القُصوى؟ ... أوَ ليس أفضل العلماء مَن استطاع التفلسف في علمه؟ " مثّلت هذه الأسئلة وغيرها هجومًا على مَن فصَل بين الفلسفة وباقي العلوم وبالخصوص الطبّ. أنظر، محمَّد عبد الرّحمن مَرحبَا، من الفلسفة اليونانيّة إلى الفلسفة الإسلاميّة، ط1، بيروت، لبنان، 2007م، ج1، ص39.

[7] ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص ص229، 230.

[8] ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع نفسه، ص232.

[9] رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطبّ عند العرب، ص198.

[10] الطبّ في الدّولة الإسلاميّة وجد في مدرستين بارزتين: الأطباء الفلاسفة، والفلاسفة الأطباء.؛ الأطباء الفلاسفة يمثّلهم أبو بكر الرازي، والفلاسفة الأطباء يمثّلهم ابن سينا، يقول جورج سارتون: "وهما يمثّلان مذهبيين مختلفين ، ففريق المدرسِيّين ابن سينا درسوا الطب على أنّه جزءٌ من المعرفة لا غنًى عنه، أمّا فريق الممارسين الرازي، فهم يهتمّون في المقام الأوّل بالمرض والتشخيص والعلاج، فالفلسفة لديهم مجرّد وسيلة للوصول للغاية وأسلوب الفريقين يختلف؛ المدرسيون يعنَون بالتنظيم والتقسيم المنطقى والممارسون يعنَون بالمشاهدات والدلالات. أنظر، الرّازي (محمد بن زكريا ت313هـ)،

فيلسوفين امتزج عندهما الطبّ بالفلسفة، على الرغم من أنّهما كانا يؤمنان حقيقةً بفضل علم الطبّ عن غيره من العلوم[1].

وعلى العموم فالطبّ في الحضارة الإسلاميّة عامّةً، وفي المشرق خاصّة من حيث علاقته بالفلسفة يمكن تقسيمه إلى ثلاثة اتّجاهات؛ إذ نجد اتّجاهًا أوّلًا استمرّ أطبّائه باتّباع المدرسة اليونانيّة في الطبّ بالاعتماد على العلوم الفلسفيّة واعتبارها جزءًا من علوم الطبّ، وهو ما كان سائدًا حتّى نهاية القرن(5هـ/11م) مثل، أبو نَصْر الفارابي(ت 339هـ/950م)[2][3]، ويعقوبُ بن إسحق الكِندي (ت256هـ/873م) الّذي جعله أحد أطبّاء العراق، ولقّبه بفيلسوف العرب[4]، وثابت بنُ قُرَّة(ت288هـ/901م) الّذي لم يكن مَن يماثله في صناعة الطبّ ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة؛ بل كان يدخل إلى أبي الْعَبَّاس المعتضد بِاللَّه، وهو في الحَبْس في كلِّ يوم ثلاث مرّات يحادثه ويُسَلِّيه ويعرِّفُه أحوال الفلاسفة وأَمْر الهندسة والنّجوم[5]، واتّجاهٌ آخر فَصَلَ بين الطبّ والفلسفة، وكان أغلبيّتهم من الفقهاء أو المشتغلِين بالعلوم الشرعيّة[6]، ووُجِد منهم مَن كان يُشنِّعُ على أولئك الّذين يقدِّسون الفلسفة[7].

أمّا الاتجاه الثّالث فجَمَع بين المنهجين، الاعتناء بالعلوم الفلسفيّة دون المبالَغة فيها، وأَخْذِ ما يحتاج إليه الطَّبيب منها، وبين العمل التطبيقي المبْنِي على التّجربة والملاحظة والكَشْف السّريري والعمل باليد[8]، ومن روّاد هذا الاتّجاه الرّازي وابن سينا، ورَشيد الدّين علي بن خليفة، وهو أحد الأطبّاء الذين مَزَجوا بين الطبّ والفلسفة ومِنْ فِرَق أهل النَظَر والقياس، فيقول: "اشْتغِلْ بكلام المشهورين الجامعة أوّلًا،

الشّكوك للرّازي، تح: مصطفى لبي عبد الغنى، (د ط)، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، (1426هـ/ 2005م)، ص11.؛ ابن أبي أُصَيْبِعة، مقدّمة المحقّق، المصدر السابق، تح النجّار، ص70.

[1] ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص232.

[2] وممّا ذكره الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعة عنه، مبيّنًا تعلّقه بفلسفة أرسطو: "وسُئِل أبو نصر: "مَن أعلم. أنت أم أرسطو؟" فقال: "لو أدركتُه لكنُت أكْبَر تلاميذه"، ويذكر عنه أنّه قال:" قرأتُ السماع لأرسطو أربعين مرّةً وأرى أنّي محتاج إلى معاودته". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص606.

[3] أبو نَصْر الفارابي(ت339هـ/950م) هُوَ، أَبُو نصر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أوزلغ بن طرخان، من مدينة "فارابْ"، وهي من بِلَاد التّرْك فِي أَرض خُرَاسَان، وكان أبوه قائد جيش، من أصل فارسي، وتواجد ببغداد مدّة، ثمّ رحل إلى الشام وأقام به إلى حين وفاته، عرف الفلسفة فكان إمامًا فاضلًا قد أتقن العلوم الحِكميّة، وبرع في العلوم الرياضيّة، وكانت له قوّة في صناعة الطب وعلم بالأمور الكلّيّة منها، ولم يباشر أعمالها ولا حاول جزئياتها، وَلأبي نصر الفارابي الكثير من المؤلّفات التي فاقت التسعين مؤلّفًا في مجموعة من العلوم، وخاصّةً في الفلسفة. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص603.؛ الصّفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص102.؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج9، ص ص 45، 46.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص285.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص 295.

[6] ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص234.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص286.

[8] ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص234.

فإذا حصَّلْتَ الصّناعة فاشتغِلْ بالكتب الجزئيّة من كلام كلِّ قائلٍ؛ عاريًا من محبّته أو بُغْضه، ثمّ زِنْهُ بالقياس وامْتحنِهُ إنْ أمكن بالتَّجربة، وحينئذ اقْبَل الصَّحيح، وإنْ أَشْكَل فأَشرِك غيرَك فيه، فَإِنّ لكُلِّ ذِهن خَاصِّية بمعانٍ دُون معَان" وقال أيضًا: "وأكثرُ صناعة الطبّ حَدْسٌ وتخمينٌ وقلّما يقع فيه اليقين، وجُزْآها القياس والتّجربة، لا السّفسطة وحبّ الغَلَبة"[1].

ومن الّذين ذكر الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة اهتمامهم بالطبّ والفلسفة معًا، يَعْقُوب بن إِسْحَق الْكِنْدِيّ(ت256هـ/873م)تأدّب وكان عالما بالطبّ والفلسفة، لقّبه ابن أبي أُصَيْبِعَة بـ"فيلسوف الْعَرَب، وقال أنّه احتذى في تواليفه حَذْو أرسطوطاليس، وله مؤلّفات كثيرة وتَرجَم من كتب الفلسفة الكثير[2]، وأيضًا أبو الفَرج بنُ الطيّب، طبيبٌ مشهورٌ في الطبّ، كان خبيرًا بالفلسفة، كثير الاشتغال فيها، اهتمّ بشرْح كتب أرسطوطاليس في الحكمة، وشرح كتب أبقراط وجالينوس في صناعة الطبّ[3]، وأبُو الخَير، الحَسَن بنُ سِوَار(ق4هـ/10م) كان فيلسوفًا حَسن التعقُّل، حسن المعرفة[4]، وغيرهم.

وما يمكن ملاحظته فيما يخصّ علاقة الفلسفة بالطبّ أنّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، في كتابه، قد ذكر مصطلح "الفلسفة" وما ارتبط فيها في أكثر من مائةٍ وثلاثين صفحة، وذكر الفلسفة والطبّ متلازمَيْن في أربعة عشر موضعًا[5]، بحيث لا يفصل بينهما أكثر من كلمة، وإنّما قُلنا هذا لنُحيل إلى مدى ارتباطهما ببعض، مع أنّنا لم نُنَوِّه إلى تصنيفاتهم في الفلسفة لكثرتها[6]، ولا إلى الكتب الّتي تدارَسوها في المنطق والفلسفة بمعيَّةِ الطبّ[7].

1ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص743.

2ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص285، 286.

3ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص323.

4ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص429.

5ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص32، 286، 325، 416.

6ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص81، 272، 289، 330، 608، 609.

7 من أمثلة ذلك؛ الطبيب عبد الرحيم ابن علي بن حامد الدخْوار، قرأ علوم الفلسفة والمنطق على سيف الدين علي بن أبي علي الآمُدي، وحفظ كتبه وقرأها عليه ككتاب "دقائق الحقائق"، وكتاب "رموز الكنوز"، وكتاب "التمويهات في شرح التنبيهات"، وكتاب "بكار الأفكار"، وغيرها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص733.

ث- مع علم الفلك وعلم النّجوم، وعلوم أخرى[1]:

يُعرف بعلم الهيئة، هو علمٌ يُبْحث فيه عن أحوال الأَجرام البسيطة العُلويّة والسُفليّة، من حيث الكمّيّة والكيفيّة والوَضْع والحركة اللّازمة لها وما يلزَم منها[2]، ويعرّفه المؤرّخ ابن خلدون: "هو علمٌ ينظر في حركات الكواكب الثّابتة والمحرّكة والمتحيّرة"[3]، وعلم النّجوم من فروع الطبيعيات، وهو علمٌ بأصول تُعْرَف بها أحوال الشَّمس والقمر وغيرهما من بعض النجوم، والمراد بالأحوال الآثار الصادرة منها في العالم السُفلي، فلا يكون من أجزاء الهيئة وعلم السماء والعالَم، وموضوعُه النّجوم، من حيث يمكن أن تُعْرَف بها أحوال العالم ومسائله كقولهم: "كلّما كانت الشّمس على هذا الوضع المخصوص فهي تدلُّ على حدوث أمْرٍ كذا في هذا العالم"[4].

سَاهَم العَربُ والمسلمون في تقدّم علم الفَلك، للحاجة إلى معرفة أوقات الصّلاة التي تختلف بحسب الموقع، وتتغيّر من يوم إلى يوم، ولتَحَرِّيهم اتجاه القبلة وكذلك هلال رمضان وأحكام الشريعة والصّوم، وبدأ اهتمام العرب والمسلمين بترجمة كتب الفلك، بدايةً من العهد الأُموي بترجمة كتاب "مفتاح النّجوم المنسوب إلى هُرْمُس"[5]، ثمّ العبّاسي أيْن بدأ الخليفة أبو جعفر المنصور يقرّب المنجِّمين، ويستشيرهم في أموره مثل، أبي سهل بن النُوبَخْتْ[6]، ثمّ المساهمة في التّأليف في علم الفلك والهيئة والنّجوم؛ فمن المؤلّفات "إصابات

[1] من الشّروط الّتي حدّدها صاحب كتاب "التّشويق الطبّي" في الطّبيب أن يكون عالما من النجوم ما لابدّ منه، مثل معرفته بشكل الأرض وموضعها وسط الفلك، وقسمتها بالأقاليم والمدن، وأطوال البلدان وعروضها، ويعرف تركيب الأَسْطُقْسات عليها وترتيب الأفلاك، وحركاتها، وأحوال الكواكب ومسيراتها في السنين والشهور والأيّام والساعات وحلولها في البروج وقراناتها واتصالاتها وبعدها من الشمس وقربها... قال الفاضل أبقراط: "إنّ علم النجوم ليس بجزءٍ صغير من علم الطب". أنظر، أبو العلاء صاعد بن الحسن (ت464هـ)، التّشويق الطبي، تح: مريزن سعيد مريزن عسيري، مكتب التربيّة العربي، الرياض، (1416هـ/ 1996م)، ص ص71، 72.

[2] فالكمّيّة إمّا منفصلة كأعداد الأفلاك، وبعض الكواكب دون أعداد العناصر، فإنّها مأخوذة من الطبيعيات، وإمّا متّصلة، كمقادير الأجرام والأبعاد واليوم وأجزائه، وما يتركّب منها، وأمّا الكيفيّة فكالشّكل؛ إذ تتبيّن فيه استدارة هذه الأجسام، وكلَوْن الكواكب وضوئها، وأمّا الوضع فكقُرْب الكواكب وبعدها عن دائرة معيّنة وانتصاب دائرة وميَلانها بالنسبة إلى سَمْت رؤوس سكان الأقاليم وحيلولة الأرض بين النيرين، والقمر بين الشمس والإبصار ونحو ذلك، وأمّا الحركة فالمبحوث عنه في هذا الفنّ منها هو قدرها وجهتها، وأمّا البحث عن أصل الحركة وإثباتها للأفلاك فمن الطبيعيات، والمراد باللازمة الدائمة على زعمهم، وهي حركات الأفلاك والكواكب، واحترز بها عن حركات العناصر كالرياح والأمواج والزلازل، فإنّ البحث عنها من الطبيعيات، وأمّا حركة الأرض من المغرب إلى المشرق وحركة الهواء بمشايعتها وحركة النار بمشايعة الفلك. أنظر، التهانوي (محمد بن علي ت بعد 1158هـ)، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تر: د. عبد الله الخالدي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م، ج1، ص61.

[3] ابن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، ص641.

[4] التهانوي، المرجع السابق، ج1، ص65.

[5] كارلو نلينو، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ص142.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص219.؛ كارلو نلينو، المرجع السابق، ص143.

المنجِّمين لابن أبي أُصَيْبِعَة"[1]، وكتاب "فيما يحتاجُ إليه الطَّبيب من علم النجوم"، ليوحَنَّا بنُ بَخْتيشوع[2]، وليعقوب بن إسحق الكندي العديد من المؤلّفات في الكواكب والنجوم، ومن بينها "رسالة في الإبانة عن منفعة الطب إذا كانت صناعة النجوم مقرونة بدلائلها" ورسالةٌ أخرى "في قَدْرِ المنفعة بأحكام النجوم"[3]، ولأبي الرّيْحان البَيْروني(ت 440هـ/1048م) كتاب "التَفْهيم في صناعة التنجيم"[4]، ولقِسْطا بنُ لُوقَا، كتاب "في الهيئة وتركيب الأفلاك"[5]، وغيرها كثير.

ربطَ بعض الأطبّاء منذ القديم مداواة الإنسان بحركة الكواكب ودورانها، فممّا ذكره الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة عن مجوس روميّة أنّهم زعموا أنّ صورة كانت تُكلّمهم وكانت منصوبةً على حركاتٍ نجوميّة، وأنّه كان فيها رَوْحانيّة كوكب من الكواكب السّبعة[6]، ونجد صوّرًا من الاستعانة بالمنجِّمين أو بالعارفين في الكواكب[7]، من ذلك مَن كان لا يُقدِّم العلاج إلى المريض حتّى يتبيّن له مُوافَقَة ذلك مع تغيُّر منازِل القمر والكواكب، في هذا يذكر الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، أنّه عَرَضَ لغضيض أمّ ولدِ الرشيد قَوْلَنْج، فاحضرتْه وأحضرت الأَبَّح الحَسَن بن إبراهيم (ت230هـ/845م) والطّبري الحاسِبَيْن، وسألت عيسى عمّا يرى معالجتها به، فقال عيسى وهو الطَّبيب، أنّ القَوْلَنْج قد استحكَم بها ويجبُ حقْنها، فاستشارت الحاسبين الأبّح والطَّبري؛ كي يختارَا وقتًا تُعالَجْ فيه، فقال لها الأَبَّح: "علَّتُكِ هذه ليست من العِلَّل الّتي يمكن أن يُؤَخَّر لها العلاج إلى وقتٍ يحمده المنجِّمون، وأنا أرى أنْ تُبادِري بالعلاج قبل أن تعْمَلي عَمَلًا وكذلك يرى عيسَى بن حَكَم الدِّمَشقِيّ الطَّبيب"، ثمّ سألت الطّبري، فقال: "إنّ القمر اليوم مع زُحَل وهو في غَدٍ مع المِشْتري وأنا أرى لك أن تؤخِّري العلاج إلى مقارنةِ القمر المشتري"، فاختارت أن تُؤجِّل العلاج ففقدَتْ العَلِيلَة[8].

ورُبَّما تَوَقَّع المنَجِّمون أوبئةً وأمراضًا بما تَهيَّأَ لهم من معرفة في الفَلَك والنّجوم، خاصّةً عند طلوع الكوكب الأَثاري في الجَوْزاء، من ذلك الوباء الّذي أصاب جميع المشرق الإسلامي وحتّى المغرب، وذكر

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص377.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص277.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص291- 293.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص459.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص330.
[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص30.
[7] لم يكن تصديق المنجِّمين كليّة؛ بل نجد مَن يشكّك فيهم، فلا يؤمن بهم وبما يقولونه، منْ ذلك ما قاله الطبيب بختيشوع للخليفة المهتدي قد حكم المنجّمون بأنّي أموتُ في هذه السنة، فكلّمه المهتدي بكلامٍ جميل، وقال قلّما يصْدُق المنجّم. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص203.
[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص177.

الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ما قاله بَطْلَيْموس، إذا اجتمعتْ بعض الكواكب قائلًا: "وصحَّ إنذار بطليموس القائل، الويلُ لأهل مصر إذا طلع أحدُ ذواتِ الذوائب وأنْجَهم في الجوزاء ... وصحّ حُكْمُ بطليموس في قوله إنّ زُحَل والمريخ متى اقترنا في السرطان زُلْزِلَ العالم"[1]؛ بل ويُنْذِرون بما سيحدث من أزمات وحروب[2].

وهذا ما يجرّنا إلى ذكر أهمّ الأطبّاء الّذين لهم علمٌ بالفلك والنّجوم فمنهم، يعقوب بن إسحاق الكندي الّذي تعلّم علم النّجوم بعد سبعٍ وأربعين سنة[3]، وكَنْكَه الهندي والذي كان من أعلم الناس بهيئة العالم وتركيب الأفلاك وحركات النجوم[4]، وكان البَيْروني فاضلًا في علم الهيئة والنجوم[5]، واشتغل عمّ ابن أبي أُصَيْبِعَة بعلم النّجوم[6].

وتوجد عديد العلوم والمعارف الأخرى الّتي لها علاقة بالطبّ أيضًا، ولا شك أنّ من أهمّها معرفة النّبات ماهيّته ومواضعه وعلاجاته، فكثيرٌ من الأطبّاء تميَّز في تركيب الأدويّة، وقد كان أوّل اهتمام العرب بالنّبات أنْ قاموا بترجمة كتاب "دُيُوسقُورِيدس في الحشائش والأدويّة المفردة" أكثر من اهتمامهم بكتابٍ آخر من كتب النّبات، وقد كان هذا الكتاب مُعِين العرب في العقاقير في مادته، نقلَ عنه كلُّ مَن أتى منهم بعد ترجمته، ثمّ زادوا عليه بعد ذلك بقدْر ما وصل إليه علمهم[7].

ويوجد كثيرٌ من أطباء المشرق الإسلامي؛ ممّن ألّفوا في علم النّبات وفي الأدويّة أمثال، سَابُور بنُ سهْل، وحُنَيْن بن إسحاق، وأبو بكر الرازي ...، ولعلّ أكثر مَن اشتهر من الأطبّاء في هذا، ضِياء الدين بن البَيطار، أوْحَد زمانه وعلامةَ وقتِهِ في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نباته ونَعْتِ أسمائه على اختلافها وتنوُّعها[8]، وكان الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة طبيبًا كحَّالًا، ومع ذلك كان يهتمُّ لمعرفة النّبات فكان تلميذًا لديه في ذلك، وكان الطَّبيب رشيد الدّين الصُّوري أَوْحَدًا في معرفة الأدويّة المفردة وماهياتها واختلاف

---

[1]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص327.

[2]ومما ينسب إلى الشيخ الرئيس ابن سينا قصيدة، فيما يحدُث من الأمور والأحوال عند قِران المشتري وزُحل في بُرج الجَدْي، وأوّل القصيدة: احْذَر بُنَيّ منَ القِرَان العَاشِر ... وانْفِر بِنَفْسِك قَبْل نَفَر النَافِر. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص454.

[3]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص286.

[4]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص473.

[5]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص459.

[6]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص737.

[7] أحمد عيسى، تاريخ النبات عند العرب، مؤسّسة هنداوي، مصر، 2013م، ص54.

[8]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص601.

أسمائها وصفاتها[1]، وكان يبحث عن النبات فيشاهده ويحقّقه ويُرِيه للمُصوِّر فيعتَبِرُ لوْنه ومقدار وَرقِه وأغصانه وأُصوله، ثمّ يتابع جميع مراحل تطوُّر نمو النّبات[2].

ومن الأمور الأخرى الّتي تميّز فيها الأطبّاء لتساعدهم في هذه المهنة الموسيقى[3]، وهي علمٌ يُعرف بِهِ كَيْفيَّة تأليف الألحان، وَكَيْفِيَّة الإيقاعات[4]، وأصناف الألحان ثلاثة؛ الملذّة، والانفعاليّة، والمخيّلة[5]، والملّذة هي، ما يحتاجها الطَّبيب، لأنّها تبعث الراحة والطمأنينة لِما هو مسموعٌ[6]، وأيضًا لتقوية المِزاج كما جرت العادة في تنويم الأطفال بالتحريك والموسيقى والتَلْحين[7]، ويُعْرَف من الموسيقى الحركات والنَقرات ومناسبات أزمان الحركات ويُروّضُ أنامله بِحِسّ الأوتار فإنّه يُنْتفَع بذلك في علم النَبْض[8]جدًّا وكانت للأطبّاء في المشرق الإسلامي مؤلّفات فيها، فليعقوب بن إسحق الكندي أربعة مؤلّفات فيها[9]، ولأحمد بن الطيّب السَرْخَسي، كتاب الموسيقى الكبير، والمدخل إلى علم الموسيقى[10]، ولابن سينا "المدخل إلى صناعة الموسيقى"[11]، وقد قال عنها "وفي الموسيقى مسائل غَفَلَ عنها الأوَّلُون"[12]، وكان الفَارابي(ت 339هـ/950م) في علم صناعة الموسيقى وعملِها قد وصل إلى غاياتها وأتْقَنَها إتقانًا لا مَزِيد عليه[13]،

[1]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص700.

[2]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص703.

[3] يقول ويل ديوارنت: "وكان عند العرب آلات موسيقيّة تبلُغ المائة عُدَّ أشهرها العُود، والقيثارة، والبندور، والسَنطير، والناي، ويقوّيها في بعض الأحيان البُوق، والدُفْ، والصنج، والرّق، والطبل، وكان العود على أنواعٍ وأحجامٍ كثيرة لا تقلّ عن الإثنَيْ عشر، وكان الكبير منها يسمّى القيثارة. وعن العرب أُخذت كلمتا Iute، Guilar، وكان القوس يستعمل للعزْف على بعض الآلات الوتْريّة، وكان الأرْغن بنوْعيهِ؛ الهوائي والمائي معروفًا عند العرب". أنظر، وِل ديورَانت، قصّة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، (1408هـ/ 1988م)، ج13، ص257.

[4] السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـ)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح: محمد إبراهيم عبادة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، (1424هـ/ 2024م)، ص164.

[5] الفارابي (أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان ت339هـ)، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطّاس عبد الملك خشبة، مراجعة: محمود أحمد الحفني، د ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د ت)، ص66.

[6] الفارابي، المصدر نفسه، ص67.

[7]ابن سينا (الحسين بن عبد الله، أبو علي ت 428هـ)، القانون في الطبّ، (دط)، تح: محمد أمين الضناوي، (دت)، ج1، ص205.

[8] علم النَبْض، فرعٌ مهمّ من فروع المعرفة الطبيّة عند القدماء، كان يُستدَّلُ به كثيرًا على معرفة الأمراض، ولم يكن معرفة ذلك وتعلّمه بالأمر السهل فقد أقام جالينوس سنين كثيرة يتأمّله بحرصٍ شديد حتّى أدرك انقباض العِرْق إدراكًا يثق به، ولذلك صنَّف كتابين في هذا العلم هما: النبض الصغير، والنبض الكبير. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص134- 136.؛ صاعد، التشويق الطبي، ص74.

[9]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص290.

[10]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص294.

[11]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه ص458.

[12]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص442.

[13]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص604.

ولم يكن عمّ ابن أبي أُصَيْبِعَة بأقلّ منه، فقال عنه: "ولم يكنْ في زمانه مَن يعرفُ الموسيقى واللّعِب بالعُودِ مثله ولا أطْيَبَ صَوْتًا منه"[1].

وأشير إلى ما ذكره الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، من حيث ما يجب تعليمه للتلميذ عند اليونانيّين: "في أوّلِ سنّهِ مع الخطّ اليوناني، ثمّ يرفعُه مِنْ ذلك إلى الشِعر والنحو، ثمّ إلى الحساب، ثمّ إلى الهندسة[2] ثمّ إلى النّجوم، ثمّ إلى الطب، ثمّ إلى الموسيقى، ثمّ بعد ذلك يرتقي إلى المنطق، ثمّ الفلسفة وهي علوم الآثار العُلْويّة، فهذه عشرةُ علومٍ يتعلّمها المتعلِّم في عشَرِ سنينَ"[3].

ثانيا: مكانة الأطبّاء ودَوْر السّلطة الإسلاميّة في تشجيع حركة الطبّ بالمشرق الإسلامي:

إنّ المطّلع على كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، يلاحظ ارتباط الطبّ غالبًا بالحكّام، فكان الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة يشير إلى علاقة الطَّبيب بالحاكم، وخدمتِه له، وعلاجاته، وحكاياته، وإكرام الحاكِم له وغيرها، ذلك أنّ السّلطة الإسلاميّة شجّعت على العلم عمومًا والطبّ خصوصًا، فكانت الفاعل الأوّل في تطوّر العلوم الطبّيّة، ومن مظاهر إسهامات الخلفاء في تطوّر الطبّ نذكر:

1–الطَّبيب من مستلزَمات الحُكْم[4]:

نال الأطبّاء في المشرق الإسلامي مكانةً هامّة في المجتمع ميّزَها احترام وتقدير الجميع، من عامّة النّاس ومن الحكّام (الخلفاء) للحاجة الملِّحة لطبِّهِم، ولشَرَف هذه المهنة، لذا عُدَّ الخُلفاء وجُودَهُم إلى جانبهم من مستلزماتِ الحكم، للإشراف على صحّتهم وصحّة أُسَرِهِم وحَواشيهم، قال الخليفة هارون الرّشيد(170–193هـ/786–809م) متكلّمًا عن أهميّة طبيبِه جبرائيل بنُ بختيشوع: "ولكنْ صلاح بدَنِي وقَوَامه به، وصَلاح المسلمين بي، فصلاحُهُم بصَلاحِه وبقائه"[5]، وتأكيدًا على أنّ الطَّبيب كان من

1ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص739.

2ويحتاج الطّبيب أن يعلَم من الهندسة معنى النقطة والخطّ والسطْح والجسم، ويعرف أنواع الخطوط والزوايا واختلاف أوضاعها، وأنواع السُطوح والأجسام) وصوَّرها، والأسماء الواقعة عليها ويسيرًا من خواصّها من غير إغراقٍ في النَظر فيهما لأجل قِصَرِ العُمر وطول صناعة. أنظر، صاعد، التشويق الطبّي، ص72.

3ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص98.

4يقول النِّظامي العروضي السَّمَرْقَنْدِي محدِّدًا ما يحتاجه الملك: " ... فلزم أن يكون حوْله جماعة، يرجع إلى رأيِّهم ومشورتهم وتدبيرهم الحلّ والعقد في العالم ... ثمَّ الكَاتِبُ والشّاعر والمنجّم والطَّبيب من خَواص الملُوك، ولا غنًى للملك عنهم، فقَوَام الملك بالكاتب، وتخليد الاسم بالشّاعر، ونظام الأمور بالمنجّم، وصحّة البدن بالطبيب، وهذه الأعمال الأربعة الشاقّة والعلوم الشريفة من فروع علم الحكمة، الكتابة والشعر من فروع علم المنطق، والتنجيم من فروع العلم الرياضي، والطبّ من فروع العلم الطبيعي". أنظر، النِّظامي العروضي السَّمَرْقَنْدِي، المصدر السابق، ص20.

5ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص192.

مستلزَمات الحكم، لم نجد من خلال ما ذكر الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة خليفةً أو حاكمًا إلّا وكان له طبيبٌ على الأقلّ، إنْ لم يكن له كثيرٌ من الأطبّاء، كما هو مبيَّن في الجدول آخر هذا العنصر، فتكوّنت بذلك علاقات تجاوزت الخدمة الطبيّة، نتيجة التفاعل المستمرّ بين الخلفاء والأطبّاء إلى الحدّ الذي أصبح الطَّبيب أحد المدعُوِّين على موائد الخلفاء، فلا يتناول الخليفة طعامه إلّا بحضوره وبإذنه[1] نموذج ذلك يُوحَنّا بنُ مَاسَوِيْه[2]، وكما كان يفعل الخليفة الأمين لَا يَأْكُل وَلَا يشرب إِلَّا بِإِذْن طبيبه[3]، وللطّبيب الحقّ في رفض الطّعام الّذي يقدّم للخليفة إذا رأى فيه ضرّرًا[4].

وكان الطَّبيب يُرافق الحاكم ويتَنَقَّل معه[5]، فيرافقه حتّى في حروبه[6]، وإذا عَجَزَ الطَّبيب عن مداواة الخليفة، طلب طبيبًا آخر عُرِفَتْ دَرْبَتُه وقوَّتُه في العلاج، فاستدعاء الخليفة أبو جعفر المنصور للطبيب جُورْجس لعدم مقدرة الأطبّاء على علاجه، فأمَر بجمعِهم واستشارتهم في أن يدُلُّوه على طبيبٍ ماهر من سائر المدن، فقالوا: "ليس في وقتنا هذا أحدٌ يُشبه جُورْجس؛ رئيس أطبّاء جُنْدَيْسَابُور[7]"، فأنْفَذَ المنصور في الوقت مَن يُحْضِرُه[8]، ومن هنا بدأ الاتصّال مع مدرسة جُنْدَيْ سَابور، وقد يعاقَب الطَّبيب بالسّجن وغيره، لكن إذا عجز الأطباء الحاضرين، اضطّر إلى استدعائه[9].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص184.

[2] يقول الطبيب ابن ابي أُصَيْبِعة. نقلًا عن ابن جلجل في يُوحنا بن ماسويه: "وكانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئًا من أطعمتهم إلّا بحضرته، وكان يقف على رؤوسهم ومعه البرّاني بالجَوَارْشَنات الهاضمة المسخِنّة الطابخة المقَويّة للحرارة الغريزيّة في الشتاء وفي الصيف بالأشربة الباردة والجوارشنات. أنظر، ابن ابي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص346.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص189.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص191- 206.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص756.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص652.

[7] جُنْدَيسَابُور أو (جُنْدَيْ سَابُور)، بضمّ أوّله، وإسكان ثانيه، مثنّى مضاف إلى سابور من بلاد فارس، مدينة بخوزستان، بناها سَابور بن أردشير في فترة حكمه (241 -272م) فنُسبت إليه وأسكنها سبْي الروم وطائفة من جنده، فُتحت في خلافة عمر بن الخطّاب سنة (19هـ/637م)، وقد اشتهرت هذه المدينة بكونها مدرسةً طبيّةً، احتوت على بيمارستان تواجَد به عديد الأطبّاء الّذين وفدوا منها إلى عاصمة الخلافة العبّاسيّة، كأسرة آل بختيشوع. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص170.؛ أبو عُبيد البكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ت 487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، ج2، ص397.؛ ابن الأثير (عزّ الدّين الجَزَري ت630هـ)، اللُّبابُ في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، (1400هـ/ 1980م)، ج1، ص296.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص183.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص189.

جدول يتبيّن فيه أهميّة الطَّبيب بالنّسبة للخلفاء، بذِكر نماذج من الخلفاء وأطبّائهم:

الخليفة	الأطبّاء الّذين تشرّفوا بخدمته.
مُعَاوِيَة بنُ أَبِي سُفيَان(41–60هـ/ 661–680م).	ابنُ أَثَالْ (ق1هـ/7م)/ أبو الحَكَم(ق2/8م).
عُمَرُ بنُ عَبد العَزيز(99–101هـ/718–720م).	عبد الملك بن أبْجَرْ الكِنانِي(ق2هـ/ق8م).
أبُو جَعفَر عَبد الله المنْصُور (136–158هـ/754–775م).	جُورْجِيوس بنُ جبرائيل (ت152هـ/769م) / اللَّجْلاج(ق2 هـ/8م)..
هارون الرَّشيد (170–193هـ/786–809م)	بخْتِيشُوع بنُ جُورْجسْ (ت190هـ/806م)/ جِبرَائِيل بنُ بختيشُوع بنُ جُورْجسْ(ت213هـ/828م)/ عيسى المعروف بأبي قُرِيش (ق2هـ/8م)/ مَاسَوَيْه أَبَو يُوحَنَا (ق2هـ/8م)/ يُوحَنَا بنُ مَاسَوَيْه (ت243هـ/ 857م) / مَنْكَه الهندي(ق2هـ/8م)/ صالح بنُ بَهْلَة الهنديّ(ق2 هـ/8م).
المهدي(158–169هـ/ 775–785م).	عيسى المعروف، بأبي قريش(ق2 هـ/8م)/ عبد الله الطَّيْفُوري(ق2 هـ/8م).
المأمون(198–218هـ/ 813–833م).	جِبرَائِيل بنُ بختيشُوع بنُ جُورْجسْ(ت213هـ/828م)/ جبرائيل الكحّال/ حُنَيْن بنُ إسْحَق(ت264هـ/ 877م)/ يوحنا بن ماسويه (ت 243هـ/ 857م) / إسْحَاق بنُ حُنَيْن (289هـ/910م)/ يَعْقُوب بنُ إسحَق الكِنْدِي(ت256 هـ/873م).
المتوكل على الله(232–247هـ/ 847–861م).	بَخْتِيشُوع بن جِبرَائيل بن بَخْتِيشُوع(ت256هـ/870م)/إسرائيل بن زكريا الطيفوري(ق3هـ/9م) /يَزِيد بنُ زَيْد بنُ يُوحَنا(ق3هـ/9م)/ سَابُور بنُ سَهْل (ت 255هـ/869م)/ حُنَيْن بنُ إسْحَق(ت264هـ/ 877م)/ يوحنا بن ماسويه (ت 243هـ/ 857م) / إسْحَاق بنُ حُنَيْن (289هـ/ 910م)/ ابن رَبَنْ الطبري(ق3هـ/9م).
المعتصم بالله (218–227هـ/ 833–842م).	سَلْمَوَيْه بنُ بنَان/ يُوحنَّا بنُ مَاسَوَيْه (ت 243هـ/ 857م)/ يَعْقُوب بنُ إسحَق الكِنْدِي(ت256 هـ/873م)/ ابن ربن الطبري(ق3هـ/9م)

المعتضد بالله (279–289هـ/ 892– 902م).	**الحلاجي(ق3هـ/9م)/ أبو الحسن ثابت بن قُرّة الحرّاني (ت 288هـ/901م) / أبو عثمان سعيد بن غالب (ت 307هـ /920م)/ عبدوس(ق3هـ/9م)/ داوود بن دَيْلَم (ت 329هـ/941م).**
المقتدر بالله(295–320هـ/ 908–932م).	**بَخْتِيشُوع بنُ يُوَحَنا (ت 329هـ/941م)/ أبُو سَعيد سِنَان بنُ ثَابِت بنُ قُرَّة (ت331هـ/943م) / أَبُو الحَسَن ثَابت بنُ سِنَان بنُ ثَابت بنُ قُرّة (ت 363هـ/974م).**
الرَّاضي بالله(322–329هـ/934–940م).	**بَخْتِيشُوع بنُ يُوحَنَا (ت 329هـ/941م)/ أبو سعيد سِنان بنُ ثَابِت بنُ قُرّة (ت331هـ/943م) / أَبُو الحَسَن ثَابت بنُ سِنَان بنُ ثَابِت بنُ قُرَّة (ت 363هـ/974م).**
المطيع لله(334–360هـ/ 946–974م).	**أَبُو الحَسَن ثَابت بنُ سِنَان بنُ ثَابِت بنُ قُرَّة (ت 363هـ/974م) /إِسْحَق بنُ شَلِيطَا(ق4هـ/10م)/ أبو الحُسَيْن عُمَر بنُ الدّحلي(ق4هـ/10م).**
المستضيءُ بأمر الله(566–575هـ/1170–1180م).	**أمين الدَّولة بنُ التلميذ(ت560هـ/1165م)/ ابْن صَفِيَّةَ (ق6هـ/12م) .**

الملاحظ من الجدول أنّ الطَّبيب بالنّسبة للحاكم كان ضرورةً لابدّ منها، ربّما ذلك للبراعة التي تميَّز بها الطَّبيب وتفانيه في الخدمة، وهو ما يكون له مقابل ممّا يجسّده ردُّ الحاكِم بالإكرام عليه وتقريبه ومَنْحِه المكانة، كما يُلَاحَظُ أنَّ الأَطِبَّاء في المشرق الإسلامي نالوا الشّهرة والصَّيْتَ بخدمتهم للحكّام(الخلفاء)، فلم تعرف خَدماتهم للعامّة ولم تُدوّن إلّا قليلًا، وبهذا يمكن أن نقول عنه أنّه طبّ سُلطة أو حكّام، ولا غرابة في ذلك لأنّ الطبّ نشأ عند الملوك وخدَم الملوك في أوّل ظهوره.

2– تهيئَة الظُّروف لتَرجمة الكُتُب القَديمَة:

من الأمور الّتي برز فيها دَوْر الخلفاء واضحًا، وساهمت بشكلٍ كبير في تطوّر الطبّ هي، ترجمة الكتب اليونانيّة والسُّريانيّة والهنديّة وغيرها إلى العربيّة، حيث عمل الخلفاء على تهيئة جميع الموارد والظّروف الممكنة لإنجاح وتشجيع عمليّة النّقل والتّرجمة، فكانت البداية منذ العهد الأُموي(41-132هـ/ 661-750م) عن طريق الخليفة الأُموي عُمَر بنُ عبد العَزيز(99-101هـ/718-720م) الّذي كان من السَّبَّاقين في ذلك، حيث تولّى طبيبه ماسَرْجَوَيْه تفسير كتاب أَهْرُن بنُ أَعْيُن إلى العربيّة[1]، إلّا أنّ الدّور

[1]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص232.

البارز قام به الخلفاء العبّاسيّين، من خلال التّشجيع المادي والمعنوي للأطبّاء المترجِمين ففتحوا لهم أبواب بغداد وأجزلوا لهم العَطاء، وأضْفَوْا عليهم ضُروب التّشريف والتّشجيع، بصَرْف النّظر عن مِلَلِهم وعقائدهم، فغَدَتْ رُكنًا من أركان سياسة الدّولة فلم يعد جُهدٌ فردي محكوم عليه بالزّوال؛ بل صار أمرًا من أمور الدولة ورُكنًا من أركانها[1]، وقد ذكرنا سابقًا دوْر الخلفاء في ترجمة العلوم وبالخصوص في الطبّ، من خلال ذكر القائِمين عليها.

3– إكرام الأطبّاء والإنعام عليهم:

وجّه الخلفاء والحكّام المسلمون عنايتهم للأطبّاء، من خلال متابعتهم والاهتمام بأمورهم الشّخصيّة، من حيث شكَلِهم ومَلْبَسِهم ومَشربهم ومأكلهم[2]، فنالوا حَظْوة ومنزلةً رفيعةً؛ مظاهرها كثيرة، فالأطبّاء السريان مثلًا، وهَبَ لهم الخلفاء العبّاسيون الأُعطيات والهِبات، من غيرِ رواتبهم، فقد أكرم الخليفة المنصور طبيبه جُورجس بثلاث جواري من الرّوميات، مع ثلاثة ألاف دينار[3]، ولما اشتدّ المرض بجُورْجُس كان الخليفة يرسل إليه في كلّ يومٍ الخَدم حتّى يَعرف خبَرَه[4]، أمّا الخليفة هارون الرّشيد فهِباته وأُعطياته لأطبّائه لم تنقطع، فقد وهَب لبختيشوع من الأموال الكثير، ونفس الشيء بالنّسبة لابنه جبرائيل، حيث أمر له بخمسمائة ألف درهم وأحبَّه مثل نفسِه وجعله رئيسًا على جميع الأطبّاء، وقال الرشيد لأصحابه: "كلُّ مَن كانت له إليّ حاجةً فلْيُخاطِب بها جبرائيل لأنّي أفعلُ كلَّ ما يسألني فيه ويطلُبه منّي"[5]، وهو ما أكدّ جبرائيل حُصولَه[6]، ودعا له وهو في الحجّ، على الرّغم من أنّه ذمّيٌ نظير المكانة الّتي يحتلُّها عند هارون الرّشيد[7]، وقد أجرى على طبيبه مَنْكَه الهندي رزقًا واسعًا وأموالًا كافيّة[8].

---

[1] عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلاميّة العربيّة، (د ط)، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، 1996م، ص88.

[2] دحماني محمد، **الموالي وإسهاماتهم الطبيّة في العصر العبّاسي (132–656هـ/ 750–1258م)**، رسالة ماجستير في التّاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، الجزائر، (2013–2014م). ص41.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص185.

[4] نفسه.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص188.

[6] يقول الطّبيب جِبرائيل عن نفسه مبرزًا مكانته لدى الخلفاء: "وقد أفْضَل عليَّ الخُلفاء ورَفعوني من حدِّ الطبّ إلى المعاشَرَة والمسامَرة، وأنّه ليس لأمير المؤمنين أخٌ ولا قرابةٌ ولا قائدٌ ولا عاملٌ إلّا وهو يُداريني، إنْ لم يكن مائلًا بمحبّته إليّ، وشاكرًا لي على عِلاجٍ، ومُحْضر جميل حضرته له، ووصفتُه وصفًا حسنًا عند الخليفة فنفعتُه، وكلّ واحدٍ من هؤلاء يفضِّل عليّ ويُحْسِن إليّ". أنظر، القفطي، المصدر السابق، ص110.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص192.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص375.

وكذلك قام ابنه الخليفة المأمون (198-218هـ/ 813-833م) بإكرام الأطبّاء والإنعام عليهم بالأموال والمكانة، فأمر الخليفة المأمون لجبرائيل بألف ألفِ درهم وبألفِ كَرّ[1] حِنْطة بعد مداواته له، وردَّ عليه أملاكه وضَيْعاته، وأكرمه زيادةً على ما كان يُكْرِمه أبوه الرشيد، وانتهى به الأمر في الجلالة إلى أنّ كلَّ مَنْ تقلَّد عملًا لا يخرُج إلى عمله إلّا بعد أن يلقى جبرائيل ويُكْرِمه[2].

كما لا يخفى علينا ما كان يقدّمه الخليفة المأْمُون لطبيبه ومترجِمه حُنَين بن إسحاق من الأموال والعطايا، وأشهر ما عُرف من ذلك ما يُعطيه له من الذهب زِنة ما ينقُلُه من الكتب إلى العربي مثلًا بمثلٍ[3]، وعلى نفس منوال سابقيه كان الخليفة المعْتَصم(218-227هـ/ 833-842م) يُقرّ بمكانة طبيبه سَلْمَوَيْه بنُ بَنان فيمدحه ويصفه أحسن الأوصاف فكان يدعوه بـ "أَبي"، وكان يقول: "سَلْمَوَيْه طبيبي أكبرُ عندي من قَاضي القُضَاة، لأنّ هذا يَحكُم في نفسي ونفسي أشرف من مَالي ومِلكي[4]، ولما مرض الطَّبيب سَلْمَوَيْه عاده الخليفة المعتصم وبكى عنده، وامتنع من أَكْل الطَّعام يوم موتِه، وحزِن عليه حزنًا شديدًا[5].

ولم يكن الخليفة المتوكّل على الله (232-247هـ/ 847-861م) بأقلّ من سابقيه من الخلفاء لاهتمامه بأطبّائه فهذا الطَّبيب إسرائيل بن زكريا الطَيفوري، كان موكبه مثلَ موكب الأُمَراء وأجِّلاء القُوّاد، وأمر الخليفة المتوكِّل على الله عُمّاله بأن يركبا مع طبيبه حتّى يختار المكان الذي يريده، فرَكِبا حتّى اختار من الحَيِّز خمسين ألف ذراع، وضرِبَا المنارَ عليه، ودفَع إليه ثلاثمّائة ألف درهم للنفقة عليه[6]؛ بل كان من الطَّبيب أن غضِب على الخليفة لأنّه افْتَصَد مِنْ دونِ إذنه، ممّا كلَّفه ثلاثة آلاف دينار وضيْعة تَغِلُّ له في السنة خمسين ألف درهم وهَبَها له وسجَّل له عليها إرضاءً له[7].

وفي مصر، خدم الطَّبيب أَبُو الْمَنْصُور عبد الله بن الشَّيْخ السديد، رئيس الطبّ بعض الخلفاء المصريين كالْآمِر بِأَحْكَام الله (490- 524هـ/1097- 1130م)، وحظي في زمانهم ونال من عندهم

---

[1]الكَرُّ، بالعراق ستّون قفيزًا، وكلّ قفيز ثمانيّة مكاكيك، وكلّ مكوك ثلاث كيالج، والكيلجة وزنُ ستّمائة درهم، وبواسط والبصرة مائة وعشرون قفيزًا، وكلّ قفيز أربعة مكاكيك، وكلّ مكوك خمسة عشر رطلًا، وكلّ رطلٍ مائة وثمانيّة وعشرون درهماً. أنظر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص30.

[2]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص190.

[3]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص260.

[4]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص234.

[5]نفسه.

[6]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص225.

[7] نفسه.

من الأموال الكثيرة والنِّعم الجسيمة، وكانت له عندهم المنزلة العليا والجاه الذي لا مَزيد عليه[1]، وكان ابنُ مُقَشر الطَّبيب في خدمة الحَاكم بأَمر الله (375- 411هـ/985- 1021م) ، فجعل منزلته أعلى وصِلاته له أكثر وأُعطياته أعْظَم، ولما مرض الطَّبيب ابن مقشر عاده الحاكم بنفسه، ولما مات أعطى ورثَته مالًا وافرًا[2]، وكان الطَّبيبأبو البَيَان بنُ المدور (ت580هـ/1184م) في عهد الأيوبيّين في مصر يخدم الملك النَّاصِر صَلَاح الدِّين، وكانت له منه الجامِكيّة[3] الكثيرة والافتقاد المتوفِّر[4]، وخدم الطَّبيب رشيد الدِّين أبو حُلَيْقة الملك الكامل، فكان كثير الاحترام له، حظيًّا عنده، وله مِنْه الإحسان الكثير، والإنعام المتّصِل[5].

كما كان الملك صلاح الدّين الأيّوبي ومن بعده السَّلاطين الأيوبيّين يُنْعِمون على أطبّائهم ويُكْرِمونهم، فنالوا الحَظْوة والمنزلة الكبيرة لديهم[6]، ومن ذلك أنّ الطَّبيب مُوَفَّق الدّين بن المطران[7] كان ينصِب له خيمةً تشبه خيمة الملوك، فلمّا أزاحها عنه السّلطان صلاح الدّين الأيّوبي، غضِب منه وبقي يومين لم يَقرب الخدمة فاسترضاه السّلطان ووهب له مالًا، وكان يغارُ ويتبدَّل لوْنُه إذا ما أكرَم السّلطان غيره وبالغ في ذلك[8]، وحدث ذلك عندما قام صلاح الدّين الأيّوبي بمنحِ هبةٍ لطبيبٍ له يدعى "أبو الفرج النصراني"[9] لتجهيز بناته فاشترى له من المِصَاغِ والقماش والآلات وغير ذلك ما يكون بنحْوِ ثلاثين ألف درهم، فقام بحساب مبلغ ذلك ودفَع مثله إلى ابن المطران[10].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص572.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص550.

[3] لفظٌ فارسي، مشتقّ من "جَامَة"؛ بمعنى "اللباس"؛ أي "نفقات أو تعويض اللباس الحكومي"، وقد تردُ بمعنى الأجْر أو الراتب أو المنحة والجمع جامِكيات، وجَوَامك، وجَماكي. أنظر، نجم الدين الطرسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص94.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص579.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص591.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص 576، 649، 663، 728.

[7] موفّق الدّين بن المطران، أسعد بن إلياس بن جرجيس المطران، أبو نصر، موفّق الدين، ابن أبي الفتح، الطبيب، كان نصرانيّا، ثمّ أسلم على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب، وخدمه بالطبّ، وكان غزير المروءة، حسن الخُلق، فيه تشيُّع، وله من الْكتب؛ كتاب بُسْتَان الْأَطِبَّاء ورَوْضة الأَلْباء، والْمقَالة الناصريّة فِي حفظ الْأُمُور الصّحيّة، وكتاب آدَاب طبّ الْمُلُوك. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص651–659.؛ المقريزي، المقفَّى الكبير، ج2، ص59.

[8] ابن ابي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص652.

[9] أبو الفرج النّصراني: طَبِيبٌ عُرف عليه الفَضل في صناعة الطِّبّ، عارفٌ بهَا، حسنُ العلاج، متميّزٌ فِي زَمَانه، خدم بالطِّبّ الْملك صَلَاح الدّين يُوسُف بن أَيُّوب، كَانَ يرى له ويحترمه. أنظر، ابن ابي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص661.

[10] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص652.

ولعلّ من أبرز مظاهر الإنعام والاهتمام بالطَّبيب، هو أنْ يقوم الحاكم بتزويج الطَّبيب أو مصاهرته، من ذلك ما ذكره الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، أنّه لما أسْلم الطَّبيب موفّق الدّين أسعد بن المطران، قام الملك النّاصر صلاح الدّين بتزويجه من إحدى حظايا دارِهِ واسمُها "جَوْزَة"، جارية خُوندخَاتُون زوجة صلاح الدّين، فجهّزتها وأعطتها الكثير من الحُلّيّ والذّخائر، ومَوَّلَتْها وخوَّلَتها، فرتَّبت أموره، وهذّبت أحواله، وحسّنت زيَّه وظاهره وباطنه، حتّى صار له ذكرٌ سامٍ في الدّولة، وحصَّلت له أموالًا كثيرة من أمراء الدّولة عند معالجته لهم في أمراضهم، وتنافسوا في العطاء له، وترقَّت حاله عند سلطانه إلى أن كاد يكون وزيرًا"[1]، كما تزوَّج الطَّبيب زينُ الدّين الحافظي ابنة الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي، صاحب حَلَبْ، وحصَّل الأموال وارْتقَتْ مكانتَه[2].

وعلى العموم، فإنّ التّفصيل في قضيّة الإكرام والإنعام ومظاهر الاهتمام بالأطبّاء أوْلاها الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أهميّةً كبيرة، وكانت في الغالب بارزةً في بدايات تراجُمه، بالتلميح إلى مكانة الطَّبيب عند الخلفاء، وبذِكر خدمة الطَّبيب للخليفة أو لمنْ اشتهر في السّلطة، بالتّخصيص لاسمِ ممثّل السلطة أو بالتعميم؛ نحوَ قوله: "متميّزًا عند الملوك في زمانه، كثيري الاحترام له"[3] أو قوله: "كان حظّيًا"[4] عند طبيبٍ ما، وغيرها ممّا يدلّ على مكانة الطَّبيب لدى السّلطة.

4- بناء المؤسّسات لتعليم وممارسَة الطبّ:

من الأعمال الّتي تُحْسَب للخلفاء والسّلاطين تشيّيدهم للمؤسّسات العلميّة والعمليّة الّتي ساهمت في تطوّر الطبّ، كبَيْت الحكمة والبَيْمَارِسْتَانات في جميع أقاليم المشرق الإسلامي، حيث أنشأ الخلفاء العبّاسيّين بيت الحكمة كمؤسّسة علميّة بارزة[5]، وازدهر بِصفة خاصَّة فِي زمن الخليفة المأْمُون، إذْ زوَّدَه

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص653.؛ بدر الدين محمود العيْني (ت 855 ه)، عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان -العصر الأيوبي (525-628 ه)، تح: د محمود رزق محمود، (د ط)، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، (1431ه/2010م)، ج2، ص221.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص668.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص435.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص183، 187، 246، 264، 277، 312، 550، 587، 591، 668، 736، 751 ....

[5] يقال: أنشأها الخليفة أبو جعفر المنصور، ويقال: الخليفة هارون الرشيد، وقيل: الخليفة المأمون. أنظر، مجموعة من المؤلّفين، موسوعة المفاهيم الإسلاميّة العامّة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، مصر، ص98.؛ الكناني (أبو الحسن ت 240ه)، الحيدة والاعتذار في الردّ على مَن قال بخَلْق القرآن، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، ط2، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، (1423ه/2002م)، ص3.؛ الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان ت 255ه)، الرسائل الأدبيّة، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 ه، ص394.؛ إسحاق بن منصور الكوسج (ت 251ه)، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ط1، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، (1425ه/2003م)، ج1، ص50.؛ ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت 276ه)، مقدّمة المحقّق، المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص34.

بمكتبة غنيّة بسَائر المؤلَّفات سَاهَمت في تطوّر عديد العلوم، وبالأخصّ الطبّ، فكانت في الأساس دارًا للكتب[1]، مع وجود مُدرّسين ومُترجمين ومجلِّدين وغيرهم، وكتب إلى ملك الروم يسأله إنفاذ ما عنده من علومٍ قديمة مخزونة ببلد الرّوم[2]، فاجتمع لدى الخليفة المأمون بذلك ثروة كبيرة من الكتب القديمة، وألحق بها عددًا كبيرًا من أشهر العلماء والفلاسفة والمؤلِّفين والمترجِمين[3].

أصبح بيت الحكمة مركزا للترّجمة والنَسْخ والمطالعة والتّأليف، فكان يجتمع فيها القرّاء والمؤلِّفون للاطّلاع على ما جَمْعٍ من الكتب، ويقوم المترجِمون بعمليّة التّرجمة وبين أيديهم الكُتّاب الحُذّاق يكتبون ما يُملُون عليهم، والنُسّاخ في أماكن خاصّة بهم ينسِخون لأنفسهم أو لغيرهم بالأَجْرِ[4]، وأجْرى عليهم الرّواتب العظيمة، بالإضافة إلى الأُعطيات الأخرى؛ إذ أعطى على بعض الكتب المترجَمة وزنَها ذهبًا[5]، فلم ينتهِ عصر الخليفة المأمون حتّى تُرجمت مُعظم الكتب اليونانيّة والهنديّة والفارسيّة وغيرها من الكتب القديمة في علوم الطبّ والرياضة والفلك و والكيمياء والهندسة وغيرها.

أمّا فيما يخصّ مساهمة الخلفاء والسّلاطين في بناء البيمارستانات، فهذا سمةٌ بارزة في تاريخ الحضارة الإسلاميّة، وممّا يؤكّد ذلك هو اشتهار أبرز البيمارستانات بأسماء الحكّام؛ ففي العراق عُرف بيمارستان الرّشيد الّذي أسّسه الخليفة هارون الرّشيد، وأمَر جبريل بن بختيشوع برعايته[6]، وأسّس الخليفة المقتدر بالله بيمارستانًا في سنة (306هـ/919م) ونُسب إليه[7]، وفي صفر من سنة (372هـ/983م) فُتح البيمارستان العَضُدي الّذي أنشأه السلطان عَضُد الدّولة بنُ بُوَيْه في الجانب الغربي من بغداد، وهيّأ له ما يلزم من أطبّاءٍ وخدَمٍ، وأدويّة وأشربة وغير ذلك ممّا يحتاج إليه[8]، وفي الشّام قام السلطان الملك العادل نور الدّين محمود بن زَنكي(ت569هـ/1174م) ببناء البيمارستان النُوري الكبير بدمشق، واشترطه

1 زيجريد هونكه، شمس الله تشرق على الغرب، تر: فؤاد حسنين علي، ط2، دار العلم العربي، بيروت، 1432هـ، ص101.

2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص260.

3 ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص34.

4 محمد منير مرسي، التربيّة الإسلاميّة أصولها وتطوّرها في البلاد العربيّة، (د ط)، عالم الكتب، (د م ن)، (1425هـ/ 2005م)، ص300.

5 ول ديورانت، المرجع السابق، ج13، ص ص177، 178.

6 أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات الإسلاميّة، ص178.

7 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص302.؛ أحمد عيسى، المرجع السابق، ص183.

8 أحمد عيسى، المرجع نفسه، ص187.

للفقراء والمساكين، وإذا لم يوجد بعض الأدويّة الّتي يعزُّ وجودها إلّا فيه، فلا يمنَعُ منه الأغنياء، ومَنْ جاء إليه مستوصفًا فلا يمنع من شرابه[1]، وقد خدَم فيه كبار الأطباء فكان مركزًا للعلاج والتعليم الطبّي[2].

أمّا في مصر، فقد كان لحكّامها دور كبير في تشيّيد البيمارستانات من ذلك، البيمارستان العتيق الّذي أنشأه والي مصر أَحْمد بنُ طُولُون أبُو العَبَّاس(ت279هـ/893م)، في سنة (259هـ/873م) أو (261هـ/875م)، حيث أنفق عليه ستّين ألف دينار، وحَبَس عليه سوق الرّقيق[3] وغيره[4]، وبيمارستان صلاح الدّين الأيّوبي، وهو أشهر بيمارستانات مصر يسمّى بـ "الصَّلاحي" أو "النّاصِري"، جعله صلاح الدّين للمرضى والضّعفاء، وأفرد له مبالغًا كبيرة، واستخدم له الأطباء والكحّالين والجرائحيّين وخدَمًا ومشرفين، ووجد الناس به رِفْقًا وبه نَفْعًا، وعُدَّ مدرسة طبيّة تطبيقيّة، تخرَّج منها كثير من الأطبّاء كابن أبي أُصَيْبِعَة الّذي خدَم به، ورافق الأطبّاء واستفاد من معالجاتهم ومناهجهم التّعليميّة[5].

ومن هنا يبرز دَوْر السلطة الإسلاميّة في التشجيع على الطبّ، علاجًا وخدمةً للمرضى، وتعليمًا للطبّ وتكوينًا للأطبّاء، وما ذكرناه نماذج ممّا اشتُهر من البيمارستانات الّتي أخذت أسماء مؤسّسيها، وإلّا فإنّ هناك العديد من البيمارستانات الّتي أسّسها الخلفاء أو أسّسها وُزراؤهم ولم تشتهر، وعلى العموم يمكن إحصاء هذه البيمارستانات وغيرها حسب ذِكْر الطّبيب ابن ابي أُصَيْبِعَة وعند غيره[6].

5– رواتب الأطبّاء:

بالغ الخلفاء والحكّام المسلمين في الأجْر الرّئيسي للطّبيب، من غير ما يأخذه من المِنَح والأُعطيات والهِبات الّتي كانت غالبًا ما تتناسب مع إبداعٍ في العلاج أو مع فرحةٍ عظيمة لدى الحاكم، وكان الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة يُحيلُنا إلى ذلك، من خلال الجامِكِيّة التي كان ينالها الطَّبيب، ونذكر مثالًا عن ما كان

[1] أحمد عيسى، المرجع نفسه، ص206.

[2] من الأطبّاء الذين خدموا فيه؛ شمس الدين بن اللُّبودي، عِمران الإسرائيلي، وسَدِّيد الدين بنُ رقيقة، وأطبّاء أسرة آل الرَحْبي، ووالد ابن أبي أُصَيْبِعة، عزّ الدين بنُ السُوَيْدي، وعماد الدين الدُنيسري، وغيرهم، أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص662، 739، 759، 761.؛ أحمد عيسى، المرجع السابق، ص 216–223.

[3] سوق الرقيق، سوقٌ يباع فيه العبيد، وقد سمّيَ العبيد رقيقًا، لأنّهم يَرِقُّون لمالكهم، ويَخْضَعونَ له، ويذلون، وأمّا السوق، فإنّما سميّت سوقًا، لأنّ الأشياء تُساق إليها. أنظر، أبو بكر الأنباري (محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، ت 328هـ)، الزاهر في معاني كلمات النَّاس، تح: د. حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسّسة الرسالة، بيروت، (1412هـ/ 1992م)، ج1، ص448.؛ الصُحاري (سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي)، الإبانة في اللغة العربيّة، تح: د. عبد الكريم خليفة وآخرون، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، (1420هـ/1999م)، ج3، ص152.

[4] أحمد عيسى، المرجع السابق، ص67.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص584.؛ أحمد عيسى، المرجع السابق، ص183.

[6] أنظر **الملحق رقم (03)**، المتضمّن جدول يوضح أهمّ البيمارستانات الواردة عند ابن أبي أصيبعة.

يُحَصِّلُه الطَّبيب جبرئيل بن بختيشوع في مدّة خدمته للخليفة هارون الرّشيد؛ يقول الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة: " أنّ رزقَه كان من رَسْمِ العامّة في كلِّ شهرٍ من الوَرِق؛ عشرة آلاف دِرهم، ... ونزْلُه في الشّهر خمسة آلاف درهم، ... ومن رَسْمِ الخاصّة في المحرَّم من كلّ سنة من الورق خمسون ألف درهم... ومن الثِياب خمسون ألف درهم...[1].

وكان يدفع إليه في مدخل صومِ النّصارى في كلّ سنة من الورق خمسون ألف درهم... وفي يوم الشَعَانِين[2]، من كلّ سنة ثياب من وَشْيٍ وقَصَبٍ ومَلْحَمٍ وغيره، بقيمة عشرة آلاف درهم ... وفي يوم الفطر في كلّ سنة، من الورق خمسون ألف درهم، وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم ... ولِفَصْد الرشيد دُفعتين في السّنة، كلُّ دُفْعة خمسون ألف درهم من الورق... ولشُرْبِ الدواء دُفعتين في السنة، كلُّ دُفعة خمسون ألف درهم، ... ومن أصحاب الرّشيد[3] على ما فُصِل منه مع ما فيه من قيمة الكِسوة وثمن الطِّيب والدَّواب وهو مائة ألف درهم من الوَرَق... ومن غَلَّة ضِياعه بجُنْدَي سَابور والسُّوس والبصرة والسَوَاد في كلّ سنة قيمته بعد المقاطعة ورقًا ثمّاني مائة ألف درهم... وكان يصير إليه من البَرامكة في كلّ سنة من الورق ألفَا ألفٍ وأربعمائة ألف درهم... سوى الصِلات الجِسام، فإنّها لم تُذْكر في هذا المدْرَج من الورق ثمّانيّة وثمّانين ألف درهم"[4]، ومن خلال ما تقدّم كان يتجلّى ما بيّنه الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة لمقدار ما أخذه الطَّبيب خلال ثلاثٍ وعشرين سنة.

وفي أغلب المواضع ذكر الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ما كان للطبيب من الجامِكيّة والمرتّب دون التّفصيل فيها، كأنْ يقول: "وكان له منه الجامِكيّة الوافرة"[5]، و"وله منه الجامكيّة الكثيرة والأنعام

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص198.

[2]عيد الشّعانين ويقال له أيضًا: "عيد الزيتونة"، وهو يوم الأحد الثاني والأربعون من الصوم، وتفسير الشَعانِين التسبيح؛ أي، سابع أحد من صومهم، وسُنّتهم فيه أن يخرُجوا بسعْف النَخل من الكنيسة، ويزعمون أنّه يوم دخول المسيح إلى القدس على حمار، ودخوله صُهيون وهو راكب، والناس يسبّحون بين يديه، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. أنظر، الواقدي (أبو عبد الله، محمد بن عُمر بن واقد ت 207 ه)، فتوح الشام، ضبطه وصحّحه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1417هـ/ 1997م)، ج1، ص88.؛ النُويري (شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ت 733هـ)، نهاية الأرَب في فنون الأدب، ج1، ص191.؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص104.؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج1، ص78.؛ سليمان بن سالم السحيمي، الأعياد وأثرها على المسلمين، ط2، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، المملكة العربيّة السعوديّة، (1424هـ/ 2003م)، ص52.

[3] تفصيل ذلك؛ عيسى بن جعفر خمسون ألف درهم، وزُبَيدة، أمّ جعفر خمسون ألف درهم، والعَباسة، خمسون ألف درهم، وإبراهيم بن عثمان، ثلاثون ألف درهم، الفضلُ بن الربيع، خمسون ألف درهم، وفاطمة، أمّ محمد، سبعون ألف درهم كِسْوة وطِيب ودَواب، مائة ألف درهم. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص ص199، 200.

[4] نفسه.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص179.

الوافرة"[1]، و "وفُرِضت له الجامكيّة السَنِيّة والراتب والإقامة"[2]، وقد يُطلب من الطَّبيب كمْ يُؤْثِر من جامكيّة تُطْلَقُ له، فعن الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ الطَّبيب الشّيخ السّديد (ت592هـ/1197م) طبيب الخلفاء بمصر، استقبل الطَّبيب القادم من دمشق مُهَذِّب بنُ النَقّاش[3]، ووجده يريد صِلةً بالخلفاء ليَصِله منهم الإكرام والإنعام، فسأله، كمْ يُريد أن يُطَلَقَ له؟، فقال له: "عشرٌ من الدنانير المصريّة تكفيني"، فقال له:" أَطْلِقُ لك خمسة عشر دينارًا مصريّة وقاعةً قريبة منّي تسكنُها، بجميع فَرْشِها وطَرِحِها، وجاريّة حسناء تكون لك، مع اشتراط عَدَمِ التردّد إلى الحكّام وأرباب الدّولة[4]، وهذا دليلٌ على أنّه كان سيُطْلِقُ له مِنْ طرف الحكّام أضعافَ ما أعطاه إيّاه.

وكان أمين الدّولة بنُ التّلميذ (ت 560هـ/1165م) يأخذ في بغداد اثنَي عشر ألف دينار[5]، وكان للشريف شَرَف الدين إسماعيل، مُقَرر على السّلطان في كلّ شهر ألف دينار[6]، أما الصّاحب نجم الدين بنُ اللَّبُودي فقد كان مقرّره في كلّ شهرٍ ثلاثة آلاف درهم[7]، في حين كان راتب الطَّبيب عِمران الإسرائيلي في كلِّ شهر ألفًا وخمسمائة درهم ناصريّة[8].

وممّا يقال في عَطَاء الحكّام ما كان يفعله الأمير سيف الدَّولة بن حمدَان (ت365/ 967م)، فقد كان إذا أكل الطّعام حَضَر على مائدته أربعة وعشرون طبيبًا، وكان فيهم مَن يأخذ رِزْقين لأجل تَعاطيه عِلْمَين، ومنهم مَن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم، وكان مِن بينهم، عيسى الرَّقِّي(ق4هـ/10م)؛ ينْقُل من السّرياني إلى العربي، ويأخذ أربعة أرزاق رزقًا، بسبب الطبّ، ورزقًا بسبب النّقل، ورزقين بسبب عِلْمَين آخرين[9].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص225.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص404.

[3] سبب انتقاله إلى مصر، كما ذكره الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعة، أنّه لما أقام بدمشق مدّةً، لم يحصل له بها ما يقوم بكِفايته، وأنّه سمع بالديّار المصريّة وإنعام الخلفاء فيها وكرمِهم وإحسانهم إلى مَن يقصدهم، ولا سيّما من أرباب العلم والفضل فتاقت نفسه إلى السفر وتوجّهت أمانيه إلى الديّار المصريّة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص572، 573.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص573.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص348.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص472.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص663.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص697.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص610.

أمّا ما يتناسب مع فَرَح الحاكم مِنْ نجاح علاج الطَّبيب، وإبداعه فيما عَجَز عنه غيره، فيكون بمبالغ كبيرة وإكرام مبالغ فيه، من ذلك أنّ الخليفة الرّشيد أمر في الوقت لجبرائيل بخمسمائة ألف درهم لمداواته جارية عَجز الأطبّاء عن مداواتها[1]، ولما اشتكت عينُ الرشيد فعالجه الطَّبيب مَاَسَويْه، فأمر بأنْ يجرِي عليه ألفا درهم في الشهر، ومُعونة في السنة عشرون ألف درهم، وعَلُوفة ونزل وألزمه الخدمة مع جبرائيل وسائر مَن كان في الخدمة من المتطبِّبين، وصار نظيرًا للطبيب جبرائيل؛ بل كان في ذلك الوقت يحضُر بحضوره ويصل بوصوله ودُونَه في الرّزق، لأنّ جبرائيل كان له في الشهر عشرة آلاف درهم ومعونة في السنة مائة ألف درهم وصِلات دائمة وإقطاعات[2].

أمّا الخليفة النّاصر لدين الله(575-622هـ/ 1180-1225م) فقد فتح دار الضَرْب أمام طبيبه أبو نصر المسيحي لأخِذ ما يقدِر عليه من الذّهب بعد مداواته مِن مرضٍ عانى منه في سنة(598هـ/1202م)، بسبب ما عَرَض له في المثانة من حَصاة كبيرة، فقام الطَّبيب بمداواته حتّى رَمَى الحصاة، كما أخذ كثيرًا من المال مِن غير ما أخَذَه من الخليفة، عن طريق أمّ الخليفة ومِنْ ولديه، ومن سائر كبار الأمراء بالدّولة[3]، وهذا ما يدلّ على أنّ الهِبات والأُعطيات في لحظةٍ ما قد تفُوق مرتّبًا كاملًا، فقد قيل أنّ الشيخ السديد حصَّل له في يومٍ واحدٍ من الخلفاء في بعض معالجاته لأحدِهم ثلاثون ألف دينار[4]، ومُهَذِّب الدين بن الدّخوار حصَّل من عند الملك الكامل كثيرًا من الذهب والخِلَع والعطايا السَنيّة، وكان مبلغ ما وصل إليه من الذهب نحو اثني عشر ألف دينار[5].

وكردٍّ للجميل بعد أن يضعُف الطَّبيب ويكبُر ويعجَز عن الخدمة، يُكْرمه الحاكم بجامكيّة تصله طيلة حياته، فقد أطلق الملك النّاصر صلاح الدّين لأبي البَيَان بنُ المُدَوَّر (ت580هـ/1185م) في كلّ شهرٍ أربعة وعشرين دينارًا مصريّة تصل إليه، ويكون ملازمًا لبيته ولا يُكلّف خدمةً، وبقيّ على تلك الحال وجامكيّته تصل إليه نحو عشرين سنة[6].

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص188.

2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص243.

3 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص404.

4 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص572.

5 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص731.

6 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص580.

وعلى العموم، فإنّ الطَّبيب كان لا يتوقّف عن الخدمة حتّى ينال المال الوافر، ولدينا أمثلة من ذلك، فالطَّبيب أبو زكريا يُوحَنا بنُ مَاسَوَيْه يذكر عن نفسه أنّه اكتسب من صناعة الطّب ألف ألف درهم وعاش بعد قوله هذا ثلاث سنين أُخَر[1]،أمّا الطَّبيب أبو قُريش فعند مماته خلّف اثنين وعشرين ألف دينار[2]، أمّا الطيب أبو الفرج جُورْجس بنُ يُوحَنا اليَبْرُودي لما توفيّ فقد ظهر في تركته ثَلَاثمِائَة دِرْهَم مقطع رومي، وَخَمْسمِائة فضَّة ألطفها ثَلَاثمِائَة دِرْهَم[3].

6- تَوْلِيَّتُهم مناصب إضافيّة بالموازاة مع الطبّ:

بلغ الأطبّاء مكانةً كبيرة لدى الخلفاء، حتّى تمكّن عدد منهم تولِّي مناصب إداريّة في مجال صناعة الطبّ وفي غير الطبّ، وذلك بعد الثّقة الكبيرة الّتي وضعها الخلفاء فيهم، ففي الطبّ تمكّن المتميّزون من الأطبّاء الظَّفَرَ بمرتبة رئيس الأطبّاء، ففي العراق تولّىَ هذه الرتبة بَختيشوع بنُ جُرْجَس[4]، وحُنَين بنُ إسحاق[5]، وأمين الدّولة بنُ التلميذ[6]، وفي مصر تولَّى هذا المنصب السديد، أبو المنصور عبد الله بنُ الشيخ السَّديد، أبو الحسن[7]، وجمال الدين بنُ أبي الحَوَافِر[8]،نَفِيسُ الدّين بنُ الزُبير[9]، و في الشّام نجد سعد الدّين بنُ عبد العزيز[10]، رشيد الدين بنُ الصُوري[11]، وولّيّ مُهذِّب الدين عبد الرحيم بنُ علي رئاسة الطبّ في مصر والشام مع بعضهما، وفُوّض إليه النَظَر في أمْر الكَحَّالين وامتحانهم[12].

ومن الأطبّاء مَنْ عُيِّن ساعُورًا وهو، لقّب لرئيس الأطبّاء في المستشفى[13]، وكان أمين الدّولة بنُ التلميذ ساعورٌ للبيمارستان العضُدي ببغداد إلى حين وفاته، أبو الغنائم، سعيد بنُ هِبة الله بن أَثْرَدِي من

1 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص346.
2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص216.
3 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص613.؛ الصّفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص52.
4 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص187.
5 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص271.
6 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص351.
7 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص572.
8 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص585.
9 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص586.
10 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص672.
11 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص700.
12 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص731.
13 أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات الإسلامية، ص19.؛ مصطفي بن حسني السباعي، مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، ط1، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، (1420هـ/ 1999م)، ص223.؛ م. ت. هوتسما، وآخرون، المرجع السابق، ج7، ص2067.

الأطباء المشهورين ببغداد وكان ساعور البيمارستان العضُدي[1]، واختِير الطَّبيب الرّازي لأفضليّته على جميع الأطبّاء ساعور للبيمارستان العضُدي[2]، وكذلك أبو الحسن بن سِنان بنُ ثابت بنُ قُرّة الصَابي تمكّن من أن يكون ساعورًا للبيمارستان ببغداد[3]، ونال أبو المجد بنُ أبي الحَكم أمْرَ البيمارستان الكبير، حيث جعل الملك العادل نور الدين أمْرَ الطبّ إليه فيه[4].

أمّا الوظائف الأخرى الّتي تقلّدها الأطبّاء من غير الطبّ فهي كثيرة، من ذلك تولّي عددٍ من الأطبّاء مناصب في القضاء، على غِرار أفْضَل الدّين الخُونْجي (ت646هـ/1249م) الّذي تقلَّد منصب قاضي القضاة في مصر[5]، ونفس المنصب تولّاه الطَّبيب شمس الدين الخُوِيي(ت637هـ/1240م)، بطلبٍ من الملك المعظَّم عيسى بنُ الملك العادل، حيث جعله قاضي القضاة بدمشق[6]، وكان مع ذلك يُدَرِّسُ في المدرسة العادليّة[7]الفقه، وبعد وفاته تولّىَ منصب قاضي القضاة الطَّبيب رفيعُ الدّين الجِيلِي، وارتفعت منزلته وحالته الماديّة وبقيّ كذلك مدّةً، إلّا أنّ كثيرًا من النّاس كانوا يتظلَّمون منه ويشكُون سيرته[8]، وقد ذكرنا ذلك سابقًا، والواضح أنّ هذا المنصب لم يتقلَّده أطبّاء العراق، على عكس أطبّاء الشام ومصر، كما يبدو أنّ المنزلة كانت رفيعة جدًّا لهؤلاء الأطبّاء لتولّيهم منصبًا يسمح لهم بالتحكّم في جميع القضاة.

أمّا المنصب الآخر الّذي استطاع بعض الأطبّاء أن يظفروا به فهو منصب الوزارة مثل، الشّيخ الرّئيس ابنُ سينا الّذي تقلّدها على مرّتين، نظرًا للمكانة الّتي وصلها[9]، كما تُوِّجَت خدمة الطَّبيب نجم الدّين بن اللَّبُودي للملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد بنُ أسد الدّين شِيرْكُوه بنُ شاذِي، صاحب حِمص، بصناعة الطبّ، بأنْ استوزره وفوّض إليه أمور دولته واعتمد عليه بكليّته، وكان لا يفارقه في السّفر

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص399.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص415.

[3] أحمد عيسى، المرجع السابق، ص195.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص628.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص586.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص646.

[7] المدرسة العادِليّة، نسبةً إلى الملك "العادل سيف الدين" الذي توفيّ قبل إتمامها، فأتمَّها ابنه الملك المعظّم، وأوْقَف عليها أوقافًا، وقد درس بها جماعة من القضاة. أنظر.؛ الطوفي (سليمان بن عبد القَوِي بن الكريم الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين 716هـ)، الانتصارات الإسلاميّة في كشْف شبه النصرانيّة، تح: سالم بن محمد القَرْني، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1419هـ، ج1، ص34.؛ أبو شامة، الرَوْضتين في أخبار الدولتين النُوريّة والصلاحيّة، ج2، ص264.؛ ابن تيميّة (تقيّ الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ت 728 هـ)، التسعينيّة، تح: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (1420هـ/ 1999م)، ج1، ص39.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص647.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص441.

والحضر[1]، وخدم مهذّب الدّين يوسف بصناعة الطبّ الملك الأمجد، مجد الدين بَهْرَام شاهْ بنُ عزّ الدين فَرْخشاه وأقام عنده ببعلبك، وحظّيّ في أيّامه فأغدَق عليه بالأموال والنِعم، وكان يستشيره في أموره، ويستصوِب آراءه فجعله وزيرًا له، وباشتغاله في منصب الوزارة ارتفع أمرُه، وزادت منزلته عنده، ممّا جعل الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة يبالغ في وصفه قائلًا: "حتّى صار هو المدَبِّر لجميع الدّولة والأحوال بأَسرِها لا تَعْدِلُ عن أمْرِهِ ونَهيِه[2]، ونفس المكانة بلغها الطَّبيب نجم الدّين بنُ المِنْفاخ، نظيرَ خدمته بصناعة الطبّ للملك المسعود صاحب آمُدْ، فحظّيَّ عنده واستوزَره، قبل أن ينقَمَ عليه[3].

ومن الأطبّاء مَنْ تولَّى الحِسبة، على غِرار أحمد بن الطيّب السَّرْخَسِي الّذي كلَّفه بها الخليفة المعتضد بالله ببغداد، وهو الذي كان معلِّمًا له، وبلغ عنده من المكانة أنْ نادَمَه وخُصَّ به؛ بل وكان الخليفة يفضي إليه بأسراره ويستشيره في أمور مملكته[4]، وقد كَلَّل خدمته بالحِسبة بتأليف كُتُبٍ فيها ككتاب الأغْشَاش وصناعة الحِسبة الكبير، وكتاب غِشّ الصّناعات والحِسبة الصغير[5].

كما تقلّد الأطبّاء وظائف أخرى، من ذلك ما كان يقوم به سَلْمَوَيْهْ الطَّبيب لدى الخليفة المعتصم بالله، فكلُّ ما كان يرِدُ إلى الدّواوين من توقيعات المعتصم في السِّجِّلات وغيرها كانت بخطِّ سَلْمَوَيْه، فكان كاتبه الخاص[6]، وقريبًا من ذلك ما كان يقوم به مُوفَّق الدّين بنُ إسحق بن القفِّ، نظرًا لتحكُّمه في أصول الكتابة وفروعها، وتميُّزه في الخطِّ، حتّى قال فيه الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة: "ولا يلحَقُه كاتبٌ في سائر الأقطار والأمصار"، ثمّ ذكر أنّه كان في أيّام الملك النّاصر، يوسف بن محمد كاتبًا بصَرْخَدْ، عاملًا في دِيْوَانَ البِرِّ[7].

أمّا السُّلْطَان الْملك الصَّالح عماد الدّين إِسْمَاعِيل (ت648هـ/1250م)فقد أكرم طبيبه نجم الدّين أيّوب، ووصله بوافر الإنعام، وجعله ناظرًا على الدّيوان بالإسكندريّة، واستمرّ على ذلك مدّةً، حتّى انتقل إلى الشّام، فتقلّد نفس المنصب حيث جُعِل ناظرًا على الدّيوان[8]، ومن الأطبّاء مَن استُعمِل كرسولٍ

1 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص663.
2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص722.
3 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص758.
4 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص293.
5 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص294.
6 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص234.
7 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص768.
8 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص663.

بين حاكم المسلمين وبقيّة الملوك، وهو أقربُ إلى مهنة السّفير في وقتنا، ونال هذه المكانة الطَّبيب زيْن الدّين الحافظي، حين كان رسولًا من طرف الملك النّاصر يوسف بنُ محمد بنُ غازي[1] إلى الخاقان هولاكو، ملك التتر، وسائر ملوكهم، وتردَّد في المراسلة مرّات[2]، فكان يُعظِّم التّتر ويستهينُ بالمسلمين ممّا شجَّع التتر[3]، إلّا أنّ قَتْلَه كان على أيديهم[4].

ثالثا: دَوْرُ المدارس الطبيّة الموروثة وأهميّة التّرجمة في تطوّر الطبّ بالمشرق الإسلامي، انتقالُ الطب وصناعته جمَعَا بين موروثه العلمي والهَيْكَلي وتطوير كلُّ ذلك بتفعيل الترجمة التي اتّضحت أهميّتها في ذلك بالمشرق الإسلامي، كما سأوضّحه في الآتي:

1- المدارس الطبّيّة القديمة ودَوْرها في نشأة الطبّ الإسلامي: عرف المشرق الإسلامي وجود العديد من المدارس الطبيّة القديمة في المناطق الّتي فتحها المسلمون، والّتي ساهمت في تطوّر الطبّ الإسلامي، خاصة بما قام به أطبّائها من ترجمة للكتب ونقل للتراث القديم، ناهيك عمّا قدّموه من خدمات طبيّة بالممارسة العملية والتّعليمية، وبما ألّفوه من كتب طّبية.

أ_ مدرسة الإسكندريّة:

عُدّت مدينة الإسكندريّة بمثابة المدرسة الطبّيّة التي وضعت منهجًا خاصًّا لتعليم الطبّ، ولعبت دوْرًا تحوُّليًا بالغ الأهميّة في مسيرة الطبّ إلى المشرق الإسلامي[5]، فقد تواجد بها الحكيم جالينوس وتعلّم بها، فممّا ذكره الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة عنه، أنّه سافر إلى الإسكندريّة وتعلّم الطبّ على امرأةٍ اسمُها

---

[1] الملك النّاصر، يوسف، ابن الملك العزيز محمد، ابن الملك الظاهر غازي، ابن السلطان صلاح الدين، يوسف بن أيوب، صاحب حَلَب ودمشق، ولد سنة (627هـ/1231م)، استولى على دمشق سنة (648هـ/1251م)، وفشل في الاستيلاء على مصر، عُرف بأنّه كان جَوادًا مُمَدَحًا، حسن الأخلاق، مَزّاحًا، لَعّابًا، كثير الحلم، محبًّا للأدب والعلم، لكن كثُرت في وقته الخمور والفواحش، وكان معظِّمًا للشعراء، لأنّه كان يقول الشّعر ويُجيز عليه، وعُرف بجُبْنه وقت الحرب، قتله هولاكو بعد أن سمع بموقعة عين جالوت(658هـ/1260م) انتقامًا. أنظر، الذهبي، سيّر أعلام النبلاء، ج16، ص ص396، 397.؛ الذهبي (شمس الدين ت 748هـ)، العِبَر في خَبَر مَن غَبَرْ، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د ت)، ج3، ص297.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص669.

[3] يقول ابن أبي أُصَيْبِعة في ذلك: "فأحْسَنوا إليه الإحسان الكثير واستمالوه حتّى صار من جهتهم ومازَجهم وأَطْمَعَ التتر في البلاد، وصار يهوّل على الملك الناصر أمورهم، ويعظّم شأنهم ويفخّم مملكتهم ويصف كثرة عساكرهم ويُصَغِّر شأن الملك الناصر ومَن عنده من العساكر، مع ما كان عليه الملك الناصر من الجُبن". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص669.

[4] أحضره هولاكو بين يديه وقال: ثبُتَ عندي خيانتك وتلاعُبُك بالدُول؛ خدمتَ صاحب بعلبك، ثمّ خدمتَ صاحب جَعْبَر، والناصر، وخُنْتَ الجميع، وانتقلتَ إليّ فأحسنتُ إليك، فشرعتَ تُكاتب صاحب مصر، وعَدَّد ذنوبه، وقتله وقتل أولاده وأقاربه وكانوا نحوًا من خمسين. أنظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص254.

[5] محمود الحاج قاسم محمد، مكتبات الترجمة ومدارس الطبّ الرائدة، ط1، دار ماشكي، العراق، 2022م، ص49.

"قلَاوْبَطْر" وأخذ عنها أدويّةً كثيرة، ولا سيّما ما تعلّق بعلاجات النّساء[1]، كما أنّه أوْصى تلاميذه بضرورة التوجّه إليها[2]، فخلَفه بذلك كثيرٌ من الأطبّاء الإسكندرانيّين[3].

كانت كُتب جالينوس السّتّة عشر بمثابة المقرّرات الدّراسيّة، فكان المنهج التّعليمي مبنيًا عليها، فقد جُمعت وفُسِّرت من طرف سبعةٍ من الأطبّاء الإسكندرانيّين[4]من أبرزهم، يحي النّحوي الّذي كان أُسْقُفًا بإحدى كنائس مصر، وفي وقته فُتِحت مصر على يدَيْ الصّحابيّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَمْرو بْن الْعَاصِ بْنُ الْعَاصِ -رضي الله عنه-[5] فدخل إليه وأكرمه ورأى له مَوْضِعًا[6]، وكانت جميع آثار يحيى النحوي الطبّيّة اختصارات وتفاسير لكتب جالينوس إلّا مقالة واحدة ألَّفها في النّبْض، وكتابًا في تاريخ الأطبّاء القدماء، أخذ عنه ابن أبي أُصَيْبِعَة فيما كتبوه عن أطبّاء اليونان الأوّلِين وترجمة يحيى النّحوي وما كتبه عن الطبّ من الشّواهد التّاريخيّة المعتمدَة في تاريخ الطبّ عامّةً، وفي الطّريق الّتي عَبَرها الطبّ اليوناني للوصول إلى العرب بصفةٍ خاصّة[7]، وبعد هؤلاء الإسكندرانيّين تولَّى التّدريس بها عبد الملك بن أبْجَرْ الكِناني وقد كان طبيبًا ماهرًا على ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة[8].

أمّا أَهْرَنْ بنُ أَعْيُنْ القِسّ الطَّبيب فقد كان من بين تلاميذ مدرسة الإسكندريّة في زمنٍ قريبٍ من الفتح الإسلامي لمصر، وربّما لحِق بأوائل خلفاء المسلمين، وضع في سنة 600م كُنّاشًا بالسُريانيّة ضَمّنَه وصفًا لمرض الجُدَرِي، قام الطّبيب الإسْكَنْدَرَاني جَاسْيُوس بترجمة هذا الكتاب من لغته اليونانيّة إلى

---

[1]ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص123.

[2]محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص49.

[3]من بينهم، إصْطفن الإسكندراني، وانقيلاوس الإسكندراني، وجاسيوس الإسكندراني، ومارينوس الإسكندراني، وهم ممّن فسّر كتب جالينوس. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص150.

[4] هم، إصطفن، وجاسيوس، وثاودوسيوس، وأكيلاوس، وأنقيلاوس، وفلاذيوس، ويحيى النَحوي وكلّهم نصارى. أنظر، أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص151.

[5] عَمْرو بْنِ الْعَاصِ (50 ق هـ - 43 هـ /574 - 664 م)، ابن وائِل بن هاشم بن سُعَيد بن سَهْم، ويكنّى "أبا عبد الله"، أسلم سنة ثمانٍ قبيل الفتح بأَشْهَرُ وروى عن النّبي ﷺ، وعن عائشة رضي الله عنها، وعن ابنه عبد الله، ومولاه أبو قيْس، وعروة بن الزبير، رضي الله عنهم وآخرون، وُلِّيَ على جيش ذات السلاسل، ثمّ سكن مصر، فعيّنه الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه خليفة المسلمين واليًا عليها، ومات بها. أنظر، ابن سعد (مُحمّد بنُ مَنيع الزُّهري ت 230هـ)، الطّبَقَاتُ الكَبير، تح: عليّ مُحمّد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (1421هـ/2001م)، ج5، ص47.؛ ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم المصري ت 257هـ)، فتوح مصر والمغرب، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينيّة، (د م ن)، 1415هـ، ص276 وما بعدها.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، عيون الأنباء، ص152.

[7] محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص55.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص171.

السُريانيّة، وتولَّى نَقْلَه مَاسَرْجَوَيْهْ من السُريانيّة إلى العربيّة، في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت101 هـ/719م)[1] وربّما كانت هذه التّرجمة الأوّلى من سلسلة ترْجمات الطبّ اليوناني إلى العربيّة[2]، وعلى الرّغم من كون الإسكندريّة مدرسةً للعلوم وخاصّةً للطبّ إلّا أنّها لم تكن بذات التّأثير الّذي أحدثته مدرسة جُنْدَيْ سَابُور[3]، ولعلّ السّبب في ذلك هو بُعْد مصر عن بغداد، على عكس جُنْدي سابور وحَرَّان، كما أنّ مدرسة الإسكندريّة انغمست في العزائم والرَّهْبَنة، ناهيك عمّا تعرّضت له من اضطهادٍ لأهلها وإحراق لكُتبها، حتّى اضطرّ كثيرًا من مُعتنقِيها إلى التنصُّر أو الفِرار من البلاد[4].

ب–مدرسة أنطاكية:

لما انتقل مركز الخلافة إلى الشّام في العصر الأُموي في القرن(1هـ/7م)، وأصبحت دمشق عاصمة للدّولة الأُمويّة، انتقل معظم علماء مدرسة الإسكندريّة إلى مدرسة أَنطاكيّة[5]، فحلَّت دمشق محلّ الإسكندريّة، وصارت مركزًا علميًا وثقافيًا[6]، وانتقل بذلك التّعليم إلى أنطاكيّة[7]، وخاصّةً في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، يقول الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة: "فلمّا أَفْضَت الخلافة إلى عُمر وذلك في صَفَر سنة تسع وتسعين للهجرة نَقَل التدريس إلى أنطاكيّة وحَرَّان وتفرَّقَ في البلاد، وكان عمر بن عبد العزيز يستطبُّ ابنُ أَبْجَرْ ويعتمد عليه في صناعة الطبّ"[8]، فأخذه من الإسكندريّة، بعد إقناعه بوجود مدرسةٍ ومكتبة تُضارِع مكتبة الإسكندريّة. إنْ لم تَفُقْها، وسمح له أن يَحْمِل معه من الكتب ما يشاء؛ بل وسهّل له وسيلةَ نقلِها، فسار أبجر إلى أنطاكيّة بكُتبه وتلميذين اثنين[9].

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص232.

2 محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص57.

3 Seyyed Hossein Nasr, Science and Civilization in Islam, With a Preface by Giorgio De Santillana, ABC International Group, Inc. KAZI Publications, Inc. P191.

4 أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط2، مطبعة الاعتماد، مصر، (1352هـ/ 1934م)، ج1، ص262، 263.

5 يذكر المؤرّخ المسعودي، أنّ انتقال التّعليم مرّ بمراحل؛ حيث انتقل مجلس التعليم من أثينة إلى الإسكندريّة من بلاد مصر، وفي أيّام الخليفة عمر بن عبد العزيز انتقل من الإسكندريّة إلى أنطاكية، ثمّ إلى حَرّان في أيّام الخليفة المتوكل على الله. أنظر، المسعودي (أبو الحسن، على بن الحسين بن على ت 346هـ)، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، (د ط)، دار الصاوي، القاهرة، ج1، ص105.

4 علي حسين الشطشاط، مدرسة حَرّان وأثرها في تقدّم التراث الطبي العربي، ضِمن أعمال ندوة المدارس الطبيّة في الحضارة الإسلاميّة، طرابلس، ليبيا، (13-15 نوفمبر 2006م)، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثقافة –إيسيسكو–، الرّباط، المملكة المغربيّة، (1432هـ/ 2011م)، ص95.

7 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص604.

8 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص171.

9 محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص72.

وعُدّ انتقال مدرسة الإسكندريّة إلى مدرسة أنطاكيّة الحلَقة الأوّلى في انتقال التّعليم إليها من الإسكندريّة، وقد شكّلت العلوم اليونانيّة نواة المنهج الدّراسي، على الرّغم ممّا عانته هذه المدينة فقد خرَّبها الفُرس كما تعرّضت للزلازل[1]، قبل أن يدخلها المسلمون سنة(17هـ/ 638م)، ونظراً لوقوعها على الحدود بين البيزنطيين والعرب، فقد بقيّت موضع نزاعٍ مستمرّ، إلّا أنّ موقعها نفسه قد سهَّل إحضار المخطوطات اليونانيّة من آسيا الصغرى، ومِنَ ثمَّ نشاط حركة الترجمة السريانيّة[2]، وأصبحت أنطاكيّة الموطن الجديد لتعاليم الإسكندريّة، وقد أثَّرَت في ازدهار الحضارة الجديدة، كما أثَّرت فيها من قبل مدرسة الإسكندريّة[3]، إلّا أنّها تراجعت في خلافة المتوكّل الخليفة العباسي (232-247هـ/847-861م) بانتقالها إلى حَرَّان[4].

ت – مدرسة حَرَّان[5]:

ذكر الرحّالة ابنُ جُبَير(ت614هـ/1217م) حرّان، على أنّها بلدة كبيرة، صُورُها حصينٌ ومتين، حجارته منحوتة ومرصُوصة بعضها على بعض في نهاية من القوّة، وأنّ لها مدرسة ومارسِتان[6]، تعتبر مدرسة حَرَّان إحدى المنافذ المهمّة الّتي مرّت منها الثّقافة اليونانيّة إلى العرب، كما أنّها ساهمت في تطوير الفكر الطبّي العربي، وذلك بما قدّمته للحضارة العربيّة الإسلاميّة من نقلٍ لكثيرٍ من كتب اليونان استفاد منها العرب في نهضتهم العلميّة، إلّا أنّها اشتهرت بالرياضيات والفلك لاهتمام أهلها بالنّجوم والكواكب[7]، وخلَّفت هذه المدرسة العديد من الأطبّاء العرب النَقَلة للكتب اليونانيّة[8]أمثال، ثابت بنُ قُرَّة الحَرَّاني الّذي

1 فتحي عثمان، الحدود الإسلاميّة بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري –في الاتّصال الحضاري–، (د ط)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ج3، (د ت)، ص266.

2 فتحي عثمان، المرجع نفسه، ص ص265، 266.

3 محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص74.

4 المسعودي، التنبيه والإشراف، ج1، ص105.

5 حَرَّان، بتشديد الرّاء، وآخره نونٌ، والنسبة إليها "حَرْنَاني"، بعد الرّاء الساكنة نونٌ على غير قياس، والقياس حَرَّاني، والعامَّة عليه، وهي مدينةٌ عظيمة مشهورة من جزيرة أَقُور، وهي قصبة ديّار مُضَرْ، بينها وبين الرُها يوم، وبين الرّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، فُتحت في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطّاب سنة (18هـ/639م)، (تقع ضِمن حدود دولة تركيا حاليًا). أنظر، البَلاذُري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت279هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص 175.؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 235.

6 ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص199.

7 يُرْجِع الكاتب أحمد أمين نبوغَ علماء حَرّان في العلوم الرياضيّة والفلكيّة إلى ديانتهم التي تُعَظِّم الكواكب وتُقدِّس الهياكل. أنظر، أحمد أمين، المرجع السابق، ص259.

8 علي حسين الشطشاط، المرجع السابق، ص97.

صنّف العديد من الكتب في الطبّ[1]، وكان من بين النَقَلة والمترجِمين الماهِرين[2]، وخدَم بالطبّ الخليفة العبّاسي المعتضد بالله(279-289هـ/893-902م)[3]، كما كان لابنه سِنان (ت331هـ/943م) دورًا في التّرجمة وفي خِدمة الخلفاء[4]، ومن أهمّ الأطبّاء الحَرَّانيّين، أُسرة ثابت بنُ قُرّة وأُسرة ابنْ زَهْرُون[5]، وحسب الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة نذكر أسماء الأطباء الذين خدموا الخلفاء العباسيّين وغيرهم:

الطَّبيب	القرن الذي عاش فيه(الهجري/الميلادي).	خدمته للخلفاء العباسيّن وغيرهم.	صفحة
أبو الحسن، ثابتُ بنُ قُرّة الحَرَّاني (ت 288هـ/901م).	**(3هـ/مطلع 10م).**	**المعتضد بالله.**	**295**
أبو سعيد، سِنان بنُ ثابت بنُ قرّة (ت331هـ/943م).	**(4هـ/10م).**	**المقتدر بالله، والقاهر بالله، والراضي بالله.**	**301**
أبو الحسن، ثابت بنُ سِنان بنُ ثابت بنُ قرّة (ت363هـ/974م).	**(4هـ/10م).**	**الراضي بالله، والمتَّقي بنُ المقتدر بالله، وخدَم أيضًا المُستكفي بالله، والمطيع لله.**	**304**
إبراهيم بنُ سِنان بنُ ثابت بن قرَّة (ت335هـ/947م).	**(4هـ/10م).**	**لم يذكر.**	**307**

[1] ذكر له الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعة أكثر من مائة مؤلَّفٍ، بين كتبٍ ومقالاتٍ ورسائل وكنانيش، وغيرها، في الطبّ والرياضيات وعلم الفلك والفلسفة وغيرها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص298-300.

[2] يقول صاعد الأندلسي على لسان أبي المعشر، في كتابه المذكّرات: "حُذّاق التّرجمة في الإسلام أربعة، حُنين بن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق الكِندي، وثابت بن قُرّة الحَرّاني، وعمر بن فَرْحان الطبري". أنظر، ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمّم، ص37.

[3] اتصّل ثابت بالخليفة المعتضد بالله قبل تولّيته؛ أي، منذ كان المعتضد بالسّجن، حيث تمّ سجنه من طرف والده، يقول الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعة: "إنّ المُوَفَّق لما غضب على ابنه أبي العباس المعتضد بالله حبَسه في دار إسماعيل بن بلبل، وكان أحمد الحاجب مُوَكَّلًا به، وتقدّم إسماعيل بن بلبل إلى الطبيب ثابت بن قُرّة بأنْ يدخُل إلى أبي العباس ويُؤْنِسه، وكان عبد الله بن أسلم ملازمًا لأبي العباس فأَنِس أبو العباس بثابت بن قرّة أُنْسًا كثيرًا، وكان ثابت يدخل إليه إلى الحبس في كلّ يومٍ ثلاث مرّاتٍ، يحادثه ويُسَلّيه ويعرّفُه أحوال الفلاسفة، وأمْرَ الهندسة والنجوم، وغير ذلك، فشغُف به ولطُف منه مَحلِّه، فلمّا خرج من حبسه، قال لبدْرْ غُلامه: "يا بدر. أيُّ رجلٍ أفَدنا بعدك؟" فقال: "من هو يا سيّدي؟" فقال: "ثابت بنُ قُرَّة، ولما تقلّد الخلافة أقطعه ضِياعًا جليلة، وكان يُجلِسه بين يديه كثيرًا بحضْرة الخاص والعام". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص295.

[4] وكان في خدمة كل من الخليفتين المقتدر بالله والقاهر، وخدم أيضًا بصناعة الطبّ الخليفة الراضي بالله. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص300.

[5] Edward G. Browne, M.B., F.R.C.P., Arabian Medicine Cambridge At The University Press, London, 1921, P27.

أبو إسحق، إبراهيم بنُ زَهْرون الحَرَّاني (ت309هـ/922م).	(4هـ/10م).	لم يذكر.	307
أبو الحسن الحرّاني (ت 365هـ/976م).	(4هـ/10م).	عضُد الدّولة البُويهي.	307

ث – مدرسة جُنْدَيْسَابُور:

أسّسها كِسْرَى أَنُوشِرْوان (531 –578م)[1] في مدينة جُنْدَيْسَابُور[2]، وعمل على استقطاب العلماء والفلاسفة اليونانيّين إليها، خاصّةً عندما أغلق الإمبراطور جُسْتِنْيانJustinian(525–567م)[3] مدرسة أثينا في سنة 529م[4]، وكان فيها التّدريس بالسُريانيّة كما كان الحال في نَصِيبِينْ[5] لتصبح مدرسة جندي سابور معهدًا للعلوم والدراسات الفلسفيّة والطبّيّة، فاشتهرت بذلك مدينةُ جُنْدَيْسَابُور ككلّ بمدرستها الطبّيّة وبيمارستانها، والتقت فيها الثقافات الفارسيّة واليونانيّة والهنديّة والنصرانيّة.

وكان للفتح العربي الإسلامي أثرًا كبيرًا في التّخفيف من القيود التي فرضتها عليها الإمبراطوريتان الرومانيّة والفارسيّة لتتحرَّر وتنطلق قُدُراتها الفكريّة والماديّة، كما كان الإسلام باعثًا على إحياء وتطوُّر العلوم، وترك المجال لأهل الكتاب من اليهود والنّصارى في ممارسة معتقَداتهم وإقامة شعائرهم وطُقُوسهم

1 كِسْرَى أَنُوشِرْوَان، أنوشروان بنُ قِباذ بنُ فَيروز بنُ يَزْدَجَرْدْ بنُ بَهْرَام جُورْ، حكم الإمبراطورية الساسانيّة، ما بين 531و579 للميلاد، وقد اعتلى العرش بعد أبيه قباذ الأوّل، وضع الأسّس لمدنٍ وقصورٍ، وبنى العديد من الجسور والسدود، وخلال عهده ازدهرت الفنون والعلوم في بلاد فارس فقد كان مستأْثِرًا بالكتب والعلم والأدب والنَظر في أخبار الأوائل، وكانت الإمبراطورية الساسانيّة في قمّة مجدها، وهو أحد الأباطرة الأكثر شعبيّة في الثقافة والأدب. أنظر، ابن الأثير (عزّ الدين، أبو الحسن علي بن أبي الكَرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيْباني ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، **ط1**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ص394.؛ ابن المَقَفَّع (عبد الله ت 142هـ)، كليلة ودِمنة، ط17، المطبعة الأميريّة ببُولاق، القاهرة، 1937م، ص42.

2 حمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الدّيني الجاهلي، ط4، دار الفكر العربي، (1415هـ/ 1994م)، ص161.

3 جُستنيان: بيتروس ساباتيو سجستينانوس، ولد عام 478م، في بلدة تُورزيوم، على حدود ألبانيا، من أعمال مقدونيا، نشأ وتربّى في كَنف عمّه جستين الأوّل، ثمّ أصبح إمبراطورا سنة 518م، شكّل عدّة لجان لتجميع التّراث القانوني الرّوماني فجُمعت، ثمّ نُسبت إليه وعُرفت بموسوعة جستنيان. أنظر، وِل ديورَانت، قصّة الحضارة، ج12، ص207 وما بعدها.؛ مجموعة من المؤلّفين، موسوعة الفقه الإسلامي، ج1، ص252.

4 محمد منير مرسي، المرجع السابق، ص278.

5 نَصِيبِينْ: يقول عنها الحَموي: "مدينةٌ عامرة، من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قُراها، على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سَنْجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستّة أيّام، وبين دنيسر يومان عشرة فراسخ، وعليها صُورٌ، كانت الروم بَنَتْه وأتمّه أنوشروان الملك عند فتحه إيّاها"، فتحها المسلمون سنة (17هـ/638م). أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص288، 289.؛ محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ص160.

فنال كثيرٌ من علماءُ جُنْدَيْسَابُور مكانةً كبيرة وتشجيعًا مُنْقطع النّظير في حَضرة الخلفاء والملوك والأمراء المسلمين، ليكونوا عنصرًا فعّالًا في تشييد صرْح الحضارة العربيّة الإسلاميّة في المجال العلمي والثقافي؛ إذ ظهر منهم كثيرٌ من الأطبّاء والفلاسفة والمؤلِّفين والمترجِمين[1].

كما أنّ كثيرًا من أطبّاء العرب كانوا قد رحلوا إليها وتتلْمذوا فيها؛ كالحَرْث بنُ كِلْدة الثَقَفِي الّذي أخذ الطبّ عن أهل جُنْدَيْسَابُور[2]، وطَبَّ بأرض فارس وعالج وحَصَل له بذلك مالٌ هناك وشهِد أهلُ بلد فارس ممّن رآه بعِلمِه[3]، وهو الّذي أَبْهر كِسرى أنو شروان بطبِّه وحِكَمِه[4]، وكذلك ابنه النَّضْرُ الّذي تعلّم في فارس وفي مدرسةُ جُنْدَيْ سَابُور[5].

وقد استعان الخلفاء العباسيّين بها في العلاج وترجمة الكتب، وكان أوّل اتّصال مباشرٍ معها زمن الخليفة العبّاسي المنصور، وذلك عندما أحضر رئيس أطبّاء بيمارستانُ جُنْدَيْ سَابُور، جُورْجيُوس بنُ بختيشوع إلى بغداد لمعالجته مِنْ مرضٍ أَلَمَّ به في سنة (148هـ/765م)[6]، وقد عُرِف أهلُ جُنْدَيْسَابُور بحِذقِهِم لصناعة الطبّ، يقول المؤرّخ القِفطي عنهم: "ولم يزَل أمْرُهم يَقْوَى في العلم ويتزايدون فيه ويُرتّبون قوانين العلاج على مُقْتضى أمْزِجة بلدانهم حتّى بَرَزوا في الفضائل وجماعة يُفضِّلون علاجهم وطريقتهم على اليونانيّين والهند لأنّهم أخذوا فضائل كلَّ فرقةٍ فزادُوا عليها، بما استخرجوه من قِبَل نفوسهم فرتّبوا لهم دساتير وقوانين وكُتبًا جمعوا فيها كلَّ حسنة"[7].

ومِنْ ثمَّ تطوّرت العلاقة بين مدرسة جُنْدَيْسَابُور وبني العبّاس، وبخاصّة زمن الخليفتين المنصور والرّشيد، وكانت العلاقة الطبّيّة تحتلّ المرتبة الأوّلى في أهميّة هذه المدرسة في هذا العصر، إضافةً لكونها مركزًا هامًّا من مراكز التّرجمة وإحدى المسالك الّتي انتقلت من خلالها الحضارة الإغريقيّة إلى العرب، وإنّها كانت علامة مضيئة في تاريخ الحضارة الإسلاميّة[8]، ومن خلال الجدول التّالي، أذكر أهّم أطبّاءُ جُنْدَيْسَابُور، الّذين تواجدوا بالخلافة العبّاسيّة، وكان لهم شَرف خدمة الخلفاء وغيرهم، فبَرَز دوْرهم واضحًا:

---

[1] غازي فيصل صالح ذياب الدليمي، **مدرسة جُنْدَيْ سَابُور الطبيّة وأثرها في الحضارة العربيّة الإسلاميّة حتّى نهاية القرن الخامس الهجري**، مجلّة كليّة الآداب، العدد31، جوان 2017م، ج3، ص ص898، 899.

[2] Edward G. Browne, op .cit, p p10, 11.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص161.؛ القفطي، المصدر السابق، ص125.

[4] محتوى حوار الطبيب الحارث مع كسرى. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص162 وما بعدها.

[5] أمين أسعد خير الله، الطبّ العربي، المطبعة الأميريكانيّة، بيروت، 1946م، ص23.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص183.

[7] القفطي، المصدر السابق، ص106.

[8] محمود الحاج قاسم محمد، المرجع السابق، ص78.

الطَّبيب	القرن الذي عاش فيه	خدمته بالطبّ للخلفاء أو غيرهم.	الصفحة
جُورْجيُوس بنُ جِبرَائِيل(ت 152هـ/769م).	(2هـ/8م).	أبُو جَعفَر المنْصُور.	183
بخْتِيشُوع بنُ جُورْجسْ (ت 190هـ/806م).	(2هـ/ مطلع 9م).	هَارُونَ الرَّشِيد.	186
جِبرَائِيل بنُ بختيشُوع بنُ جُورْجسْ (ت213هـ/828م).	(نهاية 2هـ وبداية 3هـ/نهاية الثامن وبداية 9م).	جَعْفَر بنُ يحيَى بنُ خَالد بنُ بَرمَك وخدم هَارُون الرَّشِيد، محمَّد الأَمِين، والمأْمُون.	187
بَختِيشُوع بن جِبرَائيل بنُ بَختيشُوع (ت256هـ/870م).	(3هـ /9م).	المتوكل على الله، المهتدي بالله.	201
جبْرَائيل بنُ عُبَيد الله بنُ بَخْتِيشُوع (ت396هـ/1006م).	(4هـ/مطلع 11).	المقتدر بالله، والسّلطان عضُد الدَّولة/ خَسْرُوشَاه بنُ مبادر، مَلِك الدَيْلم. الأَمير حُسَام الدَّوْلة.	209
عُبَيْد الله بنُ جِبْرَائيل (ت بعد 450هـ/بعد 1058م)	(5هـ/ 11م).	الأمير نُصَير الدَّوْلَة.	214
سَابُور بنُ سَهْل (ت 255هـ/869م)	(3هـ/ 9م).	المتَوَكِّل.	230
مَاسَوَيْه أَبَو يُوحَنَا (ق2هـ/8م).	(ق2هـ/8م).	الفَضْل بنُ الرَّبيع وهَارُون الرَّشِيد.	242
يُوحَنَا بنُ مَاسَوَيْه (ت 243هـ/ 857م).	(3هـ/ 9م).	هَارُون والأمِين والمأْمُون والمعْتَصِم والوَاثِق والمتَوَكِّل.	246
مِيخَائِيل بنُ مَاسَوَيْه (ق3هـ/ق9م).	(3هـ/ 9م).	المأْمُون.	255
عِيسَى بنُ مَاسَة(3هـ/ 9م)	(3هـ/ 9م).	لم يذكر.	257
حُنَيْن بنُ إسْحَق(ت264هـ/ 877م).	(3هـ/ 9م).	المأْمُون والمتَوَكِّل عَلى الله.	257

إسْحَاق بنُ حُنَيْن (289هـ/ 910م)	(3هـ/ 9م)	خدَم مَنْ خَدم أبوه من الخلفاء والرؤساء.	274
يُوحَنَا بنُ بَخْتِيشُوع (ت290هـ/ 903م).	(3هـ/مطلع 10م)	الموَفَّق بالله، طَلْحَة بنُ جعفر المتَوَكِّل.	276
بَخْتِيشُوع بنُ يُوحَنا (ت 329هـ/941م).	(4هـ/10م).	المقْتَدِر بالله، ثمّ الرَّاضِي بالله.	277

من خلال ما سبق نقول أنّ التّاريخ يحفظ لمدرسة جُنْدَيْ سابُور الطبّيّة، مكانتها العلميّة المرموقة، حيث برز فيها العديد من الأطباء المتميّزين الذين كان لهم دورًا فاعلًا وكبيرًا في تطوُّر الصناعة الطبّيّة في بغداد، وكانت وراء مجيئهم إليها عدَّة أسباب، من أهمِّها إكرام الخلفاء لهم، ولا شكّ أنّ وفود هؤلاء الأطبّاء وهُمْ من النّصارى، ومَنْحِهم تلك المكانة من الخلفاء يُعدّ دليلاً قاطعًا على التّسامح الدّيني الذي كان سائدًا في الدولة الإسلاميّة، من خلال استقطابها للعلماء والأدباء والأطباء ومن مختلف المِلَل والنِحل والديانات واندماجهم في المجتمع.

جاء نشاط هذه المدارس مصحوبًا بنشاطٍ كبيرٍ في الترجمة؛ إذ حرص الأطبّاء السُريان على نقْل الكثير من الكتب اليونانيّة الّتي ضاعت أصولها إلى السريانيّة، ثمّ نقْلِها إلى العربيّة، لنلْحظ تراجعًا في دَوْر اللغة السريانيّة منذ المائة التّاسعة الميلاديّة، ومع بداية الفتوحات الإسلاميّة لتنافس اللّغة العربيّة معها، وذلك كَون اللغة العربيّة في انتشارها، استندت إلى أنّها لغة القرآن والسُّنّة النبويّة، وغيرها من الأمور الدينيّة.

ونختم هذا بالقول أنّ العرب فتحوا بلادًا كان فيها الطبّ قد انتظم واستقرّ حتّى وصل إلى مرتبة العلوم، على غِرار مصر وفارس والهند الّتي كانت قد استوعبت علوم اليونان والرّومان، ولقَّحوا به طبَّهم العربي، ويصحّ القول إجمالًا أنّ العرب المسلمون حتّى في عهد الأُمويين وأوائل عهد العبّاسيّين لم يزيدُوا عن أنْ يكونوا مترجِمين ونَقَلة، باستثناء قليل منهم، ولكنّهم في أثر ذلك بحثوا ودقَّقوا وتعمّقوا حتّى صاروا هم المسْتكشِفين والمؤلِّفين والمصَدِرين.

2– ترجمة الكتب الطبيّة؛ أهم القائمين عليها ومصادرها:

تعدّ حركة ترجمة العلوم من أبرز المحطّات العلميّة والتّاريخيّة في الحضارة الإسلاميّة عمومًا، والمشرق الإسلامي بشكلٍ خاص، حيث بدأ الاهتمام بها بشكلٍ ممنهَج وجِدّي على يد خاصّةِ المسلمين في العهد

الأُموي[1]؛ إذ كانت بمثابة البذرة الأولى الّتي سرعان ما أيْنَعت ونضجت في العهد العبّاسي، بتسارعِ وتيرتها، خاصّةً مع ظهور مراكز تبنَّت هذا الدّوْر على غِرار بيت الحكمة، ونشطت معها حركة التّدوين والتّأليف، والملاحظ من خلال مضامين كتاب عيون الأنباء أنّ الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قد أوْلى اهتمامًا بالغًا لعملية التّرجمة، خاصّةً فيما يخصّ ترجمة الكتب الحِكميّة وكتب الطبّ بالّدرجة الأولى، فكان حريصًا على ذكر كلِّ ما يتعلّق بها، من مترجِمين وكتب مترجَمة وغيرها...، ومن مظاهر هذا الاهتمام أنّه لم يكتف بذِكر ما ترْجَم الأطباء عند حديثه عنهم؛ بل أفرد بابًا خاصًّا – الباب التاسع– عنونه " طبقات الأطباء النَقَلَة الذين نقلوا كتب الطبّ وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي– وذكر الذين نقلوا لهم"[2].

وعلى الرّغم من أنّه ذكر أغلبهم في الأبواب الأخرى، إمّا في الباب الثامن أو في الأبواب اللاحقة، بصفتهم أطباء لهم نوادر وحكايات كغيرهم من الأطباء، وجاء الباب التاسع ليميّزهم على غيرهم، من حيث اهتماماتهم بالتّرجمة، ربّما لأهميّة التّرجمة أو للتسهيل على القارئ، من حيث نوعيّة هذه الطبّقة، ويمكن استنتاج اهتمام الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بالتّرجمة، بما ذكره عن مجهوده في الاطّلاع على هذه التراجم؛ إذ ذكر أنّه كان اقتنى كثيرًا من التراجم الأصليّة قائلًا: "أَقُولُ وجدتُ من هذه الكتب كتبًا كثيرة، وكثيرًا منها أقتنيتُهُ وهي مكتوبة مولد الْكُوفِي بخطِّ الأزرق كاتب حُنين، وهي حروفٌ كِبار بخطٍّ غليظٍ فِي أسطرٍ متفرّقة وورقها كلُّ ورقةٍ منها بِغِلْظِ مَا يكون من هذه الأوراق المصنوعة يومئذٍ ثلاث ورقات أو أربع وذلك فِي تقطيع مثل ثُلْث الْبَغْدَادِيّ..."[3]، فكيف صَوّر الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة حركة التّرجمة والنّقل في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"؟، وما دورُ الأطبّاء فيها؟ لذا سنحاول التَّعريج على أهمّ المعلومات الخاصّة بالتّرجمة، بالاعتماد على ما ورد عن الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه عيون الأنباء.

أ– القائمون على التّرجمة:

لا شكّ أنّ القائم على ترجمة الكتب والمشجِّع عليها له مِن المكانة ما تُمكِّنه من الاعتناء بالمترجِمين، بتوفير الظّروف الحسنة وتقديم المحفِّزات من النّفقات والهدايا، ولذلك فالطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يتجاوز

---

[1] لعلّ أوّل ترجمةٍ ذات طابع علمي تذكرها المصادر هي، أنّ خالد بن يزيد بن معاوية، والملقّب ب"حكيم آل مروان" أمر بعض علماء اليونان الذين كانوا بالإسكندريّة بترجمة "الأورغانون –كتب أرسطو المنطقيّة–" من اليونانيّة إلى العربيّة،كما أرسل إلى الإسكندريّة في طلب بعض الكتب في الطب وعلم الصَنْعة (الكيمياء) لترجمتها إلى العربيّة، يقول المؤرّخ ابن النديم :"كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمّى حكيم آل مروان، وكان فاضلًا في نفسه وله همّة ومحبّة للعلوم خَطَر بباله الصَنْعة فأمر بإحضار جماعةٍ من فلاسفة اليونانيّين؛ ممّن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصَّح بالعربيّة وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقِبطي إلى العربي، وهذا أوّل نقلٍ كان في الإسلام من لغةٍ إلى لغة. أنظر، ابن النديم، الفهرست، ص300.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص279.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص270.

هذا الموضوع؛ بل كان يُعَرّج في كلّ مرّة على ذِكر المهتمّين بالتّرجمة، مبّينًا الدّوْر الكبير الّذي يقوم به هؤلاء، ويمكن تبيان ذلك في الآتي:

- دَوْرُ الخُلَفاء:

من بوادر التّرجمة الأوّلِيّة ما قام به الخليفة الأُموي عَبْد المِلك بنُ مَرْوان (26- 86 هـ /646 - 705م) عند تعريبه للدّواوين في الشّام سنة(81هـ/700م)، بعد أن كانت بالفارسيّة[1]، أمّا ما يخصّ ترجمة الكتب الطبيّة فقد بادر الخليفة الأُموي عمر بن العزيز (99-101هـ/718-720م) في فِعل ذلك؛ إذ يذكر أنّ ماسَرْجَوَيْه[2] نقَل له كنّاشًا من الطبّ كان قد وضعه في اليونانيّة القِسّ أَهْرُون بنُ أَعْيُن[3] الإسكندري، ويقول الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة نقلًا عن المؤرّخ ابن جلجل:"... أنّ مَاسَرْجَوَيْه كان في أيّام بني أُميّة وأنّه تولَّى في الدّولة المروانيّة تفسير كتاب أهرن بن أعين إلى العربيّة الذي وجده عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- في خزائن الكتب، فأمر بإخراجه، ووضعه في مُصَلَّاه واستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلمّا تمّ له في ذلك أربعون صباحًا أخرجه إلى النّاس وبثَّه في أيديهم"[4].

أمّا في العهد العبّاسي فيعدّ الخليفة أبو جعفر المنصور[5] من الأوائل الّذين شرعوا في طلب علوم اليّونانيّين والفرس، حيث يذكر لنا الطّبيب ابن أُصَيْبِعَة أنّ المنصور اهتمّ بترجمة الكتب القديمة، واعتمد في ذلك على طبيبه جُورجيُوس بن جبرائيل[6] الّذي كان مُلمًّا باللّغات اليونانيّة والفارسيّة والعربيّة[7]، كما اعتمد المنصور على البطريق، فكان في أيّام المنصور الذي أمَرَه بنقل أشياء من الكتب القديمة، كما ذكر الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة اطّلاعه على كتب كثيرة في الطبّ لأبُقراط وجالينوس من نقْلِه[8].

---

1 الماوردي (أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب ت 450هـ)، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة، (د ط)، دار الحديث، القاهرة، (دت)، ص ص300 ،301.

2 ماسَرْجَوَيْه، يُكْتب اسمه أيضًا "ماسَرْجِيسْ"، وهو طبيبٌ سريانيٌ، يهودي المذهب، من أهل البصرة وله "كتاب الكُنّاش". أنظر، ابن النديم، المصدر السابق، ص358.؛ ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص 232- 358.؛ ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص61.

3 أَهْرن بنُ أَعْيُنْ القِسْ، طبيبٌ من أهل الإسكندريّة، وكتابه في الطبّ يقع في ثلاثين مقالة ترجمه مَاسَرْجَوَيْه، وزاد عليها مقالتين. أنظر، ابن جلجل، المصدر نفسه، ص61.

4 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص 232.؛ ابن جلجل، المصدر السابق، ص61.

5 عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العبّاس، وأوّل من عَنِيَ بالعلوم، كان عارفًا بالفقه والأدب، مُقَدمًا في الفلسفة والفلك، محبًا للعلماء، ولد في الحُمَيْمة، من أرض الشَراة، ووليّ الخلافة بعد وفاة أخيه السفّاح سنة (136هـ/754م)، وهو باني مدينة "بغداد". أنظر، الزِركلي، الأعلام، ج4، ص117.

6 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص279.

7 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص183، 184

8 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص282.

وفي زمن الخليفتين هارون الرّشيد وابنه المأمون أصبح النّقل عملًا رسميا تتولّاه الدّولة، وتُنفق عليه من الخزينة، وتحشُد له أعظم النّقَلة والعلماء والمفكِّرين، وتتّخذُ له المؤسّسات العلميّة، فكانت دار الخلافة تُرسل في طلب الكتب العلميّة والفلسفيّة والطبّيّة، فكانت كتب أنقرة وعَموريّة وسائر بلاد الروم تشُدُّ اهتمام الخليفة هارون الرشيد الذي كلّف في سبيل ذلك الطَّبيب يُوحَنَا بنُ مَاسَوَيْه، بأن قَلّده ترجمة الكتب القديمة بعد أن وضعه أمينًا على التّرجمة[1].

وكان في زمن الخليفة هارون الرشيد الطَّبيب مَنْكَه الهندي الذي كان عَالما بصناعة الطبّ، كان قدُومه من الهند إلى بغداد لغرضِ مداواته، وذكر أنّه كان متقنًا للغة الهند ولغة الفرس، وهو الّذي نقَل كتاب شَانَاق في السُّمُوم من الهنديّة إلى الفارسيّة[2]، غير الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يذكر نقْلَه لهارون الرّشيد، إلّا أنّه فسَّره ليحيى بنُ خالد ابنُ بَرْمَك وزيره[3]، كما وجد ابن أبي أُصَيْبِعَة بعض الكتب الّتي هي من نقْلِه، وذكر أنّه كان ينقُل من اللغة الهنديّة إلى الفارسيّة والعربيّة[4].

أمّا ابنه المأْمُون، فقد كان هو الآخر يهتّم لنقل الكتب اليونانيّة، وارتبط اهتمامه بالتّرجمة برؤيا رآها في منامه لرجلٍ بَهِيّ الشّكل جالسٌ على منبرٍ يخطُب، يقول أنا: "أرسطوطاليس"، فلمّا انتبه من منامه وسأل عن أرسطوطاليس، ذكروا له أنّه رجل حكيم من اليونانيّين، فأحضر الطَّبيب حُنين بنُ إسحق؛ إذْ لم يجد منْ يُضاهيه في النّقل، وطلب منه نقْلَ كتب الحكماء اليونانيّين إلى العربيّة، مقابل الأموال والعطايا الكثيرة[5]، وممّا يجب قوله أنّ هذه الرؤيا لا تَرْقَى لأن تكون سببًا يدفع بالمأمون إلى الاهتمام بالتّرجمة، ومن غير المعقول أن يكون الخليفة المأمون جاهلًا بأرِسْطو، حتّى يأتيه في المنام ويقول له أنا أرسطوطاليس، ثمّ يسأل عنه [6].

ويُذكر أنّ الخليفة المأمون كان بينه وبين ملك الرّوم مراسلات، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاد الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناعٍ، فأخرج المأمون لذلك

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص346.

[2] أحد أطباء الهند المشهورين، له تجارب ومعالجات في الطبّ، وتمهَّر في العلوم الحِكميّة، ومعرفةً في علم النجوم، متقدِّمًا عند ملوك الهند، وله من الكتب. كتاب سمّاه "مُنْتَحل الجَوْهر"، وكتاب "السُموم"، وغيرها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص474.؛ ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج9، ص483.؛ حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج2، ص161.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص474.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص475.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص259.؛ أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو 400هـ)، البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، ط1، دار صادر، بيروت، (1408هـ/ 1988م)، ج4، ص93.؛ صديق حسن خان، أبجد العلوم، ص380.

[6] الشحّات السيّد زغلول، السريان والحضارة الإسلاميّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الإسكندريّة، 1975م، ص182.

جماعة منهم،"الحَجَّاجُ بنُ مَطَر "،و"يُوحَنَّا بنُ البطْرِيق"، و"سَلْمَا" صاحب بيت الحكمة[1] وغيرهم، فأخذوا ممّا وجدوا ما اختاروا فلمّا حملوه إليه أمَرَهُم بنقْلِه فنُقِل، ثمّ حَرَّضَ الناس على قراءتها ورغَّبَهم في تعليمها[2]، كما قيل، إنّ يوحنا بن ماسويه، ممّن نَفذَ إلى بلاد الروم، وأحضر المأمون أيضًا حُنين ابن إسحق وكان فتيّ السِنّ فأمره بنقْلِ ما يقْدِرُ عليه من كتب الحكماء اليونانيّين إلى العربيّة، وإصلاح ما ينقُلُه غيره فامتثَلَ أمْرَه[3]، وقد بلغ الاهتمام بهم إلى درجة أنّ المأمون كان يعطي حُنَيْن بن إسحاق من الذّهب زِنَةَ ما ينقلُه من الكتب إلى العربي مَثَلًا بمِثْلٍ[4]، إلّا أنّه في وقتٍ متأخّر عن ذلك تراجَعَ عن هذه المبالغة في طلبِ الأُجرة، حيث يورد الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قول حُنين بنُ اسحاق:" وصرتُ أنقلُ لهم الكتبَ على الرَسْمِ بغير عَوَضٍ، ولا جزَاء، وأُسارِعُ إلى جميع محَّابِهم بعد أن كنتُ إذا نقلتُ لأحدهم كتابًا أخذتُ منه وَزْنَهُ دراهم"[5].

وقد وقف الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة على مجموعةٍ من الكتب الّتي نقلها حُنين بنُ إسحاق للخليفة المأمون، وكان يَعْمَدُ على تكبير الحروف وتغليظ الخطّ قائلًا:" وجدتُ من هذه الكتب كتبًا كثيرة، وكثيرًا منها إقْتَنَيتُه وهي مكْتُوَبة مولد الكُوفي بخطِّ الأزرق، كاتب حنين وهي، حروفٌ كِبار بخطٍّ غليظٍ في أَسْطُرٍ متفرّقَة وورقها كلُّ ورقةٍ منها بغِلْظِ ما يكون من هذه الأوراق المصنوعة يومئذٍ ثلاث ورقات أو أربع وذلك في تقطيع مثل ثُلْث البغدادي، وكان قصدُ حُنَين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنِه لأجل ما يقابَل به من وزنه دراهم، وكان ذلك الورق يستعمله بالقصْد، ولا جَرَمَ أنّ لغِلْظِه بقيّ هذه السنين المتطاوِلة من الزّمان"[6]، وممّن نقل للمأمون أيضًا الحجّاج بن مطر الذي نقل له كتاب إقليدس[7].

– أُسَرٌ وشخصياتٌ علميّة:

من القائمين على التّرجمة والمشجِّعين عليها؛ جِبْرَائِيل بن بختيشوع، أحد مشاهير الأطبّاء، خصّص له الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة صفحات من كتابه، يذكر فضله في الطبّ ومكانته عند الخلفاء، كان له اهتمام

[1] ابن النديم، المصدر السابق، ص301.؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج3، ص414.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدوّل، ج1، ص136.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص260.؛ ابن النديم، المصدر السابق، ص301.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص260؛ خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والورّاقين في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ط1، مؤسّسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2011، ج3، ص74.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص270

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص270، 271.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص280.؛ إليان سركيس يوسف بن موسى، معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، مطبعة سركيس، مصر، (1346 هـ/1928م)، ج2، ص742.

بنقل الكتب من اللّسان اليوناني والفارسي إلى اللّسان العربي، وقد اعتمد على حنين بن إسحاق في ذلك، فترجَم له أقسامًا من كتب جالينوس في التّشريح، وكان يخاطبه بالتبجيل، ويقول له: "يا ربن حنين؛ أي: يا "معلّم"، وكان يمدحُه ويستشرِف له بقوله: "والله لئِنْ مُدَّ له في العُمُرِ لَيَفْضحَنّ سُرْجُس الرأس عيْني؛ وهو أوّل مَنْ نقل شيئًا من علوم الرّوم إلى اللّسان السُرياني وليفضحن غيره من المترجِمين[1]، كما اعتمد جبرائيل بن بختيشوع على صديقه مطران المَوْصِل الذي نقَلَ له العديد من الكتب[2].

ومن الأطبّاء أيضًا، شيرشوع بن قُطْرُب؛ من أهل جُنْدي سابور، كان يُبِرُّ النَقَلَة ويهدي إليهم ويتقرَّب منهم بُغية تحصيل الكتب من عندهم بما يمكنه من المال، وكان يُؤْثِر السرياني على العربي[3]، وعلى نفس المنوال كان الطَّبيب ثَادرُسْ الأُسْقُف، حَرِيصًا على طلب الكتب متقرِّبًا من النَقلَة، فحصّل شيئًا كثيرًا منها[4]، وكان النّقلة يحصلون على الأموال من عَليّ الْمَعْرُوف ب"الفيوم" لاعتنائه بأمور التّرجمة[5]، وكان يصل إلى النَقَلة من أحمد بن محمد، المعروف بابن المدَّبِر، كاتب المال والفضل الكثير[6].

ومن أشهر الشّخصيات الّتي اعتنت بالتّرجمة والنّقل؛ الوزير مُحَمَّد بن عبد الْملك الزَيّات (ت233هـ/848م)[7]، حيث اهتمّ بنقْل الكتب، فوَهَب الأُعطيات للنَقلة والنُّساخ والقائمين على تنظيم عمليّة النّقل، يقول الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وكان يُقاربُ عَطاؤُه للنّقلة والنُّساخ في كلّ شهرٍ أَلْفَيْ دينار ونَقَل باسمه كتب عدّة، وكان أيضًا ممّن نُقلت له الكتب اليونانيّة، وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطبّاء مثل، جبرائيل بن بختيشوع، وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع، ويوحنّا بن ماسويه ..."[8]، وترجَم له حُنَيْن بن إسحاق وحده أربع مقالات[9].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص259.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص283.

[3] نفسه.

[4] نفسه.

[5] نفسه.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص284.

[7] محمد بن عبد الملك بن أَبان بن أبي حمزة، المعروف ب"الزيّات"، أحد بلغاء الكتاب والشعراء. ولد سنة (173 هـ / 789 م)، وبداية حياته كاتبًا. وقد مكّنته براعته الأدبيّة من أن يتّخذه الخليفة المعتصم بالله وزيرًا له، يعوّل عليه في كلّ شؤونه، وأنْ يظلّ في منصبه في عهْدَي الخليفتين الواثق بالله والمتوكل على الله، توفيّ سنة (233 هـ/ 847 م). أنظر، ابن الأبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البَلَنسي ت 658هـ)، إعْتاب الكتاب، تح: الدكتور صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، ط1، (1380هـ/ 1961م)، ص133.؛ ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا ت 709هـ)، الفخري في الآداب السلطانيّة والدوّل الإسلاميّة، تح: عبد القادر محمد مايو، ط1، دار القلم العربي، بيروت، (1418هـ/1997م)، ص232.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص284.

[9] ابن النديم، المصدر السابق، ص352.

وعُرفت أُسْرة بني شاكر، المكوّنة من، محمد وأحمد والحسن، باهتمامها الكبير بالتّرجمة، فكانوا يكرمون ويرزقون كثير من النّقلة على غِرار حنين بن إسحق، وابن أخته حُبَيْش، وثابت بنُ قرّة، وغيرهم في الشّهر نحو خمسمائة دينار مقابل النّقل والملازَمَة[1]، ويذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة، محمد بن موسى المنجِّم عَلى أنّه كان مَنْ أَبرَّ النَّاس بحُنين بن إسحق، وقد نقل له حنين كثيرًا من الكتب الطبّيّة[2] .

ويذكر المؤرّخ ابن النّديم عن هذه الأسرة: "ممّن عُنِيّ بإخراج الكتب من بلد الرّوم محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجِّم، وخبَرُهُم يجيءُ بعد ذلك وبذلوا الرّغائب، وأَنفذوا حُنَين بن إسحاق وغيره إلى بلد الرّوم فجاءهم بطرائفِ الكتب وغرائب المصنّفات في الفلسفة ... والطبّ"[3]، أمّا المؤرّخ ابن خلّكان فقد قال عنهم: "كانت لهم هِمّةٌ عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الأوائل، وأَتْعَبوا أنفسهم في شأنها، وأَنْفَذوا إلى بلاد الروم مَنْ أَخْرَجَها لهم، وأَحْضروا النّقلة من الأَصْقاع الشّاسعة والأماكن البعيدة بالبَذْل السَنِّي، فأظهروا عجائب الحكمة[4].

ب- مصادر الكتب المترجَمة:

لا شكّ أنّ بداية نضوج عصر الطبّ ارتبط بحركة التّرجمة الواسعة التي قادها بعض الخلفاء الّذين أنشأوا في مدنٍ عديدة مراكزًا للعلم والمعرفة والتّرجمة، وشجّعوا على جلْب الكتب من البلاد المفتوحة، وذلك أنّ العرب عندما فتحوا بلاد الفرس والشّام وجدوا بها خزائن العلم اليوناني والفارسي والروماني منتشرة، فأمر الخلفاء المهتمّين بالعلم بنقل بعضها إلى العربيّة، أين بدأت حركة التّرجمة الواسعة للعلم اليوناني من اليونانيّة إلى السُّريانيّة ومن السُّريانيّة إلى العربيّة، ومن الأماكن الّتي كانت مصدرًا للكتب المترجَمة ما ذكره الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، أنّ الخليفة هارون الرشيد طلب من يوحنا بن ماسويه القيام بترجمة الكتب القديمة ممّا وُجد بأنقرة وعَمُورِيّة وسائر بلاد الرّوم حين سَباها المسلمون[5].

وكانوا يهاجرون إلى البلدان في سبيل البحث عن كتابٍ مشهورٍ للاطّلاع عليه أو لنقْله إلى اللّسان العربي، خاصّةً ممّن هو من الأصول أو من النُّسخ الأصليّة، فكان كتاب البُرهان لجالينوس، مطلوبًا لدى المترجِمين، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة على لسان حُنين:" ولم يقع إلى هذه الغاية إلى أحدٍ من أهل دهْرنا لكتاب

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص260.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص283.
[3] ابن النّديم، المصدر السابق، ص301.
[4] ابن خلّكان، المصدر السابق، ج5، ص161.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص346.

البرهان نسخة تامّة باليونانيّة، على أنَّ جبرائيل قد كان عَنِيّ بطلبه عنايةً شديدة، وطلبتُه أنا أيضًا بغاية الطَلَب، وجُلْتُ في طلبه بلاد الجزيرة والشّام كلّها، وفلسطين، ومصر، إلى أن بلغتُ إلى الإسكندريّة فلم أجد منه شيئًا إلّا بدمشق نحوًا من نصفه، إلّا أنّها غير متواليّة ولا تامّة"[1].

أمّا الخليفة المأمون فلم يتوانَ في مراسلة ملك الرّوم كما قلنا سابقًا، يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من الكتب القديمة المخزونة ببلد الروم، ولما تمّ له ذلك أمَر حُنَين بن إسحاق أن ينقُل له ما يقدِر عليه من كتب الحكماء اليونانيّين إلى العربي، وكذلك إصلاح ما ينقُلُ غيره من المتَرجِمين[2]، فكانت بلاد الرّوم من المصادر المعروفة لدى المترجِمين لنقل الكتب، فكان حُنَيْن بن إسحاق من أشهرهم وهو الّذي سافر إلى أماكن كثيرة حتّى وصل إلى أقصى بلاد الروم[3].

ومن المصادر الأخرى للكتب المترجَمة بلاد الهند، حيث كان للعلاقات التِّجاريّة والثّقافيّة دورًا كبيرًا في وصول علوم الهند إلى المسلمين، وبهذا نجد العديد من المؤلّفات الهنديّة قد تُرجمت ونُقلت إلى العربيّة أو من الهنديّة إلى الفارسيّة، ثمّ إلى العربيّة على غِرار كتاب السُمُوم، للطّبيب شَانَاق الهِنْدي الّذي فَسَّره من اللّسان الهندي إلى اللسان الفارسي مَنْكَه الهندي[4]، ثمّ نُقل للمأمون على يد العّباس بنُ سعيد الجَوهري[5] مَوْلاه، وكان المتولّي قراءته على المأمون [6].

وكان لتواجد أطبّاء الهند ببلاد المسلمين الدور الكبير في معرفة وترجمة التّراث الهندي إلى اللّسان العربي، وخاصّةً ممّن استُدْعِيّ من طرف الخليفة واختصّ بخدمته، كالطَّبيب مَنْكَه الهندي الّذي عُرف بحُسن معالجته، ولُطف تدبيره، واتقانه للغة الهند ولغة الفرس، وكان قد سافر من الهند إلى العراق في أيّام الخليفة هارون الرّشيد، واجتمع به ودَاوَاه، وكان ينقُل من اللّغة الهنديّة إلى الفارسيّة والعربيّة[7]، والجدير بالذّكر أنّ

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص146.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص260.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص146.

[4] وممّا نقله الطبيب مَنْكَة الهندي من اللغة الهنديّة إلى العربي، مِن غير كتاب السّموم.؛ "كتاب سيسر"، و"عشر مقالات" نقله بأمرِ الوزير يحيى بن خالد البَرْمكي، و"كتاب أسماء عقاقير الهند" الّذي فسّره لإسحاق بن سليمان الهاشمي. أنظر، ابن النديم، المصدر السابق، ص364.؛ عبد الحَيّ الحسني (بن فخر الدين بن عبد العلي الطالبي)، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمّى بـ (نُزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، ط1، دار ابن حزم، بيروت، (1420هـ/ 1999م)، ج1، ص57.

[5] العباس بن سعيد الجَوْهري الرياضي الفلكي، الغالب عليه علم الهندسة، التُرجمان الطبيب –صحب الخليفة العباسي المأمون، كان حيًا قبل سنة (218هـ/ 833م)، من تصانيفه، ترجمة شاناق الحكيم في السُموم والتِرياق. أنظر، علّي الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، ط1، دار العقبة، قيصري، تركيا، (1422هـ/ 2001م)، ج2، ص1324.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص474.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص475.

جزءًا كبيرًا من ثقافة الهند وعلومهم انتقل إلى العرب عن طريق الفرس، بحكم العلاقات التّجارية بين الهند والفرس قبل الإسلام، من ذلك أنَّ بَرْزَوَيْهِ الطَّبيب الهندي أحضر من الهند كتب ومؤلّفات في الطبّ وفي غيره، ككتاب كليلة ودِمنة[1]، وعندما عَكَف المسلمون على ترجمة كتب الفرس إلى العربيّة نقلوا بين ثناياها أجزاءً من ثقافة الهنود وعلومهم.

ت– اللّغات المُتَرْجَم منها وإليها، تعددّت اللّغات المستعمَلة في التَّرجمة، ويمكن توضيح ذلك في الآتي:

_ التّرجمة من الفارسيّة[2] والسُّريانيّة واليُونانيّة:

تمكّن حُنَيْن بن إسْحَاقَ الْعِبَادِيُّ(ت 260هـ/874م) من معرفة اللّغات، فكان على حدِّ قول ابن أبي أُصَيْبِعَة أَعْلَم أهلَ زمانه باللّغة اليونانيّة والسُّريانيّة والفارسيّة والدِراية فيهم، ممّا لا يعرفُه غيره من النَقَلة الَّذين كانوا في زمانه، مع ما دَأَبَ فيه أيضًا من إتقان العربيّة والاشتغال بها حتّى صار من جملَة المتميّزين فِيهَا، ونَقْلُ حنين كان عادةً ما يكون من السُّريانيّة إلى اليونانيّة، ثمّ يقوم بالتّرجمة إلى العربيّة[3]، أو يُكلِّف أحد من تلامذته بذلك تحت إشرافه ومراجعته[4]، وكان اختياره من طرف المأمون لترجمته كتب اليونانيّين هو لعدم وجود من يُضاهيه في نقْلِه لكُتبهم ولتمَكُّنه وبَراعتِه في لُغتهم الّتي تعلّمها بالإسكندريّة ليعْمَل على توضيح معاني أبُقراط وجالينوس وتلخيصِها[5].

وقد ترجم حُنَيْن إلى اللغة السُّريانيّة ثمّانية وخمسين مصنَّفًا من مصنّفات جالينوس، وإلى العربيّة وحدها اثنا عشرًا مصنَّفًا، وإلى السُّريانيّة، ثمّ إلى العربيّة اثنين وعشرين مصنّفًا[6]، وحفظ لنا الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أسماءً كثيرة ممّن أتقنوا اليونانيّة والسُّريانيّة من ذلك الطّبيب سُرْجُس الرَّأْس عَيْنِي الّذي كان أوّل

---

[1] كَلِيلَة ودِمْنَة، هو كتابٌ في إصلاح الأخلاق، وتهذيب النفوس، وضعه بِيدْبا الفيلسوف الهندي لدابشلم، ملك الهند، وهو كتابٌ على ألسنة البهائم والطيور تنزيهًا للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها. أنظر، حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج6، ص94.

[2] اللغات الفارسيّة؛ الفهلويّة والدّريّة والفارسية والخوزيّة والسريانيّة، فأمّا **الفَهْلَويّة** فمنسوبة إلى فَهْلَه، اسمٌ يقع على خمسة بلدان؛ وهي أصفهان والري وهمذان وماه نهاوند وأذربيجان، وأمّا **الدّريّة**، فلغة مدن المدائن، وبها كان يتكلّم مَنْ بباب الملك، وهي منسوبة إلى حاضرة الباب، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بَلخ، وأمّا **الفارسيّة** فتكلّم بها المَوَابدة والعلماء وأشباههم وهي لغة أهل فارس، وأمّا **الخوزيّة** فبها كان يتكلّم الملوك والأشراف في الخَلْوة ومواضع اللعب واللذّة ومع الحاشية، وأمّا **السريانيّة** فكان يتكلّم بها أهل السَواد والمكاتبة في نوعٍ من اللغة بالسرياني فارسي. أنظر، ابن النديم، المصدر السابق، ص ص 24، 25.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص259.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص282.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص262.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، مقدّمة كتاب عيون الأنباء، تح: النجّار، ج1، ص50.

من نقَل من اللّسان اليوناني إلى السرياني[1] ، وأتمّ نقْلَه من السُّرياني إلى العربي مُوسَى بنُ خَالِد التُّرْجُمَان، وإن كانت أقلّ صحّةً ودقّةً من نقْلِ حنين[2].

وكان يوحنا بن بختيشوع طبيبًا متميّزًا، خَبِيرًا باللّغة اليونانيّة والسُّريانيّة وَنقل من اليوناني إلى السُّرياني كتبًا كَثِيرَة[3]، كما كان نَظِيف القِسّ الرُّومِي خبيرًا باللّغات، وكان ينقُل من اليوناني إلى العربي[4]، أمّا قِسْطا بنُ لُوقَا البَعْلَبَكي؛ فقد نقل كتبًا كثيرة من كتب اليونانيّين إِلَى العربيّة، وكان نقُله جيّد، وله فصاحةٌ في اللّسان اليوناني والسرياني والعربي[5]، وممّا لاشكّ فيه أنّ البَرامكة[6] أصحاب الوزارة في الدّولة العبّاسيّة لعبوا دورًا هامًّا في نشر الثّقافة الفارسيّة، ومن الشّخصيات الّتي ترجمت من الفارسيّة إلى العربيّة، ابن المقَفَّع(106- 14هـ /724- 759م)[7] الّذي ترجَم كتاب كليلة ودِمنة من اللُّغَة الفارسيّة إلى العربيّة[8]، وأيضًا آل نُوبَخْتْ، موسى ويوسف، ابنا خالد اللذَيْن كانا ينقلان من الفارسيّة إلى العربيّة، وكذا التّميمي كان ينقل من الفارسي إلى العربي[9].

- من الهنديّة إلى العربيّة:

لما كانت بعض مصادر الكتب المترجَمة تُجلَب من الهند، فإنّ العرب وجدوا من يُترجِم وينقُل لهم من هذه اللّغة، وقد خصَّص ابن أُصَيْبِعَة بابًا سمّاه "طبقات الأطبّاء الذين كانوا من الهند" وهو الباب الثاني

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص259.

2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص262.

3 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص276.

4 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص322.

5 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص329.

6 البَرامِكة: أسرة فارسيّة عريقة، وهناك من يرى أنّ أصولها إلى قبيلة الأَزْدْ العربيّة، وهؤلاء يرجعون إلى جدّهم بَرْمَك، الذي عاش في زمن الخليفة الأُموي عبد الملك بن مروان (26 هـ – 86هـ / 646 – 705م)، وقد اعتنقت هذه الأسرة الإسلام زمن الدولة الأمويّة وأصبح لها شأنًا كبيرًا في الخلافة العباسيّة، قال بعضهم الوزارة بَرْمكيّة، ثمّ سخط عليهم هارون فأفناهم، واختلفوا في السبب الذي حمله على ذلك. أنظر، المقدسي، البدء والتاريخ، ج 6، ص 104.؛ ابن الأثير، الكامل، ج 1، ص 298.؛ ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص 145.؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 189.

7 عبدُ الله بنُ المقَفَّع بن المبارك، أبو عمر البَصري، كاتبٌ، شاعرٌ، أحد النَقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، فارسي الأصل، نشأ بالبصرة، ووليّ كتابة الديوان للخليفة المنصور العباسي، وترجم له بعض الكتب، واتُهِم بالزندقة، فقتله في البصرة أميرها سفيان ابن معاوية المهَلَبي، وإنّما سمُّيّ المقفَّع لأنّه وليّ للحجّاج ولاية، فمدَّ يده وأخذ المال، فعذّبه الحجّاج حتّى تقَفَّعَتْ يدُه، وحرص على تأديب ولده عبد الله، وكان يجمع له العلماء، من آثاره: الأدب الصغير والأدب الكبير، والدُرّة اليتيمة والجوهرة الثمينة في طاعة السلطان. أنظر، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج12، ص164.؛ الذّهبي، سيّر أعلام النّبلاء، ج6، ص332.؛ الزِرِكلي، الأعلام، ج4، ص140.

8 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص413.

9 ابن النّديم، المصدر السابق، ص303.

عشر، فذكر أهمّ الأطبّاء الهنود، ممّن كان لهم دورًا في تنشيط حركة الطبّ وغيرها من العلوم في الحضارة الإسلاميّة، حاملين معهم بعضًا من تراث الهند ليُترْجِم وينقُل من الهنديّة إلى العربيّة أو من الهنديّة إلى الفارسيّة، ثمّ إلى العربيّة، وأتقنوا إلى جانب لُغتهم الهنديّة الفارسيّة والعربيّة مثال ذلك، ما قاله المؤرّخ ابن النديم عن الطَّبيب مَنْكَه الهندي الذي كان ينقُل من اللغة الهنديّة إلى العربيّة[1].

ولعلّ من أشهر المؤلّفات المنقولة من اللسان الهندي إلى العربي "كتاب السُّموم "لشَانَاق، كتاب شرك الْهِنْدِيّ الّذي نُقِل إلى اللِّسان الفَارِسِي، ثمّ إلى العربي، واعتمد عليه الطَّبيب الرّازي، في كتابه "الحاوي"، بعد أن تولَّى نقْلَه من الفارسي إلى العربي عبد الله بنُ علي، وهناك كتابٌ آخر عَرَّج عليه ابن أبي أُصَيْبِعَة وهو،" كتابُ المواليد"، لجودر الهِنْديّ، أخبرنا بأنّه نُقل إلى العربيّة، دون زيادة معلومات أخرى[2]، وهكذا تعرّف العرب والمسلمون على ثقافة وعلوم اليونان والفرس والهند، وسَعَوْا إلى ترجمة ونقْل كلِّ معرفة، حتّى تمكّنوا من استيعاب طبّ هذه الحضارات، ليبدأ عصرُ الإبداع الإسلامي في الطبّ وفي جميع المجالات.

3– الأطبّاء النّقَلة، مناهجُهم وصِفاتهم، انتقالُ أيُّ علمٍ من العلوم يتطلّب إيجاد مناهج خاصّة للقيام بتلك العمليّة أو العمليات، فكان لنقل الطبّ مناهجًا لدى الأطبّاء الذين اهتمّوا بنقل مصادره يمكن توضيحها في الآتي:

أ– أهمّ المترجِمين والكتب المترجَمة:

كان للمترجِمين الّذين انكّبوا على نقل علوم ومعارف الأقدمين أثرًا في ازدهار وانتعاش حركة التّرجمة الّتي أفرزت تطوّرًا وازدهارًا حضاريًا كبيرًا، فما وصل إليه العرب من تقدُّمٍ وازدهارٍ في شتَّى الميادين، كان وراءه جُهْد هؤلاء المترجِمين الذين حَظَوْا عند الخلفاء باهتمامٍ بالغ فقرّبوهم وآكَلوهم وشاربوهم وسامَروهم واعتمَدوا في حلّ المشاكل على آرائهم، وأغْدَقوا أموالًا طائلة، من أهمّهم:

–جُورْجس بن جِبْرَائِيل (ق2هـ/ق8م)، من أسرةِ آل بختيشوع، كان رئيس أطبّاء جَنْدي سابور، نظرًا لخبرته بصناعة الطبّ ومعرفته بالمداواة وأنواع العلاج، خدَم بصناعة الطبّ المنصور، بعد أن استدعاه، وهو مِن أوّل مَنْ ابتدأ في نقل الكتب الطبّيّة إلى اللّسان العربي[3]، حيث نقل للمنصور كتبًا كثيرة من كتب

1 ابن النّديم، المصدر نفسه، ص303.؛ ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص475.

2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص473، 474.

3 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص279.

اليونانيّين إلى العربي[1]، ولجُوزْجس من الكتب كُنّاشه المشهور، ونقَله حُنَين بن إسحاق من السُّرياني إلى العربي[2].

– يُوحَنَا بنُ مَاسَوَيْه (ت 243هـ/ 857م)، هو أبُو زكريّا، يحيى بنُ مَاسَوَيْه، كان فاضلًا طبيبًا مُقَدَّمًا عند الملوك، عالما مُصنِّفًا[3]، كان مسيحي المذهب سريانيًا قلّده الرّشيد ترجمة الكتب القديمة، ممّا وُجِد ببلاد الروم، حين سباها المسلمون ووضعه أمينًا على التّرجمة، وخدم هارون والأمين والمأمون وبقيّ على ذلك إلى أيّام المتوكّل على الله[4]، وله مؤلّفات عديدة[5].

– آلُ حُنَيْن:

أوّلهم وأشهرهم حُنين بن إسحاق العِبَّادِيّ، كبير المترجِمين، يكنَّى بـ"أبي زَيْد"، ولد سنة (194هـ/810م)، وكانت وفاته سنة(162هـ/779م)[6] تتلمذ على يدِ الطَّبيب يُوحَنا بنُ ماسويه وغادره بعدها لمدّة سنتين بعد أن طرده من مجلسه معاقبةُ له على كثرة سؤاله، وكَرَّها له على أنّه من أبناء تُجار الحِيرة[7] بقوله:" ما لأهلِ الحيرة ولتعلُّم صناعة الطبّ، صِرْ إلى فلانٍ قرابتك، حتّى يهَبَ لك خمسين درهمًا تشتري منها قفافًا صغارًا..."[8]، ثمّ أمَر به فأُخرج من داره فخَرَج حنين باكيًا مَكروبًا، وهذا بَعَثه على تعلُّم الطبّ وإتقانِ اللّغات، فأصبح أعْلَم أهل زمانه بالسُّريانيّة واليونانيّة والفارسيّة، أمّا العربيّة فذَكرت المصادر بأنّه لَازم فيها الخَلِيلُ بنُ أحمد الفَرَاهِيدي (ت170هـ/787م)، وهذا مُستَبْعد جدًّا[9]، وذكر ابن

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص183.

2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص186.

3 ابن النديم، المصدر السابق، ص357.

4 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص346.

5 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص255.

6 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص257.؛ ابن النّديم، المصدر السابق، ص352.؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج2، ص217.؛ كمال الدين ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي ت 660هـ)، بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب، تح: المهدي عيد الرواضيّة، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلاميّة، لندن، (1438هـ/ 2016م)، ج6، ص649.؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين، ج4، ص87.؛ الزركلي، الأعلام، ج2، ص287.

7 الحِيرة –بكسر الحاء المهملة، وسكون الياء المثنّاة من تحتها وفتْح الرّاء وبعدها هاء –هي مدينةٌ قديمة، كانت لبني المُنْذِر ومَنْ تقدّمهم من ملوك العرب مثل، عمرو بن عُدَيْ اللَخْمِي، وهو جدُّ بني المنذر، أنظر، ابن خلّكان، المصدر السابق، ج1، ص 206.

8 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، 258.

9 ذكر معظم مَنْ ترجم للطبيب حُنين خبرًا، مفاده أنّه تعلّم العربيّة على يد الخليل بن أحمد، وأنّه هو الذي أدخل كتاب العَيْن إلى بغداد، وهذا يتناقض تمامًا مع الواقع، فبعد أن أخطأ سابقوا الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعة في هذا الطرح، على غِرار ابن جلجل(ت بعد 377هـ/988م)، في كتابه طبقات الأطباء والحكماء، والقفطي (ت 646هـ/1249م)، في كتابه أخبار العلماء بأخيار الحكماء، وكذلك العبري، وقع الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعة في نفس الخطأ،

أبي أُصَيْبِعَة أيضًا اشتغاله في العربيّة مع سِيبُوَيْه(ت180هـ/796م)[1]وغيره، ممّن كانوا يشتغِلون على الخليل بنُ أحمد، وأكّد على قُبوله وتسليمه بصحّة هذه المعلومة بقوله :"وهذا لا يُبْعَد، فإنّهما كانَا في وقتٍ واحدٍ على زمان المأمون"[2]، وهذه هفوة أخرى وقع فيها ابن أبي أُصَيْبِعَة.

خدم الطَّبيب حُنَين جبرائيل بن بختيشوع، طبيب المأمون الذي تميَّز وبَرَع فنال منه الاحترام وتوقَّع له مستقبلًا علميًا باهرًا، وكان يقول بأنّه سيفْضَحُ سابِقيه في التّرجمة وسيكشف ما وَقَعوا فيه من أخطاء[3]، ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتّى ذُهِل منه الجميع لدقَّة عباراته ووضوح معناها وجَمال أسلوبها، فذاع بذلك صَيْتُه عند الخليفة المأمون لكثرة السّماع عنه، من خلال طبيبه جبرائيل الّذي كان يَثْنِي عليه ويمدحُه في مجلس الخليفة، فاختاره المأمون بمَعِيّة مترجِمين آخرين بعد أن أَسَّس بيت الحكمة في بغداد للقيام بترجمة الكتب الوافدة إليه من بلاد الرّوم، فشَرَع في ترجمة كتب الفلاسفة اليونان إلى العربيّة، كما طَلَبَ منه مع إصلاحِ ما ينقُلُه غيره، حتّى صار حُنين هو المشرِف على شؤون التّرجمة في بيت الحكمة[4].

والظّاهر أنّ ترجماته من اليونانيّة إلى السُّريانيّة، كما ذكر المستشرق ماكس مايرهوف Max Meyerthof كانت تتمُّ غالبًا من أجل الأطباء والعلماء المسيحيّين في الدولة العباسيّة أمثال، جبرائيل ويوحنا وغيرهما، في حين كانت التّرجمة من اليونانيّة إلى العربيّة تتمُّ من أجل الخلفاء والأمراء والعلماء العرب والمسلمين، أمثال، المأمون والمتوكّل على الله، والوزير محمد بن عبد الملك الزَيَّات، وغيرهم[5]، ويظهر مجهودُه في سبيل ترجمة الكتب، أنّه ارتحل أكثر من مرَّة إلى بلاد كثيرة للحصول على كتب التّراث اليوناني الّتي كان يرْغَبُ في ترجمتها، كبلاد الرّوم وبلدان المشرق العربي وغيرها، فقد تنقَّل على سبيل المثال بين مدن العراق

ولم يلاحظ الفرق بين وفاة الخليل وولادة حُنين، حيث أنّ الخليل بن أحمد كان قد توفيّ سنة (170هـ/787م)؛ أي، قبل ولادة حنين بن إسحاق (194/260هـ-810هـ/874م)، وأخطأ أيضًا ابن أبي أُصَيْبِعة عندما لم يستبعد تتلمُذ حنين على يد سيبُوَيْهْ الذي توفيّ سنة (180هـ/796م).

[1] عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثمّ البصري، الملقّب "سيبُوَيْه"، إمام النُحاة، وأوّل مَن بَسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنّف كتابه المسمّى "كتاب سيبُوَيْه " في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، ورحل إلى بغداد، فناظر الكِسائي، وأجازه الخليفة الرشيد بعشرة آلاف درهم، وعاد إلى الأهواز فتوفيّ بها، وقيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الأربعين، وقيل: مات سنة ثمانين ومائة، وهو أصحّ. وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة. أنظر، الذهبي، سيّر أعلام النبلاء، ج7، ص 346.؛ الزركلي، الأعلام، ج5، ص81.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص262.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص259.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص260- 262.

[5] حنين بن اسحاق، مقدّمة المحقّق، من كتاب العشر مقالات في العَيْن، ماكس مايرهوف، ص29.؛ الشحات السيّد زغلول، السريان والحضارة الإسلاميّة، ص193.

والشام ومصر بحثًا عن نسخةٍ من كتاب (البُرهان) لـ (جالينوس)، ولكنّه لم يَظْفَر بعد هذا العَناء إلّا بنصفه في دمشق[1].

وعلى الرّغم من أنّ ترجمته من اليونانيّة إلى العربيّة والسُّريانيّة كانت تُغَطِّي الكثير من فروع العلم والمعرفة آنذاك، إلّا أنّها كانت تتركّز في ميدان الطبّ، فقد ترجَم مُعظم مؤلّفات الطَّبيب اليوناني (جالينوس) من اليونانيّة إلى السُّريانيّة والعربيّة، حيث ترجَم منها نحو خمسة وتسعين كتابًا إلى السُّريانيّة، ونحو تسعة وثلاثين كتابًا إلى العربيّة، وقام حنين بمراجعة وتنقيح بعض ما ترجمه تلاميذه وقد بلغت نحو ستّةِ كتبٍ تمَّتْ ترجمتها من اليونانيّة إلى السُّريانيّة، ونحو سبعين كتابًا تمَّتْ ترجمتها من اليونانيّة إلى العربيّة كما قام حنين أيضًا بمراجعة وتصحيح ما ترجَمه الأطباء القدامى من اليونانيّة إلى السُّريانيّة أمثال، سُرْجسْ الرَّأْس عَيْنِي وأيوب الرُّهَاوي، وغيرهما[2].

أمّا ما عُرف من أولاده في مجال ترجمة الكتب فهو، ابنه "أبو يعقوب، إسحق بن حنين" الّذي كان يلحَق أبيه في النّقل وفي معرفته باللّغات وفصاحته فيها[3]، يذكره المؤرّخ ابن خلّكان في قوله:" وكان يُعَرِّبُ كتب الحكمة الّتي بِلُغة اليونانيّين إلى اللّغة العربيّة كما كان يفعل أبوه، إلّا أّن الّذي يوجَد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام أرسطو طاليس وغيره أكثر ممّا يوجَد من تعريبه لكتب الطبّ"[4].

وأمّا مَنْ كان من عائلته ولم يكن من أولاده وعُرف عنه التّرجمة فهو "حُبَيْش الأعْسَم (كان حيا قبل 264 هـ)" ابنُ أخت حُنَيْن بنُ إسْحَق، ومنه تعلَّم صناعة الطبّ، يصفه حنين بأنّه ذكيّ مطبوعٌ على الفهم، غير أنّه ليس له اجتهاد بحسَب ذكائه؛ بل فيه تهاونٌ، وإن كان ذكاؤه مُفْرَطًا وذهنه ثاقبًا، ويذكر المؤرّخ القِفطي، أنّ كثيرا ممّا تَرْجَمه حُبَيْش نُسِب في العديد من المواضع لحُنين: "وقيل من جملة سعادة حنين صُحْبة حُبَيْش لَهُ، فإنَّ أكثر مَا نقَله حُبَيْش نُسب إِلى حنين، وكثيرًا مَا يرى الجُهّال شيئًا من الكتب القديمة مترجَمًا بنقل حُبَيْش، فيُظَنُّ منهم أنّ النّاسخ أخْطأ في الاسم ويغلُب على ظنّه أنّه حنين وَقَدْ صَحَفَ، فيَكْشِطه، ويجعلُه لحُنَيْن[5].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص260.

[2] حنين بن إسحاق، العشر مقالات في العين، مقدّمة المحقّق، ص28.؛ الحاشية رقم 1 من كتاب عيون الأنباء، تحقيق: عامر النجار، ص50.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص274.

[4] ابن خلّكان، المصدر السابق، ج1، ص205.

[5] القفطي، المصدر السابق، ص136.

ومن الكتب الّتي نقلها الطّبيب حُبَيْش الأعْسَم كتاب "تركيبُ الأدوية"، لجالينوس، نقَل منها سبع عشر مقالة[1]، وحُبَيْش هو الّذي تمَّم كتاب مسائل حُنين في الطبّ الّذي وضعه للمتعلِّمين وجعله مَدْخلًا إلى هذه الصّناعة، أمّا عن مؤلّفاته فقد ذكر له ابن أبي أُصَيْبِعَة "كتاب إصلاح الأدوية المسَهِّلة"، و"كتاب الأدوية المفردة"، وكذلك "كتاب الأغذيّة"، و"كتاب في الاستسقاء"[2].

–قسْطا بنُ لُوقَا البَعلبَكيّ (نحو 300هـ /نحو 912م)، على ما قال الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة فهو، طبيبٌ عُرِف بحَذْقِه ونُبْلِه في الفلسفة والهندسة والحساب والأعداد والموسيقى، كان في أيّام الخليفة المقتدر بالله (295–320هـ/ 908–932م)، وكان فصيحًا في اللّغة اليونانيّة، جيّد العبارة بالعربيّة، ونقَل كتبًا كثيرة من اليونانيّة إلى العربيّة، وامتاز بجودة النّقل وإصلاحه لنُقُولٍ ومؤلّفاتٍ كثيرة[3].

– ثابِتُ بْنُ قُرَّة (ت 288هـ/901م)، من الصّابئة المقيمين بحرّان وعمل فيها صَيْرَفِيًا[4]، ولما رآه محمّد بن موسى بن شاكر فصيحًا اصطحبه وعَلَّمه العلوم والطبّ، ووصَله بالخليفة المعتضد بالله وأدخله في جملة المنجّمين[5]، وبلَغ معه أجَلَّ المراتب وأعلى المنازل حَتَّى كان يجلس بحضرته في كلِّ وقتٍ، ويحادثُه طويلًا، ويُضاحكه، ويُقْبِلُ عليه دون وُزرائه وخاصَّتِه[6]، وقد عُرِف في مجال النّقل والتّرجمة، فكان جيّد النّقل إلى العربي، حَسن العبارة، وكان قويَّ المعرفة باللغة السُّريانيّة، وغيرها[7].

– يعقوبُ بنُ إسحاق الكِندي (ت256هـ/ 873م)، أبو يوسف، يعقوب بنُ إسحاق بنُ الصَباح، تميّز في الطبّ والفلسفة والحساب والهندسة والمنطق وعلم النجوم، درس في البصرة، ثمّ انتقل إلى بغداد، ارْتقت مكانته عند الخلفاء، فنال المنزلة عند المأمون والمعتصم بالله، وعند ابنه أحمد، كما عُدَّ من حُذّاق التّرجمة الأربعة، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة:" وقال أبُو مِعْشَر في كتاب المذكَرات، لشَاذَان حُذّاق التَّراجِمة في

1 القفطي، المصدر نفسه، ص105.

2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص276.

3 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص 329، 330.

4 لغة، مشتقّة من الصَّرف، وهو صَرف الذّهب والفضّة في الميزان؛ أي، فضل الدّرهم على الدّرهم، والدّينار على الدّينار، واصطلاحًا، وظيفة من وظائف كُتَّاب الأموال في الدّول الإسلاميّة، والصّرَّاف والصّرّيف والصَّيْرَفي هو، الذي كان يتولّى قبض الأموال وَصْرفِها ونقدها، والجمع "صَيَارف وصَيَارفة". أنظر، ابن سيده (أبو الحسن، علي بن إسماعيل المرسي ت 458هـ)، المخصّص، تح: خليل إبراهيم جفّال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1417هـ/ 1996م)، ج3، ص299.

5 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص295.

6 القفطي، المصدر السابق، ص93.؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدوّل، ص153.

7 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص295.

الإسلام أربعة[1]: حُنَيْن بنُ إسحَق، ويَعْقُوب بنُ إسحَاق الكِنْدِي، وثَابِت بنُ قُرَّة الحَرَّانِي، وعمَر بنُ الفَرْخَان الطَّبَرِيّ"[2]، إلّا أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يذكره في الباب الّذي خصّصه لذكر النّقلة، واكتفى بذكر أنّه ترجَم من كتب الفلسفة الكثير، وأوْضَح منها المشْكَلْ، ولخَّص المستصْعَب، وبسَّطَ العوِيص، وأنّه لم يكن في الإسلام فيلسوفٌ غيره احتذى في تواليفه حَذْوَ أرسطوطاليس، مبيّنًا أنّ أكثر اهتمامه كان في الفلسفة[3]،إلّا أنّ ما يمكن قوله باختصار، أنّ الكندي كان مدرسةً ترجمتْ الكتب، ولخّصت المطوَّلات، وبسَّطت العسير، ونشَرت العلوم[4].

ب- مناهج المترجِمين:

تختلف مناهج المترجِمين، حسب ما أورده ابن أبي أُصَيْبِعَة، حيث هناك مَنْ اكتفى بالنّقل، وهناك من نقَل وشرَح، ويوجد من نَقَل وأضاف، كما يوجد من نَقَل، ثمّ اختصَر، وبعضٌ من المترجِمين مَنْ ترجم كلامًا معيَّنًا دون نقلِ الكتاب كلِّه، وقام بعض المترجِمين في النَّظر في التّراجم السّابقة ومراجعتها وتصحيحها، ومن خلال هذا سنقوم ببسْط بعض الأمثلة عمّا أورده الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة.

من مناهجهم نقْل الكتب دون إضافاتٍ، حيث نجد أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة عند ذكْره بعض النصوص عن الكتب المنقولة من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى، يكتفي بقوله "نقَل، نقَله إلى، مَنْ نَقَلَه" ومثال ذلك عند حديثه عن أحد مؤلّفات الطَّبيب يُوحَنَّا بنُ سَرَابْيُون[5] والمقصود هنا "كُنّاشه الصَّغِير" ذكر:" ليوحنّا بن سرابيون من الكتب كنّاشه الصّغير، وهو المشهور سبع مقالات، ونقله الحَدِيثِي الكاتب لأبي الحَسَن بنُ نَفِيس[6]

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص286.

[2] عمر بن الفرخان الطبَري (ت200هـ/816م)، فلكيٌ، حكيمٌ، من مؤلّفاته: كتاب القرافات وتحويل السِنين، كتاب المسائل، كتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم في خطوط الكواكب، كتاب المحاسن، وتفسير الأربعة مقالات لبطْلَيموس، من نقل أبي يحيى بن البَطْريق. أنظر، عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين، ج7، ص304.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص286.

[4] رحاب خضر عكاوي، المرجع السابق، ص175.

[5] يُوحَنا أو يحيى بنُ سَرَابْيون بنُ إبراهيم الاكبر؛ المعروف بالدمشقي، من معاصري الطبيب أبو بكر زكريا الرازي، له في الطبّ كتابٌ ألّفه باللّغة السّريانيّة سمّاه "كُنّاش"؛ أي، المحوش، ترجمه إلى العربيّة اثنان هما، موسى بنُ إبراهيم الحادِثي وابن بهلول فنديك. أنظر، إدوارد كرينليوس، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص217.

[6] أبو الحسن بن نفيس الملطي (ت404هـ/1014م)، كان أحد رؤساء المتطبّبين، وهو أستاذ ابن بَكْس، لم يترجم له ابن ابي أُصَيْبِعة. أنظر، ابن عساكر (أبو القاسم، علي بن الحسن ابن هبة الله ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، وذِكر فضلها وتسمّيّة مَنْ حَلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح: محبّ الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، (د ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1415هـ/ 1995م)، ج5، ص459.

المتطبّب في سنة(318هـ/930م)، وهو أحسن عبارة من نَقْل الحَسَنُ بنُ البَهْلُول[1]، ونقَله أيضًا أبو البِشر مَتَّى[2]"[3].

ومن مناهج المترجِمين نقْل الكتاب وشرحِه؛ من ذلك أنّ حنين بن إسحاق ذكر بأنّه بذل مجهودًا في فهم وشرْح "كتاب الأدوية المكتومة" لجالينوس، في قوله: "فساعدتُ نفسي فيه بحَسَب الإمكان والطاقة وقابلتُ به على التجارِب التي اجتمعتْ عندي وفسَّرْتُ ذلك إلى العربي"[4]، وممّا ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة أيضًا، في شرْح الكتب بعد ترجمتها؛ الشرْح في الحَواشِي مثال ذلك، كتاب تَقَاسيم أيسَاغُوجِي وقَاطيغُوريَاس[5] الّذي تمّ نقْله من السرياني إلى الْعَرَبِيّ الحسن بنُ سِوار بنُ بَابَا، وشرحَه على طريق الحَواشي[6].

كما وجدنا النَّقْل مع الزّيادة، فقَد نقل مَاسَرْجيس كُنّاشُا، لأَهْرُن القِسّ، يحتوي على ثلاثين مقالة من السُّريانيّة إلى العربيّة، وزادَ عليه مقالتين[7]، وعلى العكس من ذلك نجد مَن ينقُل ويختصِر؛ يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ حنين بن إسحق اختصر كتاب جالينوس في الأدوية المفردة بالسُّريانيّة، ثمّ نَقَل منه الجزء الأوّل إلى العربي الذي يحتوي على خمسِ مقالات[8]، ومن مناهج المترجمين أيضًا هو ترجمة كلام مُعيَّن، وهو أشبهَ بما يقوم به الباحث اليوم من ترجمةٍ لبعض المعلومات في الكتب الأجنبيّة للاستعانة بها في بحثه، وهذا الّذي قام به الطَّبيب الرّازي الّذي نقلَ كثيرًا من كلام الإسكندرانيّين وبعض أطبّاء النّصارى، ممّن كانوا في أزمنتهم في كُنَّاشه الكبير الجامع المعروف بالحَاوي[9].

[1] الحسن بن البهلول الطيرهاني، النِسْطُوري، لغوي. من آثاره: معجم سرياني عربي، عاش في القرن الرّابع الهجري. أنظر، عمر رضا كحالة، معجم المؤلِّفين، ج3، ص210.

[2] أبو بِشْر مَتَّى بنُ يونس، وهو يونان، من أهل دَيْر قِنِي، توفيّ ببغداد سنة (328هـ/940م)، كان ذا منزلة علميّة مرموقة، فقد انتهت إليه رياسة المنطقيّين في عصره، فسّر الكتب الأربعة في المنطق، ومن كتبه: كتاب تفسير الثلاثة مقالات. أنظر، ابن النديم، الفهرست، ص ص323، 324.؛ حسن إسماعيل عبد الرازق، دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السَيْرافي والجُرْجاني، ط1، دار الطباعة المحمّديّة، القاهرة، (1411هـ/ 1991م)، ص15.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص158.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص149.

[5] هو عنوان الكتاب الذي وضعه فرفوريوس الصُوري ليكون مدخلًا للمقولات أو المنطق، وكلمة إيسَاغُوجي، لفظة يونانيّة؛ بمعني: المدخل أو المقدّمة، أمّا في ما يخصّ قاطِيغُورْياس باليونانيّة فمعناه المقولات وهو الكتاب الأوّل من كتب أرسطاطاليس في المنطق. أنظر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص165- 167.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص429.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص158.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص272.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص159.

ومن الأطبّاء مَنْ كان يُتَرْجم شفَويًا؛ أي يستحضِرُ قول المشاهير من الأطباء ويترجِمه، فقد كان الحكيم يعقوب بن سقلاب (ت625هـ/1229م) بمنزلة التُّرجمان المِسْتحْضِر لما ذكره جالينوس في سائر كتبه من صناعَة الطبّ؛ إذ كان متقنًا للّسان الرّومي، خبيرًا بلغته ونقْلِ معناه إلى العربي، ويذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة، أنّه عندما كان يتتلمذ على يديْه كان يمتلك بعض كتب جالينوس مَكْتُوبَة بالرومي مثل، حِيلَة الْبُرْء، والعِلَّل والأعراض، وَغير ذَلِك، كما أحالنا إلى منهجه في استحضار المعلومات وشرحها:" فكنتُ أرى من حُسْن تَأَتِّيه في الشرح وشدَّة استقصائه للمعاني بأحسن عبارة وأوجزِها وأتَمِّها معنًى ما لا يَجْسَرُ أحدُ على مثل ذلك ولا يقدِر عليه، ثمّ ذكر خلاصة ما ذَكره وحاصِل ما قاله، حتّى لا يبقى في كلام بقراط موضع إلّا وقد شرحه شرحًا لا مزيد عليه في الجوْدة، ثمّ إنّه يورد نصّ ما قاله جالينوس في شرحه لذلك الفصل على التوالي إلى آخر قوله، ولقد كنتُ أراجعُ شرح جالينوس في ذلك فأجدُه قد حَكى جُملة ما قاله جالينوس بأسْرِهِ في ذلك المعنى، وربّما ألفاظًا كثيرة من ألفاظ جالينوس يُوردها بأعيانها من غير أن يزيد فيها ولا يُنْقِص، وهذا شيءٌ تفرَّدَ به في زمانه"[1].

ومن المترجِمين مَن كان يُصحِّح المنقول ويُراجعه، وهذا ما تفرَّد وتميَّز به حُنَيْن بن إسحاق عن غيره من المترجِمين لتقدُّمِه من بعده وقَبله في مجال التّرجمة، فكان يُصْلِح نَقْل سُرْجسْ الرَأْسِي، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة:"فما وُجد بإصلاحِ حنين، فهو الجيّد وما وُجد غيرُ مُصْلح فهو وسَط"[2]، وعند اعتماد الخليفة المأمون على حُنَيْن بنُ إسحَاق، في نقلِ كتب الحُكَمَاء اليُونانيّين إلى العَربي طَلبَ مِنْه إصلاحَ ما ينقُله غيرُه[3]،وقد اعتمد على مترجِمين مساعدين، فكَانُوا يُترجِمون ويتصفح مَا ترجموا من أمثال، اصطَفْن بنُ بَسِيل، ومُوسَى بنُ خَالِد التُّرْجُمان[4]، ويذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة، أنّ كتاب ديسقُوريدس تُرْجِم بمدينة السلام في الدّولة العباسيّة، في أيّام جعفر المتوكّل، وكان المترجِم له اصْطَفن بنُ بَسِيل التّرجمان[5] من اللِّسَان اليوناني إِلَى اللِّسَان الْعَرَبِيّ، وتَصفَّح ذلك حنين بن إسحاق المترجِم فصحَّح التّرجمة وأجَازَها[6]، وممّن اعتمد عليهم

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص698.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص281.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص260.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص262.؛ ابن النديم، المصدر السابق، ص351.

[5] أوّل من نقل كتاب "الأدوية المفْردة" لدسقوريدس من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي اصطفن بن بسيل، وطريقته في الترجمة: أنّه إنّ عُلِم للمعنى الطبي اسمًا في اللسان العربي، ذكره باسمه العربي، وإنْ لم يعلم له اسمًا عربيًا، أبقاه على اسمه اليوناني رجاءَ أن يأتي بعده مَن يعرف لذلك المعنى، اسمًا عربيًا يناسبه، وبعد أن أتمّ ترجمته، عرضه على حُنين بن إسحاق، فصحّح الترجمة، وأجازها، ووصل هذا الكتاب إلى الأندلس، فكان الناس ينتفعون بما عُرِف اسمه في العربيّة إلى أيّام الخليفة عبد الرحمن الناصر. أنظر، محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، ط1، دار النوادر، سوريا، (1431هـ/ 2010م)، ج10، ص ص165، 166.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص493.

حنين أيضًا قَيْضَا الرُّهاوي الذي كان إذا كثُرت على حنين الْكتب وضَاق عليه الوقت، استعان به فِي نقلهَا، ثمّ يُصْلحها بعد ذلك[1].

ولعلّ من أهمّ خصائص التّرجمة عند حنين، أنّه كان يراجع دائمًا تراجُمه السّابقة، متحرّيًا الصّحّة والدّقّة، يقول عن ترجمته لكتاب جالينوس في الفِرَق:" ترجمتُه وأنا شابٌ ...من نسخةٍ خَطيّة مُشَوَّهة، ثمّ لما بلغتُ الأربعين من عُمُري طَلب إليّ تلميذي حُبَيْش أن أُصْلِحَها بعد إذْ كنتُ قد جمعتُ قدْرًا من المخطوطات اليونانيّة فقابلتُ تلك بعضها ببعض، حتّى صحَّتْ منها نسخةٌ واحدة، ثمّ قابلتُ بتلك النسخة السرياني، وصحّحتُها كذلك من عادتي أن أفعل في جميع ما أُتَرجِمه"[2]، أمّا ما ذَكر من مُصْلحين ومصحّحِين للترجمة مِن غير حُنَيْن في كتاب "عيون الأنباء وطبقات الأطبّاء"، فهو ثَابِت بنُ قرّة الّذي سبق ذكره، حيث كان يقف على نقْل تلميذه عِيسَى بنُ أسيّد (كان حيًّا 288هـ/901م) الذي كان ينقُل من السُّرياني إلى العربي، ويذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة، أنّ ثابتًا لما ألّف كتابه فِي الوَقفَات التي في السّكُون بالسُّريانيّة، قام تلميذه عيسى بن أسيد بنقله إلى العربيّة، وبدَوْره قام ثابت بإصلاحه[3].

وأحالنا ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى جانبٍ مهمٍّ جدًّا في ترجمة ونقل الكتب، حيث أبْرز لنا اختلاف المترجِمين في ذلك، فمنهم مَن كان يرى إمكانية نقْل الجزء المتوفِّر من الكتاب، ومنهم مَن كان حريصًا على إيجاد جميع الكتاب من أجل ترجمته؛ ومثال ذلك "كتاب البرهان" المكوَّن من خمس عشرة مقالة والّذي فُقدت أجزاء منه، يقول حنين :" ولم يقَع إلى هذه الغاية إلى أحدٍ من أهل دهرِنا لكتاب البرهان نسخة تامّة باليونانيّة، على أنّ جبرائيل قد كان عَنِيّ بطلبه عنايةً شديدة، وطلبتُه أنا أيضًا بغاية الطلب، وجُلْتُ في طلبه بلاد الجزيرة، والشام كلّها، وفلسطين ومصر، إلى أنْ بلغتُ إلى الإسكندريّة، فلم أجد منه شيئًا إلّا بدمشق، نحوًا من نصفه إلّا أنّها غير متواليّة ولا تامّة"[4].

وجد الطَّبيب جِبرَائيل جزءًا يسيرًا منه ترجَمَه له أيوب المعروف بالأَبْرَش، أمّا حُنَيْن فقد أبَى أن يُترجِمه لعَدَم تمام الكتاب لديه، يقول حنين:" أمّا أنا فلم تَطبْ نفسي بترجمة شيءٍ منها، إلّا باستكمال قراءتها، لِما هي عليه من النُّقصان والاختلال، وللطمَع وتَشَوُّقِ النفس إلى وجدان تمام الكتاب"[5]، إلّا

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص282.

[2] شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، ص134.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص298.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص146.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص147.

أنّنا نجده يفعل ذلك مع الكتب الّتي باليونانيّة، فنفْسُ الكتاب لما وجد أجزاءً منه بالسُّريانيّة ترجَمها[1]، وفي موضع آخر أورد ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ حُنَين لما وجد مقالةً واحدة من كتاب "فِيمَا يلْزم الَّذِي يَلْحَنُ فِي كَلَامه" لجالينوس الذي هو في سبع مقالات أبَى أن يترجَمها[2]، في حين نجد بعضًا من تلامذة حُنَين لا يتوانَ في ترجمة ما يجده من أجزاءٍ، من ذلك كتابٌ لجالينوس فِي الْأَسْمَاء الطبّيّة، جعله خمس مقالات، يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أن" حُبَيْش الأعسم ترجَم منه المقالة الأولى إلى العربيّة[3]، كما نجد بعضًا من النّقلة مَن يترجِم بقيّة أجزاء الكتاب غير المترجَمة من ذلك، كتاب حنين المعنون بـ" ثِمَّار تَفْسِير جالينوس لكتاب الْفُصُول لأبُقراط " الّذي جعله في سبع مقالات وألّفه بالسُّريانيّة، ونقَل حنين منه المقالات الأربع الأولى، أمّا باقي المقالات فنقَلها إِلَى العربي عِيسَى بنُ سَهْر بَخْت[4].

ت– تقيّيمُ ابن أبي أُصَيْبِعَة للمترجِمين:

ممّا لا شك فيه أنّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قد بذل جهدًا للاطّلاع على مختلَف المؤلّفات المترجَمة، وبهذا نجده يقدّم تعاليق وملاحظات حول ما تُرجِم؛ من حيث قوّة المترجِم وضُعْفِه، ومن حيث كميّة ما تُرجِم وأيضًا نوعيّة التّرجمة، فيعْمَد إلى المقارنة بين المترجِمين، ومن خلال تتبعنا لذلك وجدنا:

– **نوعية النّقل**، استعمل ابن أبي أُصَيْبِعَة العديد من المصطلحات الّتي تدلّ على نوعيّة التّراجُم بالنسبة للمترجِمين، والملاحَظ أنّه جعل حُنَين بن إسحاق في أغلَب المواضع هو النّمَوْذج الّذي يُقارِن به[5]، كما نجده في مواضع قليلة يقارن المترجِم بوالده[6]، مثال ذلك، أنّه لما ذكر إسحاق بن حنين بيّن أنّه يميل إلى ترجمة الكتب الحِكميّة مثل، كتب أرسطوطاليس، ويقارنُه بأبيه حنين الذي يهتّم بترجمة كتب الطبّ خاصّةً[7]، ويصف إسحاق في قوله:" كان أيضًا عالما باللغات التي يعرفهَا أبوه، وهو يلْحقُ به في النَّقل وكان إِسْحَق عَذْبُ العبارة، فصيحُ الكلام"[8]، وقال عن حُبَيْش الأَعْسَم :"ناقلٌ مُجَوَّد، يلحقُ بحنين

---

1 نفسه.
2 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص148.
3 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص146.
4 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص272.
5 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص 279–282.
6 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص280.
7 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص ص261، 262.
8 ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص274.

وإسحاق"(1)، وقال عن آخر: "كان صحيحُ النقل، ولم يكن عنده فصاحةٌ ولا بلاغةٌ في اللفظ"(2)، وممّا وُصِف به :"كان أيضًا متوسِّطًا في النقل"(3).

ومن مجالات المقارنة من حيث نوعية التّراجم يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة: "ووجدت بعض الكتب الستّ عشرة لجالينوس وقد نقلها من الرومية إلى السُّريانية سُرْجس المتطبب، ونقلها من السُّريانيّة إلى العربية موسى بن خالد التّرجمان فلمّا طالعتها وتأمّلت ألفاظها تبيّن لي بين نقلها وبين السّت عشرة الّتي هي نقل حنين تباين كثير وتفاوت بيّن، وأين الألكن من البليغ والثَرى من الثريّا"[4].

كما اعتمد الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة مصطلحات ليميّز بها نوعيّة التّراجُم، فمنها الجيّدة والصّحيحة والقريبة، والمتوسّطة(5)، وغيرها، وفي بعض المواضع لم يذكر أيًّا من ذلك.

جدول يوضّح تقيّيم الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة لنقل وترجَمة أهمّ المترجِمين:

نوعيّة التراجُم.	المترجِمين والنَّقَلَة.
غاية الجَوْدَة.	**حُنَيْن بنُ إسحَاق/ يَعْقُوب بنُ إسحَاق الكِنْدِي/ ثَابِت بنُ قُرَّة الحَرَّانِي/ عُمَر بنُ الفَرْخَان الطَّبريّ.**
جيّد / أَمْيَل للجودة.	**إسحَاق بنُ حُنَيْن/ حُبَيْش الأَعْسَم/ الحَجَّاج بنُ مطر/ قُسْطا بنُ لُوقَا البَعْلَبَكي/ بَسِيل المطْرَان/ اصْطَفَن بنُ بَاسِيل/ أيُّوب الرُّهاوي/ البطْرِيق/ أَبُو عُثْمَان بنُ سَعيد الدِّمَشْقيّ/ ثَابِت بنَ قُرَّة الحَرَّانِي/ يحْي بنُ عُدي/ أَبُو إسحَاق بنُ إبراهيم بنُ بُكس/ عَليّ بنُ إبراهيم بنُ بُكْس.**

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص279.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص280.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص282.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص262.

[5] تختلف التّراجم من حيث نوعيّتها، ومهما احتاجت إلى الإصلاح فهي أَقَلّ ضَرَرًا من تراجم أُخرى تخصُّ الأمور الشّرعيّة والدّينيّة، يقول الجاحظ: "هذا قَولنا في كُتب الهندسة، والتّنجيم، والحساب، واللُّحون، فكيف لو كانت هذه الكتب كتبُ دينٍ وإخبارٍ عن الله – عزّ وجلّ– بما يجوزُ عليه ممّا لا يجوز عليه، حتّى يريد أن يتكلّم على تصحيح المعاني في الطبائع، ويكون ذلك معقودًا بالتوحيد، ويتكلّم في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه، ويكون ذلك متضمّنًا بما يُجَوّزُ على الله تعالى، ممّا لا يَجُوز، وبما يُجَوِّز على النَّاس مما لا يَجُوز ...، والخطأ في الدِّين أضرُّ من الخطأ في الرِّياضة والصِّناعة، والفلسفة والكيمياء، وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم". أنظر، الجاحظ (أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكِناني ت 255هـ)، الحيوان، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1424هـ، ج1، ص ص54، 55.

حسن/ صحيح النّقل/ ليس بكثير الجودة/ خبيرٌ بالنّقل.	**هِلَال بنُ أَبي هِلَال الحِمْصِي/ يُوسف النَّاقِل/ نَظِيف القِسّ الرُّومي/أبُو الخَير الحَسَن بنُ سوار.**
قريبُ النّقل/ متوسّط/ لا بأس به.	**أيُّوب الأَبْرَش/ شَهْدِي الكَرْخي/ ابن شَهْدي الكَرْخِي/ زرُوبا بنُ مانحوه النَاعميالحِمْصِيّ/ أسْطَاث/ تدرس السنقل/ سُرْجُس الرَّأْسِي/ إبراهيم بنُ الصِّلْت/ ثَابت النَّاقِل/ أبُو يُوسف الكَاتِب.**
قليلُ النقل/ ليس له شُهْرة.	**أَبُو نَصْر بنُ نَاري بنُ أَيُّوب/ حيرون بنُ رابطة.**
لم يذكر.	**جُورْجس / عِيسَى بنُ يحْيَ بنُ إبرَاهيم/ مَاسرْجيس/ عِيسَى بنُ مَاسرْجيس/ فِثْيُون التُّرْجُمان/ مُوسَى بنُ خَالد التُّرْجمان/ يُوحَنا بنُ بخْتِيشُوع/ يحْيَ بنُ البطْرِيق/ قَيْضَا الرُّهَاوِي/ مَنْصُور بنُ بانَاس/ عبْد اليَشُوع بنُ بهريز/ أَمينُ الدَّولَة بنُ التّلمِيذ/ مَنْكَه الهِنْدِي.**

– **من حيث كمّيّة النّقل**، ذكر الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة مدى اهتمام المترجِمين والنَّقَلة؛ فكان كثيرًا ما يستعمل في ذلك مصطلحات تدلّ على الكمّيّة (أكثر نقْلًا، كثير النّقل، قليل النّقل، مُقلّ في النّقل...)، نحو قول ابن أبي أُصَيْبِعَة عن أحد الأطبّاء المترجِمين:" كان قليلَ النَّقْل ولم يُعْتَدْ بنقلِه كَغَيْرِهِ من النَقَلَة"، وقوله عن آخر:" نقَلَ كتبًا كثيرة"، ويقول عن موسى بن خالد التُرجمان:" وجدتُ من نَقلهِ كتبًا كثيرة"، وقال عن ثابت النَّاقِل:" ... وكان مُقِلًّا من النَّقْل"، وقال عن البطريق:" وَله نقلٌ كثيرٌ جيِّد ... وقد وجدتُ بنقله كتبًا كثيرة في الطبّ؛ كتبُ أبُقراط وجالينوس"[1].

– **صفات المُترجِم**، من خلال نصوص الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة نلاحظ، اهتمامه بجانبٍ مهمٍّ يخصّ شخصيّة المترجِم، وكان أوّل اهتمامه هو، مدى تمكُّن المترجِم من اللّغات مِن عدمِه، ومثال ذلك قوله "كان ناقلًا خبيرًا باللّغات"، وقوله "كان عالمِا باللّغات الأربع، غريبِها ومستعملِها العربيّة والسُّريانيّة واليونانيّة والفارسيّة"[2] ونجده يذكر عَكس ذلك، نحو قوله" وجدتُ نقْلَه كثير اللَحْنِ ولم يكنْ يعرِفُ علم العربيّة أصلًا"[3]، وكان يركّز على اللّغة التي يُتقنها المترجِم، نحو قوله " ناقلٌ جيِّد، عالمٌ باللّغات، إلّا أنّه

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص281.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص279.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص280.

بالسُّريانيّة خيرٌ منه بالعربيّة[1]،والذي يُبرز لنا مدى اطّلاع الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة على اللغات، وربّما معرفته لها، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة عن يحيى بن البطريق:"... وكان لا يعرف العربيّة حقَّ معرفِتِها، ولا اليونانيّة وإنّما كان لطينيًا يعرف لغة الرّوم اليوم وكتابتها، وهي الحروف المتّصِلة لا المنْفصِلة اليونانيّة القديمة[2].

وتركيز الطبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة على معرفة اللّغة يحيلنا إلى أهميّة ذلك، وما يؤكّد ذلك ما قاله الجاحظ محدّدًا بعض شروط التّرجمان "ولا بدّ للتّرجمان من أنْ يكون بيانه في نفس التَّرجمة، فيوزن عِلمه في نفس المِعرفة، وينبغي أن يكون أعْلم النَّاس باللُّغة المنقولة والمنقول إليها، حتّى يكون فيهما سواء وغاية"[3].

أمّا الجانب الآخر الذي أحالنا إليه الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة الذي يخصّ صِفة المترجِم هو الاجتهاد، فحُنين بن إسحاق لم يصل إلى تلك الدرجة إلّا باجتهاده في تحصيل اللغات أوّلًا، ثمّ السعْي إلى إيجاد النُسخِ الأصليّة من مُختلَف الأقطار قصْد ترجمتها ثانيًا، وقد يكون التهاوُن والتكاسُل سببًا في طمْس القُدُرات، فها هو الطَّبيب الناقل حُبَيْش الأعْسَم قد تعلّم صناعَة الطبّ على حُنين، وكان يسْلُك مَسْلَكه في كلامه ونقْلِه وأحوالِه إلّا أنّه كان متهاونًا غير مجتهدٍ، فكان حنين بن إسحاق يلومُه على ذلك ويقول عنه، أنّه ذكيٌّ مطبوعٌ على الفهْم، غير أَنّه لَيْس له اجتهادٌ بحسب ذكائه؛ بل فيه تهاونٌ بالرّغم من ذكائه المفْرَط وذهنِه الثّاقِب[4].

وما يمكن أن نختم به حول هذا الموضوع أنّ الطَّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يكتف بذكر من ترجَم ونقل من الأطبَّاء وهو في خِضَّم الحديث عنهم؛ بل أفرد بابًا خاصًّا – الباب التاسع– عنونه " طبقات الأطبَّاء النَقَلة الذين نقلوا كتب الطبّ وغيره من اللّسان اليوناني إلى اللّسان العربي وذِكر الذين نقَلوا لهم"، كما ركّز على ذِكرِ القائمين والمشجّعين على عمليّة التّرجمة والنقل، مبرزًا دورهم وفضلهم، من خلال ما قدّموه من أُعطياتٍ وهِباتٍ مقابل ما يُتَرجَم لهم، وأحَالنا إلى أنّ القائمين على هذه العمليّة لم يقتصر على الخلفاء والوزراء؛ بل هناك شخصيات وأُسَرًا علميّة ساهمت في ذلك.

كما تعدّدت مصادر الكتب المترجمة، حيث كانت تُجلب من البلاد المفتوحة كبلاد الفُرس، ومن الأماكن التي تُعتبر مركزا للتّجارة كالهند... ومن أماكن أخرى كبلاد الرّوم وعمورية ...، ولغرض التّرجمة فقد كانت تُبذَل مجهودات كبيرة للحصول على النّسخ الأصليّة، فكان للمترجِمين الّذين انكبّوا على نقل

[1] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص281.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص282.
[3] الجاحظ، المصدر السابق، ج1، ص54.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر السابق، ص276.

علوم ومعارف الأقدمين أثرًا في ازدهار وانتعاش حركة التّرجمة التي أفْضَتْ إلى تطوّرٍ وازدهارٍ حضاريّ كبير، فما وصل إليه العرب والمسلمون من تقدُّمٍ وازدهارٍ في شتّى الميادين كان وراءه جهد هؤلاء المترجِمين ومن أهمّهم حُنَين بنُ إسْحَاق، ويَعقُوب بنُ إسْحاق الكِنْدِي، وثابت بنٌ قرّة الحرّاني، وعمر بنُ الفرخان الطبّري، وغيرهم.

المترجِمون لم يكونوا على منهجٍ واحدٍ في تراجُمهم؛ فمنهم من نقَل ومنهم من نقل وأتْبَع نقله بالشرح، ومنهم مَن نقل وأضاف، ومنهم اختصر الأصل، ثمّ قام بنقله، ومنهم مَن اكتفى بترجمة كلام معيّن، ومن المترجِمين من كان دوره مراجعة ما نقَل وترجَم ليقوم بتصحيحه، وما يُلاحظ أيضًا أنّ المترجِمين اختلفوا في الكتاب الذي يترجَم؛ فمنهم مَن اشترط ضرورة وجود جميع الكتاب، ومنهم من كان يرى إمكانيّة ترجمة الجزء المتوفِّر.

بذل الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة جهدًا كبيرًا للاطّلاع على مختلف المؤلّفات المترجَمة، وبهذا نجده يقدّم تعاليق وملاحظات حَوْل ما ترجَم، من حيث قوّة المترجِم وضُعفه، ومن حيث كمّيّة ما ترجَم وأيضًا نوعيّة التّرجمة، فيعْمَد إلى المقارنة بين المترجِمين، فجعَل حنين بن إسحاق في أغلب المواضع هو النّموذج الذي يقارن به.

ما يسْتنتَج أنّ التّرجمة العلميّة إذا ما توافقت مع ما يؤكّدُها من التّجربة، فذاك هو المطلوب فليست بعلومٍ شرعيّة، مع أنّ المسلمين لا يحتاجون استنباط علوم دينيّة من الآخر، لكمال الإسلام وقُدسيّته المطلقة، أمّا ما يُحتاج إليه في أمور الطبّ وغيره من العلوم فهو نقلُ الأفكار والممارسات العمليّة لأيِّ صناعةٍ، قد تحتاج التّطوير فيها، وقَبول الأصلح منها، وتعديل أو رفض ما يتعارض مع التّجربة.

أمّا ما أختم به هذا الفصل هو أنّ الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة وُفِّق إلى حدٍّ كبيرٍ في إيصال فكرة عن كيفيّة وجود صناعة الطبّ، وأوّل حدوثها، بما عرضه من آراءٍ مختلفة حول ذلك؛ (الإلهام الإلهي، الرؤيا الصّادقة، المصادفة، الاقتداء بالحيوانات، الإلهام ...)، وبما أضافه ترجيحًا بعد تفصيلٍ، فذكر أنّ كثيرًا ممّا وقع بالتجربة والاتّفاق والمصادفة أكثر ما حصّلوه من هذه الصّناعة، ثمّ تكاثَر ذلك بينهم، وبما أدّتهم إليه فطرتهم، فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء الّتي حصلت لهم بهذه الطرق أشياء كثيرة، ثمّ استخرجوا منها العِلّل، والمناسبات الّتي بينها، فكوّنوا بذلك قوانين كليّة ومبادئ منها يُبْتَدئ بالتعلّم والتّعليم، كما ذكر انتقال الطبّ عبر أبُقراط بعد أن كان محتكرًا في أسرة آل أسْقلَيْبيُوس.

كما أنّه أعطانا معلوماتٍ كثيرة حول بدايات الطبّ في المشرق الإسلامي، وبيّن علاقته وارتباطه بعديد العلوم كالحكمة والفلسفة، وعلم الفلك والتّنجيم والموسيقى، وأحالنا إلى بعض العوامل المساهمة في تطوّره، بدايةً من استغلال المدارس الطبيّة القديمة والاستفادة منها (الإسكندريّة، وجُنْدَي سابور، وحرّان ...)، ثمّ إلى الدّور الكبير الذي لعبه ممثلو السّلطة، من تقريبٍ للأطباء وتشجيعهم بمختلف الوسائل الماديّة والمعنويّة.

ومن الأمور الفعّالة في تطوّر الطبّ الإسلامي أيضًا؛ حركة التّرجمة؛ التي فصّل فيها ابن أبي أُصَيْبِعَة؛ فذكر رُوَّادها والقَائمين عليها مبرزًا صفاتهم العلميّة، ومدى تمكّنهم من التراجم الّتي نقلوها إلى اللسان العربي، وكذلك ذِكره للمؤلّفات الطبيّة المترجمة، وأحالنا إلى مناهج المترجمين فيها، وهذ كلّه حرصًا منه وتنويهًا إلى مدى أهمّيّة التّرجمة، وقد يكون ذلك باعثًا لجعله لها بابًا مستقّلًا في كتابه.

الفصل الثّالث

واقعُ الأطبّاء في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعَة (ت668هـ/1270م) –دراسة إحصائيّة ونقديّة–.

الفصل الثّالث: واقعُ الأطبّاء في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعَة (ت668هـ/1270م)–دراسة إحصائيّة ونقديّة–

أوّلا: تصنيفُ الأطبّاء، حسبما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة ما بين القرنين(1–7هـ/7–13م):

1– تصنيفُ الأطبّاء، حسب الإقليم الجغرافي.

2 – تصنيفُ الأطبّاء، حسب الفترة الزمنيّة ما بين القرنين (1–7هـ/7–13م):

أ– في العراق.

ب– في مصر.

ت– في الشّام.

ث– باقي المشرق الإسلامي.

3– تصنيفُ الأطبّاء، حسب الدّيانة (1–7هـ/7–13م):

أ– في العراق.

ب– في مصر.

ت– في الشّام.

ث– باقي المشرق الإسلامي.

ثانيا: ظـاهرة الأُسَرْ الطبّيّة وأشـهر الأطبّـاء في المشرق الإسلامي:

1– الأُسَر الطبّيّة في العراق.

2– الأُسَر الطبّيّة في مصر.

3– الأُسر الطبّيّة في الشَّام.

4– الأُسَرُ الطِّبّيَّة في أقَاليم المشْرِق الإسْلَامي الأُخْرى.

ثالثا: نكبات ومِحَنُ أطبّاء المشرق الإسلامي، وعلاقات الأطبّاء فيما بينهم.

1- مِحْنة وعقوبة الطَّبيب.

أ- الأسباب المُوجِبة للعقوبات.

ب- أنواع العقوبة.

2- علاقات الأطبّاء فيما بينهم.

أ- الصّداقة.

ب- التَّناظُرُ والتَّبَاحث العلميّ.

ت- التّحاسُد والتّشاجُر.

3- الأطبّاء والشِّعْر.

رابعا: العلاقات الطبّيّة بين أقاليم المشرق الإسلامي.

1- العلاقات الطبيّة بين العراق وبقيّة أقاليم المشرق الإسلامي.

2- العلاقات الطبيّة بين مصر وبقيّة أقاليم المشرق الإسلامي.

3- أثَرُ أطبّاء المغرب والأندلس في المشرق الإسلامي.

الفصل الثّالث: واقعُ الأطبّاء في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أَبي أُصَيْبِعَة(ت668هـ/1270م) –دراسة إحصائيّة ونقديّة–.

احتوى كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أُصَيْبِعَة على أكثر من أربعمائة ترجمة، أكثرها كان لأطبّاء المشرق الإسلامي الذين تواجدوا في أقاليمه بتباينٍ كبير، على مدى القرون السّبعة– أي، حتّى وفاة الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة–ممّا استوجب الخوض في واقعهم، من خلال رصد مواضع انتشارهم وتوزيعهم، سواءٌ حسب الأقاليم أو حسب الفترات الزمنيّة، ومن خلال دياناتهم، كما استوجب التطّرق إلى ظاهرة توارثهم للطّب، فيما يُعرف بالأُسر الطبيّة؛ إذْ تُعدّ ظاهرة بارزة ومستمرّة في المشرق الإسلامي.

كما أنّ الخوض في واقع الأطبّاء يؤدّي بنا إلى الحديث ومناقشة أيضًا بعض الجوانب الحياتيّة للأطبّاء كالعلاقات التي كانت بينهم، والتي اتّضحت أكثر من خلال اعتمادهم للشعر كوسيلة للتعليم أوّلًا، ثمّ كوسيلة لإظهار الأحاسيس المختلفة، فنجدهم يمدحون ويهجون ويفخَرون ويَرْثُون وغيرها من أغراض الشّعر، كما نجدهم يشدّون الرحال فيما بين أقاليم المشرق الإسلاميّ، فيتعلّمون ويعلّمون ويمارسون الصّناعة في الإقليم الذي ينتقلون إليه، كما وجب التعريج على علاقاتهم مع الحكّام التي غلب على أكثرها الإحسان والإكرام، مقابل التّفاني في الخدمة، وفي مرّاتٍ تعرّض الأطبّاء لمحنٍ ونكبات، اختلفت أسبابها، واختلفت معها طرق العقوبة، ولهذا فإنّ ما أسعى لذكره هو التفصيل فيما سبق من معلومات في مضامين هذا الفصل.

أوّلا: تصنيفُ الأطبّاء، حسبما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة ما بين القرنين(1–7هـ/7–13م):

من خصائص الطبّ العربيّ، كثرة الأطبّاء وانتشارهم في جميع حواضر وأقاليم العالم الإسلامي، باختلاف بلدانهم ودياناتهم ومعتقداتهم، فقد ساهم في تطوّر الطبّ العربي الفُرس والسريان والهنود، كما ساهم فيه النصرانيُ واليهوديُ والصابِئُ والمجُوسِيُ، إلّا أنّ القاسم المشترك هو تَدوينه بالعربيّة –ولهذا أجدُ عبارة "الطبّ العربي" –أقرب إلى الصحّة –، وفي كنف الحضارة الإسلاميّة، وذلك تحت رعاية السّلطة، من الخلفاء والحكّام الذين قدّموا الأُعْطيات وقرّبوا إليهم الأطبّاء، تطبيقًا لما يدعو إليه الإسلام من ضرورة طلب العلم والتزوُّد في كل مجالات المعرفة.

كما يصعُبُ ترتيب وتبويب الأطبَّاء الّذين ذكرهم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، حسب الإقليم أو حسب الجيل أو حسْب الدّين والمعتقد، فمن الأطبّاء مَنْ سكن في أكثر من بلدٍ مثال ذلك، الطَّبيب ابنُ

البَيْطار(ت 646هـ/1249م)؛ أصله من الأندلس وفيها وُلد، إلّا أنّه صَرَف معظم حياته الطبّيّة في مصر، واشتغل في الشّام إلى أن تُوفيّ بها[1]، ومنهم مَنْ عاش في قرنين فنجده عاش في أواخر قرنٍ وبداية آخر، فيصعُب تحديد عصْره، ومنهم مَنْ ذكرهم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، ولم يُفِدْنا بتاريخ ولادتهم أو وفاتهم، وكلَّما يُعْرَف عنهم أنَّهم وُلدوا أو اشتغلوا في عهد أحد الخُلفاء أو الأُمراء، وكذلك ديانة الأطبّاء فنجده يذكرها في تراجُم ويُسْقِطُها في أخرى دون ذكره لسبب ذلك، ونظرًا لهذه الصّعوبة فإنّ الإحصائيات التي أعمل على تقديمها تبقى قابلة للبحث أكثر، خاصّةً فيما يخصّ أقاليم بعض الأطبَّاء النَّقَلَة وكذا فترة حياتهم.

كما يجب أن أنوّه أنّ الترتيب في ذكر الإحصائيات الخاصّة بالأقاليم، جاءت بحسب ترتيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، في كتابه لطبقات الأطبّاء، فأخذت ترتيبه للأقاليم الكبرى؛ حيث ذكر أطبّاء العراق، ثمّ مصر وختم كتابه بأطبّاء الشّام[2]، وجمعت الأقاليم الأخرى تحت عنوان "باقي أقاليم المشرق الإسلامي"، وأقصد بذلك ما ذكره ابن أَبي أُصَيْبِعَة من أطبّاء للمشرق الإسلامي، من غير أطبَّاء العراق ومصر والشّام؛ أي، أطباء الباب الحادي عشر "الْأَطِبَّاء الَّذين ظَهَرُوا فِي بِلَاد الْعَجم"[3]، وأيضا أطبَّاء الباب الثَّاني عَشر "الْأَطِبَّاء الَّذين كَانُوا من الْهِنْد"، بالإضافة إلى ما ذكره من أطبّاء شبه الجزيرة العربيَّة.

1 – تصنيفُ الأطبّاء، حسب الإقليم الجغرافي:

أعمد في هذا العنصر إلى إحصاء عددِ الأطبّاء الّذين ذكرهم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في كتابه وتصنيفهم جغرافيًا، للوقوف على نِسْبَة أطبّاء المشرق الإسلامي من خلال الكتاب، ثمّ أذكر أطبّاء كلّ إقليم (العراق والجزيرة، العَجَم، الهند، مصر، الشَّام –حسب ترتيب أطبّاء الأقاليم في الكتاب–) ضمن المشرق الإسلامي، لمعرفة الحالة الطبّيّة في كلِّ إقليمٍ.

---

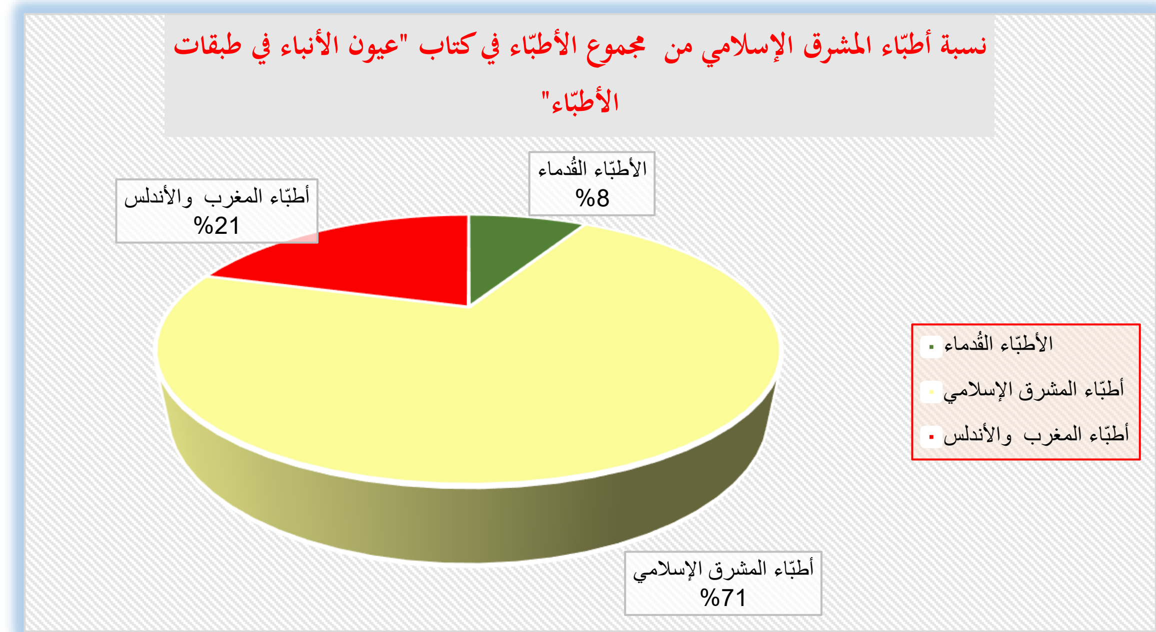
[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص601.

[2] لم يعتمد الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ترتيب الأقاليم، بحسب الفتح الإسلامي لها، والملاحظ في ذلك أنّه اعتمد على مدى تطوّر الحالة الطّبّيّة من حيث واقعها في كلّ إقليم، حيث بلغ الطّبّ ذروته في العراق في القرون الأولى، ليعرف فتورًا بداية من القرن(4هـ/10م)، مع بروزه في هذا القرن بقوّة في مصر، ويستمر في القرون اللّاحقة بشكل متذبذب، أمّا في بلاد الشام فقد شهد الطّبّ في القرنين(6و7هـ/12و13م)، تطوّرا ملحوظا من خلال عدد الأطبّاء ومن خلال تنوّع الخدمات، وهو ما يتّضح أكثر عند التّفصيل في ذلك.

[3] المقصود بالعَجَم، خِلَافُ العَرَب، من أهل الفرس كأقاليم الرَّي وشِيرَاز، بالإضافة إلى ما وراء النهر، كبُخَارَى وفَرَابْ وسَمَرْقَند، وبلاد كرِمَان، وبلاد الدَّيْلَم وما تبعها كجُرْجَان وطَبَرِسْتَان، وبلاد خُوزسْتَان وما تبعها كالأَهْواز، بالإضافة بَيْرُون وخُرَسَان ونَيْسَابُور وأَذْرِبيجَان وبلاد السِّنْد، وغيرها. أنظر، الحِمْيَرِى نَشْوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلوم، ج7، ص4381.؛ مجهول (ت بعد 372هـ)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: السيّد يوسف الهادي، (د ط)، الدار الثقافيّة للنشر، القاهرة، 1423هـ، ص114-159.

مجموع الأطبّاء	الأطبّاء القُدماء[1]	أطبّاء المشرق الإسلامي[2]	أطبّاء بلاد المغرب والأندلس.
433	36	308	89

التّمثيل البياني:



الملاحظ من محتوى كلٍّ من الجدول والدّائرة النِّسبيَّة وجود كمٍّ هائل من الأطبّاء في هذا الكتاب، في المشرق الإسلامي وغيره؛ من القدماء اليونانيّين وكذلك من أطبّاء المغرب الإسلامي والأندلس، بمجموع أربعمائة وثلاثة وثلاثين(433) طبيبًا على الأقلّ، مع عدم ذكري لإحدى عشرة (11) ترجمةً، لكونها تخصّ بعض الشّخصيات المشجِّعة على الطبّ وليست لأَطِبَّاء، ما يُثْبت قيمة المجهود الذي بذله الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في جمع مادة كتابه هذا التي تخصّ أسماء الأطبَّاء وتَراجُمهم، والحصّة الأَكبر كانت من نصيب المشرق الإسلامي، حيث ذكر أكثر من ثَلَاثمائة(300) طبيبًا، ما نسبته واحد وسبعون بالمائة (71%)، مقسّمة على أقاليمِه المختلفة، في مدّةِ سبعة قرون، حتّى وفاة الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، ثمّ أطبَّاء المغرب الإسلامي والأندلس بعدد بلغ تسعة وثمانين (89) طبيبًا؛ أي، ما نسبته واحد وعشرون بالمائة (21%) من مجموع أطبّاء الكتاب، وفي مرتبة أخيرة الأطبّاء القدامى بعدد بلغ ستّةً وثلاثين طبيبًا (36)؛ أي، بنسبة ثمانية بالمائة(8%).

[1] منهم، تسعة عشر (19) طبيبًا، ذكر أسماءهم ولم يقدّم لهم تراجمًا وافيّة، حيث أوردهم ضِمن الأطبّاء القدماء زَمن الحكيم جالِينُوس.

[2] أحصيت معهم الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ووالده، باعتبار التَّرجمة غير المباشرة المستنتجَة، من خلال التَّراجُم الأُخرى، وَيَحْيَ النَّحْوِي، وأطبّاء شبه الجزيرة العربيّة؛ الحَرْث بن كِلْدَة الثَّقفي وابنه النَّضر، والطّبّيب ابن أَبي رَمْثَة التَّميمي، واستثنيت منهم، ما جاء في إحدى عشرة (11) ترجمة مختصرةً في باب الأطبَّاء النّقلة، لكونهم كانوا مشجّعين على النّقل والترجمة ولم يُعرَف عنهم أنّهم أطبّاء كالوَزير عَبْد المِلك الزَّيَات.

تنوّعت المصادر التي استقى منها الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة معلوماته، بحسب المترجَمِ لهم، فوجدته يعتمد على المؤلّفات اليونانيّة القديمة للتأريخ للأطبَّاء اليونانيّين القُدماء وكذا لنشأة الطبّ، ووجدته يعتمد على المؤرّخيْن؛ ابن جُلجُل(ت بعد 377هـ/بعد 987م)، والقِفطي(ت 646هـ/1248م) في التأريخ لأطبّاء الأندلس والمغرب الإسلامي، مع ملاحظة اختلاف تراجُم هؤلاء الأطبّاء في الحَجْم، من حيث أهميّة المترجَم له، فهناك تراجُمٌ تجاوزت العشر صفحات، وأخرى لم تتجاوز السَّطْر، خاصّةً في الباب المخَصَّص للأطبّاء النَّقَلَة.

أمّا فيما يخصّ توزيع الأطبّاء، حسب الأقاليم الجغرافيّة داخل المشرق الإسلامي، فهي صعبة لعدم اتّباع الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة نمطًا واحدًا، ولذكره كما قلت سابقًا لأطبّاء تواجدوا في عدّة أماكن، كما جاء تقسيمه لتراجمه في أبوابٍ، حسب الفترة الزمنيّة، وفي أبوابٍ أخرى، حسب المكان، ووضع بابًا للنَّقَلَة والمترجِمين أعاد فيه ذِكْر أطبّاءٍ وأضاف آخرين، بحُكم ارتباطهم بعنوان الباب، إلّا أنّني سأقسِّمُ الأطبَّاء الذين ذَكَرهم بحسب الفترة الزمنيّة على الأقاليم الّتي تواجدوا فيها، وأبْقي أطبّاء الأقاليم الأخرى كما وضَّحها الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، فتحصّلت على النتائج التّاليّة:

الإقليم	شبه الجزيرة العربيّة	العراق[1]	العجم[2]	الهند	مصر[3]	الشّام[4]
عدد الأطبّاء	03	143	25	06	59	72

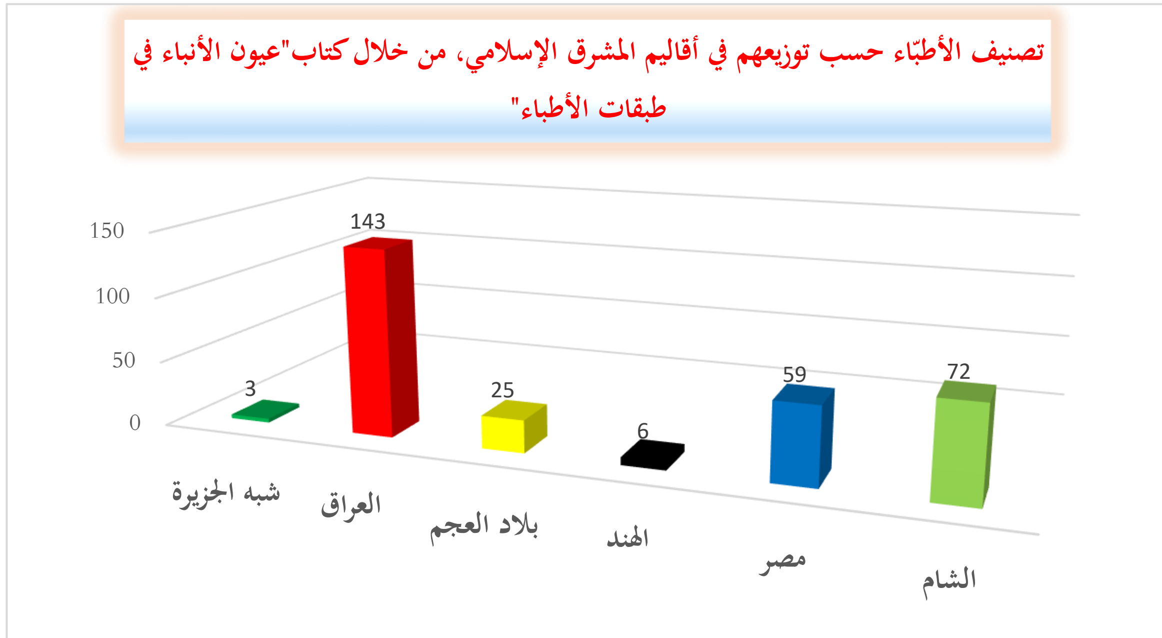
[1] أحصيت أطبّاء العراق والجزيرة وديّار بكر، حسبما ذكرهم الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة وعددهم ثلاثة وثمانون(83) طبيبًا، وأَضفت إليهم ما ذكر من أطبّاء سُريانيين تواجدوا في العراق وبالخصوص بغداد وعَددهم تسعة وثلاثون(39) طبيبًا، وكذلك ذكرتُ معهم الأطبّاء النّقلة الّذين لم يُترجم لهم في الأبواب الأخرى وعُرف عليهم ترجمة الكتب للخلفاء العباسيّين وعددهم واحد وثلاثون(31) طبيبًا، وأغلب هؤلاء لم أجد لهم معلومات دقيقة وعمدت إلى اعتماد الظّن لا اليقين، على سبيل المثال: "عائلة شَهْدي الكَرْخِي" الّتي لم أتحصل على معلومات تُفيدني في معرفة الفترة الزّمنيّة.

[2] ذكر الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، في الباب المخصّص لأطبّاء العجم أربعة وعشرين(24) طبيبًا، وطبيبٌ واحد ضمن النَّقلة.

[3] عدد الّذين ذكرهم الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، في الباب المخصّص لأطبّاء مصر 58 طبيبًا، كما أدرجت ضمنهم يَحْيَ النّحوي الطّبّيب الإسْكَنْدَراني الذي لحق بالصحابي عمرو بن العاص(ت43هـ/664م)، أمّا الاسم الآخر الّذي ورد ضمن الأطبّاء النّقَلة، فهو عَليٌّ، المعروف ب"الفيّوم"، ولم أجد له ترجمة، واعتبره الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ضمن المهتمّين والمشجّعين على النّقل والتّرجمة، فلا أعرف إنْ كان طبيبًا.

[4] في الباب الأخير، ذكر الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ستّين(60) طبيبًا للشّام، وأضفتُ معهم ابن أبي أُصَيْبِعَة ووالده، وسبعة(7) أطبّاء آخرين ذكرهم في الباب المخصَّص للأطبّاء الّذين ظهروا مع ابتداء الإسلام، وكانوا في العهد الأُمَوي من أمثال، ابن أثَال، وتِيَاذُوق، وحَكَم الدّمشقي وابنه، بالإضافة إلى ثلاثة أسماء أخرى وجدتهم في باب الأطبّاء النّقَلة.

التّمثيل البياني:



الملاحظ من الجدول ثمَّ من التَّمثيل البَياني أنّ الحصَّة الكبرى من الأطبَّاء كانت ببلاد العراق بمائة وثلاثةٍ وأربعين (143) طبيبًا، ثمّ بلاد الشَّام باثنين وسَبعين (72) طبيبًا، ومصر بتسعةٍ وخمسين (59) طبيبًا، وذكر خمسةً وعشرين (25) طبيبًا من بلاد العجم، وستّةٍ (06) أطبّاء من الهند، وثلاثة (03) أطبّاء من شبه الجزيرة العربيّة، كما أدمجت أطبَّاء ثلاثة أبوابٍ من الكتاب، وجعلنا انتماءهم للعراق، فمنهم منْ ذكرهم الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة على أنَّهم أطبَّاء العراق، وأضفنا لهم الأطبّاء السُّريانيّين الّذين تواجدوا كلُّهم في مدينة بغداد أطبّاء ونَاقلين للكُتُب، وهذا لمكانة بغداد في القرنين(3و4هـ/9و10م)، أي؛ في العصر العبّاسي الأوّل والثّاني، فكانت بغداد وِجْهة المتميّزين من الأطبّاء، نظرًا لإنعام الخلفاء عليهم وإكرامهم لهم.

كما احتلّت الشّام، مَسْقَط رأس الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة المرتبة الثّانيّة، من حيث عدد الأطبّاء المترجَم لهم، بتوفُّر المعلومات المكتوبة والشّفويّة، ونظرًا لعلاقاته ولقاءاته مع أطبّاء بيئته، فقد كان عارفًا بأخبار مشايِخه ومشايخ مشايخه، وكذلك بالنّسبة لمصر كانت له ولأسرته رحلات، ولذلك نجد له معرفة بتاريخ أطبّائها قريبِي وبَعِيدِي العهد به، وكان للمدارس الطبيّة المشهورة دورًا كبيرًا في وراثة الطبّ بالمشرق الإسلامي، كجُنْدَيْ سَابُور والإسكندريّة وأنطاكيّة وحَرّان، كما عُرِف لدى هذه الأقاليم ظاهرةُ الأُسَرِ الطبيّة الّتي تؤدّي إلى الاستمراريّة في إنتاج الأطبّاء.

والملاحَظ أنّه لم يغفل عن ذكر المشهورين من أطبّاء المشرق الإسلامي، من غير أطبّاء العراق ومصر الشّام، كأطبّاء العَجم، من الرَّي وطَبَرِسْتَان وأذربيجان وغيرها، وكذا أطبّاء الهند، ولعلّ أشهر مَن ذكرهم من بلاد العجَم، الطَّبيبين ابن سينَا، والطّبيب أبو بكر الرّازي، ولا أجده يُدْرِج أسماء كثيرة من الجزيرة

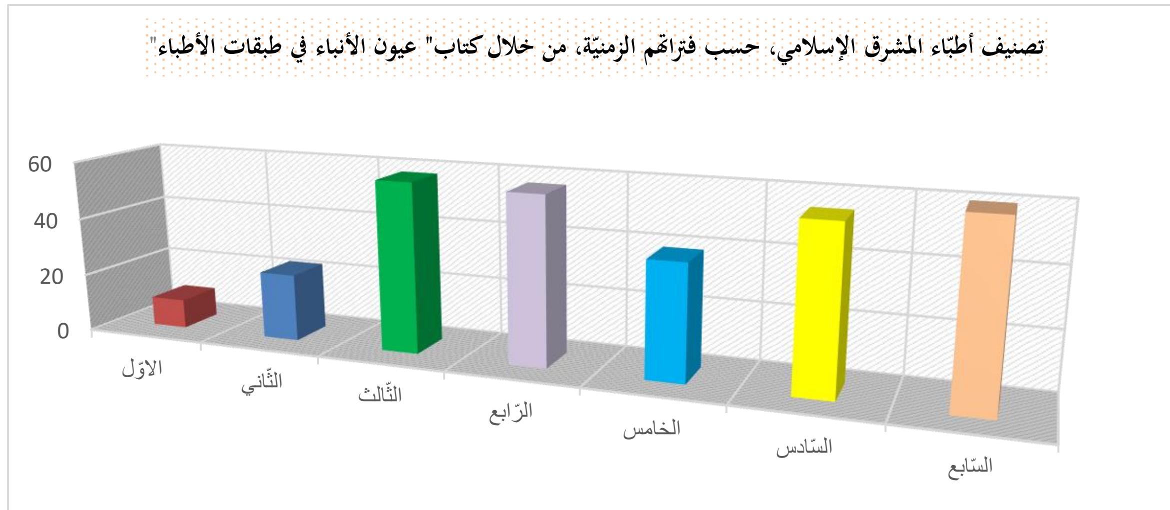
العربيّة، باستثناء الطَّبيب الحَرْث بن كِلْدة، وابنه النَضْر، والطَّبيب ابن أَبي رَمْثَة التميمي الذي كان طبيبًا على عهد رسول الله ﷺ.

2 – تصنيفُ الأطبّاء، حسب الفترة الزمنيّة ما بين القرنين (1–7هـ/7–13م):

وعند تصنيف الأطبّاء حسب توزيعهم، من حيث الفترة الزمنيّة السَّبعة القرون الأولى لمجال الدّراسة، وجدت إشكاليّة عدَم ذِكر تاريخ عديد من الأطبّاء عند الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة وعند غيره، وذلك في حدود ما بحثت فيه، فكان عملي يقتصر على إيجاد قرائن تدّل على الفترة الزمنيّة للطبيب، بخدمته لأحد الخُلفاء أو الأمراء أو بتَتَلمذه لدى طبيبٍ عُرِف زمانه أو من خلال حادثة تاريخيّة معيّنة، وما خلُصْت إليه، مبيّن من خلال الجدول التَّالي، لتبيان عدد الأطبّاء الّذين ذكرهم في كلّ قرنٍ في المشرق الإسلامي ككلّ، مع التّنويه إلى أنّه تمَّ إسقاط ستة أسماء لعدم التوصُّل إلى معرفة فتراتهم الزمنيّة[1]:

القرن	1هـ/7م	2هـ/8م	3هـ/9م	4هـ/10م	5هـ/11م	6هـ/12م	7هـ/13م
عدد الأطبّاء	10	23	58	57	39	55	60

التّمثيل البياني:



يلاحظ شُحًّا من حيث عدد الأطبّاء في القرن(1هـ/7م)، وبداية(2هـ/8م)، مقارنةً ببقيّة القرون، حيث ذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عشرة أسماءٍ لأطباء، بعضهم في عهد النّبي ﷺ من أمثال، الحَرْث وابنه النَّضْر، وبعضهم في العهد الأُمَوي كابن أَثَالْ، وتِياذُوق، وزَينب، طبيبة بني أَوْد، وأردّ ذلك لكونه عصر فتوحات، ومحاولة لضبط الحكم والقضاء على الصّراعات الدّاخليّة.

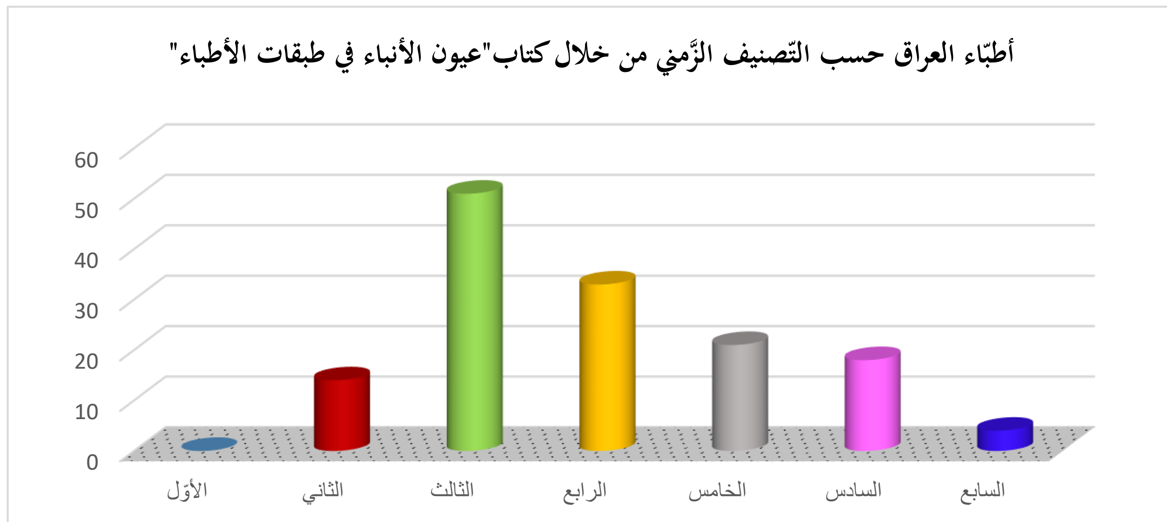
[1] الأسماء الّتي لم يتمّ إحصاءها؛ عائلة ابن شَهْدِي كَرْخِي المكوّنة من طبيبين وبَرْزَويه من أطبّاء العَجَم، وصَنجَهل، وشَانَاق، وجودَر، من أطبّاء الهند.

كما عَرفت الفَترة نهاية القرن(2هـ/8م)، و(3هـ/9م)، و(4هـ/10م) ازدهارًا علميًا شمل جميع المجالات، فكان الطِّبّ من بين أهمّ العلوم التي شهدت قفزةً نوعيَّة، بأطِّباء مشهورين ومؤلّفات موسوعيَّة، ومجالس تعليميّة طبيّة وترجمةٍ للكتب اليونانيّة والفارسيّة والهنديّة، وكانت مُرتكزة في بغداد خلال هذه الفترة، وتميّز القرنان(6هـ/12م)، و(7هـ/13م) بغزارةٍ في إنتاج الأطبّاء، خاصّةً في مصر والشّام، فذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أكثر من مائة وعشرة(110) طبيبًا في هذين القرنين، ويعود ذلك لنشاط الحركة الطبيّة، ولتوفّر المعلومات لديه ساعدته على ذكر أطبّاء عصره، وللتَّفصيل في ذلك أكثر وجب تصنيف الأطبّاء، حسب الفترة الزمنيّة في كلّ إقليم:

أ– في العراق[1]:

القرن	1هـ/7م	2هـ/8م	3هـ/9م	4هـ/10م	5هـ/11م	6هـ/12م	7هـ/13م
عدد الأطبّاء	00	14	51	33	21	18	4

التّمثيل بياني:



من مجموع أطبّاء العراق لم يشهد القرن الأوّل (ق1هـ/7م) تواجد أيّ طبيب لدى الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتاب "عيون الأنباء" لتركُّز الدَّولة الإسلاميّة في هذا القرن بين المدينة ودمشق، وعرف النصف الثّاني من القرن الثاني (ق2هـ/8م) بداية ظهور الأطبّاء مع وفود أطبّاء جُنْدَيْ سَابُور إلى العاصمة بغداد، حيث كان عدد الأطبّاء في هذا القرن أربعة عشر (14) طبيبًا، ليصل عدد الأطبّاء في القرن الثالث

[1] استثنيت طبيبَيْن لم أتوصّل إلى معلومات أو قرائن تحيل إلى فترتهما الزّمنيّة وهما، شَهْدي الكَرْخي، وابن شَهدِي الكَرْخِي.

(ق3هـ/9م) إلى أعلى مستوى، من حيث كميّة الأطبّاء المترَجم لهم عند ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى واحد وخمسين (51) طبيبًا، فعُدّ هذا القرنُ القَرنَ الذّهبي للطبّ في العراق.

ويُلاحظ مع بداية القرن الرّابع (ق4هـ/10م) انخفاض عدد الأطبّاء المترجَم لهم عند ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى ثلاثةٍ وثلاثين (33) طبيبًا، وظلّ هذا الانخفاض مستمرًّا حتّى القرن(7هـ/13م)، فكان عدد الأطبّاء في القرن(5هـ/11م) واحدًا وعشرين (21) طبيبًا، وثمانيّة عشر (18) طبيبًا في القرن (6هـ /12م)، ليصل إلى أقلّ عددٍ من الأطبّاء في القرن(7هـ/13م)، بمجموع أربعة (04) أطبّاء.

بالنّسبة للأطباء الّذين ذكرهم في الباب المخصّص للأطباء بالعراق وديّار بكر والجزيرة فعدَدهم ثلاثة وثمانون (83) طبيبًا منهم، أربعة عشر (14)طبيبًا في القرن(2هـ/8م)، وواحد وخمسون (51)طبيبًا في القرن(3هـ/9م)، وثلاثة وثلاثون (33) طبيبًا في القرن(4هـ/10م)، وواحد وعشرون(21) طبيبًا في القرن(5هـ/11م)، وثمانيّة عشر(18) طبيبًا في القرن(6هـ/12م)، وأربعة أطبّاء في القرن(7هـ/13م)، أمّا الأطبّاء النّقلة فعددهم عشرون(20) طبيبًا منهم، ستّة (6)أطبّاء عاشوا في القرن(2هـ/8م)، وثلاثة عشر (13)طبيبًا في القرن(3هـ/9م)، وطبيبٌ واحد في القرن(4هـ/10م).

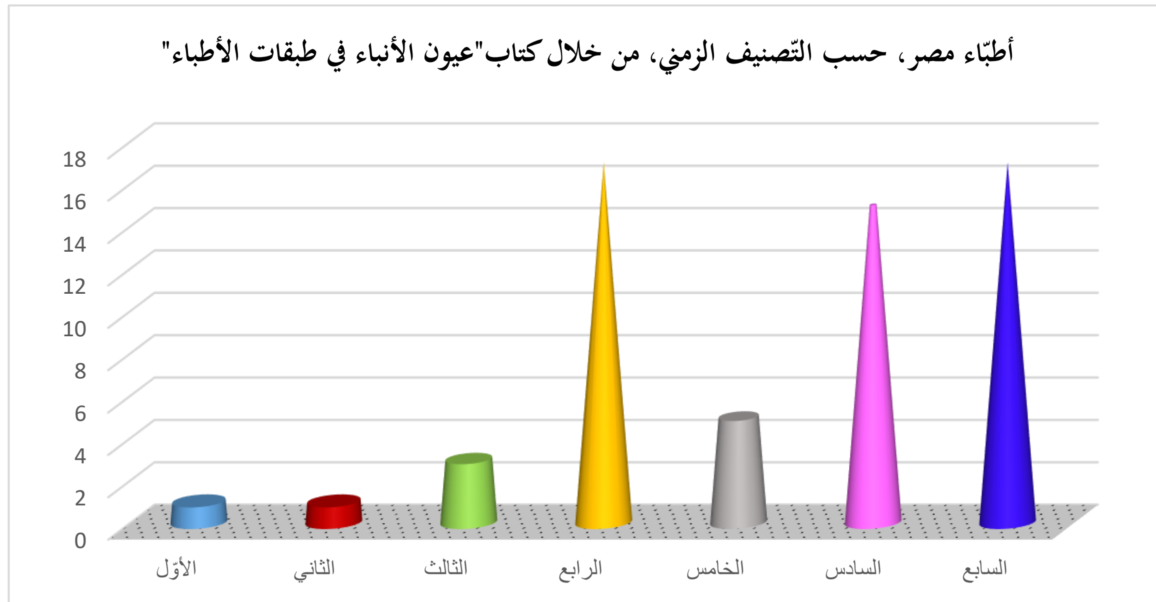
بالنّسبة للأطبّاء السُّريانيّين، فتصنيفهم زمنيًّا يصعب على الباحثين، خاصّةً إذا ما وجدنا كثيرًا منهم قد خَدَم في أواخر القرن(2هـ/8م) لدى الخلفاء العبّاسيين كهارون الرشيد، والاستمراريّة حتّى بداية القرن الثّالث عند أولاده ومن تَبِعهم من خلفاء، وكان منهجي في ذلك أن قمت بتصنيفهم ضمن أطبّاء القرن الثّالث؛ أي، حسب تاريخ وفاة الطّبيب، وكان عدد السُّريانيين تسعة وثلاثين(39) طبيبًا، منهم ثمانيّة(8) أطبّاء في القرن الثّاني الهجري، وثمانية وعشرون (28) طبيبًا في القرن الثّالث الهجري، وأغلبُهم كان له دور كبير في نهاية القرن الثّاني الهجري، كحُنَين بنِ إسحَاق، وطبيبان في القرن الرّابع الهجري، وطبيبٌ واحد عاش في القرن الخامس الهجري، من أُسْرَةُ آل بَخْتِيشُوع.

مثّل القَرن(3هـ/9م) في العراق قمّة الازدهار العلميّ والفكري لنشاط حركة التّرجمة والتعريب، وللدوْر الكبير الّذي قام به الخلفاء العباسيّين في هذه الفترة فالخليفة المأْمُون (198–218هـ/813–833م) مثلًا كان مهتمًّا بالأمور العلميّة والفلسفيّة، وكان يعقد مجالس للمناظَرة، ويبعث في طَلب الكتب، ويتصيَّد الكتب النّادرة ويدفع مقابل ذلك المبالغ الطّائلة، بالإضافة إلى ذلك نشاط بيت الحكمة في عصره.

ب– في مصر: أهمّ المعطيات المتوصَّل إليها، بخصوص توزيع الأطبّاء حسب فتراتهم الزمنيّة، نوردها في الجدول التّالي:

القرن	1هـ/622م	2هـ/8م	3هـ/9م	4هـ/10م	5هـ/11م	6هـ/12م	7هـ/13م
عدد الأطبّاء	01	01	03	17	05	15	17

التّمثيل البياني:



عرفت القرون الهجريّة الثّلاثة الأولى عددًا قليلًا من الأطبّاء، بمجموع خمسة (05) أطبّاء، بينما عرف القرن (4هـ/10م) ذِكر سَبعة عشر (17) طبيبًا، ثم قلّ عدد الأطبَّاء في القرن الذي يليه القرن(5هـ/11م) بشكلٍ كبير، بخمسة (05) أطبّاء فقط، ليشهد مرّة أخرى ارتفاعًا في عدد الأطبّاء في القرن(6هـ/12م) إلى خمسة عشر (15) طبيبًا، وفاق القرن(7هـ/13م) سابقه بفارق طبيبين، ليكون عدد الأطبّاء في هذا القرن سبعة عشر (17) طبيبًا، كما عرف القرن(3هـ/9م) في مصر تأسيس الدّولة الطُّولُونِيّة (254–292هـ/868–905م)[1]، على يد الأمير أحمد بن طولون، الّذي كان مهتمّا بالعلوم،

[1] الدَّوْلَةُ الطُّولُونِيَّة (254 –292 هـ/868 – 905م) هي أوّل دولة إسلاميّة تستقلّ بمصر، على يد أَحْمَد بن طُولُون (الذي كان أبوه مملوكًا تركيًا من تركستان، وكان رئيس حرس الخليفة المأمون)، حيث استقلّ أحمد بمصر وكوّن جيشًا عظيمًا فاستولى على بلاد الشام، بعد وفاة «أحمد بن طولون» خلفه ابنه "خُمَارَوَيْه"، فعمل على تجاوز تلك العقبات كي تتوطّد أركان دولته، وزوّج ابنته من الخليفة العباسى، "المعتضد بالله"، وظلّ واليًا على مصر والشَّام والجزيرة إلى أن توفيّ سنة (282هـ/ 895م)، لتبدأ مرحلة الانحلال في الدَّولة الطُّولُونِيَّة فسقطت سنة (292هـ/ 905م). أنظر، أبو عمر الكِندي (مُحَمّد بن يُوسُف المصري ت 350هـ)، الوُلاَة وكتاب القُضاة، تصحيح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيّين، بيروت، 1908م، ص212 وما بعدها.؛ كُرْد عَلي (محمد بن عبد الرزّاق بن محمّد، ت 1372هـ)، خطط الشّام، ط3، مكتبة النوري، دمشق، (1403هـ، 1983م)، ص171.

وخاصّة الطّبّ، وفيه أمدّنا ابن أبي أُصَيْبِعَة بترجمةٍ لخمسة أطبّاء، أربعة منهم كانوا أطبّاء للأمير أحمد بن طُولون.

ارتفاع عدد الأطبّاء في القرن الرّابع الهجري بمصر؛ طبيبان خدما حكّام الدّولة الإخشيديّة (323–358/ 935–969م)[1]، الأوّل نِسْطَاس بنُ جُرَيج (ق4هـ–10م) خدم مؤسّس الدّولة الأخشيد بن طغج، والثّاني الطّبيب البَالسِي(ق4هـ –10م) الّذي خدم الأمير كَافُور الإِخْشِيدِي، أمّا بقيّة أطبّاء القرن الرّابع وعددهم خمسة عشر طبيبًا (15) فكانوا في زمن الحُكم الفاطميّ على مصر (358–567هـ /969- 1171م).

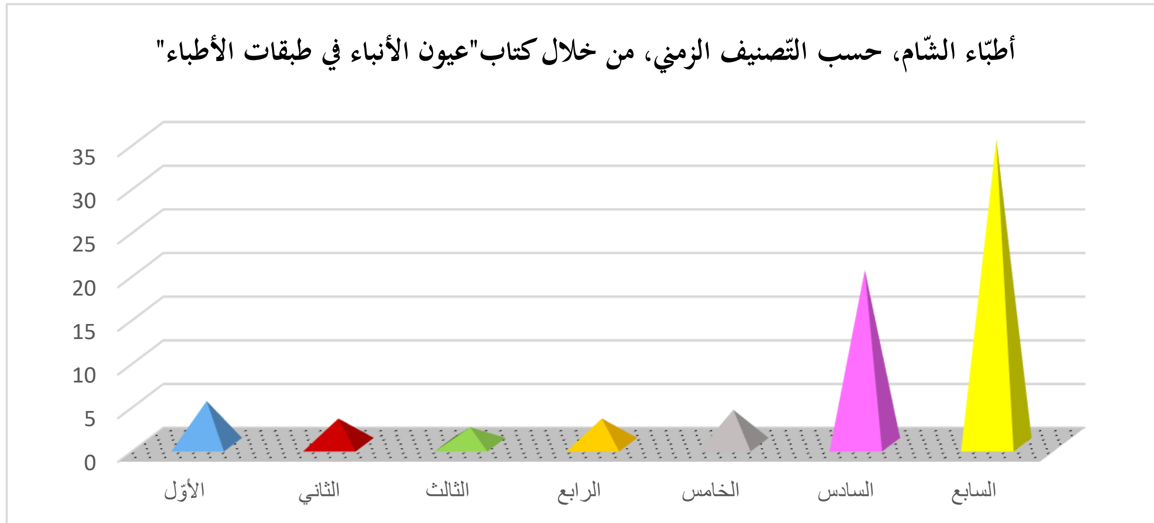
وعلى الرّغم من استمرار نفس الحكم –الفاطمي– في القرن (5هـ/11م) إلّا أنّني وجدت ابن أبي أُصَيْبِعَة يذكر خمسة (05) أطبّاء فقط، ثمّ يرتفع عدد الأطبّاء في القرن الّذي يليه (6هـ/12م) إلى خمسة عشر (15)طبيبًا، أربعة منهم زمن الخلافة الفاطمية، وإحدى عشر (11) طبيبًا في الحقبة الأيّوبية؛ أي، بعد سنة (567هـ/1171م)، ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة في القرن (7هـ/13م) سبعة عشر (17) طبيبًا أغلبهم في النِّصف الأوّل من هذا القرن، أي في الحقبة الأيّوبيّة، من أهمّهم أطبّاء أُسْرَةُ بنُ أَبي فَانَة(ق7هـ/14م)، الّتي تتكوّن من سبعة أطبّاء، والطبيب ضياء الدّين بن البيطار (ت646هـ/ 1248م).

ت– في الشّام: بعد القيام بأهم الإحصائيات توصّلت إلى النتائج التّالية:

القرن	**1هـ/7م**	**2هـ/8م**	**3هـ/9م**	**4هـ/10م**	**5هـ/11م**	**6هـ/12م**	**7هـ/13م**
عدد الأطبّاء	**05**	**03**	**02**	**03**	**04**	**20**	**35**

[1] الدولة الإخشيّديّة؛ نشأت في مصر (323هـ/934م)، وأصل الإخشيديين أتراك من فَرغَانَة في بلاد ما وراء النهر، مؤسّسها هو محمد الأخشيد بن طُغْج، ولّاه عليها الخليفة الرَّاضي، وقد ضمّت إليها بلاد الشام، ثمّ الحجاز، سقطت هذه الدّولة على يد الفاطميّين عام (358 هـ/968م)، من أبرز حكّامها، محمد الأخشيد بن طغج (323 – 334هـ/934 – 945م)، وأبو المسك كافور (مولى الأخشيد)(355- 357هـ/965 – 967م). أنظر، أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، (1417هـ/1996م)، ص232.

التّمثيل البياني:



الملاحظ من التّمثيل البياني أنّ القرنين(7هـ/13م) وبدرجةٍ أقلّ(6هـ/12م)شهدا وجود عددٍ كبير من الأطبّاء، وهو العصر الّذي عاش فيه الطّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، وقد يُستنتج من هذا أنّ هذين القرنين مثّلا العصر الذّهبي لتطوّر الحركة الطبيّة في بلاد الشّام، حيث برز عدد من الأطبّاء المشهورين بمدارسهم الطبيّة وبمؤلّفاتهم، حيث مجموع أطبّاء هذين القرنين بلغ خمسة وخمسين(55) طبيبًا، في حين مجموع أطباء القرون الخمسة الهجريّة الأولى سبعة عشر (17) طبيبًا، وهذا قد يحيل إلى الحالة الطبيّة في القرون الأولى الّتي كانت تعاني من شُحٍّ في كميّة الأطبّاء.

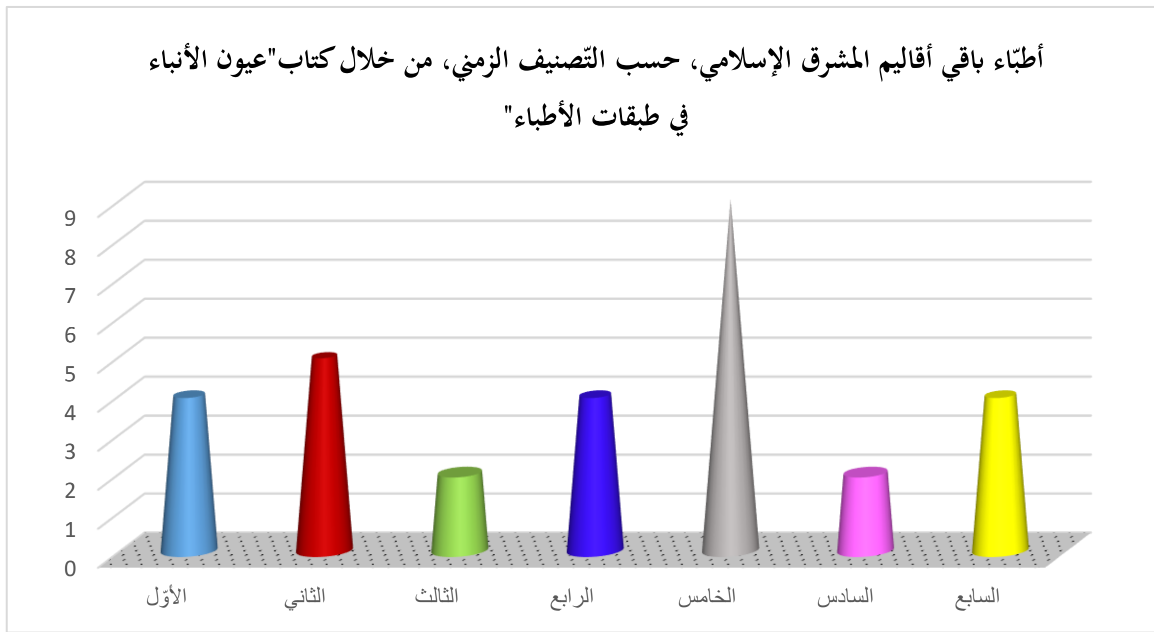
عرفت الحركة الطبيّة نشاطًا منقطع النّظير زمن الأيّوبيّين، ويُحْسَبُ هذا لأمراء الدّولة الأيّوبيّة وملوكهم(557–648هـ/1171–1250م)، لتقريبهم الأطباء وتشجيعهم، وبناء المؤسّسات والبَيْمَارِسْتَانَات، على الرّغم من الهجمات الصّليبيّة المتكرّرة (من الحملة الصّليبية الثّالثة (583–588هـ/1187–1192م) إلى الحملة الصّليبية السّابعة (646–652هـ/ 1248–1254م) والّتي لم يُرَ لها تأثير سلبيّ في الجانب العلمي؛ بل وأكثر من ذلك يلاحظ تمسّك الأطباء النّصارى بخدمة السّلاطين الأيوبيّين في فترة الحروب الصّليبيّة(491–690هـ/ 1098–1291م)، كمثال عن ذلك، كان للسّلطان صلاح الدّين الأيّوبي طبيب نصراني يعتمد عليه، يحترمه ويرى له، هو أبو الفرَج النَّصراني[1].

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، عيون الأنباء، ص661.

ث- باقي المشرق الإسلامي:

أدرج هنا الأطباء العَجم والهنود، بالإضافة إلى أطبّاء الجزيرة العربيّة[1].

القرن	1هـ/7م	2هـ/8م	3هـ/9م	4هـ/10م	5هـ/11م	6هـ/12م	7هـ/13م
عدد الأطبّاء	04	05	02	04	09	02	04



يلاحظ من الرّسم البياني تذبْذُبا في توزيع الأطبّاء حسب الفترة الزمنيّة، من خلال ما بسطه ابن أبي أُصَيْبِعَة من تراجم، أربعة (04) أطبّاء في القرن(1هـ/7م)، وخمسة (05) أطبّاء في القرن (2هـ/8م)، وطبيبان في القرن(3هـ/9م)، وأربعة أطبّاء في القرن (4هـ/ 10م) من أبرزهم الطّبيب، أبو بكرٍ محمَّد بن زَكريَّا الرَّازي (ت313هـ/ 925م)، وعُرف القرن(5هـ/11م) أعلى مستوى، من حيث عدد الأطبّاء بتسعة (09) أطبّاء، أبرزهم الطّبيب الشَّيخ الرّئيس ابن سِينا (ت428هـ/ 1037م)، ثمّ انخفض عدد الأطبّاء إلى طبيبين في القرن (6هـ/12م)، وإلى أربعة (04) أطبّاء في القرن(7هـ/13م).

[1] أستثني منهم، الطّبيب برِوزَيْه، لأنّه قبل الإسلام من أطبّاء العجم، وثلاثة أطباء من الهند لعدم التوصّل إلى معرفة القرن الّذي عاشوا فيه، وهم صنجهل وشاناق وجودر.

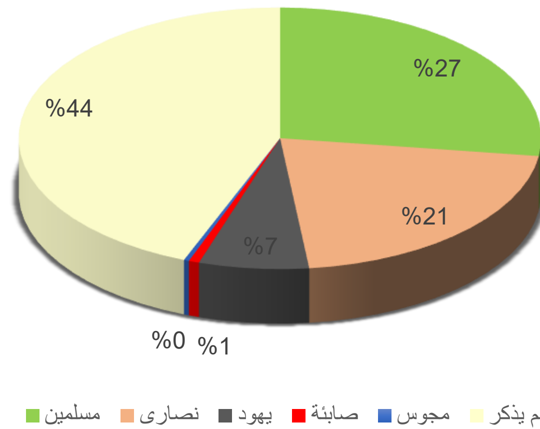
3– تصنيفُ الأطبّاء، حسب الدّيانة (1–7هـ/7–13م):

في محاولتي هذه لتصنيف الأطبّاء حسب الدّيانة، وجدت إشكاليّة عدم انتظام ابن أبي أُصَيْبِعَة عند ذِكره لديانة الأطبّاء فيذكرها في مواضع ويتجاوزها في مواضع أخرى، لذلك كان لزاما عليّ إضافة خانة بعنوان "لم يذْكُر" للجَدْول أسفله، مع استغنائه عن المصادر الأخرى لتِبْيان دِيانة الأطبَّاء الّذين ذكرهم في المشرق الإسلامي، واستنتاج ما يمكن استنتاجه:

الدّيانة	مسلمون	نصارى	يهود	صابئة	مجوس	لم يذكر
عدد الأطبّاء	84	65	21	02	01	136

التّمثيل البياني:

تصنيف أطبّاء المشرق الإسلامي، حسب الدّيانة، من خلال كتاب"عيون الأنباء في طبقات الأطباء"



التّحليل:

الملاحظ من الدّائرة النسبية أنّ ابن أَبي أُصَيْبِعَة، على الرّغم من أنّه لم يذكر المعتقَد والدّين لمائة وستّةٍ وثلاثين طبيبًا (136)؛ أي، بنسبة 44 بالمائة، إلَّا أنَّه فيما بقي من الأطبَّاء –مائة وخمسة وسبعون (175) طبيبًا–ذكر الدّين والمعتقد، موزّعين بالتَّرتيب على أربعة وثمانين(84) طبيبًا مُسلمًا، بنسبة 27 بالمائة، وخمسة وستّين (65) طبيبًا نَصرانيًّا؛ أي، بنسبة 21 بالمائة، أمَّا الأطبّاء اليَهود فعدَدهم واحد وعشرون(21) طبيبًا، بنسبة 7بالمائة، وذكر طبيبين من الصَّابئة، وطبيبًا واحدًا من المجوس، بنسبة لا تصل إلى 2 بالمائة لكلتَا الدّيانتين، وممّا لا شكّ فيه أنَّ هذه التفصيلات خضعت لتركيبة السكّان، فالنّسبة

الضئيلة جدًّا للأطبّاء المجوس والصابئة تنعكس على عددهم القليل في تركيبة مجتمع المشرق الإسلامي، إذا ما قورِنت بالنّصارى واليهود.

اهتمّ الطبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بذِكر ديانة الأطبّاء من غير المسلمين، خاصّةً من النّصارى واليهود من حيث إبرازه لدورهم الكبير في تنشيط الحركة الطبيّة في المشرق الإسلامي، بمؤلّفاتهم وبخَدماتهم للسلاطين والملوك، وقلّما ذَكر عن طبيبٍ ما أنّه مسلم صراحةً، حيث اعتمدت في تصنيف المسلمين، من خلال ما يذكره عن الطَّبيب من معلوماتٍ تفيد بأنّه مسلم، كأنْ يذكر المذهب الفقهي أو أنْ يذكر تدريسه بمدرسة تُعْنَى بتدريس العلوم الإسلاميّة أو أنْ يقول –رحمه الله– لاختصاص هذا الدّعاء بالمسلمين، وغيرها من القرائِن، كما أنّني لم أصَنِّف الأطبّاء الّذين لم يذكر أيَّ معلوماتٍ عنهم فيما يخصّ المعتقَد، من خلال ما نعرفه عن ديانة الطَّبيب، ومن خلال ما ذكرتْه المصادر الأخرى، فاكتفيت بإدراج خانة "لم يذْكُر".

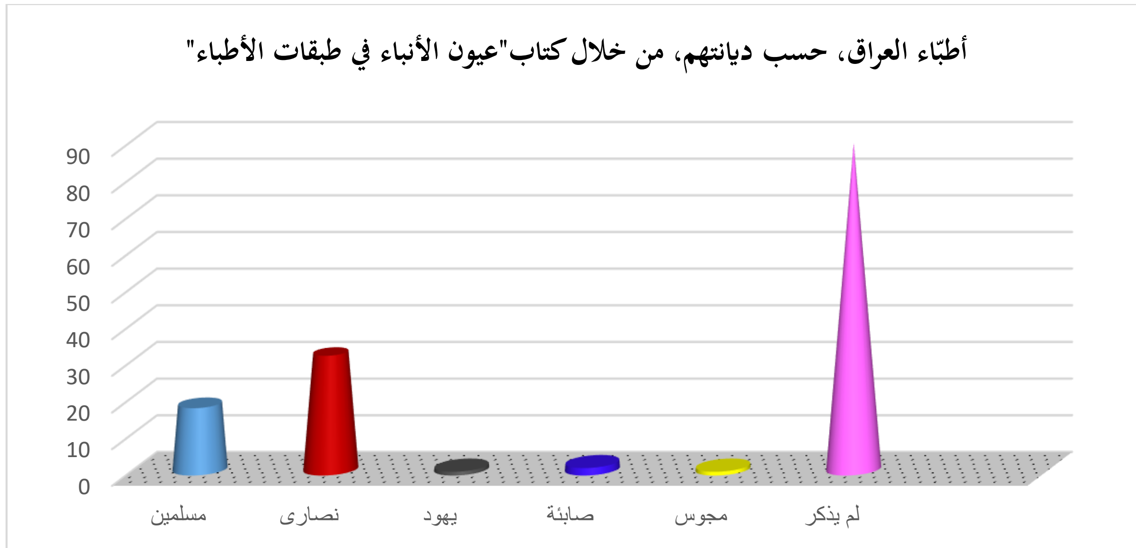
الإحصائيات من التَّمثيل البياني، تُحيلُ إلى حالة الأطبّاء اليهود والنّصارى، من خلال ما كانوا يَلْقَونه من احترامٍ وتقديرٍ بالإكرام والإنعام والحظوة عند الحكّام المسلمين، وعند العامّة في المشرق الإسلامي وفي الحضارة الإسلامية ككلّ، ممَّا يَدُلّ على تسَامحٍ ديني وتعايش إنسانيّ، فكانت هذه الصّناعة مبنيّة على الإنسانيّة، دون مراعاة إلى أصل الطّبيب أو معتقده، وكان المطلوب هو ممارسة الصّناعة الطبيّة ضمن أخلاق المهنة، واحترام مبادئها، انطلاقا من الأُسُس والوَصَايَا المسطِّرة لها كالقَسَم الطِّبيّ، ووصيَّة الحكيم أبُقراط في الطّب.

كما وجب تصنيف الأطبّاء، حسب الدِّيانة في كلِّ إقليم:

أ– في العراق:

الدّيانة	مسلمون	نصارى	يهود	صابئة	مجوس	لم يذكر
عدد الأطبّاء	**18**	**32**	**01**	**02**	**01**	**89**

التّميل البياني:



ما يلاحظ من التّمثيل البياني أنّ الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قد تجاوز قضيّة ديانة الطّبيب في كثيرٍ من التّراجم، بالضّبط في تسعةٍ وثمانين (89) ترجمة، وفي بقيّة التّراجم الأربعة وخمسين (54)، ذكر اثنان وثلاثين طبيبًا نصرانيًا كنسبةٍ أعلى، ثمّ الأطبّاء المسلمين بثمانيّة عشر (18) طبيبًا، وبقيّ أربعة أطبّاء؛ ذكر طبيبٌ واحدٌ يهودي، وآخر مجوسي، وطبيبين من الصّابئة.

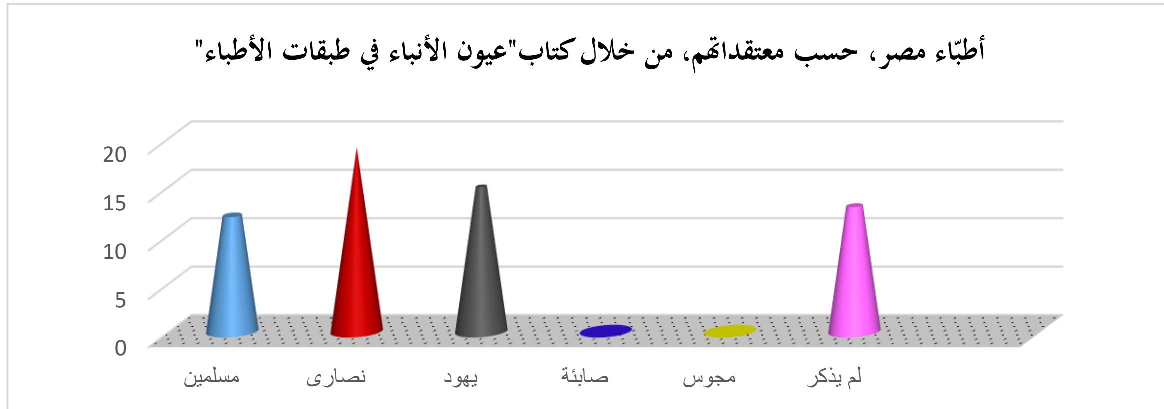
جميع الأطبّاء المسلمين ذكرهم الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، في الباب العاشر "طَبَقَات الْأَطِبَّاء الْعِرَاقِيّين وأطباء الجزيرة وديّار بكر"، ومن بين الثّمانيّة عشر طبيب الذين ذكرناهم، ثلاثة أطبّاء كانوا على غير الإسلام ثمّ أسلموا؛ كالطّبيب ابن جَزْلَة (ق5هـ/11م) الّذي كان نصرانيًا ثمّ أسلم، والطّبيب أَوْحَدُ الزَّمَان أَبُو البَرَكَات هِبَةُ الله بن عَليّ مَلْكا (ق6هـ/ 12م).

لم يظهر لدى الخُلفاء العبَّاسيّين أيّ موقفٍ يدلُّ على إبعادهم لغير المسلمين، فقد مثّل الأطبّاء النَّصارى السُّريانيّين أكثريّة في القرون الثّلاثة الأولى، حيث تمّ الاعتماد عليهم في ترجمة الكتب ونقلها، وجعلوهم من خاصّتهم، إذ بالغوا في تقريبهم حتّى سلّموا أجسادهم وأنفسهم لهم، حتّى بلغ بالخليفة الرّشيد أن يدْعوَ لطبيبٍ نصرانيّ أثناء تأديّته مناسك الحجّ، ويقول لمن معه من المسلمين، أنّ صلاح الأمّة بصلاحي والطَّبيب جبرائيل هو مَنْ يُصْلِحُني فلا تلُومُوني على محبَّته والدّعاء له.

ب– في مصر: تقسيم الأطبَّاء حسب الدّيانة، من خلال تراجُم ابن أبي أُصَيْبِعَة أفرز ما يلي:

الدّيانة	مسلمون	نصارى	يهود	صابئة	مجوس	لم يذكر
عدد الأطبّاء	**12**	**19**	**15**	**00**	**00**	**13**

تمثيل الجدول بيانيًا:



يحيل التمثيل البياني أعلاه إلى كثرة أطبّاء أهل الذّمة في مصر، حيث أنّ عدد الأطبّاء المسلمين أقلّ من الأطبّاء النّصارى واليهود، إذ ذكر الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة اثنا عشر (12) طبيبًا مسلمًا، وتسعة عشر (19) طبيبًا نصرانيًا، وخمسة عشر (15) طبيبًا يهوديًا، دون ذكره لأيّ طبيبٍ مجوسي أو صابئي، مع عدم ذكر ديانة ثلاثة عشر (13) طبيبًا.

ولعلّ تفسير كثرة أهل الذّمة من الأطبّاء ينعكس على تركيبة المجتمع المصري في ذلك الوقت، فقد كانوا بمثابة طبقة اجتماعيّة متميّزة عاشت في قرى ومدن مصر؛ بل قد وُجدت بعض القرى والمدن المصريّة التي غلب على سكانها أهل الذّمة وبخاصّة الأقباط[1]، كما أنّ سياسة الحُكّام الرّاميّة إلى تقريب العلماء والأطبّاء وِفق تسَامُحٍ دينيّ، نبغ على إثره كثير من القبط واليهود في ميدان الطّب، فوجدت أنّ أطباء القرون الثّلاثة الأولى الهجريّة كانوا من النّصارى، ربّما لتأثير مدرسة الإسكندريّة، وبدايةً من القرن الرّابع الهجري وجدنا تنوّعًا في الأطبّاء من حيث الدّيانة.

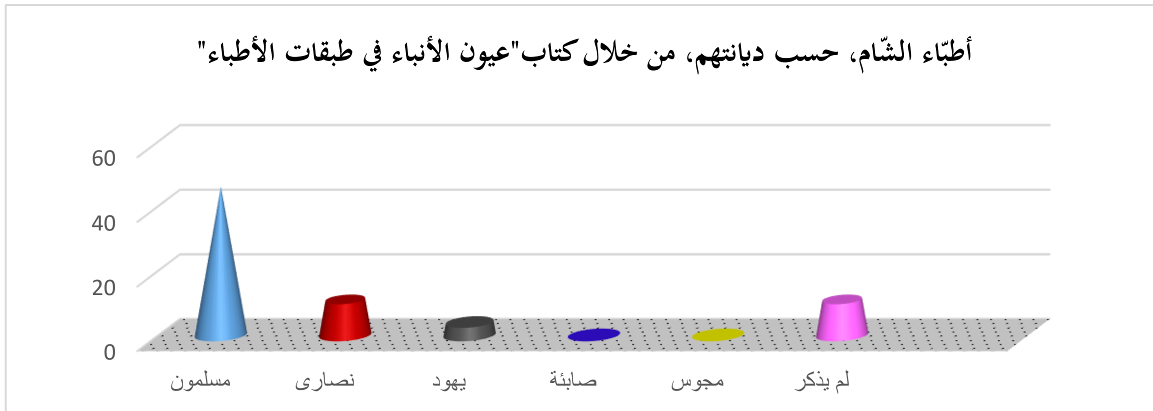
أغلب الأطبّاء اليهود كانوا في القرن(6هـ/12م)، حيث وُجد إحدى عشر(11) طبيبًا عاش في هذا القرن، طبيبان في زمن الحُكم الفاطميّ، وتسعة أطبّاء في بداية الدّولة الأيوبيّة، أمّا عن الأطبّاء النّصارى، فقد كان أغلبهم في القرنين (4 و7هـ/ 10و13م)، سبعة (07) أطبّاء في القرن (4هـ/10م)، وثمانيّة (08) أطبّاء في القرن(7هـ/13م)، وأكثر ما وجدته من الأطبّاء المسلمين في قرنٍ واحدٍ، خمسة أطبّاء، وذلك في القرن(7هـ/13م)، وبالتّحديد في نصفه الأوّل، زمن الحكم الأيّوبي الّذي انتهى سنة (648هـ/1250م)، والسّبعة (7) الأطبّاء الآخرين كانوا موزّعين على القرون الأخرى.

[1] سلام شافعي محمود، أهل الذّمة في مصر في العصر الفاطمي الأوّل، (د ط)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، 1995م، ص8.

ت– في الشّام:

الدّيانة	مسلمون	نصارى	يهود	صابئة	مجوس	لم يذكر
عدد الأطبّاء	46	11	04	00	00	11

التَّمثيل البيانيّ:



على عكس مصر، فإنّ أغلبيّة أطبّاء الشّام كانوا مسلمين، فمن مجموع واحدٍ وستّين طبيبًا عُلِمت ديانتهم، بلغ عدد الأطبّاء المسلمين ستّة وأربعين (46) طبيبًا، بينما المرتبة الثّانيّة للأطبّاء النّصارى بإحدى عشر (11) طبيبًا، ثمّ الأطبّاء اليَهود بأربعة أطبّاء، مع عدم وجود أيّ طبيب من الصّابئة واليهود.

أغلب هؤلاء الأطبّاء إلى جانب كونهم أطبّاء كانوا أئمّة وعُلماء، فقد ذكر الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة لكثيرٍ منهم حياتهم الدّينيّة، فقال عن الطّبيب شمس الدّين الخُويي (ت637هـ/1239م): "وَكَانَ رحمه الله ملازمًا للصَّلَاة وَالصِّيَام وَقِرَاءَة الْقُرْآن"[1]، ونحو قوله عن الطّبيب سَعْد الدّين بن عَبْد العَزِيز(ت644هـ/1246م)، أنّه لما كَانَ بِدِمَشْق كَانَ يعْتَكف بالجامع فِي رَمَضَان[2]، وغيرها من الأخبار الّتي توحي بمكانة هؤلاء الأطبّاء العلماء.

ث– باقي المشرق الإسلامي: أدْرج هنا الأطبَّاء العَجم والهنود، بالإضافة إلى أطبّاء شبه الجزيرة العربيّة[3].

الديانة	مسلمون	نصارى	يهود	صابئة	مجوس	لم يذكر[4]
عدد الأطبّاء	08	03	01	00	00	22

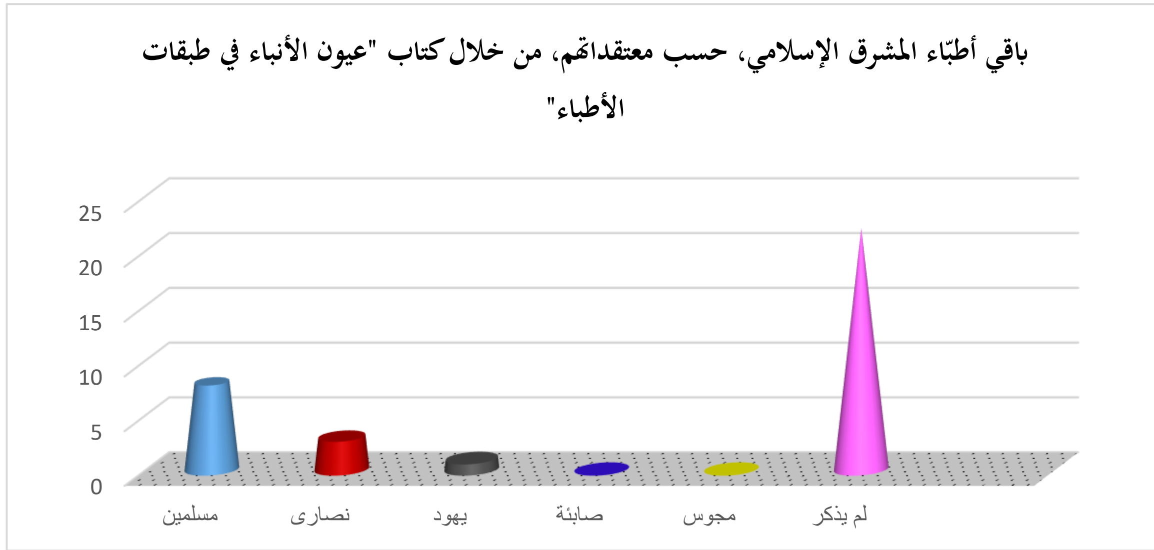
[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، عيون الأنباء، ص646.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص671.

[3] أستثني منهم، الطّبيب بَرْزَوَيْه، لأنّه قبل الإسلام من أطبّاء العجم، وثلاثة أطباء من الهند لعدم التوصّل إلى معرفة القرن الّذي عاشوا فيه، وهم صنجَهل وشَانَاق وجَودَر.

[4] أدرجت ضمنهم الحَرْث بن كِلْدَة وابنه النَّضْر، لم يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّهما أسلما؛ بل وذكر عداوة النّضر للنّبي ﷺ. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص167.

التَّمثيل البياني:



الملاحظ أنّ أغلب الأطبّاء في أقاليم العجم والهند وشبه الجزيرة العربيّة، لم يتمّ ذكر ديانتهم، حيث وجدت أنّ اثنين وعشرين (22) طبيبًا لم تُذْكر ديانته، في حين ذكر ثمانيّة (08) أطبّاء مسلمين، وثلاثة نصرانيّين، وطبيبٌ واحد يدين باليهوديّة، مع عدم وجود أطبّاء مجوس أو من الصّابئة.

ثانيا: ظـاهرة الأُسَرْ الطبّيّة وأشـهر الأطبّـاء في المشرق الإسلامي:

تعتبر ظاهرة توارث الطبّ في الحضارة الإسلاميّة سمة بارزة، ولا غرابة في أن تتكون أسر طبيّة لأنّ الطب في بدايته ظهر عند أُسْرَةُ يونانيّة، وهذا ما أكّده الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في كتابه هذا، حيث يُدرج تراجم لأطبّاء من نفْس الأُسْرَةُ، مبرزًا خدماتهم وإنجازاتهم الطبّيّة، وتختلف هذه الأُسَر من حيث عدد أفرادها؛ فوجدت في الأُسْرَةُ الواحدة طبيبيْن أو ثلاثة، بينما وجدت في أُسرٍ أخرى أكثر من ذلك، فكان يذكر أفراد الأُسْرَةُ الطبيّة المكوّنة من الوالد والابن والحفيد، فهي متوارثة أبًا عن جدّ، وهناك من الأُسَرِ ما هي مكوّنة من الإخوة دون الوالد والأب، وإدراجي لأهمّ هذه الأُسَر يكون مرتّبا من خلال الأقاليم عند ابن أبي أُصَيْبِعَة، وحسب الإقليم الذي برزت فيه إنجازات أطبائها وخدماتهم للخلفاء والحكّام.

1– الأُسَر الطبّيّة في العراق:

حسب الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، فإنّ الأُسر الطبّيّة في العراق تجاوزت خمس عشرة (15) أُسْرَةُ، ولذلك أسعى إلى ذِكر أسماء الأُسر المهمّة، مع ذكر تراجم جدُّ مختصرة لأطبّائها، أمّا باقي الأُسر فأعمل على حَصْرها في جدولٍ لتسهيل الاطّلاع عليها.

أ–أُسْرَةُ آل بَخْتِيشُوع[1] (ق2 هـ–5هـ/8م–11م):

تتكوّن هذه الأُسْرَةُ من ستّة أطبّاء، كلّهم نصارى، قدِموا من جُنْدي سابور، وكان لهم الدور البارز في خدمة الخلفاء العبّاسيّين، فقدّموهم وقرّبوهم وأكرموهم، وهذا مختصرٌ عن أهمّ أطبّائها:

–**جُورْجيُوس بنُ جِبْرَائِيل (جُورْجُس)**: خبيرٌ بصناعة الطبّ، كان رئيسًا لأطبّاء جُنْدَيْ سَابور، له معرفة بالمداواة وأنواع العلاج، استدعاه الخليفة المنصور لخدمته ومداواته في سنة (148هـ/765م) ففعل، فنال بذلك الحَظْوة والمنزلة الرفيعة عنده، وحصَّل من جهته أموالًا كثيرة، ونقل له كتبًا كثيرة من كتب اليونانيّين إلى العربي[2]، ولجُورْجيُوس من الكتب كُنّاشَه المشهور[3].

–**بَخْتِيشُوع بنُ جُورْجيُوس**: يلحق أَبيه في مهارته بصناعة الطبّ، في سنة(171هـ/788م) مرض الخليفة هارون الرّشيد من صُداعٍ لحِقه، فأرسل مَن يُحْضره له، فعالجه وبقيّ في خدمته، وتميّز في أيّامه وجعله رئيسًا للأطبّاء، ومن كتبه: "كتاب التذْكِرة" ألَّفه لولده جِبرَائِيل، وكُنّاش مختصَر[4].

–**جِبْرَائِيل بنُ بَخْتِيشُوع بنُ جُورْجُس(ت213 هـ /828 م)**: طبيب الخليفة هارون الرّشيد وجليسه، خدَمه 23سنة، تميّز في المعالجة، فكان حظيًّا عند الخلفاء، رفيع المنزلة لديهم، ولّاه الخليفة الرّشيد رئاسة الأطبّاء لإعجابه به، وحصَّل من الأموال ما لم يُحَصِّله غيره من الأطبّاء، أمّا الخليفة محمد الأمين فكان لا يأكل ولا يشرب إلّا بإذنه، والخليفة المأمون عل الرّغم من معاداته له فقد اضطرَّ أن يستقدِمَه لمعالجته ليُبَجِلّه بعد ذلك ويقرّبه أكثر، ولجِبْرَائِيل بنُ بَخْتِيشُوع من الكتب: "كتابُ المدْخَل إلى صِنَاعَة المنْطِق"، و"رسالة إلى الخليفة المأْمُون في المطْعَم والمشْرَب"، وله "كتاب في البَاه"، و"رسالة في الطبّ" وهي مختصرة[5]،وبذلك يكون من أهمّ أطبّاء هذه الأُسْرَةُ، بما قام به لنشر العلوم اليونانيّة بين العرب، وبما أنّه عمل مع الوزير جَعْفَر بنُ بَرْمَك، فمن الواضح أنّه كان له أكثر تأثير[6].

---

[1] Lucien Leclerc, Histoire De La Médecine Arabe, Tome Premier, p95 et suivantes.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص183.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص186.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص186، 187.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص187 وما بعدها.

[6] De Lacy O'Leary, D.D, How Greek Science Passed To The Arabs, Printed By Offset London And Rect, London, Third impression 1957, P159, 160.

–بَخْتيشُوع بنُ جِبْرَائِيل بنُ بَخْتِيشُوع(ت256هـ/870م): كغيره من أطبّاء هذه الأُسْرَةُ، بلغ من عظيم المنزلة والحال وكثرة الأموال، حتّى أنّه كان يُضاهي الخليفة المتوكّل على الله في اللّباس والفَرْش[1]، ثمّ إنّه أفرط في إدلاله عليه فنَكَبَه[2]، وكان له حُسّاد عملوا على تأجيج الخليفة المتوكّل على الله عليه[3]، وخَدَم بالطبّ أيضًا كل من الخلفاء، الواثق[4]، المتوكل، والمستعين، المهتدي، والمعتز [5]،كما عُدَّ من بين الأطبّاء القائمين على التّرجمة، وعُرف عنه تمهُّره في علاج القَوْلَنْجْ[6]، له من الكتب: كتاب في الحِجامة[7].

–جِبْرَائِيل بنُ عُبَيْد الله بن بَخْتِيشُوع (ت396هـ/1005م): ورث الصّناعة عن أجداده، تعلّم الطبّ في بغداد، ورحل إلى شِيراز[8]، فاتّصل بالسُّلطان عَضُد الدَّوْلَة الْبُوَيْهي، وصار من خاصّته[9]، ثمّ بالوزير الصَّاحب بن عبَّاد(326 – 385 هـ/938 – 995 م) في الرَّيْ، فأغدق عليه الصاحب إحسانه، وسافر إلى القُدس ودمشق، له كثيرٌ من الكتب من أهمّها كتابه "الكافي في الطبّ"[10].

–عُبَيْد الله بنُ جِبْرَائِيل(ت455هـ/1063م): هو أبو سعيد، عُبيد الله بنُ جبرائيل بن عُبيد الله بنُ بخْتِيشوع، تميّز في الصناعة الطبيّة، فأتقن أصولها وفروعها، له تصانيفٌ كثيرة في الطبّ، أقام بِمَيَافَارْقِين، وكان معاصرًا للطَّبيب المصري ابنُ بُطْلَان (ت 458هـ/1066م) يجتمع به ويأْنس إليه وبينهما صُحْبَة،

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص201.

2 الجَاحِظ، الحيوان، ج7، ص442.

3 الصّفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص55.؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج9، ص ص350، 351.

4 لم يذكر الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّه خدمه، إنّما الّذي ذكره أنّه عاقبه ونفاه إلى جندي سابور في سنة(230هـ/845م)، فلمّا اعتلّ بالاستسقاء وبلغ الشدّة في مرضه أنفذ من يُحْضر بختيشوع، لكنّ الواثق توفيّ قبل أن يوافي بختيشوع. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص202.

5الزِركلي، الأعلام، ج2، ص44.

6فيما يخصّ أهمّ الامراض والعلل، أدرجها في الفصل الخامس، تحت عنوان "الأمراض والعلل".

7 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص209.

8 شِيرَاز، بالكسر، وآخره زاي: بلدٌ عظيم مشهور؛ وهو قصبة بلاد فارس، وهي مدينة إسلاميّة بناها محمد بن القاسم بن أبي عُقَيل، ابن عمّ الحجّاج، وقيل: أنّها مدينة صحيحة الهواء، عذبة الماء، كثيرة الخيرات، وافرة الغلّات، يُنسب إليها كثيرٌ من العلماء منهم، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروز آبادي، ثمَّ الشِّيرازي المتوفي سنة (476هـ/1084م). أنظر، مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص144.؛ اليعقوبي (أحمد بن إسحاق أبي يعقوب ت بعد 292هـ)، البلدان، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422هـ، ص203.؛ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، (د ط)، دار صادر، بيروت، (د ت)، ص210.؛ صَفِيّ الدّين عبد المؤمن القطيعي، مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، ص824.

9 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص211.

10 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص214.

وكانت له العديد من المؤلّفات[1].

ولعلّ أحسن ما قيل عن هذه الأُسْرَةُ، هو ما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، على لسان فَثْيُون التُّرجمان فيهم: "إنّ جِنْس جُورْجُس وولده كانوا أجمل أهْل زمانِهم، بما خصّهم الله به من شَرف النّفوس ونُبْل الهِمّم ومن البِرّ والمعروف والإفضال والصدقات وتفقُّد المرضى من الفقراء والمساكين والأخْذ بأيْدي المنكوبين والمرْهوقين على ما يتجاوز الحدّ في الصِفة والشَرح"[2].

ب–أُسْرَةُ الطَّيْفُورِي (ق2 هـ/8م–3هـ/9م):

عُرف من هذه الأُسْرَةُ ثلاثة أطبّاء، تواجدوا داخل البلاط العبّاسي، لم يذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أيّ إنتاجٍ علميٍ لهم، على الرّغم من تمهُّرهم في صناعة الطبّ والعِلاجات.

–عَبْدُ الله الطَّيْفُورِي (ق2 هـ/3م): طبيبٌ حسن العقل، طيّب الحديث على لَكْنَةٍ سَوَاديّة، مولده كان في بعض قرى كَسْكَر[3]،كان متطبّبًا لطيفور أخو الخيزران[4]، التزم أخلاق الطبّ فكان يعالج بحسب معرفته[5]، وخدم الخليفة محمّد الهادي، ثمّ ابنه المهدي بالطبّ، وعظُم قدره عنده، لم يذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أنّ له مؤلّفات.

–زَكَّرِيا بنُ الطَّيْفُورِي(ق3 هـ/9م): الطَّبيب الثّاني من أُسْرَةُ الطَّيْنُفورِي، خدم الخليفة المعتصم بالله (218–227/ 842–833م) ورافق حملة قائِده الأَفْشِين[6]، وهو الّذي اقترح على الأفشين في هذه

---

[1] لعُبَيْد الله بنُ جِبْرَائيل من الكتب: مقالة في الاختلاف بين الألْبان، وكتاب مناقِب الأطبّاء، وكتاب الرَّوْضة الطّبّيَّة، وكتاب التَّواصل إلى حِفظ التَّناسُل، ورسالة في بَيانِ وُجوب حرَكَة النَّفْس، وله "كتاب نوادر المسائل مقتضبة من علم الأوائل في الطّبّ"، و"كتاب تذكرة الحاضر وزاد المسافر"، وكتاب الخاص في علم الخواص"، و"كتاب طبائع الحيوان وخواصّها ومنافع أعضائها" ألّفه للأمير نصير الدّولة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، نفسه.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص198.

[3] يذكرها ياقوت الحموي بقوله: "كَسْكر: بالفتح، ثمّ السُّكُون، وكافٍ أخرى، وراءْ، معناه: "عامِل الزَرْع"...، ويقال: إنّ حدّ كُورَةِ كَسْكَر، مِنْ الجانب الشَّرقي، في آخر سَقْيْ النَّهروان، إلى أن تَصُبّ دِجْلة في البحر كلّه من كَسْكر فتدخُل فيه على هذا البصرة ونواحيها". أنظر، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص461.

[4] الخَيْزُرَان(ت 173هـ/789م)؛ ابنة عَطَاء، زوجة الخليفة العباسي الثّالث "المهديّ"، وأمّ ابْنَيْه الهادي وهارون الرَّشيد، لها يدٌ في قتل ابنها الهادي لضمان الخلافة لابنها هَارُون الرَّشيد. أنظر، زَينَب فَواز، الدُرّ المنثور في طبقات رَبَّات الخُدُور، ص189– 200.؛ الزِركلي، الأعلام، ج2، ص ص328، 329.

[5] عُرِض ماء الخيزران على الصّيدلاني عيسى، المعروف ب"أبي قريش"، فذكر أنّ بها حمل وجنسُ الجنين يكون ذَكَر فاستبشرت بذلك، فأراد طَيْفُور أنْ يعرضه على الطَيفوري للتأكُّد من ذلك، فأكّد أنّها على حمل، لكنّه أبَى أن يتكلّم في جنس الجنين، بحُكْم أنّه من الغيْبيات، على الرّغم من إصرار طيفور، وتنبؤ أبي قريش كان من باب الصّدقة ولغرض التكسّب. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص220.؛ كامل السامرّائي، مختصر تاريخ الطّبّ العربي، دار النّضال، (د ت)، ص360.

Lucien Leclerc, Histoire De La Médecine Arabe, Tome Premier, p119.

[6] حَيْدَرْ بنُ كَاوَسْ الملقّب بـ الأفْشِين (توفيّ 226هـ/841م) قائدٌ عسكري خَدم الخليفة المأمون، ثمّ الخليفة المعتصم بالله، اتّهم الأفشين بالزّندقة والتآمر على المعتصم فحبَسه. أنظر، أبو حنيفة الدينوري(أحمد بن داود ت 282هـ)، الأخبار الطِوال، تح: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشَيَّال، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1960م، ص403.؛ الطّبّري، تاريخ الرُسُل والملوك، ج9، ص 104 وما يليها.

الحملة أن يمتحن الصّيدلانيّين ليُبْعد عن الجيش المنتحِلِين منهم لهذه الصّنعة، فكلّفه الأفشين بذلك[1]، هذا مختصر ما ذكره ابن أَبِي أُصَيْبِعَة عنه.

–**إِسْرَائِيل بنُ زَكَّرِيَا الطَّيْفُورِي** (**ق3 هـ/9م**): جدّه عبد الله الطَّيْفُورِي، كان متطبّبًا للوزير الفَتْح بنُ خَاقَان[2]، ثمّ التحق بحاشيّة الخليفة المتوكّل على الله(232-247هـ/ 847-861م) بتوصيّةٍ من ابن خَاقَان، وصارت له منزلة مرموقة عنده[3]، وممّن لا يسْتَغْنى عن طِبِّهم الخليفة أمثال، بختيشوع وحُنين بنُ إسحاق[4]، وذُكر عنه أنّه خَدم الخليفة المنتصر بالله، أبو جعفر، محمد بن المتوكّل على الله، وكان طرَفًا في اغتياله[5].

ت–عائلة حُنَين بنُ إسحاق[6]**(ق 3هـ/9م):**

تتكوّن من حُنين بنُ إسحاق، وابنه أبو يعقوب إسحاق (215 -298هـ/830-911م) وابن أخته حُبَيْش الأعْسَم الّذي تعلّم على يديه، وهذه الأُسْرَةُ نبغت في الطبّ وفي ترجمة ونقل الكتب من اللّغات الأخرى إلى العربيّة، سبق ذكر هذه الأُسْرَةُ، من خلال دورها في التّرجمة[7].

– **حُنَيْن بنُ إسحاق** (194هـ-260هـ/810-874م)، بلغ حُنَين المكانة والمنزلة الرّفيعة لدى الخلفاء، ففي عهد الخليفة المأمون (198–218هـ/814-833م)عُيّن عمِّيدًا (لبيت الحِكمة) الذي أنشئ سنة (215هـ/830م)، واختُزنت فيه جميع المخطوطات اليونانيّة الّتي جمعها المأْمُون من أماكن كثيرة، وكان المأمُون يُعطيه من الذَّهب زِنة ما ينقُله من الكتب إلى العربيّة مَثلًا بمثلٍ، **ولما** توفيّ المأْمُون عيَّن الطَّبيب مَاسَوَيْه رئيسًا للأطباء في عهد الخليفة المعتصم بالله(218–227هـ/833-842م) فأصاب عنده

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص198.

[2] الفَتْح بنُ خَاقَان؛ أبو محمد التركي، وكان المتوكّل لا يكاد يصبر عنه، استوزره، وفوّض إليه إمارة الشّام، قتل مع الخليفة المتوكّل على الله سنة(247هـ/861م). أنظر، الذّهبي، سيّر أعلام النّبلاء، ج12، ص83 .؛ الصّفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص216 .؛ السّيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، (1425هـ/ 2004م)، ص255.

[3] Lucien Leclerc, op. cit, p120.

[4] كمال السَامرّائي، مختصر في الطّبّ العربي، ص362.

[5] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، ص224.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، عيون الأنباء، ص257-276؛ ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج1، ص205.؛ وج2، ص217.؛ ابن العديم، بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب، ج6، ص650.؛ ادوارد كرنيليوس فانديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص177.؛ ويليام جيمس ديورَانت، قصّة الحضارة، ج13، ص178.

[7] سبق التكلّم عن دورها في الترجمة في الفصل الثّاني، في مادّة أهمّ المترجمين تحت عنوان "آل حُنين".

مكانةً؛ فترجم له خلاصة ثلاثة عشر كتابًا من أهمّ كتب جالينوس[1]، وفي عهد الخليفة المتُوكِّل على الله(232–247هـ/847-861م) بلغ حُنَيْن في قمّة مجدِه كمُترجِم ومتطبِّب، لكنّه خلال نفسِ هذا الوقت نُكِبَ بِمِحَنٍ جرَّها سُوءُ ظنّ الخليفة المتَوكّل على الله به وحَسْدِ زملائه النَّصارى له[2]، عاش حُنَين عشرين عامًا بعد نكبته الأخيرة مبجَّلًا من الخلفاء السابقين، وتُوفيّ في خلافة المعتمد على الله سنة (260هـ/874م)، وكانت مدّة حياته سبعين سنة[3].

– **حُبَيْشُ الأَعْسَم (ق3هـ/9م)**: هو ابن أخت الطَّبيب حُنَين بن إسحاق، ومنه تعلَّم صناعة الطِّبّ، وكان يسلُك مَسْلَك حُنَين في نقله وفي كلامه وأَحواله، إلَّا أنَّه كان يقتصِر عنه، وهو الّذي تمَّمَ كتاب مسائل حُنَين في الطِّبّ الّذي وضعه للمتعلِّمين، وله من الكتب: كتاب إصلاح الأدويّة المسَهِّلَة –كتاب الأدويّة المفردة –كتاب الأغذيّة –كتابٌ في الاستسقاء –مقالةٌ في النَّبْض على جهة التقسيم.

–**إسحاق بن حُنَين**: هو إسحاق بنُ حُنَين بنُ إسحاق العَبَادي النسطوري أبو يعقوب (298هـ/911م)، تتلمذَ على يد أَبيه حُنَين بن إسحاق المترجِم والطَّبيب السرياني المعروف، واشتغل معه في التّرجمة ببيت الحكمة، وكان يجيد اللغة السُّريانيّة واليونانيّة والعربيّة، اختصّ بصحبة القاسم بن عُبَيْد الله، وزير المعتضد، ونادمَ الخليفة المكتفي بالله، وشاع أنّه أسلم في شيخوخته، وقد عَمَّر ثلاثًا وثمّانين سنة، وتوفيّ في خلافة المقتدر بالله سنة (278هـ/911م)، وهو يعاني من مرض الفَالِج، كانت أكثر أعمال إسحق بن حُنَين على عكس أَبيه، في ترجمة الكتب اليونانيّة الفلسفيّة وخصوصًا كتب أرسطوطاليس في الحكمة، وأقلُّها في الطبّ، وله أكثر من عشرين كتابًا من بينها، "كتاب تاريخ الأطبّاء".

اسم الأُسْرَةُ وتاريخها بالهجري/الميلادي.	أطبآؤها	بعض إنجازاتها	الصّفحة
عائلة ماسَوَيْه (القرنين2و3هـ/8و9م)	**– مَاسَوَيْه أَبُو يُوحَنَّا ـ يُوحَنَّا بنُ مَاسَوَيْه ـ مِيخَائِيل بنُ مَاسَوَيْه.**	**–تميّزت هذه الأُسْرَةُ في الطبّ ودقّ الأدويّة –قدّمت خدماتها للفَضْل بنُ الرَّبِيع وهَارُونَ الرَّشِيد والمأْمُون والمعْتَصِم والوَاثِق والمتَوَكّل**	**242–257**

[1] حنين بن إسحاق (194–264هـ)، العشر مقالات في العَين، تر: ماكس مايرهوف، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1928م، ص16.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص264.

[3] حُنَين بن إسحاق (194–264هـ)، المصدر السابق، ص ص26، 27.

		–ترجمة الكتب القديمة. –تأليف كثير الكتب في الصَّيْدَلة والطِّبّ (أحْصيت أربعين مؤلّفًا ليوحنا وحده)[1]	
أُسْرَةُ البطْرِيق (القرن2هـ/8م)	البطْرِيق وابنه يَحْيَ.	_ خِدمة الخليفة أَبِي جَعفَر المَنْصُور بترجمة الكتب القديمة.	282
أُسْرَةُ آل كَرْخِي (لم أهتد للعصر الّذي كانت فيه)	شَهْدِي الْكَرْخِي وابنه.	_ النَّقْل والتّرجمة؛ وَممّا نَقلهابْن شهدي الْكَرْخِي إِلَى الْعَرَبِيّ كتاب "الأجنة لأبقراط".	280
أُسْرَةُ آل مَاسَرْجَوَيْه (القرن2هـ/8م)	مَاسَرْجِيس وابنه عيسى	_ النَّقْل والتَّرجمة، وتأليف بعض الكُتُب الطبيّة.	280
أُسْرَةُ بنُ سَهْل (القرنين 2و3هـ/8و9م).	_ سَهْل الكَوْسَج وولديه: سَابُور بنُ سَهْل إِسْرَائِيل بنُ سَهْل.	– تميّزت هذه الأُسْرَةُ في صناعة الأدويّة المفْرَدَة وتَرْكِيبِها، وتأليفِ الكُتُب فِيها، ومن أهمِّ الكُتُب "الأَقْرَابَاذِيْن الكَبِير" المشهور جعله سبعة عشر بابًا، وهو المعمول به في البَيْمَارِسْتَان ودَكَاكِين الصَّيَادِلَة. –خِدْمة الأُمَرَاء وقادة الحَرْب وخِدْمَة الخُلَفاء (كالمتَوَكِّل، وَهَرْثَمَةُ بْنُ أَعْيَنَ).	228_ 230
أُسْرَةُ بنُ زَيْد (القَرن3هـ/9م).	الإخوة يَزِيد بنُ زَيْد وعَبْدُوس بنُ زَيْد.	– خدمت هذه الأُسْرَةُ الخَليفة المأْمُون. – لعَبْدُوس كتابُ التَّذْكِرَة في الطِّبّ.	226– 228
أُسْرَةُ الأَبْرَش (القَرن3هـ/9م).	أيُّوب الأَبْرَش وابنه إبرَاهِيم.	– نَقْلِ وتَرْجَمَة الكُتُب اليُونَانيّة إلى السُّريانيّة والعربيّة. –خِدمَة الخُلَفاء (المتَوَكّل والمعْتَزُّ بالله).	241

[1] ابن أَبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص255.

أُسْرَةُ بَخْتِيشُوع (القرنين3و4هـ/9و10م).	يُوحَنَّا وابنه بَخْتِيشُوع.	–نَقْلِ وتَرْجَمَة الكُتُب اليُونَانيّة إلى السُّريانيّة والعربيّة. – خِدمَة الموفَّقُ بالله طَلْحَة بنُ جَعْفَر المتوكل، والمقتدر بالله، ثمّ الراضي بالله. وليُوحَنَّا بنُ بختيشوع كتاب "فيمَا يحْتَاجُ إلَيْه الطَّبيبُ من عِلْم النُّجُوم".	276، 277
أُسْرَةُ بَسِيل (القرن 3هـ/9م).	بَسِيل المَطْرَان وابنُه اصطَفَن.	ـ نَقل وترجمة الكُتب.	281

أدرج الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة الأُسَر السّابقة ضمن الباب الثّامن الّذي خصّصه للأطبّاء السُّريانيين الّذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العبّاس، وضمن الباب الخاص بالأطبَّاءِ النَّقَلة، ومن خِلَال مَا تَقَدَّم يمكّن استنتاج النّقاط التّالية:

كثرة الأُسر الطبّيّة السُّريانيّة في البلاط العبّاسي؛ اثنتا عشرة أُسْرَةُ (12) واثنتا وثلاثين طبيبًا (32) أبرزهم، أُسْرَةُ آل بَخْتِيشُوع؛ وهي أكبر أُسْرَةُ من حيث عدد أطبّائها؛ إذ تتكوّن من ستّة أطبّاء، ثمّ تليها أربع أُسر مكوّنة من ثلاثة أطبّاء، أبرز هذه الأُسر على الإطلاق أُسْرَةُ آل حُنَيْن، أمّا الأُسر الأخرى فتتكّون من طَبِيبين، كما يُلاحظ أنّ هذه الأُسر لاقت اهتمامًا وإكرامًا كبيرين من طرف الخلفاء العبّاسيّين، فقرّبوها إليهم وأغدقوا على أطبائها الأُعطيات والهِبات، فكان البلاط العباسي ملاذًا آمنًا ومكانًا مُهَيئًا للخدمة، والتزّود في العلوم المختلفة.

لعلّ أبرز نشاط قامت به هذه الأُسر من غير الطبّ هو ترجمَة الكتب ونقلها من اليونانيّة إلى السُّريانيّة والعربيّة، وساعدهم في ذلك إتقانهم للغات الأُمَم المجاورة كاليونانيّة، والسُّريانيّة، والعربيّة، وكذلك الهنديّة، وقد تكلّم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عن فضلهم في ذلك وميّز بينهم، من حيث نوعيّة تراجمهم وكمّيّتها، وقد سبق وذكرت ذلك عند كلامي عن التّرجمة ودورها في تطوّر الطبّ العربي.

ممّا يُستنتج أيضًا أنّ ثقة الخلفاء العبّاسيّين بهؤلاء الأطبّاء كانت كبيرة، على الرّغم من اختلاف ديانتهم عن الخلفاء؛ إذ أغلبهم كانوا نصارى، ويعود ذلك ربّما لما قدّمه هؤلاء الأطبّاء من خدمات جليلة، أمّا فيما يخصّ الأُسر الطبّيّة الأخرى من غير السّريان، فقد ذكرها في الباب العاشر تحت عنوان "طبقات الأطباء العراقيّين وأطباء الجزيرة ودِيّار بَكْر" وهو ما أستعرض مختصرًا عنه:

ث–أُسْرَةُ ثابت بنُ قُرّة (221–363هـ/836–974م): تتكوَّنُ هذه الأُسْرَةُ من أربعة أطبّاء مشهورين[1]هم:

–أبُو الحَسَن ثَابِت بنُ قُرَّة الحَرَّانِي (221–288هـ/836–901م)[2]: ثابت بنُ قُرّة بنُ مَرْوَان[3] بُن ثَابِت بنُ كرَايا بنُ إِبْرَاهِيم بنُ كرَايا بنُ مَارِينُوس بنُ سَالَايُونُوس[4]، وكان ثابت صَيْرَفِيًا بحرَّان، ثمّ استصحبه محمد بن مُوسَى بنُ شَاكِر[5]عند انصرافه من بلد الروم لأنّه رآه فصيحًا، وكان جيّد النّقل إلى العربيّ، حيث تميَّزَ بحُسن العِبَارة وقُوّة المعرفة باللّغة السُّريانيّة وغيرها، قدّم خدماته للخَلِيفة المعْتَضِد بالله[6]، له

[1] ويوجد طبيب آخر ضمن هذه الأسرة يدعى "إبراهيم بن ثابت بن قُرّة" لم يذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة. ممّا قيل فيه: " من حفدة ثابت المذكور أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة، يعدّ من حذّاق الأطباء، ومقدّم أهل زمانه في صناعة الطّبّ، يلحق والده في الفضل، وكان من الصابئة في أيّام معزّ الدولة بن بُوَيْه". أنظر، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، ص367.؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج1، ص314.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص295.؛ البيهقي (ظهير الدّين ت565هـ)، تاريخ حكماء الإسلام، تح: محمد كرد علي، مطبعة الترّقي، دمشق، 1946م، ص20 .؛ ابن النّديم، الفهرست، ص333.؛ القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص93؛ الصفدي، المصدر السابق، ج10، ص286.؛ اليافعي (أبو محمد، عفيف الدين، عبد الله بنُ أسعد بنُ علي بنُ سليمان ت 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعْتَبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1417هـ/ 1997م)، ج2، ص160.؛ قدري حافظ طوقان، علماء العرب وما أعطوْه للحضارة، منشورات الفاخريّة بالرياض، ودار الكتاب العربي ببيروت، (د ت)، ص126 وما بعدها.

[3] ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة هكذا، وورد في وفيات الأعيان، عند ابن خلّكان باسم "هارون" بدل "مروان"، وذكره الزركِلي كذلك، وورد بـ "مروان" عند ابن النّديم والقِفْطي، كما ذُكر ابن كثير أنّه ورد باسم "زَهْرُون". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص295.؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج1، ص313.؛ ابن النّديم، المصدر السابق، ص333.؛ القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص93.؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص97.؛ الزرِكلِي، المصدر السابق، ج2، ص98.

[4] ورد عند القفطي باسم "سَالَامَانس"، وورد عند ابن خلّكان " مَالَاجريوس". أنظر، القِفطي، المصدر السابق، ص93.؛ ابن خِلّكان، المصدر السابق، ج1، ص313

[5] أبو عبد الله، مُحمّد بنُ موسى بنُ شاكر (ت 259 هـ/ 873 م) كان له علمٌ بالهندسة والحكمة والموسيقى والنجوم، جعله الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة ضمن الأطبّاء النقلة وذكر علاقته بحُنين، وهو أحد الإخوة الثلاثة –هو وأحمد والحسن أصحاب الحِيل–. وكانوا مقرّبين من الخليفة العباسي المأمون، يرجع إليهم في حلّ ما يعسُر عليه فهمه من آراء متقدّمي الحكماء، وكانت لهم هممٌ في تحصيل قديم العلوم وكتب الأوائل، وأنفذوا إلى بلاد الروم مَنْ أخرجها لهم، وأحضروا النَقَلة من أماكن مختلفة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص283.؛ القفطي، المصدر السابق، ص237.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص296.

كثير المؤلّفات بلغت نحو مَائة وخمسين مصنّفًا[1]، من أهمّها "كِتَابُ الذَّخِيرَة فِي الطِّبّ"[2]، إلّا أنّ أكثرها في الهَنْدَسة والموسِيقَى[3].

–أَبُو سَعِيد سِنَان بنُ ثَابِت بنُ قُرَّة (ت331هـ/942م)[4]: لحق أباه في الطبّ، وخدم الخلفاء العبّاسيّين، المقتدر بالله، القاهر لله، والرّاضي بالله، وتقلّد بيمارستانات بغداد[5]، بعد أن كان سببًا في تشيّيدها وبنائها، حيث أنشأ في سنة (603هـ/1207م) بيمارستان السيّدة[6] بسوق يحي، وأشار على الخليفة المقتدر بالله بأن يتّخذ بَيْمَارستانًا يُنْسَبُ إليه فبَنَى البَيْمَارستان المقْتدِري[7]، كما كان لسِنان الأسبقيّة في امتحان الأطبّاء[8]، له عديد المؤلّفات أغلبها على شكل رسائل[9].

–إبراهيم بنُ سِنان (ت335هـ/946م): إبراهيم بنُ سِنان بنُ ثابت بنُ قُرّة بنُ مروان بنُ ثابت، أبو إسحاق الحرّاني، ثمّ البغدادي: طبيبٌ مهندس، أصله من حَرّان ومولده ووفاته ببغداد، لم يذكر له الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة إنتاجًا علميًا ولا خدمةً في بلاط الخلافة[10]، على الرّغم من ذَيا ع مؤلّفاته[11].

–ثابت بنُ سِنَان(ت365هـ/976 م): ثابت بنُ سِنان بنُ ثابت بنُ قُرّة، أبو الحسن، طبيبٌ مؤرّخ، خدم الخليفة الرّاضي باللّه العبّاسي، ثمّ المتّقي للّه، والمستكفي بالله، والمطيع لله[12]، وألّف (تاريخًا) ذكر فيه

---

[1] De Lacy O'Leary, op cit , P173.

[2] يحتوي الكتاب على واحد وثلاثين(31) بابًا، يشتمل على ما يحتاج إليه في علم الطّبّ من معرفة الدّاء والدَّواء. أنظر، ثابت بن قرّة (ت288هـ)، كتاب الذّخيرة في علم الطّبّ، (د تح)، (د ط)، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1928م.

[3] الزرِكلِي، المرجع السابق، ج2، ص98.

[4] ترجمته في: ابن أبي أُصَيْبِعَة، عيون الأنباء، ص300.؛ ابن النّديم، المصدر السابق، ص364.؛ القفطي، المصدر السابق، ص148؛ الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ت 626هـ)، معجم الأُدَباء، ج3، ص1405.

[5] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمّم، ج13، ص168.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص302.؛ القفطي، المصدر السابق، ص151.؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج9، ص421.؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص193.؛ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص182.؛ مجموعة من المؤلّفين، مدوّنة أحكام الوقف الفقهيّة، ط1، الأمانة العامّة للأوقاف، الكويت، (1439هـ/ 2017م)، ج1، ص65.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص302.؛ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة دار بن كثير، ج2، ص20.؛ ابن الجوْزي، المصدر السابق، ج13، ص178.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص302.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص304.

[10] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص307.

[11] له من المؤلّفات: زُبدة الحكم من الحِكمة، وأغراض كتاب المجِسْطي، وتفسير المقالة الأولى من المخروطات، وكتاب آلات الظلال، بالإضافة إلى كتاب الرخامة، والنخبة الحِكميّة. أنظر، إسماعيل باشا البابابي، هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنفِين، (د ط)، وكالة المعارف بإسطنبول، (1951 – 1955م)، ج1، ص6.؛ القفطي، المصدر السابق، ص51.؛ كحالة عمر رضا، معجم المؤلّفين، ج1، ص36.

[12] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص304.

ما كان في أيّامه، ابتدأه بسنة (295هـ/908م)، وختم بوفاته[1]، وفي سنة (313هـ/925م) تقلّد بَيْمَارِسْتَان ابن الفُرات ببغداد[2].

ج–أُسْرَةُ بنُ أَثُرْدِي القرن(6هـ/12م):

تتكوّن هذه الأُسْرَةُ، حسب ما ذكره الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة من خمسة أطبّاء، وهي أُسْرَةٌ متميّزة في الحكمة، فاضلة في صناعة الطبّ، مشهورة بالجوْدة في العلم والعمل، نستعرض أطبّائها كالتّالي:

–**أَبُو الْغَنَائِم، هِبَة الله بنُ عَليّ بنُ الْحُسَيْن بنُ أَثُرْدي**: من أهل بغداد، متميّزٌ في الحكمة، فاضلٌ في صناعة الطبّ، مشهورٌ بالجوْدة في العلم والعمل، ولأَبي **الْغَنَائِم، هِبَة الله بنُ عَليّ بنُ أَثُرْدي** من الكتب: تعاليق طبيّة وفلسفيّة؛ مقالة في أنّ اللّذة في النوم في أيِّ وقتٍ تُوجَد منه، وألّف هذه المقالة للطّبيب أَبي نَصْر التَكْريتِي(ت نحو 472 هـ /نحو 1080 م)[3].

–**عَلِيّ بن هِبَة الله بنُ أَثُرْدي(بعد 507 هـ /بعد 1113 م)**: هو أَبُو الحَسَن، عَلِيّ بنُ هِبَة الله بنُ عَلِيّ بنُ أَثُرْدي، من أهل بغداد، طبيبٌ فاضل، مشهورٌ بالتقدّم في صناعة الطبّ وجوْدة المعرفة لها، حسنُ المعالجة، جيّدُ التصنيف، ولعَلِيّ بن هِبَة الله بنُ أَثُرْدي من الكتب: شرْحُ كتاب دعوة الأطباء، أَلَّفه لأَبي العلاء، محفوظ ابن المسيحي المتطبّب[4].

–**سَعِيد بنُ أَثُرْدي**: هو أَبُو الْغَنَائِم، سَعِيد بنُ هِبَة الله بنُ أَثُرْدي، من الأطبَّاء المشهورين ببغداد، وكان ساعُورُ البيمارستان العَضُدي، ومتقدِّمًا في أيّام الخليفة المقتفي بأمر الله(489 – 555 هـ /1096 – 1160 م)[5].

–**أَبُو عَليّ الحَسَن بنُ عَلِيّ بنُ أَثُرْدي**: فاضلٌ في صناعة الطبّ، جيّدُ الأعمال، حسنُ المعالجة، وكان من المشكورين ببغداد[6].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص307.

[2] نسبةً لأبي الحسن، علي بنُ محمد بن موسى بنُ الحسن بن الفرات، وزير المقتدر بالله بنُ المعتضد بالله توفيّ (312هـ/925م)، قيل أنّه كان يملك من الفضّة والضياع والأثاث ما يزيد على عشرة ملايين من الدنانير. أنظر، ابن خلّكان، المصدر السابق، ج3، ص421.؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط1، دار المعارف، مصر، (1960–1965م)، ج4، ص56.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص399.؛ الصّفدي، المصدر السابق، ج27، ص179.؛ أحمد عيسى، المرجع السابق، ص196.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص399.؛ إسماعيل باشا البابانيّ، المصدر السابق، ج1، ص695.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص399.؛ الصّفدي، المصدر السابق، ج15، ص154.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص400.

–جَمَالُ الدِّين عَلِيّ بنُ أَثُرْدِي (ت599هـ/ 1202م): طبيب فاضلٌ، وعالم متميِّزٌ في صناعة الطبّ علمها وعملها(1).

أمّا بقيّة الأُسر فأصنّفها في الجدول التّالي:

اسم الأُسْرَةُ وتاريخها (هجري/ميلادي).	أطبَّاؤها	بعض إنجازاتها	الصّفحة
أُسْرَةُ ابنُ زَهْرُون (ق4هـ/10م).	أَبُو إسْحَق، إبْرَاهِيم (ت309هـ/922م) وابنُه أَبُو الحَسَن (ت 365هـ/976م).	– خِدْمَة السّلطان عَضُدُ الدَّوْلَة (ت372هـ/983م). –تأليف الكُتُب؛ فلأَبِي الحَسَن الحَرَّانِيّ منَ الكُتُبِ: إصْلَاح مَقَالَاتٍ مِن كُنَّاش يُوحَنَّا بنُ سَرَابيون؛ جَوَابَات مَسَائِل سُئِل عَنْها.	307–311 .
أُسْرَةُ عَبْدُوس (نهاية ق3هـ ومطلع 4هـ/9و10م).	عَبْدُوس وصَاعِد بنُ بِشْر بن عَبْدُوس	_ خَدَمَ عَبْدُوس الخَلِيفَة المعْتَضِد بالله(ت289هـ/902م)، ولعَبْدُوس من الكُتُبِ؛ كتَابُ "التَّذْكِرَة في الطِّبِّ". –أمّا صَاعِد، فكَانَ فَاصِدًا في البَيْمَارِسْتَان، وكَانَ مُتْقِنًا للعِلَاجَات، كَعِلَاجِ السَّكْتَة، ولَه مَقَالَة في مَرَضِ المرَاقْيا.	312–314 .
أُسْرَةُ دَيْلَم (ق4هـ/10م).	دَيْلَم وابنه دَاوُد بنُ دَيْلَمْ (ت 329هـ/941م).	–خَدَم الحَسَنَ بنُ مَخْلَّد وَزِيرُ الخَلِيفَة المعْتَمَد عَلَى الله، وَخَدَمَ المعْتَمَدَ(256 هـ–279هـ/) والمعْتَضِد بالله(279–289هـ/ 892–902م).	315
أُسْرَةُ اليَمَامِيّ (ق5هـ/11م).	أَبُو سَعِيد اليَمَامِيّ وابنه أَبُو الفَرَج بنُ أَبِي سَعِيد اليَمَامِيّ.	_لأَبِي سَعِيد مِنَ الكُتُب، شَرْح مَسَائِل حُنَيْن؛ مَقَالَة فِي امتحَان الأَطِّبَّاء، ولابنِه، رِسَالَةٌ فِي الطِّبّ حَوْل مَسْأَلَةٍ بَيْنه وبَيْنَ ابنُ سِينَا.	322، 323 .
أُسْرَةُ جَرِير التَّكْرِيتِي.	الفَضْلُ بنُ جَرِير التَّكْرِيتِي وَأَخُوهُ أَبُو	_ تميُّز هذه الأُسْرَةُ في صِنَاعَة الطِّبّ وخِدْمَة الأُمَرَاء –الأَمِيرُ نُصَيْر الدَّوْلَة بنُ مَرْوَان–	328، 329 .

1 نفسه.؛ الصّفدي، المصدر السابق، ج12، ص85.

(ق5هـ/11م).	نَصْر يَحْيَى بن جَرِير التَّكْرِيتِي.	وَكَذَلِكَ تَأْلِيفُ الكُتُبِ فِي الطِّبِّ وَعِلْمِ النُّجُوم.	
أُسْرَةُ بنُ بُكْس (ق4هـ/10م).	إِبْرَاهِيم بنُ بُكْس وابنه عَلِيّ.	_ تميَّزَت هَذِه الأُسْرَةُ فِي عِلْم الطِّبّ وَنَقْل كُتُب كَثِيرة إلى العَرَبِي، وللوالد كِتَاب "الأَقْرَابَاذِين".	329
أُسْرَةُ ابن التّلمِيذ (ق6هـ/12م).	أَمِينُ الدَّوْلَة بنُ التِّلْمِيذ (ت560هـ/1166م) وأَخُوه أَبُو الفَرَج يَحْيَى بنُ التِّلْمِيذ، ووالدَهُما صَاعِد.	بالنّسبة لأَمِين الدَّوْلة: _ كثرة التّصانيف الطبّيّة، خاصّةً في مجَال الأَدْوية، وتميّزه في الأَدَب والشِّعر. _ رِئاسَة البَيْمَارِسْتَان العَضُدِي والأَطبَّاء ببَغْدَاد، وَالقِيَام بامتِحَان الأَطبَّاء، وَتَعْليم الطِّبّ. _ خِدْمة الخَلِيفَة المسْتَضِيء بالله (ت575هـ/1180م). _ أَمَّا ابنه، فَذَكَر ابنُ أَبِي أُصَيْبِعَة، أَنَّ لَه عِدَّة تَلَامِيذ وَلَه شِعرٌ كثير.	349–374.
أُسْرَةُ ابن هُبَل (ق6 ومطلع 7هـ/12–13م).	مُهَذَّب الدِّين بنُ هُبَل (ت 610هـ/1214م) وشَمْسُ الدِّين بنُ هُبَل (ولد 548هـ/1154م).	بَدر الدِّين لُؤلُؤ أمير الموصل والملك كيكَاوس بنُ كَيْخَسْرُو.	407–410 .

عددُ ما وجدته من أُسرٍ في الباب العاشر، عشر أُسر طبيّة، بمجموع ستّة وعشرين طبيبًا، إذا ما أضيفت إلى الأُسر السّابقة، يصبح عددها اثنان وعشرون أُسْرَةُ طبيّة، حتّى وفاة الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، وهذا دليلٌ على أنّ ظاهرة توارث الطبّ كان خاصيّة مميّزة في الطبّ العربي عمومًا، وفي المشرق الإسلامي والعراق خصوصًا، وأيضًا تأكيد لوجود تعليمٍ طبي، فمن أشهر الأُسر وأكثرها أثرًا أُسْرَةُ ثابت بنُ قُرّة الحرّاني التي اشتهرت بنبوغها في الطبّ وفي ترجمة الكتب، وخدمة الخلفاء العبّاسيّين لمدّةٍ تزيد عن قرنٍ ونصف، أشهرهم ثابت بنُ قرّة وهو، أوّل من دخل إلى بغداد، ثمّ نبغ ابنه سِنَان، وحفيداه ثَابِت وإبرَاهيم؛ ولدا سِنَان، وقد خلَّفت هذه الأُسْرَةُ العديد من المؤلّفات الطبِّيَّة.

أمّا الأُسر الأخرى فهي غير معروفة، نظرًا لمحدوديّة خدماتها الطبّيّة، وقلّة إنتاجاتها العلميّة، وذلك إذا ما قورنت بالأُسر السُّريانيّة سابقة الذّكر، وقد يرجع ذلك إلى ما شهدته الخلافة العبّاسيّة من تطوّر وازدهار في بداياتها، مع نشاطٍ كبيرٍ في ترجمة العلوم المختلة، ساهم في ذلك استقرار الحالة السيّاسيّة، ومن هنا يستنتج تراجعًا للطبّ في العراق في فترات لاحقة.

2- الأُسَر الطبّيّة في مصر:

عَرَفَت مِصْر هي الأخرى وجود عدّة أُسَرٍ طبيَّة بلغ عددها سَبع أُسَرٍ، من أكبرها وأشهرها أُسْرَةُ ابنُ أَبي فَانَة (ق7هـ/14م)، المكوّنة من سبعة أطبّاء، أمّا باقي الأُسر فهي تتكوّن من طبيبيْن وثلاثة، فأمّا أُسْرَةُ ابن أَبي فَانَة، فهي أُسْرَةُ نصرانيّة تميّزت في الطبّ بعِلمها وعمَلها، قدِم طبيبُها الأوّل أبو سُلَيْمان دَاوود بنُ أَبي المنَى بنُ أَبي فَانَة من القدس، وكانت له معرفة بالغة بأحكام النجوم(1)، وكان حظيًّا عند صلاح الدّين الأيوبيين، فاعتنى به وأوْصى الملك العادل بأنْ يُكْرِم أولاده وأن يكونوا من الخَواص(2)، وتوارث أولاده؛ أبو سعيد (ت613هـ/ 1216م)، وأبو شاكر(ت613هـ/1216م)، وأبو الفضل، وأبو نَصْر صناعة الطبّ، وتميّزوا فيها، وكانت خدمتهم مخصوصة للسّلاطين الأيوبيّين، ونالوا الحَظْوة العظيمة وتمكّنوا عندهم التمكّن الكثير، واستفادوا من الإقطاعات والضّياع وغيرها(3).

أمّا أكثر أطبّاء هذه الأُسْرَةُ شهرةً، فهو الطّبيب "رَشِيدُ الدِّين، أَبُو الوَحْش بنُ الفَارِس، أَبُو الخَيْر بنُ أَبي سُلَيْمان، دَاوود بنُ أَبي المنَى بنُ أَبي فَانَة، المعْرُوف بـ" أَبي حُلَيْقَة(ت648 هـ/ 1250م)"، كان أوحد زمانه في الطبّ والحكمة، وكان حَسَن المعالجة، لطيف المداواة، رؤوفًا بالمرضى، له مؤلّفات كثيرة في الطبّ(4)، وخَدَم بصناعة الطبّ الملك الكامل، وولده الملك الصالح نجم الدّين أيُّوب وخدم أيضًا ولده

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص587.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص589.

3 نفسه.

4 ذكر له الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة خمسة مؤلّفات هي: مقالة في حفظ الصحّة، ومقالة في أنّ الملاذ الروحانيّة ألّذ من الملاذ الجسمانيّة، كتاب في الأدويّة المفْردة بعنوان "المخْتَار في الأَلْف عقّار"، وكتاب في الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدويّة المفردة والمركّبة التي قد أظهرت التجربة نجاحها، وله أيضًا، مقالة في ضرورة الموت. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص597.

بعد ذلك وهو الملك المعظَّم ترَنْشاه[1]، كما خدم بالطبّ الملك الظاهر رُكْن الدِّين بَيْبَرس(625 - 676هـ /1228 - 1277 م)[2].

كما يوجد ضمن هذه الأُسْرَةُ، الطَّبيب مُهَذَّب الدِّين، أَبُو سَعِيد، مُحَمَّد أَبِي حُلَيْقَة، وُلد في القاهرة في سنة(620هـ/1224م)، وسُمِّيَ "محمدًا" لما أسلم، أتقن الصّناعة الطبّيّة، كما عرف العلوم الحِكميّة وتميّز فيها، يصفه الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة وصفًا مبالَغًا، ممّا جعل المؤرّخ الذّهبي يُشَنّع عليه ذلك[3]، يقول ابن أَبِي أُصَيْبِعَة فيه: "وصلني كتابه ... وهو يُعْرِبُ عن فضلٍ باهرٍ، وعلمٍ وافرٍ وفطنةٍ أَصْمَعِيّة[4] وشِنْشِنَةٌ أخزمية[5]، وتودّد عظيم وإحسان جسيم"[6].

أمّا فيما يخصّ باقي الأُسر الطبّيّة المصريّة فأبيّنها في الجدول التالي:

اسم الأُسْرَةُ وتاريخها (هجري/ميلادي).	أطباّؤها	بعض إنجازاتها	الصّفحة
أُسْرَةُ نِسْطاس (ق4هـ/10م).	**نِسْطاس بنُ جُرَيْج وإِسْحَاق بنُ إِبْرَاهِيم بنُ نِسْطَاس.**	**-أُسْرَةُ نَصْرانيّة تمكّنت في الطِّبّ وَخَدَمَت الحُكّام، وَلِنسطاس كُنّاش.**	**544**

[1] تُورَانْشَاه ابنُ الملك الصَّالح نجم الدّين أيّوب ابنُ الملك الكامل محمد (648هـ /1250م)، السُّلطان الثّامن في الدّولة الأيوبيّة بمصر، وآخرهم، سمّي (الملك المعظّم)، كان مقيمًا في حصن كَيْفًا نائبًا عن والده الذّي توفيّ سنة(647هـ/ 1249م)، فقام بعد موته بلبس خلعة السلطان ومقاتلة الفرنج، ليهزمهم ويستردّ دُمياط، ثمّ تنكّر لشجر الدُّر -وقيل: ساءت سيرته مع المماليك-، فحرّضت عليه المماليك البحريّة فقتلوه فكانت مدّة سلطنته نحو أربعين يومًا، وبوفاته انتهى حكم الدّولة الأيّوبيّة بمصر، ومدّتها نحو 86 سنة. أنظر، المقريزي، المقّفى الكبير، ج2، ص361.؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص ص177، 178.؛ الزِرِكلِي، الأعلام، ج2، ص90.

[2] ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص591.

[3] بعد أن عرض المؤرّخ الذّهبي قول الطبيب ابن ابي أُصَيْبِعَة في الطّبيب مهذّب الدّين، علّق عليه في قوله: "قلتُ: "هذه مُجازَفة قبيحة من الموفّق لا يزال يرتكبها، نسأل الله العفو". أنظر، الذّهبي، سيّر أعلام النّبلاء، ج51، ص281.

[4] نسبةً إلى الأصمعي، ولد في البصرة (740-820م)، كان صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والمِلَح. أنظر، أبو البركات الأنباري (عبد الرحمن بنُ محمد بنُ عبيد الله الأنصاري ت 577هـ)، نُزهة الأَلْباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرّائي، ط3، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، (1405هـ/ 1985م)، ص91.

[5] الشِنْشِنَةٌ، الطّبّيعة والسلوك، وأَخْزَمِيّة، من أَخْزَم وهو، فَحْلٌ معروف، وهذا مَثل للعرب. أنظر، ابن عبد ربّه الأندلسي (أبو عمر، شهاب الدين أحمد بنُ محمد بنُ عبد ربّه، ابن حبيب، ابن حدير بنُ سالم ت 328هـ)، العِقد الفريد، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1404هـ، ج2، ص65.

[6] ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص598.

أُسْرَةُ ابنُ البطريق (نهاية ق3 وبداية 4هـ/9و10م).	سَعِيد بنُ البَطْرِيق وأَخُوه عِيسَى بنُ البَطْرِيق.	–أُسْرَةُ نَصرَانيّة تميَّزَت في الطِّبّ، ولِسَعِيد بنُ البَطْرِيق من الكُتُب الطبّيَّة كتاب في الطبّ عِلْم وعَمَل.	545–546
أُسْرَةُ سَهْلَان (ق4هـ/10م).	أَبُو الحَسَن سَهْلَان وأَبُو الفَتْح مَنْصُور بنُ سَهْلَان.	–دِرَاية وخِبْرة بِصِنَاعَة الطِّبّ، بالإِضَافَة إلى خِدْمَة الخُلَفَاء المصْريين، (كَالحَاكم بأَمْر الله (375–411هـ/985–1021 م).	548–549
أُسْرَةُ ابنُ رَحْمُون (ق6هـ/12م).	سَلَامَة بنُ رَحْمُون وابنه مُبَارَك بنُ سَلَامَة.	–أُسْرَةُ يَهُوديّة، عُرِفت في الطِّبّ، إِلَّا أَنّ تميُّزُها فِيه كَانَ محْدُودًا.	568–570.
أُسْرَةُ الرَّئِيس مُوسَى (آخر ق6 وبداية7هـ/12و13م).	الرَّئِيس أَبُو عُمْرَان مُوسَى وابنه أَبُو المنَى إبْرَاهِيم.	– تميّز الطَّبِيبَان فِي الطِّبّ، لِينَالَا شَرَفُ خِدْمَة الحُكَّام الأَيُّوبِيّين. –الخِدْمَة في بَيْمَارِسْتَان القَاهِرَة، وَتأْلِيف العَدِيد مِنَ المؤُلَّفَات الطبّيّة.	582، 583.
أُسْرَةُ جَمَال الدِّين بنُ أَبِي الحَوافِر (آخر ق6 وبداية7هـ/12و13م).	جَمَال الدِّين بنُ أَبِي الحَوافِر وابنُه فَتْح الدِّين بنُ جَمَالَ الدِّين وَحَفِيده شِهَابُ الدِّين بنُ فَتْح الدِّين	–أُسْرَةُ مُسْلمة لهَا فضلٌ وريادةٌ في الصِّناعة الطِبّيّة، تميّزت في الأدويّة المُفْرَدَة والمركّبة. – خِدْمَة الحُكَّام (الكَامِل مُحَمَّد بنُ أَبِي بَكْر بنُ أَيُّوب، والصَّالح نَجْم الدِّين أَيُّوب والظَّاهِر بَيْبَرس).	584–586.

يستنتج ممّا سَبَق، أنَّ هذه الأُسر بدأت في الظّهور ابتداءً من القرن(4هـ/10م)؛ إذ لم نجد أيّةَ أُسر طبيّة قبل هذا الوقت، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، حيث لم أجد طبيبيْن من أُسْرَةُ واحدة على الأقلّ قبل فترة الدّولة الإخشيديّة(323–358 هـ/935–968م)، فظهرت ثلاث أُسرٍ ما بين الإخشيديين والفاطميّين في مصر، وباقي الأُسر برزت في عهد الأيّوبيّين، لاعتناء السّلاطين الأيّوبيين بالطّب والأطبّاء، وتُعدّ أُسْرَةُ ابن أَبِي فَانَة أكبر أُسْرَةُ طبيّة مصريّة، من حيث عدد الأطبّاء –سبعة أطبّاء– وحتّى من حيث شهرتها وتأثيرها الطبّي، وخدمتها للسّلاطين الأيّوبيّين.

أُسْرَةُ واحدة من بين الأُسر السّبعة الّتي ذكرناها كان أطبّاؤُها مسلمين، وهي أُسْرَةُ جمال الدّين بن أَبي الحوافِر، أمّا باقي الأُسر فانقسمت بين النّصرانيّة واليهوديّة، وهذا ما يؤكّد قولنا سابقًا في تصنيف الأطبّاء، حسب الدّيانة في مصر، من أنّ أغلبهم من أهل الذِمّة، ولم يتوسّع الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في معلوماته حول أطبّاء هذه الأُسر، مقارنةً بما ذكره عن أطبّاء أُسر الأقاليم الأخرى؛ كالعراق والشّام، كما يلاحِظُ قلّةً في الإنتاج العِلميّ لهذه الأُسر.

3– الأُسر الطبّيّة في الشَّام:

عددُ ما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة من أُسر طبيّة في بلاد الشّام تسع أُسر، أُسْرَةُ واحدة في الباب السّابع –طبقات الأطبّاء الّذين كانوا في أوّل ظهور الإسلام من أطبّاء العرب وغيرهم–وباقي الأُسر في الباب الأخير الخاص بطبقات أطبّاء الشّام.

أ–أُسْرَةُ أَبي الحَكَم الدّمشقي (ق1هـ/7م–2هـ/8م):

تتكوّن هذه الأُسْرَةُ من ثلاثة أطبّاء؛ الأب والابن والحفيد، وهي أُسْرَةُ نصرانيّة تميّزت في الطبّ، وفي معرفة العِلّل المختلفة، وإيجاد الأدويّة لها، ويعتبر أبو الحَكم هو عمود هذه الأُسْرَةُ وأصلها[1]، فقد ذكره ابن أَبي أُصَيْبِعَة، على أنّه كان طبيبًا نصرانيًا له علمٌ بأنواع العلاج والأدويّة[2]، وكان في خدمة الخليفة معاوية بن أَبي سفيان، ويعتمد عليه في تركيب الأدويّة[3] لأغراضٍ يقصدها[4]، عَمَّر هذا الطَّبيب أكثر من مائة سنة[5]، أمّا ابنه حَكم، فهو الطَّبيب الثّاني في هذه الأُسْرَةُ، كان يلْحق والده في المداواة وأعمال الطبّ، وكان مقيمًا بدمشق، له تمهُّرٌ في العلاج[6]، وقد كان ولده عيسى المعروف بـ "المسيح"[7] أكثر شهرةً منه، من خلال مؤلَّفه "كُنّاش كتاب منافع الحيوان"[8]، وعُدّ من فُضلاء الأطبّاء[9].

---

1 كُرْد عَلي، خطط الشَّام، ج4، ص24.؛ القفطي، المصدر السابق، ص137- 297.

2 من علاجاته، أنّه لما اشتكى الصحابي عُروة بن الزُبير بن العَوام رضي الله عنه من رِجله، فدخل عليه أبُو الحَكَم، فوجدها أَكلة تستمّر في الصّعود إلى ركبته، فقام ببتر رجله، وفي ذلك قصّة عظيمة. أنظر، محْمُود محمد شاكر، جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدَّم لها: الدكتور عادل سليمان جمال، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2003م، ج1، ص113.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص175.

4 الظاهر أنّ الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة يُحيلنا في هذه العبارة " لأغراضٍ قصَدها "إلى أنّ معاوية استعمله في تركيب السُمّ لاغتيال أعدائه، وهذا لا يمكن قبوله مباشرة؛ بل وجب البّحث فيه أكثر، ولهذا فإنّ هذه القضيّة سأسعى إلى مناقشتها في الفصل الخامس، في موضوع نماذج عن التجاوزات الطّبّيّة.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص175.؛ الصّفدي، المصدر السابق، ج13، ص79.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص176.

7 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص177.؛ عمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، ج8، ص23.

8 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص177، 178.

9 ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج9، ص327.

ب–أُسْرَةُ الرَّحْبِي (أواخر ق6 وبداية 7هـ/12/13م):

تتألّف هذه الأُسْرَةُ من رضِيّ الدّين الرَّحْبِي (ت631هـ/1234م)[1] وولديه؛ شَرَف الدّين وجمال الدّين، ورضي الدّين الرّحْبِي هذا قد تمّ التطرقّ إليه سابقًا في الفصل الأوّل؛ إذ يُعدّ أحد مشايخ ابن أَبي أُصَيْبِعَة الّذين تتلمذ على أيديهم، أمَّا شَرَف الدِّين، عَلِيّ بنُ يُوسُف بنُ حَيْدَرَة الرَحبيّ(583 -667 هـ/1187 -1268م)[2]، كان مولده ووفاته بدمشق، قرأ الطبّ على والده وبرَع فيه وأتقنه وخدم في البيمارستان الكبير، وتولّى تدريس الطبّ مدّةً[3]، وصنّف كتبًا منها، " خَلْقُ الإنسان وهيئة أعضائه ومَنفعتها "، قال الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عن هذا الكتاب: "لَمْ يَسْبِق إلَى مِثْلِه"[4]، أمّا جمال الدّين بنُ الرَّحْبِي (ت658هـ/1261م)، فقد وُلد ونَشَأ بدمشق، ويُعدّ من الفُضَلاء في الطِّبّ، خَدم في البَيْمَارِسْتَان الكبير، ورحل إلى مصر، وتوفيّ بها[5].

أمّا الأُسَر الأخرى فأدرجها في الجدول الموالي:

اسم الأُسْرَةُ وتاريخها (هجري/ميلادي).	أطباّؤها	بعض إنجازاتها	الصّفحة
أُسْرَةُ جَابِر بنُ مَنْصُور السُكَّرِي[6] (ق4و5هـ/10و11م)	ظَافِر بنُ جَابِر السُكَّرِي ومَوهُوب بنُ الظَّافِر.	– لهذه الأُسْرَةُ الفَضْل والتَمَيُّز في صِنَاعَة الطِّبّ. – بعض المؤلّفات في الطبّ.	613، 614 .
أُسْرَةُ سُكَّرة الحَلَبِيُّ (ق6هـ/12م).	سُكَّرة الحَلَبِيُّ وابنه عَفِيف	– مَعْرِفَة في الطِّبّ ودَرْبَة بالعلاج والمداواة.	637

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص672.؛ الذّهبي، سيّر أعلام النبلاء، ج22، ص372.؛ ابن فضل العمري، المصدر السابق، ج9، ص512.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص675.؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص422.؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدوّل، ج1، ص274.؛ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص221.

[3] لما وقف مُهذّب الدين بنُ الدّخوار داره بدمشق وجعلها مدرسةً للطبّ –أتكلّم عنها لاحقًا في الفصل الرّابع–، أوصى أن يكون المدرّس فيها شَرَفُ الدّين بنُ الرَّحْبِي لِما قد تَحَقّقه من علمه وفهمه، فتولَّى التَّدريس بها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص676.؛ الصفدي، المصدر السابق، ج22، ص219.؛ النُعَيمي، الدّارس في تاريخ المدارس، ج2، ص102.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص682.

[5] نفسه.

[6] تُنسَب الأسرة إلى جابر بن منصور السكّري، وقد صنّفه الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة مع أطباء الشّام، على الرّغم من كونه من العراق وأكثر تواجده كان به، إلّا أنّ ولداه قدما إلى الشّام وأقاما بحلب. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص613.

		– علاقة بالسَّلاطين، كنُور الدِّين زَنْكِي(ت569هـ/1173م)، والنّاصر صلاح الدّين الأيوبي(ت589 / 1193 م).	
أُسْرَةُ مُوفَّق الدِّين عَبْد العَزِيز. أَوَاخِر (ق6وَبِدَايَة 7هـ/12و13م).	مُوفَّق الدِّين عَبْد العَزِيز وسَعْدُ الدِّين بنُ عَبْد العَزِيز.	– التَميُّز في الطِّبّ والخِدْمَة في البَيْمَارِسْتَان الكَبِير. – لأَطبّاء هَذه الأُسْرَةُ مجَالِس لِتَعْليم الطِبّ. –خِدْمَة السَّلَاطِين العَادِل615هـ/1218م)، والأَشْرَف635هـ/1237م)، والكامل 635هـ /1238 م).	671، 672.
أُسْرَةُ ابن سِقْلَاب (ق7هـ/13م).	مُوفَّق الدِّين يَعْقُوب بنُ سِقْلَاب وابنهسَدِيد الدِّين أبُو مَنْصُور.	_ التَميُّز في الطِّبّ، والتَّمكُّن من كُتُب جَالِينُوس. _ خِدْمَة السَّلَاطِين الأَيُّوبِيّين.	697-699.
أُسْرَةُ المِنْفَاخ (ق7هـ/13م).	موفّقُ الدِّين المِنْفَاخ ونَجْمُ الدِّين بنُ المِنْفَاخ.	_ إتقان صِنَاعَة الطِّبّ، وَمَعْرِفة بالعُلُوم الحِكميّة. _خِدْمَة السَّلَاطِين الأَيُّوبِيّين (الملِك الأَشْرَف). _ التَّأْلِيف في الطبّ، خاصّةً في الأمراض والأدويّة.	757-758.
أُسْرَةُ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة. أواخر(ق6وبداية7هـ /12و13م).	الجدُّ خَلِيفَة وابنَاه القَاسِمُ وعَلِيّ (عمُّ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة) والحَفِيد الموَفَّقُ المَعْروف بابن أَبِي أُصَيْبِعَة.	– التميّز والتمهّر في الطبّ، وخاصّةً في أمور الكَحّالة. –الخدمة في البَيْمَارِسْتَانَات في الشّام ومصر. – التَّأْلِيف في الطِّبّ وفي تَاريخ الطِّبّ. –خِدْمَة السَّلَاطِين الأَيُوبِيّين.	736-750 .

أُسْرَةُ اللَّبُودِي (ق7هـ/13م).	شَمسُ الدّين بنُ اللَّبُودِي ونَجْمُ الدِّين بنُ اللَّبُودِي.	– تَميُّزٌ في الطِّبّ والحِكْمَة والشِّعر، وكَثْرَة التَّأْلِيف فِيها. – تَدْرِيس صِناعَة الطِّبّ في البَيْمَارِسْتَان النُورِي الكَّبِير. – خِدْمَة السَّلَاطِين الأَيُّوبِيّين.	662–668 .

تسعُ أُسَرٍ طبيّة، بمجموع ثلاثة وعشرون (23) طبيبًا، فيما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة من أُسَرٍ طبيّة في الشام، بما فيها أُسْرَةُ ابن أَبي أُصَيْبِعَة، أُسْرَةُ واحدة كانت في القرنين الأولّيين وهي أُسْرَةُ أبُو الحَكَم، وباقي الأُسَر بَعد القرن(5هـ/11م)؛ بل إنّ أغلب هذه الأُسر كانت في القرن(7هـ/13م).

قد يدلّ ما سبق على أنّ الحالة الطبّيّة في الشّام كانت في أوجّها ابتداءً من القرن(6هـ/12م) وما يبرهن ذلك أكثر وهو ما سأذكره لاحقًا، هو إنشاء المدارس الطبّيّة المتخصّصة لتعليم الطبّ النظري، إلى جانب ما يتعلّمه طالب الطبّ من علمٍ تطبيقي بالبَيْمَارِسْتَان، فالفترة الّتي عاش فيها ابن أَبي أُصَيْبِعَة عَرَفت توارثًا للطبّ داخل الأُسَر، وسَاهَم في ذَلك تَشْجيع الحُكّام للأطبّاء، خاصّةً السَّلَاطِين الأَيُّوبيّين.

4– الأُسَرُ الطِّبيَّة في أقَاليم المشْرِق الإسْلَامي الأُخْرى:

أُسْرَتان ذكرهما الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة ضمن المشْرق الإسْلَامي، من غَيْر العِراق والشّام ومصر هما، أُسْرَةُ الحَرْثُ بن كِلدة، بالجزيرة العربيّة، وأُسْرَةُ ابن رَبْن الطَّبَرِي، من طَبَرِسْتَان، وتتكوّن كلّ واحدة منهما من طبيبيْن اثنين.

أ–أُسْرَةُ الحَرْثُ بنُ كِلْدَة (القرن1هـ/7م):

الحَرْثُ بنُ كِلْدَة الثَّقَفي؛ طبيبٌ من الطّائف، تعلّم الطبّ بفارس، عرف الدّاء والدّواء، عاش في أيّام الرّسول ﷺ وأيّام الخلفاء الرّاشدين رضي الله عنهم، وكذلك في أيّام الخليفة معاوية رضي الله عنه، وله كلامٌ مُسْتحْسَن فيما يتعلّق بالطبّ، وله معالجاتٌ كثيرة من بينها، ما ذكرته سابقًا في مسألة عِلاجه للصَّحابي سعد بن أَبي وقّاص رضي الله عنه، واشتهرت محاوَرته لكِسرى وتعريفه للطبّ[1] وهي عبارة عن

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص161، 162.

كتاب[1]، أمّا ولده فهو النَّضْرُ بنُ الحَرْث بنُ كِلْدَة الثَّقَفِي، تعلّم الطبّ من أَبيه، كما اطّلع على علوم الفّلسفة والحكمة[2].

ب–أُسْرَةُ رَبْنُ الطَّبَرِي[3] (ق3هـ/9م):

أدرج الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة هذه الأُسْرَةُ ضِمنَ طَبَقَات أَطبَّاء العَجَم، فذكر أنَّ رَبْن الطَّبَرِي كان طبيبًا يهوديًا مُنَجِّمًا، من طَبَرِسْتَان، تميّز في الطبّ والهندسة وأنواع الرّياضة، كما أنّه نقل كُتُبًا حِكميّة من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى، وذكر كذلك الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بعض المعلومات عن والده، بأنّه كان طبيبًا مشهورًا يُدعى "عَلِيّ بنُ رَبْن"، حيث قدِم من طَبَرِسْتَان إلى العراق، وسكن سُرَّ مَنْ رأى[4]، في حين ذكر ابنه أَبُو الحَسَن، عَليّ بنُ سَهْل بنُ رَبْن الطَّبَرِي(ت247هـ/861م)، بلغ من الأهميّة أنّه كان معلّم الرّازي لصناعة الطبّ[5]، أسلم على يد الخليفة المعتصم بالله[6]، له من الكتب "كتاب فِرْدَوْس الحِكمة"[7]، و"كتاب أَرْفَاق الحياة"، كما له"كتاب تُحْفة الملوك"، وغيرها[8].

في هذا الجدول سندرج تِعداد جامع لكلّ الأُسر الطبيّة في أقاليم المشرق الإسلامي:

الإقليم	العراق	مصر	الشّام	أقاليم أخرى
عدد الأُسَر	22	7	9	2

الرّسم البياني:

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص161.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص167.

3 ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج9، ص470.؛ د. فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، تر: د عبد الله بن عبد الله حجازي، مر: مازن يوسف عماوي، ط1، جامعة الملك سعود، (1406هـ/ 1986م)، ج1، ص501.

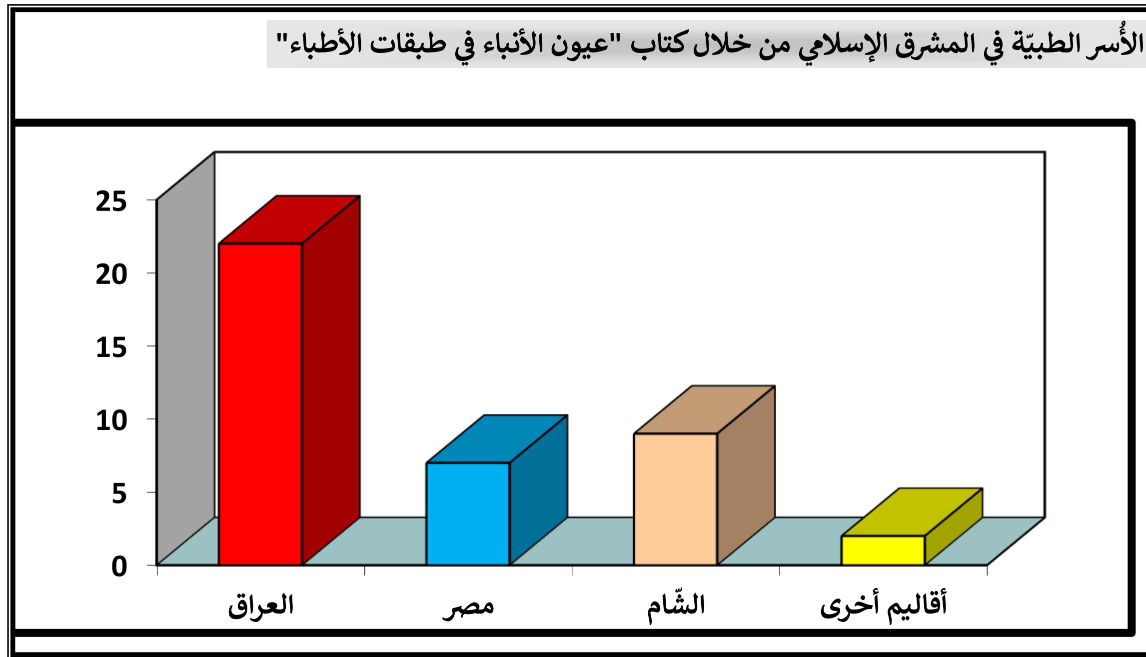
4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص414.

5 الرّازي (أبو بكر بنُ محمد بنُ زكريا ت313هـ)، بُرْءُ ساعة، تح: خالد حربي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطّبّاعة والنشر، الإسكندريّة، 2006م، ص13.

6 عليُ بنُ سهل رَبن الطّبَري، فردَوْس الحكمة في الطّبّ، مقدّمة المصحّح، ص ط.

7 يحتوي على سبعة أنواعٍ من العلم، في ثلاثين مقالة، بمجموع مائةٍ وستّين بابا. أنظر، علي بنُ سهل ربن الطّبَري، فردوس الحكمة في الطّبّ، ص27.

8 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص414.؛ ابن النّديم، الفهرست، ص358.؛ الزرِكلِي، المرجع السابق، ج4، ص288.



الملاحظ أنّ العراق تأتي في المرتبة الأولى من حيث عدد الأسر الطبيّة باثنتين وعشرين (22) أسرة، وتليها بلاد الشّام بتسع (9) أُسر طبيّة، ثمّ بلاد مصر بسبع (7) أُسَرٍ طبيّة، بالإضافة إلى أسرةٍ بشبه الجزيرة العربية وهي، أُسْرَةُ الحَرْثُ بنُ كِلْدَة، وأسرةٌ ببلاد العجم —كما صنّفها الطبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة– وهي أُسْرَةُ رَبْنُ الطَّبَرِي، كما يمكن استنتاج ما يلي:

أوّلًا: كثرة الأُسَر الطِّبيّة في المشرق الإسلاميّ، حيث وصلت إلى أربعين أُسْرَةُ طبيّة، وبذلك تُعدّ خاصيّةٌ في الطبّ العربي والإسلامي، حيث يُتَوارَث الطبّ داخل الأُسْرَةُ الواحدة.

ثانيًا: صنعت الأُسر السُّريانيّة الّتي تواجدت ببغداد؛ عاصمة العبّاسيّين الفارِق، لكثرتها ولاعتماد الخلفاء عليها، فكانت وِجْهة أطبّاء جُنْدَي سَابُور، وهذا دليلٌ على المكانة الّتي تبوؤوها والإكرام الكبير الّذي استفادوا منه، أمّا في مصر والشّام، فكان عدد الأُسر بهما متقارب لتشابه الإقليمين وخضوعهما في أغلب الأوقات لسلطةٍ سياسيّة واحدة.

ثالثًا: كان الخلفاء والحكّام المسلمين يتبرّكون ببعض الأُسر لاختصاصهم بهم مثال ذلك، ما ذكره الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة عن الطَّبيب رَشِيد الدِّين أَبُو حُلَيْقَة، عندما أراد والده تعليمه الجنديّة، فرفض له الخليفة ذلك، قال ابن أَبِي أُصَيْبِعَة: "... وقال له وَلَدُك هذا ولدٌ ذكيٌّ، لا تُعلِّمْهُ الجُنديّة فالأجناد عندنا كثيرون، وأنتم بيتٌ مبارَكٌ وقد استبْرَكْنا بطِبِّكُم، تُسَيِّره إلى الحكيم أَبي سعيد إلى دمشق ليُقْرِئه الطبّ، فامتثل والده

الأَمْرَ، وجهّزه وسيَّره إلى دمشق أقام فيها مدّة سنةٍ كاملة، حفِظ فيها كتاب الفصول لأبُقراط وتَقدمة المعرفة"[1]، ولا يستبعد أن يكون المساعد له في ذلك ميل الولّد إلى الطبّ، وجاهزيته لتعلّمه.

رابعًا: لم يخصِّص الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة فصلًا أو بابًا مخصّصًا ليتناول فيه ظاهرة الأُسر الطبيّة، وإنّما طريقة عرْضه لترتيب الأطبّاء كانت بالتّرتيب الزماني، فحصَّل لنا وجود أطبّاء من عائلةٍ واحدة، وهذا المستنتج من دراسة مضمون الكتاب.

خامسًا: غالبًا ما تَولَّى الوالد الّذي هو عمود الأُسْرَةُ الطبيّة تعليم ولدِه وتوجيهه، ليمْتَهِن الطبّ؛ بل ويتخصَّص نفسَ اختصاص والده مثال ذلك، أُسْرَةُ ابن أَبي أُصَيْبِعَة الّتي تميّزت في أمور الكحالة، وأُسرٌ أخرى في تركيب الأدويّة، وأخرى في ترجمة الكتب الطبيّة، ومنها مَنْ غلبت عليها الحكمة والريّاضيات.

سادسًا: ما وجدته أيضًا أنّ الأُسر الطبيّة في العراق أغلبها ظهرت في القرون الأولى عصر الخلافة العباسيّة النّاشئة، وامتهنت التّرجمة ونقل الكتب إلى العربيّة، على العكس من ذلك في الشّام ومصر حيث لم يعرِف الطبّ ازدهارًا إلّا بعد القرن(4هـ/10م).

سابعًا: أغلب الأُسر الطبيّة في المشرق الإسلامي أُسَرٌ نصرانيّة ويهوديّة، وقليلةٌ هي الأُسَر الإسلاميّة، إلّا أنّها اتّصفت في الغالب بالأخلاق والآداب الطبيّة لإنسانيّة الصّناعة وعملًا بما جاء في كلٍّ من القَسَم والوَصيَّة الطبيّين لأبقراط، ممّا أدّى بالخلفاء وضع كامل الثّقة فيهم، وفي المقابل تفانىَ أطبّاء هذه الأُسَر في الخدمة، من باب تحمُّل الأمَانة، وقُدْسية المهنة، والتزام الأخلاقيات والآداب الطبيّة، وللإكرام والمنزلة الكبيرة الّتي قابلهم بها الخُلفاء.

ثالثا: نَكبات ومِحَنُ أطبّاء المشرق الإسلامي، وعلاقات الأطبّاء فيما بينهم:

من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" نستنتج عديد الأمور المرتبطة بالأطبّاء، وجب التّعريج على أهمّ ما ارتبط بالصّناعة الطبيّة، دون الخوْض في الحياة الاجتماعيّة لهؤلاء، وقد بيَّنت دوْر الخلفاء في التّشجيع على الطبّ ومكانة الأطبّاء لديهم، وذكرت ذلك الإنعام والإكرام الذي كان يناله الطَّبيب من الحاكم ماديًا ومعنويًا، حتّى غدَا الطَّبيب في الجانب المادّي من الأغنياء؛ بل ولم أجد الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة يذكر معاناة الطَّبيب الماديّة، إلّا مَنْ تَعرّض لِنقمة حاكمٍ بأنْ صادر ممتلكاته.

[1]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، 591.

1– مِحْنة[1] وعقوبة الطَّبيب:

حَظيّ الأطبّاء بمكانةٍ مرموقة في الحضارة الإسلاميّة، حيث قرّبهم الخلفاء وجعلوهم من خاصّتهم وكانوا عَوْنًا لهم في مواقف عديدة، إلّا أنّ فيهم مَن تعرّض لمحنةٍ أو عُقُوبة؛ سببها الحسد أو العِناد أو لسُوء تقديرهم لبعض الأمور أو التّدبير عليهم، ممَّا أدَّى إلى معاقبتهم، وقد وجدنا أنواعًا من العقوبات الّتي تعرّض لها الأطبّاء، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" كالعقوبة بالقتل، والعقوبة بالسّجن، والعقوبة بمصادرة الأملاك والنّفي، وكذلك الفصْلِ والطّرْد.

أ–الأسباب المُوجِبة للعقوبات: تعدّدت، ويمكن توضيحها في العناصر الجزئيّة التاليّة، مع بسط أمثلةٍ مختلفة لذلك:

–سُوءُ المعالجة والتَّدبير:

بلغ رئيس الأطبّاء جبرائيل بن بختيشوع المكانة الرفيعة عند الخليفة هارون الرَّشيد، وهو الّذي قال: "منْ كانت له عندي حاجة فلْيُخاطِب بها جبرائيل لأنّي أفعلُ كلُّ ما يسألُني فيه ويطلُبه منّي"[2]، لكن على الرّغم من هذا إلّا أنّه سخط عليه في آخر أيّامه بعد عدَم مقدرة جبرائيل على إشفائه، خاصّةً بعد أن اتّهَمه أحدُ الأساقفة ممّن أتى إلى مداواته، بكوْنه جاهلًا لأمور الطبّ، وعلى أنّه هو مَنْ تسبَّب في المرض، فقام بحبْسِه[3]، وحُبِس مرّةً أخرى بأمْرٍ من المأْمُون بعد هروبه من القصر والالتحاق بخدمة الأمين[4]، وحُبِس خَصِيب الطِّبيب(ق2هـ/8م)، بسبب شَرْبة دواءٍ سقاها لمحمّد بن أَبي العباس السّفَاح، فمات بها، في سنة(150هـ/767م)، فاتُّهِم بقتله وبقيّ محبوسًا حتّى مات[5].

–الامتناعُ عن الخِدمة:

مرض الخليفة أبو جعفر المنصور، وعجَز الأطبّاء عن مداواته فجمعهم وطلب منهم اقتراح طبيبٍ يكون قادرًا على معالجته، فاجمعوا على رئيس بَيْمَارِسْتَان جُنْدَي سَابُور جُورْجُس، فأنْفذ رسولًا يُحضره،

---

1 يُقصد بالمحنة، ما امتُحن به الإنسان؛ أي: "ابْتُلي به". أنظر، الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلوم، ج9، ص6234.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص188.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص189.

4 نفسه.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 215.

فامتنع جُورْجُس عن الخروج وترْكِ البَيْمَارِسْتَان، فتمّ اعتقّاله، لولا أنْ اجتمع رؤساء المدينة مع المطْران[1] وإشارتهم له بالذهاب إلى بغداد[2]، ولما تولَّى الخليفة محمّد الأُمِين جعل من جبرائيل طبيبًا له فأحسن إليه وأكرمه ووهب له أموالًا جَليلة أكثر ممّا كان يهبُها له أبوه الرشيد، ولمّا علم المأْمُون بذلك، كتب إلى الحَسَن بنُ سهْلْ بأنْ يقبِض على جِبْرَائِيل ويحبِسه، لأنّه ترَك قصرَه بعد موت أَبيه الرشيد ولم يُقُمْ بخِدمته، حيث مضى إلى أخيه الْأمين، ففعل ذلك[3].

–الحسدُ والمؤامَرة:

تعرّض الطَّبيب بختيشوع بن جبرائيل لحسدِ بعض معاصريه من أمثال، الوزير محمد بن عبد الملك الزَّيات وَالقاضي ابْن أَبي دُؤادة[4]، فغالبا ما كان الطّبيب في نظر الوزراء منافسًا لهم، لما هو مطّلع عليه، ولما يتمّ استشارته فيه، فكانت هذه المكانة سببًا في بعث الغيرة، ومصدرًا للإزعاج، فكانا يعملان على إغراء الخليفة الواثق بالله، فسخَط عليه وقبَض على أملاكه وضِياعه وأخذ منه جملةً طائلةً من المال، ونفاه إلى جُنْدَي سَابُور في سنة(230هـ/845م)[5].

كما تعرّض لمحنةٍ أخرى من طرف الخليفة المتوكّل على الله بعد أن كان حظِّيًا عنده فتحسَّنت حالته وكثُرت أمواله وضاهَى الخليفة في الزَيِ واللباس وَالطِّيبِ والفَرْشِ[6] والصّناعات والتفْسيح والبَذْخ في النفقات مبلغًا يفوق الوصف، فحسده الخليفة المتَوكِّل على الله وقبض عليه ووجّه به إلى بغداد، إلّا أنّ الخليفة المتوكّل على الله لما عَرَضَ له بعد ذلك قُوْلَنْجْ[7] أعاد له مكانته معتذرًا له ومعيدًا له ما صادر من أملاكه بعد أن عالجه، لكنْ سرعان ما جرت على الطَّبيب بختيشوع خديعةٌ أخرى فنَقَمَ الخليفة المتوكّل على الله عليه، وقبض فيها على أملاكه ووجَّه به إلى البصرة[8]، وحالُه في ذلك كما قال الشيخ الطَّبيب ابن سينا:

---

[1] المطران: بكسر الميم، رتبةٌ من الرتب الثمانيّة عند النّصارى، وهو عبارة عن القاضي الذي يفصل الخصومات. أنظر، القلْقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، ص444.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص184.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص189.

[4] القفطي، المصدر السابق، ص82.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص202.

[6] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج4، ص136.

[7] أهمّ الأمراض أتعرض لها في الفصل الخامس والأخير –الأمراض والعلل الجسمانية–.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص202.

مِحَنٌ إِلَيّ تَوَجَّهت فَكَأَنَّني ... قَدْ صِرْتُ مِغْنَاطِيسَ وَهِي حَدِيد(1)

ونُكب الطَّبيب حُنَيْن بنُ إسحَاق، فأُدْخِل السِّجن، وذلك بعد خديعةٍ من الطَّبيب بختيشوع بن جبرائيل؛ فقد ذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أنّ بختيشوع بن جبرائيل كان يُعادي حُنَيْن بن إسحق ويحسُده على عِلمه، وفضْله وما هو عليه من جَوْدة النَّقل وعُلُوِّ المنزلة، فاحتال عليه بخديعةٍ عند الخليفة المتوكّل على الله وتمَّ مكْرُه عليه حتّى أَوْقَع المتوكّل به وحبسه(2).

–المكيدة والإبْعاد:

ومن الأسباب الّتي نُكِب بسببها بعض الأطبّاء المكيدة لهم، بغَرَض الإبعاد وفَسْح المجال ومِنْ ذلك، الحيلَة الّتي أُبْعد بها الطَّبيب بخْتِيشُوع من خدمة الخليفة المتوكّل على الله، حتّى يتمّ اغتيال المتوكّل بسهولة، وقد ذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أنّ عبد الله استكْتَبَ المنتصرَ، أَبَا العَبَّاسَ الحُصَيني، واتّفقَا على قتْل الخَليفة المتوكِّل على الله واستخلاف المنتصِر، فعمِلا على استبعاد الطَّبيب بختيشوع لمحبّته للمتوكّل، وخوفًا منهما أن يكتشف تدبيرهما، فدبّروا له مكيدةَ نُفِيَ على إثرها من طرف الخليفة(3)، ممّا هيّأ لهما قتْل المتوكّل على الله (ت247هـ/861م)(4)، وقد عفَا عنه المستعين بالله (ت252هـ/866م)، وردَّه إلى الخدمة، وأحسن إليه إحسانًا كثيرًا، كما قام الخليفة المهتدي بالله(ت256 هـ /870م)، بإرجاع كلِّ ما أُخذ منه على عهد الخليفة المتوكّل على الله(5).

–نقلُ الأخبار والأسرار وتجاوُزِ المَهام:

ومن الأطبّاء منْ عوقب واستُبعد لتجاوُزه حدود مهامِه، فالطَّبيب جبرائيل؛ كحّال المأمون، على الرّغم من المنزلة التي كان قد بلغها عند الخليفة إلّا أنّ خطأه بأنْ نقَل خبرًا عنه سبَّب له الإبعاد، وهذا الّذي أخبرنا به الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، أنّ الخادم يَاسِر كان ذاهبًا لخدمة المأمون فوجد جبرائيل خارجًا

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص453.

2 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص264.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص202.

4 كان الخليفة المتوكل على الله قد صادر بعض رؤساء الدّولة، كما عزم على التخلّص من قادة الأتراك ووجوههم، مثل "وَصِيف"، و "بُغا"، فعملوا على الفتك به بمواطأة من ولده المنتصر، فدخل عليه خمسة بالسّيوف في جوف اللّيل وهو في مجلس شرابه، فضربوه بسيوفهم، وأراد وزيره الفَتْح بن خاقَان حمايته، فقتلوه معه، وذلك في سنة(247هـ/861م)، فكانت مدّة ولايته خمس عشرة سنة إلّا ثلاثة أشهر، ومدّة عمره أربعون سنة. أنظر؛ الصّفدي، المصدر السابق، ج11، ص101.؛ الطيّب بامخرمة (أبو محمد بنُ عبد الله بنُ أحمد بنُ علي ت947هـ)، قلادة النَحْر في وفيات أعيان الدهر، عُني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، ط1، دار المنهاج، جدّة، (1428هـ/ 2008م)، ج1، ص368.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص202.

مِن عند الخليفة بعد أن كَحَّل عينيه وبرَّدَ أجفانه، فسأله ياسرُ عن خبر الخليفة، فأخبره أنّه نائم، فاستغلّ ياسر ذلك وصار إلى أخيه حُسين يعوده، فتأخّر عن المأمون، فسأله المأمون عن سبب تأخّره، فقال ياسر: "أُخْبرتُ بنوم أمير الْمؤمنين فذهبتُ إلى حُسين أعوده"، فقال له المأمون: "ومنْ أخبركَ برُقادي؟ فقال له ياسر: "جبرائيل الكحّال"، فطلب المأمون إحضار جبرائيل، ثمّ قال يا جبرائيل: "اتّخذتُك كحَّالًا لي أو عاملًا على الْإِخْبَار عنّي، أُرْدُدْ عليَّ مكاحِلي وأَمْيالي واخْرُجْ عن داري ... فَلم يخدِمِ المأمون بعده حتّى توفّي"[1].

–العقوبة كامتحانٍ واحترازٍ: وكانت عقوبة الطَّبيب حنين ابن إسحاق بالسّجن لامتناعه الامتثال لطلب الخليفة بتركيب السُمّ، وكان غرض الخليفة من ذلك امتحانُه ومعرفة أخلاقه وآدابه الطبيّة، فكان لا يأخذ دواءه حتّى يشاور فيه غيره، وأحَبَّ امتحانه حتّى يزول ما في نفسه عليه، ظنًّا منه أنّ ملك الرّوم ربّما كان عمِل شيئًا من الحيلة به[2].

–عدمُ التأدّبِ مع الملوك:

كان دانيال المتطبّب له أَنَسةٍ بالمعالجة وكانت فيه غَفْلة وتبدُّد، حسبما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، وكان قد استخصّه السلطان مُعِزُّ الدّولة(ت356هـ/ 967م)[3] لخدمته فدخل عليه يومًا، فسأل طبيبه عن السَفَرْجَلْ، واستفسر عن عمله عند أكله قبل الطعام وبعده، فذكر له الطّبيب أنّ عمله قبل الطعام الإمساك، وبعده يؤدّي إلى الإسهال، فقال له الخليفة أنّه عمل معه عكس ذلك، وأنّه أكل منه بعد الطعام فَعَصَمَه، فأجابه الطَّبيب بوقاحة؛ من أنّ ذلك ليس من طبع النَّاس، فلَكَمَه مُعزُّ الدّولة بيده في صدره، وقال له: "قُمْ تَعلَّم أدب خدمة الملوك"، فخرج من بين يديه ونَفَثَ الدّم، ولم يزل كذلك مدّةً مديدة حتّى مات[4].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، 242.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، 261.

[3] مُعزّ الدّولة هو، السُّلطان أبو الحسين، أَحَمَد بنُ أبي شُجَاع بُوَيه، الدَّيْلمي الفَارسي، دخل بغداد سنة(234هـ/849م) فتملَّكها، ثمّ دانت له العراق وكانت مدَّة ملكه العراق اثنتين وعشرين سنة، توفيّ سنة(356هـ/967م). أنظر، ابن الفوطي (كمال الدين، أبو الفضل، عبد الرزاق بنُ أحمد ت723هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح: محمد الكاظم، ط1، مؤسّسة الطّباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، 1416هـ، ج5، ص330.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص320.

–مُداخلةُ الملوك في أسرارِهم:

تجاوز الطَّبيب أبو غالب بنُ صفيَّة(ق6هـ/12م) مهامَه، بعد أن أصبح ناقلًا لأسرار الخليفة أبا المظفّر يوسف المستنجد بالله (ت566هـ/1170م) إلى غيره من أعدائه، كقُطْبُ الدِّيْنِ قايْماز (ت570هـ/ 1174م)[1] ذا الأصل الأرميني الّذي كان يُدَبِّر قَتْل الخليفة، فاستخدم طبيبه ناقلَ أسراره إليه في ذلك، وأَسْفَر رأْيه على أنّه قرّر مع ابن صفية الطَّبيب أن يصف للخليفة الحَمّام، وأصرّ قطب الدّين وبعض الجماعة على الخليفة أنْ يسمع قول الطَّبيب، فأدخلوه الحمَّام وقد كان أوْقَد عليه ثلاثة أيّام بلياليهن، وردُّوا عليه باب الحمّام ساعةً فمات، وبايعوا بعده ابنه المستضيء بأمر الله، وكان يعرف فِعْلَهم بأَبيه، وكان يرى استمرار تردُّد الطَّبيب لأعداء أَبيه، فانتقم لموتِ أبيه وابتدأ بالطَّبيب ابن صفيّة، حيث طلب منه أن يعمل له سُمًّا، ولما أتاه بشَرْبة السُمّ، جرّبها فيه انتقامًا وخيّره بين شُرْبها وبين القتل بالسّيف، فكانت نهايته بها[2].

وهذا كان لجهلٍ من ابن صفيّة ولعدم أمانته، فأخلاق الطَّبيب تستدعي عدم مداخلة الملوك في أسرارهم، وعدم تجاوُز المهام، وفي ذلك يقول أمين الدّولة الطَّبيب:

وَإِذَا أَنْبَت المهَيْـمِنُ للنَّمْـل ... جَنَـاحا أَطَارَهَا للتَّرَدِّي
وَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنَ النَّاسِ حَدّ ... وَهَلَاكُ الفَتَى جَوَازُ الحَدِّ[3]

وهذا الّذي يؤكّده الطَّبيب الرّازي في قوله: "وإيّاك وذِكْر شيءٍ من السّموم القاتلة بين يَدَيْ الملك أو سُوقه، وتقول: "إنّي أعرفُها أو واقفٌ على شيءٍ منها أو على ضرَرِها، فهي بمعزَلٍ عن صناعة الطبّ، وليس يحتاج إلى ذكرها ولا استعمالها، وتَرْكُ ذكرِها أصلَحُ من ذِكرها، وإنْ هو سألك عنها فلا تُجِبْ عن ذلك، ولا تَشْرَعْ في ذكرها، وألقِ نفسك منها جانبًا"[4]، وكان غالبًا ما يعود تجاوُزُ الأخلاق على صاحبه بالنّكبة، وفي ذلك أمثلة كثيرة، فقد عُرِف عن الطَّبيب ابن الأَثَال صناعته للسُمّ في أيّام الخليفة مُعَاويَة بن أَبِي سُفْيَان، وكان من بين ضحاياه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فبلغ ابن أخيه خالد بنُ المهاجر ابن

[1] قطب الدّين قايماز بن عبد الله المستنجدي الّذي أصبح متنفّذًا في عهد المستنجد، ثمّ صار مقدّم الجيش في عهد المستضيء، ولكنّه استبدّ بالأمور حتّى همّ بالثّورة على الخليفة، ثمّ هرب إلى الموصل فتوفّيّ بها سنة (570هـ/1175م). أنظر، ابن المستوفي (المبارك بنُ أحمد بنُ المبارك بنُ موهوب اللَخْمي الإربلي ت 637هـ)، تاريخ إربل، تح: سامي بن سيّد خمّاس الصقار، (د ط)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ج2، ص222.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص347.؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج3، ص648.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص349.

[4] الرّازي (أبو بكر محمد بنُ زكريا ت 313هـ)، أخلاق الطّبيب، تح: عبد اللطيف محمد العيد، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، (1397هـ/ 1977م)، ص ص46، 47.

خالد بن الوليد خبَره وهو بمكة فثأَرَ لموت عمِّه بقتْلِ ابن أُثَال[1]، وعُدَّ ما فعله خصيب الطَّبيب بسَقْيِه لمحمّد بن أَبي العباس السّفاح شَرْبَة دواءٍ الّتي توفيّ بعدها على أنّه سمَّمَه، فحُبِس حتّى مات[2].

ب –أنواع العقوبة، تعدّدت بتنوع الأخطاء من الأطباء نذكر بعضًا منها في الآتي:

–العقوبة بالقتل:

كان القتل من بين أحد العقوبات التي يقوم بها الخلفاء والحكّام ضدّ كلّ من يصل به الأمر إلى حدّ تهديد الدّولة أو حاكمها، ومن ضمنهم الأطبّاء، فمن داخل الحكّام من الأطبّاء في أسرارهم، ثمّ أفشاها أو تبيّن أنّه صانع للسّم القاتل، أو تجاوز حدوده مع حريم السّلطان أو سعى إلى إفسادٍ في دولته، لم يُرْأف به، ومن الأطبّاء الذين تمَّ معاقبتهم بالقتل، الطَّبيب أحمد بن الطيّب السَرْخَسي(ت 283هـ/896م) الّذي كان بمثابة المعلّم للمعتضد بالله، ثمّ أنّ المعتضد نادمه وخُصَّ به، وكان يفضي إليه بأسراره، ويستشيره في أمور مملكته[3]، إلّا أنّه أمر بقتله عقوبة له بعد أن أفضى إليه بسِرٍّ[4] يتعلّق بالقاسم بن عُبيد الله (ت291هـ/904م)[5]، وبَدْرٌ غلام المعتضد بالله، فأفْشاه وأذَاعه بحيلةٍ من القاسم عليه، فقال له المعتضد بالله: "أنتَ قلتَ لي أنّ السّلطان يعفو عن كلّ أمرٍ ما دون الخروج بسِرِّه أو الإفساد لحَرَمِه أو السعي على دولته، وأنا أُحملُك على حُكْمِك، فقتله"[6]، وقيل أنّ المعتضد سَلَّمه إليهما فأخذا ماله، ثمّ أوْدَعاه المطامير، ولما هرب جماعة من السّجن قبض عليهم صاحب الشّرطة مُؤْنِس الفَحْل، فأمر المعتضد القاسم بإثبات جماعةٍ ممّن ينبغي أن يقتُلوا فأَثْبَتَهُم، ووقّع المعتضد بقتْلهم، فأدخل القاسم اسم أحمد في جُملتهم فيما بعد فقُتِل، وسأل عنه المعتضد، فذَكر له القاسم قتْله وأخرج إليه الثَبْت فلم ينكُرْهُ[7].

أما الطَّبيب دانيال (ق4هـ/10م)، فقد كان سوءُ أدبه مع الأمير البُوَيْهي مُعِزّ الدّولة سببًا في هلاكه[8]، ونفس المصير لقاه الطَّبيب ابن صفيَّة الذي كان طرفًا في التّدبير لقتل أَبي المظفّر، يوسف

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص172.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص215.

[3] القفطي، المصدر السابق، ص64.

[4] وهذا فيه تجاوزٌ للمهنة، وممّا قيل في إفشاء السرّ: " وإيّاك وإعادة حديثٍ تسمعه أو إفشاء سرٍّ تستودعه، فقد قيل: إنّ السلطان يغفر كلّ ذنبٍ إلّا ما كان من إفشاء حديث أو فساد حرمه أو قَدْحٍ في دولة ". أنظر، الصابئ (هلال بنُ المحسن بنُ إبراهيم بنُ هلال الحرّاني، أبو الحسين 448هـ)، رسوم دار الخلافة، تح: ميخائيل عوّاد، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986م، ص50.

[5] الْقَاسِم بْنُ عُبَيْد اللهِ بْنُ سليمان (ت291هـ)، وزير الخليفتين المعتضد والمكتفي، من أفاضل الوزراء، وكان شهمًا فاضلا لبيبًا محصِّلًا، كريمًا مَهيبًا جبارًا، أنظر، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمّم والملوك، ج13، ص27.؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانيّة، ص251.

[6] الصابئ، المصدر السابق، ص50.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، 294.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص320

المستنجد بالله، فلمّا حكم ابنه المستضيء بأمر الله (ت575هـ/ 1180م) وعَرف الذي حدث لوالده، استدعى الطَّبيب ابن صفيَّة، وقال له:" يا حكيم عندي من أَكْره رُؤيته وأُريد إبعاده بوجهٍ لطيفٍ غير شفيعٍ"، فقال له:" نُرَتِّب له شَرْبَةً قويّةً بالغةً يشربها وقد حصل الخلاص منه كما تريد"، فقام بتحضير السُمّ وقدِم به إلى عند الخليفة، فأرغمه الخليفة على شُرْبِه، وقال له الطَّبيب:" متى تَعَدَّى حدَّه وتجاوَز طَوْرَه وقع في مثل هذا، وليس لك من هذا خلاصٌ إلّا السيف، فشرِب السُّمّ، وبه مات[1].

وثأر خالد بن المهاجر ابنُ خالد بن الوليد بقتله ابن أُثال النَّصراني الطَّبيب، لسببِ قتلِه عمِّه عبد الرحمن بن خالد مع معاوية بالسُّمّ[2]، وقُتل الطَّبيب أبو جعفر، يُوسُفُ بنُ أَحْمَد بنُ حَسْدَاي[3] في رجب سنة(522هـ/1129م) وصُلب بظاهِر القاهرة[4]، ولم يزوّدنا الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بسبب قتلِه، واغتِيل الطَّبيب أبي الفَرَج، صَاعِد بنُ هِبَة الله بنُ تُومَا (ت620هـ/1223م)، لمكانته في الدَّولة ومعرفته لأَسْرَارها، وتحكّمه في بعض أمورها، فكان هدفًا لأعداء الدَّولة، خاصّةً بعد اكتشافه لأموره تُحَاك ضدّ الخَليفة بكتابةِ أجْوبةٍ باسم الخَليفة من طرف امرأة كان قد وكَّلها لتكتُب له[5]، وقد قتله جماعةٌ من الأجناد[6]، حيث كمِن له منهم اثنان ليلًا فقتلاه بالسَّكَاكين[7]، وأمسك قاتِليه وصُلِبَا[8].

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص348.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص172.

3 طبيبٌ فاضل، تميَّز في صناعة الطِّبّ، له اطّلاعٌ واسع على كتب أبقراط وجالينوس، قدم من الأندلس إلى ديّار مصر، اشتهر ذكره في عهد الآمر بأحكام الله، وكان خصيصًا بالمأمون الآمري الوزير، وكان قد أمره المأْمُون بشرح كتاب الإيْمَان لأبقراط، فشرحه، وكان مدمنًا للشراب، وعنده دُعابة ونوادر. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص499.؛ ابن فَضْل الله العُمَري، المصدر السابق، ج9، ص 564.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص499.

5 اختصار ذلك؛ أنّ الإمام النّاصر في آخر أيّامه ضَعُف حاله وعجز عن النظر، فاستحضر امرأةً من بغداد اسمها "ستّ نسيم" فقرّبها وجعلها تكتب عنه، لقرب خطّها من خطّه، وجعلها بين يديه تكتب الأجوبة والرِقاع وشاركها في ذلك خادم اسمه "تاج الدين رَشيق"، ثمّ تزايد الأمر بالناصر، فصارت المرأة تكتب الأجوبة بما تراه فمرّةً تصيب ومرّةً تخطئ فتوقّف الوزير وأنكر، ثمّ استدعى الحكيم صاعد بنُ تُوما وأسّر إليه ما جرى وسأله عن تفصيل الحال فعرّفه ما الخليفة عليه من عدم البصر والسّهو الطّارئ في أكثر الأوقات، وما تعتمده المرأة والخادم من الأجوبة، فتوقّف الوزير عن العمل بأكثر الأمور الواردة عليه، وتحقّق الخادم والمرأة ذلك، وقد كانت لهما أغراض أخرى، وعلِما أنّ الطّبّيب هو الّذي أخبره، فقرّر تاج الدين رشيق مع رجلين من الجند في الخدمة أن يغتالا الحكيم ويقتلاه. أنظر، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص115.

6 ذكر الطبيب ابن ابي أُصَيْبِعَة خبريْن عن سبب مقتله الأوّل، أنّ بعض الأجناد ممّن كانت معاشاتهم تحت يده فخاطبهم بما فيه بعض المكروه، فغضبوا لذلك وقتلوه، وذكر خبرًا عن القِفطي وهو، السبب الثّاني، ذلك أن السّبب هو اكتشافه لما كانت تعمل المرأة والخادم من أجوبةٍ باسم الخليفة وهو لا يعلمها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص405، 406.؛ القفطي، المصدر السابق، ص165.

7 قرّر تاج الدّين رشيق مع رجلين من الجند أن يغتالا الحكيم ويقتلاه وهما، رجلان يُعْرَفان بوَلَدَي قَمر الدّين من الأجناد الواسطيّة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 406.؛ ابن العبري، المصدر السابق، ج1، ص241.

8 الصّفدي، المصدر السابق، ج16، ص139.

وقُتِل السُّهْرَوَرديّ(ت586هـ/1191م) الطَّبيب[1] وليس المتصوِّف، لوقوع الخَلْط بينهما عند الكثير[2]، لما أتى إلى حَلَبْ وناظر بها الفقهاء وعجَّزَهم، وصار يكلّمهم كلام مَنْ هو أعلى قدرًا منهم، فتعصّبوا عليه، وممّا زاد من ذلك أن اختصّه الملك الظاهر[3] لنفسه، فقرّبه وصار مكينًا عنده، فعمِلوا محاضرةً يكفِرُونه فيها، وأرسلوها إلى الملك النّاصر صلاح الدين، وخوّفوه من إمكانية إفساده لعقيدة الملك الظاهر[4]، وأنّ فِكره خطر على أيّ ناحيّة كان بها من البلاد، وبالغوا في ذلك حتّى أمر الناصر صلاح الدّين ابنه بضرورة قتله، ففعل ذلك، بأنْ تركوه يختار طريقة موْته، بتفضيله أنْ يُمنع الطَّعام والشَّراب[5]، وقيل أنَّ الملك الظَّاهر سَيَّر إليه مَنْ خنقَه[6]، وقريبًا من ذلك حدث لرَفِيع الدِّين الجِيلِي، حيث بلغ المكانة العاليّة في الدّولة وتولّى منصب قاضي القضاة بدمشق، وبقيّ كذلك مدّةً، إلّا أنّ كثيرًا من النّاس كانوا يتظّلمون منه ويشكُون سيرته، فتأدَّى به الحال إلى أن قبض عليه وقُتل في أيَّام الملك الصَّالح إسماعيل[7].

ومات الطَّبيب سَعِيد بنُ تُوفيل (ت269هـ/883م) بعد يومين من ضَرْبه بالسِّياط مائتَيْ سَوط، وذلك بأمرٍ من الأمير أَحْمَد بنُ طُولُون(ت271هـ/884م) الّذي غضب منه لسبب مناقشته له في قَدْر ما أَكَلَ من السّفرجل، ولوْمُ الطَّبيب لابن طولون بعدم الالتزام بكمّيّة ما يجب أَكْلَه وأنّه لم يُطْلَق له ذلك، فرأى ابن طولون في ذلك منادرةً ومعاندةً من طبيبه، فعاقبه واعتبره خائن للأمانة[8]، ويبدو لي من هذا أنّ

---

[1] شهاب الدّين السَّهروردي، أبو حفص عمر؛ تميّز في العلوم الحكميّة والفلسفيّة، عُرف عليه قوّته في المناظرة، وكان مدرسًّا في المدرسة الحِلّاويّة بحلب، خدم الملك الظاهر غازي بن صلاح الدّين، ناظر الفقهاء فغلبهم، فحرّضوا عليه صلاح الدّين وخوّفوه من إفساد عقيدة ابنه، فأمره بقتله، توفيّ سنة (586هـ/1191م) بحلَب، له من الكتب؛ كتاب التّلويحات اللحويّة والعَرْشيّة، كتاب اللّحمة، كتاب هياكل النّور، كتاب المعارف، كتاب المطارَحات وغيرها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 641-646.؛ الذّهبي، سيّر أعلام النّبلاء، ج15، ص374.

[2] شهاب الدّين عمر السُّهْرَوَرديّ (ت632هـ/1235م)، مؤلِّف كتاب "عوارف المعارف" في التّصوف، ولد بسَهْرُوْرد، وقدم بغداد في صباه، وكان فقيهًا شافعي المذهب، شيخًا صالحًا ورعًا، كثير الاجتهاد في العبادة والرّياضة، وتخرّج عليه خلق كثير، من الصّوفيّة في المجاهدة والخَلوة، وكان كثير الحجّ، توفيّ سنة(632هـ/1235م) ببغداد. أنظر، ابن الملقّن (سراج الدين، أبو حفص، عمر بنُ علي بنُ أحمد ت 804هـ)، طبقات الأولياء، تح: نور الدّين شريبه، ط2، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، (1415هـ/1994م)، ص263.؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج8، ص224.

[3] أبو الفتح، وأبو منصور غازي، ولدًا السّلطان صلاح الدّين يوسف بن أيّوب، يلقّب بالملك الظّاهر غِياث الدّين، صاحب حلب، كان مهيبًا حازما متيقّظًا، كثير الاطّلاع على أحوال رعيّته وأخبار الملوك، عالي الهمّة، حسن التّدبير والسّياسة، باسط العدل، محبًّا للعلماء، مجيزًا للشّعراء، أعطاه والده مملكة حلب في سنة(582هـ/1187م)، بعد أن كانت لعمّه الملك العادل، توفيّ سنة (613هـ/1216م). أنظر، ابن خلّكان، المصدر السابق، ج4، ص7.؛ بدر الدين العيْني محمود ت 855 هـ، عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان –العصر الأيوبي–، ج3، ص122.

[4] قال فيه ابن خلّكان: " وكان يتّهم بانحلال العقيدة والتعطيل، ويعتقد مذهب الحكماء المتقدّمين، واشتهر ذلك عنه، فلمّا وصل إلى حلب أفتى علماؤها بإباحة قتله، بسبب اعتقاده وما ظهر لهم من سوء مذهبه". أنظر، ابن خلّكان، المصدر السابق، ج6، ص272.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص642.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص644.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص647.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص544.

الأمير ابنُ طُولُون كان متهوّرًا، لأنّ مُساءلة طبيبه له جزءٌ من قواعد الصّناعة، وأنّ عادة الطَّبيب، كما قال الطَّبيب الرُّهاوي (ق3هـ/9م) أن يأمر كما يأمر الأمير[1]؛ إذ أنّ ابن طُولُون لم يلتزم بما أمره طبيبه؛ بمصِّ السَفَرْجَلْ دون الأكل منه حتّى الشَّبع، وإنْ عُدّ الخطأ من الطَّبيب، فهذا لا يستدعي الضّرب بالسّياط حتّى يكون الموت نتيجةً لذلك، فكان يجب أن تكون العقوبة بقدْر الخطأ.

–العقوبة بالسّجن:

من العقوبات الّتي تعرّض لها الأطبّاء سجنهم واعتقالهم، مع اختلاف مدّة الاعتقال وسببه، وكأمثلة لذلك؛ رَفْضُ الطَّبيب جُورْجُس ترْكه لبَيْمَارِسْتَان جُنْدي سابور ومداواة الخليفة أَبي جعفر المنصور، فتمَّ اعتقاله، لولا أنْ اجتمع رؤساء المدينة مع المِطْران وإشارتهم له بالذهاب إلى بغداد[2]، كما سَخَطَ الخليفة هارون الرشيد على الطَّبيب جبرائيل بن بختيشوع في آخر أيّامه، لعدم مقدرةِ جبرائيل على إشفائه، واتُّهِم بسُوء تدبيره من طرف أحد الأساقِفة[3] المدعوّين لمعالجة الرشيد، وبكوْنِه جاهلًا لأمور الطبّ، وعلى أنّه هو من تسبّب في المرض، فقام بحبسه، وحبس مرّة أخرى بأمر من المأمون بعد هروبه من القصر والالتحاق بخدمة الأمين[4]، وسُجِن خَصِيب الطَّبِيب (ق2هـ/8م)، بسبب شَربة دواء سقاها لمحمّد بن أَبي العباس، وبقي محبوسًا حتّى مات[5]، ومن الّذين عُوقبوا بالسّجن أيضًا الطَّبيب ماسويه أبو يوحنا، وذلك بعد أن أُسْتُدْعِيّ لمعالجة أخت الرّشيد، فلمّا تأمّلها وجسَّ عُروقها بحضرة الرّشيد تنبّأ بموتها بعد يومين، ممّا أغضب الخليفة، فأمر بسجنه إلى حين، ولحُسْن حظِّه وسوءِ حظِّها، أنّه لما حضر الوقت الذي حدّده ماسويه تُوفيَّت، فلم يكن للرشيد همّةٌ بعد دفنها إلّا أن أَحضر ماسويه فأكرمه وأنْعم عليه، وعنَى بابنه يوحنَا ووسَّع النفقة عليه فبلغ المرتبة المشهورة[6].

---

1 الرازي، أخلاق الطّبّيب، ص19.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص184.

3 مفرده الأُسْقُف، بضمّ الهمزة والقاف، وهو عندهم عبارة عن نائب البطرك. أنظر، القلْقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، ص444؛ الصاحب بنُ عبّاد (كافي الكفاة إسماعيل ت385هـ)، المحيط في اللغة، تح: محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1414هـ/1994م)، ج5، ص293م.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص189.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص215.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص244.

وذَكَر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عن ابنُ المارِسْتَانيّة (ت599هـ/1202م)[1] أنّه تولّى النَظَر بالبَيْمَارِسْتَان العضُدي، ثمّ قبض عليه وحُبس به سنتين ثمّ أُفْرِج عنه، ولم يُمْدِدْنا بمعلوماتٍ أخرى عن سبب سَجنه[2]، وممّا وجدناه من معلوماتٍ في مصادر أخرى، أنّه لم تُحْمَد سيرته بعد تولّيه البَيْمَارِسْتَان، فقُبض عليه وسُجن في المارِسْتَان مدّةً مع المجانين مسلسَلًا، وبقيّ لمدّةٍ مُعتقَلًا، ثمّ أُطلق، فصار يتسوَّل، ويداوي المرضى في منازلهم، وصادف قُبولًا في ذلك، فأصبح ثريًّا، وعاد إلى حالة حسنة[3].

وعوقب الطَّبيب أبَو الصّلْتِ، أُمَيَّة بنُ عَبدُ العَزيز بنُ أبي الصّلْت (ت 529هـ/1134م) هو الآخر بالحبس عند قدومه إلى مصر، وكان سبب حبسه أنّ مرْكبًا غَرق بالقرب من الإسكندريّة، ففكّر أنّه يستطيع إخراجه، وطلب تحضير جميع ما يحتاج إليه من الآلات لرفع المركب من قعْر البحر ويجعله على وجه الماء، فصنع آلات بأشكال هندسيّة لرفع الأثقال في المركب الذي هُم فيه، وربطه بحبال الْإِبْرَيْسَم[4]وبدأ في رفع المركب، لكن لسوء حظِّه انقطعت الحبال الْإِبْرَيْسَم وهبط المركب راجعًا إلى قعر البحر، فحَنَق عليه الملك لما غرَّمه من الآلات، وكونها مرَّت ضائعة وأمَرَ بحْبِسه وأنْ يستوجب ذلك، وبقيّ في الاعتقال مدّةً إلى أن شَفَع فيه بعض الأعيان وأُطْلِق[5]، ومن الّذين نُكِبوا بالسّجن الشّيخ الرئيس ابن سينا، وكان يُراد به القتل لولا رفْض الأمير لذلك[6].

أمّا الطَّبيب الشيخ مُهَذَّبُ الدِّين الّذي كان وزيرًا للملك الأمجد، فقد كثُرت الشّكاوي عليه بعد التّعسُّف وأكْل الأموال والفساد، فقبض عليه الملك وصادر أمواله، وبقيّ معتقلًا عنده مدّةً إلى أن لم يبق له شيءٌ يَعْتدُّ به، ثمّ أطلقه وجاء إلى دمشق[7]، وكان الطّبيب الوزير أَمينُ الدَّوْلَة(ت648هـ/1250م) في مدّة وزارته يحبّ جمع المال وحصّل أموالًا عظيمة جدًّا من أهل دمشق، وقبض على كثيرٍ من أملاكهم،

---

[1] ابن المارستانيّة، أبو بكر، عُبيد الله بنُ أبي الفرج، علي بنُ نصر بنُ حمزة البغدادي (ت599هـ/1202م)، كان فاضلًا في صناعة الطّبّ، وسمع شيئًا من الحديث وكان عنده تمييز وأدب، ويقولون: "إنّ أباه وأمّه كانا يخدمان المرضى بالمارستان"، عمل تاريخًا لمدينة السّلام سمّاه "ديوان الإسلام الأعظم"، وكتب منه كثيرًا ولم يُتممه. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص407.؛ المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ج1، ص469.؛ الصّفدي، المصدر السابق، 19، ص258.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص407.

[3] ابن رجب الحنبلي (زين الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن شهاب الدين، أحمد ت795هـ)، الذيْل على طبقات الحنابلة، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة السُّنّة المحمديّة، القاهرة، (1372هـ/ 1952م)، ج1، ص443.

[4] الْإِبْرَيْسَمَ؛ يكون من الحرير، وأكثر ما يعمل الإبريسم ببكراباذ، وأصلُ إبريسم طبرستان، من جرجان، لأنّه لا يزكو ما، بطبرستان مَن بزر حريرهم، وإنّما يستعملون بزور جُرجان لأنّها أزكى وأتمّ. أنظر، ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص382.؛ رينهارت دُوزِي بيتر آن (ت 1300هـ)، تكملة المعاجم العربيّة، تر: محمَّد سَليم النعَيمي، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهوريّة العراقيّة، (1970-2000م)، ج1، ص66.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص502.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص441.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص722.

بمعيّة قاضي القضاة بدمشق رَفِيع الدِّين الجِيْلِي وَالنُّوَاب، ولما بلغ نائب السَّلطنة بدمشق وهو الأمير مُعين الدّين[1] بنُ شيخ الشيوخ والوزير جمال الدين بنُ مَطروح[2] بدمشق وأكابر الدّولة ما وصل إلى أمين الدولة من الأموال، قصدوا أن يقبِضوا عليه ويستصْفُوا أمواله فعمِلوا له مكيدةً، انتهت باعتقاله ومصادرة جميع ممتلكاته، وذلك في سنة(643هـ/1246م[3]).

–العقوبة بالطَرْدِ والنّفْيِ ومصادرة الأملاك:

عُدّت عقوبة النّفي ومصادرة الأملاك من بين العقوبات الّتي تعرّض لها الأطبّاء، تمّ نفي الطَّبيب بختيشوع ووُجِّه به إلى البصرة وأُبعد من الخدمة بأمرٍ من الخليفة المتوكّل على الله لمكيدةٍ دُبِّرت له، كما قُبض فيها على أملاكه[4]، وكان قد سخَط عليه الخليفة الواثق في سنة (230هـ/845م) وذلك قبل نكبة المتوكّل له، وقبض على أملاكه وضِياعه وأخذ منه جملةً طائلةً من المال، ونفاه إلى جُندي سابور[5].

ونُكب الطَّبيب ابن سينا مرّتين الأولى، تعرّض فيها للسّجن ومصادرة أملاكه، ثمّ نُكب مرّةً ثانيّة بعد أن اتّهمه تاج الملك بمكاتبته عَلَاء الدولة، فأنكر ابن سينا ذلك، فدلَّ عليه بعض أعدائه فأخذوه، وأدُّوه إلى قلعةٍ يقال لها "فَرْدَجَان"[6]، وممّا قاله في نفيِه لهذه القلعة:

دُخُولِي باليَقِينِ كَمَا تَرَاهُ ... وَكُلُّ الشَكِّ فِي أَمْر الخُرُوج

وبقيّ فيها أربعة أشهرٍ، صَنّف بها "كتاب الهدايات"[7]، وقال أيضًا:

عَجَــبًا لِقَوْم يَحسـدُونَ فَضَائِلي ... مَا بَيْـــنَ غِيَـابِي إلى عُـــذالي

---

[1] الحسن بنُ محمد بنُ عمر بنُ علي، الصّاحب الأمير، مقدِّم الجيوش، مُعين الدّين، أبو علي، ابن شيخ الشيوخ صدر الدين، أبو الحسن، عظُم شأنه في الدّولة الكامليّة وفي الدولة الصالحيّة، وكان وزيرًا للملك الصالح، توفيّ سنة(643هـ/1246م). أنظر، الصّفدي، المصدر السابق، ج12، ص153.؛ ابن واصل جمال الدين، مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب، ج5، ص341.

[2] أبو الحسن، يحيى بنُ عيسى بنُ إبراهيم بنُ الحسين بنُ علي بنُ حمزة بنُ إبراهيم بنُ الحسين بنُ مَطروح، الملقّب "جمال الدين"، من أهل الصعيد بمصر، نشأ هناك وأقام بقُوص مدّةً، ثمّ خدم السلطان الملك الصالح، أبو الفتح، أيوب الملقّب بـ"نجم الدين ابن السّلطان". أنظر، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج22، ص ص422، 423.؛ ابن خلّكان، المصدر السابق، ج6، ص258.؛ الطيّب بامخرمة، قلادة النّحر في وفيات أعيان الدّهر، ج5، ص218.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص724.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص202.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص201، 202.

[6] فَرْدَجَان، قلعةٌ مشهورة، من نواحي هَمذان، من ناحيّة جرّا (جرّى)، ويقال لها: "براهان" (وقيل لها بردهان)". أنظر، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص247.؛ القطيعي، مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، ص1024.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص441.

عَتَبُوا عَلَى فَضْلِي وذَمُّوا حِكْمَتِي ... واسْتَوْحَشُوا مِن نُقْصِهِم وكَمَالي
أَنِّـي وَكَيْـدهُم وَمَا عَـتَبُوا بِـــه ... كَالـطَّوْدِ يحْـقِرُ نَطْحَة الأَوْعَال
وَإذا الفَـــتَى عَرَفَ الرَّشَادَ لِنَفْسِهِ ... هَـانَت عَلَيْـه مَلَامَة الجُـهَّـال[1]

وعُوقب بالفصل والطّرد من الخدمة؛ الطَّبيب جبرائيل، كحّال المأْمُون، لخطإٍ منه، بأنْ نقل خبرًا عن الخليفة كلّفه الطرْد، وعُنِّف عليه بأنّه اتّخذه لعلاجه لا لنقل الأخبار عنه، قال له: " أُرْدُدْ عليّ مكاحلي وأمْيالي واخْرُج عن داري ... فلم يخْدم المأمون بعده حتّى توفّي"[2]، وصُودرت جميع ممتلكات أمين الدّولة في سنة(643هـ/1246م)[3]، ونفس الشيء حدث للطّبيب الشيخ مهذّب الدِّين بعد الشّكاوي عليه، حيث تمّ مصادرة أمواله[4].

وعلى العموم فإنّ الطَّبيب على الرّغم ممّا مكّنه لنفسه من مكانةٍ واحترام لدى الخلفاء، إلّا أنّه كان معرّضًا للنكبة والعقوبة، باسم صناعة الطبّ، وباسم ما تَقلّده من وظائف، كالوزارة والقضاء، وممّا لاحظناه ممّا سبق أنّ السّبب في النكبة يختلف، فمنه ما يتسبّب فيه الطَّبيب بنفسه، ومنه ما يسبّبه له الحسد من الغير، عدوًّا أو خليفةً، لكثرة ما يصل إليه من ثراءٍ وبما يحصّله من مكانةٍ وأملاك، كما لاحظنا الاختلاف في درجة العقوبة؛ بقدر السّبب والظّروف وغضب المعاقِب.

2– علاقات الأطبّاء فيما بينهم:

تحتمل العلاقة بين النّاس مظهرين؛ إمّا المودّة والإحسان والصّداقة، وإمّا عكس ذلك، التّشاجر والتّحاسد والتّباغض، وكذلك كانت العلاقة بين الأطبّاء في المشرق الإسلامي، وهذا ما نسعى إلى ذكر نماذج منه.

أ– الصّداقة:

من مميّزات العلاقة بين الأطبّاء هو ذلك التّرابط والتّواد؛ فهذا أبو سعيد عبيد الله بن جبرائيل أحد الفضلاء في الطبّ، ذكر الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة أنّه كان معاصرًا لابنِ بُطْلَان، وأنّه كان يجتمع به ويأْنس

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص453.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص242.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص724.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص722.

إليه، وكانت بينهما صحبة[1]، وكان اجتماع الأطبّاء أثناء العمل وفي غيره من الأوقات، تارةً في البحث والاشتغال وتارةً أخرى في السَمَر والدُعابة والهَزَل، وهذا الذي أشار إليه ابن أَبي أُصَيْبِعَة، عندما ذكر الطَّبيب سَهْلُ الكَوْسَج[2]، وما يميّزه بين أقرانه، حيث كان كثير الهزل، وكان متى اجتمع مع يُوحَنَّا بنُ مَاسَوَيْه، وَجُورْجُس بنُ بَخْتِيشُوع، وعِيسَى بنُ حَكَم، وَعِيسَى بنُ أَبِي خَالِد، وَزَكَرِيَّا ابن الطَّيْفُورِي، ويَعْقُوب صَاحب البَيْمَارِسْتَان، والحَسَن بنُ قُرَيش، وغيرهم من المتطبّبين وهذه الطبقة من المتطبّبين كانوا يخافون لِسانه لطولٍ كان فيه وبذاء، إلّا أنّه كان أقلُّهم حظًّا بالطبّ[3].

ومن دُعَابَات سَهْل الكَوْسَج في أصحابه، أنّه رأى يومًا الطَّبيب يوحَنَّا بنُ مَاسَوِيْه في هيئةٍ أحسن من هيئته، وعلى دابّةٍ أفْرَه من دابّته ومعه غِلمان، فَحَسَدَه وذَهَب إلى صاحب مَسْلَحَةِ النّاحيّة، فقال له: "إنَّ ابني عَاقٌ لي، وهو جَاحدٌ لأُبُوَّتي، وإنْ أنت أسقطتَه وضربتَه عشرين ضربةً موجعةً أعطيتُك عشرين دينارًا، ثمّ أخرج الدّنانير فدفعها إلى رَجُلٍ وَثِق به صاحب المِسْلَحَة، ثمّ اعتزل ناحيةً إلى أن بلغ يوحَنَّا إلى الموضع الذي هو فيه فقدّمه إلى صاحب المسْلَحَة، وقال: "هذا ابني يعُقُني ويستخفُّ بي، فجَحَد أن يكون ابنه، فلم يكلّمه صاحب المسلحة حتّى بطَح يوحنا وضربه عشرين دُرّةً ضربًا وجيعًا مُبْرَحًا[4].

وممّا يذكر من باب الصّداقة، أنّ الطَّبيب أمين الدَّولة له صديقٌ، مات له ولدٌ، ولم يُعزِّه أمين الدَّولة، فلمّا اجتمع به بعد ذلك عتَبَ عليه؛ إذ لم يُعزِّه عن ولده للمودّة الّتي بينهما[5]، وكان الطَّبيب موفّق الدِّين عبد اللّطيف بن يوسف البَغْدَادِي(ت629هـ/1232م) صديقًا لجدّ ابن أَبي أُصَيْبِعَة، وكانت بينهما مودّة، ممّا هيّأ لعمّه بأنْ يشتغل عليه بشيءٍ من العربيّة والحكمة[6].

وكان للصّاحب أمين الدّولة صداقة ومودّة مع والد ابن أَبي أُصَيْبِعَة، وكان يريد نسخةً من كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" فطلب ذلك من والد ابن أَبي أُصَيْبِعَة :"ابنُك قد صنّفَ كتابًا في طبقات الأطبّاء ما سُبِقَ إليه وجماعة الأطبّاء الّذين يأتون إلي شاكرين منه، وهذا الكتاب جليلُ القَدر وقد اجتمع عندي في خزانتي أكثر من عشرين ألف مجلّد ما فيها شيء من هذا الفنّ، وأشتهي منك أن تبعث إليه

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص214.

[2] سهل الكَوْسَج، أبو سابور بنُ سهل، صاحب الأَقْراباذين المشهور، من أهل الأَهْوَاز، وكان عالما في الطّبّ، إلَّا أنَّه دون ابنه في العلم، وكان كثير الهزل فغلَب هزله جدّه. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص228.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص228، 229.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص229.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص354.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص737.

يكتبُ لي نسخةٌ من هذا الكتاب، فامتثل أمْرَه"، فراسل ابنَه يطلب منه ذلك، فحضّر له نسخة من الكتاب، وأرسلها له مع رفيع الدّين الجِيلِي شَيْخه وأنيسه، مع قصيدةٍ يمدحه فيها، وذلك في أوائل سنة(643هـ/1246م)، وفي مطلعها قال:

فُــــؤَادِي فِي مَحَبَّتِهم أَسِيرُ ... وأَنَّى سَارَ رَكْبُـهُم يَسِيرُ
يَحِنُّ إِلَى العَذِيب وَسَاكِنِيه ... حَنِينًا قَدْ تَضَمَّنَه سَعِيرُ[1]

ومن أصدقاء والده أيضًا،"سَيْفُ الدِّين الآمُدِي" الّذي درَّس ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، بحكم علاقته مع والده؛ إذ كان نادرًا ما يُقرئ أحدًا شيئًا من الحكمة[2]، ويذكر ابن أَبِي أُصَيْبِعَة علاقته بالطَّبيب عزّ الدّين السُّوَيْدِي(ت690هـ/ 1291م)في قوله: " فالمودّة بيننا من القِدم باقيّة على طول الزّمان ناميّة، في كلّ حينٍ وأوان"[3]، كما كانت له علاقات مع رَشِيدُ الدِّين بنُ الصُّورِي(ت639هـ/1241م)، حيث تبادلَا الهدايا والتّهاني، ويذكر ابن أَبِي أُصَيْبِعَة أنّ رشيد الدّين الصُّوري أهدى له تأليفًا من كتابته، يحتوي على فوائد ووصايا طبيّة[4]، وردّ عليه برسالةٍ تحتوي على مجموعة من الأَبيات الشّعريّة يمدحه ويُثْني عليه فيها[5]، وكانت له علاقة مع الطّبيب عِمَادُ الدِّين الدُّنَيْسَرِي(مولده في 605هـ/1208م) اجتمع به في دمشق، وأُعجب بشعره وأدبه وطِبّه[6].

كما تُوجد علاقات أخرى، تتمثّل أساسًا في التّلمذة الّتي من خلالها تظهر تلك العلاقات المبنيّة على الاحترام والتّقدير للأستاذ، ولعلّ أبرز مثَال لذلك، هو ما ذكره الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة عن نفسه فيما يخصّ أساتذته، وكنت قد ذكرت ذلك عند الحديث عن شيوخه في الفصل الأوّل، فكان بذلك الطَّبيب يبني بتتلمُذه علاقاته مع أساتذته، فيأخذ من كلِّ فنٍّ ومن عند عديد الأساتذة، فهذا الحكيم مهذّب الدّين اشتغل بالعربيّة على الشّيخ تَاجُ الدِّين الكِنْدِي، واشتغل بصناعة الطبّ على الشيخ رضيّ الدين الرَحْبِي، ثمّ بعد ذلك لازم موفَّقُ الدِّين بنُ المِطْرَان وتتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطِّبّ، واشتغل بعد ذلك أيضًا على فَخْر الدِّين المارْدِينِي لمّا ورَد إلى دمشق في سنة(579هـ/1185م) بشيءٍ من القانون لابن سينا[7].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص725.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص650.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص759.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص700.
[5] نفسه.
[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص761.
[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص728.

ب– التَّناظُرُ والتَّبَاحث العلميّ:

من مظاهر العلاقات بين الأطبّاء، التّعاون الطبّي والتّباحث والتّشاور حول مرضٍ من الأمراض، بحضرة المريض أو في غيابه من أمثلة ذلك، ما حكاه الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، فيما تعرّضَ له علي بنُ المهدي[1]من حرٍّ أكْسَبَه صُداعًا كاد يُذهب ببصره، فأُحْضِر له جميع أطبّاء مدينة بغداد، يتشاورون في أَمْرِه، وذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة منهم، الطَّبيب عِيسَى، أبو قُرَيش الّذي قدِم متأخِّرًا فوافاهُم قد اجتمعوا للمناظَرة، فقال: "ليس يتَّفق للجماعة رأيٌ حتّى يذهب بصر هذا، ثمّ سارع في معالجته بماء الوَرْدِ والخلِّ وغيرها، حتّى سكَن عنه الألم[2].

ومن ذلك أيضًا، أنّ الملك العادل كان قد مَرِض، ولازَمه أعيان الأطبّاء، وكان كلُّ طبيبٍ يُبْدِي رأيّه، ومن الآراء ما أشار إليه الحكيم مهذّب الدّين به، وهو القيام بالفَصْدِ، وهذا الرأي رُفِض من الأطبّاء الذين كانوا معه، فقال لهم: "والله إنْ لم نُخْرِج له دَمًا يَخْرجُ بغير اختيارنا، فلم يوافقوه في قوله، فما كان بعد ذلك بأيسرِ وقتٍ إلّا والسّلطان قد رَعَفَ رُعافًا كثيرًا وصَلُحَ، فَعُرِف أنّ ما في الجماعة مثله[3].

وكانت تجري مباحثات علميّة حول مسائل طبيّة بين مشاهير الأطبّاء، فكان الأطبّاء يستفيدون منها في إيجاد علاجات وفي تشخيص لعِلَّل صَعُبَ تحديدها، ومن ذلك ما جرى بين الطَّبيب أبي الفرج بن أَبي سعيد اليَمامي وبين الشّيخ الرّئيس ابن سينا من بحثٍ في مسائلَ كثيرة في صناعة الطبّ وغيره، حتّى أنّ أبا الفرج جعل مؤلّفه وهو عبارة عن رسالة في مسألة طبيّة دارت بينه وبين الشّيخ الرئيس ابن سينا[4]، وفي مصر لما وصل أبو الصّلْت أُميَّة بنُ عَبْد العَزِيز من المغرب إلى مصر التقى بسَلَامة بن رَحْمُون(ت نحو530هـ/1135م)، وجرت بينهما مباحث ومشاغبات، لم يذكر تفاصيلها الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، ونجدّ أبا الصّلت يُقلّل من شأن أبَا الخير سَلَامة بن رَحْمُون، ويذكر أنّ تلخيصه وتفسيره واستقصاءه لم يكن عن لطيف علم؛ بل كان متسرّعًا في جوابه[5].

[1]محمّد بنُ عبد الله بنُ محمّد بنُ عليّ، ابن عبد الله بنُ العبّاس بنُ عبد المطّلب، أبو محمّد الهاشميّ: تولّى أمور الحجّ وإمارة الموسم غير مرّة، وتوفيّ ببغداد سنة(180هـ/796م) في بستانه بعيسى آباذ. أنظر، الخطيب البغدادي (أبو بكر، أحمد بنُ علي ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1425هـ/ 2004م)، ج12، ص54.؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمّم والملوك، ج9، ص49.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص216.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص729.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص323.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص568.

وعُدَّ أسعد الدّين يعقوب بن إسحاق من المشهورين في صناعة الطبّ والخبيرين بالمداواة والعلاج بمصر، سافر في سنة(598هـ/1202م) إلى دمشق، وأقام بها مدّةً، وجرَتْ بينه وبين بعض الأفاضل من الأطباء بها مباحث كثيرة[1]، وكان موفّق الدّين يَعْقُوب بن سَقْلَاب عندما أقام بدمشق يتباحث مع مهذّب الدّين عَبْد الرَّحِيم بنُ عَليّ في أشياء من الطبّ في الموضع الّذي يجلس فيه الأطبّاء عند دار السُّلطان، حتّى أنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة كان يقارِنُ منهجهما في البحث، نحو قوله:" فكان الشّيخ مهذّب الدّين أفصح عبارةً، وأقوى براعةً، وأحسن بحثًا"[2]، وكانت عديد المباحثات تجري عن طريق المراسلات؛ من ذلك ما ذكره ابن أَبي أُصَيْبِعَة عن الطّبيب اليَبْرودي(ت 427هـ/1035م)ومراسلاته إلى ابن رُضْوَان بمصر وإلى غيره من الأطبّاء المصريين، وقال أنَّ له مسائل طبيّة عدّة، ومباحثات دقيقة أرسلها إليهم[3].

ت– التّحاسُد والتّشاجُر:

كثيرةٌ هي مظاهر الحسد والغيرة بين الأطبّاء الّتي غالبًا ما تؤدّي إلى شجارات أو إلى تلفيق تُهمٍ وتدبير مكائد للإيقاع بالمحْسُود، وهذا ما سبَّب في كثيرٍ من المرّات نكبات للأطبّاء كما ذكرت سابقًا، كعداوة الوزير محَمَّد بنُ عَبْد المِلِك الزَّيَّات، وابن أَبي دَاوود لِبَخْتِيشُوع، حسدًا على فضله ومَعْروفه وصدقاته وكمال مروءته، على ما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة[4]، وتبلغ درجة الحسد، أن يقوم الطَّبيب بالتّقليل من قيمة الطَّبيب لدى غيره، فقد كان الطَّبيب سَلْمَوَيْه يرى بأنّ يوحنّا آفة من آفات مَن اتّخذه لنفسه، واتّكَل على علاجه، ويعتبره مِن أجهل خلق الله بمقدار الدّاء والدّواء جميعًا، ويذكر ذلك لدى معجبِيه[5].

ومن مظاهر الحسد بين الأطبّاء أيضًا، ما كان يعانيه حُنين بنُ إسْحاق من أعدائه أمثال، بَخْتِيشُوع بنُ جِبْرَائِيل الذي كان يعاديه ويحسُده على علمه وفضله ولما هو عليه من جوْدة النّقل وعلوّ المنزلة، فاحتال عليه بخديعةٍ عند الخليفة المتَوكِّل، وتمّ مكره عليه حتّى أوقع المتوكّل به وحبسه، وكان حُنَيْن بن إسْحَق يشتكي ذلك في قوله: "إنّه لحقني من أعدائي ومُضطهِديّ الكافرين بنعمتي الجاحدين لحَقِّي، الظالمين لي، المتَعدِّين عليَّ، من المِحن والمصائب والشّرور ما منعني من النَّوم، وأسهرَ عيْنَيّ، وأشغلني عن مهمّاتي[6].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص583.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص697.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص611.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص201.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص237.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص264.

ومن أكثر مظاهر العداوة ما ذكره الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، عمّا كان يقع بين الطَّبيبين أبو البركات وابن التّلميذ من شَنَآنٍ وعداوة، حتّى وصل بأوحد الزمان أنّه كان قد كتب رقعةً يذكر فيها عن ابن التلميذ أشياء، يعلّق عليها ابن أَبِي أُصَيْبِعَة بقوله: "أشياءٌ يُبْعَدُ جدًّا أن تصدُر عن مثله–يقصد ابن التلميذ– ووهَب لبعض الخدم شيئًا واستسّره أن يرميها في بعض طُرُق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك أحدٌ، وهذا ممّا يدلّ على شرٍّ عظيم"[1]، واكتشف الخليفة أنّ كاتبها هو أوحد الزّمان، للإيقاع بابن التلميذ، فحنق عليه الخليفة حنقًا عظيمًا، ووهب دمَه وجميع مالِه وكُتبه لأمين الدولة بن التّلميذ، لكن أمين الدّولة سامحه ولم يتعرّض له بشيءٍ، وذلك لِما عنده من كَرم الطّباع وكثرة الخيريّة، وكان يقول فيه من الشّعر:

لَنَا صَـدِيقٌ يَـهُودِيّ حَمَاقتُـه ... إِذَا تَكَلَّمَ تَبْدُو فِيه مِن فِيهِ
يَتِيهُ وَالكَلْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةً ... كَأَنَّهُ بَعْدُ لَمْ يَخْرُج مِن التِّيهِ[2]

وقيل: إنّ أوحد الزّمان لما أسلم، كرِهَ اليهود وأبْدى ذلك، وكان يتنصّل كثيرًا منهم ويلعنهم ويسبُّهم، فلمّا كان في مجلس بعض الأعيان الأكابر وعنده جماعة، وفيهم أمين الدّولة بنُ التلميذ وجرى ذِكر اليهود، قال أوحد الزمان: "لعن الله اليهود"، فقال أمين الدّولة:" نعم وأبناء اليهود"، فوَجَمَ لها أوحد الزّمان وعرف أنّه عَنَاه بالإشارة ولم يتكلّم[3].

ومن الأمور الّتي كانت تُستَغَلُّ من الأطبّاء لإثارة الخليفة على طبيبٍ آخر كان قد داواه، أن يُخَطِّأَه ويذكر أنّ معالجته غير صائبة وأنّها زادت في المرض، من ذلك ما ذكره الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، أنّه كان قد عرض للملك الصّالح نجم الدّين وهو بدمشق أَكْلَةً في فخِذه، وكان الذي يقوم على معالجته هو الطَّبيب رشيد الدّين أَبُو حُلَيْقَة وحين عجز عن مداواته، استحضر الطّبيب رَشِيدُ الدِّين أَبَا سَعِيد وشَكا حَاله إليه، فاستغلّ أبُو سَعِيد ما كان بينه وبين رَشِيد الدِّين أَبِي حُلَيْقَة من منافسة ومناقشة، فطَعَن في معالجته، بأنّها كانت رديئة وأنّها لم تكن على صواب، ممّا أغضب الملك الصَّالح[4].

والعجيب فيما يحدُث من بعض الأطبّاء، أنْ يكون التّشاجر على أمورٍ تافهة؛ فقد حدثت مشاجرة بين الطَّبيبين يوحنا بن ماسويه ودانيال بن الطَّيْفُورِي، بسبب طاوُوس، كان مِلْكًا ليُوحَنَّا، وكانت دار يوحنا ملاصِقة لدار الطَّيْفُورِي، فكان الطاوُوس كلّما اشتدّ عليه الحرُّ صاحَ وهو على جدارٍ بينهما، فأغضب ذلك الطّبيب دَانْيَال، فقام دانيال بطرده عدّة مرّات فلم ينفع ذلك، فضرب الطَّاوُوس فوقع ميِّتًا،

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص349.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص349، 350.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص376.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص599، 600.

واستُتِر الخبر عن يُوحَنَّا إلى أنْ وجد طاووسه ميّتًا على باب داره، فأقبل يقذِف بالحدود على مَن قتله، فخرج إليه دانيال فقال: "لا تَشْتُمَن مَن قتَله فأِنّي أنا قتلتُه، ولك عَليَّ مكانه عدَّة طَوَاويس"، فقال له يوحنا: "كلامًا جارحًا فاحشًا "، فردّ عليه دانيال بقوله :وكذلك ليس يُعْجبني شمّاس[1] له عدّة نساء واسم رئيسة نسائه قَرَاطِيس[2]، فَخَجل يُوحَنَّا ودَخَل منزله مفعولًا[3].

3– الأطبّاء والشِّعْر:

عُرِف عن عديد الأطبّاء قولهم الشّعر والإبداع فيه، وهذا لخاصيّةٍ تميّز بها علماء الحضارة الإسلاميّة في جميع المجالات، حيث كان الشّعر بالنّسبة لهم بمثابة سلاحٍ، فبه يُعبّرون عن الأحاسيس، وبه يهاجمون الأعداء، وبه يشكرون ويمدحون الأصدقاء، وبه يتكسّبون بمدحِهم للخلفاء...، كما أنّه كان معينًا على التعليم، من خلال ما يُعْرف بالرَّجْز، في الطِّبّ وفي غيره من العُلوم، لأنّ رواية الرَّجز أسهل، وحفظه أمكن، ولأنّ بيوته أقصر ووزنه أخفّ، ولهذا كان من الضَّروري تعليم الصّبي من الرّجز[4]، ويعتبر كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أَبي أُصَيْبِعَة من أهمّ المصادر الّتي حفظت لنا أقوال وأشعار الأطبَّاء، من مدحٍ وهجاءٍ ورثاءٍ وغزلٍ وزُهدٍ وغيرها، وقد ذكرنا سابقًا نسبةَ ما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة من شعرٍ لهؤلاء الأطبّاء ضمن الكتاب.

ومن الأطبّاء مَنْ غلب عليه الشّعر والأدب، حتّى يكاد القارئ لترجمته ينسى بأنّه طبيب، فقد كان حُنَيْن بن إسحق فصيحًا لَسِنًا بارعًا شاعرًا[5]، وأبو القاسم هِبة الله بنُ الفضل كان طبيبًا كحّالًا إلّا أنّ الشّعر كان أغلب عليه وكان كثير النوادر، خبيث اللّسان وله ديوان شِعر[6]، وكان الشَّرِيف الكَحَّال عالمِا بصناعة الكُحْل، متميّزًا في النَّظْم والنَثْر متقدِّمًا في عمل الشِّعر[7]، والطَّبيب فخر الدّين بنُ السَّاعَاتي، كان أفضلَ أهل زمانه في الشِّعر ولا أحد يُماثله فيه[8]، وعزُّ الدّين بنُ السُّوَيدي كان أسرع النّاس بديهةً

---

[1] الشّمّاس، بشين معجّمة في الأوّل، وسين مهملة في الآخر، وميمٍ مشدّدة، وهو عبارة عندهم عن قيّم الكنيسة. أنظر، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، ص445.

[2] قَراطِيس، وهو اسمٌ روميٌّ لا عربيٌّ، ومعنى قراطيس عند الروم، القَرْنانة، وليس تكون المرأة قرنانة، حتّى تنكح غير بعْلها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر سابقا، ص249.

[3] نفسه.

[4] ابن سينا (الحسين بنُ عبد الله ت428)، كتاب السّياسة، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، (د ت)، ص102.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص257.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة المصدر نفسه، ص380.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص600.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص662.

في قول الشِّعر وأحسنهم إنشادًا[1]، ولابن سينا قصائد كثيرة، أشهرها قصيدته العَيْنيّة في النّفس[2]، كما له شِعرٌ بالفارسيّة[3].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ اعتماد الشّعر قد اختصّ به العرب بدرجة أولى وهو ما أحالنا إليه ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه، حيث أكثر ما ذكره من أشعار متفرّقة وقصائد مجتمعة قد كانت في الباب الأخير من الكتاب الخاص بأطبّاء الشّام، وعلى الرّغم ممّا ذكره من أبيات شعريّة لغير العرب من الفرس والعجم فهي محلّ شكّ؛ إذ أنّهم يفتقدون تلك الفصاحة والسّليقة الّتي تميّز بها أطبّاء وشعراء العرب.

وقد تعدّدت أغراض الشّعر لدى الأطبّاء، من خلال ما وجدناه في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، سنأتي على ذِكر أهمّها، مع ذِكر نموذجٍ أو نموذجين لكلّ غرضٍ، فأغراض الشِّعر كثيرة ولعلّ من أبرزها، المدح الّذي نجده بكثرة في كتاب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، على الرّغم من اختلاف المَمْدُوح، من طبيبٍ أو لممثّلٍ من السُّلطة كخليفةٍ أو سُلطانٍ أو وزيرٍ أو غيره، ونحن نميل دائمًا إلى إبراز ما قاله الأطبّاء في الأطبّاء، كمدحِ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة للطّبيب زين الدّين الحَافِظِي(ق7هـ/13م) في قوله:

وَمَازَالَ زينُ الدِّين فِي كُلّ مَنْصِب ... لَــهُ فِي سَمَــاءِ المجْـدِ أَعْلَـى المَرَاتِـبِ
أَمِيــرٌ حَوَى فِي العِلْمِ كُلّ فَضِيلَــةٍ ... وَفَــاقَ الوَرَى فِي رَأْيِه والتَّجَــارُبِ
إِذَا كَـانَ فِي طِبِّ فَصَدْرُ مجَالِس ... وَإِنْ كَانَ فِي حَرْبٍ فَقَلْبُ الكَتَائِبِ[4]

وبدوْرِهِ الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة قد نال المدحَ من الطَّبيب عزِّ الدّين السُّوَيْدي، ويقول في ذلك ابن أَبِي أُصَيْبِعَة: "وأَنْشدَني لما أَلّفتُ هذا الكتاب في تاريخ المتطبّبين، المعروف بـ"كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء":

مُوَفَّقُ الــدِّينِ بَلَــغْتَ المُــــنَى ... وَنِلْتَ أَعْلَى الرُّتَبِ الفَاخِرَة
حَمَلْت فِي التَّارِيخِ مَنْ قَدْ مَضَى ... وَإِنْ غَدَتْ أَعْظَمُه نَاخِـرَة[5]

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص759.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص446.

[3] فخري الدّباغ، الأطبّاء الأدباء، ط1، دار الشّؤون الثقافيّة العامة، بغداد، 1990م، ص33.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص669.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص760.

ومن أغراض الشّعر أيضًا الرّثاء[1]، كما قال الصّاحب نَجْمُ الدِّينِ اللَّبُودِي الطَّبيب (ت بعد666هـ/1267م) يُرْثِي الطَّبيب شَمْس الدِّين الخَسْرُوشَاهِي(ت 652هـ/1254م)[2]:

أَيَا نَاعِيًا عَبْدَ الحَـمِيد تَصبَّـرَا ... عَلَــيّ فَإِنَّ العِـلْمَ أُدْرِجَ فِي كَفَنِ

مَضَى مَفْرَدًا فِي فَضْلِهِ وَعُلُومِه ... وَعُدْتُ فَرِيدَ الهَمِّ وَالوَجْدِ وَالحَزَنِ[3]

وقال الطَّبيب سَدِيد الدِّين بنُ رَقِيقَة(ت 635هـ/1237م)يُرْثِي ولدًا له:

بُنَيَّ لَقَدْ أَدَرْتَ بَيْنَ جَــوَانِحِـــي ... لِفَـقْـدِكَ نَـارًا حَرَّهَا يَـتَسَعَّـــر

وأَغْرَبْتَ بِالأَجْفَانِ بَعْدَ رُقَـــادِهَـا ... سُهَادًا فَلَنْ تَنْفَّكَ بَعْدَكَ تَسْهَـر

فَلَسْتُ أُبَالِي حينَ بنت بِمَنْ ثَوَى ... وَلَم أَرَ مَنْ أَخْشَى عَلَيْكَ وَاحْذَر

وَقَالَ أُنَاس يَصْغُرُ الحُزْنُ كُلَّـــمَا ... تَمَادَى وَحزنِي الدَّهْر يَنْمَى وَيَكْبُرُ[4]

وممّا قيل في الهِجاء، وهو أكثرُ ما كان يقوله الشّعراء بعد المدح في بعضهم البعض، من ذلك ما قاله الطَّبيب أَبِي الحَكم، عُبَيْدَ الله بنُ المظَفَّر(ت549هـ/1154م) في الطَّبيب المفَشكَل اليهوديّ، يهجوه على سبيل المرثيّة:

أَلَا عُدَّ عَنْ ذِكْرَى حَبِيبِ وَمَنْزِل ... وَعَرج عَلَى قَبْرِ الطَّبِيبِ المفَشْكَلِ

فَيَـــا رَحْمَـةَ الله اسْتَـهِـيِنِي بِقَبْرِهِ ... وكُونِي عَنْ الشَّيْخ الوَضِيــعِ بِمَعْزَلِ[5]

---

[1] ليس بين الرثاء والمدح فرقٌ كبير، إلّا أنّ الرّثاء يعني، بما ارتبط بالموت، وليعلم المقصود بالشّعر أنّه ميّت، وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجّع بين الحسرة، مخلوطاً بالتلهّف والأسف والاستعظام، وقيل: إنّه ليس بين المرثيّة والمدحة فصل إلّا أن يذكر في اللفظ ما يدلّ على أنّه لهالك. أنظر، ابن رشيق القيرواني (أبو على الحسن الأَزْدي ت463 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محييّ الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، (1401هـ/ 1981م)، ج2، ص147.؛ مصطفي صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، (د ط)، دار الكتاب العربي، (د ت)، ج3، ص72.

[2] عبد الحميد بن عيسى، الشيخ شمس الدين الخسرُوشاهي، أحد مشاهير المتكلّمين، وممّن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها، ثمّ قدم الشام فلزم الملك الناصر داود بنُ المعظّم وحظّيّ عنده، وكان شيخًا مهيبًا فاضلًا متواضعًا. توفيّ في سنة (652هـ/1255م). أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص648.؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص217؛ ابن شاكر الكتبي، المصدر السابق، ج2، ص257؛ الصفدي، المصدر السابق، ج18، ص44؛ ابن واصل، مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب، ج5، ص15.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص649.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص716.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص625.

ومن الهجاء بين الأطّباء أيضًا، ما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عن الطَّبيب أَبي الصَّلْت وهجائه للطّبيب سَلامة بنُ رحمُون(ت نحو530هـ/1135م)، وقد قال هذه الأَبيات لطبيبٍ آخر يُكِنُّ عداوةً لابن رَحْمُون:

إنَّ أَبَـا الخَيْر عَلَى جَهْلِـه ... يَخف فِي كَفته الفَاضِـــل
عَلِيلُه المسْكِين مِنْ شُؤْمِه ... فِي بَحْرٍ هَلَكَ مَالَهُ سَاحِل
ثَـلاَثَةٌ تَـدْخُلُ فِي دُفْعَـةٍ ... طَلْعَتُهُ وَالنَّعْش وَالغَاسِــل

يُعَلِّقُ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عن هذه الأَبيات بقوله: "وهو أحسنُ ما سمعتُه في هَجْوِ طبيبٍ مشؤوم"، وذكر أَبياتًا أخرى في هجْوه، كالبيت التّالي:

وَقَدْ كَانَ يُؤْذِي النَّاسَ بِالقَوْلِ وَحْدَه ... فَقَدْ صَارَ يُؤْذِي النَّاسَ بِالقَوْلِ وَالفِعْلِ(1)

ومن الأطبّاء مَنْ اعتمد الشِّعرَ كوسيلةٍ للافتخار، ومن مظاهر ذلك، ما قاله الطَّبيب إسحاق بنٌ حُنَين(ت264هـ/ 877م) يفتخر بنفسه وبأهله في مجال الطبّ، ويقارنُ نفسه بمن سبَقه من أطبّاء يونانيّين:

أَنَا ابنُ الّذِينَ اسْتَوْدَعَ الطِبّ فِيهِم ... وَسُمُّوا بِه طِفْلٌ وَكَهْلٌ وَيَافِعُ
يُبْـصِرُنِـي أَرِسْتُـطَالِيسَ بَارِعًـــا ... يَقُــومُ مِنِّي مَنْطِق لَا يُدَافِعُ(2)

وفي الزُّهد قال ابن سينا(ت428هـ/1037م):

أَمَا أَصْبَحْت عَن لَيْل التَّصَابِي ... وَقَدْ أَصْبَحْت عَنْ لَيْل الشَّبَابِ
تَنَفَّسَ فِي عُذَارِك صُبْح شَيْب ... وَعَسْعَسَ لَيْلَـهُ فَكَـمْ التَّصَابي(3)

ومن شعرِ الطَّبيب أَبي بَكْر محَمَّد بنُ زَكَرِيَّا الرَّازِي (ت313هـ/ 925م):

لَعَمْرِي مَا أَدْرِي وَقَدْ آذَنَ البَلَى ... بَعَاجِلِ تِرْحَالِ إِلَى أَيْنَ تِرْحَالِي
وَأَيْنَ مَحَلّ الرُّوحِ بَعْدَ خُرُوجِه ... مِنَ الهَيْكَل المنْحَلّ وَالجَسَدِ البَالِي(4)

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص569.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص275.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص646.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص421.

ونجد الطَّبيب يتواصل مع مريضِه بالشِّعر، من ذلك ما كتبَه نَجْمُ الدِّين أَبُو الغَنَائِم، مُحَمَّد بنُ عَلِيّ بنُ المعَلم الهَرّثي(ت592هـ/1196م)، الشَّاعر الواسِطي إلى طبيبِه أَبي طَاهِر بنُ البُرْخُشِي(ت بعد560هـ/ بعد 1165م)[1]، وقد أبل من مرضٍ وألزَمَه الحِمْيّة ومَنَعَه الغذاء:

يَا مُنْقِذِي مِن حَلَقَاتِ الرَّدَى ... حَاشَاكَ أَنْ تَقْتُلَنِي جُوعَا

فكتب الطّبيب ابن البُرْخُشِي إليه الجواب:

أَوْجِب تَأْخِيرا الغِـــذَا يَوْمِنَا ... وَفِي غَدٍ نَسْتَـدْرِك الجُوعَا[2]
أَصْبِر فَـمَا أَقْصَـــرهَا مُـــدَّة ... وَإِنْ تَـلَكَـأت فَأُسْبُوعَـا[3]

كما نجد الأطبّاء يَضَعُونَ وصاياهم الطبيّة في شكلِ قصائد، فمن ذلك، وصيّةٌ طبّيّة وضعها الطَّبيب سَدِيدُ الدّين بنُ رَقِيقَة في أَبياتٍ شعريّة وأَسْمَعَها الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، في مطلَعِها يقول:

تَـــوَقَّ الامْـــتِلَاء وَعُـــد عَنْـــهُ ... وَإِدْخَالُ الطَّعَامَ عَلَى الطَّعَامِ
وَإِكْثَـــارُ الجِـــمَاع فَـإِنَّ فِيــهِ ... لمنْ وَالَاهُ دَاعِيَة السِّقَـــــامِ
وَلَا تَشْرَب عُقَيْبَ الأَكْلِ مَاء ... فَتَسْلَمِ مِن مَضَرَّاتٍ عِظَــام[4]

وقال الطّبيب العَنْتَرِيّ(ق6هـ/12م) في وصيّةٍ طبيّة:

عَدِّلْ مِزَاجَكَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَكُنْ ... كَمُسَوِّفٍ أَوْدَى بِه التَّخْلِيطُ
وَاحْفَـظ عَلَيْـكَ حَـــرَارَة بِرُطُوبَـة ... تَبْقَى فَتَرْكُكَ حِفْظُها تَفْـرِيطُ[5]

وقال أيضًا:

احْفَظْ بُنَّي وَصِيّتِي وَاعْـمَلْ بِهَـــا ... فالطِّـبّ مجْـمُوعُ بِنَصِّ كَلَامِي

---

[1] موفّق الدّين، أبو طاهر، أحمد بنُ محمد بن العباس، يعرف ب"ابن البُرْخُشِي"، من أهل واسط، فاضلٌ في الصناعة الطّبية،كاملٌ في الفنون الأدبيّة، وقد رأيتُ من خطّه ما يدلّ على رزانة عقله وغزارة فضله، وكان في أيّام المسترشد بالله. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص345.

[2] من المرضى منْ لا يستمع لنصائح طبيبه، فلا يلتزم مقدار ما أطلق له الطّبيب من أكل، فيزيد مرضه، وفي ذلك قال الشّاعر خلَف بنُ فرج الأندلسي:

يَـا آكِلًا كُلّ مَا اشْتَهَاهُ ... وَشَاتِمَ الطّبّ وَالطّبِيــب

ثِمَار مَا قَدْ غُرِسَتْ تَجْنِي ... فانْتَظِر السُّقْمَ مِنْ قَرِيبِ. أنظر، حسّان شمسي باشا، الدّاء .. والدّواء بين الأطبّاء .. والأدباء، د ط، دار القلم، دمشق/ الدّار الشاميّة، بيروت، (د ت)، ص29.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص346.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص713.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص394.

قَدم عَلَى طِبِّ المـرِيضِ عِنَايَـةً ... فِي حِـفْـظِ قُوَّتِـــهِ مَعَ الأَيَّـــامِ
بِالشبهِ تَحْفَـظُ صِحَّة مَوْجُـودَة ... وَالضِّـدُ فِيهِ شِفَـاء كُلِّ سِقَـامِ
أَقْلِلِ نِكَاحَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّه ... ماء الحياة يُرَاقُ فِــي الأَرْحَـامِ
وَاجْعَلْ طَعَامَكَ كُــل يَومٍ مَـرَّة ... وَاحْذَر طَعَامًا قَبْلَ هَضْم طَعَامِ[1]

كما ذُكر الأطبّاء في أشعارِ غيرهِم؛ فقد قال القاضي هبةُ الله سعيد بنُ سَناء المُلْك (ت608هـ/1211م) يمدحُ الرئيس موسى:

أَرَى طِبَّ جَالينُوسَ للجِسْمِ وَحْدَهُ ... وَطِبّ أَبِي عِمْرَانَ لِلْعَقْلِ وَالجِسْمِ
فَــــــلَوْ أَنَّـــهُ طب الزَّمَان بِعِلْمِـه ... لَا بَرَاه مِنْ دَاء الجَهَــــالَةِ بِالعِلْمِ
وَلَـــوْ كَانَ بَدر التمِ مَن يَسْتَطِبَّـــه ... لَتَم لَــهُ مَا يَــــدَّعِيهِ مِنَ الْتــمِ[2]

وقال الشّاعر المحدّث شَمْسُ العَرَب البَغْدَادِيّ (ت 622هـ/1225م)[3] في والد ابن أَبي أُصَيْبِعَة، مادحًا طِبَّه وكُحْلَهُ، بعدما عالجه وبَرأ على يديه:

لِسَدِيـدِ الـدِّينِ فِي الطِّـبِّ يَد ... لمْ تَـزَلْ تُنْقِـذُ طَرفا مِنْ قَذَى
كَمْ جَلت عَنْ مُقْلَةٍ مِنْ ظُلْمَةٍ ... وَأَمَاطَتْ عَنْ جُفُونٍ مِنْ أَذَى[4]

وللمحدّث والمؤرّخ الشَّريف البَكْرِي(ت656هـ/1258م)[5]في الحَكِيم سَعْد الدّين إِبْرَاهِيم بن عبد الْعَزِيز بن عبد الْجَبَّار بن أبي مُحَمَّد السّلمِيّ (ت644هـ/1246م)[6] من أَبياتٍ:

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص390

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص582.

3 أبو محمد، عبد العزيز بنُ النفيس بنُ هبة الله بنُ وهبان السُّلّمي، المعروف "بشمس العرب"، أديبٌ وشاعرٌ، من بغداد، نزل بدمشق، وكان مقيمًا بالمدرسة العزيزيّة، كان مادحًا لملوك بني أيوب، توفيّ سنة (622هـ/1226م). أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص739.؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج13، ص711.؛ الصفدي، المصدر السابق، ج18، ص347.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص739.

5 عند ابن أبي أُصَيْبِعَة ذُكر بالشّريف، وفي المصادر الأخرى، ذُكر بالصَدر البكري؛ وهذا الأخير هو، الحسن بنُ محمد بنُ محمد، ابن عمروك التَيْمي النَيْسابوريّ، ثمّ الدمشقيّ، أبو عليّ، صدر الدّين البكري (ت 656هـ)؛ أحد حفّاظ الحديث، وكان مشتغلًا بالتاريخ، استقرّ بدمشق، وتولّى الحسبة بها، ثمّ انتقل إلى مصر، ومات بها، وله تصانيف ومجاميع. أنظر، السيوطي، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، ص356.؛ الزِركلي، المرجع السابق، ج2، ص215.؛ محمد رشاد خليفة، مدرسة الحديث في مصر، (د ط)، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، (د ت)، ص44.

6 سعد الدين، أبو إسحاق، إبراهيم بنُ عبد العزيز بنُ عبد الجبار بنُ أبي محمد السُّلّمي، كان متديّنًا وفقيهًا، متميّزًا في صناعة الطّبّ، له مجلسٌ لتعليم الطّبّ، كما تولّى تعمير المدرسة الحنبليّة بدمشق، توفيّ سنة (644هـ/1247م). أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص671، 672.؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ج6، ص98.

حَكِيمٌ لَطِيفٌ مِنْ لَطَافَةِ وَصْفِه ... يَوَدُّ المعَافَى السُّقْمَ حَتَّى يَعُودَهُ[1]

كما وجدت استعمالاتٍ أخرى للشِّعر، كالمقارنة بين طبيبيْن، نحو قول أحدهم يمدح الطَّبيب أمين الدّولة بنُ التّلميذ، ويهجو الطَّبيب أَوْحد الزَمَان في قوله:

أَبُو الحَسَن الطَّبيب وَمُقْتَفِيه ... أَبُو البَرَكَات فِي طَرَفَيْ نَقِيضِ
فَهَـذَا بالتَّـوَاضُعِ فِي الثُّرَيَـــا ... وَهَذَا بالتَكبُّـرِ فِي الحَضِيضِ[2]

ووجدت من كان يلُومُ طبيبًا آخر، ويتحَسّرُ على عملٍ قام به وهو لا يَليق به، وكمثال على ذلك ما أرسلَ به الطَّبيب شَرَفُ الدّين الرَّحْبِي(ت667هـ/1268م) إلى الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة عندما كان في صَرْخَد عند مالكها الأمير عزّ الدين أَيْبَك المعظّمي(ت655هـ/ 1257م)، في قوله:

مُوَفَّقُ الدِّين مَاذَا السَّهْو مِنْكَ عَلَى ... مَا نِلْتَ مِنْ رُتْبَة فِي العِلْمِ وَالأَدَب
أَبِعْتَ نَفْسَكَ بِالـنَّزْر الحَقِير لَقَـــدْ ... أَرْخَصْتَهَا بَعْدَ طُولِ الجِدِّ وَالدأبِ
أَقُمْتَ فِــي بَلَـدِ يَزْرِي بِسَاكِنِـــه ... وَلَا يَرْتَضِيهِ لَبِيبٌ مِنْ ذَوِي الرُّتَبِ[3]

كما وجدت الردّ بالشّعر على ما تقدَّم مِنْ شُكْرٍ، واعترافٍ بالفَضل، فمن ذلك قول الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة: "ولمّا اجتمعتُ بالحكيم رشيد الدّين أَبي حُلَيْقَة، وكان قد بلَغَه أنَّني ذكرتُ الأطباء المشهورين من أهله ووصفتُ فضْلَهُم وعِلْمَهُم فتَشَكَّرَ منّي وتَفضَّل فأنشدتُه بدِيهًا:

وَكَيْـفَ لَا أَشْـكُرُ مِنْ فَضْلِهِـم ... قَدْ سَارَ فِي المشْرِقِ وَالمغْرِبِ
قَـوْمٌ تَرَى أَقْـدَارَهُم فِي الـوَرَى ... بِالعِلْمِ تَسْمُو رُتْبَة الكَوْكَب
كَمْ صَنَّفُوا فِي الطِبِّ كُتُبًا أَتَتْ ... بِكُـلّ مَعْنَى مُبْـدِع مُغْرِب [4]

ومن النّوادر الّتي كانت تحدُث لدى الأطبّاء في هذا المجال، وهو ما يدلّ على فهمِهم للألغاز الّتي تكُون في شكل أَبياتٍ شِعريّة، فقد ذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة قصّةً، مفادها أنّه كان لأمين الدّولة بنُ التّلميذ أصحابٌ وجماعةٌ يتردّدون إليه فلمّا كان في بعض الأيّام قَدِم إليه ثلاثةٌ؛ منجّمٌ ومهندسٌ وصاحبُ

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص672.؛ المقريزي، المقّفى الكبير، ج1، ص139.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص350.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص679.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص596.

أدبٍ؛ فسألوا عنه غُلامه قَنْبَرْ، فقال لهم: أنّه ليس بالدّار، ثمّ عادوا في وقتٍ آخر، فذَكَرَ لهم بأنّه لم يأت بَعْد، وكان لهُمْ ذَوْقًا من الشِّعر فتقدَّم كلُّ واحدٍ منهم يكتبُ بيتًا من الشِّعر على الحائط عند باب الدار.

فَكتبَ المَنجِّمُ: قَدْ بُلِينَا فِي دَارِ أَسْعَد قَوم بِمُدْبِر ....

ثمَّ كَتَبَ المهَنْدِسَ بَعْدَه: بِقَصِيرٍ مُطَوَّل ... وَطَوِيلٍ مُقَصِّر.

وكَتَب صَاحِبُ الأَدَبِ: كَمْ تَقُولُونَ قَنْبَرَا ... دَحْرِجُوا رَأْسَ قَنْبَر، وَمَضوا.

فلمّا رجع الطّبيب أمين الدَّولة إلى داره قال له غُلامه: "يا سيّدي جاء ثلاثةٌ إلى هَهُنا يطلبونَك ولما لم يجدوك كتَبُوا هذا على الحائط، فلمّا قرأه الطّبيب أمينُ الدّولة قال لمنْ معه: "يُوشِكُ أن يكون البيتُ الأوّل خطَّ فلان المنجِّم، وهذا البيت الثّاني خطّ فلان المهندس، وهذا الثّالث خطّ فلان صاحبنا، فإنّ كلَّ بيتٍ يدلّ على شيءٍ ممّا يُعانِيه صاحِبه، وكان الأمْرُ كما حَدَسَهُ أمين الدَّولة سواءُ[1].

رابعا: العلاقات الطبّيّة بين أقاليم المشرق الإسلامي:

أحاول في هذا المبحث تسليط الضّوء على رحَلات وتنقّلات الأطباء فيما بين أقاليم المشرق الإسلامي، وسأسعى إلى إحصاء ما أمْكن مِن الّذين ذَكَر لهم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة أسْفارهم وتواجُدهم في مناطق أخرى معلِّمين أو متعلِّمين، وسأركّز على ذِكر تلك التنقّلات بين الأقاليم الكبرى؛ إذ توجد هناك تنقُّلات داخل كلِّ إقليمٍ؛ كأنْ يتنقل الطَّبيب من البصرة إلى بغداد[2] أو من دمشق إلى حَلَبْ والقدس وغيرها.

انطلاقًا من كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" يستنتج ذلك التواصل المستمّر وغير المنقطع بين أطبّاء أقاليم المشرق الإسلامي، بالرّغم ممّا وجد من تفاوت، من حيث عدد المتنقِّلين من إقليمٍ إلى آخر، وكذا من حيث الاختلاف في أسباب التنقُّل، ولتسهيل الاطّلاع على أهمّ مَنْ تنقَّلُوا فيما بين هذه الأقاليم حاولت ضبْط ذلك وِفْق جداوِل، ثمّ ذِكرَ بعضَ الأخبارِ عمّن ارتحلوا كتحليلٍ للجدول.

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص352.

[2] كمثال لذلك ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة عن الكِنْدِي في قوله: "ونزل البصرة، وضيعته هنالك، وانتقل إلى بغداد، وهناك تأدّب ". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص286.

41– العلاقات الطبيّة بين العراق وبقيّة أقاليم المشرق الإسلامي:

بعد تتبُّع ما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، فيما يخصّ تنقّلات الأطبّاء، قمْت بإحصاء الّذين صَرَّحَ بتنقُّلاتهم من العراق إلى أقاليم المشرق الإسلامي الأخرى وكذلك العكس، من الأقاليم الأخرى إلى العراق، كما هو في الجدول التّالي:

الإقليم	الأطبّاء المنتقِلين
من العراق إلى مصر.	**إِبْرَاهِيمَ بن عِيسَى، عَمَّار بنُ عَلِيّ الموصِلِي، ابنُ الهَيْثَم، ابنُ العَيْن زَرْبِي، مُوَفَّقُ الدِّين عَبْدُ اللَّطِيف البَغْدَادِي، ابنُ بُطْلَان.**
من مصر إلى العراق.	**بلَيْطِيَان.**
من العراق إلى الشّام.	**جَابِر بنُ مَنْصُور السُّكَّرِي، ظَافِر بنُ جَابِر السُّكَرِي، مُهَذَّبُ الدِّين بنُ النَّقَاش، ابنُ الصَّلَاح، ابنُ الدَّهَان المَنَجِّم، يَعْقُوب بنُ إِسْحَق الكِنْدِي، مُوَفَّق الدِّين عَبْدُ اللَّطِيف البَغْدَادِي، فَخْرُ الدِّين المارْدِينِي.**
من الشّام إلى العراق.	**اليَبْرُودِي، أَبُو الفَضْل بنُ أَبِي الوَقَّار، مُوَفَّق الدِّين بنُ المطْرَان، مُهَذَّب الدِّين بنُ الحَاجِب، مُوَفَّق الدِّين عَبْدُ العَزِيز، رَضِّي الدِّين الرَّحْبِي.**
من العراق إلى أقاليم أخرى.	**يُوحَنَّا بنُ مَاسَوَيْه (إلى أَنْقَرَه وعَمُّورِيَّةَ وسائر بلاد الرُّوم)، قسْطَا بنُ لُوقَا البَعْلبكيّ (إلى أَرْمِينيَّة)، أَمِينُ الدَّوْلَة بنُ التِّلْمِيذ(أَصْفَهَان)البَدِيعُ الأَصْطرْلَابِي (أَصْفَهَان)، شَمْسُ الدِّين بنُ هُبَلْ (بلاد الرُّوم)، السَّمَوْأَل (بِلَادُ العَجَم).**
من أقاليم أخرى إلى العراق.	**عائلة آل بَخْتِيشُوع، سَابُور بنُ سَهْل (من جُنْدَيْ سَابُور)، مَاسَوَيْه أَبُو يُوحَنَّا، أَبُو نَصْر الفَارَابِي، شِهَابُ الدِّين السَّهْرَوَرْدِي، أَحْمَد بنُ أَبِي الأَشْعَث (فَارِس)، فَخْرُ الدِّين المارْدِينِي[1]، رَبْن الطَّبَرِي، أَبُو الحَسَن أَحْمَد بنُ مُحَمَّد الطَّبَرِي، ابنُ رَبْن الطَّبَرِي (طَبَرِسْتَان)، أَبُو بَكْر مُحَمَّد بنُ زَكَرِيَّا الرَّازِي (الرَّي)، أَبُو سُلَيْمَان السِّجِسْتَانِي، الحَسَنْ الفَسَوِي(فَارِس)، مَنْكَه الهِنْدِيّ، صَالِح بنُ بُهْلَة الهِنْدِيّ.**

لم تكن تنقّلات الأطبّاء من العراق إلى مصر بشكلٍ كبيرٍ، من خلال ما ذكره الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، وعددُ ما أحصيْت منهم سبْعَة أطبّاء على الأقلّ؛ أغلبُهم ارتحل في زمن الخلفاء الفاطميّين بتشجيعٍ

[1] نسبةً إلى مارْدِينْ؛ وهي قلعةٌ مشهورة على قمّة جبلٍ بالجزيرة، وهي مشرفة على دُنَيْسِر، ودارًا، ونَصِيبَين، بينها وبين مدينة دارًا نصف مرحلة. أنظر، القطيعي، مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، ص1219.؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص259 .؛ الحِميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت 900هـ)، الرَّوْضُ المِعْطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسّسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص518.

منهم، باستثناء الطَّبيب إبراهيم بنُ عيسى الّذي تنقَّل إلى مصر في زمن الأمير أحمد بنُ طولون وخَدَمه بالطبّ، وبقيّ مستقِرًا هناك، حتّى توفيّ بها نحو سنة(260هـ/874م)[1].

سافر الطَّبيب عمار بن علي الموصلي الّذي عُرف بالكُحْل وبِدَرْبَتِهِ في مداواة العين إلى مصر في أيَّام الحَاكِم بِأَمْر الله(375-411هـ/985-1021م) الّذي ردّ كرَمَه وإنعامه عليه بأنْ ألَّف له كتاب المنتخَب في علم العَين وعِلَّلها ومداواتها بالأدويّة والحديد"[2]، وكان سَبب سفَر الطّبيب ابن الهيثم (ت نحو 430هـ/نحو 1038م) إلى مصر رغبته أوّلًا، ثمّ إسرار الخليفة الحاكم عليه، قال الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في ذلك: " فازدادَ الحاكم إليه شوْقًا وسيَّرَ إليه سرًّا جملةً من المال وأرْغَبَهُ في الحضور فسار نَحوَ مصر، ولما وصلها خرج الحاكم للقائه ... وأمر بإنزاله وإكرامه واحترامه"[3]، ونفسُ الشيء بالنّسبة للطّبيب ابنُ العَيْن زَرْبِي الّذي انتقل من بغداد إلى مصر، وبقيّ بها حتّى وفاته، وكان قد خَدم الخلفاء المصريين، وحظِيّ في أيّامهم وتميّز في دولتهم، وصنّف بديَار مصر كتبًا كثيرة في صناعة الطِّبّ وفي المنطق، وفي غير ذلك من العلوم[4].

ويُعدّ الطَّبيب ابن بُطْلَان(ت 458هـ/1066م) من أشهر الأطبّاء الّذين سافروا من بغداد إلى مصر في سنة (441هـ/1050م) وأقام بها ثلاث سنين، وذلك في دولة المستنصر بالله من الخلفاء، وقصَد من سفره هذا لقاء علي بن رضوان والاجتماع به، وقد كانت بينهما مراسلات كثيرة، ولم يكن أحدٌ منهما يؤلِّف كتابًا ولا يبتدِع رأيًا إلّا ويردّ الآخَر عليه ويُسَفِّهُ رأيَهُ فيه، ويذكر الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، أنّه في مصر جرتْ بينهما وقائع كثرة، ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة، كثيرٌ منها ضمّنَها ابن بُطْلان في أحدِ كتُبه[5].

أمّا الّذين تنقّلوا من مصر إلى العراق فلم أجد إلّا طَبيبا واحد وهو "بلَيْطِيَان"، وذهابه إلى العراق كان نزولًا عند طلب الخليفة هارون الرَّشيد، حيث استدعاه لمعالجة جارية أُهديت له من مصر، وكان هارون الرّشيد قد تعلَّق بها لجمالها، وعالجها الأطبّاء فلم تنتفِع بشيء، فقالوا له: "ابعثْ إلى عامِلِك بمصر

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص541.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص549.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص551.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص570.
[5] نفسه.

ليُوجِّه إليك من أطبّاء مصر لمعرفتهم وتبصُّرهم بمِزاجِها[1]، على عكس أطبّاء العراق"، فاختار له عامِلُه بلَيْطِيَان، بطريك الإسكندريّة، وكان له حَذْقٌ بالطِّبّ، قال ابن أَبي أُصَيْبِعَة: "فحمَلَ بَلَيْطِيَان معه من كَعكِ مِصْرَ الخَشِن والصِّير، فلمّا دخل إلى بغداد ودخل إلى الجارية أطْعَمَها الكعك والصِّير فرجعت إلى طبْعِها وزالت عنها العِلّة، فصار من ذلك الوقت يحملُ من مصر إلى خزانة السُّلطان الكَعْك الخَشِن والصِّير"[2].

أمّا فيما يخصّ العلاقات بين الشّام والعراق، فقد كانت رحلات الأطبّاء متوازنة، فنجد الأطبّاء العراقيّين في بلاد الشّام يعلّمون ويتعلّمون، ويُحَصّلون من الأموال والإكراميات ما يُحَصِّلُه أطبّاء الشّام، وكذلك بالنّسبة للأطبّاء الشاميّين، فقد بَرز دوْرهم في العراق بشكلٍ كبير، ومن الأطبّاء الّذين تنقّلوا من العراق إلى الشّام، جابرُ بنُ مَنْصُور السُّكّري وابنه الظّافِر، وهما طبيبان مسلمان سافَرا من الموصل إلى الشّام، واستقّر الابنُ بمدينة حلب وبقيّ فيها إلى آخِر عُمره[3]، ومن الأطبّاء الذين ارتحلوا من العراق إلى الشّام مُهَذَّبُ الدِّين بنُ النَّقَّاش، وُلد ونشأ ببغداد وسافر إلى دمشق، ومارس بها صناعة الطبّ، وكان أوحد زمانه فيها، وكان له مجلسٌ عام للمشتغِلين عليه، وخَدَم بالطبّ الملك العادل نُور الدِّين مَحْمُود بنُ زِنْكي، وخدَم أيضًا في البيمارستان الكبير، كما خدم الملك النَّاصِر صَلَاح الدِّين يُوسُف بنُ أَيُّوب، وبقيّ بدمشق حتّى توفيّ بها سنة (574هـ/1179م) ودُفن بها، في جبل قَاسِيُون[4].

وسافر الطَّبيب ابن صَلاح الّذي نشأ ببغداد إلى دمشق، وبقيّ بها إلى أنْ توفّي سنة نيفٍ و(540هـ/1146م)[5]، وكذلك بالنسبة لموفّق الدِّين عَبْد اللَّطِيف البَغْدَادِي، انتقل إلى مصر ومنها إلى دمشق وأقام بها مدّةً، ودرّس وانتفع النَّاس بعِلمه، التقاه الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة بدمشق في آخر مرّة أتى إليها، ووجدَه شيخٌ نحيف الجسم، رَبْع القامة، حَسَن الكلام، جيِّد العبارة، نزل بالمدرسة العزيزيّة ودرّس بها في سنة (604هـ/1208م)، وكان يأتيه خلقٌ كثيرٌ يشتغلون عليه، ويقرأون أصنافًا من العلوم، كما كانت له مراسلات وعلاقات مع ابن أَبي أُصَيْبِعَة ووالده[6]، ومن العراقيّين الّذين تنقّلوا إلى الشّام فَخْرُ الدِّين

---

[1] يبدوا أنّه لم تكن الأدويّة التي تقدّم للمريض، فيما يخصّ مرض معيّن، هي نفسها نافعة في كلّ مكان؛ إذ كان للمزاج دورًا كبيرًا في تقبّل أدوية دون غيرها، ولهذا فعلى الرّغم من وجود كثير من الأطبّاء لدى هارون الرّشيد، من جُنْدَيْ سَابُور وغيرها إلّا أنّهم عجزوا عن مداواة جارية جُلِبت من مصر، فكان لزامًا أن يُؤتى بأحد أطبّاء مصر، لكونه عارفًا ومتبصّرًا بمزاجها.

[2] ابن أَبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص540.

[3] ابن أَبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص613، 614.

[4] ابن أَبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 635-637.

[5] ابن أَبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 639.

[6] ابن أَبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص683 وما بعدها.

المارْدِينِي، ونصَّب نفسه بدمشق مدرِّسًا لصناعة الطبّ، وكان من جملة مَنْ اشتغل عليه الشّيخ مُهَذَّبُ الدِّين عَبْد الرَّحِيم بنُ عَلِيّ، حيث تَدَارَس معه كتاب القَانُون، لابن سينَا وصَحَّحه معه[1].

وعلى العكس ممَّا سَبَق، وُجدت الرّحلة العكسيّة بالسَّفرِ من الشَّام نحو العراق، كما هو الحال بالنّسبة للطّبيب اليَبْرُودِي(ت427هـ/1035م) الّذي أراد الاستزادة في صناعة الطبّ، فسأل عمّن هو إمامٌ في وقته بمعرفة صناعة الطِّبّ، فذكروا له أنَّ ببغداد أبا الفرج بن الطيِّب، وأنّه فاضل في الطبّ، فيلسوفٌ متفنِّن، متمكِّن في الأمور الحِكميّة، فتأهَّب للسّفر، وشُغْفه لهذه الرّحلة جعله يأخذ سِوارًا كان لأمِّه لنفقتِه، وتوجّه إلى بغداد وصار يُنفِق عليه ما يقوم بأَوَدِه، واشتغل على ابن الطيِّب إلى أن صار ماهرًا في صناعة الطبّ، وصارت له مباحثات جيّدة ودراية فاضلة في هذه الصناعة واشتغل أيضًا بشيءٍ من المنطق والعلوم الحِكميّة[2].

ومن الّذين ارتحلوا إلى بغداد، الطَّبيب أبو الفضل إسماعيل بن أَبِي الوَقار، للقراءة على أفاضل أطبّائها[3]، والطَّبيب موفّق الدّين بنُ المِطران الّذي اجتمع بأمين الدّولة بنُ التّلميذ واشتغل عليه بصناعة الطبّ في بغداد، وقرأ عليه كثيرًا من الكتب الطبّيّة وصار موسومًا بالطبّ قبل أن يعود إلى دمشق[4]، ورحل بعض الأطبّاء لتعلُّم الحكمة والعلوم الرياضيّة، كما فعل الطَّبيبان مهذّب الدّين بنُ الحَاجِب، ومُوَفَّقُ الدِّين عَبْد الْعَزِيز بنُ عَبْد الْجَبَّار بن أبي مُحَمَّد السُّلَّمِيّ، حيث رحلا سوِيّا إلى شَرَف الدِّين الطُّوسي، الفَيلسوف في مدينة الموصَل، فوجداه قد توجّه إلى مدينة طُوس فأقاما هناك مدّةً[5]، وسافر رضيُّ الدّين الرَّحْبِي أيضًا إلى بغداد، على الرّغم من عدم معرفتنا لتَفاصيل الرّحلة[6]، ويذكر الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة أنّ عمّه الطَّبيب رَشِيد الدِّين، أَبُا سَعِيد بنُ خَليفَة قد عزَم على الارتحال في أوَّل حياته العلميّة وهو شابٌ إلى الموصل للاشتغال على كَمَال الدِّين أَبِي عِمْران مُوسَى بنُ يُونُس، الفيلسوف الطَّبيب، فلم تَأْذَن له أمّه وتضرَّعت له بعدَم الرّحيل[7].

أمّا فيما يخصّ العلاقات الطبّيّة بين العراق والأقاليم الأخرى فقد كانت الأبْرز، خاصّةً في بدايات الدّولة العبّاسيّة، فقد كانت بغداد هدفًا ومركزًا علميا مُشِّعًا استقطب أطبّاء الفرس والهند والمغرب

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص402.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص621.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص635.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص652.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص659.
[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص672.
[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص412.

والأَنْدلس، وكان من بين الوافدين إليها أطبّاء أُسْرَةُ آل بَخْتِيشُوع الّذِين تَتَلمذوا بجُنْدَي سَابُور، وخَدَموا الخلفاء العبّاسيّين ببغداد، وممّن قدم أيضًا من جُنْدَي سَابُور؛ سَابُور بنُ سَهْل، وَمَاسَوَيْه أَبُو يُوحَنَّا، ومن الأطبّاء الوافدين على العراق من طبرِسْتَان، ربن الطّبري اليهودي المنجِّم، وابنه المعروف بـ "ابن ربن الطّبري"، صاحب كتاب فِرْدَوْس الحِكمة، وتُحفَة الملوك، وعديد الكتب الأخرى[1]، وأبو سُلَيْمان السِّجِسْتاني الّذي اجتمع بيحيى بنُ عُدَيْ[2] ببغداد وأخذ عنه[3].

ومن الأطبّاء الوافدين من الهند، مَنْكَه الهندي الّذي سافر من الهند إلى العراق في أيّام الخليفة هارون الرّشيد، لما اعتلّ الرشيد عِلّةً صعبة ففشل الأطبّاء في علاجه، وتمّ نُصْحه بمَنْكَه الهندي، فوجّه من حمله ووصله بصِلةٍ تُعينه على سفره، فَقَدِم إلى بغداد وعالج الرّشيد فبرَأ من عِلّته بعِلاجه[4]، وكذلك أرسل الخليفة هارون الرّشيد إلى مَنْ يُحْضِر له الطَّبيب الهندي صالح بن بَهْلة، بعد أن عَجَز جبرائيل مداواة ابن عمّ الرّشيد، إبراهيم بنُ صالح، فداواه مِنْ سَكْتةٍ كانت قد أصابته[5]، اعتقدوا فيها موته فجهّزوه للدّفن بعد التّغسيل والتّكفين[6].

---

[1]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص414.

[2] أبو زكريا، يحيى بنُ حميد بن زكريا المنطقي، من النّصارى اليعقوبيّة، قرأ على أبي بِشر مَتَّى، وعلى أبيَ نصْر الفَارابي، وكان مهتمًّا بالنّقل من اللغة السُّريانية إلى اللغة العربيّة، له من الكتب؛ كتاب في منافع الباه ومضاره، وله تفسير كتاب طوبيقا لأرسطوطاليس. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص317، 318.

[3]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص317.

[4]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص375.

[5]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص375 وما بعدها.؛ ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج9، 486.؛ عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج1، ص54.

[6]ملخّص ذلك، أنّ الخليفة هارون الرّشيد أراد جبرائيل بن بختيشوع يومًا عندما وضع له الطّعام، فلم يكن حاضرًا، فلعنه الرشيد، واستمرّ في ذلك حتّى دخل عليه، وأخبره بأن يبكي على ابن عمّه لقُرب موته من مرضٍ كان به، بدل اللّعن والسبّ، فاشتدّ جزع الرشيد من ذلك وأمر برفع الموائد وكثُر بكاؤه، حتّى أشار عليه جعفر بن يحي بالطّبّ الهندي بدل جبرائيل الرّومي، وذكر له الطّبّيب صالح بن بهلة الهندي، فأُوتيّ به، وقام بمعاينة إبراهيم وجسّ عِرقه، فراهن وحلف بتطليق زوجته وبأن يسلب جميع ما يملك. إنْ مات إبراهيم، وبشّره بأنّه يعيش، فقال الرشيد: "حلفتَ يا صالح بالغيب!" فقال صالح: "إنّما الغيب ما لا دليل عليه ولا علم به، وأنا لديّ دلائل بينة وعلم واضح"، ففرح الرّشيد واحتفل بالنّبيذ، وأثناء ذلك ورد كتاب البريد بوفاة إبراهيم بن صالح، فثار الرّشيد على جعفر بن يحي ووبخّه لإرشاده لأطبّاء الهند، وصار يلعن الهند وطبّهم، ثمّ تقيّأ ذلك النّبيذ، وبكر إلى دار إبراهيم، ووقف صالح بن بهلة بين يديْ الرّشيد، وأصرّ على أنّه مازال على حنثه، وهو يقول: "فو الله ما مات، فأطلق لي الدخول عليه والنَّظر إليه" وهتف بهذا القول مرّات، فأذن له، فدخل صالح بن بهلة وبدأ يكبر، ثمّ قال: "يا أمير المؤمنين، قُم حتّى أُريك عجبًا! فوخَزه بإبرةٍ بين ظفر إبهام يده اليسرى ولحْمه، فحرّك يده وردّها إلى بدنه، فطلب تجريده من الكفن وغسله من رائحة الحنوط. ثمّ أيقظه، فجلس وكلّم الرّشيد وقبّل يده، وسأله الرشيد عن إحساسه، فذكر أنّه كان نائمًا، وأنّه رأى في منامه كلبًا قد أهوى إليه فتوقّاه بيد فعضّ إبهام يده اليسرى عضّةً انتبه بها، وهو يحسّ بوجعها وأراه إبهامه التي كان صالح بن بهلة أدخل فيها الإبرة، وعاش بذلك وكان له شأن كبير. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص375 وما بعدها.؛ ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج9، ص486.؛ عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند، ج1، ص54.

ويُعدّ الطَّبيب محمَّد بنُ زَكَرِيَّا الرَّازِي من أبرز الأطبّاء الّذين قدِموا إلى بغداد، وقيل بأنّ اشتغاله بالطبّ كان على كِبَرٍ بعد مُضَيِ أربعين سنةُ من عُمره[1]، وذلك بعد أن دخل البَيْمَارِسْتَان العَضُدي ورأى فيه من العجائب، حتّى تعلَّق قلبُه بصناعة الطِّبّ فتصدَّى لتَعلُّمها وكان منه جالينوس العرب[2]، ثمَّ بلغ به الحال إلى أن صار سَاعُور البَيْمَارِسْتَان العَضُدِي[3]، وقيل أنّه كان في بغداد ناظرًا لجميع المستشفيات[4].

2– العلاقات الطبيّة بين مصر وبقيّة أقاليم المشرق الإسلامي:

يمثّل الجدول التّالي أهمّ الأطبّاء الّذين تنقّلوا من مصر إلى أقطار المشرق الإسلامي، وكذا أهمّ الوافدين عليها، باستثناء العلاقة بين مصر والعراق، فقد ذكرناها سابقًا، على أنّه يصعُبُ جدًّا تحديد رحلات الأطبّاء بين هاته الأقاليم، خاصّةً فيما يتعلّق بمصر والشّام والعلاقة بينهما:

الإقليم	الأطبّاء المتنقّلين
بين مصر والعراق.	تمّ ذكرهم في الجدول السّابق لهذا الجدول.
من مصر إلى الشّام.	عَبْدُ الملِك بنُ أَبْجَر الكِنَانِي، سَعِيد بنُ تُوفِيل، الأَسْعَد المَحَلِّي، أَسْعَد الدِّين بنُ أَبِي الحَسَن، الشَّرِيف الكَحَّال.
من الشّام إلى مصر.	أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بنُ سَعِيد التَّمِيمِي، جَمَال الدِّين بنُ أَبِي الحَوَافِر، أَبُو سُلَيْمَان دَاوود بنُ أَبِي المنَى بنُ أَبِي فَانَة، أَبُو سَعِيد بنُ أَبِي سُلَيْمَان، أَبُو شَاكِر بنُ أَبِي سُلَيْمَان، أَبُو نَصْر بنُ أَبَي سُلَيْمَان، أَبُو الفَضْل بنُ أَبِي سُلَيْمَان، رَشِيد الدِّين أَبُو حُلَيْقَة، رَشِيد الدِّين أَبُو سَعِيد، مُهَذَّبُ الدِّين بنُ الحَاجِب، أَبُو الفَضْل بنُ عَبْد الكَرِيم المهَنْدِس، رَضِيُّ الدِّين الرَّحْبِي، جَمَالُ الدِّين بنُ الرَّحْبِي، رَشِيدُ الدِّين بنُ الصُّورِي، الصَّاحِب أَمِين الدَّوْلَة[5]، مُهَذَّبُ الدِّين عَبْد الرَّحِيم بنُ عَلِيّ، جدّ ابنُ أَبِي أُصَيْبِعَة، وعمّه رَشِيدُ الدِّين عَلِيّ بنُ خَلِيفَة، عِمَادُ الدِّين الدُّنَيْسَرِي.

[1] شمس الدّين الذّهبي، سيّر أعلام النبلاء، ج11، ص219.

[2]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص415.

[3] نفسه.

[4]فنديك، إدوارد كرينليوس، المرجع السابق، ص216.

[5] نُفيّ بها ولم يتنقّل إليها طوعًا. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص723.

من مصر إلى أقاليم المشرق الأخرى.	**أَسْعَد الدِّين بنُ أَبِي الحَسَن (اليَمَن)، القُطْبُ المصْرِي (بِلَاد العَجَم).**

مثّلَت كلٌّ من مصر والشّام في أغلب الأوقات وحدةً سياسيّة واحدة؛ ولهذا اختلفت العلاقة بين هذين الإقليمين عن غيرهما من الأقاليم، سواءٌ من خلال الرِّحلة وتنقُّل الأطبّاء أو من خلال ما بَذَلَه السّلاطين والأعيان في بناء المرافق الطبّيّة، فالأطبّاء كانوا يرحلون بين الإقليمين، ويتنقّلون بينهما وذلك بحسب ما يربطهم بالسّلاطين من علاقات ومودّة، وما يجدونه منهم من إكرامٍ وإنعامٍ أو ما يُوكَلُ إليهم من أعمالٍ تُتيح لهم فرصة الإقامة والتّدريس وعلاج المرضى، وكذا ما يريدون تحصيله من علوم، بالسّفر للقاء المشايخ والتّتلمُذ لديهم.

والملاحظ ممّا ذكره الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، وممّا أحصيته من خلال كتابه في الجدول، أنّ الأطبّاء الّذين ارتحلوا من الشّام نحو مصر كانوا كثيرين جدًّا، مقارنة بالرّحلة العكسيّة من مصر إلى الشّام، فمن الأطبّاء الّذين ارتحلوا من مصر إلى الشّام عبد الملِك بنُ أَبْجَر الكِنَانِي، كان مقيمًا في الإسكندريّة مُدَرِّسًا فيها، ولما أَسْلَم ابن أَبْجَر على يد الخَلِيفَة عُمَر بنُ عَبْد العَزِيز، صار الخليفة يعتمد عليه في صناعة الطبّ[1]، وكان سَعِيد بنُ تُوفِيل طبيبًا لأَحْمَد بنُ طُولُون في مصر، يصحَبُه في سفره، ولما توجّه الأَمير ابن طُولُون إلى دمشق سافر معه في سنة(269هـ/883م)، وقد سَخَط عليه لعدم تمكُّنه من علاجه[2].

وارتحل الطَّبيب أسْعد الدِّين يَعْقُوب بنُ إسْحَاق في أوّل سنة(598هـ/1202م) إلى دمشق، وجرت بينه وبين بعض أطبّائها مباحثات كثيرة ونَكَد، وألّف بدمشق كتُبًا منها؛ كتاب في مِزاج دمشق ووصْفِها وتفاوُتِها من مصر وأنّها أصحّ وأعْدَل، كما له مسائل طبيّة مع أجوبتها سألَها لبعض الأطبّاء بدمشق[3]، وكان لأَسْعَد الدِّين الطَّبيب المصري رحلةً إلى دمشق، يذكر الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة اجتماعه به فيها سنة (630هـ/1234م)[4]، ومن الّذين انتقلوا من مصر إلى الشّام أيضًا، الشَّريف الكَحَّال؛ قال عنه الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة: "أصْلِيّتُه من مصر وانتقل إلى الشّام، شريفُ الأعراق، لطيفُ الأخلاق، حلْو الشّمائل ... وخدَم بصناعة الكُحْل السُّلطَان الملك النَّاصر صَلَاح الدِّين يُوسُف بنُ أَيُّوب"[5].

[1]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص171.
[2]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص541.
[3]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص583.
[4]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص601.
[5]ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص660.

ومن اللّافت للنّظر أنّ الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة – عند ترجمتِه للأطبّاء في الإقليميْن–يَحارُ في نسبة بعض الأطبّاء إلى أحدِهما، على الرغم من معاصرته كثيرًا لمنْ ترجَم لهم، فهو ينْسبُ الطَّبيب إلى الإقليم الّذي خَدم فيه، وقضى فيه مدّةً طويلة، ومات فيه وهذا هو الغالب على طريقته في كتابه[1]، وكمثالٍ على ذلك، الطَّبيب ضِياء الدِّين بنُ البَيْطَار الّذي يجعله من مشهورِي أطبّاء مصر، بغضّ النّظر عن أصله من مَالَقَة[2] بالأَنْدلس، ويذكر أكثر أخباره في دمشق، منها لقاءاته به ودراسته عليه، ووصْفِه لمنهجه وعلمه وطريقة بحثه في النّبات وغيره[3]، ومثال آخر، فالطَّبيب رشيد الدّين أبو حليقة الّذي ذكر أنّ أسرته قدِمت من القدس إلى مصر فجعلَها أُسْرَةُ طبيّةً مصريّة، ثمّ ذَكر قيام والدِه بإرساله لدمشق من أجل تعلُّم الطبّ بها، وذلك نزولًا عند طلب الملك الكامل[4].

أمّا فيما يخصّ رحلات الأطبّاء من الشّام إلى مصر، فهي كثيرة جدًّا أبرزها، رحلة أطباء أُسْرَةُ آل أُصَيْبِعَة إلى مصر، معلِّمين ومتعلّمين، وممارسين للصّناعة بِبَيْمَارِسْتَاناتها، فسكن جدُّ ابن أَبي أُصَيْبِعَة بالقاهرة ووُلد بها ولدَيه، فكان والد ابن أَبي أُصَيْبِعَة يتعلّم على يد أَبي الحَجَّاج يُوسُف، وكان عمّه يلازم جَمال الدّين بن أَبي الحَوافِر، رئيس الأَطبَّاء بالدّيار المصريّة في ذلك الوقت[5]، وخدَم الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة في بَيْمَارِسْتَان القاهرة، وكان له لقاءات مع أطبّائها كأَفْضَل الدِّين الخُونجي سنة (632هـ/1235م)[6]، ورَشِيد الدِّين أَبُو حُلَيْقَة[7].

ومن الأطبّاء أيضًا، أبو عبد الله محمد بن سعيد التمّيمي الّذي كان مقامه أوّلًا بالقدس، ثمّ انتقل إلى الدّيّار المصريّة وأقام بها إلى أن توفيّ، ومن الأمور الّتي قام بها في القاهرة تصنيفه لكتابٍ كبيرٍ جعله في عدّة مجلّدات سمّاه "مادةُ البَقاء بإصلاح فسادِ الهواء والتحرُّز من ضرَّرِ الأَوْباء" صنّفه للوزير أَبي الفَرج

---

[1] ناصر بنُ محمد علي الحَازمي، **الحركة العلميّة الطّبّية في بلاد الشّام زمن الحروب الصليبيّة (492هـ–690هـ/ 1099م–1291م)**، ص322.

[2] مالقة، مدينةٌ بالأندلس، على شاطئ البحر، عليها صورُ صخرٍ، والبحر في قبلتها، وهي حسنة عامرة الأهل، كثيرة الديّار، يُحاط بها من جميع جهاتها شجر التين. أنظر، الحِميرى، ابن عبد المنعم (أبو عبد الله، محمد بنُ عبد الله ت 900هـ)، صفة جزيرة الأندلس، تصحيح وتعليق: إ. لافي بروفنصال، ط2، دار الجيل، بيروت، (1408هـ/ 1988م)، ص ص 177، 178.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص601 وما بعدها.

[4] لم يُرِد لَه الملك الكامل العمل في الجنديّة فطلب من والده تعليمه الطّبّ، وآثر إرساله إلى دمشق لتعلّم الطّبّ، على حساب مصر، ليستنتج من هذا أنَّ الحالة الطّبّيّة في مصر كانت متدهورة، بعدم وجود أطبّاء أكفّاء، على عكس الشّام. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص591.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص736.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص586.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص596.

يَعْقُوب بنُ كِلْس(ت380هـ/990م)[1]، كما صنَّف جُوَارِشْنَ[2] وركّبَه، وكانت له لقاءات بأطبّاء مصر فناظرَهم وخالَط القادمين من المغرب إلى مصر[3].

ومن الأطبّاء الّذين قدموا من الشّام إلى مصر أيضًا؛ أطبّاء أُسْرَةُ أَبي سُلَيْمان داود بن أَبي فَانَة، حيث عرفت رحلتهم من القدس إلى مصر نجاحًا كبيرًا لِما استفادوه بها، فرأْسُ هذه الأُسْرَةُ أبو سُلَيْمان داود كان طبيبًا نصرانيًا خدَم بمصر الخلفاء وكان حظّيًا عندهم[4]، وابنه أبو سعيد بنُ أَبي سُلَيْمان خدَم الملك النّاصر صلاح الدّين والملك العادل، أمّا أخيه أبو شاكر، فخَدم الملك الكامل بقصر القاهرة المحروسة، وبلغ به الأمر أن أسْكنه عنده فيه[5].

وممّن ارتحل إلى مصر وقرأ على أطبّائها؛ رضيّ الدّين الرَحْبي (631هـ/ 1233م) الّذي اجتمع بالطَّبيب ابن جميع المصري وانتفع به[6]، وأيضًا جمال الدّين بن الرّحبي الّذي سافر إلى مصر وأقام هناك إلى أن توفيّ بها سنة(658هـ/1261م)، وممّن ارتحل إليها أيضًا قادمًا من دمشق، جمال الدّين بن أَبي الحوافر الذي خدم بها السلاطين الأيّوبيّين، وهو الّذي علّم عمَّ ابن أَبي أُصَيْبِعَة رشيد الدّين علي بن خليفة الطبّ، وقد استقّر بمصر حتّى توفيّ بالقاهرة[7]، فهذه بعض الأمثلة الّتي تُبرزُ العلاقات العلميّة بين الإقليميْن، وممّا يؤكّد تلك الوحدة العلميّة الطبّيّة تخصيصُهم رئيسًا للأطبّاء على كِلا الإقليميْن، وذلك خلال فترة حكم الدّولتين الأيّوبيّة والمملوكيّة، فيقوم بامتحانِ الأطبّاء والإشراف على الممارِسين لهذه المهنة الشّريفة[8].

---

1 وزير العَزيز بن المعِزّ، صاحب مصر؛ وكان ذا همّة كبيرة، انتقل من الشام إلى مصر، ثمّ هرب من مصر في وقت كافور الإخشيدي إلى المغرب واتّصل بالمعزّ وحضر معه إلى مصر، ولم يزل يتنقل إلى أن أصبح وزيرًا للعزيز بن المعزّ، وتمكّن من الدولة تمكنًا عظيمًا، توفيّ سنة (380هـ/991م). ابن طولون شمس الدين، إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، ص58.؛ ابن الدواداري، كنز الدُرر وجامع الغُرر، ج6، ص225.؛ الطيب بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج3، ص231.

2 جُوارشْنَ أو جَوارِشن، بفتح أوله غير منوّن، وهو نوعٌ من الأدويّة المركّبة يقوّى المعدة ويهضّم الطعام، وليست اللفظة عربيّة ". أنظر، أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، تصحيح لسان العرب، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، (1422هـ/ 2002م)، ص125.؛ رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت 1300هـ)، تكملة المعاجم العربيّة، ج2، ص186.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص548.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص587.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص589.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص673.

7 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص585.

8 ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص322.

أمّا بالنّسبة للعلاقات مع الأقاليم المشرقيّة الأخرى، من غير العراق والشّام، فقد تميّزت بالفُتور؛ إذ لم أجد رحلات مُكَثَّفة بين الجانبين؛ وممّا وجدته رحلة أَسْعَد الدِّين بنُ أَبِي الحَسَن (ت635هـ/1238م) الطَّبيب المصري إلى اليمن وهو في خدمة الملك المسعود أَقْسِيس (ت626هـ/ 1229م)[1] بنُ الملك الكامل، حيث أقام معه بها مدّةً، ونال منه الاحترام الكثير والإحسان الغزير، في كلِّ شهرٍ يُعطيه مائة دينار مصريّة[2]، وظفِر بمنصب مهم هو رئيس الأطبّاء بمصر[3]، ووجدت رحلة للقُطْب المصري (ت618هـ/1222م) ذا الأصول المغربيّة إلى بلاد العجم، بعد أن استقرّ في مصر لمدّةٍ طويلة، واشتغل على فَخْر الدِّين بنُ خَطِيب الرَّيْ، واشتهر هناك، وكان من أجَلّ تلامذة ابن الخطيب وأمْيَزِهِم، وصنّف كتبًا كثيرة في الطبّ والحكمة وشرَح الكلّيات بأسْرِها من كتاب القانون لابن سينا[4].

3– أثَرُ أطبّاء المغرب والأندلس في المشرق الإسلامي:

مثَّل المشرق الإسلامي وجهةً محفِّزةً لأطبَّاء المغرب والأندلس؛ باختلاف الأسباب الجاذبة لهم؛ الرحلة من أجل آداء مناسك الحجّ[5]، والتزوُّد في طلب العلم، ولقاء المشايخ وكبار العلماء، وإيجاد الأمور المعِينات الكثيرة، كفراغ البال منْ أمْرِ المعيشة، والإكرام المبالَغ فيه من الخلفاء والحكّام، وغيرها[6]، بالإضافة إلى العوامل الداخليّة الخاصّة ببلاد الأندلس وبلاد المغرب.

وعلى العموم فقد وجدت عدّة أطبّاء وفَدوا على المشرق الإسلامي من بلاد الأندلس والمغرب الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، حاولت حصْرهم في الجدول التّالي:

الطَّبيب	موطنه	رحلاته	الصفحة
القُطْب المصريّ (ت 618هـ/1221م).	**المغرب.**	**مصر، ثمّ نَيْسَابُور[7]**	**471**

[1] الملك المسعود أقسيس، ابن السُّلطان الملك الكامل، محمد بنُ أبي بكر بنُ أيُّوب، افتتح اليمن في أوَّل سنة اثنتي عشرة، وتملّك مكة، وكان شهمًا، شجاعًا، ظَلومًا، وقمع الزيديّة والخوارج. أنظر، الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ج16، ص243؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص145.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص600.

[3] ابن دُقْماق، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ص107.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص471.

[5] كما فعل الطّبّيب أبو العباس بن الرّوميّة، الّذي استدعاه الملك العادل أبو بكر بنُ أيوب بالقاهرة، وقام بتكريمه وقرّر له جامكيّة وجِراية، بشرط أن يقيم عنده فلم يفعل، وقال: "إنّما أتيتُ من بلدي لأحجّ وأرجع إلى أهلي". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص538.

[6] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص232 .

[7] نَيْسَابُور، مدينة في مقاطعة خراسان، ونيسابور بلدٌ واسعٌ، كثير الأكوار، افتتحها عبد الله بن عامر بن كريز، في خلافة عثمان بن عفّان –رضيّ الله عنه–، في سنة30هـ/851م) ثلاثين، وأهلها أخلاط من العرب والعجم، وهي مدينةٌ عظيمة، ذات فضائل، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، خرّبها غزو المغول لها سنة (618 هـ/1222م). أنظر، إسحاق بن الحسين المنجّم (ت ق4هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كلّ مكان،

السَّمَوْأَل (ت نحو 570هـ/ 1174م).	المغرب.	بَغْدَاد وأَذْرَبِيجَان الموصَل وديار بَكْر.	471
ابْنُ السَّمِينَة (ت315هـ/928م).	قرطبة.	بلاد المشرق (ذكرها ابن أبي أُصَيْبِعَة بصفة العموم).	482
الْكِرْمَانِي (ت458هـ/1066م).	قرطبة.	ديار المشرق، وانتهى منها إلى حرَّان من بلاد الجَزِيرَة.	484
أَحْمد وَعمر ابْنا يُونُس بن أَحْمد الْحَرَّانِي (ق 4هـ/10م).	الأندلس.	بغداد.	487
مُحَمَّد بنُ عَبْدُون الجَبَلي العُذْري (ق4هـ/10م).	الأندلس.	الفسْطَاط والبَصْرَة.	492
أَبُو جَعْفَر، يُوسُف بنُ أَحْمد بنُ حَسْدَاي (ت522هـ/ 1128م)	الأندلس.	مصر.	499
أَبُو الصِلت أُمَيَّة بنُ عَبْد العَزِيز (ت 529هـ/1135م).	دانية.	مصر.	501
أَبُو مَرْوَان بنُ زَهْر (557هـ/ 1162م).	إشبيلية.	مصر.	517
أَبُو العَبَّاس بنُ الرُوميّة (ق7هـ/ 13م).	إشبيلية.	مصر ومكّة والشّام والعراق.	538
الرَّئِيس مُوسَى (ت601هـ/ 1204م).	قرطبة.	مصر.	582
أَبُو الحَكَم (ت549هـ/ 1154م).	الأندلس	مصر والعراق.	615
ضَيَاء الدّين بنُ البَيْطَار (ت646هـ/ 1248م).	مالقة	مصر والشّام.	601
أَبُو زَكَرِيَا، يحيَىَ البَيَّاسِي (ق6هـ/12م).	الأندلس	مصر والشّام.	637
أَبُو الحَجَاج، يُوسُف الإِسْرَائِيلِي (ق7هـ/13م).	فاس	مصر والشّام.	696
حَكِيم الزَّمَان عَبد المُنْعِم الجَلْيَاني (ت601هـ/ 1204م).	الأندلس	الشّام.	630
ابْن البَذُّوخ (ت576هـ/ 1180م).	المغرب	الشّام.	628

ص72.؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص331.؛ أبو إسحاق الصريفيني (إبراهيم بنُ محمد بنُ الأزهر ت641 هـ)، تاريخ نيسابور المنتخَب من السياق، تح: محمد كاظم المحمودي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قُم، إيران، 1403هـ، ص8.

اختلفت مدّة الرّحلة، فمنهم من استقرّ وبقيّ، ومنهم منْ آثَر العودة إلى بلاده بعد أن حصَّل من العلوم ما أراد، وكانت مصر هي المحطّة الأولى الّتي يأتيها الأطبّاء من المغرب والأندلس كوجهةٍ مقصودة، وإمّا لكوْنها معبَرًا نحو أقاليم المشرق الإسلامي الأخرى، فقد ارتحل الطَّبيب قُطْبُ الدِّين المعروف بـ "القُطْبُ المصري" من المغرب صوب مصر واستقرّ مدّةً بها، ثمّ انتقل نحو الرّي ونَيْسَابُور للتعلّم على أيدي أطبّائها، ومن بين ما قدّمه في مجال الطبّ، كتاب "شرْح الكلّيات من كتاب القَانون لابن سِينَا"[1]، وكذلك فعل الطَّبيب المغرِبي السموأل الّذي سكن مدّةً في بغداد، وألَّف كتابًا في الطبّ سمّاه "المفيد الأوسط في الطبّ"[2].

وقام الطَّبيب أَبُو زَكَرِيَّا، يحيَ البَيَّاسِي هو الآخر برحلةٍ من المغرب إلى ديّار مصر، حيث أقام بالقاهرة مدّةً، ثمّ توجّه إلى دمشق وقطَن بهَا، وتُوِّجت رحلته بقراءة الكتب السّتّة عشر، لجالينوس على يدِ الطَّبيب مُهَذَّبُ الدِّين بنُ النَّقَاش، كما نال شرَف خدمة الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب بصناعة الطبّ[3]، ومن أطبّاء المغرب الّذين وفَدوا على بلاد المشرق أبو الحجّاج يوسف الإسرائيلي، حيث انتقل من المغرب إلى الدّيّار المصريّة، واشتغل فيها بالطبّ على الرّئيس موسى بن ميمون القرطبي، ليقدّم خدماته بعد ذلك بمدينة حلب للملك الظّاهر غازي، ابنُ الملِك النَّاصِر صَلَاح الدّين يُوسُف، كما كان له مجلسٌ لتَدْريس الطِّبّ بحلب[4]، وممّن وفدوا أيضًا على بلاد المشرق الطَّبيب ابْن البَذُوخ، أَبُو جَعْفَر، عُمَر بنُ عَلِيّ القَلْعِي المغْرِبي(ت576هـ/1180م)، حيث قدم إلى دمشق وأقام بها، وجعل لنفسه فيها دكّانًا كان يجلس فيه ويعالج مَن يأتي إليه أو يستوْصِفُ منه، كما أنّه عَكَف على تأليف عديد المؤلّفات الطبيّة؛ كشرحِه لِكِتَابَيْ الفُصُول وتَقْدَمَة المعْرِفَة لأبُقراط في شكلِ أَرْجُوزات طبيَّة،وكتَاب ذَخِيرة الأَلْباء وغيرها[5].

أمّا الّذين ارتحلوا من الأندلس؛ فنجد الطَّبيب ابْنُ السَّمِينَة، يَحْيَ بنُ يَحْيَ(ت315هـ/927م)، من أهل قُرطبة[6] الّذي تميّز في الحساب والنُّجوم والطبّ، كما برع في النحو واللّغة والشعر والعَروض والفقه

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص571.

[2] نفسه.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص637.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص696.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص628–630.

[6] قُرْطُبَة: بضمّ أوّله، وسكون ثانيه، وضمّ الطاء المهملة أيضًا، والباء الموحّدة، مدينةٌ مشهورة بالأندلس، وسط بلادها وكانت سريرًا لملكها، وقصبتها وبها كانت ملوك بني أميّة، ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع، وبينها وبين البحر خمسة أيّام، قال ابن حوقل: "وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة، وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل، وسعة الرقعة"، ويقال: "إنّها كأحد جانبيْ بغداد، وإن لم تكن كذلك فهي قريبة منها". أنظر، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص324.

والجَدَل، ورحلته هذه ذكرها الطَّبيب ابن أَبي أُصَيْبِعَة، على أنّها كانت صوْب المشرق، لكنّه لم يذكر تفاصيلها[1]، على عكس رحلة الطَّبيب مُحَمَّد بنُ عَبْدونَ الجَبَليّ العذري(ت بعد 360هـ/بعد 971م) الّتي حدّدها ابن أَبي أُصَيْبِعَة فيما ذكره من أنّه رحل إلى المشرق سنة(347هـ/959م) ودخل البصرة ولم يدخل بغداد وأتى مدينة فسطاط مصر ودبَّر مارستانها[2]، ورحلة أَبي العبّاس بن الرّوميّة سنة(613هـ/1217م) الّتي زار فيها مصر والشّام والعراق لمدّةٍ قاربت السَنَتَيْن، وانتفع النّاس به، وأَسْمع الحديث، وعايَن نباتًا كثيرًا في هذه البلاد ممّا لم ينبُت بالمغرب، وشاهد أشخاصَها في منابِتِها ونَظَرَها في مواضعها، وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة، فاستدعاه من الإسكندريّة وتلقّاه وأكرمه، ورَسَمَ بأنْ يقرّر له جامكيّة وجِراية، ويكون مقيمًا عنده، فلم يفعل، وذلك لِما نَواه مِن تأديّة مناسك الحجّ، ثمّ العودة إلى الأهل، وبقيّ مقيمًا عنده مدّةً وجمع التِرْياق الكبير وركَّبَه، ثمّ توجّه إلى الحجاز[3].

ومن الأطبّاء الأندلسيّين المنتقِلين أيضًا إلى المشرق الإسلامي، أبو الحَكَم، عَمْرُو بنُ أَحْمد بنُ عَلِيّ الكَرْمَانِي(ت458هـ/1066م)، أحد متميّزي قرطبة في علم العَدد والهندسة، انتهى برحلته إلى حرّان، وعَنِيّ هناك بالطبّ والهندسة قبل أن يرجع إلى الأندلس[4]،والطَّبيب أبو جعفر، يُوسُف بنُ أَحْمَد بنُ حَسْدَاي(ت522هـ/1136م) الّذي كانت له رحلة من الأندلس إلى مصر، فتميَّز في أيّام الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله(490–524هـ/1097–1130م)، من الخلفاء المصريين، وكان خصيصًا بالمأْمُون، وهو أَبُو عَبْد الله، مُحَمَّد بنُ نُور الدَّوْلة، أَبو شُجَاع الآمِري، في مدّة أيّام دولته وتدبيره للملك، وألّف له كتابًا سمّاه " الشرحُ المأْمُونِي لكتاب الإيمَان لأبُقراط "، كما له مؤلّفات أخرى[5].

كما رحل أَولاد يُونُس بنُ أَحْمد الحَرَّاني؛ أَحْمَد وعُمَر إلى المشرق، في دولة النّاصر سنة (330هـ/942م)، وأقاما هنالك عشرة أعوام، ودخلا بغداد وقرآ فيها على الطَّبيب ثابت بنُ سِنان بنُ ثابت بنُ قُرّة كُتب جالينوس عَرْضًا، وخدمَا ابن وَصِيف[6] في عمل عِلَّل العَين[7]، ورحل الطَّبيب أبو مروان بنُ زهر(ت557هـ/1162م) إلى المشرق إلى مصر، وتطببّ هناك زمنًا طويلًا، ثمّ رجع إلى

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص482.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص492.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص538.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص482.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص 499، 500.
[6] كان طبيبًا ببغداد في حدود سنة(350هـ/962م)، وكان خبيرًا بطبّ العين، قيّمًا به لم يكن في زمانه أعلم منه، أخذ الناس عنه ذلك ورحل إليه من الأقطار. أنظر، القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 319.
[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 487.

الأندلس[1]، وممّن ارتحل أيضًا إلى بلاد مصر الطّبيب أبو الصَلْت أُمّية بنُ عبد العزيز بنُ أَبي الصّلت (ت528هـ/1134م) أحد الفضلاء في صناعة الطبّ في سنة (510هـ/1117م)، كان قد تعرَّض لمحنةٍ بالإسكندريّة سُجن على إثرها[2]،وكانت له مباحث ومشاغبات مع بعض أطبّاء مصر[3].

وتواجد الطَّبيب الرّئيس أَبُو عمْرَان، مُوسَى بنُ مَيْمُون القُرْطُبِيّ(ت601هـ/1204م) بمصر، أين برَع في الفلسفة، وبلغ من الطبّ المكانة العاليّة، فخدَم به السّلطان الملك النّاصِر صَلاح الدِّين، كما أخذ لنفسه مكانةً في مدحِ الشّعراء، فكان ممّا قيل فيه:

أَرَى طِبَّ جَالِينُوس للجِسْم وَحْدَه ... وَطِبُّ أَبِي عِمْرَان للعَقْل والجِسْم[4]

أمّا الطَّبيب أَبُو الحَكَم، عُبَيد الله بنُ المظَفّر بنُ عَبْد الله البَاهْلِي الأَنْدَلُسيّ (ت549هـ/1155م) فقد كان له مجلسٌ خاصٌ للطبّ بدمشق، ولم يذكر لنا الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة تواجُد الطَّبيب في الأندلس، باستثناء ما ذكره عن أصله الأندلسي، وذكر له رحلةً نحو بغداد والبَصْرة، قبل أن يعود إلى دمشق التي أقام بها إلى حين وفاته سنة (549هـ/1199م) بدمشق[5].

ولا شكّ في أنّ أشهر مَن كانت له رحلة إلى بلاد المشرق من الأندلس الطَّبيب ضِيَاء الدّين بنُ البَيْطَار(ت646هـ/1248م) الّذي شدّ الرّحال إلى بلاد المشرق، وكان اهتمامه فيها البحث في أنواع النّبات ومُعاينة مواضِعه وخصائصه، وتتلمَذ لديه ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، وممّا استفاده منه، تفسيرُ أسماء أدويّة كتاب دِيسْقُورِيْدس، وبعض كتُب جالينوس، واختصّ ابن البيطار بخدمة المِلك الكاَمِل، مُحَمّد بنُ أَبِي بَكْر بنُ أَيُّوب(ت635هـ/1238م)، وكان يعتمد عليه في الأدويّة المفردة والحشائش، وجعله رئيسًا على سائر العشّابين، كما خدم الملك الصَّالح، نَجْم الدِّين أَيُّوب (ت647هـ/ 1249م)، وله تآليف عدّة خاصّةً في مجال الأدوية[6].

وممّن رحل من أطبّاء الأَندلُس إلى بلاد المشرق الإسلامي، الطّبيب حَكيمُ الزَّمَان، عَبْد المنْعِم الجِلْيَانِي(ت603هـ/1206م) الّذي تميّز في علوم عدّة، بمعيّة صناعة الطبّ والكحل، على غِرار الكيمياء

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 517.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة المصدر نفسه، ص 501.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص568، 569.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص 582، 583.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص614.
[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص601، 602.

والأدب وصناعة الشِّعر، وأقام بدمشق إلى حين وفاته بها في سنة(601هـ/1204م)، وكان له دكّان في اللَّبادين لصناعة الطبّ، وكان الملك النّاصر، صلاح الدّين، يُوسُف بنُ أَيُّوب يرى له ويحترمُه، وله في صلاح الدّين مدائح كثيرة[1] له من الكتب، تعاليقٌ فِي وَصفات أدويّة مركّبة، بالإضافة إلى عديد المؤلّفات الأخرى في الأدب والشِّعر[2].

يبدو ممّا سبق أنّ المشرق الإسلامي قد استقطب كثيرا من أطبّاء المغرب الإسلامي والأندلس، من خلال ما ذكره الطَّبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، وقد كانت الوجهة الرئيسية مصر والشَّام، وكانت تنتهي رحلتهم إمّا بالاستقرار وإمّا بالعودة إلى الموطن، كما تتلمذ أطباء بلاد المغرب الإسلامي والأندلس لدى مشاهير الأطبّاء في المشرق، وكثيرٌ منهم مارس مهنة التدريس ببلاد المشرق، من خلال مجالسهم التعليميّة من أمثال، الطَّبيب أبو الحكم، وضياء الدّين بنُ البيطار، كما ساهموا بمؤلّفاتهم الكثيرة في الطبّ وغيره من العلوم، وعمِلوا في البيمارستانات المشرقيّة الكبيرة، وساهموا أيضًا في خدمة الحكّام والسلاطين، فنالوا المكانة الجيّدة لديهم، هذا وقد كان للطبيب ابن أَبِي أُصَيْبِعَة، صاحب كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبَّاء" اجتماعات ولقاءات مع بعض أطباء المغرب والأندلس؛ ممّن تواجَد ببلاد المشرق في عصره، وكانت له معهم أحداثًا من أهمّها، أنّه تتلمذ على أيديهم، وخاصّةً الطَّبيب ضياء الدين بنُ البيطار.

أمّا المستنتج من هذا الفصل ككل، هو أنّ أبن أَبِي أُصَيْبِعَة قد ضمّن كتابه تراجم كثيرة لأطبّاء وفلاسفة من أقاليم مختلفة، إلّا أنَّ أكثرهم كان من المشرق الإسلامي، موزّعين على أقاليم المختلفة –العراق، وبلاد العجم، والهند، ومصر والشّام–، وقد كانت الحصّة الأكبر لأطبّاء العراق بذكره لمائة وثلاثة وأربعين (143) طبيبًا، أكثرهم كان في القرن(3هـ/9م) بواحدٍ وخمسين (51) طبيبًا، أمّا المرتبة الثّانيّة فكانت لأطبّاء الشّام باثنين وسبعين (72) طبيبًا، أغلبهم في عهد الدّولة الأيّوبيّة نهاية القرن (6هـ/12م)، وبداية القرن (7هـ/13م) أين وجدنا ذكره لخمسة وثلاثين (35) طبيبًا، وجاءت مصر ثالثًا بتسعةٍ وخمسين (59) طبيبًا، وهي الأخرى كان أغلبيّة أطبّائها في الحقبة الأيّوبيّة.

وفيما يخصّ ديانة الأطبّاء، فقد أمدّنا ابن أبي أُصَيْبِعَة بمعلومات عن ذلك لنصف تراجمه، وأهمل ذلك في النّصف الآخر، وما استنتجته من ذلك أنّ ديانة الأطبّاء انعكست في الغالب على تركيبة المجتمع، مع ملاحظة كثرة أطبّاء أهل الذّمة بحوالي تسعين طبيبًا ضمن ما عُلِم من ديانة الأطبّاء، وغالبة هؤلاء الأطبّاء الذّمّيين كانوا في كلّ من العراق ومصر.

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص630.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص635.

وما تمّ استنتجناه أيضًا من هذا الفصل؛ كثرة الأُسَر الطِّبِّيَّة في المشرق الإسلاميّ، حيث وصلت إلى أربعين أُسْرَةُ طبيّة، كخاصيّةُ ميّزت الطبّ العربي والإسلامي، حيث يُتَوارَث الطبّ داخل الأُسْرَةُ الواحدة، مع العلم أنّ أغلب هذه الأُسر كانت نصرانيّة ويهوديّة، وقليلةٌ هي الأُسَر الإسلاميّة، اتّصف أطبّاؤها في الغالب بالأخلاق والآداب الطبيّة تحقيقًا لما في القَسَمُ والوَصيَّة الطبيّين لأبقراط، ولعلّ من أبرز أسر العراق أسرة آل بخْتِيشوع (ق2–5هـ/8–11م)، وأسرة ثابت بن قرّة (221–363هـ /836–974م)، ومن أسر مصر؛ أُسْرَةُ بنُ أَبِي فَانَة (ق7هـ/14م)، ومن أسر الشّام؛ أُسْرَةُ الرَّحْبِي التي ظهرت في أواخر القرن السّادس وبداية القرن السّابع الهجريين، وكذلك أُسْرَةُ ابن أَبِي أُصَيْبِعَة أواخر(ق6وبداية7هـ/12و13م)، وكذلك أُسْرَةُ الحَرْثُ بن كِلدة بالجزيرة العربيّة، وأُسْرَةُ ابن رَبْن الطَّبَرِي في بلاد العجم.

على الرّغم ممّا وصل إليه الأطبّاء في المشرق الإسلامي من مكانةٍ مرموقة، وتقريب من الخلفاء، بأنْ أكرموهم وجعلوهم من خاصّتهم، وكانوا عَوْنًا لهم في مواقف عديدة، إلّا أنّ فيهم مَن تعرّض لمحنة أو عُقُوبة، تنوّعت أسبابها؛ كالحسد أو العِناد أو لسُوء تقديرهم لبعض الأمور أو التّدبير عليهم، ممَّا أدَّى إلى معاقبتهم، وتنوّعت معها العقوبات كالعقوبة بالقتل، والعقوبة بالسّجن، والعقوبة بمصادرة الأملاك والنّفي، وكذلك الفصْلِ والطّرْد.

وهذه النّكبة والعقوبة، قد تكون بسبب أمر ارتبط بصناعة الطبّ، أو تكون نتيجة لما تَقلّده من وظائف، كالوزارة والقضاء، وكذلك السّبب في النَّكبة يختلف، فقد يتسبّب فيه الطَّبيب بنفسه أو يسبّبه له الحسد من الغير، عدوًّا كان أو خليفةً، وترتبط درجة العقوبة بقدر السّبب والظّروف وبغضب المُعاقِب.

والمستنتج أيضًا من هذا الفصل أيضًا أنّ المشرق الإسلامي قد عرف حركيّة كبيرة في تنقّلات أطبائه بين أقاليمه المختلفة، وأحالنا ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى تلك العلاقات بين الأطبّاء أنفسهم التي عرفت في أغلب الأوقات تفاهما وتعاونا، وفي أوقات قليلة يتلاسنون ويتشاجرون حسدًا وغيرة، وكان الشّعر في عديد المواضع وسيلة لإبراز تلك الأحاسيس، فوجدنا الطّبيب إلى جانب اعتماده الشّعر في نظم الأرجوزات وفي وضع الوصايا الطبيّة، وفي وصف العلاجات الوقائيّة والدّوائية للمرضى، اعتمد على الشّعر في هجو غيره طاعنا في عمله وعلمه ومنتقصًا منه، كما اعتمد الشّعر لإبراز مظاهر الإعجاب والاحترام، ولإبراز العلاقات الودّية الحبية بين الأطبّاء، وذلك من خلال تهنئة ومدح بعضهم البعض.

الفصل الرَّابع

تَعليم الطّب في المشرق الإسلامي: مقرّراته ومناهجه، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعة(ت668هـ/1270م).

.

الفصل الرابع

تعليمُ الطّب في المشرق الإسلامي: مقرّراته ومناهجه، من خلال كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعة(ت668هـ/1270م).

أوّلا: الموارد البشرية والهياكل الماديّة لتَعليم الطّب في المشرق الإسلامي:

1- معلّم ومتعلّم الطّب (الصّفات والشّروط):

أ- معلّمُ الطّب، شروطه وثقافته.

ب- صفات طَالب الطّب.

ت- سِنُّ المتعلّم ومدّة تعلّمه.

2- أماكنُ التَعليم الطّبي النّظري:

أ- المساجد.

ب- منازلُ الأطبّاء ومجالسهم الخاصّة.

ت- المدارسُ الطّبيّة النّظريّة.

3- نماذجُ من أماكن تَعليم الطّب التطبيقيّة (البَيْمَارِسْتانات):

أ- البَيْمَارِسْتان العَضُدِي.

ب- البَيْمَارِسْتان النُّوْرِي الكبير.

ت- البَيْمَارِسْتان النَّاصِري أو الصَّلَاحي.

ثانيا: قواعدُ التَعليم الطّبي (المقرّرات الدراسيّة ومناهج التَعليم):

1- المقرّراتُ الدراسيّة:

أ- كتبُ الشّريعة والأخلاق.

ب- الكتبُ الطّبيَّة اليُونَانيّة.

ت- الكتبُ الطّبيّة العربيّة.

ث- رواية وتدوين التّجارب الطّبيّة.

2- طرقُ ووسائل التّعلُّم:

أ- إلقَاءُ الدَّرس الطّبي:

- الدّرس النّظري.
- الدّرس التّطبيقي (الملاحَظة السّريريّة)

ب- ملازمةُ الأطبّاء.

ت- الحفظُ والاستعانة بالرَّجْز.

ث- المناقشات والمناظرات.

ج- منهجُ السُّؤال والجواب.

الفصل الرابع: تعليمُ الطّب في المشرق الإسلامي: مقرّراته ومناهجه، من خلال كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعة(ت668هـ/1270م).

كان تَعليمُ الطّب في المشرق الإسلامي يتمّ وفق ضوابط منهجيّة وشروط، بحيث يجب أن تتوفّر الشّروط والصّفات اللّازمة فيمن يُعَلِّم ويَتَعَلَّم الطّب كالرّغبة وحبّ المهنة، كما أنّ عملية التَعليم تتمّ في أماكن مختلفة مخصّصة لهذا الغرض، يدرّس فيها طالب الطّب وفق مقرّرات دراسيّة كجانب نظري، ثمّ الانتقال إلى الدراسة العمليّة للطبّ بمرأى معالجات الأطبّاء الكبار في البَيْمَارِسْتانات، فما هي الشّروط والصّفات الّتي يجب توفّرها في معلّم ومتعلّم الطّب؟ ومن هو واضعها والمنظِّر لها؟ وأين تتمّ عمليّة تعلّم الطّب؟ ما هي المرافق والمؤسّسات في ذلك؟ وماهي المقرّرات الدراسية الّتي يجب أن تدرّس لمتعلّم الطّب؟ وما المناهج والطرق والوسائل المعتمدَة في تحصيل علم الطّب؟ كلّ هذا سنتعرّف عليه في مضامين هذا الفصل.

1-المواردُ البشريّة والهياكل الماديّة لتَعليم الطّب في المشرق الإسلامي:

من أجل إتمام العمليّة التعليميّة بنجاح وجَب اتّباع منهجٍ واضح وخطّة صحيحة، مع توفير الإمكانيات الملائمة كالمكان الذي يحوي الطّلبة والمتعلّمين، مع ضرورة وجود طبيبٍ معلّمٍ له من الكفاءة والمهارة ما يؤهّله لتكوين وإنتاج أطبّاء يُعتمَد عليهم عمليًّا وأخلاقيًّا في حفظ الصّحة ومعالجة المرضى، وهذا ما نتعرّف عليه في الآتي:

1- معلِّم ومتعلِّم الطّب (الصّفات والشّروط):

شروطٌ كثيرة نفسانيّة وجسمانيّة يحتاجها المقبِل على تحصيل الطّبّ، وكذا القائم على تعليم الطّب، مع شروطٍ أخرى وجب توفّرها في المعلّم للطّبّ كالمكانة العلميّة والخبرة المهنيّة، وقد ضبط كثيرٌ من أطبّاء المشرق الإسلامي هذه الشروط وبيّنوها في وصاياهم ومؤلّفاتهم، وعملوا على الالتزام بها، وهذه الشّروط أشار لها القدماء وألزموا بها المزاوِل للطّب، كما فعل الحكيم اليونانيّ "أبُقراط" نذكرها في الآتي:

أ- معلّمُ الطّب، شروطُه وثقافتُه:

تتميّز أغلب بِدايات تَراجم الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة، بكونها وصْفًا لأخلاق الأطبّاء[1]، وذِكر عِلْمِهم وأعمالهم، قبل حديثه عن نَوادرهم وحكاياتهم، فالطّبيب المتمرّس الحاذق هو نفسه من يتصدّى

[1] المسلمُ، بغضّ النّظر عن مهنته، مطالَبٌ بالتّحلّي بالأخلاق الفاضلة الكريمة، فالله سبحانه وتعالى قال واصفًا نبيّه ﷺ: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]**، فكان من الإسلام الدّعوة إلى التّحلّي بحُسن الأخلاق، وكريم الفضائل، ومن بابٍ أَوْلى أن يتحلّى بتلك الصّفات الطّبيب

لتَعليم الطّب، وبهذا يكون قد جعل من تلك الشّروط والصّفات الّتي كان يؤكّد عَليها في أَغْلب تراجمه، محورًا أسَاسيًا فيمن يُعلّم ويمتهن الطّب[1]؛ إذ أنّه كان يُعّرج على النّصوص الدّاعية إلى ذلك، فيفتتح كتابه حول ذلك، بما قاله المعلّم الطّبيب اليوناني أَبُقْرَاط في قَسَمِه الطّبي[2] الّذي إذا دقّقنا في محتواه[3]، وجدناه يفرض شروطًا على الطّبيب المتعاطِي للطبّ، مُلزمًا إيّاه بها، يمكن اختصارها في الرّأفة بالمرضى بغرض منفعة المريض، أمينًا على حياته بعدم صُنع الأدويّة القتّالة، وبعدم إسقاط الأجنّة، ملتزمًا بعمله الّذي هو في مجال اختصاصه، كتومًا لأسرار مرضاه... وهي صّفات حاضرة في أطبّاء المشرق الإسلامي.

وممّا قال الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة عن كبار أطبّاء الحضارة الإسلاميّة واصفًا إيّاهم[4]؛ عن الطبيب الرَّازِيّ(ت313هـ/ 923م) قال:"... كان ذكيًّا فطنًا، رؤوفًا بالمرضى، مُجْتَهدًا فِي علاجهم، وَفِي بُرْئِهم بِكُلّ وَجهٍ يقدِرُ عَليه[5]، مواظبًا للنَّظَر فِي غوامض صناعَة الطّب، والكشف عَن حقائقها وأسرارها"[6]، وقوله عن الطّبيب السّديد رئيس الطّب(ت592هـ/1196م): "أنّه كان عالما بصناعة الطّب، خبيرًا

الذي يتعامل مع حياة البشر الّتي ليس لها عَوَض، وهذا ما حث عليه الأطباء المسلمين والعرب الذين رفعوا كرامة الطِّب وشرفه إلى أعلى المستويات وخصوصًا في حقل تنظيم مهنة الطِّب والصيدلة بالقوانين التي أصدروها والتعليمات التي شرّعوها. أنظر، عبد الله عبد الرزاق سعود السّعيد، الطِّب ورائداته المسلمات، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، (1405هـ/ 1985م)، ص63.

[1] "ينبغي للطّبيب أن يأخذ نفسه بالآداب والعلوم النافعة له في صناعة الطِّب، وبغيرِ شكٍ في أنّ مَن لم يُحِط بما أذكره وأطرحه سيخْجَل. إنْ كان له أدنى حِسٍّ، وأن يكون له مع الحِسّ يسيرٌ من العقل...فإنْ بعثهُ خجلُه على تأديب نفسه، وإصلاح أخلاقه، ثمّ قصَد أهلَها بأدبٍ ولُطفٍ، وحُسنِ مسألةٍ فتعلّم منهم، وخَدَم بين أيديهم في أعمالها أمْكَنَهُ حينئذ جمْعَ العلم والعمل، وأن يحفظ صحّة الأصحّاء ويُعالج المرضى". أنظر، الرُّهاوي، أدب الطِّبيب، ص40.

[2] الملاحَظ أنّ كبار الأطبّاء كانوا يروْن في الحكيم أبُقراط القدوة والمَثَل الأعلى في هذا الجانب، حيث نجدهم يُدْرجون وصاياه المتعلّقة بشروط وأخلاق المتصَّدِي لمهنة الطِّب، وهذا ينطبق على ابن أبي أُصَيْبِعَة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، عيون الأنباء، ص45.

[3] أنظر **الملحق رقم (04)**، والمتضمّن القسم الطِّبي لأبقراط.

[4] ممّا يلاحَظ أنّ أبي أُصَيْبِعَة كثيرًا ما كان مبالغًا في وصفه لأطباء عصره، ممّن عاصرهم أو تتلمذ لديهم، وهذه المبالغات قد تؤكّد عناية أطباء ذلك الوقت بهذا الجانب من شخصيّة الطِّبيب، وكنموْذجٍ لهذه المبالَغات يقول عن الطِّبيب عماد الدّين الدُنيسري:" هو الحكيم ... ذو النفس الفاضلة، والمروءة الكاملة، والأَرْيَحيّة التامّة، والعوارِف العامّة، والذكاء الوافر، والعلم الباهر ... وأوّلُ اجتماعي به كان بدمشق، في شهر ذي القعدة سنة سبع وستين وستّمائة، فوجدتُ له نفسًا حاتميّة، وشَنْشنة أخْزَميّة، وخُلقًا ألطفُ من النسيم، ولفظًا أحلى من مزاج التَسنيم، وأَسْمَعَني من نَظْمه الشعر البديع، معناه البعيد مَرْماه الذي قد جمع أجناس التجنيس وطبقات التطبيق النفيس والألفاظ الفصيحة والمعاني الصحيحة، فهو في علم الطِّب قد تميَّز على الأوائل والأواخر، وفِي الأدب قد عَجَز كلُّ ناظمٍ وناثرٍ...". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 761.

[5] في رسالةٍ أرسلها الطبيب الرازي إلى أحد تلامذته، بعنوان" أخلاق الطِّبيب"، يذكر فيها جملةً من الآداب والأخلاقيات التي يجب التحلّي بها، من بين ماوَرد فيها قوله:" واعلم يا بُنيّ أنّه ينبغي للطّبيب أن يكون رفيقًا بالنّاس، حافظًا لغيْبهم، كَتومًا لأسرارهم...على الطِّبيب أن يكون مُخْلصًا لله، وأن يغُض طرْفه عن النسوة ذوات الحُسن والجمال... وينبغي للطبيب معالجة الفقراء، كما يعالج الأغنياء ..." أنظر، الرازي، أخلاق الطِّبيب، ص 27 وما بعدها.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 416.

بأصولها، وفروعها، جيّد المعالجة، كثير الدَّرْبَة حسنَ الأعمال باليد"[1]، وعن رضِّي الدِّين الرَّحْبِي (ت631هـ/ 1233م) قال: "كان كبير النّفس، عالي الهمّة، كثير التّحقيق، حسن السّيرة، محبًّا للخير وأهله[2]، شديد الاجتهاد في مداواة المرضى، رؤوفا بالخلق، طاهر اللّسان، ما عُرف منه في سائر عُمره أنّه آذى أحدًا، ولا تكلَّم في عَرْضِ غيره بسوءٍ"[3]، وقال عن موفّق الدِّين عبد العزيز (604هـ/ 1207م): "... كان كثير الخير، محبًّا له، مُؤْثِرًا للجميل، عزيز المروءة، وافر العربيّة، شديد الشفقة على المرضى وخصوصًا لمن كان منهم ضعيف الحال، يفتقدهم ويعالجهم، ويُوصِل إليهم النفقة وما يحتاجونه من الأدويّة والأغذيّة، وكان كثير الدِّين، طَلْق الوجه يحبُّه كلُّ أحد"[4].

ومن الأوصاف التي أطلقها: "كان في العلم والفضل، والنّباهة، نزيه النّفس، صائب الحدْس، أعلَم الناس بمعرفة الأمراض، وتحقيق الأسباب والأعراض، حسن العلاج والمداواة، لطيف التدبير والمداراة، عالي الهمّة، كثير المروءة"[5]،"كان فطنًا ذكيًّا مُتْقنًا لما يُعاينه، حريصًا في العلم الّذي يشتغل فيه" [6]،"عارفًا بأصول الطّب وغيره من أجزاء الحكمة، عاقلًا، كثير الحياء، حسن الصّورة، كريم النّفس، محبًّا لفعل الخير، وكان –رحمه الله– ملازما للصّلاة والصّيام وقراءة القرآن"[7]، وقوله :"من الأكابر في صناعة الطّب والمتميّزين من أهلها، والأماثِل من أربابها، كان كثير الاشتغال، محبًّا للنّظر والبحث، وافر العلم، جيّد الفهم"[8]، ذكر ابن أبي أصيبعة نصوص الأطبّاء المسلمين الّذين تكلّموا عن الشروط والصفات التي يجب توفّرها في الطّبيب، وهي لا تختلف كثيرًا عمّا قاله أَبُقْرَاط، فأدرج الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة قَوْل الطّبيب المصري عَليّ

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 572.

[2] يبرز الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة دوْره التعليمي مُقِرًّا بكثرة تلامذته، حيث يذكر:" واشتغل عليه بصناعة الطِّب خلْقٌ كثيرٌ، ونَبَغ منهم جماعةٌ عِدّة، وأقرؤُوا لغيرهم، وصاروا من المشايخ المذكورين في صناعة الطِّب، ولو اعتبر أحد جمهور الأطبّاء بالشّام، لوَجَد إمّا أن يكون منهم مَن قد قرأ على الرَّحْبِي أو مَن قرأ على مَن قرأ عليه، وكان مِن جملة مَن قد قرأ عليه أيضًا في أوّلِ أمْرِهِ الشّيخ مهذّب الدّين عبد الرّحيم بن عليّ قبل ملازمته لابن المطران". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 673.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 672.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 671.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 585.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 662.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 646.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 717.

بن رضوان(ت453هـ/ 1061م)[1]، جامعًا صفات الطّبيب في سبعِ خصالٍ، أن يكون تام الخَلْق، صَحيح الأعضاء، حَسن الذّكاء، جيّد الرَّوِيّة، عاقلًا، ذَكُورًا، خَيِّر الطّبع[2]؛ أن يكون حسَن الملبس[3]، طيِّب الرّائحة، نظيف البَدَن والثّوب؛ أن يكون كَتُومًا لأسرار المرضى، لا يبوح بشيءٍ من أمراضهم؛ أن تكونَ رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسُه من الأُجْرةِ، ورغبتُه في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء؛ أن يكون حريصًا على التَعليم والمبالَغة في منافع النَّاس؛ أنْ يكون سليم القلب، عفيف النّظر، صادق اللّهجة، لا يخطرُ بباله شيءٌ من أمور النّساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلاء، فضلًا عن أن يتعرّض إلى شيءٍ منها؛ أن يكون مأمونًا ثقةً على الأرواح والأموال، لا يصفُ دواءً قتّالًا ولا يُعَلّمُه، ولا دواء يُسقِط الأجِنَّة، يُعالج عدُوَّه بنيَةٍ صادقة، كما يعالج حبيبُه[4].

أمّا عمّ ابن أبي أُصَيْبِعَة الطّبيب رشيد الدِّين عَليّ(ت616هـ/1219م)، فيقول:" إذا تطبّبتَ فاتّقِ الله واجتهد أن تعمل بحسب ما تعلَمه علمًا يقينًا، فإن لم تجد فاجتهد أن تقرَب منه"[5]، وقال:" إذا وصلتَ إلى رتبة المعلّمين فلا تمنع مستحقًّا وهو العاقل الذّكي الخيِّر الحكيم النَّفس، وامنعْ مَنْ سواه"[6]، وكان الطبيب الرّازي يشترط على الطّبيب أن لا يدع مُساءلة المريض عن كلّ ما يمكن أن تتولّد عنه عِلّته

---

[1] أبو الحسن علي بنُ رضوان بنُ علي بنُ جعفر، مولده ومنشؤه بمصر، وبها تعلّم الطِّب، كان كثير الردِّ على مَن كان يعاصره من الأطبّاء، وغيرهم، وكذلك على كثير ممّن تقدّمه، ولم يكن لابن رضوان في صناعة الطِّب معلِّمٌ يُنْسَب إليه، وله كتاب في ذلك يتضمّن أنّ تحصيل الصناعة من الكتب أوْفق من المعلِّمين، له العديد من المقالات والكتب، والرسائل. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 561 وما بعدها.

[2] هاته الصّفات وأخرى توفّرت في أطبّاء المشرق الإسلامي، ومن أمثلة ما ذكرت سابقًا لأوصاف ابن أبي أُصَيْبِعَة لهم.

[3] كان للأطبّاء زيٌ ولباسٌ يتعارفون عليه بينهم، وممّا يحكيه ابن أبي أُصَيْبِعَة عن الطِّبيب موفّق الدّين يعقوب بن سُقلاب النّصراني لما دخل دمشق وهو يلبس زيّ الأطبّاء النّصارى" كُوفِية وتخفيفة صغيرة وجُوخة ملوطة زرقاء"، قال له موفّق الدّين ابن المطران، وكان ابن سُقلاب يقرأ عليه "هذا الزّي الذي أنت عليه ما يمشي لك به حالٌ في الطِّب في هذه الدّولة بين المسلمين، وإنّما المصلحة أن تُغيّر زيّك، وتلبس عادة الأطبّاء في بلادنا، ثمّ أخرج له جبّةً واسعةً عنابيّةً، وبيقارًا مُكمّلًا وأمره أن يلبسهما. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص654.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 565.

[5] أدرج لنا ابن أبي أُصَيْبِعَة نماذج لاجتهادات وحِرص بعض الأطبّاء في مرحلة تعليمهم، فعلى لسان الطبيب ابن سينا وهو يتكلّم عن تعليمه في الطِّب والفلسفة يقول:" وفي هذه المدّة ما نِمتُ ليلةً واحدة بطُولها ولا اشتغلتُ النّهار بغيره، وجمعتُ بين يديْ ظهورًا فكلُّ حُجّةٍ كنتُ أنظرُ فيها أُثْبِتُ مقدّمات قياسيّة ورتّبتُها في تلك الظهور، ثمّ نظرتُ فيما عساها تُنتِج، وراعيتُ شروط مقدّماته، حتّى تحقَّق لي حقيقة الحقِ في تلك المسألة وكلّما كنتُ أتحيَّرُ في مسألة، ولم أكن أظْفرُ بالحدِّ الأوسط في قياسٍ، تردّدتُ إلى الجامع وصليتُ وابْتهَلْتُ إلى مُبْدع الكُلِّ، حتّى فتح لي المنغلِق وتيّسر المتعسِّر، وكنتُ أرجع باللّيل إلى داري، وأضعُ السِّراج بين يديْ، وأشتغلُ بالقراءة والكتابة، فمهما غلبني النَّوم أو شعرتُ بضعفٍ عَدلتُ إلى شُرب قَدَحٍ من الشَّراب، ريثما تعودُ إليّ قُوّتي، ثمّ أرجعُ إلى القراءة، ومهما أخذني أدنى نوم أحلُم بتلك المسائل بأعيانها، حتّى أنّ كثيرًا من المسائل اتّضحَ لي وجُوهها في المنام، وكذلك حتّى استحْكَم معي جميع العلوم، ووقفتُ عليها بحسب الإمكان الإنساني، وكلُّ ما علمتُه في ذلك الوقت فهو كما علِمتُه الآن، لم أَزْددْ فيه إلى اليوم، حتّى أحكمتُ على المنطق والطِّبيعي والرياضي. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص438.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 743.

من داخل ومن خارج، ثمَّ يقضي بالأقوى، وأن لا يقتصر الطّبيب على التّجارب دون القياس وقراءة الكتب، واشترط أن تكون حالة الطّبيب معتدلة فلا يكون مقبلًا على الدنيا كليّةً، ولا مُعْرِضًا عن الآخرة كليّةً، فيكون بين الرّغبة والرّهبة[1]، وأضاف: "الأطبّاء الأُمِّيون والمقلِّدُون والأحداث الّذين لا تجربةَ لهم ومَنْ قَلَّتْ عنايتُه وكَثُرَت شهَواته قَتَّالُون"[2]، وفيما يخصّ القيام بتَعليمهم للطبّ، فلا شكّ أنّ أجره عظيم ومنفعته جامعة للطّرفين المعلّم والمتعلّم، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»[3]، وقوله عَليه الصّلاة والسّلام: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ، ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[4].

ب– صفات طَالب الطّبّ:

ذكر الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة بعض النّصوص التي تتكلّم عن ضرورة وجود شُروط تُلزم طالب الطّب، فكان من أهمّها، ما قاله أَبُقْرَاط في ناموسه ووصيّته الطّبية المشهورة، ففي النّاموس: "... وينبغي لمن أراد تعلُّم صناعة الطّبّ؛ أن يكون ذا طبيعة جيّدة مُواتيّة، وحِرْصٍ شَديدٍ، ورغبةٍ تامّة، وأفضلُ ذلك كلّه الطّبيعة، لأنّها إذا كانت مُواتيّة[5]، فينبغي أن يُقبِل على التَعليم ولا يَضْجَر، لِيَنْطبعَ في فكره ويُثْمر ثمارًا حسنة مثل، ما يرى في نبات الأرض، أمّا الطّبيعة فمِثل التّربة وأّما منفعة التَعليم فمثل الزّرع وأمّا تربة التَعليم فمثل وُقوع البَزْرِ في الأرض الجيّدة..."[6]، ويرى أنّ مَنْ توفّرت فيه هذه الشّروط فإنّه سيُصبح طبيبًا مشهورًا بالفعل لا بالاسم فقط، ومن أهمّ ما يجب توفّره في طالب الطّبّ؛ الرّغبة والحِرْص.

ويذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة الطّبيب أوحَد الزّمَان، أَبُو البركات، هِبة الله بنُ عَليّ مَلْكَا(ت560هـ/1165م) وكيفيّة تعلّمه للطبّ؛ إذ لم يكن مُرَحَّبًا به في مجلس الشّيخ أبي الحَسَن، سَعيد بنُ هِبة الله بنُ حُسين(ت495هـ/1101م) لامتناعه تَعليم اليهود، فكان يتحايلُ لسَمَاع درْسِه الطبّي بالجلوس عند باب الدّهليز، دون أن يشعر به الشّيخ، وهو كلّما سمع شيئًا تفهّمه، وحَصَّله تحصيلًا، وبعدَ مُدّة قاربتْ السَنَة،

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص421.

[2] نفسه.

[3] التّرمذي (محمد بنُ عيسى بنُ سَوْرة بنُ موسى بنُ الضَحّاك، أبو عيسى ت279هـ)، سُنَن التّرمذي، تح وتعليق: إبراهيم عَطْوة عَوَض، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحَلْبي، مصر، (1395هـ/1975م)، ج5، ص50.

[4] التّرمذي، المصدر نفسه، ص29.

[5] أكدّ غالبيّة الأطبّاء الكبار، بأنّه يجب ألّا يُقْدِم على تعلُّم الطِّب مَن لم يكن لديه الاستعداد الذّهني، والقُدُرات الفرديّة لتعلّمه، والقدرة على التفكير، وتوفّر الأخلاق اللّازمة، يقول الطّبيب الرُّهاوي: "ينبغي للمعلّم أن يختبرَ مَن المتعلمّ حالات نفسِه قبل أن يُعلِّمه، فإنْ وجدها موافقة للتّعليم أخذ في تعليمه، وإنْ وجدها غير موافقة رامَ إصلاحها، فإنْ تهيأ إصلاحها وإلّا هانَ العلم. أنظر، الرُّهاوي، المصدر السابق، ص236.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 46.

جرَتْ مسألة عند الشّيخ فعجَزَ كلُّ تلامذته عن الإجابة، وبَقَوْا مُتطلِّعِين إلى حَلِّها، فدخل أبو البركات إليهم وخَدَم الشّيخ، واستأذن في الحديث حول المسألة، وأجاب بما قاله فيها الحكيم جَالينُوس، وقال للشّيخ: "يا سيّدنا. هذا جرى في اليوم الفُلاني من الشّهر الفُلاني في ميعاد فُلان وعَلَق بخاطري من ذلك اليوم، فبقيّ الشّيخ متعجِّبًا من ذكائه وحِرْصِه، واستخبرَه عن الموضِع الّذي كان يجلس فيه، فأَعْلَمه به، فقال مَنْ يكون بهذه المثابة ما نستحلُّ أن نمنعُه من العلم[1]، وقرَّبَه حتّى صار من أجَلِّ تلاميذه"[2].

وأضاف في وصيّته، المعروفة بترتيب الطّب: "وينبغي أن يكون المتعلّم للطّب في جنسه حُرًّا، وفي طبعه جيِّدًا، حَديث السِّن، معتدِل القَامة، مُتنَاسِب الأعْضاء، جيّد الفَهم، حَسن الحَديث، صحيح الرأيِ عند المشورة، عفيفًا شجاعًا، غير مُحِبٍ للفضّة، مالكًا لنفسه عند الغضب، ولا يكون تاركًا له في الغاية ولا يكون بليدًا"[3]، وينبغي أن يكون حَلق رأسه، معتدلًا مستويًا، لا يحلقُه، ولا يدعُه كالجمّة، ولا يستقصي قَصّ أظافر يديه، ولا يتركها تعلُو على أطراف أصابعه، وأن تكون ثيابه بيضاء نقيّة ليّنة، ولا يكون في مشيُه مستعْجلًا لأنّ ذلك دليل على الطَّيش ولا متباطئًا لأنّه يدلّ على فُتور النّفس[4]، وهذه الصّفات الجسمانيّة والمعنويّة تُعطي لهذه المهنة مكانتها، ولم يذكرها الحكيم أَبُقْرَاط وحده؛ بل هناك من دعى إليها[5]، وحسب الطّبيب عَليّ بن رُضوان(ت453هـ/ 1061م) "المتعلِّمُ هُوَ الّذي فراستُه تدلُّ على أَنَّه ذُو طبعٍ خيِّرٍ وَنَفْسٍ ذكيّةٍ وَأن يكون حَرِيصًا على التَعليم ذكيًّا ذُكُورًا لِمَا قد تَعَلَّمَه"[6].

وقدّم لنا الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة مثالًا عن المجاهَدة والمثابرَة لتحصيل العلوم عمومًا والطّب خصوصًا، فها هو يحي النّحوي(ق1هـ/7م) تعلّقتْ نفسُه بالعلم، لِـمَا سمعه من بعض طلبة العلم بالإسكندريّة، وقرَّر المضِيَ قُدُمًا على الرّغم من تأخّر عُمره:" ولَمَّا قَوِيَتْ رَوِيَتُه فِي الْعلم فَكّر فِي أمره، وقال

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 374.

[2] من تلاميذه أيضًا إلى جانب أبي البركات، الطّبيب يحي بن عيسى بن جَزْلَة، والطّبيب أمين الدّولة بنُ التّلميذ، وعبد الوهّاب النايْسبوري الذي صنّف كتاب"المغْني في الطِّبّ" ذكر أنّه عمَد اختصاره لتسهيل معرفة الداء والدواء الملائِم له، ووضْعه في متناوَل تلاميذه. أنظر، سعيد بنُ هِبة الله (ت495هـ/ 1101م)، كتاب المغْنِي في الطِّب، تح: عبد الرحمن الدُّقاق، ط1، دار النّفائس، بيروت، (1419هـ/ 1999م)، ص 10- 20.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص46.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص47.

[5] ويقول ابن هُبل في صفات طالب الطِّب: "يعرف المطبوع بالحكمة، بصحّة مزاجه وتناسب أعضائه وطهارة أخلاقه، فمن ذلك أن يكون معتدل الرأس، بقياس الصّدر، وأن يكون شكله طبيعيًا، فإنْ كبُر الرأس بقياس الصدر يدلّ على رطوبة الدماغ وبَلادة الذهن، وصِغره على الحِدّة والطَيش والتهوُّر ...، وممّا يُستحبُ في متعلّم الصناعة أن يكون حسن الصورة والشكل، محبوبًا إلى القلوب، لا عبوسًا ولا قطوبًا، وأن يكون معتدل السحنة بين السّمنة والهزال ...، وأخلاقه محمودة بين السرعة والبطء والجُبن والتهوُّر، متوسط الحال بين الطيش والوقار، وبين الغضب والنَباهة، والتبذّل والبخل والتبذّر، ذكيّ الحواس، مُستيقظ الفطنة، ديِّن الضمير، معروفًا بالتستّر والعَفاف. أنظر، الحازمي، الحركة العلميّة الطبية في بلاد الشام، ص216.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص565.

قد بلغتُ نَيْفًا وَأَرْبَعين سنةً من الْعُمر، وَمَا ارتضيتُ بِشَيْءٍ وما عرفتُ غيرَ صناعةِ المِلاحة، فكيف يمكنني أن أتعرّض إلى شَيْءٍ من العلوم، فبينما هو يفكّر إِذْ رأى نملةً قد حَمَلتْ نواةَ تَمْرَةٍ، وهي تسعى أن تصعدَ بها إلى أعلى، وكلّما صعدتْ بهَا سقطتْ، فَلم تزل تُجاهد نفسها في صعودها، وفِي كلِّ مرّة يزِيد ارتفاعها عَن الأولى فَلم تزلْ نَهَارهَا وَهُوَ ينظرُ إِلَيْهَا إِلَى أَن بلغتْ غرَضَها، وأَطْلَعتْها إِلَى غايتها، فتأمَّلها وحدَّثَ نفسه، ضُعْفُ هذا الحيوان لم يمنعه وصول غَرَضِه بالمجاهَدة، فأنا أَوْلَى أنْ أُحقِّقَ مُرادي وغَرَضي بالمجاهدة، فقام ببيْعِ سفينته، ولازَم العلم وشرَع في النحو واللغة والمنطق، فتميّز فيها، ولأنّه أوّلَ ما ابتدأ بالنّحو فنُسِب إليه واشتهر به، ووضع فيه كتبًا كثيرة منها، تفاسير وغيرها[1]، وأصبح واحدًا من جملَة السَّبْعَة الْحُكَمَاء المصنّفين للجَوامِع السِّتَّة عشر[2] وَغَيرهَا، فِي مَدِينَة الْإسْكَنْدَرِيَّة، وَله مصنّفات كَثِيرَة فِي الطّب، وَغَيره[3].

ت- سِنُّ المتعلِّم ومُدَّةُ تعلُّمه:

لم يذكر الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة سِنًّا محدَّدة ولا مدّةً معيّنة يُكملُ فيها المتعلِّم دراسته في الطّب كتنظيرٍ من مُدَرِّسي الطّب، لكن ظاهرة الأُسَر الطّبيّة، ووجود عدّةِ أطبّاء ضِمن أسرةٍ واحدة يؤدّي بنا إلى القول، بأنّ فكرة تعلّم الطّب تتولّد منذ الصِّغر، وقد يبدأ مباشرةً في علوم أوّليّة، ثمّ يتدَرَّج فيتعلّم الطّب من بَعْدِها[4]، ومِن الّذين دعَوْا إلى ضرورة التعلّم منذ الصّغر الحكيمَ أبُقْرَاط، فوضَعَها من بين الشّروط ضِمن وصيّته الطّبيّة بقوله: "ينبغي أن يكون المتعلِّم للطبّ ... حديث السِّنِ"، وكان الطبيب ابن سينا مِثالًا حيًّا على ذلك، حيث تعلَّم وأبْدَعَ منذ الصِّغر، وقام بدوْر الأستاذيّة في الطّب، وشرَع في معالجة المرضى وهو ابن ستَّ عشرة سنة[5]، وكانت عِلاجاتُه أفضل من أطبّاء عصره[6]، ونظَّرَ لتعليمِ وتأديبِ الصّبي، بضرورة تعليمه الأخلاق وتوجيهه لِما يوافق طبْعه، بمراعاة مَيْلِ الصّبي للصّناعة[7].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص152.

[2] أتكلّم عن هذه الجوامع في موضوع المقرّرات الدراسية، فيما سيأتي من هذا الفصل.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص153.

[4] أذكر ذلك لاحقًا فيما يخصّ المقرّرات الدّراسية، ضمن هذا الفصل.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص433.

[6] قال عن نفسه: "ثمّ شرعتُ في علم الطِّب، وصنّفتُ القانون وأنا ابنُ ستّ عشرة سنة، فمرِض نوحٌ بنُ نصْر السّاماني فجمعوا الأطباء لمعالجته فجمعوني أيضًا معهم، فرأَوْا معالجتي خيرًا من معالجات كلِّهم، فصلُح على يديْ". أنظر، القزويني (زكريا بنُ محمد بنُ محمود ت 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العِباد، (د. ط)، دار صادر، بيروت، ص300.

[7] ابن سينا، كتاب السياسة، ص 101-104.

وأخبرنا عَليّ بنُ رضوان الطّبيب المصري، عن كيفيّة تعلّمه الطّب؛ أنّه بدأ التّعليم عمومًا منذ السّادسة، ولما بلغ السّن الرابعة عشر شرع في تعلّم صناعة الطّب والفلسفة، وكان يعرف أنّه سيمتهنُ الطّب منذ صِغره إيمانًا منه بدلالاتِ النّجوم عند مولِده، في ذلك قال عن نفسِه: "وكانت دلالات النّجوم في مَوْلِدي تدلُّ على أنَّ صناعتي الطّب"، ثمّ أنّه تكلّم عن اجتهاده حتّى اشتهر في الطّب، فممّا قاله عن تعلّمه أيضًا: "عَرَض لي في التّعلُم صعوبة ومَشقّةً فكنتُ مرّةً أتكَسَّبُ بصناعة القضايا بالنّجوم، ومرّةً بصناعة الطّب ومرّةً بالتَعليم، ولم أَزَلْ كذلك وأنا في غاية الاجتهاد في التَّعليم إلى السّنة الثّانيّة والثّلاثين فإنّي اشتهرتُ فيها بالطّب وكَفاني ما كنتُ أكسبُه بالطّب"[1].

ومن النصّ السّابق يبدو أنّ الطّبيب عَليّ بنُ رضوان كان يتعلّم، ويتكسَّب بالطّب، ممّا يتأكّد لنا أنّه ليس كلُّ من شرع في ممارسة الطّب قد أكملَ تَعليمه؛ بل هناك استمراريّة، وأنّ متعلّمي الطّب درجات، فمنهم المتعلِّم، ومنهم المتفقّه، ومن ثمَّ المعلِّم للطّب، هذا ما أحالنا إليه ابن أبي أُصَيْبِعَة عند حديثه عن أحد المؤلّفات الطّبيّة، حيث أورد غرضَ صاحبه منه والفئة المستهدَفة لقراءته؛ قال: "ولأحمد بن أبي الأَشْعَث(ت نحو 365هـ/نحو 975م) من الكتب، كتاب الأدوية المفْرَدة ثلاث مقالات، وسبب تصنيفه أنّ قومًا من تلامذته سألوه ذلك، وهذا نصّ كلامه: "فتكلّمتُ في هذا الكتاب بحسب طبقتِهما وكتبتُه إليهما، ... وهما في طبقة مَنْ تجاوَزَ تعلُّم الطّب، ودَخَلَا في جملةِ مَنْ يتفقَّه فيما عَلِمَ من هذه الصّناعة، ويُفَرع ويَقِيسُ ويَسْتَخْرِج، وإلى مَنْ في طبقتِهما من تلامذتي ومَنْ إئْتَمَّ بكُتُبي فإنَّ مَنْ أراد قراءة كتابي هذا وكان قد تجاوز حدَّ التَعليم إلى حدِّ التفقُّه فهو الّذي يَنتفعُ به ويَحْظَى بعلمِه ..."[2].

وذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة مثالًا عن الّذين تبيَّنَتْ فيهم النَّجابة منذ الصِّغر، وبدأوا تعلُّمهم مبكِّرًا، الطّبيب رَشيد الدِّين، أبو حُلَيْقَة(ت648 هـ/ 1250م) الّذي بدأ في تعلّم الطّب وهو ابن ثمان سنين، نزولًا عند رغبة الملك الكامل نَاصر الدِّين، محمّد بن العادل، سَيف الدِّين أحمد(ت635هـ/1237م) الّذي رغّب والده في أنْ يُرسلَه إلى دمشق ليقرأ الطّب[3]، فتمكّن من حفظ كتاب الفصول لأَبُقْرَاط وتَقْدُمَة المعرفة، بعد سنةٍ واحدة؛ أي، في السّنة التّاسعة من عُمره[4]، وكان الصّبيّ الّذي تتبيّن فيه النَّجابة والذّكاء يأخذ بيده ويتمُّ تَعليمه الطّب، كما حدث للطّبيب اليَبْرُودِي (ت427هـ/1035م) الّذي كان

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص561.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص332.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص591.
[4] نفسه.

في صِباه يبيع الشِّيحَ[1]، أنّه لما كان يومًا يحمله على دابته ساعيًا لبيعه وجد طبيبًا يفصِدُ شابًا فوقَعتْ الفَصدة في الشِّريان، فلم ينقطع الدم واجتمع النّاس حوله، فأشار الصبيُ -اليَبْرُودِي- إلى الطّبيب أن يفصد يده الأخرى ويشدُّ الفصدة الأولى ففعل ذلك، فانقطع الدّم وتوقَّف، فتعجَّب من نبَاهته وذكائه وسأله عن كيفيّة اهتدائه لذلك، فذكر له أنّ أباه الفلّاح كان إذا انفتح شقٌّ من النّهر وخرج منه الماء بحِدَّة، ولم يقْدر على إمساكه، فتح شقًّا آخر حتّى ينقصَ الماء الأوّل الواصل إلى ذلك الشقّ، ثمّ يسُدُّه بعد ذلك، ولما سمع ذلك مَنَعَه من بيع الشِّيح وعَلَّمَه الطّب[2].

وممّن مارس الطّب منذ الصِّغر، عمّ ابن أبي أُصَيْبِعَة رشيد الدِّين عَليّ، يقول الطّبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة عنه: "ولم يكن لعمّي دَأْب في سائر أوقاته من صِغَره إلّا النّظَر في العُلوم والاشتغال وتكميل نفسه بالفضائل، ولما عاد جَدِّي إلى الشّام وانتقل إليها وذلك في سنة سبعٍ وتسعين وخمسمائة وكان لعمّي في ذلك الوقت من العُمر نحو العشرين سنة شرَع عمّي في معالجة المرضى والتزيُد في صناعة الطّب"[3]، لكن هذا لا ينفي وجود أطبّاء بدأوا تعلّمهم هذه الصّناعة في سِنٍّ متأخِّر كيحْي النّحوي الّذي ذكرنا قصّته سابقًا، والطبيب الرازي الّذي بدأ في تعلّم الطّب عن عمر الثلاثين وقيل الأربعين[4]، بعد أن دخل البَيْمَارِسْتان ورأى ما يبعثُ في نفسه الهِمّة والرّغبة لتحقيق وتحصيل الصّناعة، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وأمّا صناعة الطّب فإنّما تعلَّمَها وقد كَبُر، وكان المعلّم له في ذلك عَليّ بنُ رِبْنْ الطّبري"[5].

2- أماكنُ التَعليم الطّبي النّظري:

هناك نوعين من المدارس في بلاد المشرق الإسلامي، مدرسةٌ تُعْنى بالتَعليم النّظري، وأخرى تجمع بين الدّراسة النّظرية والتّطبيقيّة، وكان المتولّي للتّدريس بكِلا النّوعين أطبّاءٌ بشهرةٍ واسعة وكفاءَة كبيرة، فبالنّسبة للنّظري يظهر لنا في عديد المجالس الطّبية الخاصّة الّتي تُقام في المساجد أو في منازل الأطبّاء وغيرها، وبعض المدارس الطّبية الّتي ظهرت في بلاد الشّام في منتصف القرن(7هـ /13م)[6].

1 الشِّيحْ، نباتٌ من نبات السَّهل، طعْمُه مُرّ، وهو حارٌّ في الدّرجة الثّانيّة، يابسٌ في الثالثة، يُدِرُّ البوْل والطَمَث، وإذا تدَخَنتْ به المرأة أخرج الجنين من البطن، ودُخانه يطرد الهَوام، وإذا ضُمِّد به على لسعة العقرب نفع، وإذا شُرب ماء طبيخه بعسلٍ قتل دود البطن. أنظر، الحِميري، نشوان شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلوم، ج6، ص3597.؛ أبو نُعيم الأصبهاني، الطِّب النّبوي، ج2، ص587.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص611.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص737.

4 الذّهبي، تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام، ج7، ص247.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص414، 415.

6 لم أهتد إلى مدارس طبيّة نظاميّة قبل هذا الوقت.

أ- المساجد:

ارتبط تاريخ الأمّة الإسلاميّة بالمسجِد ارتباطًا وثيقًا، فالإسلام لم يحْصر رسالة المسجد على الصّلاة فقط؛ بل أراد الرّسول ﷺ أن يكون للمسجد دورًا إيجابيًا وأهدافًا ساميّةً تخدِم المجتمع الإسلامي، فبالإضافة إلى أداء الصّلاة فهو مكانٌ للتّلاوة، ومعهدٌ لكثرة المجالس العلميّة[1]، ومجلسٌ للقضاء، وملتقى التّعاون والتّكامل ومكانٌ للرّأي والمشورة، ويكاد يجمع الباحثون على أنّه كان أعظم وأهمّ مركزٍ من مراكز التّربيّة والتّعليم في الإسلام، حيث يتمّ تدريس مختلف العلوم الشّرعيّة واللّغويّة والأدبيّة، والدّراسات الإنسانيّة المتنوّعة، والعلوم العقليّة، وكان الطّبّ أحد هذه العلوم التي يُستَحَبُ تدريسها في المساجد، ولا غرابة أنّ يُدَرَّس الطّب في المساجد، فالنّبي ﷺ سمح بعلاج المرضى داخله فكيف بالتَعليم، فقد أمر الصّحابيّة الجليلة رُفَيْدة الأَسْلَمِيّة الأنصاريّة أن تضرب الخيمة داخل المسجد النّبوي لتُداوي المرضى والجرحى في غزوة الخندق سنة(5هـ/626م) [2] فلمّا أُصيب سعدٌ بنُ مُعاذ-رضيّ-الله عنه في الغزوة، أمر النّبي ﷺ بنقله إلى خيمة رُفَيْدة، وقال لقومه: "اجعلوه في خيمةِ رُفَيدة حتّى أَعُوده من قريب" [3].

ومن أمثلة الأطبّاء الّذين كانت لهم حلقات تَعليميّة في المسجد، الطّبيب عبد اللّطيف البغدادي (ت629هـ/1231م) الّذي كان يقوم بإلقاء دُروسه في الأَزْهَر يقول: "وكان سيرتي في هذه المدّة أنّني أُقْرِئُ النّاس بالجامع الأزهر مِنْ أوّلِ النّهار إلى نحو السّاعة الرّابعة، وَسط النّهار يأتي مَنْ يقرأُ الطّب وغيرهم، وآخر النّهار أرجعُ إلى الجامع الأزهر فيَقرأُ قومٌ آخرون وفي اللّيل اشتغلُ مع نَفسي"[4]، ويقول أيضًا:

---

[1] آدم متز، الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريد، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، مج1، ص232.

[2] غزوة الخَندق أو غزوة الأحزاب، وقعت أحداثها في شوّال سنة(5هـ/627م)، بين المسلمين بقيادة الرّسول ﷺ، ومجموعة من القبائل العربيّة المختلفة (الأحزاب) الّتي اجتمعت لغزْو المدينة المنوّرة والقضاء على المسلمين والدّولة الإسلاميّة، تصدّى عليه الصّلاة والسّلام والمسلمون للأحزاب المتحالِفة ضدّهم، وذلك عن طريق حفر خندق شمال المدينة المنوّرة لمنع الأحزاب من دخولها، فسُمّيّت بهذا الاسم نسبةً لهذا الخندق الّذي حُفر حول المدينة، ممّا جعل الأحزابُ يعجزون عن دخولها، فضربوا حصارًا عليها دام ثلاثة أسابيع، وعلى الرّغم من معاناة المسلمين انتهت غزوة الخندق بانسحاب الأحزاب، وذلك بسبب تعرُّضهم للريح الباردة الشديدة، فكان التأييد والنصر الربّاني من الله تعالى؛ إذ زلزل الأحزاب، وشتّت جمعَهم بالخِلاف، وألقى الرعبَ في قلوبهم، وأنزل جنودًا من عنده. أنظر، الواقدي (محمد بن عمر بن واقد، أبو عبد الله. ت207هـ)، المغازي، تح: مارسدن جونس، ط3، دار الأعلمي، بيروت، (1409هـ/1989م)، ج2، ص440.؛ ابن هشام (عبد الملك بن أيوب الحميري المعافِري، أبو محمد، جمال الدّين ت213هـ)، السيرة النبويّة، تح: مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلْبي وأولاده بمصر، (1375هـ/ 1955م)، ج2، ص214.

[3] ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2، ص222.؛ ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ت 852هـ)، الإصابة في تميّيز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج8، ص135،136.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص689.

"ورجعتُ إلى دمشق وأكببْتُ على الاشتغال وإقراءِ النّاس بالجامع"[1]، كما كان يتردّدُ إلى الجامع الأقصى، ويشتغلُ النّاس عَليه بكثيرٍ من العلوم، أيْن صَنّفَ هنالك كتبًا كثيرة[2].

ب- مَنَازِلُ الأطبّاء ومجالسُهم الخاصّة:

ذكر الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة عن الطبيب ابن سينا أنّ داره كانت منزلًا لطلّاب العلم، يذكر أبو عُبَيْد الجُوزْجَاني(ق5هـ/ 11م)[3] تلميذ الشّيخ الرّئيس ابن سينا: "... كان يجتمع كلّ ليلة في دَاره طَلَبَة العلم وكنتُ أقرأُ من الشّفاء، وكانَ يُقرئُ غيري من القانون نَوْبَةً ... وكان التّدريس باللّيل لعَدم الفَراغ بالنّهار خدمةً للأمير فقضينا على ذلك زمنًا "[4]، وكان أيضًا الطّبيب أبو البَيَان بنُ المدَوَر (ت580هـ/ 1182) الّذي أَطلق له الملك النّاصر، صَلَاح الدِّين(ت589هـ/1193م) جَامِكيّةً، تَصِل إليه ويكون ملازمًا لبيته ولا يُكَلَّف بخِدمة، بعد أن أصبح عاجزًا على التنقّل، بسبب التّعب والضّعف الّذي ناله على كِبر سنّه، واستمرَّ على تلك الحال وجامكيّته تصِل إليه نحو عشرين سنة، وأثناء تلك المدّة كان في بيته لا يَخْلُ بالاشتغال في صناعة الطّب، ولا يخلو موضِعه من التّلاميذ، والمشتغلِين عَليه والمستَوْصِفين منه[5]،وعلى نفس الحالكان الطّبيب ابن هُبل، مهذّب الدِّين (ت 610هـ/1213م) لَزِم مَنزِله آخر حياته، وفتح داره لطلبة الطّب يُعلّمهم ويُلْقي عَليهم الدّروس الطّبيّة[6].

وكان الطبيب مهذِّب الدِّين، عبد الرحيم بن عَليّ الدَّخوار عندما يُنْهي زيارته للمرضى وتفقّده إيّاهم، يأتي إلى داره، ثمّ يشرع في القراءة والدّرس والمطالعة[7]، وإذا فرغ من ذلك أذِن للجماعة فيدخلون إليه، ويأتي جماعةٌ من بعد جماعة من الأطبّاء والمشتغلِين، فكان يُقرؤُهم دُروسَهم، ويُباحِثُهم ويُفْهمُهم تلك الدّروس بقدْر طاقتِه، ويبحثُ في ذلك مع المتميّزين منهم، إنْ كان الموضِع يحتاج إلى فضلِ بحثٍ، أو فيه إشكالٌ يحتاج إلى تحريرٍ"[8]، ولا شكّ في أنّ داره كانت بها مكتبةً كبيرة تساعد في تَعليم المشتغلِين عَليه،

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص688.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص689.

[3] عبد الواحد بنُ محمّد، أبو عُبيد الجَوْزَجَاني، الفقيه الطيّب، الحكيم الفلكي الرّياضي، المعروف بالجوزجاني -من خواص ابن سينا-كان حيًّا سنة (428هـ/ 1037م). أنظر، عليّ الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، معجم التّاريخ، ج3، ص1909.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص441.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص 579، 580.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 408.

[7] في سنة (622هـ/1226م) قام الشيخ مهذّب الدّين، عبد الرحيم بنُ علي بوقْف هذه الدار، وجعْلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطِّب. ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 733.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 732.

فكان يحمل معه نفس النُّسخة الّتي كان يقرأها التّلميذ عَليه لينظُر فيه ويقابلُ به، وكان كثيرًا ما يقوم بإصلاح نُسَخٍ يأتي بها تلامذته في أخطاءٍ بعد مقابلتها بما يحملُه، لِما هي عَليه نُسَخَهُ من الصّحة؛ إذْ كان أكثرها بخطِّه، وكان يضع بجانبه ما يحتاج إليه من الكتب الطّبّيّة عند التّدريس، وكذا كتُب اللّغة؛ ككتاب الصِّحاح للجَوْهَري (ت393هـ/ 1002م)[1]، والمجمل، لابن فَارس (ت395هـ/ 1004م)[2]، وكتاب النّبات، لأبي حَنيفة الدِّينُوري(ت281هـ/ 894م)[3].

ويستشّفُ من هذا أنّ الدِّيار التي خصّصها الأطبّاء لتَعليم الطّب وغيره من العلوم، كانت بها مكتبات كبيرة، فدار الطّبيب المظفّر، نَصر بنُ مَحْمُود بنُ الْمُعَرّف(ت. ق6هـ/ 12م) مثلًا، يذكرها ابن أبي أُصَيْبِعَة على أنّ بها مجلس كبير مَشحُون بالكُتب على رفوفٍ فيه، وأنّ صاحبها لم يزل في مُعظم أوقاته في ذلك المجلس مشتغلًا في الكتب وفي القراءة والنَّسْخ[4]، ووقَف ابن أبي أُصَيْبِعَة عَليها، قائلًا عنها: "... كان قد مَلَك أُلوفًا كثيرة من الكتب في كلِّ فنٍّ، وأنّ جميع كتبه لا يوجد شيءٌ منها إلّا قد كُتِب على ظهره مِلَحًا ونَوادر، ممّا يتعلّق بالعِلم الّذي قد صُنِّف ذلك الكتاب فيه، وقد رأيتُ كتبًا كثيرةً من كتب الطّب وغيرها من الكتب الحِكمّيّة، كانت لأبي المظفّر وعَليها اسمُه، وما منها شيءٌ إلّا وعَليه تعاليق مستحْسَنَة، وفوائد متفرّقة ممّا يُجانس ذلك الكتاب"[5].

وكان للطّبيب موفّق الدّبن بنُ المطران(ت587هـ/ 1190م)، وهو أحد أطبّاء دمشق مكتبة كبيرة في الكتب الطّبّيّة وغيرها، ناهزت عشرة آلاف مجلّدًا خارجًا عمّا استنْسَخَه، وبلغ من كثرة اعتنائه بالكتب وغوايته فيها أنّه جامع لكثير من الكتب الصِّغار والمقالات المتفرّقة في الطّب وهي في الأكثر يوجد جماعةٌ منها في مجلّدٍ واحدٍ[6]، وكان لإفرائيم بنُ الزّفّان(ت ق5هـ/11م) الطّبيب المصري همّة في جَمْع الكتب واستنساخها، وذَكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنَّ له خزائن كثيرة من الكُتب الطّبّيّة وغيرها، بلغت أكثر من عشرين

[1] أبو نصرٍ، إسماعيل بنُ حمَّاد التركي، الأتراري، مُصنِّف كتاب الصِّحاح، يُضْرَب به المثَل في ضبط اللغة، وفي الخطِّ المنسوب، أخذ العربيّة عن: أبي سعيد السَيْرافي وأبي عليّ الفارسي، وعن أبي إبراهيم الفارابي خالِه، وكِتابه الصِّحاح في اللغة قد أحسن تصنيفه، وجَوَّدَ تأليفه، توفيّ (393هـ/1003م)، وقيل: "سنة(401هـ/1011م)". أنظر، الذهبي، سيَر أعلام النبلاء، ج12، ص560.؛ ياقوت الحَمَوي، معجم الأدباء، ج2، ص ص656، 657.

[2] أبو الحسين، أحمد بنُ فارس بنُ زكريا (ت395هـ/1004م)، من أهل العلم الأعيان وأفراد الدَّهْر، قدِم إلى الرَيْ ليُدَرّس أبي طالب، مجد الدولة بن فخر الدولة، أبي الحسين بن بُويه، فاغتنم الصاحب هذه الفرصة، فقرأ عليه، وتلقَّى منه، وكان أحد مؤلَّفاته باسمه، ومن مؤلَّفاته في العلوم اللّغويّة، كتاب المجمَل في اللغة، كتاب فقه اللغة، كتاب الصاحِبي، وغيرها. أنظر، الصاحب بن عبَّاد، المحيط في اللغة، ج1، ص ص21، 22.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص732.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص571.

[5] نفسه.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص656.؛ خير الله سعيد، الوراقة والورّاقين، ج3، ص175.

ألف مجلّد[1]، والملاحظ أنّ متعلِّم الطّب غالبًا ما يُلازم أُستاذه في حِلّه وسفره، ويحضُر حلْقاته ومجالسه لينهل منها العلم وينتفع به، ويقتدي بمنهج أستاذه العلمي والعمليّ، ساعيًا إلى تحقيق هدفه وهو تعلّم هذه المهنة وممارستها، وهو ما نبّهنا إليه ابن أبي أُصَيْبِعَة، من خلال ذِكره لكثرة الحلْقات في مجالس الأطبّاء الخاصّة.

ومن ضمن الحلقات التي كَثُرت في المشرق الإسلامي، والتي كان يرتادها الكثير من طلبة الطّب، تلك المجالس المنتظَمَة يوميًا، والتّي خُصِّصت في أماكن محدَّدة، ولأطباء معلومين يقومون بإلقاء دروسهم الطّبية وفي أوقاتٍ محدَّدة من النّهار، لتُنتِج هذه الحلْقات كثيرًا من مشاهير الأطبّاء، تضَلَّعوا في المهنة وقدّموا فيها الكثير، وسنأتي على ذكر نماذجَ من هذه المجالس الّتي وردت في مؤلّف ابن أبي أُصَيْبِعَة؛ إذ يعدّ مجلس الطّبيب يوحنّا بنُ مَاسَوَيْه(ت 243هـ/ 857هـ) من أَعْمَرِ مجالس بغداد، فقد حوى جميع أصناف العلوم من طبٍّ وفلسفةٍ وأدبٍ وغيرها، وكان ممّن ارتاده من التّلاميذ حُنَيْن بنُ إسحاق الّذي تميّز عند أستاذه يوحنّا[2] فلازمه وقرأ عَليه كتاب فِرَق الطِّب، مع قيامه بترجمة العديد من الكتب الطّبيّة لأستاذه من اليونانيّة والسُّريانيّة[3]، ومن مجالس الطّب أيضًا مجلس أبي منصور، الحسَن بنُ نُوح القَمْرِيّ (ق5هـ/11م) تتلمذ فيه الرّئيس ابن سينا؛ إذ كان يحضرُ مجلسه يتعلّم منه ويلازم حضور دروسه، فانتفع به في صناعة الطّب[4]، قبل أن يصبح لابن سينا مجلسه التَعليمي الخاص به، أين يُدَرِّس فيه كتبه الطّبية والفلسفيّة من أمثال، كتاب الشّفاء والقانون، وكان التّدريس باللّيل لعَدَم الفراغ بالنّهار خدمةً للأمير[5].

ومن المجالس المشهورة أيضًا، مجلسُ إمام الطّب محمّد بن زكريّا الرَّازي، ساعُورُ البَيْمَارِسْتان العَضُدِي ببغداد ... يصِف ابن أبي أُصَيْبِعَة مجلسه بقوله: "وكان يجلس في مجلسه، ودُونَه التّلاميذ، ودُونَهم تلاميذُهُم، ودُونَهم تلاميذٌ أُخَر، فكان يجيء الرَّجلُ فيصف ما يجد لأوّلِ مَنْ يلقاه، فإنْ كان عندهم علمٌ وإلّا تعدّاهُم إلى غيرهم فإِنْ أصابوا وإلّا تكلَّم الرَّازِيّ في ذلك"[6]، واشتهر مجلسُ أَبي الحسَن بن هِبة الله بن الحُسين؛ يتناوبُ فيه تلامذَة الطّب بقُوّة للقراءة عَليه، كان يمتنعُ عن تَدريس اليَهود، إلّا أبو البركات نظيرَ تعلّقه

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص568.

[2] من الأمور الّتي وقعت في مجلس يُوحَنا أنّ حُنَيْنًا كان في مجلسه التّعليمي، وكان صاحب سؤال، وذلك يصعُب على يوحنا، فطرده من مجلسه، ليخرج منه باكيًا مَكْرُوبًا، وغاب حُنين بعد ذلك لمدّة سنتين قبل أن يشتهر في الطِّب، ويعاود ملازَمة يوحنا بنُ مَاسَوَيْه والاشتغال عليه ثانيّة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 257-259.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص259.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص435، 436.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص441.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص416.

الشّديد بمجلسه، حيث وجده يسمعُ درسه من وراءِ الجدار، ويفهم أكثر من الّذين هم في مجلسه، فعجّب من ذكائه فقبْله عنده[1]، كما كان لأبي الفَرج، عبدُ الله بن الطيّب(ت 435هـ/1043م) مجلسُ علمٍ يأتي إليه تلامذة الطّب من أنحاءٍ شتّى، ليَستفيدوا من خَبراته ومِنْ شُروحاته لكتب أَبُقْرَاط وجَالينُوس[2].

أمَّا مجْلسُ أمين الدّولة، هِبة الله بنُ التّلميذ(ت 560هـ/ 1164م) فشهرتُه فَاقت الآفاق، واكتظّ بالوافدين من التّلاميذ قَالَ ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وكان يحضُر مجلسَه في صناعة الطّب خلقٌ كثير يقرأون عَليه"[3]، كما كان لديه مساعدون خاصّة في مجال النّحو؛ فكان اثنان من النُّحاة يلازمان مجلسه[4]، وذلك لمكانة صاحبه؛ إذْ أنّه كان ساعورًا للبَيْمَارِسْتان العَضُدِي في بغداد، ولشهرة مؤلّفاته الطّبية بين التّلامذة، دخل عَليه أحد المرضى وكان يعرق دمًا في زمن الصيف، وعنده تلامذته الّذين فاق عددهم الخمسين، فسألهم عن حالة المريض ونوْع العِلاج المطلوب له، فعجزُوا عن فهم العِلّة وعن العلاج المناسب، فعالج المريض واستغلّ الفرصة لشرْح حالته[5]، وكان فَخْر الدِّين المارِدِيني(ت594هـ/ 1197م) من مشاهير الأطبّاء والحكماء في عَصره، لينال مجلسه في الطّب شُهرةً واسعة، خاصّة إذا علمنا أنّ من أهمّ تلامذته مهذّب الدِّين، عبد الرّحيم بن عَليّ، شيخ وأستاذ ابن أبي أُصَيْبِعَة، وكان ممّا صحّحه ودرَسه في هذا المجلس مع شيخه كتاب القانون لابن سينا[6].

ومن المجالس الطّبية، مجلس ابن خطيب الرّي، فخرُ الدِّين، محمّد بن عُمر الرَّازي(ت 606هـ/ 1209هـ) الّذي كان وِجهة لتلامِذة الطّب والحِكمة يقصدونه من كلّ ناحيّة، يذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة في قوله:" لقد شاعت سيادته، وانتشرت في الأفاق مصنّفاته وتلامذته، وكان إذا ركب يمشي حوله ثلاثمائة تلميذ...وكان النّاس يقصدونه من البلاد، ويهاجرون إليه من كلّ ناحية، على اختلاف مطالبهم في العلوم، وتفنُّنهم فيما يشتغلون به، فكان كلٌّ منهم يجده عند النّهاية القُصوى بما يَرُومهُ منه..."[7]، ثمّ وصف ابن أبي أصيبعة مجلسه في قوله:"...وكان لمجلسه جلالةٌ عظيمة، وكان يتعاظم حتّى على الملوك، وكان إذا جلس للتّدريس يكون قريبًا منه جماعة من تلاميذه الكبار[8]... ثمّ يليهم بقيّة التّلاميذ وسائر الخَلْق على قدْر

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص374.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص323، 324.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص353.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص353.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص349، 350.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص402.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص462.

[8] أمثال، زينُ الدّين الكُشّي، والقُطب المصري، وشِهاب الدّين النَّيْسَابُورِي. أنظر، نفسه.

مراتِبهم، وكان مَنْ يتكلّم في شيءٍ من العُلُوم يُبَاحِثونه أُولئك التّلاميذ الكبار، فإنْ جرى بحثٌ مُشكل أو معنًى غريب شاركهم الشّيخ فيما هُمْ فيه، وتكلّم في ذلك المعنى بما يفوقُ الوَصْف"[1].

ومن بين المجالس، مجْلِس الطّبيب ابن جُمَيْع(ت594هـ/1198م)، خصّه للّذين يشتغلون عَليه بصناعة الطّب[2]،كما كان لمهذّب الدِّين بن النّقاش(ت574هـ/1178م) في دمشق قبل أن ينتقل للقاهرة مجْلِسٌ عَام للمُشتغِلين عَليه[3]، أمّا الطّبيب رفيعُ الدِّين الجِيلِي، فَلِكَونه تميّز في العُلوم الحِكمّيّة وأصول الدِّين والفقه والعلم الطّبيعي والطّب، وعلى الرّغم من أنّه كان فَقِيه في المدرسة العَذْراويّة داخل باب النَّصْر، لكنّ مجلسه في الطّب كان عامرًا بالتّلاميذ المشتغلِين عَليه،كابن أبي أُصَيْبِعَة الّذي ذكر، بأنّه قرأ عَليه شيئًا من العلوم الحِكمّيّة[4]، ومُوفّق الدِّين، عبد العزيز بنُ عبد الجبّار بنُ أبي محمّد السُّلَمِيّ الّذي صار له فيما بعد مجلسٌ عام للمشتغِلين عَليه بالطّب[5]، وممّن كانت لهم مجَالس تَعليميّة طبيّة تَستقطب المشْتَغِلين والرّاغبين في تعلّم صناعة الطّب بدمشق؛ الطّبيبان شمس الدِّين بن اللَّبُودِي (ت621هـ/1224م)[6]، والحَكِيمُ سعدُ الدِّين(ت644هـ/1246م)[7]، وكذلك بالنّسبة لموّفق الدِّين عبد اللّطيف البَغدادي الّذي كان يتردّد إليه جماعة من التّلاميذ وغيرهم من الأطبّاء للقراءة عَليه"[8].

أمّا الطّبيب رضيّ الدِّين الرَّحْبِي(ت631هـ/1234هـ) فقد عُرف عنه أنّه أُستاذ أساتذة الطّب، لما خلّفه مجلسه في الطّب من المشايخ الكبار، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة :"واشتغل عَليه بصناعة الطّب خلْقٌ كثيرُ، ونبَغ منهم جماعة عدّة، وأقرأوا لغيرهم وصاروا من المشايخ المذكورين في صناعة الطّب، ولو اعتُبر أحد جمهور الأطبّاء بالشّام لوُجد، إمّا أن يكون منهم مَنْ قد قرأ على الرَّحْبِي أو مَن قَرأ على من قرأ عَليه، وكان من جُملة من قد قرأ عَليه في أوّل أمره الشّيخ مهذّب الدِّين عبد الرّحيم بن عَليّ"[9]، وكان ابن ابي أُصَيْبِعَة أحد تلامذته، فقد ذكر أنّه لما كان في سنة(623هـ/1227م) قرأ عَليه كتابًا في الطّب في جُزئه العَملي مِن كلام أبي بكر، محمد بنُ زكريّا الرَّازي، وغيره[10]، ومن تلامذة هذا المجلس رَشيد الدِّين عَليّ بنُ

---

[1] نفسه

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص586.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص636.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص647.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص671.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص662.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص672.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص683.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص673.

[10] نفسه.

خَليفَة، عمُّ ابن أبي أُصَيْبِعَة، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ رَضِي الدِّين الرَّحْبِي لما سمع بعمِّه وشاهده ورأى تحصيله فرِح به وبقيّ عمّه يحضُر مجلسه ويقرأ عَليه، ويبحث معه في صناعة الطّب[1]، ثمّ أنّه اتّخذ لنفسه في دمشق مجلسًا لتدريس الطّب، واشتغل عَليه جماعة وكلّهم تميّزوا في الطّب[2].

وممّا يُذكر من المجالس الطّبيّة، مجلس الطّبيب رشيدُ الدِّين بنُ الصُّوري(ت639هـ/1242م) بدمشق، وقد بلغ صاحب هذا المجلس مكانةً جيّدة حيث فُوِّضت له رياسة الطّب، واشتهر مجلسه ممّا جعل التّلاميذ يتوافدون عَليه ويشتغلون عنه بالصّناعة الطّبيّة[3]، وعندما ذهب الشّيخ مهذّب الدِّين عبد الرّحيم بنُ عَليّ إلى دمشق واستقرّ بها، تولّى رئاسة الطّب بها، وجعل له مجلسًا للتّدريس، فشرع في تدريس صناعة الطّب، واجتمع إليه خلقٌ كثيرٌ من أعيان الأطبّاء، وغيرهم يقرؤون عَليه، ومن أهمّ تلاميذه في هذا المجلس ابن أبي أُصَيْبِعَة الّذي يقول عن نفسه: "فبقيتُ أتردّدُ إليه مع الجماعة وشرعتُ في قراءة كتب جالينوس، وكان خبيرًا بكلّ ما يقرأُ عَليه من كتب جالينوس وغيرها، وكانت كتب جالينوس تُعْجبُه جدًّا، وإذا سمع شيئًا من كلام جالينوس في ذِكر الأمراض ومداواتها والأصول الطّبيّة يقول هذا هو الطّب[4]، ولدرجة تعلُّق الأطبّاء بمجالسهم التَعليميّة وبطلبتهم، نجد الْمُخْتَار بنُ الْحسن بنُ بُطْلَان(ت 458هـ/1066م) يُرْثي نفسه ومجلسه في الطّب في قوله:

وَلَا أحدُ إنْ مِتُّ يَبكي لميتَتي ... سِوَى مجلِسي فِي الطّب والكُتُب بَاكِيا[5]

كما تَبَنَّى بعضُ ممّن هم ليسوا بأطبّاءٍ مجالس لإقامة مناظرات بين الأطبّاء، وذلك لغرض إيجاد دواءٍ لعلّةٍ ما، ولتقديم معارف لتلامذة الطّب الّذين يحضرون هذه المجالس، ومن ذلك ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة عن مجلس أمُّ جعفر(ت216هـ/ 831م)[6] الّتي خصّصت مجلسها للحُسّاب والمتطبِّبين، وكانت العلّة تُقدّم للمتطبّبين ليتناظروا ويتباحثوا فيها، حتّى يجتمعوا على العلّة والعلاج، فإنْ كان بينهم اختلافٌ، دخَل الحُسّاب بينهم وقالوا بتصديق المصِيب عندهم[7]، ويقدّم لنا ابن أبي أُصَيْبِعَة وصفًا لذلك المجلس،

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص737.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص740.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص699، 700.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص731.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص328.

[6] يُقصد بها السّيدة زُبيدة، زَوج هَارون الرّشيد، وأمّ ولي عهده الأمين، ونُسِب المأمون والمعتصم إليها تجوُزًا، وكانت قد زارت الحجاز، وأدخلت فيه بعض الإصلاحات، وبنت العمائر وأجَلُّها عينُ زُبَيْدة التي بمكّة. أنظر، التَقِّي الفاسي (محمد بنُ أحمد بنُ علي، أبو الطيّب ت832هـ)، شِفاء الغَرام بأخبار البلد الحَرام، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1421هـ/2000م)، ج1، ص122.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص192.

نقلًا عن يُوسُف بن إبراهيم (340هـ/ 951م)، أنّه وقع في أحد الأيّام الاختيار على حَجّامة أُمّ جعفر، فأحضرتْ معها ولدًا يقلُّ عمره عن العشرين سنة ليتأدّب ويتعلّم من ذلك المجلس[1]، كما أنّها تقدّمت إلى جميع من يَطِيف بها من المتطبّبين في تَعليمه وتوقيفه عنايةً به لمكان أبيه عندها[2].

كما عُدّ مجْلِس أَبِي دُلَف(ت 280هـ/893م)[3] مجمّعا للمتطِبّين، يُذكر أنّه اجْتمع في مجلسه عددٌ كبيرٌ من المتطبّبين[4] اختلفوا فِي أصل علَّته، وفي نوع العلاج الّذي يحتاجه، فبعضهم رأى أنّ علاجه يستدعي سقْيَه التِرياق، وبعضهم الآخر كان يرى ضرورة معالجته بالأدويّة، وأجمعوا على معالجته بالحِمْية وبالقَيْء، ولا شكّ أنّ هذا المجلس حضره تلامذة الطّب، كما كان في مجلسِ أمّ جَعفَر[5]،كما ساعدت المجالس الطّبيّة على تأليف بعض الكُتُب، من خلال الإجابات عن الأسئلة الموجّهة من التّلامذة وغيرهم؛ إذ يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ لزاهد العُلماء (ت بعد 460هـ/ بعد 1067م)[6] من الكتب كتاب في الفصول، جزْءه الثّاني على جِهة الفصول والمسائل وجَواباتٍ أجاب عنها في مَجْلس العلم المقرَّر في البَيْمَارِسْتان الفَارِقي[7][8].

---

1 وكان ممّا جرى على هامش هذا المجلس أنّ الولد، وهو ابن داوُد بن سَرافيون تكلَّم في شيءٍ من الطِّب، وتناقش فيه مع متطبّبٍ آخر حول شُرب الماء للمنتبِه ليلًا من نومه، وقد قال في ذلك: "ما الله خلَق بأحمقٍ مَن يشرب ماءً بعد انتباهِه من نومه"، فصادف جبرائيل قوله، وهو يدخل المجلس فقال: "أحمقٌ. والله مِنه مَن تتضرّمُ نارٌ على كبده فلم يُطفئْها"، وتقدَّم شارحًا لِما قاله، مُفصّلًا في قضيّة شُرب الماء للمنتبِه ليلًا، وبين الحالات التي يتمُّ فيها إطلاقُ شُرب الماء للمنتبِه ليلًا ، والحالات التي تُمنَع عليه، وهذا مثالٌ واضح على أهميّة هذه المجالس في تقديم المعارف لطلّاب الطِّب. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص192، 193.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص193.

3 ابن أَبِي دُلَف(ت280هـ/893م)، أحمد بنُ عبد العزيز بنُ أَبِي دُلَف العَجْليّ: أميرٌ، من بيت مجدٍ ورياسةٍ، كان من الوِلّاة في أيّام المعتمد على الله والمعتضد باللّه العبّاسيين. أنظر، الزِرِكْلِي، الأعلام، ج1، ص151.

4 منهم، يوسُف بن صَليبَا، وسُليمَان بنُ داوُد بنُ بابان، ويُوسُف القصير البَصري، ولا أحفظ نسَبه، وبُولَس بنُ حنون، متطبّب فلسطين، وختن كان له من اللَجلاج، والحسن بنُ صالح بنُ بَهْلة الهندي، وكان يحضُر مجلسه من المتطبّبين غير المرتزقين جماعةٌ لم يذكر أسماءهم. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص238.

5 نفسه.

6 أَبُو سعيد، مَنْصُور بن عِيسَى، من النّصارى النّسطوريين، خدَم بصناعة الطِّب نصير الدّولة بنُ مَرْوَان، وهُوَ الَّذِي بَنى بَيْمَرِسْتَان ميَافارقين، مات بعد سنة (460هـ/1068م)، له من المؤلّفات، أمراض العَين ومداواتها، كتاب البَيْمَرِسْتَانات، كتاب الفُصول والمسائل والجوابات في جزأين، وغيرها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص341.؛ إسماعيل باشا البابانى، هدية العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنّفين، ج2، ص473.؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين، ج13، ص18.

7 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص341.

8 قال ابن أَبِي أُصَيْبِعَة: "إنّ زاهد العُلماء هو، الّذي بنى بَيْمَرِسْتَان ميّافَارِقِين، وسبب بنائه، هو أنّ نصير الدّولة بنُ مَروان صاحب ديّار بَكر في أيّام الخليفة القائم بأمر الله، تولّى الخلافة سنة اثنتين وعشرين وستمائة لما كان بميافارقين، مرضت ابنةٌ له وكان يرثي لها كثيرًا، فآلى على نفسه أنّها متى برئت أن يتصدّق بوزنها دراهم، فلمّا شُفيّت، أشار على نصير الدّولة أن يجعل تلك الدّراهم في بناء بَيْمَرِسْتَان ينتفع به الناس، ويكون له بذلك أجرٌ عظيم وسمعةٌ حسنة، قال: فأمر ببناء المارستان وأنفق عليه أموالًا كثيرة، ووقّف له أملاكًا تقوم بكفايته، وجعل فيه من الآلات وجميع ما يحتاج إليه شيئًا كثيرًا

ث- المدارس الطّبيّة النّظريّة:

لم أهتدِ قبل القرن(6هـ/12م) إلى وجود مدارس طبيّة متخصّصة في التَعليم الطّبيّ، ربّما لاهتمام المسلمين بالبَيْمَارِسْتانات التي يقع على عاتقها التَعليم بشقَّيه النّظري والتَّطبيقي، بالإضافة إلى ما ذكرته سابقًا عن دوْر حلْقات التَعليم في المساجد الجامعة ومنازل الأطبّاء ودُور الكتب، إلّا أنّه في هذا القرن نلمس وجود بعض المدارس المتخصِّصة وإن كانت كلّها تأسّست بمدينة دمشق، مدينة الطّب لهذا القرن، بالنظر لكثرة الأطبّاء بها[1]؛ إذ لم تظهر بعد ذلك مَدارسًا أخرى للطّبّ لا في بلاد الشّام ولا في غيرها من حواضر الدّولة الإسلاميّة[2]، وهذه المدارس هي:

- المدرسة الدَّخْوَاريّة:

استمدّت اسمها من مؤسّسها مُهذّب الدِّين، عبد الرحيم بنُ عَليّ بنُ حامد، المعروف ب "الدَّخوار"(ت628هـ/1230م)، سنة(622هـ/1226م)[3]، قُبَيل سفرِه لخدمة الملك الأشرف، حيث وقَّف داره الّتي كان يعلّم الطّب بها[4]بدمشق عند الصّاغة العتيقة، جاعلًا منها مدرسةً تُعْنَى بتَعليم صناعة الطّب، ووقَّف لها ضِياعًا وأماكن للصَّرْف على مُدَرِّسيها والمشتغلِين بها[5]، ورغبته في أن يتولّى التَعليم فيها الطّبيب شَرف الدِّين بنُ عَليّ الرَّحْبِي(667هـ/1268م)، فأوصى بذلك، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "ولما وقَّف شيخُنا مهذّب الدِّين، عبد الرّحيم بنُ عَليّ-رحمه الله- الدّار التي له بدمشق، وجعلها مدرسةً يُدَرِّس فيها صناعة الطّب، وينتفعُ المسلمون بقراءتهم فيها، أوصى أن يكون مدرِّسها شَرف الدِّين بن الرَّحْبِي، لِما قد تحقّقُه من علمه وفهمِه فتولّى التّدريس بها مدّةً"[6]، وابتدأ بالصّلاة فيها يوم الجمعة، صلاة العصر، ثامن ربيع الأوّل، سنة(628هـ/1232م)، ولما كان يوم الإثنين، ثاني عشر، ربيع الآخر، جرى لهذه المدرسة

جدًّا، فجاء لا مزيد عليه في الجودة، وكان مُقرَّرًا في هذا البَيْمَرِسْتَان مجلسٌ للعلم يُجيب فيه زاهدُ العلماء على المسائل والجوابات". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص341.

[1] سبق ذِكر ذلك، من حيث كثرة الاطبّاء الشّاميّين في هذا القرن، من خلال ما تقدّم من إحصائيات في الفصل الثالث، في موضوع أطبّاء الشّام حسب فتراتهم الزمنية.

[2] ناصر بنُ محمد علي الحازمي، **الحركة العلميّة الطِّبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبيّة**، ص130.

[3] حدّد ابن أبي أُصَيْبِعَة تاريخ تأسيسها سنة (622هـ/1226م)، بقوله: "ولما كان في سنة اثنتين وعشرين وستّمائة، وذلك قبل سفر الشيخ مهذّب الدّين عبد الرحيم بنُ علي عند الملك الأشرف وخدمته له، وقَّف داره، وهي بدمشق عند الصاغة العتيقة"، بينما نجد النُعيمي، مؤرّخ المدارس العلميّة والتعليميّة في الحضارة الإسلاميّة يذكر إنشاءها في سنة(621هـ/1225م). أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص733.؛ النّعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص100.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص733.

[5] نفسه.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، 676.

افتتاحٌ كبير حضره الأطبّاء والفقهاء والعلماء[1]، وشرع الحكيم شَرف الدِّين في التّدريس بها في صناعة الطّب، واستمرّ على ذلك وبقيّ سنين عدّة"[2].

ومن بعد ابن الرَّحْبِي تولّى بها التَّعليم العديد من الأطبّاء كالحكيم بدر الدِّين المظفّر بن قاضي بعلبك (ت بعد 650هـ/بعد1252م)، يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة تَوَلِّيه للتّدريس في هذه المدرسة[3] بأنّه لما مَلَك دمشق الملك الجوَاد مُظفّر الدِّين، يُونس بنُ شمس الدِّين ممْدُود(635-641هـ/ 1237-1243م)، ابن الملك العادل كتَب للحكيم بدر الدِّين، ابنُ قاضي بَعْلُبَك منشورًا برياسته على سائر الحكماء في صناعة الطّب، وأن يكون مدرِّسًا للطّبّ في مدرسة الحكيم مُهذّب الدِّين، عبد الرّحيم بنُ عَليّ، وتولّى ذلك في يوم الأربعاء، رابع صفر سنة(637هـ/1240م)[4]، والطّبيب عِماد الدِّين الدُّنَيْسَرِي (658هـ /1260م)[5]، وعزّ الدِّين السُّوَيْدِي(ت690هـ/ 1291م) الّذي خدَم في البَيْمَارِسْتان بباب البريد[6]، وتردّد إلى قلعة دمشق وكان مُدرّس الدَّخْوَاريّة[7]، وغيرهم[8]، واستمرّت هذه المدرسة في القيام بمهمّتها التَعليميّة حتّى نهاية القرن(8هـ/14م)، وتخرّج منها العديد من الأطبّاء المشهورين، كابن أبي أُصَيْبِعَة، وعلاء الدِّين بنُ النّفيس(ت687هـ/1288م)[9] الّذي يُعدّ من رموز وأعلام المدرسة الدَّخواريّة، ولكنّ الجدير بالذّكر أنّه درس مع ابن أبي أُصَيْبِعَة على يد الدَّخوار، وتخرّجَا في نفس المدرسة.

---

[1] ممّن حضر الافتتاح، الحكيم سعدُ الدّين إبراهيم بنُ الحكيم، موفّق الدّين عبد العزيز، والقاضي شمس الدّين الخَوْئي، والقاضي جمال الدّين الحَرستاني، والقاضي عزيز الدّين السَنجاري، وجماعةٌ من الفقهاء والحُكماء. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص733، 734.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص734.

[3] يدرج ابن أبي أُصَيْبِعَة تاريخ وفاة شَرف الدّين بنُ الرحْبي، على أنّها كانت في سنة (667هـ/1269م)، ويدرج لنا تولِّي بدر الدّين المظفّر ابنُ قاضي بعلبك التدريس بالمدرسة سنة (637هـ/1240م)، وبهذا يكون قد تمَّ عزْل مُدَرِّسها الأوّل أو أنّ هناك خطأ في تاريخ وفاته، ولا يُستبعد عزلُه، فقد ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة واصفًا إيّاه:" ...أنّه كان نزيه النفس، عالي الهِمّة لم يؤثِر التردُّد إلى الملوك ولا إلى أرباب الدولة"، كما لايُستبعد وقوع ابن أبي أُصَيْبِعَة في خطأ، حين ذكر تاريخ وفاته، فبدل قوله 637هـ، قال كانت وفاته 667هـ، لكن يبقى الرأي الأوّل هو الأرجح، بالنظر لعلاقته مع أرباب الدولة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص676.؛ ناصر بن محمد علي الحازمي، الحركة العلميّة الطِّبية في بلاد الشام، ص133.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص734.

[5] النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص103.

[6] بيْمارِسْتان بابُ البريد؛ لم أجد عنه معلومات، باستثناء ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة، قال مؤلّف كتاب تاريخ البيمارستانات في الإسلام: "جاء ذِكر هذا البيمارستان عرَضًا في ترجمة عزّ الدين السُوَيدي، فإنّه كان طبيبًا به وبالبيمارستان الكبير النُوري، وباب البريد هذا، اسمٌ لأحد أبواب جامع دمشق، وهو الغربي، وتجد ترجمة عزّ الدين السويدي ضمن أطباء البيمارستان الكبير النُوري". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص759.؛ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص229.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص759.

[8] كما درّس به الطِّبيب أمينُ الدّين سليمان بنُ داود، والشيخ جمال الدّين محمد بنُ شهاب الدّين أحمد الكَحّال...أنظر، النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص104.

[9] النّعيمي، المصدر نفسه، ص 103.

يذكر المؤرّخُ ابن العِبْرِيّ(ت685هـ/1286م) عن هذه المدرسة، أنّه مُنع فيها تدريس اليَهود والنّصارى بناءً على وصيّة الدّخْوَار[1]، حاقدًا عَليه في ذلك، واصفًا إيّاه بأبشع الأوصاف، حتّى أنّه يتلذَّذ بمرضه، قائلًا: "وكان مَكّارًا شَتَّامًا، شَرِهًا نَهِمًا، وأصابه في آخر أيّامه داءٌ عُضَال في لسانه الّذي كان يُؤذِي به أقْرانه وأَمْسى أَخْرس لا يتكلّم، وتفاقَم الدّاء شيئًا فشيئًا حتّى قتله، ولم يُخلِّف وارثًا، وكتب في وصيَّته أنْ تُحوَّل داره الى مدرسة لمنْ يُعلِّم ويتعلَّم الطّب ووضع فيها كتبَه كلّها، وبلغ به اللّوْم مَبْلَغه حتّى حتَّمَ أن يدْرُسَ فيها المسلمون وحدهم دون اليَهود والنّصارى، وما زال هذا القانون جاريًا في دمشق حتّى اليوم، وتلامذة الطّب يقرؤون على اليهود والنّصارى خارجًا عن تلك المدرسة"[2].

وهاته الأوصاف الّتي ذكرها ابن العِبري عن الدَّخوار هي على العكس تمامًا، ممّا وجدناه عند ابن أُصَيْبِعَة[3]، ففيما يخصّ عدم تَعليم أهل الذّمة بالمدرسة الدَّخْوَاريّة ربّما لاتّباع شرف الدِّين الرَّحبي والده الرّضي الرَّحْبِي الّذي كان يمتنع عن تَعليم اليَهُود والنّصارى؛ إذْ لم يَدْرُس عَليه من أهل الذّمة إلّا اثنين هما: عمْرانٌ الإسرَائيليّ، وإبراهيم بنُ خَلَف السّامِري[4]، فيكون عدم تَعليم اليهود والنّصارى من عند الطّبيب لا من نظام المدرسة، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة عن شرف الدِّين الرَّحبي: "وكان قد سَلك حذْو أبيه واقتفى ما كان يقتفيه، وهو أشبَه به خَلقًا وخُلُقًا وطرائق"[5]، فكان طريق والده يستدعي عدم تَعليمهم فكان ربّما على منهج والده، كمَا أنّه لا يمكن اتّهام الأطبّاء المسلمين بتلك العنصريّة لأنّه لطالما تعلَّم المسلمون الطّب على أيدي الأطبّاء النّصارى واليَهود[6]، ونفس الشّيء بالنّسبة لأطبّاء أهل الذّمة درسوا وتعلّموا على أيدي أطبّاء مسلمين[7]؛ بل كان أهلّ الذمّة أطبّاء للخلفاء والحكّام في البلاط مقرَّبين ومبَجَّلين، ومُوظَّفين في أكبر البَيْمَارِسْتانات الإسلاميّة[8].

---

1 سمّاه بـ "الدّخوار"، وذكر أنّ وفاته سنة(630هـ/1234م)، متفرّدًا بذلك، كما أنّه تهجَّم عليه، ووصفه بأبشع الأوصاف؛ قال: "وكان مَكّارًا شتّامًا، شرِهًا، نَهِمًا"، ممّا ينمُّ عن تعصُّبٍ وكُرْهٍ شديدين. أنظر، ابن العبري (أبو الفرج، جمال الدّين ت685هـ)، تاريخ الزمان، تر: الأب إسحاق أرملة، تقديم: الأب جان موريس فييه، دار المشرق، بيروت، 1991م، ص279.

2 ابن العبري، المصدر نفسه، ص ص279، 280.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص728.؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج22، ص314.؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج9، ص532.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص673.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص675.

6 مثال ذلك، تعلَّم ابن أبي أُصَيْبِعَة على يد موفّق الدّين يعقوب بن سُقْلاب، وهو طبيبٌ نصراني. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص697.

7 رشيدُ الدّين أبو حليقة النصراني، درس على يد الطّبيب المسلم مهذّب الدّين الدّخوار، وعلى الرّغم من ذلك لم يمنعْ من شتمِ وسبِّ ابن العبري له من أنّه أوْصى بعدم تعليم غير المسلمين في مدرسته. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص590.

8 ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص136.

_ المدرسة الدُّنيسريّة[1]:

تُنْسَبُ إلى الطّبيب عماد الدِّين، أبي عبد الله، محمد بن القاضي، الخطيب تقيّ الدِّين، عبَّاس بن أحْمَد بن عبيد الربعي الدُّنَيْسَرِي(ت686هـ/ 1287م)[2]، تأسّست بدمشق غَرْبَي باب البَيْمَارِسْتان النُّورِي[3]، ولم يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة هذه المدرسة على الرّغم من مكانة الدُّنيسَري لديه وعلاقته به، حيث اجتمع به في دمشق سنة(667هـ/1269م)، ووصفه بأحسن الأوصاف[4]، ممّا يدلّ على معرفته به تمام المعرفة؛ بل وإعجابه اللّامتناهي بشخص الدُّنَيْسَرِي، ونجده يذكر رحلاته، وأماكن خدمته واشتغاله: "سافر من دُنَيْسَر إلى الدّيّار المصريّة، ثمّ رجع إلى الشّام وأقام بدمشق، وخدم الآدُر النّاصِريّة اليُوسفيّة بقلعة دمشق، ثمّ خدم في البَيْمَارِسْتان الكبير النُّوري بدمشق"[5]، إلّا أنّه لم يذكر من خلال تلك التّرجمة أنّه قد بنى مدرسة لتَعليم الطّب، وهذا يشير إلى أنّ بناءها كان بعد وفاة ابن أبي أُصَيْبِعَة، وقد استمرّ نشاط هذه المدرسة بعد وفاة مؤسّسها تَعليمًا، وحتّى مداواةً للمرضى على ما وصفها المؤرّخ الصّفدي من خلال إحدى تراجمه[6].

– المدرسة اللَّبُوديّة النّجْميّة:

تُنْسَبُ المدرسَة إلى الصّاحب نجم الدِّين بن اللَّبودي(ت670هـ/ 1272م)، تلميذ مهذّب الدِّين، عبد الرّحيم بن عَليّ الدَّخْوَار الّذي تميّز في الصناعة الطّبّيّة والعلوم الحكميّة واقتدى بشيخه في تأسيسها، وعُرفت ب"المدرسة اللَّبُوديّة النّجميّة"، وهي الأخرى لم يُورد لنا عنها ابن أبي أُصَيْبِعَة أيّ خبرٍ أثناء ترجمته لصاحبها، على الرغم من معاصرته له، فالفرق بين وفاتهما سنتين فقط، حيث ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة صِباه... مولدُه بحلب سنة(607هـ/1211م)، ولما وصل أبوه إلى دمشق كان معه وهو صبيٌّ

---

[1] ابن بدران (عبد القادر بنُ أحمد بنُ مصطفى بنُ عبد الرحيم بن محمد ت 1346 هـ)، منادَمة الأَطْلال ومُسامَرة الخَيال، تح: زُهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص255.؛ النُعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص104.؛ محمد كرد علي، خطط الشّام، ج6، ص101.؛ مجموعة من المؤلّفين، مدوّنة أحكام الوقف الفقهيّة، ج1، ص87.

[2] عِماد الدّين، أبو عبد الله، محمد بن القاضي الخطيب، تقِيُ الدّين عباس، ابن أحمد بنُ عُبيد الرُّبْعي، مولده بمدينة دُنَيسر، في سنة (605هـ/1209م)، ونشأ بها، وكان طبيبًا بارعًا، له العديد من المؤلّفات؛ منها المقالة المرْشِدة في درْج الأدويّة المفردة، كتاب نُظُم الترياق الفاروق، كتاب في المثروديطوس، كتاب في تقدِمة المعرفة لأبُقراط ... أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص761-767.

[3] النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص104.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص761.

[5] نفسه.

[6] الصّفدي، أعيانُ العَصْر وأعوان النَصْر، تح، علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، (1418هـ/1998م)، ج5، ص181.؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص 201.

وكانت النَّجابة تتبيّن فيه من الصِّغر وعلُوّ الهمّة وقرأ على الشيخ الحكيم مهذّب الدِّين عبد الرحيم بن عَليّ، واشتغل عَليه بصناعة الطّب، واشتغل بعد ذلك وتميّز في العلوم حتّى صار أوحد زمانه وفريد أوانه، كما ذكر خدمته للملوك وتولّيّته للوزارة، وذكر رحلته إلى الدّيّار المصريّة، ثمّ العودة إلى الشَّام ... وذكر التقاءه به، وبسط بعضًا ممَّا أسْمَعه من شعره... لكن لم أجد له ذكرًا لهذه المدرسة أو ما يُشير إليها[1].

ويبقى الدلي في ذلك ما ذكره المؤرّخ النُّعَيْمي: "مدرسةٌ خارج البلد، مُلاصِقةٌ لبستان الفلك المشيري[2]، أنشأها نجم الدِّين، يحيي بنُ محمد بنُ اللّبودي في سنة أربع وستين وستّمائة"[3]؛ أي، قبل وفاة ابن أبي أُصَيْبِعَة بأربع سنوات، كما أوْرد كلامًا عن الأَسْدي عن ابن أبي أُصَيْبِعَة عن هذه المدرسة وهو ما لم أجده في هذا الكتاب، يقول: "... قال ابن أبي أُصَيْبِعَة في سنة سبعين: نجمُ الدِّين، يحيى بنُ محمّد بنُ عبد الوَاحد بن اللَّبُودِي واقف اللَّبُودِيّة[4] الّتي عند حمَّام الفلك المبرز على الأطبّاء، ولديه فضيلة بمعرفة الطّب وقد وُلِّيَّ نَظَرَ الدّواوين بدمشق، مات ودُفن بتربته عند اللّبوديّة"[5]، والملاحَظ هنا أنّ تاريخ وفاة ابن أبي أُصَيْبِعَة كان قبل سنة السّبعين، ولم أجد أحدًا يقول غير ذلك.

– المدرسة المسْتَنْصِريّة:

تُنْسَب المدرسة إلى الخليفة المُستنصر بالله(ت640هـ/1242م)[6] الّذي اشترط مجموعةً من الشّروط أهمّها، أن يُرتَّب بها طبيبٌ مسلمٌ يتميّز بالحَذْق، وعَشَرَةُ أنْفُسٍ من المسلمين يشتغلون بعلم الطّب عَليه، بسبب سيطرة أهل الذّمّة على الطّب واستهدافهم الثّراء[7]، على الرّغم من أنّها اهتمّت بشكلٍ جانبي

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 663.؛ ابن بدران، منادمة الأطلال ومسامَرة الخيال، ص258.

[2] ربّما بسُتان الفلك المسيري، نسبةً إلى فَلَك الدّين، عبد الرحمن بن هِبة الله المسيري، وزير الملك العادل توفيّ سنة (643هـ/1246م). ابن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7، ص383 .؛ ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص139.

[3] النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص106.

[4] العديد من المؤرّخين ذكروا بأنّ اللّبوديّة، نسبةً إلى نجم الدّين، يحيي بن محمد بن اللّبودي، ولم يتخذوا ابن أبي أُصَيْبِعَة مصدَرًا لهم، كما فعل النّعيمي. أنظر، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص305.؛ بدر الدّين العيني (ت855هـ)، عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان–عصر سلاطين المماليك–، ج2، ص98.

[5] النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص107.؛ وقد يكون الكلام لابن كثير، حيث أَدْرج نفس الكلام، مع اختلافٍ في كلمة المبرز بالمبرّز. أنظر، ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 305.

[6] وهو السادس والثلاثون من خلفاء بنى العبّاس، أبو جعفر، منصور بنُ أمير المؤمنين الظاهر بالله، محمد بنُ الناصر أحمد، بويع له بالخلافة يوم مات أبوه، بايعته الخاصّة والعامّة، من أهل الحَلِ والعقد، وكان يومًا مشهودًا، وكان عمره يومئذ خمسًا وثلاثين سنة، وسار في الناس كسِيرة أبيه الظاهر في الجودة وحسن السيرة والإحسان إلى الرعيّة، وبنى المدرسة المستنصريّة التي لم يُبْن مدرسة مثلها في الدنيا. أنظر، العيني، المصدر السابق، تح: محمود رزق محمود، ج4، ص ص134، 135.

[7] معروف ناجي، تاريخ علماء المستنصريّة، ط1، مطبعة العاني، بغداد، (1379هـ/ 1959م)، ص244.

بتَعليم الطّب وتأسّست في القرن السّابع؛ إلّا أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يذكرها؛ بل ولم يشر إليها، وأردُّ ذلك لكونها برزت في بغداد، وكانت جامعة لعلوم مختلفة[1]، وإنّما الطّب كان حظّه منها كحظِّ باقي العلوم، وكانت عبارة عن إيوانٍ يجلس فيه الطّبيب ويقوم بإلقاء درْسِه الطّبي[2]، وكان من شروطها، أن يُوصَل لمتعلِّمي الطّب مثلما يُقدَّم لأصحاب بقيّة العلوم، وأن يكون الطّبيب يطِبُ مَن يعرض له مرضٌ من أرباب هذا الوقْف، ويُعطي المريض ما يُوصَف له من أدويّة وأشربة وغير ذلك[3].

ـــ بابُ دار السّلطان:

ذُكر بابُ دار السّلطان عند ابن أبي أُصَيْبِعَة في ثلاثة مواضع[4]، حيث أحالنا إلى أنّ هذا المكان عبارة عن مجلسٍ مخصّصٍ للأطبّاء عند باب السّلطان[5]؛ إذ كانت تجري فيه بين الطّبيب موفّق الدِّين بن سقْلَاب وعبد الرّحيم بن عَليّ الدَّخوار مباحثات في كُتب الطّب، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة: "..وكان في أوقات كثيرة لما أقام بدمشق يجتمع هو والشّيخ مهذّب الدِّين عبد الرّحيم بن عَليّ في الموضع الّذي يجلس فيه الأطبّاء عند دار السُّلطان، ويتباحثان في أشياء من الطّب، فكان الشّيخ مهذّب الدِّين أفصح عبارةً، وأقوى براعةً، وأحسن بحثًا، وكان الحكيم يعقوب أكثر سكينةً، وأبين قولًا، وأوسع نقلًا، لأنه كان بمنزلة التّرجمان المستحضِر لما ذكره جالينوس في سائر كتبه من صناعة الطّب..." [6]، وفي هذا النّص إشارةٌ إلى أنّه قد دار بين هذين الطّبيبين مناظرة علميّة جادّة أظهرا فيها قدرتهما العلميّة وحُسْنَ استظهارهما وفهمِهما

---

[1]من شروطها؛ أن يكون عِدّةُ الفقهاء مائتين وثمانية وأربعين متفقِّهًا، وفي الحديث يُوضَع فيها شيخٌ عالي الإسناد، وقارئان، وعشرة أنفس يشتغلون بعلم الحديث النبوي، وفي القرآن ثلاثون صبيًا يتيمًا يتلقَّنون القرآن المجيد مِن مُقْرىءٍ مُتقِنٍ صالح، وحظّ الطِّب منها أن يُرتَّب بها طبيبٌ حاذقٌ مسلم، وعشرة أنفس من المسلمين يشتغلون بعلم الطِّب. أنظر، ابن الفوطي (كمال الدّين، أبو الفضل، عبد الرزاق بنُ أحمد بنُ محمد الصابوني ت723هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تح: مهدي النّجم، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1424هـ/ 2003م)، ص61.

[2] مريزن سعيد مريزن عسيري، تعليم الطبّ في المشرق الإسلامي نُظُمُه ومناهجه حتّى نهاية القرن السابع الهجري، مركز بحوث الدراسات الإسلاميّة، مكّة المكرّمة، 1412هـ، ص59.

[3] ابن الفوطي، المصدر السابق، ص61.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 600، 655، 698.

[5] وقد يكون هو نفسُه باب دار الخليفة الّذي ذكره القلقشندي:" الصنف الثالث من أرباب الوظائف أصحاب الوظائف الصناعيّة؛ وأعظمها وظائف الأطباء، وكان للخليفة طبيبٌ يُعرف بطبيبِ الخاصّ، يجلس على باب دار الخليفة كلّ يوم، ويجلس على الدَّكة التي بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب، بالقصر دونه أربعة أطباء أو ثلاثة فيخرجُ الأستاذون فيَستدْعُون منهم مَن يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهاتِ الأقارب والخواص فيكتُب لهم رِقاعًا على خزانة الشراب فيأخذون ما فيها، وتبقى الرقاع عند مُباشريها شاهدًا لهم، ولكلٍّ منهم الجاري والراتب على قَدْره. أنظر، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص 569.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص698.

لكتب الطّب، وفي النّص الآخر يقول عن الطّبيب ابن المطران أنّه كان يخرج من داره وفي كمّه كتابٌ في الطّب ليقرأه في هذا المكان: "فكان أبدًا لا يفارق كُمُّه مجلّد يُطالعه على باب السّلطان أو أين اتّجه"[1].

والملاحَظ أنّ هذا المكان كان مُلتقًى عِلميًا طبيًا لخيرة الأطبّاء وكُبَرائهم، وكان يؤدّي دورًا مهمًا في حركة التَعليم الطّبي في بلاد الشّام، ومُهمّته تبدو في كونْه لم يكن لتَعليم الطّلبة وإنّما لقراءة الكُتب وللمناظرات ولقاءات الأطبّاء [2]، وأنّ مدارس الطّب الثّلاث الأولى هي من إنشاء أطبّاء مارسوا مهنة الطّب وقاموا بتدريسه؛ بل كانوا من المشتهرين فيه في هذا العصر، وهي خطوة حضاريّة متقدّمة، حيث يسعى هؤلاء الأطبّاء إلى إنشاء مدارس مستقلّة لتَدريس الطّب دون غيره من العُلوم، وهو مُستوى عالٍ من الوَعي العلمي بأهمّيّة هذه المنْشأَة العلميّة، باستثناء المدرسة المُستنصريّة الّتي تُنْسَب إلى المُستنصر بالله العبّاسي الّتي لم تختص بالطّب وحده؛ بل كانت جامعة لعلومٍ شتّى، وكانت هذه المدارس تُعْنَى بالجانب النّظري فقط، ولذلك فإنّ الجانب العلميّ التّطبيقيّ في هذه الصّناعة كان مطلوبًا ومفروضًا، لهذا نجد طلّاب الطّب كانوا يتجّهون بعد ذلك إلى الدّراسة التّطبيقيّة بالبَيْمَارِسْتانات.

3- نماذج من أماكن تَعليم الطّب التّطبيقيّة (البَيْمَارِسْتانات):

أدَّت البَيْمَارِسْتانات الإسلاميَّة عبر تاريخها دورًا مهمًّا في التَّعليم الطِّبي، فهي لم تكن مخصَّصة فقط لاستقبال المرضى وتطبيبهم وتقديم الخدمات لهم؛ بل جعلت ضِمنها أماكن مخصّصة لإلقاء المحاضرات والدّروس النّظريّة الطّبية لتلامذة الطّب، وممّا يزيد ترسيخهم لهذه المعارف النّظريّة هو ملازمتهم أساتذتهم أثناء زياراتهم للمرضى بالبَيْمَارِسْتان للتدرّب وتلَقّي العلوم الطّبيّة في جانبها التّطبيقيّ[3]، وحدِّدُ لنا ابن أبي أُصَيْبِعَة نشأة البَيْمَارِسْتانات في تاريخ الطّب،ذاكرًا بأنّ أوّل مَنْ أوْجد البَيْمَارِسْتان واخترعه هو أَبُقْرَاط، وذلك أنّه عمِل بالقُرب من داره في موضعٍ من بُستانٍ كان له موضعًا مفرَدًا للمرضى، وجعل فيه خدَمًا يقومون بمداواتهم، وسمّاه "أَخْسَنْدُوكيْن"؛ أي، "مُجَمَّع المرضى"، وهو نفس المعنى للفظة "البَيْمَارِسْتان" الفارسيّة، وذلك أنّ "البَيْمَار" بالفارسي هو "المرْضَى"، و "سْتَان" هو،"المَوْضِع"؛ أي، "مَوْضِع المرْضَى"[4].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص655.

[2] ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص140.

[3] مريزن سعيد مريزن عسيري، تعليم الطِّب في المشرق الإسلامي، ص61.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص47.؛ ابنُ خليل بنُ شاهين الحنفي (عبد الباسط، زينُ الدّين. ت920هـ)، الرَوْضُ الباسم في حوادث العمر والتراجم، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، (1435هـ/ 2014م)، ج4، ص264.

وتعدُّ خيمة الصّحابيّة رُفَيدَة بنت سَعد الأَسْلميَة بمثابة أوّل بَيْمَارِسْتان في الإسلام[1]، ضُربت من أجل العناية بالمرضى؛ إذ أمرها رسول الله ﷺ بالإقامة في المسجد النّبوي أثناء غزوة الخندق لتداوي الجرحى في المعركة، وهذه الخيمات الّتي تُعْنى بالجرحى والمرضى أثناء الحروب هي نوعٌ من أنواع البَيْمَارِسْتانات الإسلاميّة، أمَّا في العَصر الأُمَوي فيُذْكَر أنَّ أوَّل من بنى البَيْمَارِسْتان في الإسلام ودار المرضى، هو الوَليد بنُ عبد الملك[2] الخليفة الأُمَوي (ت96هـ/714م) في سنة (88هـ/706م)[3]، وجَعَل في البَيْمَارِسْتان الأطبّاء وأَجْرى لهم الأرزاق[4]، وأمَر بحبْس المجذومين[5] لئلّا يخرجوا، وأجرى عَليهم وعلى العميان الأرزاق[6]، وقد خُصّص بالدّرجة الأولى لمعالجة مرضى الجُذَام[7]، وعلى الرّغم من النَّشأة المبكِّرَة للبَيْمَارِسْتان عند المسلمين، إلّا أنّه لم ينتشر ولم يظهر بصورته الحقيقيّة كبَيْمَارِسْتان له أقسامه وتخصّصاته إلّا مع بداية القرن (3هـ/9م)، حيث تنافس الخُلفاء والأمراء والأعيان على بنائها، و تعدّدت أنواع البَيْمَارِسْتانات ومُسَمّيَاتها بتعدّد خدَماتها وطُرق إنشائها، والغرض من بنائها، فمنها: البَيْمَارِسْتانات الثّابتة، والبَيْمَارِسْتانات المحْمُولة[8].

–البَيْمَارِسْتانُ المحمول: يتمّ نقْله من مكان إلى آخر، بحسب ظُروف الأمراض والأوبئة وانتشارها، وعند الحروب، يُجَهّز بجميع ما يلزم للمرضى والمداواة، من حيث الأدوات والأدويّة والطّعام والشراب واللّباس، ويكون فيه عددٌ من الأطبّاء والصّيادلة، وكلّ ما يُعين لتوفير ما يجب للعجَزة والمسجونين، ويحتاج إلى مثله في الأماكن الخالية من البَيْمَارِسْتانات الثّابتة أو عندما يظهر في مكان معيّن وباء أو مرض مُعْدٍ[9]، وقد

---

[1] أحمد عِيسى (ت 1365هـ/1946م)، تاريخ البَيْمَرِسْتَانات في الإسلام، ص9؛ النويري، شهاب الدّين، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج17، ص191.

[2] الوليد بن عبد الملك، المكنّى بأبي العباس، السّادس من خلفاء بني أميّة، وليّ الخلافة بعد أبيه سنة (86هـ/ 705م)، وفي سنة(88هـ/707م) كان فتح "الطّوانة" –من أرض الروم–فتحها "مَسْلَمَة" أخوه، وفيها بنى مسجد "دمشق"، واستعمل الوليد عمر بن عبد العزيز على المدينة سبع سنين، وخمسة أشهر، توفيّ الوليد في النصف من جمادى الآخرة سنة(96هـ/715م)، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، ودُفن بها. وكانت مدّة تسع سنين وثمانيّة أشهر. أنظر، ابن قُتيبة الدّينوري، المعارف، ج1، ص359.؛ الطّبري، تاريخ الطِّبري، ج6، ص423.؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ج1، ص274.

[3] ابن الدَواداري، كنزُ الدُّرَر وجامع الغُرَر، تح: بيرند راتكه، ج1، ص389.؛ القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري. ت821هـ)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عبد السّتّار أحمد فراج، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1985م، ج1، ص133.

[4] الأرزاق، مفردها "رِزْقٌ" وهي، ما يُنْتَفَعُ به، وهو أيضًا "العَطاء". أنظر، زين الدّين الرازي (أبو عبد الله، محمد بنُ أبي بكر ت 666هـ)، مختار الصِّحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصريّة – الدار النموذجيّة، بيروت – صيدا، (1420هـ/1999م)، ص121.

[5] الكلام عن الأمراض، تعريفها، وعلاجاتها، يأتي لاحقا في الفصل الخامس.

[6] أحمد عِيسى، تاريخ البَيْمَرِسْتَانات في الإسلام، ص10.

[7] راغب السرجاني، قصّة العلوم الطِّبية، ص77.

[8] أحمد عِيسى، المرجع السابق، ص10.

[9] أحمد عِيسى، المرجع نفسه، ص11.

أحالنا ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى بعض الحالات الّتي استوجب فيها وضع مثلِها، مثل ذلك ما قام به الطّبيب سِنَانُ بنُ ثَابِت(ت331هـ/942م) بعد أن وَصَله توقيع مفاده ضرورة النّظر في أمر مَنْ في الحَبوس، حين وقّع له الوزير عَليّ بن عيسى بن الجراح (335هـ/946م)[1] في سنةٍ كَثُرَت فيها الأمراض توقيعًا يقول فيه: "فَكِّرْ مَدّ الله في عُمرك في أمْر مَن في الحَبُوس، وأنّه لا يخلو مع كثرة عددهم، وجَفاء أماكنهم أن تصيبهم الأمراض وهم مَعُوَّقُون عن التّصرّف في منافعهم، ولقاء مَن يشاورونه من الأطبّاء فيمَا يُعْرض لهم، فينبغي أن تُفْرِد لهم أطبّاء يدخلون إليهم في كلّ يوم، وتحمل إليهم الأدويّة والأشربة، ويطوفون في سائر الحَبُوس ويعالجون فيها المرضى ويُزيحون علّلهم فيما يحتاجون إليه من الأدويّة والأشربة، ويتقدّم بأن تُقام لهم المزُورَات لمن يحتاج إليها منهم..."[2].

وممّا يجب قوله هنا أنّ هذه الأَمْرِية بتجهيز بَيْمَارِسْتان محمولٍ به كلّ المستلزمات كان الهدف الرّئيسي منها هو معالجة المرضى ومكافحة الأوبئة كأمرٍ طارئ، ولهذا قد لا يكون هناك سبيلٌ إلى عقد جلسات وحلْقاتٍ تَعليميّة، على عكس بعض البَيْمَارِسْتانات المحمولة الّتي تتّبع الجيش، أين يتّم تتلْمُذ بعض الأطبّاء على أطبّاءٍ آخرين كانوا في الخِدمة، كما وصل إليه توقيعٌ آخر، حسب ابن ابي أُصَيْبِعَة ورد فيه: "فكّرتُ فيمن في السّواد من أهله، فإنّه لا يخلو أن يكون فيه مرضى، لا يشرف عَليهم متطبّبٌ لخلُوِّ السّواد من الأطبّاء، فتُقدِّم -مَدّ الله في عُمْرك- بإنفاذ متطبّبين وخِزانة للأدْويّة والأشْربة يطوفون في السَّواد، ويُقيمون في كلّ صَقْعٍ منه مدّةً ما تَدْعُو الحاجة إليه، ويعالجون مَنْ فيه من المرضى، ثمَّ ينتقلون إلى غيره"[3].

ويَبدُو أنّ الأمراض والأوبئة قد تفشّت بقوّة في هذا العصر، حتّى أنَّ خدمات الأطبّاء لم تحْوِ جميع المرضى، فكان يتمّ تقديم الخدمات الطّبيّة للمُسلمين قبل أهل الذّمة، ومن ثمَّ النَّظر في مرض الحيوانات؛ فقد أورد سِنَان بنُ ثَابِت توقيعًا لأصحابه يقرُّ بذلك:" ... وليس بيننا خلافٌ في أنّ معالجة أهل الذّمة والبهائم صوابٌ، ولكن الّذي يجب تقديمُه والعمل به معالجة النّاس قبل البهائم، والمسلمين قبل أهل الذّمّة، فإذا أفضلَ عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صُرِفَ في الطّبقة التي بَعدهم..."[4]، ومن أمثلة البَيْمَارِسْتانات المحمولة، تلك الّتي ترافق الجيوش في حالة السّلم والحرب، وتكون مزوّدة بالأطبّاء والخدم، وفيها كلّ ما

---

[1] ابن الجرّاح (أبو الحسن، عليُّ بنُ الحسن(245 -335هـ/859 -946 م)، المعرُوف بابن الجرَّاح، كان وزيرًا للخليفة العبّاسي المقتدر بالله مرّتين، ووزَر للخليفة القاهر بالله، كان عليٌّ زاهدًا متواضعًا، حافظًا للقرآن، عالما بمعانيه وإعرابه، وله في ذلك تأليف، وقد حمل عن أبيه الحديث، وله بلاغات لا تُعرَفُ لغيره من الكتاب، وُلِّيَ الوزارة سنة(302هـ/915م)، ولم يكن يهوى ذلك؛ بل كان يُحبُ الاعتزال، ويقول: "ما كنتُ أحتسبُ بمَقامي في هذا الأمر إلّا أنّي مجاهدٌ في سبيل الله، خوفًا من فتنةٍ لا تُبْقي ولا تَذَرْ. أنظر، ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص186.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص301.

[3] نفسه.

[4] نفسه.

يحتاجون إليه من الأدويّة ووسائل العلاج، وذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أسماء أطبّاءٍ كانوا يتنقّلون مع الملوك والأمراء؛ كالطّبيب سَعِيد بنُ تُوفِيل(ت279هـ/ 892م) الّذي كان في خدمة أحمد بن طُولُون (ت270هـ/ 884م)، وكان يَصحَبه في السّفَر والحضر(1).

وكان الطّبيب موفّق الدِّين بن المطْرَان من أشهر مَنْ خَدَم في الجيش الصَّلَاحي، لا يُفارق صلاح الدِّين، يوسف بنُ أيّوب في حُروبه وغزواته ضدّ الفِرنج، وكانت له خيمة حمراء تُشبه خيمة السّلطان صلاح الدِّين، فكان السّلطان يَعْجَب منه ولا يُنكر عَليه ذلك لمكانته عنده(2)،ويذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ الوزير صفيّ الدِّين بن شُكْر(622هـ /1225 م)(3) اختار الطّبيب مهذّب الدِّين، ابن الدَّخوار ليكون طبيبًا في معسكر الملك العادل رُفْقة موفّق الدِّين، عبد الْعَزِيز بن عبد الْجَبَّار بن أبي مُحَمَّد السّلمِيّ (ت 604هـ/ 120م) الّذي كان قبله في الخدمة العَسْكريّة، لكن الوزير صفيّ الدِّين بنُ شُكر لم يجعل له من الرّواتب كما لموفّق الدِّين عبدالعزيز، الذي كان يأخذ مائة دينار ناصريّة، وقد جعل للدَّخْوَار ثلاثين دينارًا ناصريّة، فرفض الدَّخْوَار ذلك إلّا أنّ يجعلوا له مثله، فلمّا تُوفيّ الموفّق عبد العزيز استدعاه الوزير مرّةً أخرى وأعطاه ما كان للموفّق من الجِراية والرّواتب (4).

ويؤكّد ذلك ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّه قرأ الطّب على يد عبد الرّحيم الدّخْوار وهو في المعسكر السّلطاني، يقول:"فكنتُ أشتغل عَليه في المعسكر لما كان أبي والحكيم مهذّب الدِّين في خدمة السُّلطان الكبير، فبقيتُ أتردّدُ إليه مع الجماعة وشرعتُ في قراءة كتب جَالينوس، وكان خبيرًا بكلِّ ما يُقرأ عَليه من كُتب جَالينوس وغيرها"(5)، كما عَمل في البَيْمَارِسْتان العسكري أيّام السُّلطان المعظّم عِيسَى الطّبيب موفَّق الدِّين يَعقُوب بن سِقْلاب، قَرَأَ عَليها بن أبي أُصَيْبِعَة شيئًا من كلام أَبُقْرَاط وغيره وهما في المعسكر المعظّمي: "وممّا شاهدتُه في ذلك مِنْ أمره أنّني كُنتُ أقرأ عَليه في أوائل اشتغالي بصناعة الطّب ونحن في المعسكر المعظَّمي، وكان أبي أيضًا في ذلك الوقت في خدمة الملك المُعظّم -رحمه الله- شيئًا من كلام

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص541.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 652.

3 عبد الله بنُ علي بنُ الحسين، أبو محمد، صفِيّ الدّين الشيْبِي الدميري، المعروف ب"الصاحب .ابن شُكْر؛ وزيرٌ مصري، من الدُهاة، ولد في دَميرة البحريّة، واتّصل بالملك العادل أبي بكر بن أيوب، فولّاه مباشرةً ديوانه سنة(587هـ/1192م)، ثمّ استوزره، فكان عنيفًا مستبدًّا، ممّا أدّى إلى عزله، قبل أن يعيده الكامل محمد، كان فقيهًا، ومصنِّفًا في المذهب المالكي، وكان يحبُّ أهل العلم ومجالسَتهم ومُباحَثتهم، بنى مصلّى العيد بدمشق، وبَلّطَ الجامع الأُموي، وعمَّر الفَوّارة، وعمَّر جامع المزَّة، وجامع حرِسْتا، وُصف بأنّه كان حُلْو اللّسان، هيئته حسنة، ودهاؤُه مُفْرَط، كثير الانتقام. أنظر، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص193.؛ النويري، نهاية الأرب، ج29، ص76.؛ الزّرِكْلِي، الأعلام، ج4، ص ص105، 106.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص729.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص731.

أَبُقْرَاط حِفظًا واستشراحًا"[1]، والملاحَظ من النّصين السّابقين أنّ والد ابن أبي أُصَيْبِعَة كان موجودًا في المُعَسْكَرين، ممّا قد يحيلنا إلى اختصاصه بخدمة الجيش في الطّب، ويبدو أنّه كان يأخذ وَلده معه في كلّ مرّة، وكان يستغلّ معارفَه وصُحبته من الأطبّاء لتَعليم ولده.

ومن الأطبّاء مَنْ كان يأْبَى الخُروج والعمل في البَيْمَارِسْتان الخاص بالجّيش، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة عن الطّبيب رضيّ الدِّين الرَّحْبِي: "وكان صلاحُ الدِّين قد طلبه للخدمة في السّفر فلم يفعل، ولمّا تُوفيّ صلاح الدِّين -رحمه الله- بدمشق سنة(589هـ/1194م)، وانتقل المُلْكُ عن أولاده إلى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيّوب، واستولى على البلاد، أمر بأن يكون في خدمته في الصّحبة، فلم يجب إلى ذلك، وطلب أن يكون مقيمًا بدمشق، فأطلق له الملك العادل ما كان مُقَرّرًا باسمه في أيّام صلاح الدِّين وأن يبقى مستمرًّا على ما هو عَليه"[2]، أمّا الطّبيب عِمْرَان الإسرَائيلِي فلم يكن مع أحدٍ من الملوك في صحبته رغم طلبهم له وحِرصهم عَليه [3]، والطّبيب كمال الدِّين الحِمْصي آثَر العمل في البَيْمَارِسْتان الكبير على حساب الصُّحبة والسّفر، وبذلك رفض طلبًا للملك العَادل أَبي بَكر بن أَيُّوب[4].

– **البَيْمَارِسْتان الثّابت:** وهو الّذي يُشَيَّدُ في مكانٍ مُعيّن كمؤسّسة عُمرانيّة متعدّدة المرافق، وهذا النّوع من البَيْمَارِسْتانات كان كثير الوجود في البلدان الإسلاميّة، لاسيّما في العواصم الكبرى كالقاهرة وبغداد ودمشق...[5]، ولهذا سآتي على ذِكر مختصرٍ لأشهرها دون التّفصيل فيها:

أ– البَيْمَارِسْتان العَضُدِي:

عرفت بغداد عديد البَيْمَارِسْتانات قبل اشتهار البَيْمَارِسْتان العَضُدي، على غرار بَيْمَارِسْتان أبي الحسن، عَليّ بن عيسى الجرّاح بالحربيّة[6] وبَيْمَارِسْتان بدْر، غُلام المعتضد[7]، وبَيْمَارِسْتان السّيّدَة أمّ

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص698.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص673.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص696 ،697.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص682.

[5] أحمد عيسى، تاريخ البَيْمَرِسْتَانات في الإسلام، ص10.

[6] قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "أنّ أبا الحسن، علي بن عيسى الوزير في سنة اثنتين وثلاثمائة اتخذ البَيْمَارِسْتَان بالحربيّة، وأنفق عليه من ماله، وقلّده أبا عثمان سعيد بنُ يعقوب الدّمشقي متطبّبه، مع سائر البَيْمَارِسْتَانات ببغداد ومكّة والمدينة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص316.

[7] ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة؛ أنّ هذا البَيْمَارِسْتَان كان يعاني من نُقصٍ في النّفقة وقلّة في تجهيزه بما يَلْزم، واشتكى سِنان بنُ ثابت ذلك للوزير علي بن عيسى بن الجرّاح، فأرسل الوزير توقيعًا فيه يُوَبِّخه ويُحَمِّله المسؤوليّة: "لابدّ من تعديل الحال فيه بين أن تأخذ منه وتجعل للبَيْمَارِسْتَان قِسطًا؛ بل هو أحقُّ بالتقديم على غيره لضُعف مَن يلجأ إليه وعظيم النَفْع به، فعَرِّفْني أكرمَك الله ما النُكْتة في قصور المال ونُقصانه في تخلُّف نفقة البَيْمَارِسْتَان هذه الشهور المتتابِعة، وفي هذا الوقت خاصّةً مع الشتاء واشتداد البرد، فاحْتَلْ بكلّ حيلةٍ لِما يُطْلق لهم، ويُعجّل، حتّى يُدْفَأ مَن في البَيْمَرِسْتَان من المرضى

المقْتدر، بسُوق يحيَ[1]، وبَيْمَارِسْتان ابن الفُرات[2]، على الرّغم من مَحْدوديّة شُهرة هذه البَيْمَارِسْتانات وعدم ذَياع صَيْتِها، إلّا أنّها كانت تؤدّي دوْرَها في الطّب، أَنشَأ البَيْمَارِسْتان العَضُدِي، عَضُد الدَّولة بنُ بُوَيه(324-372هـ/936-983م) في الجَانب الغَربي من بَغداد في سنة(367هـ/978م)[3]، وجعل فيه الأطبّاء والخَدم والوُكلاء والخزّان، ونَقل إليه من الأدويّة والأشربة والعقاقير شيءًا كثيرًا ومن كلّ ما يحتاجه إليه[4]، وقيل: أنّ الرّازي كان من بين الفاعلين في هذا البَيْمَارِسْتان[5]، والهدف من إنشائه إلى جانب مداواة المرضى هو تَعليم الطّب، قال عُبَيْد الله بنُ جِبْرائيل:" أنّه لما عمَّر عَضُد الدَّولة البَيْمَارِسْتان الجديد ... أمر الرّاتب منه أربَعة وعشرون طبيبًا، وكان من جملتهم أَبُو الْحسن، عَليّ بن إِبْرَاهِيم بن بُكْس(ق4هـ/ 10م) وكان دَأْبه أن يدرِّس فيه الطّب لأنّه كان محجوبًا"[6].

وشَمِلت قاعَاته تخصّصات الطّب المختلفة كالأمراض البَاطنيّة والجراحيّة والكَحَّالة والتّجبير وغيرها، ولكلِّ قِسمٍ من هذه الأقْسام مجموعة من الأطبّاء يُتقِنون فُروع الطّب المختلفة، يتناوبون العمل بينهم، ويقوم على كلّ طائفة منهم رئيسٌ لإدارتها وتفَقُّد أحوال المرضى، ويُعاوِن الأطبّاء مساعدون من ممرّضين

والممرورين بالدِّثار، والكسوة والفحم، ويُقام لهم القَوْتُ، ويتّصل لهم العلاج والخدمة، وأجِبْني بما يكون منك في ذلك، وأنْفِذْ لي عملًا يدلُّني على حُجَّتِك، وأعِنْ بأمْر البَيْمَارِسْتَان فضل عناية. إنْ شاء الله تعالى". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص301، 302.؛ وهذا الكلام فيه نظر، فالوزير يلوم القائم على البيمارستان، ويطلب تفسيرًا لسبب نقص النفقة والتّجهيز، ويُحمِّله مسؤوليّة ذلك، أين تكون مراقَبة الدّولة.

[1] افتُتح هذا البَيْمَارِسْتَان سنة(306هـ/919م)، من طرف سِنان بن ثابت، بناه على دِجلة، وجلس فيه، ورتّب المتطبّبين واستقبل المرضى، وخصّص له نفقة تصِلُه في كلِّ شهرٍ، قدَّرها ستّمائة دينار. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص302.

[2] تقلّده أبو الحسن، ثابت بنُ سنان بنُ ثابت بنُ قُرّة في سنة (313هـ/926م) بطلبٍ من الوزير الخاقاني. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص305.

[3] اختلف المؤرّخون في تحديد تاريخ افتتاح البَيْمَارِسْتَان العَضُدي، فابن خلّكان يذكر أنّه افتتح في سنة (368هـ/979م)، أمّا ابن الأثير يذكر افتتاحه في سنة (371هـ/982م)، في حين أنّ ابن الجَوزي يذكر أنّه أُفتتح في سنة (372هـ/983م)، إلّا أنّ كتاب الوافي بالوفيات، لمؤلِّفه الصفدي، ذكر حادثة قتْل الوزير ابنُ بقيّة التي وثَّقت تاريخ البَيْمَارِسْتَان، حيث أنّها كانت في سنة (367هـ/978م) بحضرة البَيْمَارِسْتَان العضُدي. أنظر، ابن خلّكان، المصدر السابق، ج4، ص54.؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص386.؛ ابن الجَوْزي، المنتظم، ج14، ص289.؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص98.

[4] أحمد عيسى، المرجع السابق، ص187.

[5] وقيل: أنّ الرازي كان من بين الفاعلين في بناء هذا البَيْمَارِسْتَان؛ إذ استشاره عضُد الدولة في المكان الّذي يجب أن يُبنى فيه، وأنّ الرازي أمر بعض الغلمان أن يعلِّق في كلِّ ناحيّة من جانبي بغداد شَقَّة لحم، ثمّ اعتبَر التي لم يتغيَّر، ولم يسهك فيها اللّحم بسرعة فأشار بأنْ يبني في تلك الناحيّة، وهو الموضع الذي بنيّ فيه البَيْمَارِسْتَان، ليجعله ساعُورًا للبَيْمَارِسْتَان، هذا ما أورده ابن أبي أُصَيْبِعَة، وهو ما لا يُقبل منطقيًا، حيث أنّ البَيْمَارِسْتَان تأسّس في سنة (367هـ/978م) كأقلّ تقديرٍ، والرّازي توفيّ قبل ذلك بكثير في سنة(313هـ/926م)، ولهذا نجد الرّازي يذكر أنّ هذا مستبعد لبُعد الرازي عن عضُد الدّولة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص415.

D Lucien Leclerc, op. cit, P 337, 338.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص415.

ومُشرفين وخَدم[1]، فكان في هذا البَيْمَارِسْتان جماعةٌ من الطّبائِعيّين والكَحَّالين والجرائحيّين والمجَبِرين[2]، استمرّ هذا البَيْمَارِسْتان يؤدّي خدماته لأَكثر من قَرنَين آخرين على الأقلّ، فقد ذكره الرّحَالة أبُو الحَسَن، محمّد بنُ أحمد بنُ جُبَير(ت614هـ/ 1217م) عند زيارته بغداد سنة (580هـ/1184م) ووَصفه بأنّه شبيه بالقصور، ويحتوي على عدّة أجنحة، تتفقّده الأطبّاء كلّ يوم إثنين وخميس، ويطالعون أحوال المرضى به، ويُرتّبون لهم أخْذَ ما يحتاجون إليه، وبين أيديهم قَوْمة يتناولون طبخ الأدويّة والأغذيّة، ويجلبُ ماءه من نهر دِجلة[3].

ومن الأطبّاء الّذين ذكرهم ابن أبي أُصَيْبِعَة، ممّن اشتغلوا في هذا البَيْمَارِسْتان، فقاموا بمداواة المرضى أو مَارسوا فيه مِهنة تَعليم الطّبّ، الطّبيب أبو الفَرج بنُ الطيّب(ت 435هـ/ 1043م)[4] الّذي كان يقْرَأ صناعَة الطِبّ في البَيْمَارِسْتان العَضُدي ويُعالج المرضى فيه[5]، والطّبيب إبراهيم بنُ بُكس الّذي كان يُدرِّس صناعَة الطّبّ في البَيْمَارِسْتان العَضُدي لما بناه عَضُد الدَّولَة[6]، وكان أبُو الحَسَن، سَعيد بنُ هِبة الله يتولَّى مُداواة المرضى في البَيْمَارِسْتان العَضُدِي، ويصف حاله ابن أبي أُصَيْبِعَة وهو في البَيْمَارِسْتان قائلًا:" وأنّه كان يومًا في البَيْمَارِسْتان وقد أتى إلى قاعة الممْرُورين، لتفقّد أحوالهم ومعالجتهم وإذا بامرأة قد أتت إليه واستفتَتْهُ فيما تُعالج به ولدًا لها، فقال ينبغي أن تُلازميه بتناول الأشياء المبرَّدة المرَطَّبة"[7]، أمّا سَعيدُ بنُ أَثَرْدِي فقد كان في أيّام المقْتفي بأمر الله[8] ساعُورُ البَيْمَارِسْتان العضُدي[9]، وقد تولّى هذا المنصب بهذا البَيْمَارِسْتان أيضًا الطّبيب أمين الدّولة بنُ التّلميذ[10].

---

1 راغب السرجاني، قصّة العلوم الطِّبّيّة، ص80.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص416.

3 ابن جُبير، رحلة ابن جبير، ص180.

4 أبو الفَرج، عبد الله بنُ الطيّب، كاتب الجاثْليق، من النصارى المتميّزين في الطِّب ببغداد، يُقْرِئُ صناعة الطِب في البَيْمَارِسْتَان العضُدي، ويعالج المرضى فيه، له مصنّفات كثيرة منها، ثمار كتب جالينوس؛ اختصر فيها الستّة عشر في مجلّد واحد، وشرْح فصول بُقراط، وشرح العِلّل والأَعراض، وغير ذلك، وكان ابن سينا يغضُّ منه ويتنقّصُه، ويلقّبه "عجوز النصارى؛ إذا تكلّم في الحكمة، وعليه قرأ ابن بُطلان الطِب، ولازَمه سنين عدّة. أنظر، كمال الدّين ابن العديم (عمر بنُ أحمد ت660هـ)، بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حَلَب، ج10، ص378.؛ ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص323.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص323.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص329.

7 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص 342، 343.

8 المقْتفي بأمر الله، أبُو عَبد الله، محمَّد بنُ المسْتَظهِر؛ الخليفة العبّاسي الحادي والثلاثون، وسبب لقبه بالمقتفي أنّه رأى النبي ﷺ في المنام، قبل خلافته، وهو يقول له: "إنّه سيصل إليك هذا الأمر فاقتفِ بي"، كانت خلافته 23 سنة، توفيّ سنة (555هـ/1111م). أنظر، الدَّميري (محمد بنُ موسى بنُ عيسى بنُ علي. ت808هـ)، حياة الحيوان الكبرى، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1424هـ، ج1، ص140.؛ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج2، ص35.؛ الجلال السّيوطي، تاريخ الخلفاء، ص310.

9 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص399.

10 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص353.

ب–البَيْمَارِسْتان النُّورِي الكبير[1]:

بناه السُّلطان نُور الدِّين، محمُود بنُ زِنكي (ت569هـ /1174 م)[2] سنة (549هـ/ 1155م) بدمشق، وعُرِف بالبَيْمَارِسْتان الكَبير[3]، ويَذْكر المؤرّخ أبُو شَامة قصّة بنائه، وهي أنّ نور الدِّين وقع في أسرِه بعض أكابر المُلوك من الفرنج، فقَطع على نَفسه في فدائه مالًا عَظيمًا، فشاوَر نُور الدِّين أُمراءه، فكلٌّ أشار بِعدم إطلاقه لما كان فيه من الضَّرر على المسلمين، ومالَ نُور الدِّين إلى الفِداء بعدما استخار الله تعالى فأطْلقه ليلًا لئلَّا يعلم أصحابه، وتسلَّم المال فلمّا بلغ الفرنجي مأمنه مات، وبلغ نور الدِّين خبره فأَعْلم أصحابه فتعجّبوا من لُطف الله تعالى بالمسلمين، حيث جمع لهم الحسنِيّين وهما الفداء وموت الفرنجي، فبنَى نور الدِّين بذلك المال هذا البَيْمَارِسْتان[4].

أسْند نُور الدِّين أمر إدارة البَيْمَارِسْتان، وتطبيب المرضى فيه لأبي المجد بن أبي الحكم عُبيد الله بن المظفّر بن عبد الله البَاهلي(ت 570هـ/ 1175م)[5]، حيث كان يتفقّد المرضى، وينظُر في أحوالهم وأمورهم، وبين يديه المشَارِفون، والقُوَّام لخدمة المرضى، وكان بعد القيام بواجبه نحو المرضى، وبعد تفقّده المرضى من كبار وأعيان الدولة بالقلعة، يأتي دوْرُ الطّلبة والمتعلِّمين عَليه، فيجلس في الإيوان الكبير الّذي للبَيْمَارِسْتان، وجميعُه مفروشٌ ويحضر جماعةً من الأطبّاء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه، ثمّ تجري

---

[1] يُطلِق عليه ابن أبي أُصَيْبِعَة كثيرًا البَيْمَارِسْتَان الكبير، تمييزًا له عن البَيْمَارِسْتَان الآخر الصغير. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 628، 636، 656، 659، 670، 676، 697، 728، 738، 739.

[2] نور الدّين محمود بنُ زِنكي، الملك العادل نُور الدّين، أبو القَاسم، محمُود بنُ الملك الأَتابِك، قسيمُ الدولة، عماد الدين، أبو سعيد زنكي الملقّب ب"الشهيد"، ابن الملك آقسُنْقُر الأتابك، ملك الشام وديّار الجزيرة ومصر ، ولد سنة(511هـ/1118م) بحلب، كان شجاعًا شهمًا، ذا همّة عاليّة، وقَصْدٍ صالح، وحُرمةٍ وافرة، وديانةٍ متينة، فلمّا قُتل أبوه سنة(401هـ/1011م)، وهو محاصِرٌ جَعْبر، كما ذكرنا، صار الملك بحلب إلى ابنه محمود هذا، وأعْطى أخوه سيف الدين غازي الموصل، ثمّ افتتح الملك نور الدين دمشق في سنة تسع وأربعين، فأحسن إلى أهلها، وبنى لهم المدارس والمساجد والرُبط، ووسَّعَ لهم الطرق والأسواق، وكانت وفاته بسبب حوانيق اعترته أيضًا، عجز الأطبّاء عن علاجها، وتوفيّ يوم الأربعاء في الحادي والعشرين من شوّال سنة تسعٍ وستّين، وذلك في قلعة دمشق. أنظر، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص343 وما بعدها.

[3] ربّما يكون هو البَيْمَارِسْتَان الحديث الذي قصده ابن جُبير عند وصفه مدينة دمشق: "وبها مارستانانٌ قديم وحديث، والحديث أحفلهما وأكبرهما، وجِرايته في اليوم نحو الخمسة عشر دينارًا، وله قَوْمة بأيديهم الأزمة المحتويّة على أسماء المرضى، وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدويّة والأغذيّة وغير ذلك، والأطباء يُبكِّرون إليه في كلّ يومٍ، ويتفقدون المرضى، ويأمرون بإعداد ما يُصْلحهم من الأدويّة والأغذيّة، حسبما يليق بكلّ إنسانٍ منهم، والمارستان الآخر على هذا الرسم، لكن الاحتفال في الجديد أكثر. أنظر، ابن جبير، المصدر السابق، ص230.

[4] أبو شَامة، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النُوريّة والصَلاحيّة، ج1، ص 46.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 628.؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص266.؛ سيجريد هونكه، المرجع السابق، ص ص159، 160.

مباحث طبيّة ويُقْرئ التلاميذ[1]، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظرٍ في الكتب مقدار ثلاث ساعات[2]، وكان نور الدِّين قد وقَّف على هذا البَيْمَارِسْتان جملة كتبٍ من الكُتب الطّبيّة[3].

وقد جَرت بعض الزّيادات في عمارته على يد الطَّبيب بدر الدِّين المظفّر بن قاضي بَعْلَبَك سنة (637هـ/1240م)،حيثُ قام بِعمل زِياداتٍ على مساحته الأولى، بعد تولّيه رِئاسة الأطبّاء والكَحَّالين والجَرائحيّين بالبَيْمَارِسْتان، فاشترى دُورًا كثيرةً ملاصقة للبَيْمَارِسْتان من ماله، وبَذل جُهدًا كبيرًا وأضافها إلى مرافِقه، فاتّسعت بها قاعات كانت صغيرة للمرضى، وبناها على أحسن ما يكون وشيَّدها، وجعل الماء فيها جاريًا فتَكمَّل بها البَيْمَارِسْتان[4] الذي استقطب مشاهير الأطبّاء فعمِلوا فيه مجتمعِين كلٌّ في تخصّصه، فعالجوا المرضَى وعلّموا فيه الطّبّ، وكان البَيْمَارِسْتان النَّورِي في هذه الفَترة هو المكان الأكبر والأكثر شهرةً في الشّام في عِلاج المرضى وتَعليم الطُّلاب مهنة الطّبّ نظريًا وعمليًا؛ إذ لم تبدأ المدارس الطّبّيّة المتخصِّصة في تَعليم الطّب في البلاد الشّاميّة إلّا في القَرن(7هـ/13م)، وتحديدًا بظهور المدرسة الدَّخْواريّة التي أسّسها أحد كبار أطبّاء البَيْمَارِسْتان النُوري عبد الرحيم بنُ عَليّ الدخوار.

وممّن ذكرهم ابن أبي أُصَيْبِعَة وقد اشتغلوا في هذا البَيْمَارِسْتان الأطبّاء، أبو الحسن على بن أبي عبد الله، عيسى بن هبة الله مهذّب الدِّين ابن النّقاش(ت574هـ/ 1179م)[5]، والطّبيب أبُو نَصر أَسْعد بنُ أَبِي الفَتح إلياس بن جُرْجُس، موفّق الدِّين بنُ المطْرَان(ت587هـ/1191م)[6]، وأَبُو الفَضْل محمَّد بنُ عبدُ الكَريم بنُ عَبد الرَّحمَن الحارثي المهَندس(ت599هـ/1201م)[7]، وموفّق الدِّين عبد العَزيز بنُ عَبد الجَبّار بنُ أَبِي محمّد السَلمي (ت604هـ/1208م)، وابنه أبُو إسحاق إبراهيم بنُ عَبد العزيز بن عبد

---

[1] قارنت زيجريد هونكه بين المسلمين والمسيحيّين، من خلال دور البَيْمَارِسْتَانات التعليمي في قولها:" أمّا المستشفيات الكبرى فقد كانت في نفس الوقت هي المدارس العليا للطب، فالمواد التي عِلمها أبقراط وجالينوس وكبار العلماء العرب كان يتلقّنها الأطباء الناشئون في المحاضرات العامّة تحت عقود المساجد وفي المدارس الطِّبية الخاصّة التي كان يُديرها الأطباء، وكذلك في المستشفيات والعيادات، وبينما كان يُكْتفى في الأديرة الأوربيّة ومدارسها بتحصيل العلوم في الكتب؛ إذ بِنا هنا في العالم العربي نجد العلوم يقوم بتدريسها علماء عمليون يمارسون الطِّب بخلاف الحال عند المسيحيّين الذين كانوا يلؤون ألسنتهم بنظرياتٍ جامدة جافّة، ويتجنّبون بطريقةٍ صوفيّة لمس الكائن الحيْ، ففي المستشفيات العربيّة وحول الأسرة البيضاء كان الطّبيب يُطبّقُ النظري على العملي، كما كان يستطيع فحْص الجسد وتشريحه وفهمه وتقريبه إلى الأذهان". أنظر، سيجريد هونكه، المرجع نفسه، ص160.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص628.؛ الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج12، ص452.

[3] أحمد عيسى، المرجع السابق، ص209.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص751.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص636.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص656.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص670.

الجبار السلّمي(ت644هـ/1247م)[1]، وأبو الحسن عَليّ بن خليفة بنُ يُونس بنُ أبِيَ القَاسم (ت616هـ/1219م)[2]، ومهذّب الدِّين الدَّخْوَار(ت628هـ/1231م)[3]، والطّبيب ابنُ اللّبُودِي(ت622هـ/1225م)[4]، وعِمْرَان بنُ صَدَقة(ت637هـ/1240م)[5]، وسَديدُ الدِّين بنُ رقيقة (ت635هـ/1238م)[6]، والطّبيب عُثْمان بنُ يُوسُف بنُ حَيْدَرة الرَّحْبِي(ت 658هـ/1260م)[7]، وشَرف الدِّين الرَّحْبِي(ت667هـ/ 1269م)[8]، وأبو إسحاق إبراهيم بنُ محمد السُّوَيْدِي (ت690هـ/1291م)[9]، وأبو عبد الله محمَّد عماد الدين الدُّنَيْسَرِي (ت686هـ/1287م)[10].

كان ابن أبي أُصَيْبِعَة أحد الأطبّاء الّذين كان لهم تَواجُد واشتغال بهذا البَيْمَارِسْتان، حيث التقى مع العديد منهم فاشتغل معهم وعَليهم، وذكر لنا التقاءه مع الطّبيب سَديد الدِّين بن رقيقة سنة (632هـ/1235م)، حيث كان يُواظب على معالجة المرضى به، وكان لابن أبي أُصَيْبِعَة في ذلك الوقت مُقرّر جَامِكيّة وجِراية لمعالجة المرضى في نفس البَيْمَارِسْتان، قال ابن أَبي أُصَيْبِعَة بعد أن ذَكر خدمتهما الاثنَان فيه: "وتَصاحَبْنا مدّةً فوجدتُ من كمال مروءته، وشَرَف أرُومتِه، وغَزَارة علمه وحُسن تَأتّيه في مَعْرِفَة الأَمْراض وَمُداواتها ما يَفُوقُ الوَصف"[11]، أمّا عن دور هذا البَيْمَارِسْتان في تَعليم الطّب، فإلى الجَانب النّظري الّذي أحَالنا إليه ابن أبي أُصَيْبِعَة عندَ ذِكره لأبي المجد بنُ أبي الحَكم الّذي كان بعد فَراغه من زِيارة المرْضَى يأتي ويجلس في إيوانه ليُدرِّس الطُّلاب، وهناك جانبٌ آخر تطبيقي وهو التَّعليم الطّبي السَّريري[12]، كما حدَّثنا عن أُسْتاذه مهذَّبُ الدِّين الدَّخوار الذي كان يمرّ على قاعة المحْمُومِين وبِصُحبته الطَّلبة والأطبَّاء المُبَاشِرين، فيتركهم يَفْحَصُون المرضَى ويسمع رأيهم، ثمّ يتدخّل ليشرح لهم[13].

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص671.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص737.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص728.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص626.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص697.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص706.

7 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص682.

8 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص675.

9 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص759.

10 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص761.

11 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص706.

12 طرق إلقاء الدرس الطّبي، سواء النّظري أو التّطبيقي، أسعى إلى توضيحه، كعنصر منفصل ضمن ما هو قادم في هذا الفصل.

13 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، 732.

ت–البَيْمَارِسْتان النَّاصِري أَوْ الصَّلَاحِي:

لمّا ملك السُّلطان صَلَاح الدِّين، يوسف بنُ يوسف بنُ أَيُّوب الدِّيَار المصريّة سنة (567هـ/1171م)، استولى على القَصر، الّذي كانت فيه قاعةٌ بناها العزيز بالله الفاطمي (ت386هـ/996م)[1] في سنة (384هـ/994م)[2]، فجَعَلَها بَيْمَارِسْتانًا، وهو البَيْمَارِسْتان العتيق داخل القصر، في سنة (577هـ/1181م) وأمر بفتحه للمرضى والضُّعَفَاء[3]، واستخدم له أطبّاء وكحَّالين وجَرَائِحيّين وشارفًا وعاملًا وخُدامًا ووجد النَّاس به رِفْقًا وبه نَفْعًا[4]، ويصفه ابن جُبير بأنّه" قصرٌ من القصور الرائقة حُسْنًا واتساعًا، أبرزه لهذه الفضيلة تَأَجُرًا واحتسابًا، وعيَّن قيّمًا من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير، ومكّنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها، ووُضِعت في مقاصير ذلك القصر أَسِرَّةٌ يتّخذها المرضى مضاجع كاملة الكِسى، وبين يديْ ذلك القيّم خَدمة يتكفّلون بتفقُّد أحوال المرضى بُكرةً وعشيّة، فيُقابلون من الأغذيّة والأشربة بما يليق بهم"[5].

وقيل أنّ هذا البَيْمَارِسْتان وُجِد عَليه بعض الكتابات والطلاسم التي تمنع دخول النُّمُل إليه[6]، لذا اختاره صلاح الدِّين ليكون بَيْمَارِسْتاناً[7]، وهذا يُستبعَد لِما يُعْرف عن صلاح الدِّين الأيوبي الّذي يمتاز بالتديّن والتقوى والبعد عن الخرافات، حيث أنّه اختار القاعة ليس لأنّ بها طلاسم تمنع دخول النّمل؛ بل لأنّها قاعة كبيرة جدًّا وواسعة، حيث كانت قصرًا للفاطميّين يمتاز بالنظافة والجمال فآثَر على نفسه بأن يجعل منها بَيْمَارِسْتان لخدمة المرضى[8]، لم يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة معلومات كثيرة عنه، باستثناء ما قاله عن بعض الأطبّاء الّذين اشتغلوا فيه، وبعض ما وجده وشاهده أثناء اشتغاله به، ولقد اشتغل في هذا

---

[1] أبو منصور، نزار بنُ المعزّ مَعَد، أمير المؤمنين، الفاطمي، العُبيدي، ثاني خلفاء مصر من بني عُبيد، بويع بالخلافة بعد موت أبيه المعزّ في سنة(365هـ/976م)، ومولده بالمهديّة، من القيروان سنة(344هـ/956م)، وقيل: "سنة(342هـ/954م)"، وكان العزيز كريمًا، أديبًا، شجاعًا، عادلًا في الرعيّة، وقيل: أنّه أحْسن خلفاء بني عُبيد سيرةً، غير أنّه كان يميل إلى النجوم، توفيّ سنة (386هـ/996م). أنظر، ابن تغري بردي (يوسف أبو المحاسن، جمال الدّين. ت874هـ)، مورد اللطافة في مَن وليّ السلطنة والخلافة، تح: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ج1، ص272.؛ مجير الدّين العليمي، التاريخ المعتبر في أنباء مَن غبر، ج2، ص ص17، 18.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص417.

[3] المقريزي (تقيُّ الدين، أحمد بنُ علي. ت 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذِكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418هـ، ج2، ص287.

[4] أحمد عيسى، المرجع السابق، ص ص76، 77.

[5] ابن جبير، المصدر السابق، ص24.

[6] المقريزي، المواعظ والاعتبار بذِكر الخطط والآثار، ج2، ص288.

[7] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص417.

[8] مؤمن أنيس عبد الله البابا، **البَيْمَرِسْتَانات الإسلاميّة حتّى نهاية الخلافة العباسيّة**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة بغزّة، فلسطين، 2009م، ص34.

البَيْمَارِسْتان كلٌّ من الطّبيب رضيّ الدِّين الرَّحْبي(ت 631هـ/1234م)، وكان أكثر أعماله في طب العيون، أصله من جزيرة ابن عُمَرْ[1]، درس الطّب في بغداد، ثمّ انتقل إلى دمشق سنة(555هـ/ 1160 م)، وهناك اجتمع بصلاح الدِّين فحَسن موقعُه عنده وأطلق له في كلِّ شهرٍ ثلاثين دينارًا، ليكون ملازمًا للقلعة والبَيْمَارِسْتان بالقاهرة[2].

والطّبيب إبراهيم بنُ موسى بنُ ميمون القرطبي(ت بعد 631هـ/بعد 1234م) الّذي رافقه ابن أبي أُصَيْبِعَة في العمل داخله، حيث ذكر: "واجتمعتُ به سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين وستّمائة بالقاهرة وكنتُ حينئذٍ أطُبُّ في البَيْمَارِسْتان بها، فوجدتُه شيخًا طويلًا، نحيف الجسم، حسن العِشرة، لطيف الكلام، متميّزًا في الطّب"[3]، ومن أطبّائه، الشّيخ سديد الدِّين، أبو الفضائل داود بنُ أبي سليمان، مولده سنة(556هـ/1160م) بالقاهرة، كان خبيرًا بالأدويّة المفردة والمركّبة، ويعالج المرضى به بالقاهرة، خدم الملك العادل أبا بكر ابن أيوب، وعاش فوق الثمانين[4]، التقى به ابن أبي أُصَيْبِعَة وشاهد معالجته للمرضى به، وأقرّ على قوّة عِلمه وتأنّيه لمعرفة الأمراض وتحقيقها وذكر مداواتها، وأعجب باطّلاعه على طبّ جالينوس، وكان يعلم غيره تركيب الأدويّة ومقاديرها، بقوله:" وكان أقْدَر أهل زمانه من الأطبّاء على تركيب الأدويّة، ومعرفة مقاديرها وأوزانها على ما ينبغي، حتى أنّه كان في أوقات يأتي إليه من المستوصِفين مَنْ به أمراضٌ مختلفة أو قليلة الحدوث فكان يَملي صِفات أدويّة مركّبة بحسب ما يحتاج إليه ذلك المريض من الأقراص والسُفُوفَات والأشربة أو غير ذلك[5].

واستفاد ابن أبي أُصَيْبِعَة من البَيْمَارِسْتان، بتتلمُذِه لدى الشيخ السّديد الّذي كان يُكَحِّل به، فقرأ عَليه كتاب الأَقْرَابَاذِين وجَمَعه معه، ويحتوي على اثنيْ عشر بابًا، تحرّى فيه الأدويّة المركّبة المستعملَة المتداوَلة في البَيْمَارِسْتانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصّيادلة[6]ومن أطبّائه، القاضي نَفِيسُ الدِّين بنُ الزُبير(ت636هـ/1238م) الّذي تتلمذ لدى الشّيخ السّديد، رئيس الطّب، وتميّز في صناعة الطّب، فأتقن صِناعة الكُحل، وعلم الجِراح وكثُرت شهرته بصناعة الكُحل، وولّاه الملك الكامل، ابن الملك العادل

---

[1] جزيرة ابن عُمَر، بلدةٌ فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيّام، وهي مدينةٌ صغيرة، ذات أشجار وأنهار وسُوق، أرضُها خصبة، وبها خيراتٌ كثيرة. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص138.؛ الإدريسي(محمد بنُ محمد بنُ عبد الله بنُ إدريس الحَسَني الطالبي. ت560هـ)، نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ، ج2، ص 664.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص 672، 673.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص583.

[4] أحمد عيسى، المرجع السابق، ص81.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق ص584.

[6] نفسه.

رياسة الطّب بالدّيار المصريّة، فكان يُكَحِّل في البَيْمَارِسْتان النّاصري[1]، وأوجد الأطبّاء أماكن متعدّدة لتَعليم الطّب بشقّيْه النّظري والتّطبيقي، فكَثُرت المجالس الطّبيّة الّتي توافد عَليها الطّلبة في المساجد وفي منازلهم الخاصّة والمدارس الطّبيّة المتخصِّصة في تَعليم الطّب منذ القرن(7هـ/13م)، لتُتَوَّج هذه المعارف المحصَّلة نظريًا إلى العمل الميداني في البَيْمَارِسْتانات الإسلاميّة، وإذا كانت هذه الحركيّة في التَّعليم، فما هي العلوم الأوّليّة، وما هي الكتب الّتي كانت تُدَرَّس؟، وكيف كانت مناهجهم التَعليميّة؟

ثانيا: قواعد التَعليم الطّبي (المقرّرات الدّراسيّة ومناهج التَعليم)، أوضحّها في الآتي:

1- المقرّرات الدّراسيّة:

كثيرةٌ هي الكتب والمقرَّرات الّتي يُعرّج عَليها طالب الطّب، فمنها كتب تخصّ بناء الفرد المسلم علمًا ومنهجًا ككتب الشّريعة والأخلاق الّتي غالبًا ما نجدها تُعَلَّم للصبيّ منذ صِغره، ثمّ الكتب الطّبيّة الّتي خُصّص كثيرٌ منها لتَعليم الطّب، كالكتب الطّبيّة الجالينوسيّة والبُقراطيّة، وبعض مؤلّفات أطبّاء الحضارة العربيّة الإسلاميّة، كما كان يُستفاد من التّجارب المحْكيّة المتواتِرة، أذكر بعضها في الآتي:

أ- كتبُ الشّريعة والأخلاق:

يذكر الرُّهاوي (ق4هـ/10م) في كتابه "أدب الطّبيب"، أنّه ينبغي لطالب الطّب أن يأخذ نفسه بالآداب والعلوم النافعة له في صناعة الطّب؛ إذ أنّه سيكون قاضيًا على النفوس وحاكمًا على الأجسام، فمَنْ أدَّب نفسه وأصلح أخلاقه، ثمّ قصدَ أهلها بلطفٍ وحُسْن مساءلة، فتعلَّم منهم، وخدَم بين أيديهم في أعمالها أمْكنَه حينئذ جمْع العلم والعمل، بمعنى أنّ الطالب مُلْزَم بقراءة القرآن وعلومه وكذا اللّغة وعِلم الشّرع وآداب السُنَّة[2]، فهذا مهمٌّ جدًّا لتربية النّفوس وتهذيبها[3]، فهذه العلوم تُأخذ بدايةً من المكتب[4]، وقد رتّب الشّيزري ما يتمّ تدريسه للصّبيان، من ذلك أن يُعلَّم الصّبي السُّوَّر القِصار من القرآن بعد أن

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص586.

[2] يقول في هذا ابن سينا: "وإذا فرغ الصّبيّ من تعلُّم القرآن وحفِظ أصول اللّغة، نظَر عند ذلك إلى ما يُراد أن تكون صناعته، فوُجّه لطريقه، فإنْ أراد به الكتابة أضاف إلى دراسة اللّغة دراسة الرسائل والخُطَب، ومناقَلات الناس ومُحاوراتهم، وما أشبه ذلك، وطُورِح الحساب، ودخل به الديوان وعَني بخطِّه، وإنْ أُريد أخرى أُخِذ به فيها بعد أن يعلم مُدبّرُ الصبي أنّ ليس كلّ صناعةٍ يرومُها الصبيُ ممكنة له مؤاتيّة، لكن ما شاكَل طبعه وناسبَه"، بمعنى، توفُّر الصفات اللّازمة، وهو ما عرّجْنا عَليه سابقًا. أنظر، ابن سينا، كتاب السياسة، ص104.

[3] الرّهاوي، أدب الطّبيب، ص ص39، 40.

[4] المكْتَبُ والكُتَّابُ، موضِعُ تعليم الكُتَّابِ، والجمع "الكَتَاتِيبُ والمكاتِبُ"، المكْتَبُ موضعُ التعليم، والمكْتِبُ المعلِّمُ، والكُتَّابُ الصبيان. أنظر، ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص699.

يتمكّن من معرفة الحُروف وضبْطها بالشّكل، كما يرى ضرورةَ تعليمه عقائد أهل السُنَّة والجَّماعة، ثمّ أصول الحساب، وما يُستحْسَنُ من المراسلات والأشعار دون سخيفِها ومُسْتَرْذَلِها، وفي الرَّواح يأمُرُهم المؤدِّب بتجويد الخطِّ على المثال، ويكلّفهم عَرْض ما أملاه عَليهم حِفظًا غائبًا لا نَظَرًا. ومَن كان عُمره فوق سبع سنين أمرَه المؤدّب بالصَّلاة في الجماعة، كما يأمُرهم ببرِّ الوالدِّين، والانقياد لأمرهما بالسّمع والطَّاعة"[1].

وهذا التّدرّج في أخذ العلوم الأوّليّة كان سِمة الأطبّاء المشهورين في الحضارة الإسلاميّة، حيث يُدرِج لنا ابن أبي أُصَيْبِعَة ما قاله ابن سينا عن تعلُّمِه:" وأُحْضِرتُ مُعلَّم القُرآن، ومعلّم الأَدب، وأكملتُ العشر من العُمر، وقد أتيتُ على القرآن، وعلى كثيرٍ من الأدب، حتّى كان يُقْضى منّي العَجَب"[2]، ويؤكّد ما ذهب إليه الشّيزري، في منهج المكتب الّذي كان يتعلّم فيه الصّبيان ما ذكره ابن أَبِي أُصَيْبِعَة في ترجمته لعمّه رشيد الدِّين، في أوّل طلبه للعلم بقوله: "وأوّلُ اشتغال عمّي بالعلم أنّه كان عند تقيّ المعلِّم[3]، فحفِظ على يديه القرآن وعلم الحساب، ثمّ شرع في تعلّم صناعة الطّب والنَّظَر فيه"[4]، ويَروي ابن أبي أُصَيْبِعَة عنه نفسه وبدايات طلبه العلم أنّه كان هو والطّبيب عزّ الدِّين السُوَيْدي(ت690هـ/ 1291م) يدرسان في المكتب عند شيخٍ واحدٍ هو، الشيخ أَبو بَكْرٍ الصَّقَلِّيُّ[5]، وبعد أن يتجاوز الطّالب مرحلةَ المكتب يشرع في تعلُّم الطّب ودراسة كتُبه ومعرفة فنونه العلميّة والعمليّة.

أمّا كُتُب الحكمة والأخلاق وغيرها، فيدرسها المسلم وغير المسلم، ولهذا فأغلب مَنْ أرّخ لهم ابن أبي أُصَيْبِعَة من الأطبّاء كان لهم باعٌ في المنطق والحساب والهندسة وعلم النّجوم والموسيقى...، ومن خلال نصوص كتابه نتعرّف على ما أتْقنه الأطبّاء من علوم، فالطّبيب النّضْر بنُ الحَرْثُ بن كلدة الثّقفي الّذي اشتغل وحصَّل من العلوم القديمة أشياء جليلة القَدر، واطّلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة، وتعلّم من أبيه ما كان يعلَمه من الطّب وغيره[6]، أمّا ابن سينا، فبعد أن أتمّ العلوم الشّرعيّة تَعَلّم المنطق وأحكَمه، ثمّ عكَف على كتاب اقْليدَس[7] فقرأ من أوّلِه خمسة أشكالٍ أو ستّة، ثمّ قرأ المَجِسْطي[8]، ثمّ درس الهندسة،

---

1 الشيزري، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، ص103.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص437.

3 أبو التقِيُ، صالح بنُ أحمد بنُ إبراهيم بن الحسن بنُ سليمان العَرشي المقدسي، وكان تقيّ له معرفة بعلوم كثيرة، سيرته في التّعليم حسنة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص736.

4 نفسه.

5 لم أجد ترجمةً لهذه الشّخصية في القرن السّابع. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص759.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص167.

7 إقليدس بُن نُوقْطُرس بنُ برنيقس المظْهِر للهندسة المبرَّز فيها، وهو من الفلاسفة الرياضيّين. أنظر، ابن النديم، الفهرست، ص327.

8 المجِسْطي، المِجَسْتِي، المجُسْتِي لمؤلِّفه بَطْلَمْيُوس الفلكي الرياضي اليُوناني، هذا الكتاب ثلاث عشرة مقالة، وأوّل من عُنِيّ بتفسيره وإخراجه إلى العربيّة: يحيى بنُ خالد بنُ بَرمك، ويُقال: أنّ اسم المجِسْطي لا يُطلق على كتاب بطليموس فحسب؛ بل على مختلَف الكتب العربيّة الّتي عالجت الموضوع

ليتفرّغ بعدها إلى تعلّم الطّب، وكان مُدَرِّسُه في المنطق والفلسفة والهندسة عبدُ الله النّائِلي(ق4هـ/10م)[1]، أمّا الطّبيب سَلاَمة بنُ رَحْمُون(ت نحو530هـ/1135م) فكان أحد أطبّاء مصر وفضلائها، له اشتغالٌ جيّد بالمنطق والعلوم الحكميّة وتصانيفٌ في ذلك، وكان شيخُه الّذي اشتغل عَليه بهذا الفنّ الأمير أبو الوفاء محمود الدّولة، المبشّر بنُ فاتك (ت حوالي 500هـ/1107م)[2].

ودرس رشيد الدِّين عَليّ بن خليفة اللّغة العربيّة والحكمة على يد عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنُ يُوسُفَ الْبَغْدَادِيّ(ت629هـ/1231م)، وكان يباحثه في كتب أَرسطُو طاليس ويُناقشُه في المواضع المشكلة منها، وكان يجتمع بسَديد الدِّين ويشتغل عَليه في العلوم الحِكميّة، أمّا علم النّجوم فقد تعلّمه على أبي مُحَمَّد بن الجَعْدِي، وأمّا صناعة الموسيقى فكان قد أخذها عن ابْن الدّيجور الْمصْرِيّ وَعَن صفي الدّين أبي عَليّ بن التبَّان[3]، ودرس ابن أبي أُصَيْبِعَة على شمس الدِّين الخُوبي(ت 637هـ/1239م) كتاب "التَّبْصِرة"، وفي المنطق لعُمر بن سهلان (ت نحو450هـ/1058م)[4]، وقرأ على رفيع الدِّين الجِيلِي(ت641هـ/1243م) شيئًا من العلوم الحِكميّة[5] فقرأ عَليه شيئًا من كتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا[6]، ودرس كتاب "رُمُوز الكُنُوز" في الفلسفة، على يد مؤلِّفه سيف الدِّين الآمُدِي، وهو الّذي كان نادرًا ما يُدرِّس الحكمة، وإنّما فعل ذلك مع ابن أبي أُصَيْبِعَة للمودّة التي بينهما[7]، وقرأ الطّبيب أبو الفرج بنُ القَف(ت685هـ/1286م) تلميذ ابن أبي أُصَيْبِعَة العلوم الحكميّة والأجزاء الفلسفيّة على الشَّيخ شمس الدِّين عبد الحَميد الخَسْروشاهي[8][9].

نفسه. أنظر، ابن النّديم، المصدر نفسه، ص329.؛ حاجي خليفة، سلّم الوصول إلى طبقات الفحول، ج1، ص379.؛ رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربيّة، ج10، ص20.

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص437، 438.؛ عليّ باشا مبارك، الخطط التوفيقيّة الجديدة لمصر والقاهرة ومُدُنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط2، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، (1425هـ/2004م)، ج8، ص325.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص568.؛ أبو الوفاء المبشّر، مختار الحِكم ومحاسن الكلِم، مقدّمة المحقّق، تح: عبد الرحمن بدوي، ص8م.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص737.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص646.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص647.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص725.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص650.

[8] عبد الحميد بنُ عِيسَى الخَسْرُوشَاهِي (ت652هـ/1254 م) التّبريزي، الشافعي، طبيبٌ، وحكيم، وفقيهٌ، أصولي، ومتكلّم، محَدِّث، وُلِد بخسروشاه، وتوجّه إلى دمشق، وأقام بها إلى أن توفيّ في 25 شوال، ودُفن بجبل قاسيون من كتبه: مختصر كتاب المهذّب للشيرازي، في فروع الفقه الشَّافعي، وكذا مختصر كتاب الشّفاء لابن سينا. أنظر، عُمر رِضَا كَحَالة، معجم المؤلّفين، ج5، ص103.؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج22، ص 426.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص768.

لم أجد نصوصًا لدى ابن أبي أُصَيْبِعَة تبيّن الوقت الّذي يتلقّى فيه طلّاب الطّب لهذه العلوم، باستثناء ما ذكره عن ابن سينا، وذكر ما كانوا عَليه من علمٍ في باقي المجالات إلى جانب الطّب، فذكر مثلًا عن ابن الشِّبْل البَغْدادي (ت473هـ/1080م): "هو أبو عَليّ، الحسين بن عبد الله بن يوسف بن شبل، مولده ومنشؤه ببغداد، وكان حكيمًا فيلسوفًا ومتكلِّمًا فاضلًا وأديبًا بارعًا وشاعرًا مُجيدًا"[1]، وأنّ الطّبيب ابن العَيْن زَرْبي اشتغل بصناعة الطّب وبالعلوم الحكميّة ومَهَرَ فيها وخصوصًا في علم النُّجوم[2]،وكان الرازي في ابتداء نَظَرِه يضرب بالعود، ثمَّ أكَبَّ على النَّظر في الطّب والفلسفة فبرَع فيهما براعةَ المتقدِّمين، وكان يتَّهمُ مَن يفصل بين الفلسفة والطّب، ويراه لا يصلُح للطبّ[3]، وأبرز بعض ما أنتجوه في مجالاتهم، كالمؤلّفات المختلفة في الفلسفة[4] والحساب والرّياضيات[5] وعلم الفَلك[6] والموسيقى[7]، والأدب[8] وعلوم الدِّين[9] والأخلاق[10]وغيرها؛ إذ كانوا يرون أنّ الحكمة هي دواءٌ للنَّفس، على غرار طبِّ الأجسام، فكان ممّا قاله العنتري[11] عن الحكمة "الحكمة سراجُ النفس فمتى عَدِمْتها عَمِيَت النّفس عن الحقّ"، وقال " الحكمة شرفُ مَن لا شرفَ له"، وكانوا يتركون وصاياهم لأولادهم في شكلِ حِكمٍ كقَول العَنْتَرِيّ[12]:

احْفَظ بُنَيّ وَصِيَّتي واعمَل بِهَا ... فَالطِّبُّ مجْمُوع بِنَصّ كَلَامِــي
قَدِّمْ عَلى طِبِّ المريضِ عِنَايَة ... فِــي حِفْظ قوَّتِه معَ الأَيَّـــام
لَا تَحْقِر المَرَض اليَسير فَإِنَّـــه ... كَالنّارِ يُصْبِح وهي ذَات ضِرَام[13]

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص333.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص570.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص416.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص289 ،318، 550، 608 وغيرها.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص289، 609، 668.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص317- 474.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص294- 608.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 627، 647، 693.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص470،647، 663، 693.

[10] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص294- 316.

[11] أبو المؤيّد، محمد بنُ المجَلي بنُ الصائغ الجَزَري، كان طبيبًا مشهورًا، وعالما مذكورًا، حسن المعالجة، جيّد التدبير، وافر الفضل، فيلسوفًا متميّزًا في علم الأدب، وله شِعرٌ كثير في الحكمة، وغيرها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص389.

[12] هذه القصيدة تُنسَب أيضًا إلى الشيخ الرئيس ابن سينا، وتُنسَب إلى المختار بن الحسن بن بُطلان، ويرى ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّها لمحمّد بن المجلي. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص391.

[13] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص390.

ومن الأمثلة البارزة في كتاب ابن أبي أُصَيْبِعَة، على سيرورة الحياة العلميّة للطبيب، وضرورة الإلمام بالعلوم الشّرعيّة والعلوم الأخرى مِنْ غير الطّب؛ الطّبيب موفّق الدِّين عبد اللّطيف البغدادي الّذي كتب سيرته في سنة(657هـ/1260م) يذكر تَعليمه؛ ابتدأ في تعلّم الخطّ وحفظ القرآن وسماع الحديث، وحفظ ديوان المتنبّي والفقه، وحفظ بعضًا من كتب سيبُوَيْه، والعديد من الشّروحات ... كما اعتكف على دراسة كتب ابن سينا الفلسفيّة صِغارها وكِبارها مثل، كتاب النّجاة والشّفاء، كما قرأ كتاب التّحصيل لأبي الحَسن بَهْمَنْيار(ت 458هـ/ 1066م)[1] تلميذ ابن سينا، وكُتُب جابر بن حيّان[2]، وكتب الكمال بنُ يونس في الكمياء والرياضيات[3]، والملاحَظ أنّ كتب الفلسفة والمنطق أخذت بحظٍّ وافرٍ، حيث اهتمّ بها الأطبّاء وبرَعوا فيها وكانوا مُدَرِّسين لها.

ب–الكتبُ الطّبيّة اليُونَانيّة:

إنّ المتتبّع لوتيرة التَعليم الطّبي في المشرق الإسلامي، من حيث العلوم الطّبية المقدَّمة والمناهج التّدريسيّة، يجد اختلافًا بين القرون الخمسة الأولى الّتي اعتُمد فيها على كتب الأوائل ومناهجهم التَعليميّة، خاصّةً "كتب جالينوس وأَبُقْرَاط" الّتي جمعها الإسكندرانيون وحدّدوا منهجًا خاصًّا لدراستها[4]، وهذا الّذي يُعْرف بالنّظريّة اليونانيّة التي تخضع الطّب للفلسفة، وتجعله جزءًا منها وعلمًا من علومها[5]، بالنّظر لكون جالينوس كان طبيبًا وفيلسوفًا، في حين أنّه مع بداية القرن(6هـ/12م) بدأ إهمال طريقة الإسكندرانيّين في التَّعليم وإهمال مصنّفات جالينوس وأَبُقْرَاط[6]، والاهتمام بالموسوعات الطّبيّة الإسلاميّة،

---

[1] أبو الحسن بَهْمَنْيار أو بهمنجار بنُ المرزبان (ت458هـ/1066 م) حكيمٌ، من تلاميذ ابن سينا، كان مجوسيًا وأسلم، لم يكن ماهرًا في كلام العرب، له مقالتان في العقليات طُبِعتا بالمتن العربي، مع ترجمة ألمانيّة، وشروحٍ في لايبزيك سنة 1851م. أنظر، الزِّرِكْلي، الأعلام، ج2، ص77.؛ فنديك، إدوارد كرينليوس، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص206.؛ حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج1، ص390.

[2] جابر بنُ حَيَّان (ت200هـ/815 م)، ابنُ عبد الله الكوفي، أبو موسى: فيلسوفٌ كيميائي، كان يُعرف بالصوفي، من أهل الكوفة، وأصله من خراسان، اتّصل بالبرامكة، وانقطع إلى أحدهم جعفر بن يحيى، وتوفيّ بطوس، له تصانيف كثيرة قيل: "عددها 232 كتابًا"، وقيل: "بلغت خمسمائة، ضاع أكثرها، وتُرجم بعض ما بقيّ منها إلى اللاتينيّة منها: "أسرار الكيمياء"، و"علم الهيئة"، و"أصول الكيمياء"، وكتاب في السُّمُوم. أنظر، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص275.؛ ابن النديم، الفهرست، 435.؛ الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص103.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 584–586.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص151.

[5] ناصر بن محمد علي الحازمي، الحركة العلميّة الطِّبيّة في الشّام، ص229.

[6] يمكن القول: أنّه في القرنين الأوليّين حتّى الثالث أنّ أطبّاء العرب والمهتمّين بالعلوم قاموا بأسْلَمة الطِّب اليوناني بترجمة مؤلّفاته وتعريبها؛ بل ولم ينقطع الأطبّاء كلّيّةً من تدارس الطِّب اليوناني في لاحقِ القرون، وخاصّةً كتب جالينوس، فقد كانت دائمة حاضرة مستهْدَفة للتعلُّم، حتّى تاريخ وفاة ابن أبي أُصَيْبِعَة، حيث هو نفسه كان مولعًا بطبّ جالينوس ومؤلّفاته، وكان يشتغل على كبار الأطبّاء فيها كالدّخوار وابن البَيطار، وإنّما ظهرت المؤلّفات العربيّة الطِّبيّة الّتي أصبحت تُدَرّس لشُهرتها ككتاب القانون، لابن سينا، وبدأ الأطبّاء يضعون تفاسير وتعاليق وردود على كتب جالينوس في هذه المرحلة، ونفيْ بعض النظريات وتسديد أخرى.

ومناهجها التَّعليميّة الجديدة، ممّا أعلن عن ظهور مدرسة طبيّة جديدة لتَعليم الطّب ومناهجه، وهي المدرسة الطّبيّة الإسلاميّة[1]، ويمكن تقسيم فترة البحث؛ أي حتّى وفاة ابن أبي أُصَيْبِعَة من حيث طرُق تَعليم الطّب إلى ثلاثِ طرق هي:

الأولى: الأخذ بأسلوب المدرسة اليونانيّة في التَعليم الطّبي، وهو التّركيز في بدايات التَعليم وخلاله على العلوم الفلسفيّة واعتبارها جزءًا من علوم الطّب، وهو ما كان سائدًا حتىّ نهاية القرن(5هـ/11م)؛ الثّانية: الأخذ بمنهج بعض الأطبّاء الّذين يفصِلون بين الطّب والفلسفة ولا يرون علاقة بينهما، وهؤلاء في جملة أطباء المشرق قليل؛ الثّالثة: وهي طريقة الّذين جمعوا بين المنهجين، فأخذوا بأسلوب المدرسة اليُونانيّة، وهي التي تُعْنى بالعلوم الفلسفيّة دون الإغراق فيها وأخْذِ ما يحتاج إليه الطّبيب منها، وبين العناية بالتّجربة والملاحظة والكشف السَّريري والعمل باليد[2]، هذا يبيّن تنوّع منهج الدّراسة الطّبيّة في بلاد المشرق بين ما هو نظري؛ وهو علم الأشياء الطّبيّة التي منها يتدرَّج إلى الجزء العملي، وبفهمها يتوّصل إلى معرفته، ولا يتعلّمها ليعمل بها؛ بل لتكون موضَّحة للعلم العملي، ويتمّ بالاعتماد على الكتب الخاصّة بتَعليم الطّب ككتب اليونانيّين وجوامع الإسكندرانيّين، واعتماد الموسوعات الطّبيّة العربيّة، والتضلّع في الفلسفة والمنطق، وبين ما هو تطبيقي وهو، ما يتعرّض فيه لبيان كيفيّة عملٍ[3] أو بالاعتماد على الملاحظة والتجريب والتدرّب داخل البَيْمَارِسْتانات[4].

ولهذا فالطالب ملزمٌ بمعرفة الجانبين النّظري والعملي، وقد كان كبار الأطبّاء يُوصُون بذلك، فالرّازي يؤكّد على عدم إهمال أحد الجانبين بقوله: "متى كان اقتصار الطّبيب على التّجارب دون القياس وقراءة الكتب خُذِل، ولا ينبغي أن يُوثق بالحسنِ العِنَاية في الطّب حتّى يبلغ الأَشَدّ ويجرِب"[5]، ويحْسُن بطالب الطّب قبل قراءة القسم النّظري أنْ يُلّمَ بعلم فِرق الطّب، وما الّذي تراه كلُّ فرقة، وما الفروق التي بينها، وتفصيلات ذلك كلِّه، لأنّه لا يستطيع تلّقي علم الطّب دون معرفة منهج وطريقة كلّ فرقة منها[6]، وهذه

---

[1] مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص ص22 ،23.

[2] ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص ص233، 234.

[3] السّيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص175.

[4] يرى ابن سينا أنّ الطِّب العملي ليس ضرورة للممارسة العمليّة في الميدان، وإنّما هو تعلُّم ما يجب أن يُعمل يقول:" ونعني بالعمل منه لا العمل بالفعل، ولا مزاولة الحركات البدنيّة؛ بل القسم من علم الطِّب الذي يُفيد التعليم فيه رأيًا، ذلك الرأي متعلّق ببيان كيفيّة عمل مثل، ما يقال في الطِّب: إنّ الأورام الحارّة يجب أن يُقْرب إليها في الابتداء ما يردع ويُبرد ويكشف، ثمّ من بعد ذلك تُمزَج الرادعات بالمرخيات، ثمّ بعد الانتهاء إلى الانحطاط يقتصر على المرخيات المحلِّلة إلّا في أورام، تكون عن مواد تدفعها الأعضاء الرئيسة، فهذا التعليم يفيدُك رأيًا: هو بيان كيفيّة عمل، فإذا عملتَ هذين القسمين فقد حصل لك علم علمي، وعلم عملي، وإنْ لم تعمل قطّ". أنظر، ابن سينا، القانون في الطِّب، ج1، ص13.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص421.

[6] لهذا فإنّ جالينوس عندما رتّب كتبه لمتعلِّمي الطِّب، جعل كتابه في الفِرق في المرتبة الأولى. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص134.

الفرق هي: فرقة أهل التجربة، فرقة أهل النَظر والقياس، فرقة أهل الحِيَّل(1)، وينقسم الجزء النّظري إلى عدّة أقسام هي، الّتي يجب على طالب الطّب معرفتها والإلمام بها، وتنقسم إلى عدّة أقسام يجب العلم بها(2)، العلم بالأمور الطّبيعيّة، والعلم بالأسباب، والعلم بالدّلائل والعلامات، والعلم بأحوال بدن الإنسان(3)، ويتفرّع عن هذه الأجزاء أمورٌ ومسائل يجب الإلمام بها ومعرفة جزئياتها، فمن ذلك أنّ يعرف الأركان أو ما يسمّى بالأَسْطِقْسَات(4)، ومعرفة الأَمْزِجَة(5)، ومعرفة الأخْلاط(6)، ومعرفة الأعْضَاء (7)، ومعرفة الأرواح(8)، والقِوى(9)، والأفعال(10).

-كتب الحكيم أَبُقْرَاط:

تذكر المصادر أنّ لأَبُقْرَاط نحو ثلاثين كتابًا، وضع منها ما يصلُح لتَعليم طلاب الطّب اثنا عشر يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة:" والّذي يدرُس مِن كتبه لِمن يقرأ صناعة الطّب، إذا كان درسُه على أصل صحيحٍ وترتيبٍ جيّد اثنا عشر كتابًا وهي المشهورة من سائر كتبه"(11)، وهذه الكتب هي، "كتاب الأجِنّة" وهو ثلاث مقالات؛ "كتاب طبيعة الإنسان" مقالتان؛ "كتاب الأهْوية والمياه والبُلْدان"، وهو ثلاث مقالات؛

---

[1] نفسه.؛ الرازي، الحاوي في الطِّب، ج7، ص 429.؛ جلال محمد عبد الحميد موسى، منهج البحث العلمي عند العرب، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م، ص ص247، 248.

[2] ابن النَّفيس (علاء الدّين علي بن أبي الحزم ت 687هـ)، الموجز في الطِّب، تح: عبد الكريم عزباوي، ط5، القاهرة، 2008م، ص32.؛ ناصر بن محمد علي الحازمي، الحركة العلمية الطِّبِّيّة في الشّام، ص249.

[3] وهو أمر واجب على الطِّبيب معرفته، ويلزم الطِّبيب أن يعرف مزاج البدن، الذي يقصد لحفظ صحّته، أو لعلاج مرض به، بناء على علامات دالة. الرهاوي، أدب الطِّبيب، ص141.

[4] الأَسْطَقْس هو، الشيء البسيط الذي منه يتركّب المركَّب، وقد يسمّى الأسطقس: الركن، والأسطقسات الأربعة هي: النار، والهواء، والماء، والأرض وتسمّى: العناصر.أنظر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ص158، 159.؛ نكري (عبد النبي بنُ عبد الرسول الأحمد. ت ق 12هـ)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تعريب: حسن هاني فحص، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2000م، ج2، ص271.

[5] الأمزجة تسعة وهي، المعتدل، والحار، والبارد، والرطب، واليابس، والحار الرطب، والحار اليابس، والبارد الرطب، والبارد اليابس. أنظر، الخوارزمي، المصدر السابق، ص204.

[6] هي، الدم، والبلْغَم، والمرّة الصفراء، والمرّة السوداء، وهي "الأَمْشاج". أنظر، نفسه.

[7] الأعضاء على ضربين منها، ظاهرٌ للحِسّ كالعينين واليدين والرجلين، ومنها باطِنَة، كالمعدة، والرئة، والكبد، والأعضاء الرئيسيّة أربعة: الدماغ والقلب، والكبد، والأنثيان. أنظر، نفسه.؛ الرّهاوي، المصدر السابق، ص69.

[8] الأرواح ليست هي النفس، وإنّما هي جسمًا لطيفًا بُخاريًا، وذكر صاحب مفاتيح العلوم أنّ الأرواح هي: الكبريت، والزَرْنيخ، والزئبق، والنُوشاذر، سميّت تلك: الأجسام، لأنّها تثبُت وتقوم على النار، وسميّت هذه: الأرواح، لأنّها تطير إذا مسّتها النار. أنظر، ابن النَّفيس (علاء الدّين علي بنُ أبي الحزم. ت 687هـ)، الموجز في الطِّب، تح: عبد الكريم عزباوي، ط5، القاهرة، 2008م، ص35.؛ الخوارزمي، المصدر السابق، ص279.

[9] القِوى ثلاثة، قوى نفسانيّة، وقوى طبيعيّة، وقوى حيوانيّة، ولكلّ واحدةٍ تقسيمات. أنظر، حنين بنُ إسحق (ت264هـ)، العشر المقالات في العين، ص113.؛ ابن النفيس، المصدر السابق، ص 35-37.

[10] أفعالٌ مفردة، وأخرى مركّبة. أنظر، ابن النفيس، المصدر نفسه، ص37.

[11] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص53.

"كتاب الفصول" سبع مقالات؛ "كتاب تقدِمة المعرفة" ثلاث مقالات؛ "كتاب الأمراض الحادة" وهو ثلاث مقالات؛ "كتاب أوجاع النّساء" مقالتان؛ "كتاب الأمراض الوافدة" ويسمّى "إبيديما" وهو سبع مقالات؛ "كتاب الأخلاط" وهو ثلاث مقالات؛ "كتاب الغِذاء" وهو أربع مقالات؛ "كتاب قاطيطريون"، أي: "حانوت الطّبيب" وهو ثلاث مقالات؛ كتاب الكَسْرِ والجبر" وهو ثلاث مقالات(1).

وكنموذج ممّن اهتمّ بدراسة كتب أَبُقْرَاط الطّبيب المصري رشيد الدِّين، أبو حُلَيْقَة الّذي انتقل إلى دمشق لتعلّم الطّب، فحفظ فيها كتاب الفُصول لأَبُقْرَاط وتَقْدِمة المعرفة(2)، فكانت هذه من الكتب الأولى الّتي يُقبل طالب الطّب على دراستها، وقال عنها ابن أبي أُصَيْبِعَة أنَّها من الكتب المتداوَل حِفظها في صناعة الطّب، فكان يعْرفها ويعلِّمها لطلّابه، ويذكر أنّه لما لازمه تلميذه أبو الفرج بنُ القَف حفْظُه بعضًا منها، وشرح له معانيها، وفهّمه قواعدها(3)، كما تدارسوا الوصيّة الطّبيّة وفسّروها وهي المعروفة بترتيب الطّب(4).

-كتب الحكيم جَالِينوس:

وضع ابن أبي أُصَيْبِعَة عنوانًا خاصًّا لمصنّفات جالينوس، وذكر أنَّها كثيرة جدًّا(5) وأنّ الكثير منها مفقود(6)، وأمّا الكتب التي اطّلع عَليها، فهي المتداوَلة لدى النّاس ممّا نقله حُنَيْن بن إسحاق وغيره إلى العربي، وقد صنَّف جَالينُوس كتابًا يُدْعى(فِينْكس)(7) وهو، عبارة عن فِهْرست، ومعنى فينْكس، ثَبْتُ الكُتب(8)، حيث وصفها وبَيَّن الغرض من تأليفها(9)، وهو مقالتان، المقالة الأولى ذكر فيها كتبه في الطّب، وفي المقالة الثانيّة، كتبه في المنطق والفلسفة والبلاغة والنحو(10)، وصنّف كتابًا آخر بيّن فيه للمتعلِّمين مراتب قراءة كُتُبِه أَوَّل بأوّل، وجعل كتابه "الفِرق" مقالة واحدة، في المرتبة الأولى، فهو أوّل ما يُقرأ لمن أراد تعلُّم

1ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص 54، 55.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص591.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص768.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص566.

5يقول ابن العبري: "وفي هذا الزمان اشتهر جالينوس في الطِّب، ووضع فيه كتبًا كثيرة، والموجود في أيدي الناس منها الآن زُهاء مائة كتاب". أنظر، ابن العبري، تاريخ مختصر الدوّل، ج1، ص72.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص149.

7 أورده ابن أبي أُصَيْبِعَة باسم "بينْكس" وقال: "هو الفهرست، وغرضه في هذا الكتاب أن يصف الكتب التي وضعها، وما غرضه في كلّ واحدٍ منها، وما دعاه إلى وضعه، ولمن وضعه، وفي أيّ حدٍّ من سنِّه". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص134.

8 ابن النديم، المصدر السابق، ص28.

9 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص134.

10 نفسه.

صناعة الطّب، وذلك أنّ طالب الطّب مُلْزم بمعرفة موضوعات الطّب وهي، معرفة فِرق الطّب، ومعرفة أركان الطّب[1].

وكانت كتب جالينوس الستّ عشرة هي المعتمدَة في التَعليم الطّبي الّتي رتّبها أطبّاء مدرسة الإسكندريّة[2]، وهي ما يُعرف بجوامع الإسكندرانيّين[3]، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "كانوا يقرؤونها على التّرتيب ويجتمعون في كلّ يومٍ على قراءة شيءٍ منها وتَفَهُّمِه، ثمّ صَرَفوها إلى الجُمل والجوامِع ليسهُل حفظهم لها ومعرفتهم إيّاها، ثّم انفرد كلُّ واحدٍ منهم بتفسير السّتّة عشر"[4]، ويرى الرُّهاوي أنّه يجب على مَن ادّعى علم طبيعة بدن الإنسان، والقائم على حفظ الصحّة ومعالجة أسْقامه أن يكون خبيرًا بهذه الكتب على ترتيبها، وأن يكون قد قرأها على أستاذٍ عَالِمٍ بها، كما يجب أن يُمتحَن مَن ادَّعى قراءة هذه الكُتب[5]، ويذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة هذه الكتب حَسب ترتيب الإسكندرانيّين لها، وهي كالتالي[6]:

مرتبته.	الكتاب وغرضه فيه.
الأولى:	**1- كتاب الفِرَق**[7]:وهو مقالة واحدة؛ يُستفاد منه قوانين العلاج على ما قال به أصحاب
أربعة كتب	التّجربة والقياس.
وجعلوها	**2- كتاب الصّناعة الصغيرة**: مقالة واحدة؛ يُستفاد منها في معرفة صناعة الطّب النّظري منها
بمثابة	والعملي.
المدخل إلى	**3- كتاب النَّبض الصَّغير**: مقالة واحدة؛ يُستفاد منه جميع ما يحتاج إليه المتعلِّم من الاستدلال
	بالنَّبض.

[1] نفسه.؛ مريزن سعيد مريزن عسيري، التعليم الطِّبي في المشرق، ص 28-30.

[2] اختُلِف في عدد الإسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس السّتّة عشر، فابن أبي أُصَيْبِعَة ذكر أنّهم كانوا سبعة وهم: إصطفن، وجاسيوس، وثاودوسيوس، وأكيلاوس، وأنقيلاوس، وفلاذيوس، ويحيى النّحوي، في حين قال القفطي بأنّ عددهم أربعة وهم: هم انقيلاؤس، واصطفن وجاسيوس، ومارينوس. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص151.؛ القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص267.

[3] يرى ماكس مايرهوف أنّ عددها (28) كتاب، مخالفًا لما قاله ابن أبي أُصَيْبِعَة وغيره. أنظر، ماكس مايرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد، ضمن كتاب (التراث اليوناني في الحضارة الإسلاميّة، دراسات لكبار المستشرقين)، جمع وتعريب: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1940م، ص45.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص151.

[5] الرهاوي، المصدر السابق، ص256.

[6] أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 155-157.؛ ابن النديم، المصدر السابق، ص351.؛ الرّهاوي، المصدر السابق، ص ص256، 257.

[7] يقول الرُّهاوي: "يُمتحَن فيه متعلّم الطِّب؛ فيسأله بداية عن غرض جالينوس في هذا الكتاب، عنوانه ومرتبته ومنفعته وقِسمته، وعن صحّ نسبته، وعن أيّ أجزاء علم صناعة الطِّب منه، وأيّ أنحاء التعاليم سَلَك فيه، فإنّه إنْ أجاب عن هذه الثمانيّة الأوجه بالصواب علِمَ منه أنّه قد قرأ ذلك الكتاب، وإنْ لم يعلم ذلك لم يتْعَب معه في السؤال عمّا داخل الكتاب، وأحْرى وأجدر ألّا يعلم ما بعده من الكتب". أنظر، الرُهاوي، المصدر نفسه، ص256.

صِناعة الطّبّ.	**4-كتاب جالينوس إلى اغْلُوقَنْ**: وهو مقالتان؛ يُستفاد منه في كيفيّة التّأني في شفاء الأمراض.
الثّانية: يُستفاد من جميعها الأمور الطّبيعيّة للبدن.	**1-كتاب الأَسْطقْسَات**: وهو مقالة واحدة؛ وهذا الكتاب هو أوّل كتاب يَصلح أن يبدأ به من أراد استكمال تَعليم صناعة الطّب. **2-كتاب المزاج**: وهو ثلاث مقالات؛ يُستفاد منه معرفة أصناف المِزاج، وبما يتقوّم كلّ واحدٍ منها، وبماذا يستدّل عَليه إذا حدث. **3-كتاب القِوى الطّبيعيّة**: وهو ثلاث مقالات؛ يُستفاد منه بمعرفة القِوى التي تُدبَّر بها طبيعة البدن وأسبابها والعلامات التي يُسْتدلّ بها عَليها. 4-**كتاب التَّشريح الصَّغير**: وهو خمس مقالات، يُستفاد منه بمعرفة أعضاء البَدن المتشابهة وعددها وجميع ما يُحتاج إليه فيها.
الثّالثة.	فيها كتابٌ واحد فقط، فيه ستُّ مقالات وهو، **كتاب العِلَّل والأعراض**، يُستفاد منه بمعرفة الأمراض وأسبابها والأعراض الحَادثة عن الأمراض.
الرّابعة.	1-**كتاب تعريف عِلّل الأعضاء الباطنة**: وهو ستّ مقالات؛ يُستفاد منه في تعريف كلِّ عِلّة من العِلّل التي تحدُث في الأعضاء الباطنة. 2-**كتاب النَّبض الكبير**: وهو ينقسم إلى أربعة أجزاءٍ، كلُّ جزءٍ منه أربع مقالات؛ يُستفاد من الجزء الأوّل منه بمعرفة أصناف النبض وجزئيات كلّ صِنف منها، ومن الثاني تعريف إدراك كلّ واحد من أصناف النبض، ومن الثالث، تعريف أسباب النبض، ومن الرابع، تعريف منافع أصناف النبض.
الخامسة.	1-**كتاب الحِمْيات**: يُستفاد منه في معرفة طبائع أصناف الحِميات وما يستدَلُّ به على كلِّ صنفٍ منها. 2-**كتاب البَحران**: ثلاث مقالات؛ الفائدة منه في معرفة أوقات المرض، ليُعطي في كلّ وقتٍ منها ما يوافق فيه ومعرفة ما يؤول إليه الحال في كلِّ واحدٍ من الأمراض، وهل يؤول أمرُه إلى السلامة أم لا وكيف يكون وبماذا يكون؟ 3-**كتاب أيّام البَحران**: ثلاث مقالات؛ يُستفاد منه في معرفة أوقات البحران ومعرفة الأيّام التي يكون فيها وأسباب ذلك وعلاماته.
السّادسة.	كتابٌ واحد وهو، **كتاب حِيلَةُ البُرْء**، أربع عشرة مقالة؛ يُستفاد منه قوانين العلاج على رأيّ أصحاب القياس في كلِّ واحدٍ من الأمراض.

السّابعة.	كتابٌ واحد وهو، **كتاب تدبير الأصِحّاء**[1] ستّ مقالات؛ يُستفاد منه حفظ صحّة كلّ واحدٍ من الأبدان.

اختلف الأطبّاء في المشرق الإسلامي في نظرتهم لهذا المنهج والتّرتيب، ما بين ناقدٍ ومؤيّدٍ، وكان ممَّن انتقده أبُو الخير، الحَسَن بنُ سِوَار(ق4هـ/10م)[2]، حيث وجد هذه الكتب مقصّرة عمّا يحتاجه طالب الطّب، لا سيّما فيما يخصّ الأغذيّة والأهويّة والأدويّة[3]، بالإضافة إلى تقصيرهم في ترتيب قراءة هذه الكُتب، لأنّ جالينوس بدأ من التّشريح، ثمّ سار إلى القِوى والأفعال، ثمَّ الأَسْطُقُسَات[4]. ويُرْجِع تلميذه ابن هِنْدو[5] سبب اقتصار أهل الإسكندريّة على هذه الكُتُب في قوله: "وأنا أرى أنَّ الإسكندرانيّين إنّما اقتصروا على الكتب السّتّة عشر، لا من حيث هي كافيّة في الطّب وحاوية للغرض؛ بل من حيث افتقرتْ إلى المعلِّم واحتاجت إلى المفسِّر، ولم يُمكن أن يقف المتعلِّم على أسرارها والمعاني الغامضة فيها مِنْ غير مذاكرةٍ ومطارحةٍ ومن دون مراجعةٍ ومفاوضةٍ"[6].

ويؤيّد ابن أبي أُصَيْبِعَة هذا التّرتيب، ذلك أنّه قدّم تفسيرات للأسباب التي رُتّبت على أساسها كتب جالينوس، فهو يرى أنّ حجّة الإسكندرانيّين في ترتيبهم لهذه الكتب، بعضه حسب الاستحقاق ككتاب "الفِرق"، فإنّه وجب تقديمه لتَتَنقّى به نفس المتعلِّم من شكوك أصحاب التّجربة والمحتالين ومغالطاتهم، ويتحقّق رأي أصحاب القِياس فيقتدي بهم، وبمنزلة الصّناعة الصّغيرة، فإنّها لما كانت فيها شارة من صناعة الطّب كان الأوْلى أن يتبع بها كتاب الفِرق ويجعل مدخلًا إلى الطّب، وبعضه حسب ما

---

[1] هذا الكتاب لم يذكره الرهاوي ضمن الستّة عشر، وذكر مكانه كتاب البرهان. أنظر، الرّهاوي، المصدر نفسه، ص258.

[2] هو ابن بابا بنُ بَهْنام، المعروف ب"ابن الخمار" بغدادي فاضل، منطقيٌ، قرأ عَلَى يحيى بنُ عُدي، وهو فِي نهاية الذّكاء والفطنة والاطّلاع عَلَى علوم أصحابه، كان مولده فِي شهر ربيع الأوّل سنة(331هـ/943م)، وكان نصرانيًا عالما بأصول صناعة الطِّب وفروعها، خبيرًا بغوامضها، كثير الدراية لها، ماهرًا في العلوم الحِكميّة، كما كان خبيرًا بالنقل، وقد نقل كتبًا كثيرة من السرياني إلى العربي، وله من المصنَّفات في صناعة الطِّب، وغيرها منها: مقالة في امتحان الأطباء صنّفها للأمير خوارزمشاه أبي العباس مأمون بن مأمون، وكتاب في خلق الإنسان وتركيب أعضائه، أربع مقالات، وكتاب تدبير المشايخ. أنظر، القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص127.؛ ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص428 ،429.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص157.؛ مريزن عسيري، المرجع السابق، ص ص34 ،35.

[4] كما فسّر لنا ابن أبي أُصَيْبِعَة أصل الترتيب الذي تبنّاه أبو الخير، قائلًا: "على أنّ الترتيب الذي ذكره الأستاذ أبو الخير أنّ جالينوس أشار إليه هو لَعَمْري الترتيب الصناعي، وذلك أنّه يجب على كلِّ ذي صناعة أن يتدرّج في تعليمها، من الأظهر إلى الأخْفى، ومن الأخير إلى المبدأ، والتشريح هو، علم البدن وأعضائه، وهذه هي أوّل ما يظهر لنا من الإنسان، وإنّ آخر ما تفعلُه الطِّبيعة". أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص158.

[5] أبو الفرج، علي بنُ الحسين بنُ هندو، من الأكابر المتميّزين في العلوم الحكميّة والأمور الطِّبّيّة، وتميّز في الأدب والشعر... ولأبي الفرج بن هندو من الكتب وهو المشهور "مفتاح الطِّب"، ألّفه لإخوانه من المتعلِّمين، وهي عشرة أبواب. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص429-435.؛ الثعالبي (عبد الملك بنُ محمد بنُ إسماعيل، أبو منصور. ت 429هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: د. مفيد محمد قمحية، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، 1983م، ج3، ص459 وما بعدها.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، عيون الأنباء، ص157.

تُوجب إضافته لغيره كالكتاب الصغير في النّبض، فإنّه جُعل تابعًا للصناعة الصّغيرة لأنّ جالينوس ذكر فيها النّبض عند ذكره لمزاج القلب، ووجب تقديمه على كتاب جالينوس إلى أَغْلُوقَنْ، لأنّه تكلَّم فيه في الحِمْيات والنَّبض وهو أوَّل شيءٍ يُعْرَف منه أَمْرُ الحِميات[1]، فإنّه لكتب هذين الطّبيبين-أبُقْرَاط وجَالينوس- مكانة كبيرة لدى أطبَّاء المشرق الإسلامي[2]تمَّ اعتماد الكثير منها في تَعليم الطّبّ، وهذا ما أبرزه ابن أبي أُصَيْبِعَة، من خلال كتابه، مِن إقبال الأطبّاء وطلبة الطّب على دراستها[3].

يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة رحلة أحمد وعمر ابْنا يونس الحَرّاني[4] إلى بلاد المشرق في سنة (330هـ/942م)، واستقرّا فيها مدّة عشرة أعوام، ودخلا بغداد، ولازمَا ثابت بنُ سِنان بنُ ثابت بنُ قُرّة الصابئ، وقرآ على يديه كتب جالينوس قبل أن ينصرفا إلى الأندلس[5]، واشتغل الحكيم رشيد الدِّين أبو سعيد بعلم الطّب على عمّ ابن أبي أُصَيْبِعَة الحكيم رشيد الدِّين، لما كان في خدمة السُّلطان الملك المعظّم، وقرأ عَليه ولم يكن في تلامذته مثله، فإنّه لازمه حقّ الملازمة وكان لا يفارقه في سفره وحضره، وأقام عنده بدمشق وهو دائم الاشتغال عَليه إلى أن أتقن حفظ جميع ما ينبغي أن يحفظ من الكتب، التي هي مبادئ لصناعة الطِّبّ، ثمّ قرأ عَليه كثيرًا من كتب جالينوس وغيرها، وفهم ذلك فهمًا لا مزيد عَليه[6]، ودَرَس أبُو زكريَّا البَيَّاسي الأندلسي على مُهَذَّبُ الدِّين بنُ النَّقّاش(ت574هـ/ 1082م) الكتب الستّة عشر لجالينوس وقرأها عَليه[7]، أمّا أبو الفضل بن عبد الكريم المُهندس، فقرأ جميع الكتب الستّة عشر لجالينوس وقام بكتابتها[8].

وعُرِف عن الطَّبيب يَعْقُوب بنُ سِقْلَاب (ت 625هـ/1228م) أنّه كان يحرص ويواظب على قراءة ومطالعة كُتُب جالينوس، فكان على حدِّ قول ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّه مُلِّمًا بالمشهور من كتب جالينوس، يستحضر أقواله، ويتكلّم به في صناعة الطّب، باختلاف المواضيع الطّبيّة، ومهما عُرِضت له في صناعة

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص157، 158.

[2] قال الطِّبيب ابن البذوخ في مدح كتب جالينوس:

أَكْرِم بِكُتُب لجالينوس قدْ جُمِعَـت ... مَا قال بُقراط والماضُون في القِـدم

كديسُـقُوريدَس عِـلم الـدَّواءُ لَه ... مُسَلَّم عند أَهْل الطِّب في الأُمَـم

فالطِّب عَن ذَيْن مَعَ بُقْرَاط مُنتَشِر ... مِن بَعدِهم كانتشار النُّور في الظُّلم. ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص629.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعة، المصدر نفسه، ص262، 271، 272، 298، 316، 323، 371، 426، 566، 568، 599، 611، 694...

[4] يونس الحَرّاني الطِّبيب، نزيل الأندلس، رحَل من المشرق إلَى المغرب، ونَزل الأندلس فِي أيّام الأمير محمد الأُموي المستولي عَلَى تِلْكَ الديّار، وأدخل إلَى الأندلس معجونًا كَانَتْ السُقْية منه بخمسين دينارًا لأوجاع الجَوْف. أنظر، القفطي، المصدر السابق، ص 292.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص487.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص599.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص637.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص670.

الطّب من المسائل والمواضيع المستعصيّة، يجيب بشيء من ذلك ممّا قاله جالينوس، ويورد فيه أشياء من نصوص كلام جالينوس، حتّى كان يُتَعَجَّب منه في ذلك، وربَّما أنّه في بعض الأوقات كان يذكر شيئًا من كلام جالينوس، ويقول: "هذا ما ذكره جَالينوس في كذا وكذا ورقة من المقالة الفُلانيّة، من كتاب جالينوس ويسمّيه"[1]. ونجد ابن أبي أُصَيْبِعَة مُعْجَب ومُنْبَهر بِقُوَّة حفظه وفهمه لكتب جالينوس، حتى أنّه كان يُحَقِّق في أقواله بما وجد في كتب جالينوس[2].

وكان من شدّة عنايته بكتب جالينوس أنَّه كان لديه بعض كتبه باللُّغة الرُّوميّة وهو يلازم قراءتها والاشتغال بها[3]، ولعلّه كان يقارن بين النُّسخة المكتوبة بالعربيّة، والنُّسَخ المكتوبة بالرّوميّة ليكتشف ما قد يحدث من خطأ ونقص في كِلا النُّسختين[4]، وكان ابن أُصَيْبِعَة نفسه يراجع كتب جالينوس مع الطّبيب ابن البيطار فيما يخصّ الأدويّة والأعشاب[5]، كما كان الطّبيب عبد الرَّحيم بن عَليّ الدخوار يقدّر كتب جالينوس ويعظِّمُها، ويعرف لهذا الطّبيب مكانته وكان له اختصاصٌ بتدريس كتب جالينوس لطلّاب الطّب، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة :" وأقمتُ أنا بدمشق لأجل القراءة عَليه ... فبقيت أتردَّدُ إليه مع جماعةٍ شرعت في قراءة كتب جالينوس، وكان خبيرًا بكلِّ ما يقرأ عَليه من كتب جالينوس وغيرها، وكانت كتب جالينوس تُعجبه جدًّا، وإذا سمع شيئًا من كلام جالينوس في ذِكر الأمراض ومداواتها والأصول الطّبيّة يقول: "هذا هو الطِّبّ"[6].

وهناك اختلافٌ بين الأطبّاء المسلمين عامّةً وفي المشرق الإسلامي خاصّةً، من حيث التّعامل مع كتب جالينوس وغيره، فمنهم مَن سَلَّم بها وجعلها المرجع الصّحيح[7]، ودافع عنها كالطّبيب المصري عَليّ بن رضوان(ت 460هـ/ 1068م) الّذي كانت له حماسةٌ زائدة لطبّ جالينوس[8]، فاجتهد في تعلّم كتبه

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص697.

[2] كان ابن أبي أُصَيْبِعَة لدرجةِ تعجُّبه من استحضار الطِّبيب ابن سُقْلاب لكلام جالينوس، يدفعه الفضول للتأكُّد ومقارنة ما يقوله ويُحيلُه إلى جالينوس بكتب جالينوس، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "ولقد كنتُ أراجعُ شرْحَ جالينوس في ذلك، فأجدُه قد حكى جملةَ ما قاله جالينوس بأسْرِهِ في ذلك المعنى، وربّما ألفاظٌ كثيرة من ألفاظ جالينوس يوردها بأعيانها من غير أن يزيد فيها ولا يُنْقِص، وهذا شيءٌ تفرّد به في زمانه. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص698.

[3] نفسه.

[4] ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص259.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص601.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص731.

[7] من غير أطبّاء المشرق فالطِّبيب أبو العلاء بنُ زَهْر الأندلسي (525هـ/ 1131م) ألّف كتابًا أطلق عليه "البيات والتّبيّن في الانتصار لجالينوس"، وذكر له ابن أبي أُصَيْبِعَة كتاب "حلّ شكوك الرّازي على جالينوس" نفس عنوان كتاب ابن رضوان. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص519.؛ الرازي (ت320هـ/932م)، كتاب الشكوك للرازي، ص12.

[8] ممّا يؤكّد دفاعه على جالينوس وآرائه في كتبه، تأليفه كتاب يردّ فيه على الرّازي، بعنوان "حلّ شكوك الرّازي على جالينوس"، في سبع مقالات. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص429، 566.؛ الرازي (ت320هـ/932م)، المصدر السابق، ص12.

واعتمدها في كتاباته، لأنّ مُعظم مؤلّفاته كانت بمثابة شرح لأقوال جالينوس أو أنّها فوائد مستخرجَة من كتبه[1]، ومنهم مَن وضع كتب جالينوس في موضعٍ للشكّ والنّقد في عديد القضايا، فالرَّازي الّذي يذكر أنّه كان في أوّل اللّيل يتدارس مع صديقٍ له كتب أَبُقْرَاط وجالينوس[2]، يؤلّف كتابًا بعنوان "كتاب الشّكوك والمناقضات الّتي في كتب الفاضل جالينوس"[3]، مبيّنا في مقدّمته أنَّ جالينوس لو كان حيًّا لَشَكَر فِعْله ولاهتدى واجتهد لتصحيح تناقضاته[4]، كما حَوى ثمانيّةٍ وعشرين خطأً علميّا وقع فيها جالينوس[5]، ونقد ما في كتاب البُرْهان لجالينوس مِنْ عمل العَين في الإبصار وتكيُف حَدَقتها في حالتَيْ النّور والظلمة[6]، وكذلك ابن سينا الّذي كان كثيرًا ما يختلف مع جالينوس وينقدُه[7].

ت–الكتبُ الطّبيّة العربيّة:

إلى جانب كتب أَبُقْرَاط وجالينوس، اشتهرت العديد من المؤلّفات العربيّة اعتُمدت في تعلّم الطّب، خاصّةً بعد أن تطوّرت الدّراسات الطّبيّة في المشرق الإسلامي، واتّسعت ميادينها بظهور التخصّصات، وكان الأطبّاء القائمين على التَعليم يقدّمون نصائح وتوجيهات لتلامذتهم للكتب الّتي يجب دراستها بعد

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص566، 567.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، 416.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، 422.

[4] وهذه مقتطفات من مقدّمته: "قال محمد بن زكريا الرازي: إنّي لأعلم كثيرًا من الناس يستجْلُونني في تأليف هذا الكتاب، وكثيرًا منهم يلومونني ويُعَنفونني أو كان يجرى إلى تحليّتي [بحِلْية) مَن يقصد باستغنام واستلذاذ منه لذلك إلى مناقضة رجلٍ مثل جالينوس في جلالته ... وأجدُ لذلك – يعلمُ الله – مَضَضًا في نفسي؛ إذ كنتُ قد بُليتُ بمقابلة مَن هو أعظم الخَلْقِ عَليَّ منّة، وأكثرُهم لي منفعةً، وبه اهتديتُ وأثره اقتفيتُ ... وبوَدّي – يشهد الله – أنّ هذه الشُّكوك التي ذكرتُها في هذا الكتاب لم تكن في كتب هذا الرَّجل ... لكن صناعة الطِّب والفلسفة لا تحتملُ التَّسليم للرؤساء والقُبول منهم ولا مساهَلَتهم وترْكِ الاستقصاء عليهم، ولا الفيلسوف يُحبُ ذلك من تلاميذه والمتعلّمين منه، كما قد ذكر ذلك أيضًا جالينوس في كتابه "في منافع الأعضاء"، حيث وبَّخ الذين يُكَلِّفون أتباعهم وأشياعهم القُبول منهم بلا برهان، وكان أكثر ما جَرَّأني، وسَهُل على أنّ هذا الرجل لو كان حيًّا حاضرًا لم يلُمني على تأليف هذا الكتاب، ولم ينقل ذلك عليه، إيثارًا منه للحقّ، وحُبًا لتقَّصي المباحث، وبلوغ أواخر لها؛ بل كان سيشرعُ بجدٍ ونشاط إلى تصفُّحه والنظَر فيه؛ وإمّا حَلّ جميع الشكوك التي فيه وحَمَدني...". أنظر، الرَّازي، المصدر السابق، ص ص 39، 40.

[5] لم تكن هذه الشكوك خاصّة بأمورٍ طبيّة فقط؛ بل شملت قضايا فلسفيّة أيضًا. أنظر، الرازي، المصدر نفسه، ص11.

[6] أحمد عبد الحليم عطيّة، جالينوس في الفكر القديم والمعاصر، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1999م، ص39.

[7] مثال ذلك قوله:" أمّا جالينوس فإنّه إذا حقَّق مذهبه رجع إلى أنّ السبب الذاتي للوجَع هو تفرُّق الاتصال لا غير، وإنَّ الحار ... وقد تمادَى هو في هذا الباب، حتّى أَوْهَم في بعض كتبه أنّ جميع المحسوسات تُؤذي مثل ذلك، أعْني تُؤذي بتفريق أو جمعٍ يلزمُه تفريق، فالأُسود... وأمّا القول الحقّ في هذا الباب فهو، أنْ يجعل تغيُّر المزاج جنسًا مُوجِبًا بذاته الوجع، وإنْ كان قد يعرِضُ معه تفريق اتصال...". أنظر، ابن سينا، القانون في الطِّب، ج1، ص148.؛ وقوله في باب تدبير بدنٍ في مِزاجه فاضل: " وجالينوس مع رأيِّه هذا يُطلقُ القول بأنّ المِسْهل الذي لا سُمّيّة فيه إذا لم يُسهِل واستمرّ ولَّد الخلْط الذي يجذبُه، وليس هذا القول بسديد، ويظهر من حيث يحقِّقُه جالينوس أنّه يرى أنّ بين الجاذب الدوائي والمجذوب الخلْطي مُشاكلة في الجوهر، ولذلك يجذب، وهذا غير صحيح. أنظر، ابن سينا، المصدر نفسه، ج1، ص 278.

معرفة الفرع الّذي يميل إليه طالب الطّب، من طبٍ طبائعي، طبِ عيون، جراحة، الأدويّة والأعشاب الطّبيّة... ومن الكتب المشهورة التي وجدتها في نصوص ابن أبي أُصَيْبِعَة أذكر:

- كتاب "المَسَائِلُ في الطِّبّ"، لحُنين بن إسحاق العبادي (ت 264هـ/ 878م): مدخلٌ إلى صناعة الطّب؛ جمع فيه جُملًا وجوامع تجري مجرى المبادئ والأوائل لهذا العلم، وتمّمه تلميذه حُبَيْش الأعِسَم بن الحسن"[1]. وهو مرجعٌ مهمٌّ لطلبة الطّب، وما يبرز أهميته اقتنائه وامتلاكه، ما أشار إليه ابن أبي أُصَيْبِعَة، على أنّه يوجد مَن يستعيره من غيره لدراسته والاطّلاع عَليه، وممّن كان يملكه الطّبيب جمال الدِّين عَليّ بنُ أَثْرْدي (ت599هـ/ 1202م)[2]، وكثيرٌ من الأطبّاء ببلاد المشرق مَن كان له اهتمامٌ خاصٌ به فشرحه أو اختصره[3].

-كتاب "الحَاوي"، لأبي بكر، محمَّد بن زكريَّا الرَّازي (ت320 هـ/ 932م):

محمد بن زكريا الرَّازي، أبو بكر؛ فيلسوفٌ وطبيبٌ، مولده وتعلّمه بالرّي، انتقل إلى بغداد بعد سنِّ الثلاثين، له معرفةٌ بالموسيقى والغناء ونظْم الشّعر وغيره، ثمّ عكف على الطّب والفّلسفة في كِبره[4]، فنبغ واشتهر، وتولّى تدبير مارستان الرّي، فرياسة أطباء البَيْمَارِسْتان المقْتَدري في بغداد[5]، وصنّف فيها مصنّفات فريدة وخصوصًا مصنّفاته في الطّب منها؛ "كتاب الحاوي"، و"المنصوري"، و"الفصول"، إلّا أنّ أهمّها كتاب "الحاوي"[6]، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وهو أجلّ كتبه وأعظمها في صناعة الطّب، وذلك أنّه جمع فيه كلّ ما وجده متفرّقًا في ذِكر الأمراض ومداواتها من سائر الكتب الطّبيّة للمتقدِّمين، ومَن أتى بعدهم إلى زمانه، ونَسَب كلُّ شيءٍ نقله إلى قائِله"[7]، فكان ضمن الكتب المهمّة في تعلّم الطّب في بلاد المشرق،

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص271.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 400.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 341، 342، 461، 614، 663، 668، 675، 683، 717.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص414 وما بعدها.

[5] الزِّرِكْلي، المرجع السابق، ج6، ص130.

[6] يعرّفه ابن النديم بقوله :"كتابُ الحاوي، ويسمّى الجامعُ الحاصِرُ لصناعة الطِّب، ويُقَسَّم هذا الكتاب اثني عشر قسمًا، القسم الأوّل منه في علاج المرضى والأمراض، القِسْم الثّاني، في حفظ الصّحّة، القسمُ الثّالث، في الرئبة، والجبر، والجَراحات، القِسْمُ الرّابع، في قِوى الأدويّة والأغذيّة، وجميع ما يحتاج إليه من المواد في الطِّب، القِسم الخامس، في الأدويّة المركّبة، القِسمُ السّادس، في صَنْعةِ الطِّب، القِسمُ السّابع، في صيدلة الطِّب الأدويّة وألوانها وطُعُومها وروائحها، القِسْمُ الثامنُ، في الأَبدان، القِسمُ التاسع، في الأوزان والمكاييل، القِسمُ العاشر، في التشريح ومنافع الأعضاء، القِسمُ الحادي عشر، في الأسباب الطِّبيعيّة من صناعة الطِّب، القِسمُ الثاني عشر، في المدخل إلى صناعة الطِّب، مقالتان في الأُولى الأسماء الطِّبيّة، وفي الثانيّة، أوائل الطِّب". أنظر، ابن النديم: المصدر السابق، ص361.؛ القفطي، المصدر السابق، ص ص207، 208.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص421.

حيث أنَّ الطّبيب المصري عَليّ بن رضوان، حين أراد أن يقتصر على كتبٍ محدّدة حسب أهميّتها، كان كتاب "الحاوي" ضِمن مختاراته، إلى جانب كتب جالينوس وأَبُقْرَاط[1].

وقد كان أطبّاء الشّام يركّزون في قراءتهم من هذا الكتاب على الجزء العملي منه لتميّزه في هذا الجانب[2]، ودليلُ ذلك أنَّ ابن أبي أُصَيْبِعَة لما تتلمذ على رضِيّ الدِّين الرَّحْبِي عامَيْن كاملين سنة (622هـ/1226م. و623هـ/1227م) بدمشق قرأ عَليه عددٌ من كتب الطّب، ولا سيّما فيما يتعلّق بالجزء العملي من كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرّازي وغيره ...[3] وقرأ عَليه من كلام الرَّازي أيضًا في ترتيب تناول الأغذيّة[4]، وبدوره ابن أبي أُصَيْبِعَة درّس كتب الرّازي لغيره بعد أن تمكَّن فيها[5].

-كتاب "الملكِي"، لعَليّ بن العباس المَجُوسي(ت384هـ/ 994م):

عَليّ بن عبّاس المجُوسي من الأهواز، طبيبٌ متميّزٌ في صناعة الطّب، اشتهر كتابه المسمّى بـ "الملكِي "صنّفه للملك عَضُد الدَّولة؛ وهو كتاب جليلٌ مشتملٌ على أجزاء الصّناعة الطّبيّة عِلْمُها وعمَلها[6]، قال فيه مؤلّفه: "جامعٌ كاملٌ لكلّ ما يحتاج إليه المتطبّب ينقسم إلى جزأين الأوّل، الجزء النّظري (العلمي) فيه عشرُ مقالات وجميع ما تضمّنه هذا الجزء العلمي ثلاثمائة وتسعة وتسعون بابًا والثّاني، الجزء العملي، فيه عشر مقالات فجميع أبوابه ستّمائة وأربعة وستّون بابًا[7]، ولم يذكر أهميّته في تَعليم الطّب[8]، إلّا أنّه ذكر أنّ أستاذه في الطّب الطّبيب عبد الرّحيم الدَّخوار أحد مشاهير أطبَّاء الشَّام، كان في أوّل اشتغاله بصناعة الطّب قد قرأ شيئًا من الملكِي على الشّيخ رضِيّ الدِّين الرَّحْبِي[9].

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص562.

2 الحازمي، المرجع السابق، ص263.

3 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص673.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص674.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص768.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص319، 320.

7 حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، ص1380.

8 يعرفه القفطي في قوله: "هو كتابٌ جليلٌ، وَكُنّاشٌ نبيلٌ اشتمل عَلَى علم الطِّب، وعمَله حسن الترتيب مال الناس إِلَيْهِ فِي وقته، ولزِموا درسَه إِلَى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا، فمالوا إِلَيْهِ، وتركوا المِلكي بعض الترك، والمِلْكي فِي العمل أبلغ والقانون فِي العلم أثْبَتْ". أنظر، القفطي، المصدر السابق، ص178.

9 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص728.

- كتاب "القَانُون في الطّبّ"[1]، لابن سينا (ت428هـ/ 1036م):

هو الحُسين بنُ عبد الله بنُ عَليّ بنُ سينا، المعروف بـ"الشّيخ الرّئيس"، من بَلَخ[2]، مولده في إحدى قرى بُخَارَى[3]، نشأ وتعلّم بها، طاف البلاد، وناظَر العلماء، واتّسعت شهرته، وتقلّد الوزارة في هَمَذَان[4]، ثار عَليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى، ثمّ صار إلى أَصْفَهَان، صنّف بها أكثر كتبه[5]، يعدّ كتابه "القانون في الطّب"، من أفضل ما صُنّف في الصّناعة الطّبيّة، نال شهرةً بين الأطبّاء المسلمين وهو عُمْدة في الدّراسات الطّبيّة ولا غِنًى لأيّ طبيبٍ عنه؛ بل كان الكثير من الأطبّاء يروْنه لوحده كافيًا[6]، ومن الّذين تدارسوه وقرأوه الطّبيب فَخْرُ الدِّين المارْدِيني، وكان مدرّسه فيه أمين الدّولة بن التّلميذ الّذي باحَثَه فيه وبالغ في تصحيحه وتحريره معه[7]، حتّى برَع فيه، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "كان كثير الدّراية لهذا الكتاب والتّحقيق لمعانيه"[8]، وعند انتقاله إلى دمشق في سنة(579هـ/1184م) قام بتدريسه لمهذّب الدِّين عبد الرحيم بن عَليّ الدّخوار[9].

ولا شكّ في أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يتوان في دراسة هذا الكتاب، فذكر أنّه اجتمع بالطّبيب أفضل الدِّين الخُونْجي بالقاهرة في سنة(632هـ/1235م)، وقرأ عَليه بعض الكلّيات من كتاب القانون[10]، ونظرًا

---

1 يحتوي الكتاب على خمسة أقسام أو كُتُب، كما قال ابن سينا، الاوّل في الأمور الكليّة في علم الطِّب، والثّاني، في الأدويّة المفردَة، والثّالث، في الأمراض الجزئيّة الواقعة بأعضاء الإنسان عضوٌ عضوٌ من الفرَق إلى القِدم ظاهِرها وباطنها، والرّابع، في الأمراض الجزئيّة التي إذا وقَعَتْ لم تختص بعضوٍ وفي الزينة، والخامس، في تركيب الأدويّة وهو الأَقْرابَاذِين. أنظر، ابن سينا، القانون في الطِّب، ج1، ص10.

2 مدينة بَلَخ، مدينةٌ مشهورةٌ بخُراسان، وهي عظيمةٌ القَدْر، عليها صُورَان، صورٌ خلْف صور، وقد كان عليها في متقدِّم الأيّام ثلاثة، ولها اثنا عشر بابًا. أنظر، اليعقوبي، البلدان، ص16.

3 بُخَارَى، بالضَّم، مدينةٌ عظيمةٌ مشهورة بما وراء النهر قديمةٌ طيّبة، ويُنْسب إليها كثيرٌ من أئمّة المسلمين في فنون شتّى، منهم: إمام أهل الحديث أبو عبد الله، محمد بنُ إسماعيل بنُ إبراهيم بنُ مغيرة بنُ بردزبه، وبردزبه مجوسي أسلم على يد يمان البخاري. أنظر، زَكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص509.؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص353.؛ صفِيّ الدّين القطيعي، مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبِقاع، ج1، ص169.

4 هَمَذَان، بفتحِ الميمِ ونَقْط الذّال، بلدٌ بخراسان، وهي مدينةٌ من عراق العَجَم، من كُورِ الجبل، وهمذان بلدٌ واسعٌ، جليلُ القدْر، كثيرُ الأقاليم والكُورُ، تمّ افتتاحه سنة ثلاث وعشرين، ويشرب أهلها من عيونٍ وأودية. أنظر، أبو عباس الشُّريشي(أحمد بنُ عبد المؤمن بنُ موسى القَيْسي. ت 619 هـ)، شرْحُ مقامات الحريري، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1427هـ/ 2006م)، ج1، ص21.؛ الحِمْيري، الروض المِعْطار في خبر الأقطار، ص596.

5 الزِّرِكْلي، المرجع السابق، ج2، ص241.

6 مريزن سعيد مريزن عسيري، تعليم الطِّب في المشرق الإسلامي، ص39.

7 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص402.

8 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص728.

9 نفسه.

10 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص586.

للاهتمام الكبير بهذا الكتاب فقد بالغ بعضهم في حفظ أجزاءٍ منه، يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وبالغ الحكيم شمسُ الدِّين في ذلك حتّى حفظ أيضًا الكتاب الأوَّل من القانون وهو، الكلّيات جميعها حفظًا متقنًا لا مزيد عَليه واستقصى فهْمَ معانيه، ولذلك قيل له "الكُلِّي"[1]، ويبدو الاهتمام الكبير به أيضًا من خلال ما عمله الأطبّاء عَليه من شُرُوح ومختصراتٍ وحَواش وتَعاليق[2]، وهذا إنّما لأهمّيّته حتَّى وُصِف بأنَّه إنجيلُ الطِّبّ في العصور الوسطى[3].

-كتاب "العَشْر مَقَالَات في العَيْن"[4]، لحُنَيْن بنُ إسحاق (264هـ/ 878م):

من أهمّ كتب طبّ العيون المعتمَد عَليها ببلاد المشرق الإسلامي، لأنّ الأطبّاء كانوا يُمتحَنون فيه قبل مباشَرتهم للصّناعة، يقول الشّيزري: "وأمّا الكحّالون فيمتحِنُهم المحتسِب بكتاب حُنين بن إسحاق، أعني "العشر مقالات في العين"، فمنْ وجده فيما امتحَنه به عارفًا بتشريح عدد طبقات العين السّبعة، وعددِ رطوباتها الثّلاثة، وعددِ أمراضها الثّلاثة، وما يتفرّع من ذلك من الأمراض، وكان خبيرًا بتركيب الأَكْحال وأمزِجة العقاقير أَذِن له المحتسِب بالتصدّي لمداواة أعيُنِ الناس"[5]، وذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة الغرض من كلِّ مقالة من المقالات العشر، كما ذكر أنّه وجد مقالة أخرى حادية عشرة لحنين مُضافة إلى هذا الكتاب يتكلّم فيها حُنين عن علاج الأمراض التي تَعْرَض في العين بالحديد[6]، فأغلب معلوماته مستمدّة في هذا الكتاب من عند جالينوس، لقوله في مقدِّمَة الكتاب: "وأنا مؤلِّف لك كتابًا كما سألتَ أجمعُ لك فيه باختصارٍ جميع، ما قدّمتَ ذِكْره، على ما بيَّنه وشرَحه جالينوس الحكيم، بأوضحِ ما أَقْدِرُ عَليه من

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص755.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 461، 470، 471، 472، 560، 628، 630، 648، 662، 668، 682، 683، 695، 717، 759...

[3] حسن نافعة وكليفورد بوزورث، تراث الإسلام، تر: حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، الكويت، ج2، ص148.

[4] أوّل ما بدأ به حُنَيْنُ بن اسحق في هذا الكتاب: "أنه قال إنه ينبغي لمن أراد معرفة علاج علل العين ان يكون بطبيعتها عارفا، وذلك لأن نفي الآلام والعلل عن كل عضو انما يكون برده الى طبيعته التي خرج عنها، ومعرفة طبيعة كل ما هو مركب إنما تكون بأحكام معرفة الأجزاء التي هو منها مؤلف، فلذلك يجب على من أراد معرفة طبيعة العين، أن يعلم من كم جزء ركبت العين، وما فعل كل واحد منها وما الحاجة اليه وكيف هيئته ومن أين مبدؤه وأين منتهاه وفى أي موضع هو من العين، مع أسباب ذلك والاحتجاج فيه". أنظر، حُنين بن إسحق (ت264هـ)، العشر المقالات في العين، ص71.

[5] الشيزري، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحِسبة الشريفة، ص100.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص271، 272.

القول وأوْجَزه"[1]، وهو الّذي نجده يهتمّ لكتبه، يشرحُها ويفسّرها وينقلها إلى العربيّة، وكثيرٌ منها ما جعله عن طريق المسألة والجواب تسهيلًا لتَعليم الطّب[2].

- كتاب "تَذْكِرَة الكَحَّالين"، لعَليّ بن عِيسَى الكَحَّال(ت 401هـ/ 1011م)[3]:

عُرِف عن عَليّ بن عيسى حذْقه في صناعة الكُحل وتميّزه فيها، واشتهر بكتابه "تذكرة الكَحّالين"، وهو كتاب متضمّن لثلاث مقالات[4]، واشترط على كُلٍّ مَن تصدّى لصناعة الكُحل حفظه، لذلك فقد اقتصر النّاس عَليه دون غيره من سائر الكتب الّتي قد أُلّفت في هذا الفنّ، وصار ذلك مستمرًّا عندهم[5]، ويقول عن الكتاب الباحث نشْأَتْ حمَارْنة:" ووصفه الباحثون بأنَّه كتابٌ منهجيٌ لطبيبٍ مُجَرِّب مارَس المعالجة والجِرّاحة، كما أنَّ الكتاب يُعتبر بحقٍّ الكتاب التَعليميّ الكلاسيكي عند العرب في طبّ العُيون"[6].

أمّا فيما يخصّ المشهور من الكتب الطّبيّة العربيّة التي كان التّلامذة يُقبلون على تعلّمها نجد بعضًا من الكتب درسها الطّلبة، على الرغم من عدم شهرتها، خاصّةً كتب الأطبّاء المدرِّسين من ذلك، ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة مِنْ أنّ للشَّيخ السَّديد بن أبي البَيَان(ت بعد 636هـ/1239م) "كتاب الأَقْرابَاذِين"، مُكَوَّن من اثني عشر بابًا، وهو من أجودها، اقتصر على الأدويّة المركّبة المستعمَلة المتداوَلة في البَيْمَارِسْتانات بمصر والشّام والعراق وحوانيت الصّيادلة، وهو من الكتب الّتي درسها عَليه ابن أبي أُصَيْبِعَة[7]،بالإضافة إلى كتبٍ أخرى ألّفها أساتذته فقد قرأ على الطّبيب ضياء الدّين بن البَيطار(ت646هـ/1249م) كتابه "تفسير كتاب دِيسْقُورِيدَسْ"، كما درس عَليه "كتاب الغافقي في الأدويّة"[8]، ومن الكتب المتخصّصة والمحبَّذة للتعليم الطّبي "كتاب الزَّهراوي في الجراحة"[9]، وهو الباب الأخير مِن كتاب خَلَفْ بن العبّاس

[1] حُنين بنُ إسحق، المصدر السابق، ص71.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص272.

[3] وقد يكون اسمُه عيسى بنُ علي، حسب ابن أبي أُصَيْبِعَة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص333.

[4] تتناول المقالة الأولى دراسة تشريح العين، ووظائفها في واحد وعشرين فصلًا، والمقالة الثانيّة، دراسة الأمراض في أربع وسبعين فصلًا، أمّا المقالة الثالثة، فتُكَّمِل المقالة الثانيّة، وتقع في سبعٍ وعشرين فصلًا. أنظر. نشْأَتْ حمَارْنة، **تاريخ أطباء العيون العرب**، ط2، إصدار خاص من مجلّة الكحّال، 1958، ج1، ص ص61، 62.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص333.

[6] نشأت حمارنة، المرجع السابق، ج1، ص61.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص584.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص602.

[9] يقول الشيزري: "وأمّا الجرائحيون، فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس، المعروف بقَاطَاجَانس في الجِراحات والمراهم، وأيضًا كتاب الزهراوي في الجراح". أنظر، الشيزري، المصدر السابق، ص101.

الزَّهراوي الأندلسي[1] (التّصريفُ لِمَنْ عجَزَ عن التأليف)[2]، ويذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ أستاذه الدَّخْوار قد صنَّف مقالةً في الاستفراغ وألْزَم تلامذته بقراءتها عَليه؛ بل ومنهم مَن حفظها كلَّها، على غِرار بدر الدِّين ابن قاضي بعلبك، ممَّا جَعَل الشَّيخ مهذَّبُ الدِّين يُعْجَبُ به[3].

ويلاحَظ أنَّه بعد قراءة هذه الكتب والتَّمكُّن فيها، يخرج المتعلِّم للطِّب من دائرة التَّعلم إلى دائرة التَّفقُّه في الطّب، حيث نجد كتبًا لا يُنْصَح بها للمتعلمين الجُدُد، وهذا ما استنتجته من نصّ ابن أبي أُصَيْبِعَة، حين ذِكره لسبب تأليف كتاب الأدويّة المفردة لأحمد بن أبي الأشْعَثْ، المكوّن من ثلاث مقالاتٍ" وكان السَّبب الباعث له على تصنيفه قومٌ من تلامذته سألوه ذلك، وهذا نصّ كلامه في صدر الكتاب قال: "سألني أحمد بنُ محمَّد البَلْدي[4] أن أكتب هذا الكتاب، وقديمًا كان سألني محمد بن ثَوَاب[5] فتكلَّمت في هذا الكتاب بحسب طبقتهما، وكتبتُه إليهما، وبدأتُ به في شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وهما في طبقة مَن تجاوز تعلُّم الطّب، ودخَلَا في جملة مَن يَتَفَقَّه فيما عُلِم من هذه الصِّناعة، ويفرع ويَقيس ويَسْتَخرج وإلى مَن في طبقتهما من تلامذتي ومَن إئتمَّ بكُتبي، فإنَّ مَن أراد قراءة كتابي هذا، وكان قد تجاوز حدَّ التَّعليم إلى حدِّ التَّفَقه فهو الّذي يُنتفع به، ويحظى بعِلمه ويَقدرُ أن يَسْتَخرج منه ما هو فيه بالقوَّة ممَّا لم أذكره، وأنْ يُفرع على ما ذكرتُه وَيُشيد، وهذا قوْلي لجمهور النّاس دون ذوي القرائح الأفراد الّتي يمكنها تفهّم هذا وما فوقه بقوّة النّفس النّاطقة فيهم"[6].

وبالعودة إلى مَن تحدّث عن مُجمل المصادر المعتمدَة في التَعليم الطّبي، فقد ذكر الشّاعر النّظامي العَرُوضِي[7](ت552هـ/1157م)الكتب الطّبيّة التَعليميّة الّتي يجب على طالب الطّب تعلّمها، وقسّمها

[1] من أفاضل الأطباء، له خبرةٌ ومعرفةٌ بالأدويّة المفرَدة والمركّبة، من مؤلّفاته: كتابه الكبير المعروف بالزهراوي، وكتاب التصريف لمنْ عجَزَ عن التأليف وهو أكبر تصانيفه وأشهرها. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص501.

[2] مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص39.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص751.

[4] أبو العباس، أحمد بنُ محمد بنُ يحيى، من مدينة بلد، وكان خبيرًا بصناعة الطِّب، حسن العلاج، والمداواة، وكان من أجلّ تلامذة أحمد بنُ أبي الأشعث، لازَمه مدّة سنين، واشتغل عليه وتميَّز، ولأحمد بنُ محمد البلْدي من الكتب، كتابُ تدبير الحَبالَى والأطفال والصبيان، وحفظ صحَّتهم ومداواة الأمراض العارِضة. أنظر، ابن أبي أُصيبعة، المصدر نفسه، ص ص332، 333.

[5] أبو عبد الله، محمد بنُ ثواب بنُ محمد، ويُعرف بابن الثلّاج، من أهل الموصل، فاضل في صناعة الطِّب، خبير بالعلم والعمل وشيخه في صناعة الطِّب أحمد بن أبي الأشعث لازمه، واشتغل عليه وتميَّز. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، 332.

[6] نفسه.

[7] أحمد بنُ عمر بنُ علي، نظام الدّين العَروضي، أبو الحسن نظامي عروضي السمرقندي، الشاعر، المعروف بنظامي عروضي(ت552هـ/ 1157م)، من تصانيفه، چهارُ مقالة، مجمَع النوادر في تراجم الأطباء والشعراء والكتّاب والمنجّمون. أنظر، عليّ الرّضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، معجم التاريخ، ج1، ص379.

إلى كتبٍ مختصرَة كرسائل أَبُقْرَاط، والمسائل لحُنين بن إسحاق، والمرْشد للرَّازي[1]، وشَرْح النَّيْلي[2]، وهذه يبتدئ بها، وكتبٌ متوسّطة ككتاب الذَّخيرة لثابت بن قُرَّة[3] أو المنصوري للرّازي، ثمّ من الكتب الموسَّعة، كتاب الستّة عشر لجالينوس أو الحاوي للرّازي أو كامل الصّناعة لعَليّ بن العبّاس أو كتاب المائة لأبي سهل المسيحي أو القانون لابن سينا، واشترط مداومَة المطالعة وقت الفراغ، وفاضَل بين هذه الكتب، إنْ أراد أن يستغني طالب الطّب عن هذا الكمّ، بأنْ يكتفي بالقانون لابن سينا[4]، وهي بمثابة مُقَرّرات دراسيَّة كان لابدّ لطالب الطّب أن يُلِمَّ بها ويحصِّلَ كثيرًا منها، أمّا عن المنهج المتَّبع في دراستها فقد أحالنا ابن أبي أُصَيْبِعَة على مناظرةٍ بين طبيبين مشهورين من أطبّاء الحضارة الإسلاميّة، عن دراسة الكتب وقراءتها وحِفظها، هل تكون عِصاميّة، أم وجوبَ التّتلمذ بين يديْ الشيوخ؟.

وتفاصيل ذلك، سافر أَبُو الْحسن الْمُخْتَار بنُ الْحسن بنُ بُطْلَان(ت458هـ/1066م) إلى مصر واجتمع فِيهَا بابن رضوان المصري(ت453هـ/1061م) الفيلسوف، وجرت بينهما منافَرة أحدثتها المغالَبَة فِي المناظَرة، فخرج ابن بُطلان عن مصر مغاضبًا على ابن رضوان وورد أنطاكية[5]، وممّا اختلفَا فيه هو طريقة التعلّم، فابن رضوان الّذي عُرف عَليه سفاهته، وكثرة ردوده على معاصريه وسابقيه[6]، يرى أنّ القراءة العصاميّة دون الاعتماد على المعلّمين أفضل، ويرى نفسه نموذجًا لذلك فلم يكن له أستاذٌ يُنسَب إليه، وألّف كتابًا يتضمّن أنّ تحصيل الصّناعة من الكتب أوْفق من المعلّمين، فردّ ابن بطلان عَليه بكتابٍ يُبْطِل فيه قوله، وذكر فصلًا في العِلَّل الّتي لأجلها صار المتعلِّم من أفواه الرِّجال أفضل من المتعلِّم من الصُّحف[7]، وقد ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة سبعًا من العِلَّل التي ردّ بها ابنُ بُطلان على ابن رضوان[8]، فالمنهج الّذي ادّعاه ابن رضوان قد تفرّد به؛ بل أنّ كلّ طبيبٍ يفتخر بدراسته على المشهور من كبار الأطبّاء،

[1] ويسمّى أيضًا بالفصول. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص426.

[2] النّيلي، هو أبو سهل، سعيد بنُ عبد العزيز النيلي، مشهورٌ بالفضل، عالمٌ بصناعة الطِّب، جيِّد التصنيف، متفنِّن في العلوم الأدبيّة، من مصنّفاته: اختصار كتاب المسائل لحُنَين، وتلخيصُ شرح جالينوس لكتاب الفصول، وأغلب الظنّ أنّه هو المقصود من كلام العروضي. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص341، 342.

[3] كتاب "الذخيرة" ألّفه لولده سِنان بن ثابت، يحتوي على واحدٍ وثلاثين بابًا، ويمكن الاطّلاع على هذه الأبواب. أنظر، أبو الحسن، ثابت بنُ قرّة الحرَّاني(ت 288هـ)، كتاب الذخيرة في علم الطِّب، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1928م.؛ ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص299.

[4] النِّظامي العروضي السَّمَرْقَنْدِي، جهار مقالة، ج1، ص76.؛ المهندس لطف الله قاري، كتب المدارس الطِّبيّة في الحضارة الإسلاميّة، ضمن أعمال ندوة المدارس الطِّبيّة في الحضارة الإسلاميّة بطرابلس –ليبيا–بتاريخ 13-15 نوفمبر 2011، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، المغرب، 2011، ص192.

[5] القفطي، المصدر السابق، ص222.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص563.

[7] نفسه.

[8] أنظر، **الملحق رقم (05)**، المتضمّن ردود الطّبيب ابن بُطلان على الطّبيب ابن رضوان فيما يخصّ تعلّم الطبّ بدون معلّم.

وهذا ما يدعو إلى التّساؤل: هل يمكن التّسليم قَطعًا بهذا الرَّأي؟ وكيف لطبيبٍ أن ينفي التعلَّم على أيدي المعلّمين، وهو معلّمٌ للطِّب؟ وقد تتلمذ لَهُ جماعةٌ من الطلبة[1].

والملاحظ أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يذكر نصوص ابن رضوان في ذلك، باستثناء أنّه لم يكن له أستاذ يُنسب إليه، وأنّه ألّف كتابًا في ذلك، وفي المقابل بَسَط ما قاله ابن بُطلان في ردّه عَليه، وبالرجوع إلى مؤلَّفاته التي اهتديت إلى بعضٍ منها كمقالةٍ "في التطرّق بالطّب إلى السّعادة"، ففي خِضّم حديثه على كيفيَّة تَعَلُّم كُتُب أَبُقْرَاط قوله:" وليس يخلو المتعلِّمُ لها من أمرين: إمّا أن يجد معلّمًا فاضلًا يفهم منه ما في كتب أَبُقْرَاط، فيُسَرّعِ بذلك تَعليمه، كما أسرع تَعليم جالينوس، وإمّا أن يُعْدَم المعلّم الحاذق، فيحتاج أن يتعلّم لنفسه من كتب جالينوس، فيطول تَعليمه متى استعمل في تَعليمه قوانين المنطق"، ثمّ يشير إلى القسم العملي من الطّب، بمعايَنة هذه الأعمال بين أيدي أفضل من تعلّم عَليه من أهلها[2]، ومنه فإنّ نظرته للتَعليم الطّبي مقبولة، لأنّفيها دعوته إلى المزاوَجة بين ما هو نظري وبين العملي.

كما يمكن تفسير قوله الأوّل الّذي ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة؛ الاكتفاء بقراءة الكتب دون التَّعلم على أستاذٍ، هو الحالة الطّبية في مصر في ذلك الوقت من عدم وجود أطبّاء بكفاءةٍ عالية، بالإضافة إلى عدم قدرته، بسبب ضِيق الحال السَّفر إلى العراق للتَّعلُّم على أحد أطبَّائها المشهورين[3]، ويُرْجع ابن رَضوان سبب انحدار مستوى الطّب في مصر في زمانه، هو إهمال كُتُب أَبُقْرَاط وجالينوس، وهو الّذي كان مُتَعَصِّب لهم؛ إذ أنّ أغلب كتبه كانت عبارة عن تعاليق أو شُروحات لكتبهما[4]، وعلى العموم فإنّ هذا الاختلاف أفاد في إلقاء الضَّوء على مناهج التَعليم الطّبي في هذا العصر، قال عنها ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسَلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن أحد منهم يؤلِّف كتابًا ولا يبتدع رأيًا إلَّا وَيَرُدُّ الآخر عَليه ويُسَفِّه رأيه فيه"[5].

ومن الأطبّاء الّذين تحدّثوا على طريقة ومنهج قراءة الكتب بحضور الأستاذ مِن عدمه، الطّبيب عبد اللّطيف البغدادي(ت629هـ/ 1231م) الذي قدّم وصايا في هذ الجانب ذكرها ابن أبي أُصَيْبِعَة، من ذلك قوله: " أُوصيك ألّا تأخذَ العلوم من الكتب، وإنْ وثقتَ من نفسك بقوّة الفَّهم، وعَليك

---

[1] القفطي، المصدر السابق، ص323.

[2] ابن رضوان علي، **مقالة في التطرّق بالطِّب إلى السّعادة**، تح: سلمان قطاية، مجلّة تاريخ العلوم العربيّة، جامعة حلب، المجلّد الثاني، 1978م، ص76.

[3] مريزن سعيد عسيري، المرجع السابق، ص72.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص566.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص326.

بالأُسْتَاذَيْن في كلِّ علمٍ تطلبُ اكتسابه، ولو كان الأستاذ ناقصًا فخُذْ عنه ما عنده حتَّى تَجد أكمل منه"[1]، كما يجب احترام الأستاذ وتعظيمه؛ بل وإنْ استطاع التّلميذ أن يُفيد أستاذه في أمور الدُّنيا فَعَلْ، وإنْ لم يستطع فبالثَّناء عَليه، ويمكن تفسير ذلك على أنّ الطّبيب عبد اللَّطيف البَغْدَادي يؤكِّد على أنّ التَعليم يجب أن يكون بالاعتماد على الأساتذة، حتّى وإنْ كان الأستاذ ذا قدرة علميّةٍ محدودة.

ث-روايةُ وتدوينُ التَّجارب الطّبيّة:

يُعَدُّ كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" من المؤلّفات التي حفظت تجارب ونوادر الأطبّاء النّاجحة في الحضارة الإسلاميّة عمومًا، وبلاد المشرق الإسلامي خصوصاً، وهذه التَّجارب والممارَسات الطّبية كان الأطبّاء يستحضرونها ويَرْوُونَها جيلًا بَعْدَ جِيل؛ بل خصُّوا جزءًا من مؤلَّفاتهم لتَدوين هذه التَّجارب والمشاهدات السَّريريّة[2]، وَمنهم مَن خصّها بكتابٍ مُستقلٍ واعتمدها مرْجَعًا للطّبّ العملي[3].

ومن الأمثلة عن تناقُل روايات المجرَّبات الطّبيّة في بلاد المشرق -وهي كثيرة جدًّا[4]- مايرويه ابن أبي أُصَيْبِعَة: "ونقلتُ أيضًا قريبًا من هذه الحكاية المتقدِّمة وإنْ كانت الرِّواية بينهما مختلفة، عن شيخنا الحكيم مُهَّذب الدِّين عبد الرَّحيم بن عَليّ قال: حدَّثَني مُوَفَّق الدِّين أَسْعَد بنُ المطران قال: حدّثني أبي قال، حدّثني أبُو الفرج بن الحديد قال: حدّثني أبو الكَرم الطّبيب عن أبيه أبي الرَّجاء عن جدّه قال: كان بِدِمَشْق فَاصد ... فكان مِن أمره أنْ فَصَد..."[5] وهذا انتهى إلى حكايات الطّبيب اليَبْرودي (ت427هـ/1035م) الّذي يعدّ من أشهر أطبّاء الشّام في القرن(5هـ/11م)، ووصلت هذه الرّواية إلى ابن أبي أُصَيْبِعَة الّذي عاش في القرن(7هـ/13م)، وعند تتبّع النّص نجد أنّ ثمانيّة أجيالٍ تداولت هذه الرّواية، للاستفادة من هذه التّجربة التي تبيّن طريقة التَّحكم بالدَّم عند الفَصْد[6].

ومن الرِّوايات التي ذكرها ابن أبي أُصَيْبِعَة التي كانت تتوارث بين الأجيال؛ إنعاشُ مَن بدَا عَليه الموت "السّكْتَة"، فظنّ أهله أنّه مات وهمُّوا بدفنه، قصَّةٌ عن ثابت بن قُرَّة؛ مختصرها أنّه كان يمرُّ كلّ يوم

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص691.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص571، 580، 582، 597، 697، 758.
[3] المهندس لطف الله قاري، المرجع السابق، ص198.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص345، 351، 375، 380، 403، 417، 547، 611...
[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص611.
[6] المهندس لطف الله قاري، المرجع السابق، ص199.

بالقرب من دكّان أحد القَصَّابين، ولاحَظ أنّه يُشَرّح الكبد ويطرح عَليها المِلْح ويأكُلها، فكان يستقذِر فعله وعلِم أنَّ سكتة ستلحقُه، فحضَّر له دواءً مناسبًا لذلك، وفي أحد الأيّام توقّف نبضه، وظنّ أهله أنّه مات، فأكثروا الصِّياح والبكاء، فقدم إليهم وقال أنّه ما مات وطلب من بعض غلمانه بأن يضرب القصّاب على كعبه بالعصا، وجعل يده في مجسِّه وما زال ذلك يضرب كعبه حتّى عاد نبضُه، وفتح القصَّاب عينه فسقاه الدّواء، وأطعمه وأجلسه[1]، وذكر ابن أُصَيْبِعَة ما يشابه هذا في أكثر من موضعٍ آخر، من ذلك ما تنبّه له ابن جميع الطّبيب المصري عندما مرّت بقربه جنازة فعلِم أنّ صاحبها مازال حيّا فأوقفهم وعالجه[2]، وأيضًا قصّة لليبرودي أنّه عرف عدم وفاة الخبّاز من سماع طريقة موته، حسب اعتقاد مَن كان يمشي في جنازته فاعترضهم وطلب رؤيته، فجعل يقلّبه وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها، ثمّ فتح فمّه وسقاه شيئًا وقيل، حقنه فاندفع ما هناك فسال فإذا الرجل قد فتح عينيه وتكلّم وعاد كما كان إلى حانوته[3].

وممّن كانت تجاربه تُستحضَر، ومنها ما هو عجيبٌ الطّبيب موفّق الدِّين بن المطران الّذي أوصى مريضًا بالجُذَام أنْ يَأْكل لحم الأفاعي فكان بُرْأه بذلك[4]، وممّا شهده الرّازي وكان من التَّجارب العجيبة أنَّه أستدعيَ يومًا لمعالجة أحد به استسقاء فلمّا رآه وفحصه لم يطمعْ في بُرئه، وبعد إسرارٍ من والد المريض بأَن يَصْدُقَه في حال ابنه، ذكر له أنَّه لن يعيش وأن يمكِّنَه من شهواته، وبعد عام التقاه فوجده مُعافَى، والعجب في ذلك أنَّه أكل مِن غُضارة قَذفت فيها أفعى؛ كي يُعجّل موته، فحدثت له حُمّى وعرق عرقًا شديدًا، ثمّ أصابه إسهال شديد، وقلّل من الأكل وبعد أيّام طلب على الأكل فزادت قوّته إلى أن شُفيّ[5]، ولأهمّية هذا فإنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة كانت إحدى مؤلّفاته بعنوان "حكايات الأطبّاء في علاجات الأدواء"، ولمح إلى ذكره كثير من الحكايات والنَّوادر للرَّازي[6]، وكان له مؤلّفٌ آخر بعنوان "التّجارب والفوائد" ذكر فيه أنّ الطّبيب عِمران الإسرائيلي(ت637هـ/1239م) قد عالج أمراضًا كثيرة مزمنة كان أصحابها قد سئموا الحياة ويئس الأطبّاء من بُرئهم، فبرؤا على يَدَيْهِ بوصفه لعلاجات وأدويّة غريبة[7].

[1] ابن ابي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص ص 296، 297.
[2] ابن ابي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص577.
[3] ابن ابي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص613.
[4] ابن ابي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص656.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص418، 419.
[6] ابن ابي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص419.
[7] ابن ابي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص697.

2- طُرُق وَوَسائل التّعلّم، نبيّها في الآتي:

أ- إلقَاءُ الدَّرس الطِّبي، يتجلّى ذلك في ما يلي:

- الدّرس النّظري:

دَرْسُ الطّب لم يكن يُقدَّم بطريقةٍ واحدة، حيث اشترك فيها أطبّاء المشرق الإسلامي، بل كان لكلّ طبيبٍ طريقته في الأداء وفي التّقديم والشّرح، وفي كيفيّة جلوس تلاميذه في حلْقته، ومن النّصوص الّتي أوردها ابن أبي أُصَيْبِعَة حول طريقة تقديم الدّرس، ما ذكره عن الطّبيب أبي المجد بن أبي الحكم (ق6هـ/12م)، قال: "وكان بعد فراغه من ذلك –يقصد تفقُّده للمرضى- يأتي ويجلس في الإيوان الكبير الذي للبَيْمَارِسْتان وجميعه مفروش ... فكان جماعة من الأطبّاء والمشتغلِين يأتون إليه ويقعدون بين يديه، ثمّ تجري مَباحِث طبيّة ويُقرِئ التّلاميذ ولا يزال معهم في اشتغالٍ ومُباحَثة ونظرٍ في الكتب مقدار ثلاث ساعات"[1]؛ أي أنّ الدّرس يكون بعد إتمام الطّبيب المعلِّم لمهامّه مع المرضى، وأنّ مكان التَعليم وهو إيوان البَيْمَارِسْتان مهيّأً بالأفرشة لتنظيم الجلوس، وأنّ هذا المكان به مكتبة كبيرة جدًّا مخصّصَة لطلبة العلم والطّب، ولا يخلو المجلس من المناقشات والمباحثات، ومدّة الدّرس ثلاث ساعات.

والملاحَظ أنّ الذين كانوا يقرؤون على هذا الشّيخ الأطبّاء والتّلاميذ، فقد يكون قصده بالأطبّاء هُمْ مَن بدؤوا ممارسة الطّب وكان غرضُهم الاستزادة والتّعلُّم أكثر، وقصْده بالمشتغلِين الّذين ما زالوا في مرحلة التعلّم البِدَائي، ويمكن تفسير النّص السّابق بما قاله في نصٍّ آخر-حتّى وإنْ كنّا لا نعلم إنْ كان مخصَّصًا للطب-عن مجلس فخر الدِّين بن خطيب الرّيْ(ت606هـ/1209م): "وكان لمجلسه جلالةٌ عظيمة، وكان يتعاظَم حتّى على الملوك، وكان إذا جلس للّتدريس يكون قريبًا منه جماعة من تلاميذه الكبار مثل، زين الدِّين الكُشّي[2]، والقطب المصري[3]، ثمّ يليهُم بقيّة التَّلاميذ، وسائرُ الخَلْق على قدر مراتبهم، فكان مَن يتكلّم في شيءٍ من العلوم، يُباحثونه أولئك التّلاميذ الكبار، فإنْ جرى بحثٌ مُشكِل أو معنًى

[1] ابن ابي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص628.

[2] عبد الرحمن بنُ محمد الكشّي، زين الدّين، من تلاميذ فخر الدّين الرازي، من تصانيفه: تعديل المِعيار، شرح تنزيل الأفكار في المنطق، حدائق الحقائق في المنطق والطِّبيعي والإلهي. أنظر، إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنِّفين، ج1، ص524.

[3] قطب الدّين إبراهيم بنُ علي بنُ محمد السلمي، وكان أصله مغربيًا، وإنّما انتقل إلى مصر وأقام بها مدّةً، ثمّ سافر بعد ذلك إلى بلاد العجم، واشتغل على فخر الدّين، ابن خطيب الري، واشتهر هناك، وكان من أجلّ تلامذة ابن الخطيب وأمْيزهم، وصنّف كتبًا كثيرة في الطِّب والحكمة، وشرح الكُليات بأسرها من كتاب القانون لابن سينا، ووجدتُه في كتابه هذا يفضِّل المسيحي، وابن الخطيب على الشّيخ أبي علي بن سينا. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص471.

غريب شاركهم الشيّخ فيما هُمْ فيه، وتكلّم في ذلك المعنى بما يفوق الوصف[1]، فقَصْده التّلامذة الكبار، مَن هُم بصفة الأطباء، أمّا التّلامذة فهُم أولئك الذين لم يظهر تفوقُّهم في الطّب بعد.

أمَّا في مجلس أمين الدولة فقد كان التَّلاميذ يحضرون الشَّيخ ويقرؤون عَليه، إلَّا أنَّ فيهم من كان أَلْكَنْ، فكان يُكلِّفُ له من النُّحاة يلازمان مجلسه يقرآن مكانه، وهو يستمع وكان ذلك بمقابل يقرّره التِلميذ[2]، وشرحَ ابن أبي أُصَيْبِعَة طريقة التَعليم، من حيث المنهج وطريقة النّقاش وكيفيّة إلقاء الدّرس، بما ذكره عن شيخه مهذّب الدِّين عبد الرّحيم بن الدَّخوار، من أنّ تلامذته يُقَسَّمون إلى مجموعاتٍ يتمُّ تدريس كلُّ مجموعة على حِدًى، وكان يُناقش كلّ تلميذ في درسِه الخاص فيُفَهِّمه بقدر طاقته، ويصف حال التّلميذ أثناء الدرس، فيكون حاملًا للكتاب الذي يدرسه ويقابل معلوماته مع ما في الكتاب لدى شيخه، وإنْ كان هناك خطأ صحّحه وصوَّبه، أمّا الكتب الّتي كان يدرِّس بها الدَّخوار فقد كانت بخطّه وكان أثناء التَعليم يعتمد كتب اللّغة ككتاب الصِّحاح للجَوهري وكتاب النّبات للدِّينَوَرِي(ت282هـ/ 895م)[3].

كما يعتمد مقالاته الّتي ألّفها لتحفيظ وتدريس طلّابه فيها، كالمقالة الّتي في الاستفراغ، وتميّز بعض طلبته في حِفظها واستحضارها من الخاطر دون الرّجوع إلى القراءة منها مكتوبةً كبدْر الدِّين قاضي بعلبك، والطّبيب شمس الدِّين الكُلّي الّذي تمكّن من حفظ كتاب الكلّيات حفظًا متقنًا على الّشيخ مهذّب الدِّين الدَّخوار[4]، ثم أنّه عندما يكمل الدّرس مع تلامذته يشرع في الحِفظ والمطالعة[5]، ولما كان في آخر عمره عانىَ من ثِقَل في لسانه حتّى أصبح لا يُفْهَم من كلامه، وكان تلامذته يتباحثون أمامه وإذا استعصى عَليهم أمْر كتبه في لوْح، وعرضه عَليهم[6]، أمّا الطّلبة فكانوا إذا عسُر عَليهم شيء طرحوا الأسئلة على مشايخهم، كما كان يفعل حُنَيْن بن إسْحَاق مع شيخه؛ إذ عُرف بكثرة سؤاله حتّى كان يصعُب على شيخه الإجابة [7].

---

1 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص462.

2 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص353.

3 أبو حَنِيفَة الدّينوَري (ت282هـ/ 895م): وهو أحمد بنُ داود، من أهل الدّينور، أخذ عن البصريين والكوفيّين، وأكثر أخذه من ابن السّكِيت وأبيه، وكان مفتنًا في علوم كثيرة منها: النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهيئة، وثقةً فيما يرويه ويحكيه، معروفٌ بالصّدق، وله من الكتب: "كتاب النبات"، وهو أشهر كتبه، و"كتاب الفصاحة"، و"كتاب الأنواء"، وغيره. أنظر، على بن سلطان القاري (ت 1014 هـ)، الأثمار الجنيّة في أسماء الحنفيّة، تح: عبد المحسن عبد الله أحمد، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة بـ «ديوان الوقف السُّنّي» بالعراق، 1430هـ/2009م، ج1، ص ص320، 321.

4 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص755.

5 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص732.

6 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص733.

7 ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص257.

نستنتج من الدرس العلمي للطّبيب مهذّب الدّين عبد الرحيم الدّخوار النقاط التّالية: كان يُعِدّ درسه جيّدًا وينسخ الكتب لطلّابه.؛ يُقسّم طلبته في مجموعات ولكلّ مجموعة وقت معيّن.؛ تخصيص كلّ طالبٍ بدرسه وبحثِه معه وإفهامه إيّاه قدْر الإمكان؛ الدروس الصَّعبة تحتاج إلى مناقشة، خاصّةً من الطلّاب المتميّزين.؛ كان لا يُقرِئُ أحدًا من تلامذته، إلّا ومعه نسخة من الكتاب الذي يقرأ منه عَليه، ويقوم الشّيخ بتصحيح النُّسخ ذات الأخطاء.؛ اعتماد الأستاذ على الكتب الطّبيّة واللغويّة لمعرفة معاني بعض الأمراض والأدويّة.؛ كانت لديه فترة راحة يستأنف بعدها القراءة والمطالعة والحفظ[1].

_ الدّرس التّطبيقي (الملاحَظة السّريريّة):

ذكرت فيما سبق أنّ البَيْمَارِسْتانات هي الأماكن التي يتمّ فيها تَعليم الطّب العملي، وسأوضّح مدى أهمّية التَعليم العملي، ومعرفة المنهج والطريقة المتّبَعة في التَعليم التطبيقي، فبعد إتمام التعلّم في الجانب النّظري، بقراءة الكُتب وحفظها وسماع شروحها من المشايخ، يجب على المتعلّم أن يتمرّس ويتمرّن تطبيقيًا فيما يُعرف بالملاحظة السّريريّة، فيصير الطّبيب معالجًا كاملًا بقوّتين، بما استفاده من الكتب الطّبّيّة، وبما يتحصَّل له بطُول المزاوَلَة لأعمال الطّب، وهذا ما أدركه أطبّاء الحضارة الإسلاميّة من أنّ للتدريب العملي أهميّة كبيرة في تكوين الطّبيب بشرط قراءة الكتب، يقول الطّبيب الرّازي، في كتابه المرْشِد: "ليس يكفي في إحكام صناعة الطّب قراءة كتبها؛ بل يُحتاج مع ذلك إلى مزاولة المرضى، إلّا أنّ مَن قرأ الكتب ثمّ زاول يستفيد من التّجربة كثيرًا، ومَن زاول المرضى مِن غير أن يقرأ الكتب يفوتُه ويذهب عنه دلائل كثيرة ولا يشعُر بها البتَّة"[2].

وكان الجانب التَّطبيقي العمليّ يتمّ بوقوف معلِّم الطّب بجانب سرير المريض، ويلتفُّ حوله تلاميذه، ويبدأ المعلِّم باستجواب المريض عن حالته، والدّاء الّذي يَشْكو منه، وعن رغبته في الأكل، ويجسّ نبضه[3]،

---

[1] الحازمي، الحركة العلمية الطِّبّيّة في مصر والشّام زمن الحروب الصّليبية، ص276.

[2] المهندس لطف الله قاري، كتب المدارس الطِّبّيّة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ص208.

[3] الأعراض الدالّة على الأمراض، من خلال النبض: منها دالة على نفس المرض، كاختلاف النبض في السرعة، في الحُمّى، فإنه يدلّ على نفس الحمّى، ومنها دالة على مرض الموضِع كالنّبض المِنشاري، وإذا كان الوجع في نواحي الصدر، فإنّه يدلّ على أنّ الوَرَم في الغشاء والحِجاب، وكالنبض الموجي في مثله، فإنّه يدلّ على أنّ الورم في جُرم الرئة، ومنها دالة على سبب المرض كعلامات الامتلاء، باختلاف أحوالها الدال. أنظر، ابن سينا، القانون في الطِّب، ج1، ص 154.

وهو ممّا يتعلّمه الطّبيب نظريّا[1]، ويلتَمِس جلده، ويُلاحظُ عينيه[2]، وقد يفحص بوْله[3] وريقه[4] وبُرازه[5]، فإذا انتهى استجوابه للطّبيب، ترك الأمر للطلّاب كي يُبدوا رأيّهم في التّشخيص والعلاج، وقد يتمّ ذلك في إيوان خاصٍّ في المستشفى يتدارسون فيها الحالة المرضية التي شاهدوها[6]، كما ذكرنا سابقًا عن الرّازي، حيث يسمع منهم، ثمّ يُعَقِّبُ عَليهم[7]، وكان يرى أنّ من أبلغ الأشياء فيما يُحتاج إليه في علاج الأمراض بعد المعرفة الكاملة للصّناعة، حُسْن مسائلة المريض[8]، وحسن المعالجة يتأتّى مع شدّة البحث واستقراء الأعراض[9]، وذكر مثالًا، أنّ الحكيم يعقوب بن سِقْلَاب كان إذا افتقد مريضًا لا يزال يستقصي منه عَرَضًا عرضًا وما يستنكفه ممّا يجده من مرضه حالًا حالًا، إلى أن يترك عَرَضًا يُسْتَدلُّ به على تحقيق المرض إلّا وتعتبره[10].

ودخل إلى الطّبيب أمين الدّولة رجلٌ مُنْزِف يعرِق دمًا في زمن الصّيف، فسأل تلاميذه وكانوا قدر خمسين نفسًا، فَلَم يَعْرِفُوا المرض، فأمره بأكل خبز شعير مع باذنجان مشوي ففعل ذلك ثلاثة أيّام فبَرأ، فسأله أصحابه عن العلّة؛ فقال: "إنّ دمه قد رقّ ومسامّه قد تفتَّحت وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدّم وتكثيف المسّام"[11]، ووصف ابن أبي أُصَيْبِعَة درسًا تطبيقيًا، بيّن فيه كيفيّة الفحص والعلاج والاستدلال؛

---

[1] ألّف في النّبض عديد المؤلّفات، إلّا أنّ أشهرها وهو ما كان يُحبَّذ في التّعليم، كتاب النبض الصغير، لجالينوس وضعه للمتعلّمين، وغرضُه فيها أنْ يصف ما يحتاج المتعلّمون إلى عِلمه من أمر النبض، يُعدِّدُ فيه أوّلًا أصناف النبض وليس يذكُر فيه جميعها، لكن ما يقْوى المتعلّمون على فهمه منها، ثمّ يصف بعض الأسباب التي تُغيِّر النبض ما كان منها طبيعيًا، وما كان منها ليس بطبيعي، وما كان خارجًا من الطِّبيعيّة. أنظر، ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص134.

[2] منْ ثقل في العينين وحُمرة وحَكّة، وغيرها ممّا يُحيل إلى أمراض معيّنة، وما يُرافقها من أعراضٍ أخرى، كنحافة البدن والحُمّى، وغيرها. أنظر، ابن سينا، المصدر السابق، ج1، ص167.

[3] ما يرتبط بالبوْل، أعراضه وأمراضه، وكذا علاجاته. أنظر، الرّازي، الحاوي، ج3، ص233 وما بعدها.

[4] يقول ابن سينا: "اعْلم أنّ الغذاء له انهضامٌ إمّا بالمضْغ، وذلك بسبب أنّ سطح الفم متصلٌ بسطح المعدة؛ بل كأنّهما سطحٌ واحدٌ، وفيه منه قوّة هاضِمة، فإذا لاقَى الممضُوغ أحاله إحالةً ما، ويُعينُه على ذلك الريق المستفيد بالنُضج الواقع فيه حرارة غريزيّة"، ممّا يُبرز أنّ الرّيق يساعد في معرفة بعض أمراض. أنظر، ابن سينا، القانون، ج1، ص33.

[5] تغيُّر لون البُراز الطِّبيعي وقِوامُه وريحُه، وكثيرًا ما يزيد أيضًا في كميّة الرُطوبات التي تنصَبُّ إلى المعدة، وغيرها. أنظر، الرازي، الحاوي في الطِّب، ج4، ص335.

[6] مصطفى كامل إسماعيل، التعليم الطِّبي والمدارس الطِّبيّة في الحضارة الإسلاميّة، ضِمن أعمال ندوة المدارس الطبيّة في الحضارة الإسلاميّة، طرابلس، ليبيا، (13-15 نوفمبر 2006م)، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثقافة –إيسيسكو–، الرّباط، المملكة المغربيّة، (1432هـ/ 2011م). ص156.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص416.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص421.

[9] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص698.

[10] نفسه.

[11] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص350.

إذ حضر مع شيخه مهذّب الدِّين الدخوار عند مريض بالحُمَّى، وقواريره كانت في غاية الحِدّة، في قاعة بالبَيْمَارِسْتان تُسَمَّى "قاعة المحمومين"[1]، فترك الأطبّاء يجسّون نبضه، ولما تمّ لهم ذلك، قالوا أنّ عنده ضعف، وَوَصَفوا له مزّقة الفَرُّوج[2] للتّقويّة، ثمَّ نظر إليه، وقال: "إنّ كلامه ونظَر عينيه يقتضي الضّعف، ثمّ جسَّ نبض يده اليمنى وجسّ الأخرى"، وقال: "جُسّوا نبض يده اليسرى" فوجدناه قويًا، وقال: "أنظروا نبض يده اليمنى وكيف هو من قريب كُوعه قد انْفرق العرق الضّارب شعبتين؛ فواحدة بقيت التي تجسّ، والأخرى طلعت في أعلى الزّند وامتدّت إلى ناحية الأصابع" فوجدناه حقًّا، ثمّ قال: "إنّ من النّاس وهو نادرٌ ما يكون النبّض فيه هكذا ويشتبه على كثير من الأطبّاء، ويعتقدون أنّ النّبض ضعيف، وإنّما يكون جسم لتلك الشّعبة التي هي نصف العرق فيعتقدون أنّ النبض ضعيف"[3].

من خلال هذا النّص نلاحظ الطّريقة المنهجية والعلمية الّتي تدلّ مدى الدقّة الّتي كان يمارسها الأطبّاء من طرق الفحص والاستدلال، وكيفية محاورته الطلّاب وجعلهم يمارسون التَّطبيب، بطلبه منهم جسّ نبض المريض أمامه، وبحكم أنّ ابن أُصَيْبِعَة كان أحد الطُّلاب فقد جسّ نبضه معهم، ووجد النّبض قويًّا، ثمّ بدأ في شرح كيفية النّبض وبين الاشتباه الّذي قد يقع فيه الأطبّاء فلا يميّزون بين النّبض القويّ والنَّبض الضَّعيف، ومن خلال هذا أيضًا قد يتبيّن الطّبيب الحاذق من غيره، بما يُعرف عنه من شدّة في البحث والاستقراء للأعراض والبحث في حالة المرض[4]، ويَذكُر ابن أبي أُصَيْبِعَة أيضًا أنّه كان يتدرّب في أعمال الطّب في البَيْمَارِسْتان الكبير على يديْ كلٍّ من عبد الرّحيم بن الدَّخوار وعمران الإسرائيلي، ومما تدّربه عَليهم هو كيفيّة تدبيره وأهمّ الوصفات الّتي كانت تُوصف للمرضى، فكان ابن أبي أُصَيْبِعَة يُسَجِّل ويكتب هذه المعالجات التي حضرها في كتابه الموسوم بكتاب التَّجارب والفوائد[5].

وذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّه شاهد معالجته لمفلوجٍ قد أتى البَيْمَارِسْتان، وكان الأطبّاء قد ألحّوا عَليه باستعمال المغالي وغيرها من صفاتهم، لكنّه رأى تدبيرًا آخر يستعمله، ثمّ أمر بفصْده ولما فُصِد صَلُحَ وبرأ

---

[1] إحدى قاعات البَيْمَارِسْتَانات، حيث توجد فيه قاعات لمختلَف الأمراض، فقاعة للأمراض الباطنة، وقاعة للجراحة، وقاعة للكحالة، وقاعة للتجبير. وكانت قاعة الأمراض الباطنة منقسمة إلى أقسام أخرى: قسمٌ للمحمومين، وهم المصابون بالحُمَّى، وقسمٌ للممرورين، وهو لمن بهم المرض المسمّى مانْيا، وهو الجنون السبعي، وقسمٌ للمبرودين؛ أي، المتخومين، ولمن به إسهالٌ، وغيرها. أنظر، أحمد عيسى، تاريخ البَيْمَرِسْتَانات في الإسلام، ص19.

[2] تُعْطَى للمصابين ببعض الأمراض. أنظر، سبط ابن العجمي (أحمد بنُ إبراهيم بنُ محمد بنُ خليل، موفّق الدّين، أبو ذر ت884هـ)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ط1، دار القلم، حلب، 1417هـ، ج1، ص195.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص732.

[4] ناصر بن محمد علي الحازمي، الحركة العلميّة الطِّبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبة، ص278.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص697.

بُرْءً تامًّا[1]، والجدير بالذِّكر أنّ أطبّاء الحضارة الإسلاميّة وضعوا طرقًا أخرى لتدريب المتعلِّمين على كيفيَّة الحِجامة والفَصْد، فلم يتركوا للمتعلّم مُبَاشَرَةَ ذلك على المرضى قبل التدرّب، ومن ذلك ما جاء في كتب الحِسبة أنّه مَن أراد تعلّم الفَصد وجب عَليه الإكثار من فصد عروق نبات السِّلْق حتَّى تستقيم يده[2].

ب- مُلازَمةُ الأطبّاء:

من أهمِّ طُرق التَّعليم الطِّبي مُلازَمة الأطبّاء الكبار الّذين نَصبّوا أنفسهم أساتذة للطبّ، حتّى تكون الفائدة منهم في جانبيْ الطّب النّظري والتطبيقي، فيأخذ المتعلّم عن أستاذه طرق ووسائل العلاج والفحص، وطرق المداواة، وكان سبيل الملازمة في الطّب كغيرها من العلوم الأخرى، حيث نجد الملازمة أوّلًا في اللّغة والنّحو والعلوم الشّرعيّة وعند التوجّه لتعلّم الطّب يلازم الأطبّاء ويأخذ منهم، فيكتفي بالواحد أو ينتقل من طبيبٍ لآخر، حسب ما يريد ويجدُ لدى الطّبيب.

ومن النّماذج المؤدّية إلى هذا المعنى؛ الطّبيب عبد اللّطيف البغدادي الّذي يذكر مسيرته التَعليميّة الّتي كانت كلّها ملازمةً للمشايخ، فيتكلّم عن ملازمته لشيخه الوجيه الواسطي وكيفيّة الدّراسة عَليه: "فأخذني بكِلْتيْ يديه وجعل يعلّمني من أوّلّ النهار إلى آخره بوجوهٍ كثيرة من التلطُّف فكنت أحضرُ حلْقته بمسجد الظَّفَريّة[3]، ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبُني بها[4]، وفي آخر الأمر أقْرَأُ درسِي ويخصُّني بشرحه" ويستمرُّ في ذكر ملازمته بعد الخروج من المسجد فيتذاكران في الطّريق، حتّى إذا وصلا إلى منزل شيخه، أخرج الكتب الّتي يشتغل بها مع نفسه فيقوم بالحِفظ له ومعه، ثمّ يلازمه عند ذهابه إلى شيخه فيسمع قراءةَ درْسِه وشرْحَ شيخه له[5]. ثمّ يقول بأنّه لم يكتف بشيخه هذا فقط؛ بل كان يلازم الشّيخ وشيخ الشّيخ، فنجده يلازم المشايخ باختلاف تخصّصاتهم، وكان يكمل عِلْمًا عند الشّيخ فينتقل إلى علمٍ آخر على شيخٍ آخر[6].

---

[1] نفسه.

[2] ابن الأخوة (محمد بنُ محمد بنُ أحمد، ابنُ أبي زيد، ضياء الدين. ت 729هـ)، معالم القربة في طلب الحِسبة، (د. ط)، دار الفنون، كمبردج، (د ت ن)، ص159.

[3] الظَّفريّة، بالتحريك، والنسبة، محَلّة بشرقي بغداد كبيرة، نُسب إلى الظفريّة جماعة، منهم: أبو نصر، أحمد، ابن محمد بن عبد الملك الأسدي الظفري. أنظر، الحموي، معجم البلدان، ج4، ص61.؛ صفي الدّين عبد المؤمن القطيعي، المصدر السابق، ج2، ص905.؛ مرزوق بن هياس الزهراني، نسبة ومنسوب، ص595.

[4] علي باشا مبارك، الخطط التوفيقيّة الجديدة لمصر والقاهرة ومُدُنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط2، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، (1425هـ/2004م)، ج15، ص235.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص684.

[6] نفسه.

كما وضع وصايا أبرز فيها أهميّة ملازمة الأستاذ مع ضرورة احترامه وتقديره، وممّا قاله: "عَليّك بالأستاذين في كلّ علم تطلبُ اكتسابه، ولو كان الأستاذ ناقصًا فخُذْ عنهما عنده حتّى تجدُ أَكْمَلَ منه"[1]، وركّز على ضرورة عدم الجمع بين علمين دفعةً واحدة، إنّما يتّم الانتقال إلى علم آخر بعد تحصيل الأوّل والتأكّد من بلوغ المطلوب[2]، وهذا ما عمل به ابن سينا بالتدرّج في ملازمة معلّم القرآن حتّى حفظه، ثمّ لازم شيخه في الفقه وبعده لازم أبو عبد الله النائلي لتعلّم الفلسفة، وكان معلّمه قد حذّر ولده من أن يشتغل بغير معلّمٍ[3]، أمّا الطّبيب رضيّ الدِّين الرَّحبِي فأثناء تعلّمه كان قد لازم الطّبيب مهذّب الدِّين بن النقّاش(ت574هـ/1178م)[4]، ولازم سديدُ بن الرقيقة (ت635هـ/ 1237م)، وفخر الدِّين الماردِيني(ت594هـ/ 1198م) وصحِبه كثيرًا، واشتغل عَليه بصناعة الطّب وبغيره من العلوم الحِكميّة[5]، أمّا مهذّب الدّين بن الدّخوار فقد لازم العالم تاج الدِّين الكِنْدِيّ (ت 613هـ/ 1216م)[6]، ثمّ ابن المطران يقول ابن أبي أُصَيْبِعَة: "ثمّ بعد ذلك لازم موفّق الدّين بن المطران وتتلمذ له واشتغل عَليه بصناعة الطّب، ولم يزل ملازمًا له في أسفاره وحضره إلى أن تميَّزَ ومَهَر"[7].

ويبدو من النَّص أنّ الملازمة تعني، مرافقة الأستاذ حتّى يتمّ تحصيل العلم من عنده، فيكون بدون انقطاع ودون أوقات مخصّصة، فهو حاضر معه في السّفر والحضر، وتتوقّف الملازمة عند التمهُّر في العلم المراد تعلُّمه، ويُستفاد من الملازمة الأمور العلميّة والمنهجيّة، فيتأثّر المتعلّم من أستاذه طرق البحث والمناقشة وكيفيّة التّعامل مع الكتب، وتجلّى ذلك فيما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة عن شيخه ضياء الدِّين ابن البيطار، عند ملازمته والقراءة عَليه[8]، ونختصر أهميّة الملازمة في نقاط هي: تأثُّر ابن أبي أُصَيْبِعَة وإعجابه به، لما وجده فيه من أخلاق وكمال مروءة، وحسن عشرة، وهذا من محاسن الملازمة.؛ الاجتهاد في البحث لإيجاد النباتات الطّبية بالذَّهاب إلى مواضع منابتها ومشاهدتها وضبط أسمائها، وقد كان ابن أُصَيْبِعَة ملازمًا له في ذلك.؛ إعجابه بمنهجه في مدارسته لكتب القُدماء لحفظه أقوالهم وأَرَائهم، ونقده لهم بذكر ما اختلفوا

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص691.

[2] نفسه.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص437.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص673.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص703.

[6] تَاج الدّين، أَبُو الْيمن الْكِنْدِيّ، نَحْوِيّ ولُغَوِيّ، حافظٌ محدّثٌ، وُلد بِبَغْدَاد سنة (520هـ/1127م)، وتوفّي سنة (613هـ/1217م)، وَأَفْتى ودرّس، وصنّف، وأقرأ القراءات والنحو واللغة الشّعْر، وَكَانَ صَحِيح السَماع، ثِقَة فِي النَّقْل، ظريفًا فِي الْعشْرَة، طيّب المزاج، قَرَأَ عَلَيْهِ جمَاعَة. أنظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص33.؛ الذهبي، العِبر في خبر من غبر، ج3، ص159.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص728.

[8] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص601.

فيه ومواضع الغلط والاشتباه الّذي وقع لبعضهم في نَعْت النّبات وصفته وأفعاله.؛ونجمع أهمّ الأمور الّتي استفادها ابن أبي أُصَيْبِعَة من ملازمة شيخه؛ في الأخلاق والآداب، وعِلمه في معرفة النّبات والأدويّة وغيرها، ومنهجه النّقدي وطريقة تحصيله وتدريسه.

ومن غير ابن البَيْطار، فقد لازم ابن ابي أُصَيْبِعَة الطّبيب الدَّخوار، والطّبيب رشيد الدِّين أبو حُليقة، وغيرهما، وهذا مزيد كمال في التعلّم، كما كان هو نفسه شيخا يلازمه الطّلبة كأبي الفَرج بن القفّ، الّذي لازمه ودرس عَليه حتّى حفظ الكتب الأولى المتداول حفظها، كمسائل حُنَين والفصول لأَبُقْرَاط وتقدمة المعرفة، كم قرأ عَليه كتب الرّازي، ثمّ أنّه لما أكمل من عند ابن أبي أُصَيْبِعَة، انتقل إلى دمشق ولازم جماعة من الفضلاء فقرأ في العلوم الحكمية والأجزاء الفلسفية[1]، وكان في سبيل تحصيل العلم من الطّب وغيره من العلوم تهافتٌ على المشهور من المعلِّمين في ذلك العلم، ولعلّ أعجب مثال فيه ما كنّا ذكرناه سابقًا عن إلحاح أبي البركات هِبة الله بكلِّ شكلٍ وجده للتّتلمذ لدى الطّبيب أبي الحَسَن سَعيد بن هِبَة الله بنُ الحُسَين الّذي كان يأبى تَعليم اليهود، ورأينا كيف كان يجلس ويستمع درسه خِلْسة حتّى قبِله عنده، بعد موقفٍ جميلٍ يُجيب فيه عن أسئلة الشّيخ وهو غير مَعْنِي بذلك، فقرّبه وجعله من طلبته في مجلسه العلمي[2]، وما أختم به هنا هو ما ذكره الطّبيب هبة الله بن يوسف، من أنّ هذه الصّناعة لا تتمّ ولا يَحْصُل فيها الكمال إلّا لمن أسعده الجدّ بأستاذ حاذقٍ، حسَن التأنّي لطرائق العلم، وطُول مباشَرةٍ لأعمال الطّب[3].

ت- الحفظُ والاستعانةُ بالرَّجْز:

أظهر المسلمون في شتّى المجالات قُدرات هائلة في مجال حفظ الكتب، فكانوا يُوصَفون بشدّة الحفظ وقوّة الذّاكرة، ففي بدايات تعلّمهم واشتغالهم بصناعة الطّب كانوا يعتمدون على طريقة الحفظ لأهمّ الكتب الأولى المقرَّرة في تَعليم الطّب[4]، كما قال ابن أبي أُصَيْبِعَة عن أَبي الفَرج بنُ القَفّ تلميذه من أنّه لازمه، وحفظ عَليه الكتب الأولى المتداوَل حفظها في صناعة الطّب، وهذه الكتب هي الّتي تمّ ذكرها سابقًا؛ كمسائل حُنَيْن، والفُصُول لأَبُقْرَاط، وتَقْدِمَة المعرِفة، وكذا كتب الرازي[5]، وكان الأطبّاء الكبار يُوصُون طلبتهم بِضَرورة الحِفظ التَّام إلى درجة عَدَم الرُّجوع إلى الموارد المحفوظة؛ فمن ذلك ما ذكره موفّق

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص768.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص347.

[3] مريزن سعيد عسيري، تعليم الطِّب في المشرق الإسلامي، ص73.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص236، 237، 252، 441، 736، 755، 768...

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص768.

الدِّين عبد اللّطيف البغدادي أنّه مَن قرأ كتابًا وجب عَليه الحرص كّل الحرص على استظهاره، وتمّلّك معناه، وتوَهّم أنّ الكتاب قد اندثر، وأنْ يؤكّد استغناءه عنه، فلا يحزن إنْ فُقد[1]، وكان المسلمون يعتمدون التّكرار لترسيخ حِفظهم[2]؛ فمّا يذكره عن نفسه أنّه حفظ كتبًا كثيرة من أصناف العلوم، وفي الطّب ذكر أنّه حفظ كتاب النَّجاة لابن سينا[3].

أمّا موفّق الدِّين يَعْقُوب بن سِقْلَاب، فقد كان حافظًا لكتب جالينوس، مستحضرًا لأقواله حسب المقام الّذي يحتاجه فيه، ومهما سُئل عنه في الطّب من المسائل والمواضيع المستعصيّة، لا يجيب إلّا بما قاله جالينوس، ويورد في ذلك نصوصًا تدلّ على قوّة حفظه؛ بل ويذكر المقالة والورقة الّتي في تلك المعلومات، ويذكر ابن أُصَيْبِعَة أنّه لما اشتغل عَليه بصناعة الطّب وجده عالما بكتب أَبُقْرَاط حفظًا وشرحًا، وأنّه تحقّق ذلك فَوَجَده يُورد نُصوص وأقوال أَبُقْرَاط دون زيادة أو نُقصان، فكان بمنزلة التُّرجمان له في سائر كتبه من صناعة الطّبّ[4]، وكان طالب الطّب يفهم المعاني ويستقصي ذلك، فذكَرَ عن الطّبيب شَمْس الدِّين مُحَمَّد الكُلّي أنّه حفظ ما ينبغي حفظه من الكتب الأولى الّتي يحفظها المشتغِلون في الطّب، ولعلّ من أهمّ ما حفظه حفظًا مُتْقَنًا هو الكتاب الأوّل من القَانون، وهو الكلّيَّات، واستقصى فهْمَ معانيه، حتّى لُقِّب بالكُلّي[5].

ومن خلال ما ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة عن حفظ هذا الطّبيب، في قوله: "أتقن حفظ ما ينبغي أن يُحْفَظ من الكُتُب الأوائل الّتي يحفظها المشتغِلون في الطّب" ذلك أنّ هناك كتبًا لا يمكن أن يستغني عنها طالب الطّب، مهما كان حاله وتخصُّصه كما لا يمكن تأجيلها؛ بل هي التي تفتح له البَاب للبُرُوز في صناعة الطّب، والتَميُّز فيها وذلك مع ضرورة معرفة شرح معانيها وفهم قواعدها، ككتاب "الفِرَق لجالينوس"، وهو الذي قال عنه: "أنَّه أوَّل كتاب يقرؤه مَن أراد تعلّم صناعة الطّبّ، وفيه يتمُّ وصفَ كلّ فرقة؛ أصحاب التَّجربة، وأصحاب الحِيَل، وفِرقة أصحاب القِيَاس[6].

ومن الأمور المساعدة في الحفظ ترغيبًا وتسهيلًا نَظْمُ العلوم لأنّه بصفةٍ عامّة، والطّب بصفةٍ خاصّة يؤدّي إلى ترسيخ الحفظ، وسهولة الاسترجاع لِما فيها، ولذلك كان النَّظْم للعُلُومِ نَظْمٌ تَعليميّ، وممّا يجب

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص691.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص684.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص685.

[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص697، 698.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص755.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص134.

معرفته أنّ هذا النّظم لم يكن حِكْرًا على المسلمين، إنّما اعتمده غيرهم على غِرار الهنود، حيث قال فيهم الطّبيب والعالم البَيْروني(ت440هـ/1048م): "... لا يستغْنُون عنه، فإنّ كتبهم منظومة وقصْدهم فيها أن يسهُل استظهارُها ولا يرجعُ في العلوم إلى الكتاب إلّا عن ضرورة، وذلك لأنّ النفس توّاقَة إلى كلّ ما له تناسبٌ ونظامٌ ومشمئزةٌ عمّا لا نظام له، ومن أجل هذا ترى أكثر الهند يَهْترُون لمنظومِهم ويحرِصون على قراءته وإنْ لم يعرفوا معناه، ويُفَرْقِعون أصابعهم فرحًا به واستجادةً له ولا يرغبون للمنثُور وإنْ سهُلَتْ معرفته"[1].

ولم يقتصر النظم التَعليمي على بحورٍ معيّنة، وإنّما توجد منظومات من كلّ بحور الشعر، إلّا أنّ طبيعة وهدف النَّظْم التَعليميّ يستدعي البساطة والسهولة، فكان بحر الرّجز[2] أداةً مناسبة لذلك، فصار بحر الرّجز أكثر البحور انتشارًا في المنظومات التَعليميّة، وكلُّ قصيدةٍ كُتِبت على هذا البحر أُطْلِق عَليها أرجوزة[3].

ونجد الطّبيب ابن سينا يؤكّد أهميّة ذلك في قوله: "وينبغي أن يروي الصبي الرّجز، ثمّ القصيدة فإنّ رواية الرّجز أسهل، وحفظه أمكن، لأنّ بيوته أقصر، ووزنه أخفّ"[4]، إلّا أنّ الملاحَظ عن ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّه لم يهتم كثيرًا بذكره للأراجيز الطّبيّة، وإلّا كان قد ذكر دَوْر ابن سينا في هذا المجال، من خلال "الأرجوزة في الطّب" أو "الألفيّة" الّتي تقع في ألف بيتٍ، نحو قوله في تقسيمات الطبّ:

قَسمته الأولى لِعِلْمٍ وَعَمَـــل ... والعِلْمُ في ثَلَاثة قَدْ اكتَمَل
سَبْعَة طَبِيـــعات منَ الأُمُور ... وَسِتَّـة وكُـلّها ضَـــرُوري
ثمَّ ثَلَاثٌ سُطِرَت في الكُتُب ... من مَرَض وعَرَض وسَبَب
وَعَمَل الطِّبّ عَلَى ضَــرْبَين ... فَــوَاحِد يُعْمَــل باليَدَيْـن
وغَيْـــــره يُعْمَل بالــدَّواء ... ومَـــا يُقَدَّر مِنَ الغِـــذَاء[5]

ومع ذلك فقد ذكر إشارات عن اهتمام المسلمين بالأراجيز، فذكر عن الطّبيب سعيد بن عبد ربّه أنّه كان له في الطّب رجزٌ جليل وألّف في ذلك كتابًا[6]، على الرّغم من أنّه لم يذكر اسم الكتاب، وذكر

[1] البَيروني (أبو الريحان، محمد بن أحمد الخوارزمي. ت 440هـ)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، ص96.
[2] تفعيلاتُه: مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ ... مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ. أنظر، ابن عبد ربّه الأندلسي، العِقد الفريد، ج6، ص306.
[3] جلال شوقي، العلوم العقليّة في المنظومات العربيّة، ط1، مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت، ص34.
[4] ابن سينا، كتاب السّياسة، ص102.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص14.
[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص489.

عن الطّبيب ابن البذّوخ أنّه شرح كتاب الفصول لأَبُقْرَاط في شكل أرجوزة، وشرح له أيضًا كتاب تقدِمة المعرفة على نفس الطّريقة[1]، أمّا من ذاعت شهرته في عمل الرّجز في مجال الطّب، على حدّ قول ابن أبي أُصَيْبِعَة الطّبيب سديد بن رقيقة؛ قال عنه:" وأمّا الرجز، فإنّني ما رأيتُ في وقته من الأطبّاء أحدًا أسرْعَ عملًا له منه"، وذكر أنّه كان يأخذ ما يشاء من كتب الطّب وينظُمه رجزًا بسرعة وجوْدة مستوفيًا في ذلك للمعاني مُراعيًا لحُسن اللفظ[2]، ومن الكتب التي نظَمها رجزًا، كتاب الكلّيات من قانون ابن سينا، وقد ألّف كتابًا في الفَصْد في شكل أرجوزة، وهذا يدلّ على تعلّقه بالشعر، وقد ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة العديد من أبياته الشعريّة مثال قوله:

تَــوَقَّ الامتِــلَاء وَعُدَّ عَنْــه ... وإدْخَالُ الطَّعَام علَى الطَّعَام
وإكْثَار الجِـمَاع فَــإنَّ فِيــه ... لمن وَالَاه دَاعِـــيَة السِّــقَام
وَلَا تَشْرَب عُقَيْبَ الأَكْل ماء ... فَتَسْلَمَ مِنْ مَضَرَّات عِظَــام [3]

ث- المناقَشَات والمناظرات:

من الأمور الّتي ساعدت في تطوّر العلوم الطّبيّة، وعُدَّت في جوانب منها مُسَاعِدة لتعلُّم الطّبّ؛ المناظرات والمناقشات في الأمور الطّبيّة، من خلال ما يحدث في المجالس بحضور التّلاميذ، ومن الرّدود الواردة في المؤلّفات الطّبيّة، فقد أعطى أبي أُصَيْبِعَة إشارات قليلة تمثّل صورة بارزة من صُوَّر التَعَلّم، فمجلس أمّ جعفر كان يَحْضُره الحُسَّاب والمتَطَبِّبُون، وتُقام فيه المناظرات حَوْل الطَّارئ من الأَمْراض والعِلَّل، ويُؤْتى بالمتعلِّمين، للاستفادة من الآراء المختلفة[4]، وأحالنا على نقاشٍ وتناظرٍ في قضيّة "المنتبه ليلًا يشرب أو لا يشرب"، وبسطَ الآراء المختلفة في ذلك[5]، ولم يكن مجلس ابن أبي دُلْف يختلف عن سابقه، حيث كان الأطبّاء يَنْظُرُون في علّة المريض، ثمَّ يتنَاقَشُون حَول طريقة العلاج[6]، ومن صُوَّر المنَاقَشات والمنَافَسَات ما كان بينَ الطبيبين رشيد الدِّين بن حُلَيْقَة، وبين رشيد الدِّين أبي سَعِيد[7].

---

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص630.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص703.
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص713.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص193.
[5] نفسه.
[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص238.
[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص599.

وكان الأطبَّاء بالنَّظر لمعرفتهم أصول المناظرة يُقَدمون وصايا ويبيّنون أصولها للتّلاميذ، كمَا قال الطّبيب عبد اللّطيف البَغدادي: "وإذا تصدّيتَ لتَعليم علمٍ أو للمناظَرة فيه فلا تَمْزِجْ به غيره من العلوم فإنّ كلّ علمٍ مُكْتَفٍ بنفسه مُسْتَغْنٍ عن غيره، فإنَّ استعانتك في علمٍ بعلمٍ عجْزٌ عن استيفاء أقسامه كمَنْ يستعين بلغةٍ في لغةٍ أخرى إذا عَلِمَها أو جَهل بعضها"[1]، وقال: "إيّاك والجَفاء في المناظرة"[2]، وتتمّ المناظرة وسط جمعٍ من أهل العلم من أصناف العلوم، لاستفادة عمومًا، وغالبًا ما يأتي الأطبَّاء في مناظرات بتَعْليلاتٍ وأمورٍ اطَّلَعوا عَليها، ولم يكن يسمع بها أحد، فَتَعُمّ الفائدة[3]، وممّن عُرِفت عَليهم المناظرات والمناقشات من أطباء مصر أبو عبد الله محمَّد بنُ سَعِيد التَّمِيمِي الذي تميَّز في معرفة النبات وماهيَّته وفي تركيب المعاجين والأدويّة المفردة، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "ولقيّ الأطبّاء بمصر وناظَرهم"[4].

وقد يستغلُّ الخليفة وجود أطبّائه فيثير بينهما بحثًا يسمع فيه آرائهما، فالخليفة المتوكّل على الله خرج يومًا وبه خُمارٌ فقعَد في الشّمس، وكان معه الطّبيبان الطَّيْفُوري النّصراني وحُنَيْن بن إسْحَاق، فقال الطَّيفوري ناصحًا للخليفة: "يا أمير المؤمنين. الشَّمس تَضُرّ بالخُمار"، فقال المتوكّل لحُنَيْن: "ما عندك فِيمَا قَال"، فقال حُنَيْن: "يا أمير المؤمنين. لاَ تُضُرّ"، فلمّا تناقضَا بين يديه طلب كشفَهما عن صحَّة أَحَدُ القَوْلَيْن، فقال حُنَيْن: "يا أمير المؤمنين. الخُمار حالٌ للمَخمُور والشّمس لا تضرّ بالخُمار، إنّما تضرّ المخمور"، فقال المتوكل: "لقد أحرزَ من طبائع الألفاظ وتحديد المعاني ما فاق به نظراءه، فَوَجَمَ لها الطَيفوري"[5]، فكان التّناظر في الحالة الطّبيّة، وفي التّدقيق في المعاني والألفاظ، وعليه فإنّ مناظرة بن رضوان لبطلان من أهمّ المناظرات التي ساقها ابن أبي أُصَيْبِعَة، فائدتها تَخُصّ المنهج والطَّريقة الأفضل لتَعَلّم الطّب؛ من الكتب والاستغناء عن المشايخ أو ضرورة وجود الشّيخ الفاضل المعلِّم[6].

ج– منهجُ السُّؤال والجواب:

تعدّ طريقة الأسئلة والأجوبة نموذجًا للتأليف في الطّب، ووسيلةً وطريقةً للتَعليم، وتتميّز هذه الأسئلة بكونها قصيرة ومتسلسلة، ويتمّ الإجابة عنها باختصار، ونظرًا لأهمّيتها في التَعليم الطّبي، فقد كانت تُدَوَّن وتُكْتَب، فعرفت بذلك مؤلّفات كثيرة بهذا الشكل، ومن الكتب التي تميّزت بطريقة السؤال والجواب

[1] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص691.
[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص693
[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص211.
[4] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص ص546، 547.
[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص263.
[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص563.

كتاب "المحاوَرَة في الطّب"[1]، تَدْوينًا للحِوار الّذي جرى بين كسرى والحارث بن كِلْدة (ت50هـ/ 670م) في مواضيع عدّة في الطّب[2]، وأبرز مَن استخدم هذا الأسلوب في التأليف لتسهيل عمليّة التَعليم، حُنين بن إسحاق الذي عرفنا كتابه المشهور في هذا المجال تحت عنوان "المسائل في الطّب للمتعلِّمين"، حيث يظهر التّسلسل الطّبي في الأسئلة بدايةً بتعريف الطّب، ثمّ ذكره لأهمّ مواضيع الطّب، وله كتابٌ في العين، على طريقة المسألة والجواب، وكذا اختصاره الستّة عشر كتابًا لجالينوس، فكان أكثر ممّا أُلِّف من الكتب على طريقة المسألة والجواب[3]، ومن الكتب المهمّة التي أُلّفت أثناء التَعليم؛ كتاب "الفصول والمسائل والجوابات" للطّبيب زاهد العلماء(ق5هـ) الذي كان يُجيب تلامذته عن مجموع المسائل الّتي تُعْرَض عَليه في مجلسه في البَيْمَارِسْتان الفارقي[4] الّذي كان يطبّ به[5].

ومن الّذين كتبوا على هذه الطريقة؛ الطّبيب أبو الخطاب الّذي ألّف كتاب "الشّامل في الطّبّ"، جعله على طريق المسألة، والجواب في العلم والعمل[6]، ومن الكتب التَعليميّة المشهورة كتاب "انتخاب الاقْتِضاب" المجموع على طريقة السّؤال والجواب الذي ألّفه أبُو نَصْر سَعيد بنُ أَبي الخَير بن عِيسَى بن المسِيحِي[7]، ساعدت وساهمت طريقة السّؤال والجواب في تَعليم طلبة الطّب، بحكم أسئلتها المباشِرة وأجوبتها المختصرة؛ وهو ما لاحظناه في محاورة الحارث وكسرى، بتعريف الطّب، ثمّ تليها التّفصيلات الأخرى، ونفس الأمر في كتاب انتخاب الاقتضاب، ويمكن بَسط الأسئلة الخمسة الأولى كمثال: ما هو حدّ الطّب؟ وكم أجزاؤه؟ ما هي الأمور الطّبيعيّة؟، وكم عددها؟ ما هي الأركان؟ وكم هي؟ ما هو المزاج؟، وكم هي أصنافه؟. ماهي الأخلاط؟ وكم عددها؟ إلى غيرها من الأسئلة، وبعد كلّ سؤال تأتي الإجابة

---

[1] أيمن ياسين عطعط، **منهج السُّؤال والجواب في الطِّب العربي الإسلامي (كتاب انتخاب الاقتضاب أنموذجا)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ العلوم الطِّبيّة، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، قسم تاريخ العلوم الطِّبيّة، 1434هـ/ 2013م، ص8.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص162 -165.

[3] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 272-274.

[4] بفتح الفاء والراء المكسورة بينهما الألف وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى مَيافارقين، وهي مدينةٌ بديار بكْر، تقع إلى الشمال الغربي من الموصل، بين الجزيرة وبين أرمينيا، وعُرف بها بَيْمَرِسْتَان ميافارقين الّذي بناه زاهد العلماء، في زمن الخليفة القائم بأمر الله. أنظر، السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت562 هـ)، الأنساب، ج9، ص217.؛ مجهول (ت: بعد 372هـ)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص166.؛ أحمد عيسى، تاريخ البَيْمَرِسْتَانات في الإسلام، ص199.

[5] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص 341.؛ أحمد عيسى، المرجع السابق، ص199.

[6] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص344.

[7] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر نفسه، ص 405.؛ أيمن ياسين عَطعط، **منهج السُّؤال والجواب في الطِّب العربي الإسلامي**، ص64.

مختصَرة[1]، ولذلك اعتمدها بعض الأطبّاء في امتحان الطّلبة، ككتاب نوادر الأَلْباء في امتحان الأطبّاء للطّبيب أسعد الدِّين بن أبي الحسن[2].

ومن خلال ما تقدّم في هذا الفَصل أستنتج؛ أنّ تعلّم الطبّ وتعليمه يبدأ من الاستعداد، سواءٌ النّفسي أو الجسماني وغيره، حيث يجب توفّر شروط تخصّ طالب الطبّ ومعلّمه، وهذا ما أحالنا إليه ابن أبي أُصَيْبِعَة، حيث أنّه حرص على ذكر الصّفات التي تميّز بها الأطبّاء أثناء تعلُّمهم، وعند ممارستهم للطّبّ في بدايات أغلب التّراجم، كما أنّه حرص على افتتاح كتابه بذكر تنظيرات الطبيب أبُقراط لآداب وأخلاقيات هذه المهنة، من خلال وصيّته وناموسه في الطبّ الّذي حدّد فيه شروط المتقدِّم لتعلّم الطبّ، وذكر القَسم الطبّي الذي يلزم المتقدّم لممارسة الطبّ تقديم عهودٍ بالتزام الأخلاق والآداب وعدم تجاوزها.

ومن غير الحكيم أبُقراط، فإنَّ ابن أبي أُصَيْبِعَة قد أحالنا إلى دور الأطبّاء العرب والمسلمين في المشرق الإسلامي بتنظيمهم لهذه المهنة، ووضعهم لشروط تلزم المتعلّمين للطب وتبيّن ما يجب أن يكونوا عليه من صفات وأخلاق، كالطّبيب المصري علي بن رضوان(ت453هـ/ 1061م) الذي حدّد صفات الطبيب في سبعة خصالٍ، والأطبّاء أبو بكر محمد بن زكريّا الرّازي، وإسحاق بن علي الرُّهاوي (ت ق4هـ/10م)، وأبو العلاء صاعد بن الحسن (ت464هـ/ 1071م) الذين وضعوا مؤلّفات في الأخلاق والآداب الطبيّة.

ومن بين الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها طالب الطبّ الاستعداد النفسي، والرّغبة والاجتهاد والصّبر طبيعته جيّدة، والاستعداد العلميّ بحرصه شديد، فيُقبل على التَعليم ولا يضجر، وأن يكون قلبه سليم، ونظره عفيف، والاستعداد الجسماني بأن يكون حَديث السّن، معتدل القَامة، مُتنَاسب الأعْضاء، جيّد الفَهم، حَسن الحَديث، وكذلك يهتمّ بمظهره فيكون حسن الملبس طيّب الرّائحة نظيف البَدَن والثّوب، وفي ممارسته للطّب يكون ذكيًّا، عاقلًا، كتومًا للأسرار، مأمونًا ثقةً على الأرواح والأموال، همُّه نفع النّاس لا جمع الأموال، وغيرها من الصّفات النّبيلة الّتي تنبعث أساسًا من طبيعة الإنسان المسلم أوّلًا، ثمّ من الطّبيب الملتزم بالقَسم الطّبي.

وفيما يخصّ الأماكن التي يتمّ تعليم الطبّ فيها، يمكن تقسيمها إلى نوعين؛ أماكنٌ تُعنى بالتّعليم النّظري، كالمساجد ومنازل الأطباء، ومجالس الأطبّاء التعليميّة التي جعلوا لها أماكن خاصّة، بالإضافة إلى

[1] أيمن ياسين عطعط، المرجع السابق، ص64 وما بعدها.

[2] ابن أبي أُصَيْبِعَة، المصدر السابق، ص601.

المدارس الطبيّة النظريّة التي ظهرت في القرن(7هـ/13م) كالمدرسة الدّخواريّة والدُنَيْسريّة وغيرهما، وفيها يتمّ تحفيظ الكتب الطبيّة وشرْحها وتعديل سلوكيّات الطّلبة، والإجابة عن أسئلتهم ...، وأماكن تجمع بين التّعليم النّظري والتّطبيقي، تمثّلت أساسًا في البَيْمارستانات، فلم تكن الدّراسة النظريّة والاكتفاء بقراءة الكتب وحفظها وحدها أساسًا للتعليم لدى الأطبّاء في المشرق الإسلامي؛ بل كان التّطبيق العملي والتّجربة والممارسة من أركان التعليم، ويتمّ ذلك أثناء الدّراسة بالنّسبة للطّلاب، وأثناء الخدمة بالنّسبة للأطبّاء، وقد كان الطّلاب يرافقون معلّميهم أثناء مرورهم بالمرضى، فيتمّ مراقبة الأستاذ عند فحصه ومعالجته، وملاحظة كيفيّة تصرّفه ومناقشته للمريض، وهذا كلّه يتمّ داخل البيمارستان.

أمّا تقديم الدَّرس الطّبي فلم يكن يُقدَّم بطريقة واحدة في المشرق الإسلامي، بحسب نصوص ابن أبي أُصَيْبِعَة؛ بل كان لكلّ طبيب طريقته في الأداء وفي التّقديم والشّرح، وفي كيفيّة جلوس طلبته في حلْقته، أمّا وقت الدّرس فالغالب يكون بعد اتمام الطّبيب المعلّم زيارة مرضاه، وأن مكان التَعليم يكون مفروشًا لتنظيم الجلوس، وتكون به مكتبة مخصّصة لطلبة العلم والطّب، وبعد إتمام التعلّم في الجانب النّظري بقراءة الكُتب وحفظها وسماع شروحها من المشايخ، ويسعى المتعلّم إلى التّمرّس والتّمرّن تطبيقيًا بالملاحظة السّريريّة؛ إذ يقف معلم الطّب بجانب سرير المريض، ويلتفّ حوله تلاميذه، ويبدأ المعلّم باستجواب المريض عن حالته والدّاء الّذي يَشْكو منه، وعن رغبته في الأكل، ويجسّ نبضه، ويلتمس جلده، ويلاحظ عينيه، وقد ينظر بوْلُه وريقه وبُرازه، فإذا انتهى استجوابه للطبيب، ترك الأمر للطلّاب كي يبدوا رأيهم في التشخيص والعلاج، وقد يتمّ ذلك في إيوان خاصٍ في المستشفى يتدارسون فيها الحالة المرضيّة التي شاهدوها.

الفصل الخامس

المُمارسَة العمليّة والأخلاقيّة للطبّ في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأَطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعة(ت668هـ/1270م).

الفصل الخامس:

الممارسَة العمليّة والأخلاقيّة للطبّ في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأَطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعة(ت668هـ/1270م).

.

أوّلا: امتحانُ الأطبّاء والممارسة الأخلاقية للطّبّ

1_ امتحان الأطبّاء:

أ_امتحان الأطبّاء، من البساطة إلى التنظيم

ب_الأمور التي يمتحن فيها الطّبيب

ت_التّأليف في امتحان الطبيب

2_ ممارسة الأخلاق والالتزام بالآداب الطبيّة

أ_ مفهوم الأخلاق

ب_ مظاهر الأخلاق الطبّية في المشرق الإسلامي:

-مواصفات الطبّيب

-القسم الطبّي

-الحسبة على الأطبّاء وامتحانهم

_ التّأليف في الحثّ على الآداب والأخلاقيات الطبّية

3_ الأخلاق الطبّية بين الالتزام والتجاوز:

أ_ نماذج من الالتزامات الأخلاقية في المشرق الإسلامي

ب_ نماذج لبعض التّجاوزات الطبّية

ثانيا: الأمراض والعلل الجسمانية:

1_ أهمّ الامراض

2_ الطرق العلاجية للأمراض

أ_ الفصد والحجامة

ب_ الأغذية والأشربة

ت_ المعالجة الطبية للجوانب النفسية

ث_ المعالجة بطرق أخرى

ثالثا: التّأليف الطبّي:

1_ التّأليف في الطبّ الوقائي

2_ التّأليف في طبّ العيون

3 _ التّأليف في الأدوية المفردة والمركّبة والصّيدلة والعقاقير

4_ التّأليف في الطبّ النّبوي

5 _ التّأليف في الأوبئة والأمراض المختلفة

6_ التّأليف في الباه وطبّ النّساء والأطفال

7_ التّأليف في الجراحة

الفصل الخامس: الممَارسَة العمليّة والأخلاقيّة للطبّ في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأَنباء في طبقات الأَطبّاء" لابن أبي أُصَيْبِعة (ت668هـ/1270م).

أحالنا الطبيب ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه "عُيونُ الأنبَاء في طبقات الأطبّاء" إلى معلوماتٍ كثيرة حول الأمراض والعلاجات المختلفة، محدّدًا كيفيّات تعامل الأطبّاء مع عديد الأمراض، من خلال ما ذكره من نوادر وحكايات لهم، مبرزًا أثَر تلك الشّروط والصّفات التي كان لابدّ من توفّرها في طالب الطبّ، حيث نجدها تنعكس على الممارسة العمليَّة والأخلاقيَّة عند مزاولة الصّناعة لدى أطبّاء المشرق الإسلامي، وذلك بأنْ يُمتحن الطّبيب أوّلًا في علمه وأخلاقه قبل أن يشرع في مداواة والأمراض، فيتمرَّس في العلاج حتّى يكتسب الخبرة، ليمرّ إلى مرحلة تكوين الأطبّاء وتعليمهم، مع تأليف الكتب وتدوين خبراته، وهذا ما أسعى لإبرازه في هذا الفصل.

أوّلا: امتحانُ الأطبّاء والممارسة الأخلاقية للطّبّ: أوضّح ذلك في الآتي:

1–امتحانُ الأطبّاء:

نظرًا لشرف صناعة الطبّ[1] وصعوبتها[2]، ولتعامُل مُمْتَهنها مع الجسد والرّوح الإنسانيَّة، كان لابدّ من ردع أدعياءِ الطّبّ بجعلِ ضوابط وشروطٍ لها، عن طريق امتحان مَن أراد مزاولَة مهنة الطّبّ، وهو ما أشار إليه ابن أبي أُصَيْبِعَة في عديد النّصوص، وأكّدته كتب الحِسبة على غرار كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" للشّيزَرِي عبد الرَّحْمن بن نصْر(ت نحو590هـ/1194م)، وكتاب "معالم القربة في طلب الحسبة" لابن الأخوة محمد ضياء الدّين (ت 729هـ/1329م)، مع العلم أنَّ امتحان الطّبيب كان في البدايات بسيط وعَفَوي، فكان كلُّ مَن أحسَّ من نفسه أنّه على مقدرةٍ بالتَّطبيب زاول الصّناعة، وذلك

---

[1]افتتح الطبيب ابن أبي أصيبعة كتابه، بقوله أنّ صناعة الطب من أشرف الصنائع واربح البضائع، وأنّه ورد تفصيلها في الكتب الإلهيّة والأوامر الشرعيّة، حتّى جعل علم الأبدان قرينًا لعلم الأديان، كما رأى أنّ الهدف من الصّناعة الطبيّة حفظ الصّحة الموجودة، وردّ الصّحّة المفقودة، ولارتباط الطّب بحياة البشر، قال فيه الإمام الشّافعي رحمه الله (ت204هـ/820م)، مبرزًا مكانة الطبّ: "لا أعلمُ علمًا بعد الحلال والحرام، أنْبل من الطب"، مع ما دلّت عليه الشريعة الإسلاميّة على فضل الطبّ وضرورته، من خلال الأحاديث النبويّة الكثيرة والآيات القرآنيّة، الدّاعيّة إلى الوقاية من الأمراض، والاهتمام بالصّحّة الموجودة. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص7.؛ الذهبي، سيّر أعلام النبلاء، ج10، ص57.

[2] تكلّم عنها الطّبيب أبي بكر محمد بن زَكريّا الرّازي(ت313هـ/ 925م) في قوله:" اعْلم أنّه من أصعب الأشياء للطّبيب خِدمة الأُمراء، ومعالَجة المترَفِين والنِّساء، فإنّ الطّبّيب الحرّ السِّيرة إذا اشتغل بصناعته، وحفظ الخاصَّة والعامَّة، فإنَّه يعيش بخيرٍ، ويكون عليهم أميرًا، وإذا توسَّم بخدمة الملوك ربّما صار بخدمتهم أميرًا...وأنَّ الأطبّاء عاداتهم عادات الأُمراء، وأمورُهم نافذة على الأغنياء والفُقَراء، لأنَّ من عاداتهم أن يَأْمُروا، وليس من عاداتهم أن يُؤْمَروا. أنظر، الرَّازي، أخلاق الطَّبيب، ص ص18،19.

بعد قراءة شيءٍ من الكتب أو بعد الاشتغال لدى طبيبٍ مشهورٍ، لكن سرعان ما أصبح يسيرُ وِفق منهجٍ دقيقٍ ومحدَّد، وذلك بدايةً من القرن(4هـ/10م).

أ–امتحانُ الأطبّاء، من البساطة إلى التنظيم:

الامتحانات الطبيّة كانت بدايةً بمثابة تجريب للطّبيب في علمه وأدبه لا أكثر، وغالبًا ما كان القائم عليها ممثَّلٌ من السُّلطة، من الخُلفاء والوُزراء والأُمراء وما شاكَلهم، قُبَيل اتّخاذهم كأطبّاء مختصِّين بهم، وممّن جرّب الطّبيب قبل الشُّروع في التّطبيب، الخليفة هارون الرّشيد عندما التحق الطّبيب بخْتِيشوع بن جُورْجُس بخدمته، فأحضر أطبّاء آخرين[1]، وقام بامتحانه، حيث أمر مِن بعض الخدم إحضار ماء دابّةٍ للوقوف على مدى عِلمه ومعرفته، فلمّا رآه نَفَى بأن يكون بَوْل إنسان، على الرّغم من محاولات تشتيته، وإصراره على ذلك، فقال له الخليفة: "مِنْ أين علمت أنّه ليس ببوْل إنسان؟، فأجابه: "بأنّ قوَامه، ولوْنه، وريحُه مُنَافٍ لبوْل البشر، قال له الخليفة: "بين يَدَيْ مَن قرأتَ؟، قال له: "قُدّام أبي جُوْرْجُس قرأتُ"، قال له الأطبّاء: "أبوه كان اسمه جُورْجُس، ولم يكن مثلُه في زمانه، وكان يُكْرِمُه الخليفة أَبُو جَعفر المنْصُور إكرامًا شديدًا"، ثمّ سأل الخليفة بخْتِيْشُوع: "ما تَرى أن نُطعم صاحب هذا الماء"، فقال: "شعيرًا جيّدًا"، فضحك الرّشِيد ضحكًا شديدًا، فأكرمه ووهب له مالًا وافرًا، ثمّ جعله رئيس الأطبّاء كلّهم، وأمرهم أن يسمعوا له ويُطِيعون[2].

ومن الخلفاء العباسيّين مَن امتحَن الطّبيب في أخلاقه، فطلب منه صُنع سُمٍّ قتّالٍ، فمنهم مَن تجاوَز الاختبار بنجاح كحُنَيْن بنُ إسْحَاق، عندما امتنع عن ذلك[3]، ومنهم مَن خَسِره، فعُوقِب[4]، ومن الامتحانات ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة عن امتحان الصّيادلة، أنّ الخليفة المأمون أراد يومًا امتحان الصَّيادلة وتجربتهم، وتمّييز صالِحهم مِن طالحهم، فأُشير عليه بامتحانهم بشيءٍ لا وجود له، ولتحقيق ذلك طلب من الصَّيادلة إيجاد نباتٍ لم يكن له وجودٌ قطُّ، ورؤية قوْلِ الصَّيادلة فيه، فاقترح المأْمُون اسم "سَقْطِيثا" –اسمٌ

---

[1] وهؤلاء الأطبّاء هم؛ أَبُو قُرَيْش عِيسَى، وعبد الله الطَّيْفُوري، وَدَاوُد بن سَرابْيون، وسُرْجُس، وهذا ممّا يستدعي التساؤل، إنْ كان للخليفة هارون الرّشيد هؤلاء الأطباء، فلم يستدعِ أطبّاء آخرين لمداواته؟ فنقول من الأجوبة التي وجدناها في هذا السِياق، وإنْ كانت نسبيّة، النّص الذي ذكره ابن أبي أصيبعة: "وَلما كَانَ فِي سنة إِحْدَى وَسبعين وَمِائَة مرض هرون الرشيد من صُداعٍ لحِقه. فَقَالَ، ليحيى بنُ خَالِد: "هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاء لَيْسَ يُحْسِنون شَيْئًا" فقال له يحيى:" يا أمير المؤمنين، أَبُو قُرَيْش طَبِيب والدك ووالدتك"، فقال:" ليس هو بَصيرًا بالطب وَإِنَّمَا كَرَامَتِي لَهُ لقديمِ حُرْمَته فَيَنْبَغِي أَن تطلُبَ لي طَبِيبًا ماهرًا"، وهذا قد يدلّ على أنّ الخليفة هارون الرّشيد لم يكن راضٍ عن هؤلاء. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص 186، 187.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص187.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 260.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص347، 348.

يعود إلى ضيعةٍ تقرُب من مدينة السَّلام–وأرسل الرُّسل تطلُب من الصَّيادلة إحضاره، فكلّهم ذكر أنّه عنده وأخذ الثّمن مِن الرُّسل، ودفع إليهم شيئًا من حانوته، فرجعوا إلى الخليفة المأْمُون بأشياء مختلفة، فمنهم مَن أتى ببعضِ البُزور، ومنهم مَن أتى بقطعةٍ من حَجرٍ، ومنهم مَن أتى بِوَبَرٍ، وقليلٌ منهم مَن نجح، بأنّ لا عِلْم له بنباتٍ بمثل هكذا اسم(1).

وعلى هذا النّحو قام الأَفْشِينُ حَيْدَر بن كَاوُسَ (ت225هـ/840م) أحد قادة المعْتَصم بالله بإخراج نحوًا من عشرين اسمًا من دفاتر الأُسْرُوشَنِيَّة(2)، ووجّه به إلى الصّيادلة يطلب منهم أدويّةً بتلك الأسماء، فأنكرَها بعضهم وادّعى معرفتها بعضهم الآخر، فأمر الأفشين بجمع كلّ الّصيادلة، ولما حضروا كتب لمن أنكَر معرفة تلك الأسماء منشورات أذِن لهم فيها بالمقام في عسكره وطرَد الباقين وأباحَ دمَّ مَن وجد منهم في مُعسكره، وأرسل إلى الخليفة المعتصم بالله (ت227هـ/842م) يسأله امدادَه بصيادلةٍ لهم أديان ومذهبٌ جميلٌ ومتطبّبين كذلك، فاستحسن المعْتَصم ذلك ووجّه إليه بما سأل(3)، ويعدّ أوّل من نظّم صناعة التّطبيب، وقيّدَها بنظام خاص حِرصًا على مصلحة العامّة، هو الخليفة العباسي المقتدر بالله جَعْفَر بن المعْتَضَد (ت320هـ/ 932م)(4) الّذي تولّى الخلافة سنة (295هـ/ 908م).

فرض الخليفة المقتدر بالله على من يريد مزاولة الطبّ وامتهانه، تأديّة امتحانٍ للحصول على إجازة تمكّنه من مداواة النّاس، والسّبب الّذي جعله يأمر بذلك، هو أنّه في سنة (319هـ/931م) اتّصل بالمقتدر أنّ خطأً طبيًا جرى على رَجُل من العامّة من بعض المتطبّبين، فمات الرّجل، فأصدر المقتدر أمرًا يمنع جميع المتطبّبين فيه من ممارسة مهنة الطبّ إلّا مَن امْتُحِن، وطلب من سِنَان بن ثَابِت(ت331هـ/943م) أن يمتحنهم، ويكتب لكلِّ مستحقٍّ منهم رُقْعةً بخطّه، يُطلِق له فيها من الصّناعة، فكان عدد الممتحنين في جانبيْ بغداد ثمانمائة رجل ونيفًا وستّين رجلًا(5)، مستثنيًا المشهورين من الأطبّاء،

---

1 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص 224، 225.

2 نسبةً إلى أسْرُوشَنَة، وذكرها ياقوت الحموي، باسم"أُشْرُوسَنَةُ"، بلدةٌ كبيرةٌ وراء سمرقند دون نمر سَيْحُون، خرج منها جماعة من العلماء في كلّ فنّ، حكَمها وتملّكها الأَفشين. أنظر، السمعاني، الأنساب، ج1، ص220.؛ الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص197.؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص141.

3 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص225.

4 جعفر بْنُ المعتضد بالله، ويكنّى "أبا الفضل"، ولد سنة(282هـ/895م) تولّى الخلافة سنة (295هـ/908م)، وكان أطباؤه سِنان بنُ ثابت وبختيشوع بنُ يحي. أنظر، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمّم والملوك، ج13، ص59، 60.

5 رقمٌ كبيرٌ جدًّا، فعدد ما ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه ككلّ، من يونانيّين وهنود، ومشارقة ومغاربة لأكثرِ من سبعة قرون، على الأقلّ بنصف ما ذكره في بغداد وحدها في سنةٍ واحدة؛ أي، وقت الامتحان. فأحالنا إلى ثلاثة أمورٍ، الأوّل، أنّ الرقم مبالَغ فيه ولا مجال لصحّة المعلومة، الثّاني، أنْ يكون صحيحًا ولم تكن لهم شهرة، وابن أبي أصيبعة تحَرَّى ذِكر المعروفين فقط، الثّالث، أنّ أدعياء الطب في هذه الفترة كثيرون جدًّا وهو ما استدعى امتحان كلِّ منْ ادّعى أنّه طبيب.

ممّن عُرف تقدُّمهم في الصّناعة، وكذلك مَن كان في خدمة السُّلطان[1]، ويُستنتج من هذا أنّ مَن تصدَّوْا لهذه المهنة في بغداد كانوا كُثُر، وربّما لم يكن لهم من الشّهرة ما يشفع لهم، ولا يُستبعد أن يكون فيهم مَن خرج عن قواعد المهنة، ممّا استدعى ضرورة امتحانهم والنّظَر في علمهم وعملهم، ووُجد منهم مَن كان بسيطًا في طبّه لم يفقه كتب الصّناعة ولا عرف أصولها، إنّما كان طبُّه طبًّا بدائيًا[2].

ب- الأمورُ التي يُمْتحَنُ فيها الطّبيب:

يُعدُّ الطّبيب أبو بكر الرّازي(ت 320هـ/ 932م) من بين الأطبّاء المنظِّرين لعملية امتحان الطّبيب، فقد بيّن الأمور الّتي يجب أن يُمتحن فيها الطّبيب؛ فذكر أنّه يجب أن يُمتحن من أمور النّبض أن يعرف الفرق بين القويّ والصّلب، وبين الصّغير والضّعيف، وبين المستوي والمتخلِّف، وأكثر ما يُمتحن به الطّبّيب في الحِميات[3]، والأمراض الحادّة[4]، والبَحّارين[5]، ويُسأل كيف يُفرِّق بين أنواع الحُمَّى[6] من أوّل دَوْرِها، وكيف تُميَّزُ المركّبة، وكذلك فليُمتحن في المعرفة بأزمان الأمراض[7]، وتغيّير العلاج في زمان

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص302.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص352.

[3] منها حُمّى يوم، وحُمّى الدِّق، وحُمّى الغِب تأتي يوم وتختفي آخر، ومنها الحمّى الحارّة أو المحرقة وهي الّتي لا تَفْتُر، والحُمّى المطبَقة أو الدّمويّة يصاحبها حُمرة في الوجه والعَين والأذن، والحُمّى النّائبة أو البُلغميّة، وحُمّى الرِّبع، وتوجد الحُمّيات المختلطة، والحمّى الغشيّة والحمّى الوبائية والمركّبة، وغيرها. أنظر، الرّازي (أبو بكر محمد بن زكريا ت 313هـ)، المنصوري في الطبّ، تح: حازم البكري الصّديقي، ط1، المنظّمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم، الكويت، (1408هـ/ 1987م)، ص 459-488.

[4] يقول الرّازي مُفصّلًا فيما يجب معرفته عن الأمراض: "ينبغي لمن أراد إحكام تدبير المرَض الحاد أن يعرف أَسَليمٌ هذا المرض أم مُهلكٌ؟ وقصيرٌ أم طويلٌ؟ وينقضي ببَحْران أم لا؟ وفي أيّ يومٍ يكون ذلك البُحران؟ وبأيّ نوعٍ؟ وما عليه يجري تدبيرُ العليل قبل البُحْران، وعند حضوره وبعد كوْنه إلى لواحقِ ذلك وتوابِعه". أنظر، الرّازي، المصدر نفسه، ص491.

[5] من البُحران، وهو تغيُّرٌ يكون دفعةً، إمّا إلى جانب الصّحة، وإمّا إلى جانب المرض، وله دلائلٌ يصل الطبيب منها إلى ما يكون منه وبيان؛ كتغيُّر النفس بغتَةً واختلاط الذهن، وسَيَلان الدموع والسُّبات والسَّهر والشُّعاع أمام العين، والكَرْب، ووجَع الفؤاد والصُّداع والوَجَع في عضوٍ تغيُّر المرض يكون على ستِّ جهاتٍ: إمّا تغيُّر إلى الصّحّة في مدّة سريعة، وهو بُحرانٌ جيّد أو تغيُّرٌ سريعٌ إلى الرَداءة، وهو بُحران رديء أو تغيُّرٌ إلى الصَّلاح في مدّة طويلة، وهو تحلُّل أو إلى الرَداءة في مدّة طويلة، وهو ذُبولٌ أو تغيُّرٌ مُركّب من السريع والبطيء يؤول إلى السلامة أو تغيُّرٌ مركّب من السريع والبطيء يؤول إلى الرّداءة. أنظر، ابن سينا، القانون، ج3، ص105؛ الرّازي (محمد بن زكريا)، الحاوي في الطِب، تح: هيثم خليفة طعيمي، دار احياء التراث العربي – لبنان، بيروت، ط1، 2002م، ج5، ص103.

[6] الحُمّى، حرارةٌ غريبة ضارّة بالأفعال تنبعث من القلب إلى الأعضاء، وسببُها إمّا أن يكون مرَضًا، وهي حُمّى عرَض أو لا يكون، وهيّ حمّى مرَض، وهي أنوّاعٌ. أنظر، ابن النّفيس، الموجز في الطبّ، ص274.

[7] الأوقاتُ منها، كُليّة وهي، وقتُ الابتداء الكلّي، والصعود والانتهاء والانحطاط، ومنها جزئيّة وهي، هذه الأوقات في النَوْبة الواحدة، وذلك أنّ للنوبة ابتداء وقتِ الاضطراب، ووقتُ الابتداء، ووقتُ التزيُّد، ووقت الانتهاء، ووقت الانحطاط، ووقت غِبّ الحمى التي عنها هي، فهذه ستّةُ أوقات بيّنة تتبيّن للحِسّ في غِبّ، وذلك أنّ من يُحَم حُمّى غِب فأوّل ما تبتدئُ يُحِسُّ بقُشعريرة تتزيّد قليلًا قليلًا حتّى تصير نافِضًا، وهذا الوقت يسمّى وقت الابتداء، ثمّ أنّ النافض يبتدئ ويسكُن وتبتدئ الحرارة في البدن، ويسمّى هذا الوقت وقْت الصعود، ثمّ أنّ الحرارة تلبثُ بحالها مدّةً وتسمّى هذه الحال، الانتهاء، ثمّ أنّ الحرارة تقبلُ تضعَف ويُنَقّى البدن منها، وهذا الوقت وقت الانحطاط. أنظر، الرّازي، الحاوي، ج4، ص563.

زمان ويُحْسَب نوع نوع، فإنّ هذا ممّا لا يسَعه أن يكون طبيبًا إلّا بمعرفته[1]، أمّا امتحان الطبّيب فيما يخصّ العقاقير، فالرّازي يرى أنّها محنة ضعيفة، لأنّ هذه صناعة يختصّ فيها الصيدلاني وهو أوْلى من الطبّيب في ذلك[2]، ويجب معرفته لكثيرة الاستعمال منها لمعرفة قدْرِ علمه ومزاولته ودَرْبَتِه، وأمّا المطالبة بمعرفة الغريب النّادِر منها والفرق بين الجيّد والرديء منها فليس ذلك خالصًا بصناعة الطبّ[3].

وجاء في الكتب الطبيّة الموسوعيّة التي تُعْنَى بالأمور الطبيّة، قضيّة امتحان الطبيب، تلميحًا إلى ضرورتها، وكمثالٍ لذلك، فالطّبيب ابن هُبل، مهذّب الدّين(ت 610هـ/ 1213م) يفتتح كتابه بعد تعريفه للطّب، وإبراز الضّرورة الدّاعيّة له، فيما يجب أن يُمتحن فيه الطّبيب كفِعلٍ يُثْبت قيمة الطّبيب، ويجعل الآخر يثقُ في علمه وعمله، حيث اشترط مجموعة نقاط، الأولى، في تعلّمه النّظري والتطبيقي، وحصَر ذلك في ملازمة كبار الأطبّاء والحفظ والتدرّب على أيديهم، كما يُمْتحَن في أخلاقه، ويُنْظَر في دينه، وموضعه من النّاس أهُمْ شاكرين له، أم غير ذلك، كما اشترط على الطّبيب أن يكون مجتهدًا مُعْرِضًا عن ملذّات الدنيا، كاللّهو واللعب والسُّكْر[4].

وتُعدُّ كتب الحِسبة مرجعًا مهمًّا لمن أراد معلومات حول ما يجب أن يمتحن فيه الطّبيب موضَّحة ومُبسَّطة، حيث يقوم المحتسب أو القائم على امتحان الأطبّاء باتّباع منهج معيّن للتّفريق بين الأطبّاء، فيمتحن الكَحّالون بكتاب العَشْر مَقَالَات في العين، لحُنين بن إسْحَاق، فمَن وجده فيما امتحنه به عالمِا بتشريح طبقات العين السّبعة[5]، وعدد رطوباتها وأمراضها الثّلاث، وما يتفرّع منها من الأمراض[6]، وكان عارفًا بتركيب أدويّة الكُحل وأمزجة العقاقير، أَذِن له المحتسِب بالتصدّي لمداواة أعين الناس، وأمّا كحّالوا

---

[1] الرّازي، المصدر نفسه، ج7، ص409.

[2] وهذا يفيدنا أنّ الرّازي كان يفصِلُ بين الطّبيب والصيدلاني، ويرى لكلٍّ واحدٍ منهما اختصاصَه، فكان ينادي بالتخصُّص الدقيق في عصره، وهو ما حدث في القرون اللّاحقة، من أنّ الصيدلة صارت عِلمًا مستقِلًّا بحدّ ذاته. أنظر، الرازي (أبو بكر، محمد بن زكريا. ت313هـ)، سِرُّ صناعة الطب، تح: خالد حربي، دار الثقافة العلميّة، الإسكندريّة، ص34.

[3] الرازي، الحاوي في الطب، ج8، ص 428-430.

[4] ابن هبل (مهذّب الدّين، أبو الحسن، علي بنُ أحمد. ت610هـ)، المختارات في الطّب، ط1، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، شبكة كتب الشّيعة، 1362هـ/ ج1، ص7.

[5] الطّبقة الشّبَكيّة، والطبقة المشِيميّة والصّلبة، والغِشاء الّذي على نصف الجليديّة منْ خارج، والعَنْبيّة، والقَرَنيّة والملْتحِمة. أنظر، حُنَيْن بنُ إسْحَاق، العشر مقالات في العين، ص80.

[6] من أمراض العين؛ الرَّمَد، الظَّفَرة، البَياض، السَّلاق، السَّقْطة والضَّرْبة، العَشاء، الماء في العين، جَلاءُ العين، وغيرها. أنظر، "الباب الثّامن في أمراض العين" ثابت بنُ قُرّة (أبو الحسن. ت288هـ)، كتاب الذّخيرة في الطبّ، ص77 وما بعدها.

الطُرقات فلا يُوثَقُ بأكثرهم[1]؛ إذ أنّ ممارسة الكُحل في مثل هكذا أماكن يحطُّ من قيمة الطبّيب ويُعَدُّ انتهاكًا لحُرْمة الصناعة[2].

وأمّا المجَبِّرون فيُمْتَحنون في المقالة السّادسة من كُنّاش بُولَس[3]في الجَبر، ووجب عليهم معرفة عدد عظام الإنسان وهي (248)عظم، وصورة كلِّ عظمٍ منها وشكلِه، وقَدْرِه، حتّى إذا انكسر منها شيءٌ أو انخلَع استطاع ردُّه إلى موضِعه على هيئته الّتي كان عليها، فيمتحنهم المحتسِب على ذلك[4]، ومن الكتب التي تمكّنهم من الإلمام بمعرفة العِظام، والعضلات التي وُضعت خصّيصًا للمتعلّمين، كتابٌ في "العظام"، وآخر في "العَضَل" لجالينوس؛ إذ ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ جالينوس عنْونَه فِي العِظَام للمتعلّمين، لأَنه يُرِيد أَن يُقْدِم المتَعَلّم للطِّب تَعَلُّمَ عِلم التَّشْريح على جَمِيع فُنون الطِّبّ، وأنّ غرض جالينوس فِي هَذَا الْكتاب، أَن يصف حَال كلّ وَاحِدٍ من العِظَام فِي نَفسه وَكَيف الحال فِي اتِّصَاله بِغَيْرِهِ، أمّا الكتاب الذي فِي العضل، لم يعنونه جالينوس إِلَى المتعلِّمين، لَكِن أهل الْإِسْكَنْدَريَّة أدخلوه فِي عِداد كتبه إِلَى المتعلِّمين[5]، وأمّا المتصدِّين للجراحة فواجبٌ عليهم معرفة كتاب جالينوس، المعروف بقَاطَاجَانس[6] في الجراحات والمرَاهِم، وأيضًا كتاب الزَهراوي، في الجِراح، وأنْ يعرفوا التّشريح وأعضاء الإنسان، وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب[7].

بيَّن الطّبيب الرّازي أنّ بعضًا ممّا لا يجب أن يكون في امتحان الطّبيب، ويذكر أنّ الإغراق والمبالَغة في امتحان الطبّيب غيرُ نافع، كالّذي يرومُ من الطبّيب أن يبيّن له تميّيز النّبض بين النّساء والرّجال والصّبيان

[1]الشيزري، نهاية الرُتْبة في طَلَب الحِسْبة، ص100؛ ابن بسّام المحتسب (محمد بنُ أحمد. ت نحو 626هـ)، نهاية الرتبة في طلب الحِسبة، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1424هـ/2003م)، ص345.

[2]ضرب لنا ابن أبي أصيبعة مثالًا في ذلك، عن موقفٍ حدث للطّبيب جمال الدين بن أبي الحوافِر، فقد كان يومًا راكبًا، فرأى بيّاعَ حُمُص في الطريق قاعدٌ أمامه كحّالٌ يهودي، وبيده المِكْحَلة والميل ويقوم بتكحيل ذلك البيّاع، فساق بغلته نحوهما وقام بضرب الكَحّال بالمِقرَعة على رأسه وشتمَه، وأبعده عن بيّاع الحمص، وقال له: "إذا كنتَ أنت سَفَلَةً في نفسك، أمّا للصناعة حُرْمة، كنتَ قعدتَ إلى جانبي وكحَّلْتَهُ، ولا تبقى واقفًا بين يديْ عاميّ بيّاع حمص. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص585.

[3] المقصود هنا، بُولَصْ الأجانِيطي، طبيبٌ له معرفةٌ بعِلَل النساء، سكن الإسكندريّة، وعاصر الطبيب يحيى النحوي، توفيّ حوالي سنة(61هـ/680م)، له "كتابُ الكُناش في الطب"، نقل حُنين بنُ إسحاق منه سبعَ مقالاتٍ. أنظر، الشّيزري، نهاية الرُتبة في طَلَب الحِسبة، الحاشيّة رقم (4)، ص101.

[4] ابن الأخوة، معالِم القُربة في طَلَب الحِسبة، ص169.

[5]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص135.

[6] من أشهر كتب جالينوس في تركيب الأدويّة، يتضمّن سبع مقالات، اعتمده ابن أبي أصيبعة كمصدرٍ لبعض المعلومات. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص123، 144.

[7] الشّيزري، نهاية الرُتبة في طلَب الحِسبة، ص101.

والخِصيان، فهو أمرٌ غيرُ ممكنٍ في الأكثر، وتجاوزٌ للحدّ الّذي يحتاج إلى معرفته الطبّيب من أمرِ النّبض[1] أو أن يمتحن الطبّيب، بأن يفرّق بين ماء الرّجل وبين المرأة أو يوضَع له ماءٌ في قارورة، بأن يكون بَوْل حيوانٍ، وهو لا يعرفه ويصعُب عليه، فهذا ممّا لا يُلام عليه الطبّيب[2]، إلّا أنّنا نجد مَنْ امتُحن في ذلك وأصاب حدْسه[3]، وكصورة لما كان يجري أثناء الامتحان؛ نذكر موقفًا حصل للطّبيب أمين الدّولة (ت560هـ/1166م) وهو يمتحن أطبّاء وقتِه، بعد أن فُوِّضت إليه رئاسة الطبّ ببغداد، أين نستشفُّ الطريقة الأخلاقيّة الكبيرة الّتي اتّبعها الممتحنون، بعدَم فضْح الأطبّاء الّذين ليس لهم من الطبّ إلّا التّظاهر به، ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّه كان من جملة مَن حضر ذلك الامتحان شيخٌ له هيئةٌ ووقارٌ وعنده سكينةٌ، فأكرمه أمين الدّولة، وكانت لذلك الشّيخ دَرْبَة ما بالمعالجة، ولم يكن عنده من علم صناعة الطبّ إلّا التّظاهُر بها[4].

قال الشّيخ: "يا سيّدي. اعلم أنّني قد شِخْتُ، وأنا أُوسَمُ بهذه الصّناعة، وما عندي منها إلّا معرفة اصطلاحات مشهورة في المداواة، وعُمري كلُّه أتكسَّبُ بها وعندي عائلة، فسألتُك بالله. يا سيّدنا مَشِّي حَالي ولا تفضحني بين هؤلاء الجماعة"، فقال أمين الدَّولة: "على شريطة وهي أنَّك لا تهجُم على مريض بما تعْلَمُه، ولا تشيرُ بفصدٍ، ولا بدواءٍ مسهِّلٍ إلّا لمِا قَرُب من الأمراض"، فقال الشّيخ:" هذا مذهبي منذ كنتُ ما تعدَّيتُ السَكَنْجَبِين والجَلَّابْ"، فقال له أمين الدَّولة، مُعلِنًا والجماعة تسمعُ:" يا شيخُ. اعْذُرْنا، فإنّنا ما كنّا نعرفُك والآن فقد عرفناك، استمِرّ فيما أنت فيه فإنّ أحدًا ما يُعارضُك"[5]، وممّا يُلْحَظ في لفظةِ "أُعْذُرْنا" تدلّ على أنّ الامتحان كان مخصَّصًا لغير المشهورين من الأطبّاء وهذا يفسّر عدمَ امتحان سِنان بن ثابت للمشهورين من الأطبّاء ولمتطبّبي البلاط، كما يبيّن وجود الّذين يدّعون الطبّ ولا يعرفون منه إلّا القليل على مرّ الزّمان[6]، فالقائم على امتحان الأطبّاء منذ القرن (4هـ/10م) يجب أن يكون

1 الرّازي، الحاوي في الطب، ج8، ص428.

2 محمد ياسر زَكّور، شرف الطب في التراث العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2013م، ص184.

3 ان أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص220.

4 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص351.

5 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص352.

6 وهذا ينطبق على زماننا، بما يفسّر كثرة الأخطاء، بتنوُّع مُسبّباتها؛ الإهمال والرعونة، ومخالفة اللّوائح والقوانين، وبتنوُّع أخطائها في التشخيص، وفي الدّواء، في الإجراء الجِراحي في المراقبة، وفي التّوليد، وغيرها، وبما تُخلِّفه من ضحايا؛ وَفيات ومعطوبين. أنظر، عبد النّور تاديبيرت، **الأخطاء الطبيّة داخل المستشفيات الطبيّة بين القطاع الصِّحّي العام والخاص**، مجلّة إسهامات للبحوث والدّراسات، مج2، العدد2، غرداية، 2017م، ص 130، 145.

طبيبًا عُرفت قوّته وشُهرته، وكانت له مكانة خاصّة لدى الحكّام والوزراء أو ممّن كان رئيسًا للأطباء فيمتحنُهم وِفق منهجٍ مضبوط كالطبيبين سِنان بنُ ثابت، وأمين الدّولة.

ت- التّأليفُ في امتحان الطَّبيب:

أُلِّفت العديد من الكتب في إطار الدّعوة إلى امتحان الطبيّب، وتوضيح الأمور التي يجب أن يُمتحَن فيها من غير كتب الحِسبة، ككتاب "مِحنة الطبيّب"، و"كتاب معرفة محنة الكَحَّالين" ليُوحَنَّا بن مَاسَوَيْه (243هـ/857م)[1]، و"كتاب امتحان الأطبّاء" لحُنَيْن بن إسْحَاق(ت260هـ/ 874م)[2]، و"كتاب رسالة في محنة الطبّيب وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه وبدنه وسيرته وأدبه" للرّازي، وله أيضًا "كتاب المُمْتَحن في الطبّ على سبيل كناش"[3]، ولأبي سَعيد اليَمامي(ت420هـ/1029م) مقالة في امتحان الأطبّاء وكيفيّة التَّمييّز بين طبقاتهم[4]، ولأبي الخَيْر الحسن بن سِوار(ت بعد 330هـ/ بعد 942م) مقالة في امتحان الأطبّاء[5]، ولأسعد الدّين بن أبي الحسن (ت635هـ/1238م) "كتاب نوادر الألْباء في امتحان الأطبّاء"[6]، ومن المسائل المختصَرة الّتي يُمتحَن فيها الطبّيب، ما ورد عن جمال الدّين محمد بن إبراهيم المارديني(ق7هـ/13م)، في معرفة مسائل يُمتحَنُ بها مَن ادّعى صناعة الطبّ وهي عشرون مسألة[7]، فامتحان الأطبّاء في المشرق الإسلامي، من الضروريات لتصفيّة الصّناعة من الشّوائب تستدعي الاتقان والجدّيّة، وقد مسّ هذا علم الأطبّاء في الصّناعة وأعمالهم، وأخلاقهم وآدابهم، فوضعوا لذلك ضوابطًا وأصولًا، وكان القائم عليها رئيس الأطبّاء، كما كان للمحتسِب دورًا في ذلك، وهذا الامتحان يبقى جزءًا من الآداب والأخلاقيات الطبيّة.

2- ممارَسَةُ الأخلاق والالتزام بالآداب الطبيّة:

شَرَفُ مهنة الطبّ عظيمٌ وضرورةٌ وجودُها، لأنّها تقوم على خدمة الإنسان وتوفير الرَّاحة له فتحفظ صحّته الموجودة وترعاها أو ترجِع صحّتُه المفقودة[8]، ولهذا فقد كان للطبيب مكانةً مرموقةً ومنزلةً عاليّةً

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص255.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص271.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص425.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص322.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص429.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص601.

[7] أنظر، **الملحق رقم (06)**، المتضمّن نموذج من الأسئلة التيُ يجيب عليها طالب الطبّ كامتحانٍ له، ممثّلةً في عشرين مسألة في امتحان الطب من الرسالة الشِهابيّة، لجمال الدّين محمد بن إبراهيم الماردينيّ(ق7هـ/13م).

[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص7.؛ ابن هبل، المصدر السابق، ج1، ص3.

في المجتمعات، خاصّةً في الحضارة الإسلاميّة، وهذه المكانة يُمكّنها الطبّيب لنفسه بعدما يقوم بما يتعيّن له من الواجبات والالتزامات نحو مَرْضاه، بما يُمليه عليه دينُه وضميرُه وإنسانيّته وبما سَطَّر له من تشريعات وقوانين، فهذه المهنة تكمُن في ارتباطها بحياة البشر وبالتعامل مع الجسم والنفس مباشرةً، ومن هذا لابدّ أن يكون الطبّيب عارفًا وفاهِمًا لهذه الالتزامات والواجبات التي تكون جزءًا من أخلاقه المهْنيّة، فيكونُ على علمٍ وإتقانٍ وخُلُقٍ بما يتناسب مع شرف المهنة، ويكون ذكيًّا ومتفنّنًا في التَّعامل مع مرضاه، وهذا كلّه يُحيلنا إلى مصطلحٍ قد يكون حديثَ العهد لكنّه بمدلولاته ظلّ حاضرًا في الحضارة الإسلاميّة وهو" أخلاقيات مهنة الطبّ".

أ‒ مفهوم الأخلاق:

الأخلاق، جمعُ "خُلُق"، و"الخُلْقُ، بالضمّ وبضَمَّتَيْنِ: السَّجِيَّةُ والطَّبْعُ، والمروءةُ والدينُ"[1]، قال ابن منظور:" الخُلُقُ بضمّ اللاّم وسكونها هو، الدِّينُ والطبّعُ والسَّجِيّة"، وحقيقته أنّ صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها"[2]، وقيل: "الْأَخْلَاق غرائزٌ كامنة تظهر بِالِاخْتِيَارِ وتُقْهَرُ بالاضطرار، وللنفس أَخْلَاقٌ تحدُثُ عنها بالطّبع، ولها أفعالٌ تصدُر عنها بالإرادة، فهُما ضربان لا تنفّك النَّفس منهما؛ أَخْلَاق الذَّات، وأفعال الإرادة"[3]، وعرّفها الحكيم ابن مَسْكَوْيْه(ت421هـ/1030م) بأنّها "حالٌ للنّفس داعيّةٌ لها إلى أفعالها من غير فِكرٍ ولا رَوِيّة، وهي قسمين؛ منها ما يكون طبيعيًا، من أصل المِزاج، ومنها ما يكون مُستَفادًا بالعادة والتدرّب، وربّما كان مبدؤه بالرَوِيّة والفِكر، ثمّ يستمرّ عليه أوّلًا فأوّلًا، حتّى يصير مَلَكَةً وخُلُقًا"[4].

أبرزُ مَن اهتمّ بجانب الأخلاق الطبّيّة ودعا إليها؛ بل وكان مجتهدًا في تحقيقها هو الحكيم أبُقراط الّذي خصّص له ابن أبي أُصَيْبِعَة صفحات عدّة في الباب الرّابع المعْنَون ب"طبقات الأطبّاء اليونانيّين"، ولا شكّ أنَّ تمرّده على قوانين أَسْقْلَبْيوس بعدم تعليم الغُرباء صناعة الطبّ واحتكارها لأنفسهم لخيرُ دليل

---

[1] الفيروز آبادى (مجدُ الدين، أبو طاهر، محمد بن يعقوب. ت817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (1426هـ/2005م)، ص881.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص86.

[3] الماوردي (أبو الحسن، علي بنُ محمد بنُ محمد بنُ حبيب البصري. ت450هـ)، تسهيلُ النَظَر وتعجيلُ الظَفَر في أخلاق الملك، تح: محيّ هلال السرحان وحسن الساعاتي، (د. ط)، دار النهضة العربيّة، بيروت، ص5.

[4] ابن مِسْكَوَيْه (أبو علي، أحمد بنُ محمد بنُ يعقوب. ت421هـ)، تهذيبُ الأخلاق وتطهير الأعراق، تح: ابن الخطيب، ط1، مكتبة الثقافة الدينيّة، ص41.

على أخلاقه الرّاقيّة[1]، فرأى مصلحة البشريَّة فوق مصلحة أسرة أسْقلبيُوس، فألّف فيها، محاولاً نشرها، وتعميمها، وتعليمها، ورأى أن يُذيعها في جميع الأرض، وينقلها إليهم، ويعلّمها المستحقّين لها، حتّى لا تَبيد، فاتّخذ الغُرباء، وعلّمهم هذه الصّناعة الجليلة، وقال: "إنّ الجُود بالخير، يجب أن يكون على كلّ أحدٍ، يستحقّه قريبًا، أو بعيدًا"[2]، وعهَد إليهم العَهْد الّذي كتبه وهو "القَسَمُ الطبّي"، وأحْلَفهم فيه ألّا يخالفوا ما شرَطَهُ عليهم، وأن لا يُعَلِّموا هذا العلم أحدًا، إلاّ بعد أخْذ هذا العهد عليه[3].

يُلزِم الحكيم أبقراط طالب الطبّ بهذا القَسَم، فدعا فيه إلى ضرورة احترام المعلّم ومساعدته. وتعميم الخِبرات الطبّية للأبناء، وللمتعاقِدين الّذين أقسموا يمين الطبّيب، والابتعاد عن فِعل الشرّ أو إلحاق الأذى بالنّاس، من طريق صنع الدواء القتّال تحت الطلب أو القيام بإجهاض الجنين أو شقِّ المثانة عمّن به حجرٌ عن غير عِلمٍ، ويدعو كلُّ مقبلٍ على صناعة الطبّ، بأن يقدِّم المساعدة للجميع دون استثناء؛ ذكورًا أو إناثًا، أحرارًا أو أرّقاء دون تمييّز بينهما، ليختم قَسَمه، بكَون الطبّيب النّموْذجي لا يُفْشي أبدًا أسرارَ مريضه، ومَن يُذيعها فقد أخلَّ بفروض مهنته فهو كمَن يفشي الأسرار المقدَّسة، ولم يكتف أبقراط بهذا القسم؛ بل أضاف وصيّةً طبيّة[4] يُقيّد فيها واجبات الطبّيب، كالاعتناء بالمظهر، ونظافة الجسم، والاتّصاف بالعقلانيّة والرَّصانة، وزَرْع الثّقة في المريض، وطَمْأنته أثناء أداء المهمّة الطبّية، ويَنصَح الطبّيب بتحمُّل شتائم المريض، خاصّةً من المرضى المبَرسَمِين والمصابين بالوَسْوَاس السَّوْدَاوي، فقد تَصْدُرُ منهم سلوكيّات عُدوانيّة، ويتلفّظون بكلمات نابيّة وجَب تحمُّلها من طرف الطبّيب، لأنَّ الأمرَ يتجاوزهم وفوق

[1]كانت صناعة الطب قبل الحكيم أبُقراط كنزًا وذخيرةً يكنِزُها الآباء ويدَّخِرونها للأبناء، وكانت في أهل بيتٍ واحدٍ، منسوبٍ إلى أَسْقْلَبيوس، وكان ملوك اليونانيّين والعظماء منهم، لا يُمكنون غيرهم مِن تعليم صناعة الطب؛ بل كانت الصّناعة فيهم خاصّة يُعلِّم الرجل منهم ولَده أو ولد ولده فقط، وكان تعليمهم بالمخاطَبة، ولم يكونوا يُدَوِّنونها في الكتب، وما احتاجوا إلى تدوينه في الكتب دوَّنوه بلُغْزٍ، حتّى لا يفهمُه أحدٌ سِواهم، فيُفَسِّر ذلك اللغز الأبُ للابن. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص44.

[2] ابن أبي أصيبعة، نفسه.؛ ابن النديم، المصدر السابق، ص348.

[3]ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص ص44، 45 وما بعدها.

[4]وصية أبُقراط المعروفة بترتيب الطبّ "ينبغي أن يكون المتعلّم للطبّ في جنسه حُرًّا، وفي طبعه جيّدًا، حديث السِّنّ، معتدل القامة، متناسب الأعضاء، جيّد الفهم، حسن الحديث، صحيح الرأي عند المشورة، عفيفًا، شجاعًا، غير مُحبٍّ للفضّة، مالكًا لنفسه عند الغضب، ولا يكون تاركًا له في الغاية، ولا يكون بليدًا، وينبغي أن يكون حلِقَ رأسه، معتدلًا مستويًا، لا يحلِقُه ولا يَدَعُه كالجمّة، ولا يستقص قصَّ أظافير يديه، ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه، وينبغي أن تكون ثيابه بيضاء نقيّة، ليّنة، ولا يكون في مشيه مستعجِلًا؛ لأنّ ذلك دليل على الطيش، ولا متباطئًا، لأنّه يدلّ على فتور النفس، وإذا دُعيّ إلى المريض، فلْيقعد متربّعًا، ويختبرُ منه حاله بسكُونٍ وتأنٍ، لا بقلقٍ واضطراب؛ فإنّ هذا الشكل والرأي والترتيب عندي أفضل من غيره". أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص46،47.

طاقتهم[1]، ووضع ناموسًا للطب[2]، وضَّح فيه بعض الشّروط التي يجب أن تتوفّر فيمن أراد تعلّم الطبّ مِن ذلك، أَن يكون ذَا طبيعة جَيِّدَة مؤاتيّة وحِرْصٍ شَدِيدٍ ورغبةٍ تَامَّة[3].

وبهذا ومن خلال ما سطّره أبقراط من قسم ووصيّة وناموس، فقد اهتم بثلاث نقاط رئيسيّة، الأولى في أخلاق الطبّيب وعلمه؛ الحرية، وحداثة السِّن، وصِحّة الرّأي، وقوّة الفهم، والذّكاء والشّجاعة...، والثّانيّة في تعامله مع المرضى؛ الرّحمة والشّفقة، وكتم أسرار المرضى، واحتمال الشّتيمة، أمّا الثّالثة فضرورة اهتمام الطبّيب بمظهره؛ القامة المناسِبة، وحَلْق الرأس، والثياب البيضاء.

ب- مظاهر الأخلاق الطبّيّة في المشرق الإسلامي:

وضع المسلمون ضوابط لمهنة الطبّ لتوجيه ممتهنيه نحو الطّريق الصّحيح ولمنع الانحرافات والتّجاوزات، وسنذكر بعضًا من مظاهر هذه الضّوابط الأخلاقيّة، ممّا قدّمه لنا ابن أبي أُصَيْبِعَة من معلومات في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء".

-مواصفات الطبّيب:

مواصفاتُ الطبيب هي نفسها مواصفات معلّم الطبّ ومتعلّم الطبّ الّتي ذكرناها، فالشّروط حاضرة في أطبّاء المشرق الإسلامي، كجزءٍ من أخلاق الطّبيب، وهو ما يظهر جليًّا في جُلّ بدايات تراجم ابن أبي أُصَيْبِعَة، فوجدنا الفِطنة والذّكاء، والرّأفة والشّفَقة بالمرضى، والمواظَبة في البحث والكشف عَن أسرارها وحقائقها[4]، كما وجدنا الطّبيب في المشرق الإسلامي خبيرٌ بأصول وفروع الصّناعة[5]، كبير النفس، عالي الهِمّة، حَسن السّيرة، محبًا للخير وأهله، مجتهدًا في معالجة المرضى، رحيمًا بالخَلْق، طاهر

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص46، 47.

[2] النّاموس الطبّي لأبُقراط "إنّ الطبّ أشرف الصنائع كلِّها، إلاّ أنّ نُقْص فهْم مَن ينتحلها، صار سببًا لسلْب الناس إيّاها؛ لأنّه لم يوجد لها في جميع المدن عيبٌ غيرُ جهل مَن يدّعيها، ممّن ليس بأهل للتسمِّي بها، إذا كانوا يُشَبِحون الأشباح التي يُحْضِرُها أصحاب الحكاية؛ ليلهوَ الناس بها، فكما أنّهم صورٌ لا حقيقة لها، كذلك هؤلاء الأطباء بالاسم كثيرٌ وبالفعل قليلٌ، وينبغي لمنْ أراد تعلّم صناعة الطبّ، أن يكون ذا طبيعة جيّدة مؤاتيّة، فينبغي أن يُقبِل على التعلُّم، ولا يضْجَر؛ ليتطَّبع في فكره، ويُثمِر ثمارًا حسنة، والعلم بالطبّ كنزٌ جيّد وذخيرةٌ فاخرة لمنْ علَّمه، مملوءٌ سرورًا؛ سِرًّا وجهرًا، والجهل به لمن انتحله صناعة سوءٍ وذخيرة رَدِيّة، عديم السرور، دائم الجَزَع والتهوُّر، والجزع دليلٌ على الضعف، والتهوُّر دليلٌ على على قلّة الخبَر بالصناعة. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص46.

[3] نفسه.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص416.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص572.

اللّسان[1]، مُؤثِرًا للجميل، ومن الأوصاف التي أطلقها ابن أبي أُصَيْبِعَة أيضًا؛ العلم والفضل، النّباهة، ونزاهة النّفس، والحدْس الصّائب، ومعرفة الأمراض وتحقيق أسبابها وأعراضها، تدبير العلاج والمداواة، والعقل والحياء، وحسن الصّورة، [2]، حُبّ فعل الخير، ملازمة الصّلاة، والصّيام، وقراءة القرآن بالنسبة للأطبّاء المسلمين[3]، كما كان لعديد من الأطبّاء رؤية في أهمّ الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها الطبّيب، كالخصال السّبع التي حدّدها واشترطها الطبّيب المصري علي بن رضوان[4].

-القَسَمُ الطبّي:

يشترطُ على كلِّ مَن يريد ممارسة الطبّ أن يؤدّي قَسَمًا طبيًا يقطع به عهدًا وميثاقًا على نفسه بتطبيق بنوده، على غِرار قَسَم أبُقراط الطبّي، وهذا القَسَم يشتمل على الآداب المهنيّة التي ينبغي أن يلتزم بها الطبّيب في مهنته ضمن المفاهيم الإسلاميّة الّتي تدعو إلى الفضيلة في ممارسة صناعة الطبّ، ولا نعرف إنْ كان هناك قَسَمٌ يلتزم به الأطبّاء في المشرق الإسلامي؛ بل إنّ المطالع لكتب الطبّ التراثيّة يجد القَسَم الطبّي لأبُقراط، وفي بدايته شِرْكٌ وقَسَمٌ بغير الله "القَسم بأَسْقليْبِيُوس والقَسم بأولياء الله"، وهذا ممّا لا يتوافق مع الشّريعة الإسلاميّة[5]، مع أنّ الاختلاف حتمًا لن يكون في تلك المدلولات الأدبيّة والأخلاقيّة المشدِّدة على ضرورة الالتزام بقُدسيّة المهنة، وعدم الخروج عن حدودها المرسومة، وما وجدناه من نموذجٍ للقسم الطبّي ما ورد في بعض الكتب ما أقرّه المؤتمر العالمي الأوّل للطبّ الإسلامي، بمناسبة مطلع القرن(15هـ/20م)، المنعقد في الكويت بين (6و10) ربيع الأوّل سنة 1401هـ، الموافق ل12- 16 يناير، سنة 1981م أقرّ القَسم الطبي التّالي[6]:

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص672.

[2] يقول الطبيب ابن هبل: "فأمّا الصناعة الطبيّة فلِشَرفها، وعِظَم خطرِها كان الحكماء يتخيّرون لها التّلاميذ بطريقة الفِراسة، فيختارون مَن كان حسن الصّورة، متناسِب الأعضاء، معتدل المزاج، طاهر الأخلاق، منتظِم الأحوال، صادق الأحلام، يتّخذونهم كالأولاد، والتّلاميذ بعضهم لبعض كالإخوة". أنظر، ابن هبل، المصدر السّابق، ج1، ص3.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص646.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص565.

[5] أحمد محمود صبحي ومحمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، تق: محمود مرسي عبد الله، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1993م، ص165، 166.

[6] أحمد محمود صبحي ومحمود فهمي زيدان، المرجع نفسه، ص170.؛ عبد الله عبد الرزاق مسعود السّعيد، الطبّ ورائداته المسلمات، ص50.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

*** أقسم بالله العظيم ***

أن أراقبَ الله في مهنتي، وأن أصُون حياة الإنسان في كافة أدوارها، في كلِّ الظّروف والأحوال، باذلًا وُسْعِي في استنقاذها من الموت والمرض والألم والقلق، وأن أحفظ للنّاس كرامتهم، وأستُر عورَتهم، وأكتمَ، وأن أكون على الدّوام من وسائل رحمة الله؛ باذلًا رعايتي الطبيّة للقريب والبعيد، الصالح والخاطئ والصّديق والعدو وأن أُثابر على طلب العلم، أُسَخّره لنفع الإنسان لا لأذاه، وأن أُوَقِّر من علّمني وأُعلّمُ من يَصغُرني وأكون أخًا لكلّ زميلٍ في المهنة الطبيّة في نطاقٍ من البرّ والتّقوى، وأن تكون حياتي مصداق إيماني في سِرّي وعلانيتي نقيًاممّا يُشيبُني أمام الله ورسوله والمؤمنين، والله على ما أقول شهيد.

فابن أبي أُصَيْبِعَة اكتفى بذكر قَسم أبُقراط، ولم يذكر أنّ المسلمين قد غيّروا فيه أو أنّهم كانوا يقرؤونه أصلًا، فكثيرًا ما ذكر مجيء أطبّاء من جُندي سابور، والهند، فباشروا مهنتهم بخدمة الخليفة بصناعة الطبّ، ولم يذكر أنّهم قاموا بتأديّة القَسم، لكنّه امتحانهم واختبارهم الأطباء علميًّا وأخلاقيّا.

-الحِسْبة على الأطبّاء وامتحانهم:

من الضوابط أيضًا لمهنة الطبّ الحِسبة التي هي إحدى قواعد الأمور الدّينيّة، وهي أمرٌ بالمعروف إذا ظهر ترْكُه، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فِعلُه، ويُشترط على القائم عليها وهو المحتسِب أن يكون مسلمًا حرًّا بالغًا عاقلًا عَدْلًا قادرًا[1]، ظهرت مؤسّسة الحِسبة في عهد مبكّرٍ جدًّا منذ برزت ملامح المجتمع الإسلامي، وبدأت في التبلور والتشكيل إلى أن أصبحت وظيفة المحتسِب تستوعب كلَّ فئات المجتمع، لتعالج الأخلاق والسلوكيات، فيما يجري من معاملاتٍ بين النّاس والقضاء على كلِّ أنواع الغشّ، والشعوذة، والنّصب، وكشف التزييف، والتّلفيقات الخادعة، فكانت المراقبة على مهنة الطبّ في مقدّمة هذه الاختصاصات، لتُخضَع ممارستها لشروطٍ وقيودٍ دقيقة، تبيّن للأطباء ما لهم وما عليهم، فكان ينبغي له أن يأخذ عليهم عهدٌ وقَسَم أبُقراط الّذي أخذه على سائر الأطبّاء[2]، فيتمّ امتحان الأطبّاء حسب تخصصّاتهم؛ الكحّالون، والمجبِّرون والجرائحيون[3]، والرقابة على الأطبّاء كانت رقابة من داخل المهنة؛ أي،

1 ابن الأخوة، المصدر السابق، ص7.

2 الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحِسبة، ص98.

3 الشيزري، المصدر نفسه، ص ص100، 101.

رقابة تبنّاها الأطبّاء بأنفسهم، وكان الطبّيب القائم على هذا الامتحان ممّن كثُرت حُرمتُه وطالت تجربتُه فيها، ويدخل هذا كلّه ضمن الرّقابة العامّة للمحتسِب.

– التّأليف في الحثِّ على الآداب والأخلاقيات الطبّيّة:

ممّا تمّ ذكره سابقًا أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة قد أحال إلى ما يُعرف بالتأليف في امتحان الأطباء، في علمهم وأخلاقهم، لذلك سأقدّم نماذج منها كمظهرٍ من مظاهر اهتمام المسلمين بالآداب الطبيّة:

-كتابُ أدبُ الطّبيب[1]**، لإسْحَاق بن عَليّ الرُّهاوِي (ق4هـ/10م)**: أُلّف هذا الكتاب في أواخر القرن(3هـ/9م) يحتوي على عشرين بابًا، ملخّصه، أنّه جمع ما فيه من الآداب التي ينبغي للطّبيب أن يؤدِّب بها نفسه، وذكر الأخلاق المحمودة التي يجب أن يُقَوِّم بها طبعه، وذكر طُرفًا ممّا ينبغي أن يدبِّر بها جسمه، وما يجب أن يفعله بذاته أوّلًا، والأفعال التي يفعلها بالأصحّاء والمرضى، وضمّنه جُملًا من الأفعال والوصايا والتّدابير التي ينبغي له أن يتقدّم بها إلى المريض وخدَمه، ومن يتولّى مصالحه، وجعل جميع هذا في المقالة الأولى منه، ثمّ في المقالة الثّانيّة ذكر ما يجب على المريض أن يكون عليه من القبول، لتصلُح أخلاقه لنفسه ولطبيبه والخدمة، فيتمُّ بذلك صلاح جسمه، وذكر واجبات ولوازم تدعو الحاجة إليها في صلاح الأصحّاء والمرضى، من قصصٍ وأخبار يتأدّبُ بها سائر النّاس كافّةً، والأطبّاء خاصّةً[2].

–كتابُ أخلاق الطّبيب، لأبي بكر الرّازي(ت313هـ/ 925م): وهو عبارة عن رسالة كتبها أبو بكر الرّازي إلى أحد تلامذته[3]، لما سمعه انتظَم في خدمة أحد الأمراء، فأراد أن يُنوِّره بما يجب أن يكون عليه من الأخلاق والآداب، فبيّنت هذه الرّسالة طريقة السّلوك بين الطّبيب والمريض مهما كان، كما رسَّمت أهمّ المبادئ الّتي يجب أن يتعامل بها كلٌّ منهما مع الآخر، وأمّا ابن أبي أُصَيْبِعَة فقد ذكر من ضمن مؤلّفاته "رِسَالَة فِي محنة الطَّبِيب وَكَيف يَنْبَغِي أَن يكون حَاله فِي نَفسه وبدنه وَسيرَته وأدبه"، وقد يكون القصد منه هذا الكتاب لعَدم إيراده كتاب باسم "أخلاق الطّبيب"[4].

---

[1] اعتمده ابن أبي أصيبعة في ثمانيّة مواضع. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 191، 215، 225، 234، 241، 242، 246، 342.

[2] الرُّهاوي، المصدر السابق، ص ص35، 36.

[3] ذكر محقّق الكتاب أنّ اسم هذا التلميذ هو، أبو بكر بنُ قارب الرّازي، وهو من بين تلامذته النّجباء، كما ذكر، أنّ هذه الرسالة يتبيّن بوضوحٍ فيها مدى اعتزاز الأستاذ بتلميذه وإيثاره إيّاه، وشفقتِه عليه من هذا الميدان الذي يحتاج إلى لباقةٍ خاصّة وكِياسة وفِطنة وحَذَر، أمّا فيما يخصّ اسم الأمير فلم يُصَرّح الرازي باسمه، وقال هذه عادته في مؤلَّفاته؛ كيلا يقع في الحَرَج أو يُوقِع الأمير والتّلميذ فيه. أنظر، الرّازي، أخلاق الطّبيب، ص11.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص425.

-كتاب التّشويق الطبّي، لصاعد بن الحسن أبي العَلاء (ت بعد 464هـ/ بعد 1071م): قال فيه مؤلِّفُه "كتابُ التَّشويق الطِّبّي صنَّفه بمدينة الرَّحْبَة فِي رَجَب سنة أَربع وَسِتِّينَ وَأَرْبَعمِائَة"[1]، يحوي ثلاثة عشر بابًا، أشار فيه إلى هدفه وغاياته في مقدّمة مقالته، وما يعانيه النّاس من آلامٍ لتدهور مهنة الطبّ وانْمحاء محاسنها، ونبّه إلى أهميّة وخطورتها في حياة النّاس، باستحضاره للآيات القرآنيّة والأحاديث الشّريفة، وحذَّر من جَهلَة الأطبّاء الّذين همُّهم كسب المال[2]، وأشار إلى أنّ ما أوْدَعه في مقالته فيما يخصّ أمرها "إنّما هو جواهرٌ من الحِكم، ودُرَر من الكَلِم تنفع من قرأها مُنْصِفًا، وتعجّب مَن تأمّلها متوقّفًا، وتُفيده معرفة فضائل هذه الصّناعة وأهلها وتميُّز المتحقّقين بها ليطلبوا، والمدَّعِين لها ليجتنبوا"[3]، وفي أبوابه ذكر من الآداب والفضائل والصِّفات والشُّروط الخُلقيّة والعلميَّة والقوانين التي يجب أن يتَّصف بها الطَّبيب الماهر الذي يستحقّ الانتماء إلى أهلها، والعلوم الّتي يجب أن يتقنها طالب الطبّ، والآداب الّتي ينبغي على الطَّبيب أن يلتزم بها في حياته، ومع النّاس وفي لقائه بالمرضى فيه البَيْمَرسْتانات.

3-الأخلاق الطبّيّة بين الالتزام والتّجاوُز: نستشفّ ذلك ممّا ذكره ابن أُصَيْبِعَة في أخبار الأطبّاء ونوادرهم، بأنّ الممارسة الأخلاقيّة للطّبّ في الحضارة الإسلاميّة كانت في أحسن صُوّرها، على الرّغم ممَّا عرفته في بعض المرَّات من التجاوزات.

أ- نماذجٌ من الالتزامات الأخلاقيَّة في المشرق الإسلامي:

في مسألة الأجور أشار ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى بعض الأطبّاء الّذين كان همُّهم علاج الفُقراء والمعدومين دون طلب الأجرة، ومَن ألّف كتابًا في سبيل الدّعوة إلى ذلك[4]، ودعوتهم إلى ذلك ضمن وصاياهم وحِكمهم الطبّيّة، فعن علي بن رضوان أنّه على الطبّيب أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء[5]... فأمين الدّولة كان ظهْر داره يلي النّظاميّة، فإذا مرِض فقيهٌ نقله إليه وقام في مرضه عليه، فإذا أبَل، وهب له دينارين وصرَفه، وكان لا يقبلُ عطيّةً إلّا من خليفة أو سلطان، فهو يأبَى الأجرة من الآخرين[6]، ووُصف كمال الدّين الحِمصِي (ت612هـ/ 1216م) على أنّه كان كثير الخير، وافر المروءة، كريم النّفس، محبًّا لاصطناع

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص340.

[2] أبو العلاء صاعد بن الحسن، التّشويق الطبّي، ص41.

[3] أبو العلاء صاعد بن الحسن، المصدر نفسه، ص63.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص422- 427.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص565.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص350.

المعروف، فكان يتردّد إلى البَيْمَرسْتان الكبير الّذي أنشأه الملك العادل نور الدّين بن زنكي ويعالج المرضى فيه احتسابًا[1]، وَقام أَبُو سعيد سِنَان بن ثَابت بنُ قُرَّة فِي وَقت المجاعة بفتح دَار ضِيَافَة بمدينة واسط، وببغداد عمل بَيْمَارِسْتَانًا من أجل معالجة الفقراء[2].

وممّا ذكر أنّ سبب بناء بيمارستان مِيَافَارِقِين هو، أنّ نُصَير الدَّولَة بنُ مروان لما كان بها، مرضت ابنةٌ له وكان يرى لها كثيرًا، فنَذَر على نفسه أنّها متى برئت أن يتصدّق بوزنها دراهم، فلمّا عالجها زاهدُ العلماء وصلُحت أشار على نُصير الدّولة أن يجعل جملة هذه الدَّراهم التي يتصدَّق بها، تكون في بناء بيمارستان ينتفع النَّاس به، ويكون له بذلك أجرٌ عظيم وسمعة حسنة[3]، قال فأمره ببناء البَيْمَرسْتان وأنفق عليه أموالًا كثيرة، ووقّف له أملاكًا تقوم بكفايته وجعل فيها من الآلات وجميع ما يحتاج إليه شيئًا كثيرًا جدًّا فجاء لا مزيد عليه في الجوْدة[4]، وقام رشيد الدّين أبو حُلَيْقَة بعمل تِرياق[5] مختصر، توجد أدويته في كلّ مكانٍ، ونَوى أنّه لا يقصد به قُرْب ملكٍ، ولا طلب مالٍ ولا جاهٍ في الدّنيا، ولا يقصد به إلّا التقرُّب إلى الله، بنفعِ خَلْقه والشّفقة عليهم، وبذْلِه للمرضى فكان يُخَلِّص به المفْلُوجِين ويقوِّم به الأيدي المتقوِّسة لوقته وساعته، بحيث كان يُنْشئ في العَصَب زيادةً في الحرارة الغريزيّة وتقويّة وإذابة البُلْغُم الّذي فيه، فيجد المريض الرَّاحة به لوقته، ويسكن وجع القُولَنْج[6] من بعد الاستفراغ لوقته[7].

ومن مظاهر تلك الأخلاق الرّاقية تعامُل الأطبّاء المسلمين مع جميع المرضى والأمراض بموضوعيّة، حيث لم يقتصر الطّبّ العربيّ على الجانب العضوي فحسب؛ بل تعدّاه إلى العلاج النّفسي، وميّزوا بين ما يحتاج إليه المريض من عقاقير وما يحتاجه من معالجة نفسيّة، فسعى المسلمون عامّةً، وأطبّاء المشرق الإسلامي خاصّةً إلى معالجة أولئك الّذين أُطلق عليهم عند اليونانيّين بأنّ لا أَمَلَ في شفائهم، وتُركوا بدون علاج؛ إذ قال عنهم أبُقراط في قَسَمِه بعد أن أقسم بأرباب ورَبّات الإغريق أنّه على الطّبيب أن يذهب

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص682.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص304.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص341.

[4] نفسه.

[5] التِرْيَاق، بكَسر التّاء: دواء السُّموم، وهو لفظٌ فارسيٌّ معرَّب. أنظر، الجَوْهَري(أبو نصر، إسماعيل بنُ حمّاد الفارابي. ت393هـ)، الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربيّة، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، (1407هـ/1987م)، ج4، ص1453.

[6] القُولَنْج، وَجَع مِعَوي يَعْسُر معه خروج ما يَخْرج بالطَّبع، وقد يقْوَى فيقتُل بخلاف الصُّداع، وأكثر عروضه في مِعَي قُولُون، وسَبُبه إمّا، ريحٌ يُحْتَبَس بين طبقات الأمعاء فَيُحَس كأنّه يُثْقَبُ عقب، وكَأنّما أوْدعتَ المعي مِسَلَّةٌ، ويكونُ الوجَع صغيرًا، وإمّا، سُدَّة إمّا مِن ثقل يابس خَفَّفَته حرارةٌ مُفْرَطة في الأمعاء أو الكبد أو الكِلى أو البدن كلِّه أو يُبْس أو فَرْط تحلُّل بعرَق أو إدرار أو بطول احتباس اختيارًا أو لفقْد المنبّه للقوّة الدافعة، كما في اليَرقان السُّدَدِي أو لأغذيّة جافّة. أنظر، ابن النّفيس، الموجز في الطّبّ، ص224.

[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص593.

إلى مساعدة المرضى الّذين يُرْجَى شفاؤهم دون الذّهاب إلى مساعدة الآخرين الّذين لا أمَل في شفائهم[1] فالأطبّاء المسلمون عَرفوا بأنّ للأوهام أثر على حالة البدن، وأنّ مزاج الجسم تابع لأخلاق النّفس[2]، ولهذا كان من الضروري للطّبيب أن يستمع للمريض وهو يصف عِلّله وأسبابها، وعملُ الطّبيب يأتي لإزالة هذه العِلَّل ليرفع الأوهام عن المريض والعمل على التّقليلِ من شأن المرض.

ومن الأطبّاء الّذين تنبّهوا إلى أهميّة العامل النفسي في العلاج، حسب ابن أبي أُصَيْبِعَة نذكر أبو بكر الرازي الّذي يعدّ من الأطبّاء الأوائل الّذين أشاروا إلى أهميّة العامل النّفسي في العلاج، حيث توصّل إلى أنّ التهاب المفاصل قد يكون نتيجة عوامل نفسيّة وهو الّذي قال:" ينبغي للطّبيب أن يُوهِم المريض بالصّحة، ويُرجيه بها، وإن كان غيرُ واثقٍ بذلك، فمِزاج الجسم تابعٌ لأخلاق النفس"[3]، كما كان أبو البركات هِبة الله بن مَلْكا (ق6هـ/12م) من الأطبّاء الّذين كانت لهم نظرةٌ في هذا الجانب، حيث حاول جادًّا استحداث علاجٍ للأمراض النّفسيّة، ونجح في مداواة مريضٍ عَرضت له عِلّة الماليخوليا[4]، بطريقة ذكيّة، وهو الّذي كان يعتقد أنّ على رأسه دنّا فتحايَل في مداواته[5].

وفي الامتناع عن صُنع السُّمّ وعدم إفشاء السرِّ نذكر حُنَيْن ابن إسحاق الذي امتحنه الخليفة واختبره أوّل قدومه إليه، فطلب منه أن يصف له دَوَاءً ليقتل به عدوًّا[6]، والقيام بذلك سرًّا، فأبى، وكان ردُّه أنّه لم يتعلّم سوى الأدويّة النّافعة وامتنع عن فِعل ذلك، فحُبِس وهُدِّد بالقتل في جانبٍ، ورُغِّب في الأموال مقابل ذلك في جانبٍ آخر، وكان يُصِرُّ على عدم صُنع دواءٍ وهدّده الخليفة بأنّه يقتله إنْ لم يفعل، فرفض فِعل ذلك مرّةً أخرى، وقال: "لي ربٌّ يأخذ بحقّي غدًا في الموقف الأعظم، فإن اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل"، فتبسَّم الخليفة وقال له يا حُنَيْن: "طِب نَفْسًا وثِق إلينا فهذا الفِعل كان منّا لامتحانِك، ثمّ سأله عن سبب عِصيان الخليفة في ذلك؛ قال له الخليفة: "يا حُنين. ما الذي منَعَك من

---

[1] زيجريد هونكه، المرجع السابق، ص178.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص420.

[3] نفسه.

[4] قال إسحاق بن عمران: "إنّ اسم الماليخولْيا لم يقع بالحقيقة على معنى هذا الداء، وإنّما وقع على سببِه الأدنى، وهو المِرّة السّوداء، فأمّا نفس الدّاء فإنّما تَعرف معنويته بالصِفة والنَّعت، وذلك أنّه مرضٌ يحُلُّ في الجسم وتلحقُ أعراضُه وأضرارُه للنفس، فأمّا حلولُه من الجسم في فمّ المعدة في الصِنف الشَراسيفي منه أوفي نفس جوهر الدماغ في صُنوفه الآخر، فأمّا أعراضُه في النفس فالخوف والحزن، وهما شرُّ عوارِض النفس وأسقامِها، لأنّ الحزن حدّه فقْدُ محبوبٍ ما، والخوف حدّه توقُّع مكروه ما".أنظر، إسحَاق بن عِمران، مقالة في المالِيخُوليا، تح: عادل عمراني والراضي الجازي، (د. ط)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2009م، ص30.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص374.

[6] أحمد إسماعيل الجبّوري وخولة محمود الصميدعي، تاريخ العلوم عند المسلمين، ط1، دار الفكر ناشرون وموزّعون، عمّان، الأردن، 2014م، ص146.

الإجابة مع ما رأيتَه من صدقِ عزيمتِنا في الحالين"، فقال حُنَيْن: "شيئان يا أمير المؤمنين". قال: "وما هما؟" قال: "الدّينُ والصّناعة". قال: "فكيف؟" قال: "الدّين يأمُرنا بفعل الخير والجميلِ مع أعدائنا فكيف بأَصْحَابنا وأَصْدقائنا، ويُبْعد ويحرّم من لم يكن كذا، والصّناعة تمنعُنا من الإضرار بأبناء الجنس لأنّها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم، ومع هذا فقد جعل الله في رِقاب الأطبّاء عهدًا مؤكّدًا بأيمانٍ مُغلّظة أن لا يُعْطُوا دواءً قتّالًا ولا ما يؤذي، فلم أر أن أُخالِف هذين الأمْرين من الشّريعتين[1].

وعلى نفس المنوال فعل الطّبيب أَمِين الدولة بن التّلميذ الذي طُلب منه التّدبير في عمليّة اغتيال، فقال:" أنا رجلٌ طبيبٌ لَا أتجاوز وظائف الأطبّاء وما يلْزمهُم ولا أعرف إلّا ماء الشّعير والنُقُوع وشراب البنفسج والنَّيْلُوفَر[2]، ومتى أُخْرِجْتُ عن هذا لا أعرف شَيْئًا"، وامتنع بذلك عن صنع السّمّ، قال ابن ابي أُصَيْبِعَة معلِّقًا على ذلك:" وهذا كان من عقل الرّئيس أمين الدولة ودِينه وأمانته؛ فَإِنَّهُ كان يقول: "لا ينبغي للطّبيب أن يُداخِل الملوك في أسرارهم ولا يتجاوز ماء الشّعير والنّقوع والشّراب فمتى جاوز هذا تَلَف وكان سبب هلاكه". وكان أمين الدّولة يُنشد:

وَإذا أَنْبَت الْمُهَيْمِن للنَّمْـلِ ... جَنَاحا أَطَارَها للتَّـــردّي
وَلكُل امْرِئ من النَّاس حَدّ ... وَهَلَاكُ الْفَتى جَوَاز الْحَد[3]

ب- نماذجُ لبعض التّجاوزات الطبّيّة:

أشار ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى بعض التّجاوزات الأخلاقيّة في الصّناعة الطبّية بالمشرق الإسلامي، في عديد المرّات كانت سببًا في عقوبة ونكبة الطّبيب، لأنّهم انحرفوا عن مواد القَسَمِ الطبّي لأبُقراط الّذي ينصّ " ولا أُعْطِي دواءً، إذا طُلِب منّي دواءً قتّالاً، ولا أشيرُ أيضًا بمثل هذه المشورة"[4]، أمثال "ابن أُثال، كان طبيبًا، متقدِّمًا، مِن الّذين قربّهم الخلفاء" نصرانيُ المذهب[5]،وكان خبيرًا بالأدويّة المفْرَدة والمركّبة وقِوَاها، وما منها سمومٌ قواتِل، وقيل أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان يُقرِّبه لذلك كثيرًا[6]، ومات في أيّام معاوية

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص261.

[2] نباتٌ قمريٌّ يزيد بزيادة القمر، وينقُص بنقصانه، عند الفرس يسمّى "نينُوفَر"، وعند العرب "نَيْلُوفر"، يتّجه إلى الشمس عند طلوعها، ويزيد انفتاحه مع علوّ الشمس، فإذا أخذت في الهبوط ابتدأ بالانغلاق، حتّى ينضمّ انضمامًا كاملًا عند الغروب، ويبقى مضمومًا الليل كلّه، فإذا طلعتْ أخَذَ في انفتاح، وهذا دأبُه أبدًا. أنظر، جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2، ص414.؛ ابن الدَّواداري، كنزُ الدُّرر وجامع الغُرر، تح: بيرند راتكه، (1402 هـ/ 1982 م)، ج1، ص300.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص348.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص45.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص171.

[6] نفسه.

جماعةٌ كثيرة مِنْ أكابر النّاس والأُمَراء من المسلمين بالسُّم[1]، وقالوا أنّه كان لهذا الطبّيب دوْرًا في استخلاف معاوية "وقيل: بأنّه لما أراد معاوية أن يظهر العَقد ليزيد، قال لأهل الشّام: إنّ أمير المؤمنين، قد كبُرت سنّه، ورَقّ جلده، ودقّ عَظْمه، واقترب أجلُه، يريد أن يستخلف عليكم، فمن ترْون؟"، فقالوا: عبد الرحمن بنُ خالد بنُ الوليد، فسكت، وأضْمَرَها[2]، ودَسَّ ابن أثال النصراني إليه، فسقاه سُمًّا، فمات"، وهذا ممّا لا يصحُّ من جهة معاوية رضي الله عنه، ويُثبت صحّته من جهة ابْنِ أثال[3]، فكان هذا سببًا في قتْل أهل المقتول للطبيب ابن الأثال[4]،

وذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ معاوية اتّخذ طبيبًا آخر لنفس الغَرض الأوّل "أبو الحَكم، كان طبيبًا نصرانيًا، عالما بأنواع العلاج والأدويّة، وله أعمالٌ مذكورة، وصفاتٌ مشهورة، وكان يستطبُّه معاوية، ويعتمد عليه في تركيبات أدويّة لأغراضٍ، قصَدها منه، وعمّر أبو الحكم هذا عُمْرًا، تجاوز المائة عام[5]، وهذا كلامٌ

---

[1] ممّا أورده ابن أبي أصيبعة أنّ من الّذين قُتلوا في عهد الأَشْتر:" وَقَالَ مُعَاوِيَة أَيْضًا حِين بلغه أَن الأشتر سُقِيّ شَربة عسلٍ فِيهَا سُمٌّ فَمَاتَ، إِنّ لله جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَل" وأورد نصًّا للطبري ذكر فيه أنّ معاوية هو مَن دبّر قتلَه"، وهذا غير مقبول لاعتباراتٍ؛ كلٌّ مِنْ ابن سعد، صاحب الطبقات الكبرى، والذّهبي، شمس الدّين، والحافظ ابن حجر، ذكروا موت الأشتر بالسُّمّ، لكن لم يُدرجوا اسم معاوية رضي الله عنه في نصوصهم؛ بل وقال الذّهبيّ: "عمرو بنُ العاص -رضيّ الله-" عنه هو مَن قال: "لله جنودٌ منها العَسل"، والنّص الذي رواه الطّبري من راوية أبي مِخْنَفٍ لوط بن أبي يحيى، إخباري لا يمكن قبُوله لمكانته في السَّنَد. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص174.؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ج8، ص333؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج2، ص337.؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصّحابة، ج6، ص212.؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص95.؛ شحاتة محمد صقر، معاوية بنُ أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كشفُ شُبُهات ورَدُّ مُفْتَرَيات، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندريّة، ومكتبة الأصولي، دمنهور، ومكتبة دار العلوم، البحيرة، مصر، ص ص248، 249.

[2]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص172.

[3] وهذا ممّا لا يمكن التّسليم به -أي، مِنْ كون الخليفة معاوية رضي الله عنه هو الذي دفع بابن أُثال لقتله-؛ لعدّة اعتباراتٍ أنّ في السَّنَد ممّن هم مُتحمسّون للشّيعة ولا يُخْفَلُ كُرهم لمعاوية ابن أبي سفيان مِن أمثال أبي الفرج الأصفهاني، صاحب كتاب "الأغاني"، وفي سنداتٍ أخرى نجد ضمن السّند مَسْلَمة بنُ محارب وهو الزياديُ وفيه جَهالة، روى عن أبيه، وابن جُرَيج، وروى عنه المدائني، ولم يوثّقه غير ابن حَبان، وأيضًا في السَّند علي بن محمد المدائني الأنباري، قال فيه ابن عُدَيْ: "ليس بالقوِي في الحديث، وهو صاحب أخبار، قَلَّ ما له من الروايات المسنَدَة"، ورواها الطبري بصيغة التمريض، بقوله: "فيما قيل"، وقال ابن كثير: "وزَعَم بعضهم أنّ ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصحُّ"، وفي سندٍ آخر، وجد في هذه القصّة الواقدي، وهو متروك الحديث، كما أنّ معاوية رضي الله عنه بيده عزل الأمراء أو تولّيتهم كما هو معروف، وليس بالصّعوبة على معاوية أن يطلب من عبد الرحمن بن خالد أن يتنحَّى، وقد فعل ذلك بعبد الله بن عمرو بن العاص، وكيف يقوم معاوية بقتله سنة(46هـ/666م)؟ وقد أورد الطبري ذِكر غزوة البحر سنة (48هـ/668م)، وكان قائد أهل مصر عُقبة بنُ عامر الجُهَني، وعلى أهل المدينة المنذر بنُ زُهَير، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فكيف يرضى معاوية أن يكون ولد عبد الرحمن بن خالد قائدًا كبيرًا مِن بعد أبيه؟ هذا من ناحيّة، ومن ناحيّةٍ أخرى كيف يرضى أن يقوم ولده خالد بقيادة الجيش لمعاوية. إنْ كان معاوية قاتلَ أبيه؟ وهل يمكن أن يخفى على ولده هذا الأمر، وهو أقرب النّاس إليه ولم يمر على وفاة والده إلّا سنتين. أنظر، الطبري، المصدر السابق، ج5، ص227- 231؛ ابن كثير، المصدر السابق، تح: عليّ شيري، ج8، ص35.؛ شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الجامع لكتب الضعفاء والمتروكين والكذّابين، مركز النّعمان للبحوث والدراسات الإسلاميّة وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، (1435هـ/2014م)، ج10، ص669.؛ شحاتة محمد صقر، المرجع السابق، ص245 وما بعدها.

[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص172.

[5]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص175.

قد يَثْبُت عن الطّبيب، ومن الأطبّاء الّذين تجاوزوا آداب المهنة، الطّبيب ابن مَاسَوَيْه(ت242هـ/857م) الذي ساهم في قتل الخليفة الْمَأْمُون، مستغلًّا خدمتَه له، فعِوَضَ مدَاوَاته، دبَّر في تعجيل موته، نزولًا عند رغبة المعتصم باللّه، أبو إسحاق محمد بْن الرشيد (ت227هـ/842م)؛ قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "فقال المعتصم للطّبيب وهو ابْن مَاسَوَيْه ما أطْرَفَ ما نحنُ فيه تكونُ الطبّيب الْمُفْرد المتوحَّد فِي صناعتك، وَهَذِهِ النفْخةُ تعتاد أمير المؤمنين فَلَا تُزِيلُها عنه، وتتلطَّف في حَسْم مادَّتِها حتّى لا ترجعَ إليه، وَالله لَئِنْ عادت هذه الْعلَّة عليه لأضْرِبَنَّ عُنُقَك، فعلِمَ أنّ قصده في ذلك التّدبير لقتل المأمون"[1].

وتَعالَل ابْن مَاسَوَيْه، وأرسلَ تلميذًا له يتردّد إلى الْمَأْمُون نيابةً عنه، وطلب منه بفتح النَّفْخة، وعلى الرّغم من معارضة التّلميذ له لعَدمِ أوانِ وقتِها للفتح، إلّا أنّه أصرَّ، وقال له: "امْضِ وافتحْها كما أقولُ لك ولا تُراجعني فَمضى وفتحَها ومات الْمَأْمُون، ويعلّق ابن أبي أُصَيْبِعَة عن فعلة ابن ماسويه، على أنّه كان عديمًا للمروءة ووالدّين والأمانة وكان على غير مِلَّة[2]، وهذا صحيحٌ في رأيّي، إلّا أنّه من باب العدل كان يجب أن يعلّق أيضًا على أمر المعتصم، بالتَّدبير لقتل الْمأْمُون؛ بل وهدَّد الطّبيب إنْ لم يفعل، ونموذج آخر أورده ابن أبي أُصَيْبِعَة عن تجاوزات بعض الأطبّاء لمهنِهم، فقد كان ابن صَفيَّة (ق6هـ/12م) ينقُل ويُفْشي أسرار الخليفة المستنجد بالله(510- 566هـ/1116- 1170م)، ثمّ ساهم في قتله بإدخاله الحمَّام، وهو لا يقْوى على ذلك وأغلَق عليه حتّى تُوفِّيّ[3]، ثمّ أعاد الكرّة مرّةً أخرى بأنْ صنع السُّمّ للخليفة المستضيء بالله، بطلبٍ منه كامتحانٍ له، ولما فعل وأراد معاقبته، قال له الخليفة: "الطبّيب متى تَعَدّى حدّه، وتجاوز طَوْره، وقع في مثل هذا، وليس لك من هذا خلاصٌ إلّا السّيف" فحتَّم عليه شُرب ما صنع انتقامًا لوالده المستنجد بالله[4].

وما يمكن استنتاجه من هذا أنّ بعض الأطبّاء قد نَكَثوا عهد أَبُقْرَاط، وتجاوزوا أخلاق الطّبّ، فمنهم مَن صنع الأدويّة القَتّالة، وخان الأمانة، ومنهم من كان يُفشي الأسرار...إلخ، ومع ذلك لا نجد

---

[1] وهذه كان أوْلى بابن أبي أصيبعة أن يوضّحها أكثر. فهل يُعقَل أن يدبّر الأخ قتْل أخيه؟، وهل العبارة الّتي ذكرها الخليفة المعتصم بالله للطبيب " وَالله لَئِن عادت هذه العِلَّة عليه لأضْرِبنّ عُنُقك" قطْعًا هي بمعنى اغتياله، فلربّما كان غاضبًا من الطّبيب لعدم قدرته على مداواة أخيه، كما أنّني لم أجد هذا النصّ في بعض المصادر، فأشهرها أجمعتْ على أنّ وفاة المأمون كانت بسبب حُمّى أصابته، ولم يذكروا قصّة الطّبيب. أنظر، ابن مِسْكَوَيْه (أبو علي الرازي ت421هـ)، تجارب الأمّم وتَعَاقب الهِمم، تح: أبو القاسم إمامي، ط1، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، (2000م-2002م)، ج4، ص170.؛ الطّبري، المصدر السابق، ج8، ص646؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمّم والملوك، ج11، ص24؛ ابن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص320.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص254.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص347.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص348.

من يصنع السُّمّ من تلقاء نفسه؛ بل غالبًا ما يكون ذلك بطلبٍ من سيّده؛ خليفةً كان أو أميرًا أو غيره؛ بل وكان يُهَدَّدُ بالعقوبة إنْ لم يفعل، ومع ذلك لا يُعدّ عذرًا فكثيرٌ من الأطبّاء قد رفضوا صنع السُّمّ وأبَوْا إفشاء الأسرار، ومنهم من تعرَّض لمحنةٍ جرَّاء ذلك كَحُنَيْن بن إسْحَق، والنتائج المترتّبة عن هذه المهنة إذا كانت تتوافق مع الآداب والأخلاقيّات الطّبيّة جمعَها الطّبيب الرّازي في قوله:"... فإنّ الطبّيب الحرّ السّيرة إذا اشتغل بصناعته وحفِظ الخاصّة والعامّة، فإنّه يعيش بخيرٍ ويكون عليهم أميرًا، وإذا توسَّم بخدمة الملوك ربّما صار بخدمتهم أميرًا...وأنّ الأطبّاء عاداتهم عاداتُ الأمراء، وأمورُهم نافذةٌ على الأغنياء والفقراء، لأنّ من عاداتهم أن يَأمروا، وليس من عاداتهم أن يُؤْمَروا "[1]، وعلى الرّغم من صعوبة المهنة إلّا أنّها قد تكون نعمة على الطبّيب، إذا توفّرت فيه الأخلاق، والمهارة العلميّة، والعمليّة، حيث تجزَل له العطايا، والهِبات، والمناصب الحسّاسة في الدّولة.

ثانيا: الأمراض والعِللُ الجسْمَانيَّة:

لم يُعِر ابن أبي أُصَيْبِعَة أيّ اهتمام للجوانب الطبيّة البحتة، كالأمراض وعلاجاتها الّتي كانت تحدُث في المشرق الإسلامي، وكلّ ما ذكره تقريبًا كان لأحد سببين، إمّا لذِكره وفاة شخصيّةٍ ما من الأطبّاء وغيرها، فيحيلنا في مواضع قليلة للمرض الّذي عانى منه أو توفّي به أو عند ذِكره لما خلّفه الأطباء من مؤلّفاتٍ طبيّة، أُلّفت في أمراضٍ معيّنة فيحمِل الكتاب اسم ذلك المرض، ومع ذلك فهذا لا يمنع مِن ذِكر بعض الأمراض الّتي وُجدت في بلاد المشرق الإسلامي.

1- أهمُّ الأمراض والعِلل:

من أهمّ الأعضاء التي تتعرّض للأمراض العيون، فطبّ العيون وما ارتبط به من داءٍ ودواءٍ، لم يهتم به ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه، فيُستبعد أن يتوقَّع أيّ أحدٍ لم يطّلع على كتابه شُحَّ معلوماته فيه؛ فهو طبيبُ عيونٍ وأُسرته كذلك، إلّا أنّه لم يسعفنا بمعلوماتٍ عن أهمّ أمراض العيون ولا عن أدويتها، ولا حتّى نوادر فيها، وكلُّ ما كان يذكره ممارسة الكَحّالة لطبيبٍ ما كخبرٍ عابر، وقد يضيف أنّه تميّز فيها أو أنّه ألّف كتابًا في طبّ العيون[2]، وقد نُرجع ذلك لطبيعة الكتاب التأريخيّة لا العلميّة، ومن الأمراض القليلة المشهورة الّتي ذكرها في هذا الجانب الرَّمَد[3]، ولعلّ أشهر منْ تصدّى لهذا المرض في البدايات زينب طبيبة بني أَوْد

[1] الرازي، أخلاق الطبيب، ص ص18، 19.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص214، 234، 255، 271، 325، 333، 423، 427، 548، 549، 704...

[3] الرّمد، اسمٌ دالٌ على الوَرَم الحارّ (الدّموي) الحادث في الملتَحم، وهو الصِفاق الخارج، وسبب ذلك يكون، إمّا من خارج كحَرّ الشّمس والدُّخان والغُبار أو مِن داخل كزيادةِ أحدِ الأَخْلاط الأربعة، إمّا دمٌ أو مُرّة صَفرَا أو بُلغم أو مُرّة سوْدَا. وعلامات الرّمد الدّموي؛ الانتفاخ والقَذى وشدّة الحُمرة، وامتلاء العروق وكثرة الدموع، والصفراوي؛ الوجَع والغَرَزان وحِدة الدموع، وإفراط التلهُّب، مع قلّة الحُمرة؛ و(الرمد) البُلغمي فله الاحمرار وكثرة الرَمص

(ق7/1م)، وممّا ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة عن أحدهم قال: "أتيتُ امرأةً من بني أَوْد لتُكَحّلَني من رَمَدٍ كان قد أصابني فكحّلتني، ثمَّ قالت اضْطجِعْ قليلًا حَّتى يدور الدَّواء في عينيك، فاضطجعْتُ، ثمَّ تمثّلتُ قول الشّاعر: أَمُخْتَرمي رَيْبَ المنُون وَلَمَ أَزَر ... طَبِيب بَنِي أَوْد عَلَى النَّأْيِ زَيْنَبا[1]

والظّاهر أنّ هذا المرض كان الأكثر والأبرز، ويكثُر هذا المرض بآب (أغسطس) وهو شهر شديد الحرّ، كثير الرَّمَد[2]، وممّن ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ المتطبِّب فَنُون عالج بَخْتِيَار[3]من رَمَدٍ أصاب عينه، حيث أمر أن يُحضِروا إجَانةً مملوءةً عَسَل الطَبَرْزَد، فلمّا حضر غَمَس يديْ بختيار في العسل، ثمّ بدأ يداوي عينيه بالأشْياف الأبيض وما يُصْلح الرَّمَد، وجعل بختيار يصيح بالغِلمان، فلا يجيبُه أحدٌ، لأنّه كان قد اشترط عليه أن يُطيعه الخدَم بدلَ أن يُطيعوا سيّدهُم، ولم يزل كذلك يُكَحِّلُه إلى آخر النَّهار فبرِئَ[4]، كما توجد أمراض أخرى تصيب العين كالظَّفَرَة[5] والجرَب[6]والبَرد والماء والغلظ والشَّعْر وزِيَادة اللَّحم الذي في المآقِي[7] ونُقْصَانِه[8]، واشتهر والد ابن أبي أُصَيْبِعَة في مداواتها؛ بل وفُضِّل فيها على مَن عاصره، فمن ذلك أن والده استطاع معالجة خادمًا للسُّلطان الملك العادل أبي بكر في سنة (609هـ/1212م) أُصيب بالعَمى وكان الأطبّاء والكَحَّالين قد عجزوا عن مداواته، وأجمعوا أنّه قد عمِّيّ، وأنّ المداواة لم يبقَ لها فيه تأثير أصلًا[9].

والدُّموع، من غير لذْعٍ ولا حرارة، والسَوْداوي قلَّة الالتصاق وضُعف الحرارة، وتَحَلّ العين، وقال الرّازي: "الرّمد إذا أحمر بياض العين، وسالت الدّموع، ورمَصت الآمَاق". أنظر، سعيد بن هبة الله، المغني في الطبّ، ص72.؛ الرّازي، المنصوري، ص390.

[1]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص181.

[2]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص249.

[3]بَخْتِيار، أبو منصور الملك عزّ الدّولة بنُ مُعزّ الدّولة، أبو الحسين أحمد بن بُوَيْه، ملك بعد موت أبيه، توفّي سنة(367هـ/987م). أنظر، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمّم والملوك، ج14، ص256.

[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص321.

[5] الظَّفَرَةُ، بالظاء، جُلَيدةٌ تخرجُ من مَآقي العين، وربّما كسَتِ الناظر، حتّى لا يُرى منه شيءٌ، وقد تُقطع وتزول. أنظر، ابن الصابوني (أبو بكر، محمد بن أحمد ت634هـ)، معرفة الفَرْق بين الضاد والظاء، تح: حاتم صالح الضامن، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، (1426هـ/ 2005م)، ص37.

[6] الجرَب، خُشونة تعرَضُ في باطن الجَفْن، ويعقُبُ هذا المرض الرّمد، أعراضه خشونة وحُمرة ودموع قليلة. أنظر، سعيد بن هبة الله، المغني في الطب، ص64.

[7]والمؤقُ، مُؤخرُ العَيْنِ، وجَمْعُه أمْوَاق؛ ومَنْ همَزَ أمْآق، والمأْقُ، والجميع المآقي: مَقَادِيمُها. أنظر، الصاحب بن عبّاد، المحيط في اللغة، ج6، ص56.

[8]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص739.

[9]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص738.

كما تصيبُ العين مادة محتقِنةً في الطّبقة التي يقال لها العنّابيّة، بعد أن نتأتْ نُتُوءًا كثيرًا إلى موضِعها حتّى لَطِئَتْ أو ظهر منه غير ذلك ممّا هو شبيهٌ في علاج العين بغير حديد[1]، وكان الخُلفاء والأمراء إذا أحسّ الواحد منهم ألمِا أو حكّةً في عينيه استدعى طبيبه المختصّ في ذلك ليبرّد أجفانه ويُكَحِّل عينيه[2]، وأُلِّفت في طبّ العيون كتبًا كثيرة نأتي على ذكرها لاحقًا، إلّا أنّنا نذكر بعضًا ممّن اختصّ فيها دون سواها من الأمراض ككتاب العَشْر مَقَالَات في العَيْن لحُنَيْن بن إسْحَاق[3]، ومقالة في ماهيّة الرّمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه[4]، و"كتاب تذكِرة الكَحَّالين في العين وأمراضها"، لعليّ بن عِيسَى بن عَلِي الكَحَّال[5]، و"كتاب المنتخَب في علم العين وعلَّلِها ومداواتها بالأدوية والحديد"، لعمّار بن عليّ الموصِلِي[6].

ومن الأمراض، مَرضُ الفَالج[7]، وكان سببًا في مَوت إسْحَاقَ بن حُنَيْن[8]، وظَنّ الأطبّاء أنّ المنْصُور بن محَمّد بن عَليّ بن العَبَّاس قد ضربه فَالج، فقال الطّبيب عيسى أَبُو قُرَيْش: "لَا والله لا يضرب أحدًا من هؤلاء ولا نَسْلَهم فالجٌ أبدًا، إلَّا أنْ يَبْذُرُوا بُذُورَهم في الرُّوميَّات، والصَقْلبيَّات وما أشبههن، فيعرُض الفَالج لِمنْ ولده الرُّوميَّات وأشباههنَّ من نسلِهم" ثمّ أنّه تولّى معالجته[9]، وأُصيبَ الجاحظ(ت255هـ/869م)[10] من فَالجٍ أصابه، بسبب الجمع بين السَّمك واللَّبَن، وكان قد نبّهه الطّبيب يُوحَنَّا وامتنع عن الجمع بينهما، فقال له الجاحظ: "أيّها الشّيخ. لا يخلو أن يكون السّمك من طبْع اللّبن أو مضادًا له، فإنْ كان أحدَهما ضدّ الآخر فهو دواءٌ له، وإنْ كانَا من طبعٍ واحدٍ فلنحسبْ أنّا قد أكلنا

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص739.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص242.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص271.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص548.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص333.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص549.

[7] الفَالِج، هو ذهاب الحِسّ والحركة، من أحد شَقّيْ البدن، وسلامة الشقّ الآخر أو هو، ريحٌ يُصيب الإنسان فيُفسِد به نصف بدنه، وهو أحد شَقَّيْه. أنظر، سعيد بن هبة الله، المرجع السابق، ص56.

[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص274.

[9] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص216.

[10] عَمْرُو بنُ بحر بنُ محْبُوب، أَبُو عُثْمَان الجاحِظ، من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، ولد سنة(150هـ/767م)، قيل له: "الجاحظ"، لأنّ عينيه كان بهما جُحوظٌ؛ أي، نُتوء، انتقل إلى بغداد سنة(204هـ/820م) في عهد الخليفة المأمون، واتصّل بالوزراء وصاحَبهم وأهداهم كُتبه، من أمثال ابن الزّيات، توفيّ بسبب فالجٍ أصابه سنة(255هـ/869هـ) خلّف عديد المؤلّفات، من أجلّها، كتاب الحيوان، والبيان والتّبيين. أنظر، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج12، ص93.؛ أمّ الخير عثماني، الحياة الاجتماعيّة في العصر العبّاسي من خلال آثار "الجاحظ" (132هـ/750م/ 255هـ/ 869م)، ط1، دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتّوزيع الأردن ودار خالد اللحياني بالسّعوديّة، 2019م، ص34 وما بعده.

من أحدِهما إلى أنْ اكتفينا"، فقال يوحَنَّا: "والله مالي خبرةٌ بالكلام، ولكن كُلْ يا أبا عثمان وانظُر ما يكونُ في غدٍ"، فأكل أبو عثمان نصرة لدعواه ففُلِج في ليلته، فقال يوحنا: "هذه والله نتيجةُ القياس المحال والّذي ضَلَّلَ أبا عثمان اعتقادَه أنّ السّمك من طبْع اللّبن"[1].

ولست أدري إنْ كان هذا الفالج الذي توفيّ به، وعُرض لرَشِيدْ الدِّين أَبِي سَعِيد فَالجٌ تُوفيّ به، وكانت وفاته بدمشق في سنة(646هـ/1249م)[2]، ولا شك أنّه يمكن علاج هذا المرض، فممّا ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّ رجلًا قد فُلِجت يده من أحد شَقّيْ البَدن، وكذا رجله المخالِفة لها من الشقّ الآخر، فعالجَه مُوَفّق الدّين أَسعد بنُ المطْرَان في أسرع وقتٍ ودَبَّره بالأدويّة المَوْضعيّة فَصَلُح[3]، واستطاع الحكيم عِمران الإسرائيلي معالجة مَفْلُوجٍ قد أتى البَيْمَرسْتان، حيث وجد الأطبّاء قد ألَحُّوا عليه باستعمال المغالي وغيرها من صفاتهم، فلما رآه وصف له في ذلك اليوم تدبيرًا يستعمله، ثمّ بعد ذلك أمَرَ بفصده، ولما فُصِد وعالجه صَلُح وبَرَأَ بُرْأً تَامًّا[4].

وعمل رشيد الدّين أَبو حُلَيْقَة تِرْيَاقًا مختصَرًا وبذَلَه للمرضى، وكان يُخَلِّص به المفْلُوجِين ويُقَوِّمُ به الأَيْدي المَتَقَوِّسَة لِوقته وساعته، فكان يُنشِئُ في العَصب زيادة في الحرارة الغريزيّة، وتقويّة وإذابة البُلْغم الذي فيه، فيجد المريض الرَّاحة به لوقته، ومن علاجاته أنّه وجد رجلًا مُلْقًى على ظهره لا يقدر أن ينتصب من جنبٍ إلى جنبٍ فشكا إليه حاله، فأعطاه من التّرياق شَرْبَةً، ولما عاد في السَّاعة الثّالثة من النَّهار وَجد المفْلُوج يَعْدو في ركابه يدعو له، فقال له: "اقْعُدْ" فقال: "يا موْلانا قد شبعتُ قُعودًا خَلِّيني أتَمَلَّى بنفسي[5]، ومن الأمراض، مرضُ المانْيَا أو الجنُون السَّبْعي[6]، وذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة حالةً واحدة في ذلك لاحظها في قاعة المَمْرُورين عالجها شيخُه الطّبيب مهذّب الدّين الدّخوار بماء الشّعير والأَفْيُون[7]، وكان به صلاح

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص 253، 254.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص600.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص656.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص697.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص593.

[6] المانيا، هو جُنون سَبعي عن سوداء محترقة، عن دمٍ أو صفراءٍ أو سَوْداءٍ، يكون مع اضطرابٍ وتَوَثُّبٍ، ويكون السُّكونُ والخَوفُ والجفاف في السّوْداء الصّفراويّة أقلّ، ويمكن إسكاتُه، وفي السَّوْداويّة يَتَغَافَل إذا كَلِم، فإذا ثار لم يمكن إسكَانه ولا الخلاص منه. أنظر، ابن النّفيس، الموجز في الطبّ، ص139.

[7] دواءٌ مصري يُتَّخذ بأرض مصر، خاصّةً بالصّعيد، وذلك بأن تُجْمع رؤوس الخُشخاش وأوراقه، ويُعتصَران باللُّبوب المعمول لعصر ما يُحتاج إلى عصره بقوّة، ثمّ تُؤخَذ تلك العُصارات وتُسْحَق على صلاية، سَحْقًا مُحكَمًا، ثمّ تُقْرَّص، وتُجفَّف في الشمس. أنظر، ابن النفيس (علاء الدين، علي بنُ أبي الحزم القَرشي ت687هـ)، الشّامل في الصناعة الطبيّة، الأدويّة والأغذيّة، تح: يوسف زيدان، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م، ج2، ص503.

المريض[1]، ووُجِدَت آفة النّسيان[2]، وألّفوا لأجلها مؤلّفات تفيد الصّحة وتمنع من النّسيان[3]، وممّن عانى من هذا المرض رضيُّ الدّين الرَّحْبي(ت631هـ/1234م) وقد عُرف عليه في آخر عمره لنسيانه للأشياء القريبة العهد المتجدِّدة، وأمّا الأشياء البعيدة المدّة التي كان يعرفها من زمانٍ طويل فإنّه كان ذاكرًا لها[4]، وهو ما يُعْرَف في وقتنا بالزّهَايْمر[5].

ووُجد مرض الصَّرع[6]، وهو عبارة عن خَللٍ يصيب الدّماغ، وسَدّة دِماغيّة غير تامّة تتشَنَّج بها جميع الأعصاب، وتمنَعُ الحِسّ والحركة والانتصاب[7]، مرِض به الطّبيب ابن سينا، فكان يتناول المثرود بطُوسْ لأجل الصَّرْع، فقام بعض غلمانه وطرح شيئًا كثيرًا من الأَفْيُون فيه، وناوَله فأكله، وكان سبب ذلك خيانتهم في مالٍ كثيرٍ من خزانته، فتمنَوْا هلاكه ليأمنوا عاقبة أعمالهم، وبقيّ يعالج نفسه وقِواه تضعف حتّى أهمل دواءه، ممّا أدّى ذلك بوفاته سنة (428هـ/1037م)[8]، ومن الأمراض والعِلل أيضًا السُّل[9] الذي كان من الأمراض المعروفة، إلّا أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يذكر معلومات كثيرة عنه، باستثناء ما ذكره عن امرأة مَسْلولة بخَوَارِزم أمَرها الشّيخ ابن سينا ألّا تتناول شيئًا من الأدويّة سِوى الجَلنجبين السُّكَري، حتَّى تناولت على الأيّام مقدار مائة منه وشُفِيَّت المرأة[10].

ومن الأمراض، السَّكْتَة[11]، أورد ابن أبي أُصَيْبِعَة قصّصًا حول مَن بدا عليهم الموت، مثلما حدث لقَصَّابٍ كان يُكْثر من تشريح الكبد ويطرح عليها المِلْح، ثمّ يأكلها، فرآه الطّبيب ثَابِت بنُ قُرَّة واستقبح

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص732

[2] النِّسيان هو، نقصانٌ أو بُطلانٌ لقوّة الذّكر، علاماته يبَسٌ فيُحفظُ القديم فقط أو رطوبةٌ فلا يُحفظ إلّا الوَقْتِي. أنظر، ابن النّفيس، الموجز في الطبّ، ص139.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص275.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص675.

[5] الزَهايمر، بفتح الهمزة، وسكون اللّام والزّاي، وكسْر الميم، مرضٌ تَنَكُّسي في المخّ يتميّز بموت خلايا العصب في قشرة الدّماغ، نسبةً إلى طبيب الأعصاب الألماني ألتسهايْمر، فالألف واللّام من بناء الكلمة، وليستا أداة التعريف العربيّة. أنظر، فانيامبادي عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربيّة الحديثة ولهجاتها، ط1، دار القلم، دمشق، (1432هـ/2011م)، ص34.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص332.

[7] ابن النفيس، المصدر السابق، 145.؛ سعيد بن هبة الله، المغني في الطب، ص53.

[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص444.

[9] السُّلُ، قُرْحةٌ في الرّئة، قال الرّازي: "يحدُث السلّ لمن فِي صَدره ضِيقٌ وعُنقه طَوِيلٌ، وكتفاه متعلّقان بِمَنْزِلَة الجناحين، أَصْنَاف السلّ ثَلَاثَة: إِمَّا نزلة تنحدرُ من الرَّأْس، وَإِمَّا العلَّة بعد النَفث، وَإِمَّا لقبُول إِلَى الرئة فضل عُضْو مِمَّا يُوشك بهَا ويعفن ويتقرّح". أنظر، سعيد بن هبة الله، المصدر السابق، ص191.؛ الرّازي، الحاوي في الطبّ، ج2، ص64.

[10] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص443.

[11] السّكتة، عِلّةٌ تعرَض مِن بُلْغم غليظ يملأ بُطون الدماغ، فتُحدِث سَددًا كاملة كليّةً تامّة في جميع الدماغ بأسره، ويثبت فيه فيمنع الروح النفساني من النفوذ إلى جميع البدن، ولذلك تَبْطُل معها الحركة. أنظر، ثابت بنُ قرّة، الذّخيرة في علم الطبّ، ص22.

فِعله، وعلِم أنّ سكتةً ستلحقه وهو ما حدث، فاعتُقِد مَوْتُ القَصَّاب حتّى دخل عليه الطّبيب وضرب كعْبه، إلى أن عادت حركة نبْضِه، وسَقِيَّه الدَّواء ففتَح عَينَيْه وشُفِيّ[1]، وذكر أيضًا أنّ رجلًا خبَّازًا اشترى المشمش وجعل يأكله بالخبز الحارّ فلمّا فرَغ سقط مغشيًّا عليه، فرآه الأطبّاء وقضَوْا بموته، فغُسِّل وكُفِّن وصُليِّ عليه وخرجوا به إلى الجبّانة، فبينما هم في الطّريق استقبلهم رجلٌ طبيبٌ يُقال له:"اليَبْرُودِي"، وكان طبيبًا ماهرًا حاذقًا عارفًا بالطبّ فسمع النّاس يلهجُون بقضيّته، فاستخبرهم عن ذلك فقصُّوا عليه قصّته، فعلم أنّه ليس بميّتٍ، من خلال أمارات الحياة التي يعرفها، ثمّ فتح فمه وسقاه شيئًا، أو قال حَقَنه فاندفع ما هناك فسيل، فإذا الرَّجل قد فتح عينيه، وتكلّم وعاد كما كان إلى حانوته[2].

وذكر أنّ شابًا لحقتْه سكتة دمويّة وخفِيّ حاله على جميع الأطباء ببغداد، وأقرَّ جميع الأطبّاء بموته ووقع اليأس من حياته فتقدّم الوزير في تجهيزه واجتمع الخلْق في العزاء والنّساء في اللّطم والنّياح، إلّا صاعدٌ بنُ بِشر نَفَى موته قائلًا: "هذه سكتةٌ دمويّةٌ ولا مَضَرَّةَ في إرسال مِبْضَع واحدٍ، وننظرُ إذا نجح الأمر"، وهو ما كان، فشَدَّ عضُد المريض وأقعده في حضن بعض الحاضرين، وأرسل المبضع بعد التّعليق على الواجب من حاله، فخرج الدّم، ووقعت البشائر في الدّار[3]، ومن العِلّل، ثِقَل اللّسان واسترخاء الأعضاء، كما حدث لمهذّب الدّين الدّخوار، حتّى صار يعجَز عن الكلام، فلا يفهمه تلامذته إلّا بعُسرٍ، وفي أوقات يعْسُر عليه الكلام فيكتُبه في لوحٍ وتنظرُه الجماعة من تلامذته ومَن معهم[4].

ووُجِد أيضًا "داء الجرَب" وهو ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة من مريضٍ اشتكى حاله ليُوحنًا بن مَاسَوَيْه[5]، وشكا إليه رجلٌ آخر نفس المرض، فقال:" ليست هذه من أيّام علاج ما تجدُ، وإنّما علاج دائِك هذا في أيّام الربيع"، فتنكّب أكلَ المعَفَّنات كلَّها وطري السّمك ومالحِه صِغار ذلك وكِباره وكالحريف من الأَبْزَار والبُقُول ومَا يخرج من الضَّرْع، فقال له الرّجل: "هذه أشياء لستُ أُعْطَى صبرًا على تركِها"، فقال له يوحنا: "فإنْ كان الأمر على ما ذكرتَ فادْمِن أكْلَها وحُكّ بدَنَك"[6]، كما وُجدت علّةٌ ذات

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص296، 297.
[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص613.
[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص314.
[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص733.
[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص247.
[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص248.

الجَنْبِ[1]، توفيّ بها شرَف الدّين بنُ الرَّحْبي سنة(667هـ/1269م)[2]، وتوفيّ الملك الأوْحد ابن الملك العادل أيضًا بعلّة ذات الجنب، وذلك في يوم السبت ثامن عشر ربيع الأوّل سنة(609هـ/1213م)[3]، ويبدو أنّ هذه العِلّة خطيرة، ولذا نجد المريض بها يفقِد الأمل[4].

وتوجد "عِلّة الذَّرْب" مات بها أبو سعيد سِنان بنُ ثابت بن ثابت سنة(631هـ/1234م)[5]، وتوفيّ أبو إسحق إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قُرّة بورمٍ في كَبِده سنة(535هـ/1141م) ببغداد[6]، وتوفيّ الوَاثِق بالله بمرض الاسْتسْقَاء[7] بعد أن عانى من هذا المرض[8]، وهذه العلّة كان يعجَز الأطبّاء في الغالب على مداواتها، فلمّا غلَظت عِلّة المعتضد بالله(ت289هـ/ 902م) وكانت من استسقاءٍ وفسادِ مزاجٍ، فلمّا خاف منها جمع الأطبّاء وقال لهم: "أليسَ تقولون أنّ العِلّة إذا عُرِفَت عُرِف دواؤها، فإذا أُعطيّ العليلُ ذلك الدَّواء صَلُحَ؟ قالوا له: "بلى"، قال:" فعِلَّتي عرفتموها ودواؤها أم لم تعرفوه؟، قالوا: "قد عرفناها"، قال: "فما بالُكم تُعالجوني ولستُ أَصْلُح"، ولما خافوا منه رَمَوْهُ في التَنُّورِ بعد إحمائه، فعرَقَ وخَفّ ما كان به لدخول العِلّة إلى باطن جسمه، ثمّ ارتَقَتْ إلى قلبه فمات بعد أيّام[9]، وممّن توفيّ أيضًا بعلّة الاسْتسْقَاء الطَّبيب مهذَّب الدِّين بن الحاجِب[10].

ووُجدت حالاتٌ شُفيّت من عِلّة الاسْتسْقَاء، وكثيرٌ منها حَدث بالصُّدفة، فالحكيم أَبُو طَاهر أَحْمَد بن مُحمَّد البُرْجُشِي كان يُعالج مريضًا به أحد أنواع الاسْتسْقَاء، فطال به المرض، ولم يصلُح فيه علاج، وعَبَر حدّ الحِمْيَة، فسهَّل له الطّبيب أكل ما اشتهتْه نفسه ومالت إليه الطَّبيعة من المآكل والأغذيّة، وفي

---

[1] ذات الجَنب، ورمٌ في الحِجاب أو في العضل المستبطِن للأضلاع، وأعراضُ هذ العلّة تكون في أربعة: حُمّى لازمة، وضِيق نفس، وسُعال، ووخْز. أنظر، ثابت بنُ قرّة، المصدر السابق، ص ص60، 61.

[2]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص676.

[3]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص706.

[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص689.

[5]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص301.

[6]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص307.

[7]الاسْتسْقَاء، مرضٌ مادي، ذو مادة بَارِدَة غريبة تتخلّل الأعضاء فتربُو، أمّا الظاهرة كلّها أو مواضع تدبير الغذاء والأَخلاط، وأنواعه ثلاثة، أردؤُها الزِّقّيُ، ثمّ اللَّحمي، ثمّ الطبلي، والزِّقّيُ يحدُث عن كثرة المائيّة واحتباسها في الأكثر بين الأَرْب والصِّفاق فَتُحَسُّ خَضْخَضَتُها عند الحركة والانتقال من جنبٍ إلى جنبٍ، وتكون لجلدة البطن صفالة الجلد المبلول الممدّد، وتصير المائيّة إلى هناك لاحتباسها عن مَخْرَجها الطبيعي، فترجع إلى غيره. أنظر، ابن النّفيس، الموجز في الطبّ، ص214.

[8]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص202.

[9]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص313.

[10]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص660.

يومٍ اجتاز به إنسان يبيع الجراد المسْلوق في الماء والملح، فرغبَت إليه نفس المريض، فاشترى منه وأكل، فحدَث له من ذلك إسهالٌ مُفْرَط، ثمّ أفاق منه بعد أيّام وأخذ المزاج في الصَّلاح وابتدأ به البُرء وتدَّرجت حاله إلى كمال الصِحّة، فتنبّه الطَّبيب إلى أنّ ذلك من فِعل نباتٍ كان يأكُله ذلك الجراد، فبَحث عن بائع الجراد، ومَضَيَا جميعًا إلى المكان لرؤية النّبتة التي كان يرعاها الجراد، فأخذ الطّبيب من تلك الحشيشة ليُداوي بها من الاسْتسْقَاء، وأبْرَأَ بها جماعةً من هذا المرض، وكان ذاك بواسط[1].

ومّما حكاه ابن أبي أُصَيْبِعَة عن الرّازي أنّه عجَز يومًا على معالجة شابٍ مريض بالاسْتسْقَاء، فآيَس والدُه من حياة ابنه، وطلب منه أن يمكِّنه من شهَواته، وبعد سنة التقى الوالد وابنه معه على أحسن هيئة فتعجّب الرَّازي من عدم موته، فلمّا سأله عن ذلك، قال له: "لمَّا يئس من المرض أراد تسريعَ موته، فأكل من غُضارةٍ كانت بها حيّةٌ كبيرة، ولما استيقظ بعد نومٍ عميق، بدأ يعرَق عرقًا شديدًا، وهو يطلب المسْتَحَم، فأُنْهِض إليه فاندفع بطنُه، وقام من ليلته، ومن غدٍ أكثر من مائة مجلسٍ، فازداد يأسنا منه وقلّ الطّعام بعد أن استمرّ أيَّاما وطلب فراريج فأكل ولم تزل قوّته تثُوب إليه وقد كان بطنُه التصق بظهره، وقويّ طمعْنا في عافيّته فمنعناه من التّخليط، فتزايدت قوّته إلى أن صار كما ترى"[2]، وأُلِّفت في الاسْتسْقَاء مجموعةٌ من المؤلَّفات، فلِحُبيش الطّبيب ابن أخت حُنَين بن إسحاق كتابٌ في الاسْتسْقَاء[3]، ولكمال الدّين الحِمْصي مقالة في الاسْتسْقَاء[4].

ومن الأمراض ضِيقُ النّفس والرَّبْو[5]، ممّا جعلهم يكتبون في هذا المرض[6]، وعانى الكثير من مرض شدّة ضِيق النّفس[7]، فينقطع عليه الأوكسجين حتّى يتغيّر لونه[8]، وعانىَ فَخْر الدِّين بن السَّاعَاتي من عِلّة

[1]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص345.

[2]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص418، 419.

[3]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص276.

[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص683.

[5]الرَّبْو، هو عُسرٌ في النفس يُشبه نَفَس المتعَب، وسببُه إمّا خلطٌ غليظٌ لاحِج، إمّا في قصبة الرّئة، فيكون الضّيق في أوّل النّفس، مع نَخْنَحة، ونخير وإحساس مادة واقعة هناك، وإمّا في خَلَل أجزاء الرّئة فيكون الثّقل في الصّدر، وإمّا في العروق، فربّما أدّى إلى اختناق، وقد تكون المادة متولّدة هناك، وقد تكون مُنْصَبّة من الرأس فيكون مع علامات النَزلة ووجود الآفة في الدّماغ، وحادثًا دُفعةً، وإمّا رياحٌ وأبْخرةٌ في أعضاء النّفس مزاحمة. أنظر، ابن النّفيس، الموجز في الطبّ، ص182.

[6]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص273.

[7]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص309.

[8]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص305.

اليَرَقَان[1]، وبها توفيّ[2]، وتمكّن الطّبيب مهذّب الدّين يُوسُف بنُ أَبِي سَعِيد بن خَلَف السَّامري(ت624هـ/1227م) من معالجة أُخت الملك العادل أبي بَكْر بن أَيُّوب لما أصيبت بمرضٍ يُدعى دُوسَنْطَارِيَا كَبَدِيَّة[3]، فكانت ترمي كلَّ يومٍ دمًا كثيرًا، والأطبَّاء يعالجونها بالأدويّة المشهورة لهذا المرض من الأشربة وغيرها، فلمّا حضرها وجسّ نبضها، ثمّ قال للحاضرين: "يَا قوم مَا دَامَت الْقُوَّة قَوِيَّة أعطُوها الكافُور ليصلح كَيْفيَّة هَذَا الخَلْط الحاد الَّذِي فعَلَ هَذَا الْفِعْل"، ثمّ أمر بجلب كافورٍ قَيصوري، وسَقاها مَعَ حليبِ بِزْر بَقْلة مُحَمَّصة وشَرَاب رُمَّان وصَنْدَل، فتقاصر عَنْهَا الدَّم وحرارة الكبد الَّتِي كَانَت، ثمّ في اليوم التّالي أعاد سقْيها، فَقلّ أَكثر، ولاطَفها بعد ذَلِك إِلَى أَن تماثَل بُرْؤها وشُفيت[4].

وأشهرُ الأمراض انتشارًا في المشرق الإسلامي مرضُ القُولَنْج، وهو وجعٌ شديدٌ يحدُث بالمعَى ويسمّى أيضًا "قُولُون"؛ وقد عَرض للكثير، عُولج في مرّاتٍ وتوفيّ المصاب به في مرّاتٍ أخرى، بحسب ابن أبي أُصَيْبِعَة، فقد ماتت منه غَضِيض أُمُّ وَلد الرَّشِيد"[5]، وكان يُعالج القُولَنْج الشَّديد بذَرْق الحَمَام والمِلح، وقيل أنَّ بَخْتِيشُوع كان يأمر بالحَقن والقمر متَّصل بالذَّنْب فَيُحَل القُولَنْج من ساعته، ويأمُر بشُرب الدّواء والقَمر على مناظرة الزّهرة فشُفيّ العليل من يومه[6]، وعالج عبْدوس بنُ زيد مريضًا بالقُولَنْج، وسَقاه ماء أصولٍ قد طُبخ وطرُح فيه أصل الكَرَفْس[7]، والرّازَيَانج[8] ودُهْنَ الخَرْوَع، وجعل فيه شيئًا من أَيَارِج فَيَقرا،

---

[1] اليَرَقَان، وهو يَرْقَانَان؛ الأصفرُ، ويحدُث عن ألم الكبد، والأسْود، تابع لاستضْرار الطّحال، يولِّد اليَرقان الأصفر، من كثرة المرّة الصَّفراء وانبساطها في البَدن جميعه، وحدوث اليَرَقَان الأَسود، من غَلبة المرّة السَّوداء، وانتشارها في البَدن بأسره، ويُستدلُّ على اليَرَقَان الأصفر بصُفرة العين وجميع البدن وكوْن البوْل أحمر يعلُوه زبدٌ، ويُسْتدلُّ على اليَرَقَان الأسود، بسواد لون البدن وسواد البول وقلّته. أنظر، سعيد بن هبة الله، المغني في الطبّ، ص155.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص662.

[3] الدُوسِنْطَاريا الكبِديّة، هي اختلاف الدم الكثير مِن غير مَغصٍ ولا وَجعٍ، والسّبب إمَّا امتلاءُ عروق الكبد من الدم أو ضعف القوّة المغيرة المحيلة للدم أو من غلبة سوءِ مِزاج أو ورمٍ، ويُسْتَدلّ على النّوع الأوّل بقلّة الشّهوة، ويكون الدم أحمرًا محضًا، ويُسْتَدَلّ على النّوع الثّاني، بخروج الدم الشَّبيه بغسالة اللَّحم الطّري. أنظر، سعيد بن هبة الله، المصدر السابق، ص159.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص721.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص177.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص209.

[7] كَرفَس، حارٌ في الأولى، يابسٌ في الثّانيّة، يُحلِّل النّفخ، وَيُفتح، ويعرّق، ويُسَكِّن الوجع، وَيُطَيِّب النّكهة جدًّا، رديءٌ للصَّرع يُهيجُه من المصْرُوعين، وينفع السّعال والكَبِد والطحال، والكُلى، والمثَانَة، وينفع الاسْتِسْقَاء وعُسْر البوْل، وَيُفتِّت الحَصاة، ويَضُرّ الحَبَالى لإدراره وتهييجه الباه. أنظر، ابن النّفيس، الموجز في الطبّ، ص101.

[8] قسّمه ابن سينا إلى قسمين، الرّازيانج النّبطي والروميّ؛ فأمّا النّبطى، ففيه البرّي، والبُستاني؛ والبرّي أشدّ حرارة وَيبَسًا، أمّا البُستاني، فتكون حرارته في الثّانيّة، وهذا الرّازَيَانج ينفعُ في فتح السّدد، ويحدُّ البصر، بالخصوص صمغُه، وينفع من ابتداء الماء، وأمّا الرّوميّ وهو الّذى بِزْرُه الأنيسون، وهو مسكّن للأوجاع، محلّل للرّياح، وينفع من التهيّج في الوجه، وورم الأطراف، وإذا بُخِّر به أو تمّ استنشاقه سكّن الصّداع، وإن سُحِق وخلِّط به دهن الورد وقُطِر في الأذن أبرأ، ممّا يعرض في باطنها. أنظر، النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج11، ص82.

فَحِين شَرَبه سَكَنَ وجَعه وأجاب طَبْعه مجلِسين فأفاق، ثمّ أعطاه في الغد ماء شعيرٍ فاستظرَف هذا منه[1].

وتُوفيّ الطّبيب موفّق الدّين عَبْد العَزيز بنُ عبْد الجَبَّار بن أَبي محمد السَّلمي بدمشق، بعلّة القُولَنْج سنة(604هـ/1208م)[2]، ونظرًا لانتشارها فقد أُلِّفت فيها عدّة مؤلّفات؛ فألّف الطّبيب أحمد بن أبي الأَشْعَث "كتاب في القُولَنْج وأصنافه ومداواته والأدوية النّافعة منه مَقَالَتَان"[3]، وألّف فيه يُوحَنَّا بن مَاسَوَيْه[4]، وعَفيفُ بنُ سَكْرَة ألّف مقالةً في القُولَنْج ألَّفها للملك النّاصِر صَلَاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب سنة(584هـ/1189م)[5]، وعُرف في بلاد المشرق مرضُ النُّقْرُس ووجع المفَاصِل[6]أُصيب به الوَزير ابن مُقْلَة بعد أن قطِعت يده وحدث له ما حدث من النَّكبات[7]، فتمّ فصْده وعُوفيّ منه، إلّا أنّه أصيب بمرضٍ آخر هو الذَّرب فيما بعد[8]، ووُجدت أمرَاض الجُدَريّ والحَصْبَة[9]، والحُمَيْقَاء[10]، والبَدَانَة[11]، ووُجد مرض الجُذَام[12]، واشتهر التّرياق الفاروقي لمعالجة المجذومين[13]، وقد عالج الطّبيب موفّق الدّين بنُ المطْرَان رَجُل مجذُوم، وجده قد قوِيّ به المرض حتَّى تغيَّرت خِلقته وتشوّهت صورته، فاستوصف منه ما يتناوله وما يتداوى به، فبقيّ كالمتبرّم من رؤيته، وقال له: "كُلْ لحوم الأفاعي"، فعاوَده في المسألة، فقال: "كُلْ لحوم الأفاعي، فإنَّك تَبْرأ"، ففعل ذلك وبه شُفيّ دون أن يحتاج إلى غيره من الأدويّة[14].

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص228.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص671.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص332.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص255.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص638.

[6] النُقْرُس، ووجعُ المفاصل هما، جنسٌ واحدٌ، إلّا أنّ الوجع إذا كان في المفاصل دُعِيّ مَفاصل، وإنْ كان في القَدم سُمِّي نُقرسًا، تتولَّد هاتين العلَّتين من إفراط الكَيْمُوسَات، إمَّا الدَّموية أو الصّفراويّة أو السَّوداويّة أو البُلْغُميَّة. أنظر، سعيد بن هبة الله، المصدر السابق، ص189.

[7] النُّوَيْري، شِهَاب الدِّين، المصدر السابق، ج23، ص145.؛ شمس الدّين الذَّهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج7، ص426.؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ، ج3، ص503.

[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص306.

[9] الجُدَريّ، بُثُورٌ كِبار حادثة في سطح البدن، والحَصْبَة، بثُورٌ صغار حادثة فيه، يُولد الجُدَريّ من انقلاب الدم وانطباخه، يُستدَلُّ على الجُدَريّ بالحُمّى المطبقة، واحمرار العينين، وسَيَلان الدّموع، وانتفاخ الوجه، وخشونة الحَلْق والفَزع في النّوم، ويُستدَلُّ على الحصبة بجفاف الفمّ والكَرب، والقلق، والغَشْي، والتهوُّع، والقيء، وحُمرة العين، والحُمَّى. أنظر، سعيد بن هبة الله، المصدر السابق، ص224.

[10] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص193، 332.

[11] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص194.

[12] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص255، 291.

[13] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص588.

[14] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص656.

كما وُجدت بعض الأمراض النّفسيّة كمرض العِشق[1]، فقد ذكر أبُقراط أنّ العاشق إذا سمع ذِكر مَن يُحب يهرُبُ دمه، ويستحيل لوْنُه، ويزول ذلك بلُطفٍ من ربّ العالمين لا بتدبيرٍ من الآدميّين[2]، ومع ذلك كان الأطبّاء يحاولون معالجة المصاب به[3]، ومن الحالات الّتي ذكرها ابن أبي أصيبعة، أنّ رشيد الدّين أبو حُلَيْقَة جاءته امرأة من الرّيف ومعها ولدها، وهو شابٌ غلَب عليه النّحول والمرض، فشكت إليه حالَ ولدها، وأنّها قد تعبت من المداواة وهو لا يزداد إلّا نُحولًا وسُقامًا، فشرع في جسّ نبضه[4]، وقال لغلامه: "أُدخُل ناوِلْني الفَرَجِيّة —ثوبٌ واسعٌ طويلٌ– حتّى أجعلَها عليّ، فتغيّر نبضُ ذلك الشّاب تغيُّرًا كثيرًا، واختلف وزنُه وتغيَّر لونُه أيضًا فحدَس أن يكون عاشقًا، ثمّ جسَّ نبضه مرّةً أخرى فتساكَن، وعندما خرج الغلام إليه، وقال له: "هذه الفَرَجِيّة" جَسَّ نبضه فوجده أيضًا قد تغيَّر، فقال لوالدته: "إنّ ابنك هذا يحبُّ فتاةً ويكونُ اسمها فَرجيّة"، فقالت: "أيْ. والله يا مولاي، هو يُحب واحدة اسمها فرجيّة وقد عجزتُ ممَّا أَعْذُلُه فيها[5]

أمّا العِلل المتكرّرة الصُّداع[6]، وكذا الشَّقِيقَة[7]، فقد عانى الحَجّاجُ بنُ يُوسُف الثَّقَفي(40-95هـ/660-714م)من صُدَاعٍ، فأرشده طبيبه تِيَاذُوق بغسْل رِجليه بماءٍ حارٍّ، وطلب منه دهنهما[8]، وفي مرّاتٍ يستعْصي الصّداع ويستمرّ لأيّامٍ كما حدث للخليفة هارون الرّشيد، فطلب طبيبًا آخر غير

[1] حيث يتولّد في القلب، وتجتمع فيه موادٌ من الحِرص، فكلّما قويّ أدّى إلى الاهتياج وشدّة القَلَق، وكثرة السّهر، وعند ذلك يكون احتراق الدّم واستحالته إلى السّوداء، والتهاب الصّفراء، وانقلابها إلى السّوداء، ومن غَلبة السوداء يحصُل له فساد الفكر، ومع فساد الفكر يكون زوال العقل، ورجاء ما لم يكن، وتمنّي ما لم يتمّ، حتّى يؤدّي ذلك إلى الجنون، فحينئذ قد يقتلُ العاشق نفسه، وربّما يموت غمًّا، وربّما وصل إلى معشوقه فيموت فرحًا، أو أسَفًا، وربّما شهق شهقةً فتختفي منها روحُه أربعًا وعشرين ساعةً فيظنُّ أنه قد مات فيُقبَر، وهو حيٌّ، وربّما تنفَّس الصُّعَداء فتختنق نفسه في تامور قلبه، ويضمُّ عليها القلب فلا تنفرجُ، حتّى يموت، وربّما ارتاح وتشوّق للنّظر، ورأى مَن يحبُ فجأةً فتخرجُ نفسُه فجأةً دفعةً واحدة. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص51، 52.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص51.

[3] بسط الطّبيب ابن هبل، مهذّب الدّين عديد الطّرق المقترحَة لمعالجة هذا المرض، فجَزِم أنّ دواءه تزويج العاشقين، وإنْ لم يكن النّظر من بعيدٍ، وإلّا فالتّسويفُ، وقد يتمُّ استفراغ البدن من السَّوْداء، وإلّا فتَقْبيح المعشوق أو السّفر والبُعد، واللّجوء إلى اللّهو والمجالس... وإلّا فعِشْق صورة أخرى، وسَمَاعُ أخبار العباد والنُّساك أو بالالتزام بالشّغل... وهذ إنْ دلّ على شيءٍ فلصعوبة المعالجة؛ بل وامتناعها في كثيرٍ من الأحيان. أنظر، ابن هبل، المصدر السابق، ج3، ص50.

[4] يضع الطّبيب يده على نبضه، ويذكر أسماء وصْفاتٍ، فأيّها اختلف عنده النّبض وتغيَّر لون الوجه عُرف أنّه هو. أنظر، ابن النّفيس، الصدر السابق، ص142.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص595.

[6] الصُّداع متنوّع، فمنه التابع لسوء مِزاجٍ حارٍّ أو تابعٍ لسوء مزاج باردٍ ولسوء مزاج الرطِب واليابس، والتابع لغلَبة الدم، والشَّقِيقَة، وغيرها. أنظر، سعيد بن هبة الله، المصدر السابق، ص 28 –38.

[7] الشَّقِيقَة، يكون حُدوثها في بعض الرأس، لأنّ الدماغ ينقسم قسمين، فإن مال الفضل إلى اليمين حدث الوجع في اليمين، وإنْ مال إلى اليسار حدث الوجع فيه. أنظر، ثابت بن قرّة، المصدر السابق، ص21.

[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص179.

الطّبيب أَبُو قُرَيش، وأرسل في إحضار بَخْتِيشُوع ليعالجه منه[1]، وقد عالج الطّبيب عيسى بن قُريش رجلًا أصابته حرارة الشَّمس في رأسه، حتّى كاد يذهَب بصره[2]، ولمعالجته دعا بدُهن بنفسج[3]، وماء ورد، وخلّ خمْرٍ وثلج، وجعله بقدر وزن درهمين في مَضْربة، وصبّ عليه قليلٌ من الماء والخلّ، وجعل فيه شيئًا من الثّلج، وحرّك المضربة حتّى اختلط جميع ما فيها، ثمّ أمر بتصبير راحِه منه وسط رأسه، والصّبر عليه حتّى ينشف رأسه، ثمّ زيادة راحةٍ أخرى، وكرّر ذلك لثلاث مرّاتٍ أو أربع حتّى سكَن عنه الصُّدَاع وعُوفيّ من العِلّة[4]، وعالجَ الطّبيب ابنُ سينَا نَفْسه من صُدَاعٍ شديد، كان يتصوّر فيه أنَّ مادةً تريد النُّزول إلى حجاب رأسه، وأنَّه لا يَأْمَن وَرَمًا ينزل فيه، فقام بإحضار ثلج كثير فدَقَّه ولَفَّه في خِرقةٍ وغَطّى بها رأسه[5]، ومن المؤلّفات في الصّداع "كتاب فِي الصّداع وَعِلّله وأوجاعه وَجَمِيع أدويّته والعِلّل المَوَلّدة لكلّ نوعٍ مِنْهُ وَجَمِيع علاجه"، ليوحنّا بنُ مَاسَوَيْه[6].

ومن الأمراض الّتي عالجها الطّبيب الرّازي عَلَقَةً ابتلعها غلامٌ بعد أن شرب من مستنقعات وصهاريج، فاستخرجها من معدته[7]، وَوُجدت أمراضٌ أخرى لم يذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة معلومات عنها إلّا ما أُلِّف من الكُتُب فيها؛ كمَرَض السِّرْسَام، وكذا البِرْسَام[8]، ذكرهما في موضعين كمؤلَّفين فقط، ككتاب في السِّرْسَام والبِرْسَام ومداواتهما، ومقالة في السِّرْسَام[9]، ووُجد مَن كان يدَّعي معرفة الأمراض، وله الأدويّة لذلك، وذلك أنّه لما قدم الطَّبيب مَنْكَه لمعالجَة الرّشيد فإذا هو يرى رَجُلًا قد بسَط كساءه، وألقى عليه عقاقير كثيرة، وقام يصف دواءً عنده، ويذكر الأمراض الموجودة في ذلك الوقت، فقال في صفته وابتدأ بأنواع أمراض الحُمّى: "هذا دواءٌ للحُمّى الدّائمة، وحُمّى الغبِّ، وحمّى الرُّبع، ولوجع الظهر والركبتين، والخام والبواسير، والرياح ووجع المفاصل، ووجع العينين، ولوجع البطن، والصّداع والشّقيقة، ولتقطير البّول، والفالج والارتعاش، ولم يدَعْ علّةً في البدن إلّا ذكر أنّ ذلك الدّواء يشفيها[10]، وهذا شبيهٌ عندنا ببائعي الأدوية في

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص186.

[2] وهو ممّا حذّر منه الأطبّاء، فطولُ المقام في الشّمس، يتولّد عنه صُداعٌ شديد يصعُب معالَجته، على عكس الصُّداع الحادث جرّاء حرارة داخليّة، فإنّه يشرِب صاحبه المبرّدَات، ويتّخذ لنفسه بعض المشروبات والدُّهون. أنظر، ابن هبل، المصدر السابق، ج3، ص6.

[3] دُهن بنفسج؛ بارد رطب، ينفع من الصّداع، ويجلب النّوم، وينفع من السّهر، ويرطّب المفاصل والأعضاء، وينفع من الجرب والحكّة. أنظر، ابن هبل، المصدر نفسه، ج2، ص62.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص216.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص443.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص255.

[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص417.

[8] السِّرْسَام، ورمٌ في الدّماغ، والبِرْسَام، ورمٌ في الغشاء المستبطِن للأضلاع. أنظر، سعيد بن هبة الله، المصدر السابق، ص42.

[9] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص332- 696.

[10] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص375.

الأسواق، مِن مُدّعي معرفة الطبّ النّبوي –العشّابون–، بذكر أدويّة لأمراض يعجَز الطبّ عنها، وفيها من المبالَغة ما فيها، لذلك نجد الطّبيب مَنْكَه يعلّق على ذلك ويستنكره[1].

وأذكر ما كان يصيب المرضى من حُمّى كنتيجة لمرضٍ ما أو تتولّد لوحدها، وهي أنواعٌ كحمّى الرّبع وقد أصيب بها أعين بنُ هَرْثَمة بنُ أَعْيُن[2]، كما وُجدت حُمّى الغِبّ[3]، وحُمّى الدِّقّ[4]، وإذا كانت الحُمّى حادّة استوجب معالجتها أيّامًا، فلا يجب المبالغة في معالجتها، من ذلك أنّ غلامًا أصابته حمّى حادّة، وكان سيّده يستعجل شفاءه لاحتياجه له، فطلب من الطّبيب أبي الحسن الحرّاني بضرورة شفائه في يومه، فقال له: "إنْ تركتَ الغلام يستوفي أيّام مرضه عاش، وإلّا فيُمْكِنُني من ملازمته أن يقوم في غدٍ لخدمتك، ولكن إذا كان في العام المقبل في مثل هذا اليوم يحُمُّ حُمّى حادّة، ولو كان مَن كان عنده من الأطباء لم تنجَع فيه مداواته ويموت"، فقال له الحاجب:" أريد أن يخدمني في غداة غدٍ وإلى العام المقبِل فرجٌ"، ولم يأخذ على قوله، فلازَمه أبو الحسن، حتّى أفاق وقام في الخدمة، فلمّا كان في العام المقبِل في مثل اليوم الذي حُمَّ فيه الغلام عاودَتْه الحُمّى فأقام محمومًا سبعة أيّام ومات[5]، وعَرَضت لعمّ ابن أبي أُصَيْبِعَة حمُّى حادّة فعاد إلى دمشق ولم يزل المرض يتزايد به حتّى توفيّ سنة(616هـ/1220م)[6].

أمّا فيما يخصّ الأوبئة والطّواعين؛ فَذِكْرُها في كتاب "عيون الأنباء" قليلٌ جدًّا؛ ومن أهمّها الوباء الّذي حدث سنة(447هـ/ 1055م)، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "أنّ الغلاء عرَض بمصر في سنة خمسٍ وأربعين وأربعمائة، ونقَص النّيل في السَّنة التي تليها وتزايد الغلاء، ولحَقه وباءٌ عظيم واشتدّ وعَظُم في سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة"[7]، قلّ ماء النّيل فمات في الفُسطاط والشّام كثيرٌ من أهلها وجميع الغُرباء، وانتقل الوباء

---

[1]قال مَنْكَه لتُرجُمانه، ما يقول هذا؟ فترجَم له ما سمع، فتبسّمَ مَنْكَه. وقال: "على كلّ حالٍ مَلِك العرب جاهل –يقصد الخليفة هارون الرّشيد–؛ وذلك أنّه إنْ كان الأمر على ما قال هذا، فَلِمَ حملني مِن بلدي وقطعني عن أهلي وتكلَّف الغليظ من مؤونتي، وهو يجد هذا نصب عينه وبإزائه؟ وإنْ كان الأمر ليس كما يقول هذا، فَلِمَ لا يقتله، فإنَّ الشَّريعة قد أباحت دم هذا، ومَن أشبهُه، لأنَّه إنْ قُتِل، ما هي إلَّا نفسٌ تحيَا بفنائها أنْفس خَلقٍ كثير، وإنْ تُرك، وهذا الجهلُ قَتَل في كلِّ يومٍ نفسًا، وبالحَرِيِّ أنْ يَقْتُل اثنين وثلاثة وأربعة في كلِّ يوم، وهذا فسادٌ في الدِّين، وَوَهَنٌ في المَمْلَكة". أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص375.

[2]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص229.

[3]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص255.

[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص306.

[5]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص309.

[6]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 741.

[7]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص563.

إلى العراق، وأصاب أكثرَ أهله، واستولى عليه الخَراب، وأصاب النّاس بسببه قروحٌ سَوْدَاويّة وأَوْرَام الطّحال، وتغيَّر ترتيب نوائب الحُمّيات واضطرب نظام البَحَّارين[1]، وأدّى ذلك إلى فقد العَديد من العُلَمَاء[2].

وفي الثُّلث الأوَّل من(ق4هـ/10م) عرَفت سنةٌ لم يحدّدها ابن أبي أُصَيْبِعَة كثرة الأمْرَاض، كان الطّبيب سِنَان بن ثَابت يتَقَلَّد البَيْمَرسْتانات ببغداد، فجاءه توقيعًا لينظُر في أمرِ مَن في الحَبُوس، لكثرة عدَدِهم وجَفَاء أماكنهم، ولأنّهم غير قادرين عن التصرُّف في مَنَافعهم، ولا لِقاء مَن يُشَاورُونه من الأطبّاء فيما يعْرَض لهم، ويُرسل إليهم أطبّاء يزودّونهم بما يلزم من الأدويّة والمأكولات والأشربة، وَوَرد له توقيعٌ آخر؛ بأن يَنظر في عموم النّاس؛ أي، في مَن في السّواد من العامّة، فإنَّه لا يخْلُو أن يكون فيه مرضى، لا يُشرف عليهم متطبِّبٌ لخُلُوّ السَّواد من الأطبَّاء، فتقدَّمْ-مدَّ الله في عُمْرك-بإنفاذ متطبّبين وخزانة للأدويّة والأشربة يطوفون في السّواد ويقيمون في كلِّ صَقْعٍ منه مدّة ما تدعو الحاجة إليه"، وأن يبدأ بمداواة النّاس قبل البهائم، والمسلمين قبل أهل الذمّة، وأعْلمه أنّ رسم البَيْمَرسْتان يُعالج فيه المسلم والذّمّيُ[3].

وفي سنة (612هـ/1216م) حدث وباءٌ عظيمٌ بمصر، هلك على إثره خلقٌ كبيرٌ، مرض فيه الكامل ابن الملك العادل وكثير من خواصِّه، وقد عالجه مهذّب الدين الدّخوار[4]، وفي سنة (616هـ/1220م) حدث وباءٌ ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة في قوله: "ولما كان في سنة ستّ عشرة وستّمائة وصل إلى عمّي كتابٌ من الملك الصالح إسماعيل، ابن الملك العادل بخطِّه وهو يطلبُ منه أن يتوجّه إليه إلى مدينة بُصْرَى ليُعالج والدته ومرضى أُخَر عنده ويعود، وكان قد عَرَض في بصرى وباءٌ عظيم فتوجّه إليه وعالج والدته فصلُحت في مدّةٍ يسيرة"[5]، وهنا ككتابٌ في الوباء[6]، وكتابٌ في نعْتِ الأسباب المولِّدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعِلاج ما يتخوّف[7]، وللطّبيب محمد التميمي كتابًا كبيرًا في عدّة مجلّداتٍ سمّاه "مادّة البَقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرُّز من ضرَر الأوباء[8].

---

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص327.

[2] ممّن فُقِد على إثر هذه الأوبئة، العالم أبو الْحسن الْبَصْرِيّ، والفقيه أبو الْحسن الْقَدُورِيّ، والقاضي الْمَاوَرْدِيّ...، ومن أصحاب علوم القدماء، أَبُو عَليّ بن الْهَيْثَم، وأَبُو سعيد اليمامي، وأَبُو عَليّ بن السَّمْح، وصاعد الطَّبِيب، وأَبُو الْفرج عبد الله بن الطّيب، وَمن الأدباء، عَليّ ابْن عِيسَى الربعِي وَأَبُو الْفَتْح النَّيْسَابُورِي، ومهيار الشَّاعِر... وَأَبُو الْعَلَاء المعرّي. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص327.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص301.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص730، 731.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص741.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص437.

[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص482.

[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص547.

2- الطرقُ العلاجيّة للأمراض، أذكر منها الآتي، وفقًا لما جاء في الكتاب كالآتي:

أ- العلاجُ بالفَصْد[1] والحِجامة:

الفصْدُ: "قطْعُ العِرْقِ". وقد فصدْتُ وافْتَصَدْتُ. وانْفَصَدَ الشّيءْ وتَفَصَّدَ: سَالَ، والفَصيدُ: دمٌ كان يُجعل في مِعًى من فَصْدِ عِرْقٍ[2]؛ ويعتبر الفصْد من العلاجات المشهورة، وهو على علاقة بالحجامة، فالّذي يقوم بالحجامة يقوم أيضًا بالفصد[3]، ويُشار بالفصد في أمراضٍ عديدة[4]، كمرض الجرب[5]، والحُمّى[6]، والنقْرَس[7]، والسَّكتة[8]، ونجد أنّ الخلفاء يفتصدون مرّتين في السّنة[9]،وبعضًا من المرضى يخاف من الفَصْد، لكّن الطّبيب يُلزِمه ذلك[10]، وكان الأطبّاء في بعض المرّات يختلفون فيما بينهم حول ضرورة الفصد من عدمه[11]، من ذلك أنّ مريضًا بضيق في النّفس فعُرِض على عددٍ من الأطبّاء فرأوا ضرورة فصده، واختلف معهم أبو الحسن الحرّاني في ذلك، ولما قاموا بفصْده جرَّ له ذلك حُمّى شديدة كان قد تنبّأ بها أبو الحسن[12].

ومن الأمور الغريبة أنّ من الخلفاء من يجعل يوم الفصد بمثابة عيدٍ تأتيه فيه الهدايا؛ قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "افتصد المتوكّل فقال لخاصّته ونُدمائه: "اهْدُوا إلى يوم فصْدي" فاحتفل كلُّ واحدٍ منهم في هديّته، وأهدى إليه الفتح بنُ خاقان جاريةً ومعها جامٌ من ذهب[13]، ومنهم من يجعل يوم افتصاده لإكرام الأطبّاء، كما فعل المعتمد على الله وهو أحمد بنُ المتوكّل حين أراد أن يفتصد، فقال للحسن بن مَخْلَد

[1]علم الفَصْد، هو علمٌ باحثٌ عن كيفيّة آلات الفصد، ومعرفة أنواع العُروق، ومعرفة ما يخصُّ كلُّ مرضٍ، مِنْ فصد عرق مخصوص. أنظر، جلال شوقي، العلوم العقليّة في المنظومات العربيّة، ص577.

[2] الجوهري، الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربيّة، ج2، ص519.؛ ابن فارس القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص507.

[3]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص176.

[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص208.

[5]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص247.

[6]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص254.

[7]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص306.

[8]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص308-314.

[9] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص199- 234.

[10]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص247.

[11]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص252-697.

[12]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص309.

[13]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص253.

وزيره[1]: "أُكْتب لجميع مَنْ في خدمتنا من الأطبّاء حتّى أتقدَّم بأن تصل كلُّ واحدٍ منهم على قدْرِه"[(2)]. وقد لا ينفع الفصد الأوّل فيتمّ فصد المريض مرّةً أخرى[(3)]، ويبدو أنّ الذي يقوم بالفصد في البَيْمَرسْتان ليس الطّبيب، وإنّما هناك من اختصّ بالفصد[(4)]، والفاصد ليس بالضّرورة أن يكون طبيبًا، إلّا أنّه لا يقوم بالفصد إلّا بأمرٍ من الطّبيب؛ الدّليل في ذلك قول ابن أبي أُصَيْبِعَة عن صاعد بن بشر بن عبدوس: "ويكّنى أبا منصور، كان في أوّل أمره فاصدًا في البَيْمَرسْتان ببغداد، ثمّ إنّه بعد ذلك اشتغل في صناعة الطبّ، وتميّز حتّى صار من الأكابر من أهلها"[(5)].

وهناك من لا يُتقن الفَصْد، فيكون ذلك خطرًا على حالة المريض، كأن يصيب البَاسِلِيق[(6)] فيعجَز عن قطع الدّم[(7)]فيكون سبب موته[(8)]، ولأهميّة الفصد وضرورته أُلِّفت فيه الكتب ك"كتاب في الفصد والحِجامة" ليوحنا بن مَاسَوَيْه[(9)]، وآخر في الفصد، لعيسى بن مَاسَة[(10)]، أمّا الحجامة فدعا إليها النبي ﷺ:"الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شرطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ"[(11)]، وعُدّت من طرق العلاج، وهي تخضع لبعض الشّروط، فقد أجاب الحارث بن كلدة كسرى عندما سأله

---

[1]الحسن بنُ مَخْلَد بن الجرَّاح، أبو محمد (209-269هـ/824-882م)، وزير، من الكُتّاب، له علمٌ بالأدب، بغداديّ الأصل، مولده في سنة(209هـ/825م)، وزَر الحسن للمعتمد نوبتين فصادَره، ثمّ وزَر له ثالثًا فاستمرّ خمسة أعوامٍ فسخَط عليه فتسلَّل إلى مصر فأقبل عليه ابن طولون وجعل إليه نظرَ الإقليم، والتزم له بنحو ألفِ ألفِ دينارٍ في السنة، مع العدل. أنظر، الذهبي، سيّر أعلام النبلاء، ج10، ص219.؛ الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص223.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص315.

[3]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص592.

[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص313.

[5] نفسه.

[6]البَاسِلِيق، وهو في اليد، عند المِرْفَق، في الجانب الإنْسي إلى ما يلي الإبط. أنظر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص181.

[7]من ذلك، ما حكاه ابن أبي أصيبعة، أنّ رجل فصَدَه الحجّام في عِرق البَاسِلِيق، ولم يُتقن ذلك، ففصده فصدًا واسعًا، وكان الباسليق على الشّريان، ولم يُحسن الحجّام تعليق العرق فأصاب الشريان، فانفلت الدّم بقوّة، ولم يستطع قطع الدّم، وكان مِنْ حُسن حظِّه أن مرَّ به الطّبيب أبو الحكم، فدعا بفُستُقةٍ فشقَّها، وطرَح ما فيها، وأخذ أحدَ نصفيْ القِشْر فجعله على موضع الفصد، ثمّ أخذ حاشيةً من ثوب كتّان غليظ، فلفَّ موضع الفصد على قشر الفستقة، لفًّا شديدًا، حتّى كان يستغيث المفتصِد من شدّته، ثمّ شدَّ ذلك بعد اللّفّ شدًّا شديدًا، وأمر بحمل الرّجل إلى نَهْرِ بَرَدَى، وأدخل يده في الماء، ووطّأ له على شاطئ النهر، ونوَّمَه عليه، وأمر فحَسى محّات بيْض، ووكّل به تلميذًا من تلامذته، وأمره بمنعه من إخراج يده، لمدّة سبعة أيّام، فأنقذه بذلك من الهلاك، وكان كلّه بسبب خطأ الحجَّام. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص176.

[8]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص688.

[9]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص255.

[10]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص257.

[11]بدر الدّين الدّماميني (محمد بن أبي بكر بن عمر.ت827 هـ)، مصابيح الجامع، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، (1430هـ/2009م)، ج9، ص213.

عنها بقوله:"فما تقول في الحِجامة؟"، قال: "في نقصان الهلال في يوم صحْوٍ لا غيْمَ فيه والنفس طيّبة والعروق ساكنة"[1]، فلمّا مرضت أمّ جعفر بنت أبي الفضل أحضرت الأطبّاء فوصفوا لها الحِجامة في ساقَيْها، فاستدعت الحُسّاب ليختاروا لها يومًا تحتجم فيه[2]، وفي مواضع يُعَجّل في الحجامة فلا ينظُر إلى وقتٍ مفضَّل نظرًا لحالة المريض[3]، فقد خاف جبرائيل بنُ بختيشوع عن هارون الرّشيد، بعد أن جَسّ عرقه، فوجد نبضه خفِيًا، وقد كان قبل ذلك بأيّام يشكو امتلاء وحركة الدم، فقال لهم: "يموتُ والصّواب أن يحجم السّاعة"[4]، والعلاج بالحجامة ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة في عديد المواضع من كتابه[5].

ب- العلاجُ بالأغذيّة والأشربة:

اعتُبر السِّكَنْجَبِين[6] من أهمّ ما عالج به الأطبّاء الأمراض المختلفة، وهو الّذي يُمْزَجُ بالعسل[7]، ويعتمده الأطبّاء لبساطته، وحتّى غير المتمرّسين في الطبّ يعتمدونه[8]، والسِكنجبين نافعٌ من الصَرَع[9]، وذات الجَنْبِ، والمصاب بالحُمّى[10]، وغيرها، وقد ألّف الأطبّاء فيه مؤلّفات تخصّه هو وحده، كمقالة أبي يعقوب الأَهْوَازي "في أنّ السَّكَنْجَبِين البَزُوري أحرُّ من التِّرياق"[11]، وألّف الطبيب محمد بن زكريا الرازي مقالةً في السَّكَنْجَبِين ومنافعه ومضّارِه[12]، ولابن سينا رسالة في السَّكَنْجَبِين[13].

كما عُولج الصّحابيُّ سعدُ بنُ أبي وقّاص بتمرِ عَجْوة وحَلْبة طُبِخَا فتحسَّاهما فبَرِئ[14]، وعَرَض للوزير بالأنبار قولَنْج صعب فعالجه الطبيب صاعد بنُ بِشْر بنُ عبدوس بأن أعطاه كُوز ماء مثلوج فأعطاه

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص163.
[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص192.
[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص194، 243.
[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص194.
[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص216، 225، 236، 243.
[6] السِّكَنْجَبِين، معرَّب من الفارسيّة، شراب مركّب من"سِك" و"انْكبِين"أي خلّ وعسل، ويُراد به كلّ حامض وحُلو. أنظر، السيّد أدّى شير، الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين، (د.د ن)، بيروت، 1908م، ص92.
[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص256.
[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص352.
[9] الرّازي، الحاوي في الطبّ، ج1، ص100
[10] الرّازي، المصدر نفسه، ج2، ص89-515.
[11] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص322.
[12] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص426.
[13] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص458.
[14] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص161.

الوزير فقويّت في الحال نفسه، ثمّ استدعى فاصدًا ففصَده وأخرج له دمًا كثير المقدار[1]، وعرض للصاحب بن شُكْر، وزير الملك ألم في ظهره عن بردٍ فأتى إليه الأطبّاء فوصفوا له، مع جودة الأغذيّة بغلي يسير جندبيدستر مع زيت ويَدْهن به، وقال آخر دُهن بابُونَج، ومُصْطَكَى، ثمّ أحضر غاليّة ودُهن بأنْ فَحَل ذلك على النّار ودَهن به الموضع فانتفع به[2]، أمّا الحُمّى المثَلَثة وهي التي تأخذ غِبًّا؛ أي، يومًا بعد يوم، بأن يقتصر المريض بها على لُباب الخبز المغسول بالماء الحَار ثلاث غَسْلات، ثمّ يأكل اللُّباب إنْ كانت شهوته للطّعام ضعيفة وعلى المزورات من الطّعام مثل،الماس والقَرَع والسَّرْمَق[3] والخِيار، وما أشبه ذلك. إنْ كانت شهوته قويّة، وأنْ يرفع يده عن الطعام وهو يشتهيه[4].

وعُولج القُولَنْج الشّديد بذَرْق الحمام والملح[5]، وتمّ علاج الاسْتسْقَاء بعشبة المازَرْيُون[6]، كما تمّ الاهتداء إليها عند أكل جراد كان يرعاها فشُفِيّ المريض، وتنبّه طبيبه إلى أنّ العلاج كان بسبب العشبة الّتي رعاها الجراد[7]، وتمَّ علاج رجل مُنْزِف، كان يعرق دمًا في زمن الصّيف، بخبزِ شعيرٍ مع باذِنْجان مَشْوي وفَسَّرَ الطّبيب المعالِج لذلك بقوله: "إنّ دمَه قد رقّ ومسامه قد تفتَّحت وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام"[8]، ورجل وقع مغشيًا عليه بعد أن أكل المشمش بالخبز الحارّ، حتّى أُعتقد أنّه مات، فقام الطّبيب اليَبْرُودِي بفَتْح فمِه وسقاه شيئًا أو قال حقنه فاندفع ما هناك فسيل، فإذا الرجل قد فتح عينيه وتكلّم ورجع إلى حانوته[9]، وعالج آخر من انتفاخٍ وحرارةٍ وحُمْرةٍ أصابت وَجهه، حيث أَمَرَه أن يكشف رأسه ويَلقي به الماء الجاري مِن قناةٍ كانت بين يديه، وكان الزمان إذْ ذاك صميم الشتاء وغاية البرد، ثمّ لم يزَلْ واقفًا حتّى بلغ ما أراد ممّا أمر به، ثمّ أمر الرجل باستعمال النُقُوع الحامض مُبرَّدًا وقَطْع الزَّفَر[10].

---

[1]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص314.

[2]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص722.

[3] السَرْمَق، هُوَ القَطْفُ، وَكَانَت عَائِشَة تنْعَت سَلْق الْأَنْصَار للمحموم، وتقول: "هُوَ صَالح، وَكَانَت تَحْمِي الْمَرِيض". أنظر، عبد الملك بن حَبِيب (أبو مروان، بن سليمان بن هارون السلمي. ت238هـ)، العلاج بالأغذيّة والأعشاب في بلاد المغرب، تح: محمد أمين الضنّاوي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م، ص13.

[4]ابن أبي أصيبعة، امصدر السابق، ص250.

[5]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص209.

[6]المازَرْيُون أو الماذِرْيُون، كلمة فارسيّة، وهي اسمٌ لشجر، ورقُه كورق الزَّيْتُون، وزهرُه إِلَى الْبيَاض، لَهُ ثَمَر كالكَبَرَ. أنظر، مجموعة من المؤلّفين، المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، ج2، ص859.

[7]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص345، 346.

[8]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص350.

[9]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص613.

[10]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص613.

ونصح الطّبيب موفّق الدّين بنُ المِطران رجلًا أصابه فالجٌ بأن يأكل لحم الأفاعي، ففعل ذلك فصَحَّ[1]، وعالج رضِيّ الدين الرَحْبِي الصاحب صَفِيّ الدين بنُ شُكْر، وزير الملك العادل من الشُّحوب الّذي كان به، فوصف له أكل لحم الضّأن بدل لحم الدّجاج، فقام بذلك الوزير واستمرّ على ذلك مدّةً فصلُح لونُه واعتدل مِزاجُه[2]، وعَرض لأخت الملك العادل أبي بكر بن أيوب دُوسِنْطَاريا كَبِديّة، وصارت ترمي كلَّ يومٍ دمًا كثيرًا، فوصف لها مُهذِّب الدين، يوسف بنُ أبي سعيد بنُ خَلف السامري الكافور وسقاها مع حليب بِزْرِ بَقْلَة مُحمّصة وشراب رُمّان وصَنْدَل[3]، وتَستخدم مَرْقةَ الفَرُّوج للتّقويّة لمن به ضُعف[4]، ولمن به مرض المانْيَا وهو الجُنون السَّبْعي أن يُضاف إلى ماء الشّعير في وقت إسْقائه إيّاه مقدار متوفّر من الأَفْيُون[5]، فيصْلُح به[6].

ولا شكّ في أنّ العسل من أهمّ الأدويّة الّتي كان يُعالَج بها في المشرق الإسلامي، تُناسِبَ ما روي عن النّبي ﷺ أنّه جاء إليه رجلٌ من العرب، فقال" يا رسول الله. إنّ أخي قد غَلب عليه الخوف وداويناه ولم ينقطع عنه بشيءٍ"[7]، فقال له ﷺ: "أطْعِمْهُ عَسَلَ النَحْلِ"، فرَاح وأطعمه إيّاه فزاد الإسهال فأتى إليه وقال: "يا رسول الله كثُر الإسهال به مِنْ وقت أطعمتُه العسل"، فقال: "أطْعِمْهُ العَسَلَ"، فأطعَمه فزاد

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص656.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص613.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص721.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص732.

[5] الأفْيُونُ، عُصارةٌ ليّنة يُستخرج من الخُشخاش، ويحتوي على ثلاث مواد منوّمة منها، المورْفين، وقال ابن النّفيس: "إنّ الأَفيون دواءٌ مصريٌ يُتَّخذ بأرض مصر ... واتخاذُه هو من الخشخاش الأسود، وذلك على وجهين، الأوّل: تُجمع رؤوس ذلك الخشخاش وأوراقه، ويُعتصران باللّبوب المعمول لعصر ما يحتاج إلى عصره بقوّة، ثمّ تُؤخذ تلك العصارات وتُسحَق على صلاية، سحقًا مُحكمًا، ثمّ تُقرَّص وتُجفَّف في الشمس أنْ يُشرط رأس ذلك الخشخاش بسكّين ونحوها، شرطًا لا يبلُغ إلى حدِّ يخرق جِرْمَهَا، ثمّ يُشرَط من جانب هذا الرأس شرطًا آخر طولانيًا مستقيمًا، مبتدئًا من الشَّقِّ الأوّل، وذاهبًا على الاستقامة في طول رأس الخشخاشة، ثمّ يُؤخذ ما يخرج –حينئذ –من الصّمْغ، ويُجعل في صَدفه، ويُعاود ذلك مرارًا، كلّما حصل في ذلك الشّقّ شيءٌ من ذلك الصّمْغ أُخذ، وقد يُستمرُّ ذلك إلى اليوم الثاني، وإذا جُمع هذا الصّمغ جميعه، بُولغ في سحقِه على صلاية، ثمّ يُقرَّص ويُرفع، والمعمول على هذا الوجه أقوى قوّةً، وأجود من المعمول على الوجه الأوّل. أنظر، ابن النّفيس، الكامل في الصّناعة الطبيّة، ج2، ص503، 504.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص732.

[7] ورد هذا الحديث في صحيح البُخاري؛ حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: "اسْقِهِ عَسَلًا"، ثُمَّ أتاه الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: "اسْقِهِ عَسَلًا"، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: "اسْقِهِ عَسَلًا، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: "قَدْ فَعَلْتُ؟" فَقَالَ: "صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا" فَسَقَاهُ فَبَرَأَ. أنظر، البخاري (أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي)، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، ط5، دار ابن كثير، ودار اليمامة، دمشق، (1414هـ/1993م)، ج5، 2152.

الإسهال أكثر، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: "أطْعِمْهُ أيضًا عَسَلَ"، فأطعمَه أيضًا في اليوم الثالث فتَقاصَر الإسهال وانقطع بالكُلِيّة، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: "صدق الله وكذبتْ بطنُ أخيك"[1].

ت- المعالجةُ الطبيّة للجوانب النفسيّة:

لاحظ الأطبّاء المسلمين تأثيرًا للأوهام على حالة البدن، وأنّ مِزاج الجسم تابع لأخلاق النفس[2]، ولهذا كان من الضروري للطبيب أن يستمع للمريض وهو يصف عِلَله وأسبابها، وعملُ الطبيب يأتي لإزالة هذه العِلَل ليرفع الأوهام عن المريض والعمل على التقليل من شأن المرض، ومن الأمراض التي كانت تدخل في هذا المجال الوَسواس والمالِنْخُولِيا الذي يبدأ بظنٍّ رَدِيءٍ وخوفٍ بلا سببٍ وَسُرْعَة غضبٍ وحُب التخلّي واختلاج، ودُوَّار، وَسُوء الظَّن وَالْغَمّ والوَحْشة وَالكَرْب، وَبَعْضُهم يرى أنّ السماء تَسقطُ عليه، ومنهم مَن يرى الأرض تبتلعُه، ويخاف بَعْضُهم الجِنَّ، واللصوص، ومن السِّباع. ويتخيلون أمورًا بَين أَعيُنهم فيرَوْن أَنّهم صَارُوا ملوكًا أو سِباعًا أو شياطين أو طيورًا أو آلَاتٍ صناعيّة، ومنهم مَن يضحك، ومنهم مَن يبكي، وَمِنْهُم مَن يُحب الْمَوْت، وَمِنْهُم من يَبْغضُه[3]، وتدخلُ أغلبُها في دائرة الكآبة والحزن وَالْخَوْف والضَجَر، وبُغْض النَّاس، وحُبِ الخَلْوَة والضَجَر بِنَفسِهِ وبالنّاس[4].

الطّبيب الرّازي من بين الأطبّاء الذين تنبّهوا إلى أهميّة العامل النّفسي في العلاج، حيث يُعتبر من الأطبّاء الأوائل الّذين أشاروا إلى أهميّة العامل النفسي في العلاج، وتوصّل إلى أنّ التهاب المفاصل قد يكون نتيجة عوامل نفسيّة وهو الذي قال:" ينبغي للطبيب أن يُوهِم المريض بالصّحة، ويُرَجِّيه بها، وإن كان غير واثقٍ بذلك، فمِزاج الجسم تابعٌ لأخلاق النّفس"[5]، وفرَّق بين مرض التهاب المفاصل والنَّقْرس، وقرّر أنّه مرضٌ جسدي في ظاهره، إلّا أنّه ناشئ عن الاضطرابات النفسيّة، وأنّ أكثر مَن تظهر عليهم هذه الأعراض مِنْ أولئك الذين يَكْظِمون الغَيْظ، وبتراكُمه يتعرّضون لهزّاتٍ نفسيّة كبيرة؛ بل إنّه رأى أنّ كثيرًا من الهزّات النّفسيّة ترجع إلى بعض أنواع سُوء الهضم، وعَرف بدايات المالِنْخُولِيَا وتمام وقوعها، وقدّم نصائح لأصحاب هذا المرض، من ذلك السّفر إلى بلادٍ أخرى مغايِرة في المناخ، يقول: "أصحاب الأمراض

[1]ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص227.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص420.

[3] ابن سينا، القانون في الطبّ، ج2، ص106.

[4] الرّازي، الحاوي في الطب، ج1، ص62.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص420.

المزمنة يجب أن ينتقلوا من الأرض التي هُم بها، وأجْوَدُه أن ينتقلوا إلى هواءٍ مضادٍ لمزاجِ مرضهم، وذلك أنّ الهواء دائم اللقاء، فيكون لها كأنّه علاجٌ دائمٌ كلَّ وقتٍ"[1].

وألّف في ذلك بعض الكتب؛ "كتاب الطب الرَوْحاني"، ويُعرف أيضًا بـ"طِبِّ النّفوس"، غرضه فيه إصلاح أخلاق النفس وهو عشرون فصلًا[2]، مقالةُ في أنّ جُهّال الأطباء يُشدِّدون على المرضى في مَنْعهم من شهواتهم وإنْ لم يكنْ الإنسان كثيرَ مرضٍ جَهلًا وجُزافًا[3]، ومن الّذين كانت لهم علاجات نفسيّة؛ الطّبيب أوحد الزّمان أبو البركات هِبة الله بنُ مَلْكا، وهو الّذي ونجح في مداواة مريضٍ عجز الأطبّاء في وقته على معالجته[4]، ذلك أنّ مريضًا ببغداد كان قد عرض له عِلّة الماليِخُوليا، وكان يعتقد أنّ على رأسه دَنَا وأنّه لا يفارقه أبدًا، فكان كلّما مشى يتحايد المواضع الّتي سُقُوفها قصيرة، ويمشي برفقٍ ولا يترك أحدًا يدنو منه، حتّى لا يميل الدَن أو يقع عن رأسه، وبقي بهذا المرض مدّةً وهو في شدّةٍ منه، وحاول الأطبّاء علاجه فلم يفلحوا في ذلك[5].

ولمّا آل الأمر إلى الطّبيب أوحد الزّمان رأى ضرورة معالجته بالأمور الوهميّة، فقال لأهله إذا كنت في الدّار فأْتوني به، ثمّ أمر الطبيب أحد غلمانه بأنّ ذلك المريض إذا دخل إليه وشَرع في الكلام معه وأشار إلى الغلام بعلامة بينهما أنْ يُسارع بخشبة كبيرة فيضربَ بها فوق رأس المريض على بُعدٍ منه، كأنّه يريد كسْر الدن الذي يزعم أنّه على رأسه وأوصى غلامًا آخر وكان قد أعدّ معه دنا في أعلى السّطح أنّه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب المالِيخُوليا أن يرمي الدّن الذي عنده بسرعة إلى الأرض، ولما أتوْا به إلى دار الطّبيب، قال الطبيب أوحد الزّمان للمريض: "والله لا بدّ لي أن أكسر هذا الدُّن وأُريحك منه"، ثمّ أدار تلك الخشبة التي معه وضرب بها فوق رأسه بنحوِ ذراعٍ وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدّن من أعلى السطح، فكانت له جَلْبة عظيمة وتكسَّر قطعًا كثيرة، فلمّا عاين المريض ما فعل به ورأى الدّن المنكسِر تأوَّه لكسرهم إيّاه، ولم يشكّ أنّه الذي كان على رأسه بزعْمه، وأثّر فيه الوَهم أثرًا برِئَ من عِلّته تلك[6].

---

[1] الرّازي، الحاوي في الطب، ج7، ص421.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص421.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص422.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص374.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص421.

[6] نفسه.

ويفسّر هذا في علم النّفس الحديث، على أنّه هَلَاوِس وهي المدْرَكات الحِسيّة الخاطئة التي لا تنشأ عن موضوعات واقعيّة في العالم الخارجي؛ بل عن وضوح الخَيالات والصُوَّر الذهنيّة ونصوعها نُصوعًا شديدًا، حيث يستجيب لها المريض كواقعٍ بالفعل، وهذه الهلاوس تدخل ضمن الهلاوس البصريّة، واعتمد الطبيب أوحد الزمان في علاجها على العلاج بالإيحاء وهي طريقة تساعد المريض على تجاوز تخيُّلاته الخاطئة[1]، وهذا بابٌ عظيم في المداواة، وقد جرى أمثال ذلك لجماعة من الأطبّاء المتقدِّمين مثل، جالينوس وغيره في مداواتهم بالأمور الوهْميّة[2].

ومن ذلك أنّ الخليفة هارون الرّشيد كانت له جارية مريضة رفعت يدها فبقيّت منبسِطة لا يمكنها ردُّها فأتوْا بالأطبّاء يعالجونها بالتَمْرِيخ والإدهان ولا ينفع ذلك شيئًا، فقدِم الطبيب جبرائيل بن بختيشوع لمداواتها، فأراد أن يعالجها بحيلة، وهو أن يُزعِجها ويستفزَّها؛ كي تقوم بردّةِ فعلٍ تُحرّك فيها يدها، فطلب من الخليفة هارون الرّشيد أن لا يَسخَط عليه فأخرجها أمام النّاس وعَدَا إليها ونَكَسَ رأسه، ومسَك ذيْلَها كأنّه يريد أن يكشفها، فانزعجت الجارية ومن شدّة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤُها وبسطت يديها إلى أسفل، ومسكت ذيْلَها، فقال جبرائيل:" قد شُفيّت يا أمير المؤمنين"، فقال الرشيد للجاريّة: "أبسِطي يديْك يمنةً ويسرةً"، ففعلتْ ذلك[3].

ويوجَدُ من الأطباء مَن كانت له حيلة في التّعامل مع المريض، فلمّا اعترض المعتزّ بالله بن الخليفة المتوكِّل على الله، وهو في مرضه أن يأخذ الدّواء؛ قام بختيشوع بممازحَته، واستغلّ إعجاب المعتزّ بالله بالجُبّة التي كان يلبسها بختيشوع، وهو يُغْريه بها مقابل أكلِه لتفاحتين، وأخْذِ الدّواء، قال ابن أبي أُصَيْبِعَة :"...فدعَا بتفاحٍ فأكل اثنتين، ثمّ قال له: تحتاجُ يا سيّدي الجُبّة إلى ثوبٍ يكون معها وعندي ثوبٌ هو أخٌ لها فاشْرَبْ لي شَرْبَة سكَنْجَبِين وخُذْه، فشرب شَرْبَة سكَنْجَبِين ووافق ذلك اندفاع طبيعته فبَرأ المعتزّ، وأخذ الجبّة والثّوب وصلُح من مرضه فكان المتوكّل يشكر هذا الفعل أبدًا لبختيشوع"[4]، ولهذا يجب على الطبيب أن يُداري المريض الجاهل حتّى يحمِلَه على قَبول المداواة.

وفي مواقف أخرى يُصِرُّ المريض على أكل وجباتٍ تضرُّ بصحّته، وهذا يستدعي دهاء الطّبيب وذكائه، ومما ورد عن الرّازي قوله بأنّ النّاقِهون من المرض إذا اشتهَوْا من الطّعام وهو ممّا يضرُّهم وجب على

[1] خالد أحمد حربي، علوم حضارة الاسلام ودورها في الحضارة الإنسانيّة، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الدوْحة، (1425هـ/2005م)، ص140.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص421.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص188.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص206.؛ القفطي أخبار العلماء باخبار الحكماء، ص ص 82، 83.

الطّبيب أن يحتال في تدبير ذلك الطّعام وصَرْفِه إلى كيفيّة موافقة، وأن لا يمنعهُم ما يشتهون بتّة[1]، كما يجب على الطّبيب أن يوهم المريض بالصحّة ويبعث فيه الأمل[2]، كما قدّم ابن أبي أُصَيْبِعَة صورةً أخرى عن الأمور النّفسانيّة وأثرها على صحّة المريض؛ فعلى لسان الطّبيب محمد التّميمي ذكر خبرًا عن والده مِن أنّه أفْرط في السُّكْرِ مرّةً، فغَلب فيه على عقله فسقَط من موضعٍ عالٍ، فلمّا أصبح قام وهو يجدُ ألمًا ووَهَنًا في جسده، ولا يعرف سبب ذلك، فركب وتصرَّف في بعض أموره إلى أن اتّضح النّهار وهو لا يعلم، حتّى أُعلم أنّه سقط، وأَرَوْهُ الموضع الذي سقط منه، عاوده الألم، وحدث به للوقت من الوجَع والضَّرَبَان ما لم يجد معه سبيلًا إلى الصّبر، وصار يضجُّ ويتأوَّه، إلى أن أحضروا له الطبيب ففَصده، وشدَّ على مفاصِله المتوَهِّنة جبارا، فأقام أيّامًا كثيرة إلى أن بَرأ، وزال عنه الوجع[3].

أورد ابن أبي أُصَيْبِعَة قِصصًا، مبرزًا العامل النّفسي الذي يلعبه الخوف بالمريض، فهو يزيد خفقان القلب والآلام، فبعْض التُّجار كانوا في سَفرٍ، ونام أحدهم في مكانٍ بالطّريق، ورُفقتُه جلوسٌ فخرجتْ حيَّة من بعض النّواحي وصادفتْ رجله ونهشتْهُ فيها وذهبتْ، وانتبه مرعوبًا من الألم وبقيّ يُمسك رجْله ويتأوَّه منها، فقيل له: "لا تخَفْ. قد صادفتْ رجلُك شوكةً في هذا الموضِع الّذي يوجعُك، وأظهرَ أنّه أخرجَ الشّوْكة، وقال ما بقيّ عليك بأسٌ، فتسَاكَنَ عنه الألم بعد ذلك، ورحلوا، وبعد عودهم بمدّة، وقد وصلوا إلى ذلك المكان، قال له صاحبُه: "أتدري ذلك الوجَع الذي عَرَض لك في هذا الموضع مِن أيِّ شيءٍ كان؟"، فقال: "لا". قال: "إنَّ حيّةً ضربتْك في رجلك ورأيناها وما أعلمناك"، فحدث له للوقت ضَربان قويٌّ في رجله، وسَرى في بدنه إلى أن قرُب من قلبه وعَرض له غشي، ثمّ تزايدَ به إلى أن مات[4].

ويرجع ابن أبي أُصَيْبِعَة ذلك إلى أنّ الأوهام والأحداث النّفسانيّة تؤثّر في البدن أثرًا قويًّا، فلمّا تحقَّق أنّ الآفة التي عَرضت له كانت من نهشة الحيّة تأثّر من ذلك وسرى ما كان في ذلك الموضِع من بقايا السُّمّ في بدنه ولما وصل إلى قلبه أهلكه[5]، كما اعتمد بعض الأطباء على صناعة الموسيقى، وقد قام الطّبيب الفارابي بصُنع آلة غريبة يستمعُ منها ألحانًا بديعة يُحرِّك بها الانفعالات وتساعدُ في تهدئة النفس[6].

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص420.

[2] نفسه.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص547.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص548.

[5] نفسه.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص604.

ث- المعالجةُ بطُرقٍ أخرى:

عُدَّ الحمَّام من بين أهمّ الطرق العلاجيّة لكثير من الأمراض، ووضعوا شروطًا له من ذلك، ما قاله الطبيب الحارث بنُ كِلدة في الحمّام، حين سأله كسرى عن دخول الحمّام، فقال:" لا تدخلُه شبعانًا"[1]، وقال أيضًا:"ودُخول الحمّام على البِطْنة من شرِّ الدّاء، ودَخْلةٌ إلى الحمّام في الصيف خيرٌ من عَشْرٍ في الشتاء"[2]، وأوصى الطبيب تِياذوق الحَجَّاج بقوله: "وخُذْ من الحمَّام قبل أن يأخُذ منك"، وقال أيضًا له:" أربعةٌ تهدمُ العُمْرَ، وربّما قَتلْنْ، وذكر منها دخولَ الحمَّام على البِطنة"[3]، حيث يعالج العديد من الأمراض[4]، وقد أحالنا ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى أنّ الحمَّام كان أحد الطرق العلاجيّة[5]، ويصف كيفيّة تعامُله مع الحمَّام؛ كان حُنين في كلّ يومٍ عند نزوله من الركوب يدخل الحمَّام فيصُبُّ عليه الماء، ويخرجُ فيلتفُّ بقطيفةٍ وقد أَعدَّ له هنّاب من فضّة، فيه رطلُ شراب، وكعكة مَثْرُودة فيأكلها ويشرب الشّراب ويطرح نفسه حتّى يستوفي عرَقه"[6].

وعلى الرّغم من فائدة الحمَّام إلّا أنّ المبالغة فيه تعدّ خطرًا، ومن المرضى من لا يحتملُ في الحمَّام لعدم ملائمة مرضه للحمَّام، وقد تمّ التّدبير لقتل الخليفة أبا المظفّر يوسف المستنجد بالله، بأنْ ألحَّوا عليه الحمّام، لأنّه رفض دخوله، لعلمه بضُعف بدنه، فقام قَتلَتُه بالضغط على الطّبيب فأدخلوه الحمّام وقد كان أوْقَد عليه ثلاثة أيّام بلياليهنْ، وردُوا عليه باب الحمّام ساعةً فمات[7]، وقد أُلِّفت عدّة كتب تتحدّث عن الحمّام؛ من ذلك أنّ ليوحنا بن ماسويه كتابٌ في دُخُول الحمَّام ومَنَافِعها ومَضرّتها[8]، ولعيسى بن ماسة رسالة في استعمال الحمّام[9].

ومن الطّرق العلاجيّة أيضًا نجد لِمَن به الصّداع غسْل رجليه بماء حارٍّ ودهنهما، كما فعل الطبيب تِياذوق لمعالجة الحَجَّاج[10]، والعلاج بالدَّهن بماءِ الورد والخَلِّ، وغيرهما[11]، وبالكُحْل للعينين وغسلهما

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص163.
[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص165.
[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص179.
[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص138.
[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص590، 612، 654، 314.
[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص263.
[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص347.
[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص255.
[9] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص257.
[10] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص179.
[11] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص216.

وتجفيفهما[1]، كما تُداوَى العين بالحديد، وممّن بَرَزَ في ذلك الطّبيب سديدُ الدّين بنُ رقيقة بأنْ قَدَحَ أيضًا الماء النازل في العين، وكان المقْدَح الذي يُعانيه مجوَّفًا وله عَطْفَة ليتمكّن في وقتِ القَدح من امتصاص الماء ويكون العلاج به أبْلَغ[2]، ومن العلاجات ما جمعه الحكيم أبُقراط في قوله:" الجسد يعالَج جملةً مِنْ خمسةِ أضْرُبٍ؛ ما في الرأس بالغَرْغَرَة، وما في المعدة بالقَيء، وما في البدن بإسهالِ البطن[3]، وما بين الجلدين بالعَرَق، وما في العُمق وداخل العروق بإرسال الدم"[4].

مرض الخليفة الناصر لدين الله في سنة(598هـ/1202م) مرضًا شديدًا، وكان المرض بالرَمل فعرض له في المثانة حصاة كبيرة مُفْرَطة في الكِبَر، واشتدّ به الألم، وطال المرض، فأُحضر أبو نصر بنُ المسيحي، وشرع في مداواته، فسقاه، ودَهن العضو بالأَدهان الملَيِنات، وقال له: "إنْ أمكن نُلاطف الأمر بحيث نُخرجُ هذه الحصاة من غيرِ بَطّ فهو المراد، وإنْ لم تخرج فذلك لا يفوتُنا، فلم يزل كذلك يومين وفي ليلة اليوم الثالث رَمى الحصاة، فقيل: إنّه كان وزنُها سبعةُ مثاقيل وقيل: خمسة، وقيل: إنّها كانت على مقدار أكبر نواةٍ تكون من نَوى الزيتون، وبرَأ وتتابَعَ الشفاء ودخل الحمَّام"[5].

وهناك طريقة أخرى تمثّلت في الحِمْيّة، عرّفها الطبيب الحارث بنُ كِلدة في قوله: "الحِمْيّة هي الاقتصاد في كلّ شيء، فإنّ الأكل فوق المقدار يُضيّقُ على الرّوح ساحَتَها ويسدُّ مسامَها"[6]، ومنهم مَن كان يرى أنّ الحِمية هي اجتنابُ الأطعمة الرديئة، ومِن الأطبّاء رأى أنّ مِن المصلحة ألّا يمتنعَ عن الطعام، فالأصلح للأبدان تمرينها على أكل الأغذيّة الرديئة حتّى تأْلَفَها، بشرط ألّا يكثُر منها بأنْ يأكل منها في كلِّ يومٍ شيئًا واحدًا، ولا يجمع أكلَ شيئين رديئين في يومٍ واحد، وإذا أكل مِن بعض هذه الأشياء في يومٍ، لم يعاود أكلَه في غدٍ ذلك اليوم[7]، ولذلك نجد من الأطبّاء مَن يُحَذِّر من المبالغة في الحِمية، فقد ألّف أبو بكر الرّازي كتابًا في ذلك هو "كتاب في أنّ الحِمية المفرَطة والمبادَرة إلى الأدويّة والتّقليل من الأغذيّة لا يحفظُ الصِحّة بل يجلبُ الأمراض"[8].

[1]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص242، 738.
[2]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص704.
[3] بعض المواضع الّذي ذكر فيها المعالجات بالأدويّة المسهّلة. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص243، 275، 323، 733.
[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص52.
[5]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص404.
[6]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص164.
[7]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص190.
[8]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص422.

ونجد المريض يعاني بعض الشيء مع الحِمية، لرغبته في الأكل وعدم الصّبر عليها، وأحالَنا ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى محاورةٍ بين مريضٍ وطبيبٍ، يشكو المريض جُوعه، من ذلك ما كتبه نجم الدين أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الهَرْثي الشاعر الواسطي إلى طبيبه، وقد أَبَل من مرضٍ وأَلْزمه الحِمية ومَنَعه الغذاء:

صَبحْت فَخْرا بالمنَى واغْتَدَى ... قَدْرُك فَوْقَ النَّجْم مَرْفُوعـا

يَا مُنْقِذِي من حَلَقَاتِ الرَدَى ... حَاشَاكَ أَنْ تَقْتُلَنِي جُوعا

فكتب ابن البرْخشِي إليه الجواب:

تَبِعْتُ مَرْسُومَكَ يَا ذَا العُلَى ... لَا زَالَ مَرْسُومُـكَ مَتْبُـوعـا

لَكِن إشْفَاقِـي عَلى منْ بِه ... أَمْسَى غَرِيبَ القَوْل مَسْمُوعا

أَوْجِب تَأْخِيرا الغَـذَا يَوْمنَا ... وَفِـي غَـد نَسْتَـدْرِك الجُوعـا

أَصْبِر فَمَا أَقْصَـرَهَا مُدّة ... وَإِنْ تَلَـكَـأتَ فَـأُسْبُوعـا[1]

عند عجْز الطّبيب على مداواة مريضٍ مُصاب بعلّةٍ لم ينفع معه دواءٌ، ورأى عدم صلاحه، يَطْلِقُ له أَكْلَ ما يشاء فيُمكّنُه من شهواته[2]، وبادَر الأطبّاء لعمل التّرياق وصُنع الأدويّة المفْردة والمركَّبة، ومنهم من اختصّ في عمل الأدويّة كإسرائيل بنُ سَهْل الّذي كان خبيرًا بتركيب الأدويّة، وله كتابٌ مشهور في التِرياق، أجاد عملَه وبالغ في تأليفه[3]، والطّبيب أبو عبد الله، محمد بنُ سعيد التَميمي كانت له معرفة جيّدة بالنبات وماهياته والكلام فيه، وخبرةٌ فاضلة في تركيب المعاجين والأدويّة المفردة، واستقصى معرفة أدويّة التِرياق الكبير الفاروق وتركيبه، وركَّب منه شيئًا كثيرًا، على أتمِّ ما يكون من حُسْن الصَّنْعة[4]، وأُلِّفت كتبٌ في الأدويّة، وبيَّنت كيفيّة عملها فكتاب تِياذوق يبيّن فيه كيفيّة إبدال الأدويّة ودقِّها، وإيقاعِها وإذابتها، وشيءٌ من تفسير أسماء الأدويّة[5]، والأدويّة المشهورة هي الّتي تؤدّي إلى الإسهال والمعروفة بالأدويّة المسهِّلة[6]، ومن الأدويّة الّتي وُصفت دواءٌ فيه شحمُ الحَنْظَل وسَقْمُونْيا كمثال[7].

[1]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص346.

[2]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص345.

[3]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص230.

[4]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص546.

[5]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص181.

[6]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص140، 255، 276، 566.

[7]ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص208.

أمّا عن التّشريح فلم نجد ابن أبي أُصَيْبِعَة يحيلنا إلى معلوماتٍ تفيد بذلك، باستثناء ما كان يذكر من تأليفات في التّشريح[1] أو ما ذكره عن قصّةٍ مفادها أنّه في سنة(221هـ/836م) أُهْدِيَ للخليفة المعتصم قردٌ مِنْ ملك النُوبة، فأرسل الخليفة ذلك القرد إلى طبيبه يوحنا بن ماسويه، وطلب منه أن يزوّجَه لقِرْدته "حَمَاحِم" كان يُرَبّيها الطّبيب يوحنا، ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة:" فوجَم لذلك-أي، يوحنا-، ثمّ قال للرسول: "قل لأمير المؤمنين اتِخاذي لهذه القِردة غيرَ ما توَهمَه أمير المؤمنين، وإنّما دبَّرتُ تشريحها ووضْع كتاب على ما وضع جالينوس في التّشريح، يكون جمالُ وضْعي إيّاه لأمير المؤمنين، وكان في جسمها قِلّة تكون العروق فيها والأوراد والعَصب دِقَاقًا، فلم أطمَع في اتضاح الأمر فيها، مثل اتِّضاحه فيما عَظُم جِسمه، فتركتُها لتكبُر، ويغلَظ جسمها، فأمّا إذْ قد وافىَ هذا القردُ فسيعلمُ أمير المؤمنين أنِيّ سأضع له كتابًا لم يوضع في الإسلام مثله، ثمّ فعل ذلك بالقِرد فظهَر له منه كتابٌ حَسن استحسنَه أعداؤُه فضلًا عن أصدقائه"[2].

ونخلص بالقول أنّ العلاج يكون حسب نوع المرض، وقد أبدع الأطبّاء في المشرق الإسلامي من خلال ما ذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة من نوادر وحكايات لمعالجاتٍ طبيّة في جميع التخصّصات، وأبرزَ لنا أنواع كثيرة من العلاجات؛ العلاج بالأدويّة والأطعمة والأشربة، وكذا من خلال وصْف بعض الأدويّة، وباعتماد الفَصْد والحِجامة، وغيرها من الطرق العلاجيّة.

ثالثا: التّأليف الطبّي:

تأتي مرحلة التّأليف بعد تعلّم الطبّ، وبداية ممارسته، ومعرفة جميع الأمراض ومعالجاتها، واكتساب الخبرة في التّعامل معها، وباجتماع القدرة الممثّلة في المهارة العقليّة واليدويّة، لإبداع المؤلِّفِ في طريق تأليفه، حيث يتطلّب تأليف كتاب معرفة تامّة بمادَته، من خلال تجميع معلوماته أو تحليلها أو نقدها في علمٍ من العلوم، ويُعَرَّف المؤَلَّف على أنّه: "هو ما جَمعَ من أجزاءٍ مختلفة، ورتّب ترتيبًا قدَّم فيه ما حقّه أن يُقدَّم، وأخَّر فيه ما حقّه أن يُؤَخَّر"[3].

وممّا لا شكّ فيه أنّ الأطبّاء العرب وأبرزهم أطبّاء المشرق الإسلامي قد أبدعوا كلَّ الإبداع في مؤلّفاتهم الكثيرة، لذلك تعدُّ المؤلَّفات الطبّية من أهمّ المنجزات الحضاريّة والثقافيّة التي تركت بَصماتها في

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص325، 376، 421، 470، 695.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص250.

[3] الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بنُ محمد. ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشاميّة، بيروت، ط1، 1412م، ص81.

تاريخ الحضارة الإسلاميّة، فهي تمثّل بالنسبة للأطبّاء صورةً لعلومهم وإنجازاتهم التي وجَب حِفظها، وقد اتّصفت هاته المؤلّفات في المشرق الإسلامي حتّى أواخر القرن(7هـ/13م) بنزعتين الأولى، تتميّز بالمحافظة على القديم والاتّجاه إلى التّجميع والتّركيب والشّروح والتّفسير وشرح الشّروح والاختصارات، مع بروز الحِسّ النّقدي بالمراجعة والتّصحيح والتّعليق ونقد المحتوى، ونزعة ثانيّة، فيها التحرُّر والإبداع في التّأليف، ببروز ثمرةِ المنهج التّجريبي، منتجةً أعمال أصليّة ومبتكَرات لم يسبقهم إليها أحد.

وندرسُ التّأليف الطبّي في قسمين؛ من حيث الشّكل، ومن حيث مجال التّأليف، ففي مجال نوع المؤلَّفات نجد تنوّعًا كبيرًا كالكتب الطبيّة الموسوعيّة كالحاوي في الطبّ للرّازي، والقانون في الطبّ لابن سينا، وغيرها، ونجد أيضًا الكَنانيش[1]، واشتهر في تأليف الكَنانيش الأوائل من الأطبّاء؛ وممّن كان لهم هذا النوع من المؤلَّفات الطّبيب تِيّاذوق[2]، والطّبيب بختيشوع بنُ جُورْجس[3]، ومَاسَرْجَوَيْه[4]، وإسحاق بنُ حنين[5]، وغيرهم، والمقالات والرّسائل الصّغيرة، ونجد هذه المؤلّفات اختلفت في طريقتها، فمنها المختصرَات، والشّروح والتّفاسير، والجّوامع، والمسألة والجواب، والتّعاليق، والرّدود، وغيرها من المؤلَّفات باختلاف أشكالها وأنواعها.

1- التّأليفُ في الطبّ الوِقائي:

اهتمّ أطبّاء المشرق الإسلامي بالتّأليف في حفظ الصّحة وتدبيرها، فجالينوس كان من أوائل المؤلِّفين في هذا المجال في كتابه"كتاب الحيلة لحِفظ الصِّحّة" الّذي كان غرضُه فيه أن يُعلِّم كيفيّة حِفظ الأصحّاء على صحّتهم مَن كان منهم على غاية كمال الصّحّة، ومَن كانت صحّته تقْصُر عن غاية الكمال، ومَن كان منهم يسير بسيرة الأحرار، ومَن كان منهم يسير بسيرة العبيد[6]، ومِن المؤلّفات في هذا المجال، كتابٌ ليوحنا بن ماسويه، بعنوان " تدبير الأصحّاء"[7]، وكتابٌ في تدبير الأصحّاء بالمِطْعم والمِشرب، لحنين بن إسحاق، كما فسَّر كتاب "حفظ الصّحّة" لرُوفس، ومقالة تتعلّق بحفظ الصّحّة، وله كتابٌ في

[1] كُنّاش، وكُنَّاشَة (آراميّة، ومعناها مجموعة) وجمعُها "كَنَانِيش": مجموعةُ ملاحظات طبيّة يُطلق عليها باللاتينيّة القديمة، اسم "بَنْدريكْتَا Pendectoe"، وهي مجموعة ملاحظات في مزايا النباتات، وكذلك تُطلَق كلمة كُنَّاش على البحوث التي تَتَعلّق بكُلِّ ما يخصّ الطّب على نحوٍ عام". أنظر، رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، ج9، ص153.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص181.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص187.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص234.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص275.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص144.

[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص255.

"حفظ الأسنان"[1]، ولإسحاق بن حُنين مقالة في الأشياء التي تُفيد الصّحّة والحِفظ[2]، وتمنع من النّسيان[3]،وليعقوب بن إسحاق الكِندي "رسالةٌ في تدبير الأصحّاء"[4]، ولأحمد بن محمد البَلْدِي من الكتب، كتاب تدبير الحُبالَى والأطفال والصبيان وحِفظ صحّتهم ومُداواة الأمراض[5].

ولابن جَزْلَة من الكتب "كتاب الإشارة في تلخيص العبارة وما يُستَعْمَل من القوانين الطبّيّة في تدبير الصّحّة وحِفظ البَدن"[6]، ولابن رَبن الطبّري كتاب حِفظ الصّحّة[7]، وللرازي كتاب، في أنّ الحِمْية المفْرَطة والمبادَرة إلى الأدويّة والتّقليل من الأغذيّة لا يحفظ الصّحّة؛ بل يجلب الأمراض[8]، وفي مصر ألَّف علي بن رضوان مقالة فيٍّ حفظ الصّحّة، وله فوائد علقها من كتاب تدبير الصّحّة لجالينوس[9]، وقد ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة على لسانه بعضًا من الأمور التي كان يحفظُ بها صحّته «ومن الرياضة التي تحفظ صحّة البدن وأغْتذِي بعد الاستراحة من الرياضة غذاءً أقصدُ به حفظ الصّحّة[10]، وألَّف ابن الهيثم أيضًا "كتاب في حفظ الصّحّة"[11].

وعلى نفس المنوال أطبّاء الشّام قد ألّفوا في حفظ الصّحّة والطبّ الوِقائي، على غِرار رشيد الدين أبي حليقة الّذي ألّف مقالة في حفظ الصّحّة[12]، ولموفّق الدّين بن المطران المقالة النّاصريّة في حفظ الأمور الصّحّيّة، قال عنها ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّه: "قصَد فيها الإيجاز والبلاغ، وقد رتَّبها أحسن ترتيبٍ، وجعلها باسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب"[13]، وتشتمل هذه المقالة على خمسةِ فصول؛

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص273، 274.

[2] يجمع الطّبيب عُبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع حفظ الصّحّة في تقدير أسبابٍ ستّة، متى قُدِّرت حَفَظت الصّحّة وأبْقَتْها، ومتى اضطربت وجرت على غير تقديرٍ جلَبتْ المرض، وأحدثته، وهذه الأسباب هي: الهواء المحيط بنا، وما يُؤكَل ويُشرب، والنّوم واليقظة، والحركة والسّكون، والاختقان والانبعاث، والأحداث النّفسانيّة. أنظر، عُبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع، الرّوضة الطبيّة، تصحيح: القس بولس سباط، (د.ط)، المطبعة الرحمانيّة، مصر، 1927م، ص ص65، 66.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر السّابق، ص275.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص291.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص333.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص343.

[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص414.

[8] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص422.

[9] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص566.

[10] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص562.

[11] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص557.

[12] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص597.

[13] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص658.

الأوّل في الرّياضة، والثّاني في الاستحمام، والثّالث في المِطْعَم والمِشْرَب، أمّا الرّابع ففي النّوم واليقظة، والخامس في الجِماع[1]، وألّف الطّبيب ابن القَف تلميذ ابن أبي أُصَيْبِعَة هو الآخر في الطبّ الوقائي كتابًا عنوانه "جامع الغَرَض في حفظ الصّحّة ودَفْعِ المرض"[2]، جعله في ستّين فصلًا، امتاز بالشموليّة والدّقّة ووفْرة المعلومات[3].

2– التّأليف في طبّ العيون:

حفظ لنا ابن أبي أُصَيْبِعَة في كتابه أهمّ المؤلّفات التي ظهرت في مجال الكَحّالة، وطبّ العيون، وبما أنّه كان طبيب عيون، كان يُنتظَر منه معلومات أكثر فيما يخصّ طبّ العيون، وجاءت المعلومات الخاصّة بها قليلة، فيذكر الأطبّاء الّذين اشتهروا بالكُحْل ويذكر مؤلّفاتهم، على أنّ أغلب الأطبّاء باختلاف تخصّصاتهم عرفوا الكُحْل ومداواة العين[4]، فمن المؤلّفات في طبّ العيون، رسالةٌ في عَصَب العين، لجبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع[5]، وكتابٌ في العين، لماسرجويه[6]، أمّا يُوحَنا بن مَاسَوَيْه فله من الكتب "كتاب معرفة مِحنة الكَحّالين" وهو، كتابٌ على طريقة المسألة والجواب، و"كتابُ دَغَل العين"[7]، وهذا الأخير اعتُبِر مِن أهمّ الكتب التعليميّة في طبّ العين، يحتوي على سبعٍ وأربعين فصلًا[8].

أمّا حُنين بن إسحاق فله من المؤلّفات الكثير، إلّا أنّ أشهرهم "كتاب العَشرِ مقالات في العين" قال عنه ابن أبي أُصَيْبِعَة، هذا الكتاب يوجد في مقالاته اختلافٌ بعضُها توجدُ مختصَرة موجَزة في المعنى، والبعض الآخر قد طَوَّل فيه وزاد عمَّا يوجِبُه تأليف الكتاب[9]، وذكر أغراض المقالات التي يضمُّها الكتاب[10]، قال حنين في مقدِّمة كتابه: "إنّه ينبغي لمن أراد معرفة علاج عِلَل العين أن يكون بطبيعتِها

---

1 ناصر بن محمد علي الحازمي، **الحركة العلميّة الطبّية في الشام زمن الحروب الصليبيّة**، ص355.

2 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص768.

3 ناصر بن محمد علي الحازمي، المرجع السابق، ص356.

4 ابن ابي أصيبعة، المصدر السابق، ص 580، 581، 582، 585، 586، 599، 628، 630، 672، 728، 736.

5 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 214.

6 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص234.

7 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص255.

8 شأت الحمارنة، **تاريخ أطبّاء العيون العرب**، ص ص46، 47.

9 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص271.

10 المقالة الأولى، ذكر فيها طبيعة العين وتركيبها، والمقالة الثانيّة، ذكر فيها طبيعيّة الدماغ ومنافعه، المقالة الثالثة، ذكر فيها العصب الباصر، والروح الباصر، وفي نفس الأبصار؛ كيف يكون؟، والمقالة الرابعة، فيها جُمل الأشياء التي لا بدّ منها في حفظ الصّحّة واختلافها، المقالة الخامسة، ذكر فيها أسباب الأعراض الكائنة في العين، المقالة السادسة، في علامات الأمراض التي تحدُث في العين، المقالة السّابعة، ذكر فيها قِوى جميع الأدويّة عامّةً، المقالة الثّامنة، ذكر فيها أجناس الأدويّة للعين خاصّة وأنواعها، المقالة التاسعة، ذكر فيها مداواة أمراض العين، المقالة العاشرة، في الأدويّة المرَكّبة الموافقة

عارفًا، وذلك لأنّ نفي الآلام والعِلَل عن كلّ عضوٍ إنّما يكون بردِّه إلى طبيعته الّتي خرج عنها، ومعرفة طبيعة كلُّ ما هو مركَّب إنّما تكون بإحكامِ معرفة الأجزاء التي هو منها مؤلَّف ... وأنا مؤلِّفُ لك كتابًا كما سألتَ أجمعُ لك فيه باختصارٍ جميع ما قدمتُ ذِكره، على ما بيَّنه وشرَحه جالينوس الحكيم، بأوْضَح ما أقدرُ عليه من القول وأوْجزِه"[1].

ومن كتبه أيضًا "كتاب في العين على طريق المسألة والجواب"، في ثلاث مقالات، ألّفه لولَديه داود، وإسحاق وهو مائتان وتسع مسائل[2]، وله مؤلّفات أخرى، ولم يقُمْ بالتعليق عليها أو شرْحِ فَحْواها من ذلك "مقالة في تقاسيم عِلَل العين"، وله أيضًا كتاب "اختيار أدويّة عِلل العين"[3]، ومن الكتب أيضًا في طبّ العيون "كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعِلَلها ومداواتها"[4] لأبي الحسن ثابت بن قُرّة الحرّاني[5]، وتعاليق في العين لأبي الفَرَج بن الطيِّب[6]،

ويعدّ كتاب "تذكرة الكَحّالين ثلاث مقالات" لعلي بن عيسى (ت 401هـ/1011م)[7] من أبرز الكتب على الإطلاق، فلا بدّ من حِفظه لكلّ مَن أراد تعلُّم صناعة الكُحل، وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التي قد أُلّفت في هذا الفنّ[8]تتكون المقالة الأولى من واحد وعشرين فصلًا تناول فيها تشريح العين ووظائفها، أمّا الثانيّة فتبدأ بدراسة الأمراض في أربعٍ وسبعين فصلًا، في حين جاءت الثالثة مكمِّلة للمقالة التي قبلها في سبعٍ وعشرين فصلًا[9]، وذكر في هذا الكتاب مائةٍ وثلاثين مرضًا من أمراض العين[10].

لعِلل العين، وذكر ابن أبي أصيبعة أنّه وجد مقالةً أخرى حاديّة عشرة، لحُنين، مُضافة إلى هذا الكتاب ذكر فيها علاج الأمراض التي تعرَض في العين بالحديد». أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص271، 272.

1 حُنَيْن بن اسْحَاق، العشر مقالات في العين، ص71.

2 هناك مَنْ قال أنّه يحتوي على مائتين وسبع عشرة مسألة مع أجوبتها، وهو موضوعٌ للمتعلّمين. أنظر، نشأت الحمارنة، المرجع السابق، ص57.

3 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص273.

4 منهم، مَن ينفي نسبة الكتاب لثابت بن قُرّة الحرّاني. أنظر، المرجع السابق، ص63 وما بعدها.

5 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ص299.

6 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص325.

7 وقيل: "اسمه عيسى بنُ علي"، توفيّ سنة(430هـ/1039م). أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص333.؛ رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص209.

8 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص333.

9 نشأت الحمارنة، المرجع السابق، ص ص61، 62.

10 رحاب خضر عكاوي، المرجع السابق، ص209.

وجمع كلّ ما كُتِب في طبّ العيون؛ إذ أنّه لما اخْتفتْ الكتب اليونانيّة، كان هذا الكتاب تعويضًا صادقًا، وكفوًا لتلك الكتب المفقودة، حيث احتوى معلومات المصادر القديمة والحديثة، ممّا حصّله من خبرتِه وبحوثه في الصناعة، حتّى قيل عن الكتاب، أنّه لازِمٌ لكلّ طبيب عيون، وقيل عنه أيضًا، أنّه كتابٌ مانعٌ جامعٌ، وخالٍ من عيوب الكتاب القدماء، محتوٍ على تجاربٍ لم تكن معروفة عند الأطباء قبله[1].

وعلى نفس المنوال نجد الطبّيب عمار بن علي المَوْصِلي يؤلِّف كتابًا بعنوان "المنتَخَبُ في علم العين وعِلِلها ومداواتها بالأدوية والحديد"[2]، وألّف خَلَف الطّولُوني من الكتب "كتاب النّهاية والكِفاية في تركيب العينين وخِلقتهما وعِلاجهما وأدويتهما" فرَغ منه في سنة(302هـ/915م)[3]، ولزاهد العلماء أبو سعيد منصور بن عيسى كتاب في "أمراض العين ومداواتها"[4]، وصنّف أعْيُنْ بنُ أَعْيُن كتابًا هامًّا سمّاه "كتاب في أمراض العين ومداواتها"[5]، ولأبي علي بن مَنْدَوَيْه الأَصفهاني (ت410هـ/ 1020م) رسالتان في الطبّ؛ الأولى في "تركيب طبقات العين"، والثانيّة في "علاج انتشار العين"[6]، ويقصد بانتشار العين اتساع الحَدَقَة، فعدَّهُ العرب من الأمراض لا الأعراض، وميَّزوا بين اتساع الحدقة الخُلُقي، واتساع الحدقة العارِض القابل للمعالجة[7].

أمّا موسوعيّة الطبيب الرّازي فقد شملت فروع عدّة من الطبّ، ومن ذلك أمور العين والكَحّالة؛ فقد ألّف كتاب "في كيفيّة الإبصار" بيَّن فيه أنّ الإبصار ليس يكون بشُعاعٍ يخرج من العين، وينقُض فيه أشكالًا من كتاب أقليدس في المناظِر[8]، وله "كتاب في هيئة العين"، وله أيضًا "رسالةٌ إلى تلميذه يوسف بن يعقوب في أدويّة العين وعلاجها ومداواتها وتركيب الأدويّة لِما يحتاج إليه من ذلك"، وله "مقالة في علاج العين بالحديد"[9].

---

1 كمال السامرّائي، مختصر تاريخ الطّب العربي، ص520.

2 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص549.

3 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص544.

4 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص341.

5 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص546.

6 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص460.

7 نشأت الحمارنة، المرجع السابق، ج2، ص23.

8 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص422، 423.

9 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص427.

3- التّأليف في الأدويّة المُفْرَدة والمُرَكَّبَة والصّيدلة[1] والعقاقير:

صنّف المسلمون في جميع فروع الطبّ، من ذلك ما ارتبط بالأدويّة والعلاجات، حيث تجتمع الصيدلة بالطبّ؛ إذ نجد أنّ أغلب الأطبّاء كانوا يُعِدّون أدويتهم بأنفسهم، حسب معرفة كلٍّ واحدٍ منهم وتجربته الخاصّة، والدليل على ذلك المؤلّفات الكثيرة التي وضعها الأطبّاء في هذا المجال، وقد عُرِّفت الصّيدلة على أنّها فنّ علمي يبحث في أصول الأدويّة، باختلاف نوعها، نباتيّة كانت أم حيوانيّة أم معدنيّة[2]، من حيث التركيب والتحضير ومعرفة خواصِّها الكيمائيّة والطّبيعيّة، وتأثيرها الطبّي وكيفيّة استحضار الأدويّة المركّبة منها[3]، والصّيدلاني كما يقول البّيروني: "المحترِفُ بجمع الأدويّة على أحمد صُوَّرِها واختيار الأجْوَد من أنواعها، مُفرَدة أو مُركَّبة، على أفضل التراكيب الّتي خلّدها مُبَرِّزُو أهل الطبّ"[4].

ومن المصطلحات المرتبطة بالصّيدلة والأدويّة الأَقْرابَاذِين الّذي يُقْصد به علم تركيب الأدويّة[5]، والعقاقير التي مفردها عُقّار بالضمّ لا بالفتح، وأصل الكلمة عِبري آرامي، يعني "أصول النبات"، ثمّ دلَّت على جميع أجزاء الأعشاب المستعمَلة للعلاج، ثمّ ضمِنت الأدويّة الحيوانيّة والمعدنيّة[6]، والمتّتبع لمؤلّفات المسلمين في هذا المجال يجد أنّ العرب اهتمّوا بترجمة وتفسير وشرح كتب اليونانيّين عن الصيدلة، ثمّ طوَّروا من هذا العلم فعايَنوا النّبات وشاهدوه في مواضعه، وقاموا برسْمه في جميع مراحله، ومن خلال هذه الجداول أحاول إحصاء ما ألّفه الأطبّاء في هذا المجال، بناءً على ما ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه، معتمدا على عناوين الكتب الدّالة على ذلك، لأنّ أغلب الكتب الطّبيّة ذُكرت في أبوابٍ ومقالاتٍ منها أو أثناء ذِكرها للأمراض والأدويّة، باختلافها المفْرَدة والمركَّبَة:

---

[1] الصّيدلة، لفظٌ مُعرّب؛ وأصله هندي، جاء للعرب من الفرس، وذلك من جَنْدل أو جَنْدَن، حيث قُلبت الجيم صادًا، فأصبحت صَندل أو صَندن، ويؤيّد ذلك البَيرونى، حيث ذكر أنّ الصَّيدلاني والصَّيدنانى معرّب، من جَنْدَلانى أو جَنْدَنانى، والصّيدلة، علمٌ يُبحَثُ فيه للتمييز بيمن المتشابهات من النباتات، بحيث أنّها هِنْديَّةٌ أو صينيَّةٌ أو رُوميَّةٌ، وعن معرفة زمانها؛ صيفيّة أو خَريفيّةً، وعن تميُّز جيّدها من الرّديء، وعن معرفة ماهيّتها وخواصّها. والغَرَضُ والفائدة منه ظاهر، والفرق بينه وبين علم النّبات أنّ علم الصّيدلة باحثٌ عن تمييز أحوالها أصالة، وعلمُ النَّبات باحثٌ عن خواصِّها أصالةً، والأوّل أشبه للعمل، والثاني للعِلم، وكلٌّ منهما مشترَكٌ للآخر. أنظر، محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطبّ والصّيدلة عند العرب، (د. ط)، المنظّمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم، (د. ت)، ص271؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: إكمال وبشّار عوّاد، ج4، ص577.

[2] أحمد إسماعيل الجبّوري وخولة محمود الصميدعي، المرجع السابق، ص152.

[3] شحاتة قنواتي، الصيدلة والعقاقير، ص11.

[4] شحاتة قنواتي، المرجع نفسه، ص12.

[5] الأَقْرَابَاذين، مصطلحٌ استعمله العرب للدلالة على الأدويّة المركّبة أو تركيب الأدويّة، واللّفظ ليس بعربي أصلًا، وقيل بأنّه من أصل فارسي جاء من اللّفظ كَرْبدن، ولقد سمّي الطّبيب سَابُور بن سَهل، رئيس المدرسة الطّبيّة في بغداد، وأوّل مَن ألّف أَقْر باذين في عهد العباسيّين كتابه كرابادن. أنظر، محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطبّ والصّيدلة عند العرب، ص273.

[6] محمد كامل حسين، المرجع نفسه، ص272.

الطّبيب	مؤلّفاته في مجال الأدويّة والصّيدلة (عددها على الأقلّ، مع ذكر نماذج).	الصّفحة
تِياذُوق	كتاب إبدال الأدويّة وكيفيّة دَقِّها وإيقاعها وإذابتها.	181
سَابُور بنُ سَهْل	أربعة كتب من أهمّها، كتاب الأَقراباذين الكبير المشهور[1].	230
إسْرَائيل بنُ سَهْل	له كتاب مشهور في التّرياق.	230
يُوحَنَّا بنُ مَاسَوَيْه	كتاب في تركيب الأدويّة المسهِّلة وإصلاحها، وكتاب في ترتيب سقيْ الأدويّة المسهِّلة.	255
حُنَيْن بنُ إسْحَاق	ثمانيّة كتب منها، كتاب في أسماء الأدويّة المفرَدة على حروف المعجم.	271–272
إسْحَاق بنُ حُنَيْن	ثلاثة كتب، ككتاب الأدويّة المفردة.	275
حُبَيْشُ بنُ الأَعْسَم	كتاب إصلاح الأدويّة المسهِّلة، كتاب الأدويّة المفردة، كتاب الأغذيّة.	276
ابنُ صَهَار بَخْت.	كتاب قِوَى الأدويّة المفردة.	278
يَعْقُوب بنُ إسْحَق الكِنْدِي.	كتاب الأدويّة الممتحَنَة، كتاب الأقراباذين وجوامع كتاب الأدويّة المفردة لجالينوس.	291
أَبُو الحَسَن ثَابِت بنُ قُرَّة الحَرَّانِي.	جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس وجوامع كتاب جالينوس في الأدوية المنقية	298، 299
أَبُو يَعْقُوب الأَهوَازِي.	مقالة في أنّ السَكَنْجَبين البزوري أحرّ من الترياق.	322
ابنُ بُطْلَان	مقالة في شرب الدواء المسهِّل، ومقالة في كيفيّة دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقيْ الأدويّة المسهِّلة وتركيبها.	328
ابنُ دِينَار	كتاب الأقراباذين.	329
إبْرَاهيم بنُ بُكْس	كتاب الأقرباذين.	329
أَحمَد بنُ أبِي الأَشْعَث	كتاب الأدويّة، وكتاب في القُولَنْج وأصنافه ومداواته والأدويّة النافعة منه، مقالتان وكتاب تركيب الأدويّة.	332
المقْبِلِي	مقالة في الشراب.	341

[1] جعله سبعة عشر بابًا وهو الّذي كان من المعمول عليه في البيمارستان ودكاكين الصيادلة، وخصوصًا قبل ظهور الأقراباذين الّذي ألّفه أمين الدولة بن التلميذ. أنظر، ابن ابي أصيبعة، المصدر السابق، ص230.

سَعِيد بنُ هِبَة الله	مقالة في صِفات تراكيب الأدويّة.	343
أَمِينُ الدَّولَة بنُ التِّلْمِيذ	أربعة كتب منها، أقراباذينه العشرين بابًا، وأقراباذينه الموجَز البَيْمَرسْتاني وهو، ثلاثة عشر بابًا.	371
أَوْحَدُ الزَّمَان	كتاب الأقراباذين ثلاث مقالات، ومقالة أخرى في الدّواء.	376
العَنْتَرِي	كتاب الأقراباذين استقصى فيه ذكر الأدويّة المركّبة.	399
ابنُ رَبْن الطَّبَرِي	كتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير.	414
محمّد بنُ زكريا الرَّازِي	عشرة كتب على الأقلّ منها؛ كتاب التقسيم والتّشجير[1]، وكتاب الجامع، في اثنيْ عشر قِسمًا[2]، وكتاب الأقراباذين المختصَر.	422–427
ابنُ سِينَا	كتاب الأدويّة القلبيّة.	457
أَبُو الرَّيْحَان البَيْرُوني	كتاب الصيدلة في الطبّ[3]	459
البَالسِي	كتاب التكميل في الأدويّة المفردة ألّفه لكافور الإخشيدي.	545
التَّمِيمِي	أربعة مؤلّفات منها، رسالة في صَنعة الترياق الفاروق والتنبيه على ما يغْلط فيه من أدويته، ونعْتِ أشجاره الصحيحة وأوقات جمْعِها وكيفيّة عَجْنِه وذِكر منافعه وتجربته.	548
ابنُ الهَيْثَم	كتاب في قِوى الأدويّة المفردة، وآخر في قِوى الأدويّة المرّكبة.	557
عَلِي بنُ رُضْوَان	خمس كتب منها، كتاب في عمل الأشربة والمعاجين.	566

[1]ذكر الباحث محمود الحاج قاسم، أنّ هذا النوع من التأليف "التّقسيم والتّشجير"، حيث تُستعمَل فيه الجداول، يعدّ أسلوبًا محبّبًا للأطبّاء العرب والمسلمين، خاصّةً في جانب التّعليم؛ لوضوحه وبساطته، وأنّ هذا النّوع من الكتب ليس خاصًّا فقط في التّأليف للأدويّة، وذكر العديد من المؤلّفات الطبيّة المختلفة كُتبت بهذا الشكل. أنظر، محمود الحاج قاسم محمّد، التّعليم الطبّي في الحضارة الإسلاميّة، ط1، دار ماشكي، العراق،2021م، ص ص54، 55.

[2]أقسامُه السّبع الأولى تختصّ بالأدويّة والصيدلة والعقاقير، فالأوّل في حفظ الصّحّة وعِلاج الأمراض، أمّا الثاني، فيختصُّ في قِوى الأغذيّة والأدويّة، والقسم الثّالث، في الأدويّة المرَكّبة على سبيل الأَقْرَابَاذين، والقسم الرّابع، فيخصّ ما يحتاج إليه من الطبّ في سَحْق الأدويّة، وإحراقها وتصعيداتها وغسْلها، واستخراج قِواها وحِفظها ومِقدار بقاء كلّ دواءٍ منها وما أشبه ذلك، القسم الخامس، في صيدليّة الطبّ فيه صِفة الأدويّة، وألوانها وطعومها وروائحها ومعادنها وجيّدها ورديئها ونحو ذلك من عِلل الصّيدلة، القسم السّادس، في الإبدال، ذكر فيه ما ينوب عن كلّ دواءٍ أو غذاء، إذا لم يوجد، القسم السّابع، في تفسير الأسماء والأوزان والمكاييل التي للعقاقير وتسمّيّة الأعضاء والأدواء باليونانيّة والسّريانيّة والفارسيّة والهنديّة والعربيّة، على سبيل الكتب المسمّاة بشقشماهي، وذكر ابن أبي أصيبعة عدم اطّلاعه على هذا الكتاب، ونسبُه للرّازي، سببه أنّ فيه نقل كثير عن كتاب التقسيم والتّشجير للرّازي، وأنّ للطّبيب أمين الدّولة حاشيّة على هذا الكتاب، وذكر أنّه للرازي. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص424.

[3]استقصى فيه معرفة ماهيات الأدويّة ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدّمين، وما تكلّم كلُّ واحدٍ من الأطبّاء، وغيرهم فيه، وقد رتّبه على حروف المعجم. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص459.

ابنُ جُمَيْع	مقالة في علاج القُولَنْج واسمها، الرسالة السيفيّه في الأدويّة الملوكيّة.	579
الرَّئِيس مُوسَى	مقالة في السموم والتحرُّز من الأدويّة القتَّالة، وكتاب شرح العُقار.	583
السَّدِيد بنُ أَبِي البَيَان	كتاب الأقراباذين[1].	584
رَشِيدُ الدِّين أَبُو حُلَيْقَة	كتابان منهما، كتاب الأدويّة المفردة، سمّاه المختار في الألف عُقار.	597
ضِيَاءُ الدّين بنُ البَيْطَار	ثلاثة كتب؛ منها شرح أدويّة كتاب ديسقوريدس والجامع في الأدويّة المفردة[2].	602
حَكِيمُ الزَّمَان عَبْدُ المنْعِم الجلْيَاني	تعاليق في وَصْفات أدويّة مركّبة.	635
مُوَفَّقُ الدِّين بنُ المطْرَان	كتاب الأدويّة المفردة.	659
أَبُو الفَضْل بنُ عبد الكَرِيم المهَنْدِس	كتاب في الأدويّة المفردة على ترتيب حروف أبجد.	671
كَمَالُ الدِّين الحِمْصِي	الرسالة الكاملة في الأدويّة المسهِّلة.	683
مُوَفَّقُ الدِّين عَبْد اللَّطِيف البَغْدَادِي	إحدى عشرة كتاب منها، اختصار كتاب الأدويّة المفردة، لابن وافد، وكتاب كبير في الأدويّة المفردة، ومقالة في تعقُّب أوزان الأدويّة.	694 695
رَشِيدُ الدِّين الصُورِي	كتاب الأدويّة المفردة[3] والردّ على كتاب التاج للغاوي في الأدويّة المفردة.	703
سَدِيدُ الدِّين بنُ رَقِيقَة	كتاب موضّحة الاشتباه في أدويّة الباه.	717

[1] وهو اثنا عشر بابًا، قال عنه ابن أبي أصيبعة: "قد أجاد في جمعه، وبالغ في تأليفه، واقتصر على الأدويّة المرَكّبة المستعمَلة المتداوَلة في البيمارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيادلة، وقرأتُه عليه وجمعتُه معه"، أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص584.

[2]استقصى فيه ذِكر الأدويّة المفرَدة وأسماءها وتحريرها وقِواها ومنافعها، وبيّن الصحيح منها وما وقَع الاشتباه فيه، ولم يوجد في الأدويّة المفرَدة كتابٌ أجلُّ ولا أجود منه، وقد صنّفه للملك الصّالح نجم الدّين أيّوب بن الملك الكامل. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص602.

[3] ألّف هذا الكتاب في أيّام الملك المعظّم عيسى بن أبي بكر، وجعله باسمه، ذكر فيه الأدويّة المفردة، وأدويّة عَرف منافعها ولم يتمّ ذكرها من المتقدِّمين، والمنهج الذي اتّبعه في بحثه هو استصحاب مصوّرٍ معه إلى المواضِع التي بها النبات فيشاهد النبات ويحقّقُه، ويُريه للمصوّر؛ فيعتبِر لونُه ومقدار ورقِه وأغصانه وأصوله، ويصوِّر بحسبها، ويجتهد في محاكاتها، ومسلكُه في التصوير أن يصوِّر النبات على مراحل عند نباته وعند طراوته وعند كمال ظهور بَزْره؛ بل ويصوّره عند يبَسِه". أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص703.

صَدَقَةُ السَّامِري	مقالة في أَسَامي الأدويّة المفردة.	721
الصَّاحِبُ أَمِينُ الدَوْلَة	كتاب في الأدوية المفردة وقِواها، وكتاب في الأدويّة المركّبة ومنافعها.	728
بَدْرُ الدّين، ابن قَاضِي بَعْلَبْك	كتاب مُفَرِج النفس، استقصى فيه ذكر الأدويّة والأشياء القلبيّة على اختلافها وتنوّعها.	755
نَجْمُ الدّين بنُ المنْفَاخ	كتاب الإشارات المرشِدة في الأدويّة المفردة.	758
عِمَادُ الدّين الدُّنَيسَرِي	الكتب المقالة المرشدة في دَرْج الأدويّة المفردة، وكتاب نظم التّرياق الفاروق.	767

دراسة محتوى الجدول:

1- كثرة المؤلّفات؛ ما يتمّ استنتاجه، من خلال ما سبق من الجداول السّابقة أنّ التّأليف في مجال الأدوية كان متميّز جدًّا، وعرف كميّةً هائلة في هذا المجال، حيث فاقت التّسعين مؤلَّفًا بين المقالات والكتب.

2- الطبّيب عارفٌ لصنع الأدويّة، حيث نجد الأطبّاء المعروفين والبارزين في المشرق الإسلامي لديهم مؤلّفات في الأدويّة، ممّا يدلّ على أنّ الطبّ والصّيدلة كانتا اختصاص واحد يتْبَع الطبّ، وهذا ما يساعد الطّبيب في وصف أدويّته للمريض.

3- على الرّغم من تأليف أغلب الأطبّاء في الأدويّة، إلّا أنّ بعضهم اشتهر في ذلك أكثر، فعُرف عليه تميّزه في معرفة الأدويّة والنّباتات ودقِّها ووصفِها كابن البيطار مثلًا، والطّبيب التّميمي، ورشيد الدّين الصّوري.

4- وضْعُ الصُّوَر والرّسومات الموضِّحة، عددٌ من الكتب ذكرها ابن أبي أُصَيْبِعَة أنّها تحتوي على صوَّر للنّباتات والأعشاب لتبيان شكلِها وتوضيح الاختلاف بين النَّباتات، ومن ذلك أنّ الطّبيب رشيد الدين الصُوري كان يصحبُه مصوِّر إلى المواضع التي بها النبات فيشاهد النبات ويحقِّقُه، ويرسُم النّباتات ويتتبّعُها من مَنبتِها حتّى اكتمال نموّها.

5- الأدوية المفردة، المركّبة، الأقراباذين، التّرياق؛ فالأطبّاء نوَّعوا في مؤلّفاتهم في مجال الأدويّة، فمنهم مَن جمع بين التأليف للأدويّة المفردة والمركّبة، ومنهم مَن ألّف في وصف التّرياق وذكر صفاته ومكوّناته.

6- التأليف للوزراء والحكّام، ممّا يبدو عليه أنّ بعض المؤلّفات في مجال الأدويّة، كانت هدايا من أطبّاء إلى مَن هُم في السّلطة، ككتاب التكميل في الأدوية المفردة، الّذي ألّفه الطّبيب البَالسِي؛ أحد أطبّاء مصر لكَافور الإخشيدي.

7- الكتب الشّاملة الّتي اختصّت في الطبّ نجدها ذكرت الأدويّة والعِلاجات كالموجَز في الطبّ لابن النّفيس، الّذي خصّص جزءًا منه للأدويّة، ثمّ أنّه كان لما يذكر المرض يذكر ما يستعملُ له من الأدويّة[1]، وفي كتابه الآخر "الشامِل في الصّناعة الطبيّة" يذكر فيه الأدويّة معنونًا كتابه الأوّل فيه باسم " في الأدويّة المفردة الّتي أوّل اسمائها الهَمْزَة"[2]، وأيضًا وُجِد ذلك في كتاب الحاوي في الطبّ، وكتاب القانون، لابن سينا، وغيرهما.

8- من خلال الجدول أيضًا لاحظت وجود كتب اختصّت بالموازين والمكاييل في الأدويّة؛ تسهيلًا وتبسيطًا لمعرفة المقادير اللّازمة، وتبيان كيفيّة استعمالها، كما أنّه لا يكاد يخلو كتابٌ من كتب الأدويّة المفردة أو المركّبة من فصلٍ أو بابٍ في هذا الجانب، والغاية من ذلك أن يعملَ به أصحاب هذه الصناعة، فلا يزيدون ولا يُنْقِصون في المقادير المقرَّرة[3]، وهو في حدّ ذاته مساعدٌ على تعليم صناعة وتركيب الدواء للطلّاب وغيرهم.

4- التّأليف في الطّبّ النّبوي:

صنّف بعض الأطبّاء وكذا العلماء[4]في بلاد المشرق الإسلامي كتبًا في الطبّ النّبوي، ارتكزت على الأحاديث النّبويّة الشّريفة الدّاعيّة إلى حفظ الصّحّة وإلى التّداوي ببعض الأعشاب والطّرق البدائيّة، وممّا وجدته من الكتب الّتي عناوينها تُوحي إلى الطبّ النّبوي وهي، عبارة عن شروحات للأحاديث الطبيّة؛ "كتاب شرح أحاديث نبويّة"، تشتمل على طبّ، لأمين الدّولة بن التّلميذ[5]، وكتابٌ آخر، بنفس العنوان "شرح أحاديث نبويّة تتعلّق بالطبّ"، لنجم الدّين بن المِنْفاخ[6]، وكذا لموفّق الدّين عبد اللّطيف البّغدادي (ت629هـ/1233م) الّذي عَدَّ له ابن أبي أُصَيْبِعَة أكثر من مائةٍ وخمسين كتابًا، ومقالة ورسالة[7].

---

[1] قال ابن النّفيس في كتابه الموجز: "قد رتّبتُ هذا الكتاب على أربعة فنون: الفنُّ الأوّل، في قواعد جُزْأَي الطّبّ –أعني: عِلْمِيِّه وَعَمَلِيّه –بقول كُلّي، والفنّ الثاني، في الأدويّة والأغذيّة المفْرَدَة والمركّبة، الفن الثالث، في الأمراض المختصّة بعُضوٍ عُضوٍ وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها، الفنّ الرابع، في الأمراض التي لا تختصُ بعُضوٍ دون عضوٍ آخر وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها". أنظر، ابن النّفيس، الموجز في الطبّ، ص31.

[2] ابن النفيس، الشامل في الصناعة الطبية، ج1، ص65.

[3] الحازمي، الحركة العلميّة الطبيّة في الشّام، ص365.

[4] أمثال، أبو نُعيم، أحمد بنُ عبد الله بنُ أحمد بنُ إسحاق بنُ موسى بنُ مِهران الأصبهاني(ت 430هـ/1039م)، وكتابه "الطبّ النّبوي"، ضياء الدين، أبو عبد الله، محمد بنُ عبد الواحد المقدسي(ت 643هـ/1246م)، صاحب كتاب "كتاب الأمراض والكفّارات والطبّ والرُّقْيات"، ومحمد بنُ أبي بكر بنُ أيوب بنُ سعد، شمس الدين، ابن قيّم الجوزيّة(ت 751هـ/1351م) الّذي له كتاب بعنوان "الطبّ النّبوي".

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص371.

[6] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص758.

[7] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 693-696.

ومنها ما وقع في مجلّدات مثل "أخبار مصر الكبير"، وكتاب "الجامع الكبير في المنطق الطّبيعي والإلهي"، وكتاب "القِياس"، ومنها ردود على بعض الفلاسفة، كابن سينا، والرّازي، وابن الهيثم، وقد شملت تصنيفات موفّق الدّين مجالات عديدة في اللّغة، والنّقد، والفقه، والطبّ، والفلسفة، والحيوان والنّبات، والتاريخ، والتّوحيد، والحساب، والسّحر، وكتب متنوّعة أخرى[1]، أمّا فيما يخصّ كتبه في الطبّ النّبوي فنجد كتابه "شرح سبعين حديثًا"، و"شرح أربعين حديثًا طبيّة"؛ بالإضافة إلى كتابه "الطبّ من الكتاب والسُّنّة"، وهذا الكتاب لم يذكره ابن أبي أُصَيْبِعَة في قائمة كتبه الطّويلة[2].

اقتضى منهج الطّبيب عبد اللّطيف البغدادي أن يُقَسّم هذا الكتاب إلى ثلاثة فنون؛ الأوّل في الطبّ عِلْمه وعَمله، والثّاني الأدويّة والأغذيّة، والثّالث في علاج الأمراض[3]، وكان يذكر في كلّ هذا الأحاديث النّبويّة، ويستعين أيضًا بأقوال الأطبّاء كأبُقراط، والحارث بنُ كِلدة، وغيرهم[4]، وحينما يتناول الأدويّة يُدْرِج أقوال الأطبّاء، مقارنًا بين أقوالهم، وما جاء في الطبّ النبوي، ليؤكّد توافُق ما ذهب إليه الطّبّ النّبوي مع ما يذكره الأطّباء في كتبهم، وقد ناقش العديد من المسائل الشّرعيّة المتعلّقة بالطبّ، وأورد فيه بعض أقوال العلماء والرّاجح فيها[5].

5- التّأليف في الأوبئة والأمراض المختلِفة:

لم يترك أطبّاء المشرق الإسلامي نوعًا من الأمراض إلّا وذكروه في كتبهم، سواءٌ في تلك الكتب الشاملة والموسوعيّة مثل، كتاب "الحاوي في الطبّ" للرّازي، "المغْنِي في الطبّ" لابن النّفيس أو تلك الكتب الّتي تختصّ بمرضٍ معيّن أو بعضوٍ معيّن[6]، وهذا قد يحيلنا إلى وجود طبٍّ عامٍ في الطبّ، ووجود التخصّصات الطبيّة أيضًا، كما ألّف أطبّاء المشرق الإسلامي في الأوبئة، وتكلّموا على فساد الهواء وضرَر الوباء، من خلال مؤلّفات الأطبّاء الشّاملة أو من خلال ما اختصّوه من مؤلّفاتٍ تُوحي عناوينها باختصاصها في مجال الأوبئة، ومن الكتب الّتي وجدتها قد أُلّفت في هذا المجال، "كتابٌ في الوباء للطّبيب"

---

[1] البغدادي (موفّق الدّين عبد اللّطيف. ت629هـ)، الطبّ من الكتاب والسُّنّة، مقدّمة المحقّق، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، ط3، دار المعرفة، بيروت، (1414هـ/ 1994م)، ص38م.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 693-696.

[3] موفّق الدّين عبد اللّطيف البغدادي، الطبّ من الكتاب والسُّنّة، ص ص3، 4.

[4] موفّق الدّين عبد اللّطيف البغدادي، المصدر نفسه، ص16-19.

[5] موفّق الدّين عبد اللّطيف البغدادي، المصدر نفسه، ص133.

[6] هناك تأليفات اختصّت مثلًا، بالجُذام، والحَصْبة، والجُدَريّ، وفي القُولَنْج، ذَاتِ الجنْب، البُهْق، النُقْرس، وغيرها، وفي الأعضاء حول العيون والأذن والمفاصل والصدر ... الخ. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص255، 298، 332، 422، 696...

أبي سَهْل المسيحي، ألَّفه للملك العادل خوارِزْمْشاه[1]، وكتاب للطّبيب التّميمي بعنوان "مادّة البَقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرّز من ضرَر الأوباء" صنّفه للوزير أبي الفرج يعقوب بنُ كِلْس بمصر[2].

ووجدت ليعقوب بنُ إسحاق الكندي رسالة في الأبخرة المصْلِحة للجو من الأَوْباء، ورسالة في الأدويّة المُشْفِيّة من الرّوائح المؤذيّة[3]، ويبدو أنّ الكتابين قد ألّفهما صاحبيهما لشخصياتٍ تمثّل السّلطة، وهذا يدلّ على اهتمام مَن هُم في السّلطة بمثل هكذا كتب، ربّما لفضوليّة علميّة أو من أجل تفادي الأماكن الفاسدة الهواء؛ أين يتمّ اختيار بعضٍ منها مقرًّا لإقاماتهم ومعرفة أفضليّة الأماكن عن بعضها البعض.

وفيما يخصّ أهمّ المؤلّفات في الأمراض فأذكر أمثلة منها، من خلال الجدول التّالي:

الطّبيب	أهمّ مؤلّفاته.	الصفحة
جِبْرَائِيل بنُ بَخْتِيشُوع	**كتاب في الباه.**	**201**
جِبْرَائيلُ بن عُبَيْد الله بن بَخْتِيشُوع	**مقالة في أَلَم الدماغ بمشاركة فمِ المعدة والحِجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس.**	**214**
يُوحَنَّا بنُ مَاسَوَيْه	**كتاب في الجُذام /كتاب في الصُداع وعِلله وأوجاعه وجميع أدويته والسُدَد والعِلل الموّلِدة لكلّ نوعٍ منه،كتاب الصدر والدُوّار /كتاب المعدة /كتاب القُولَنْج /كتاب الماليخوليا وأسبابها وعلاماتها وعلاجها.**	**255**
حُنَين بنُ إسْحَاق	**كتاب في النَبض /كتاب في الحُمْيات /كتاب في البول / كتاب في معرفة أوجاع المعدة وعلاجها / كتاب في اليَبس / مقالة في ضِيق النفس/مقالة في تولُّد الحَصاة / كتاب حفظ الأسنان.**	**271 272**
يَعْقُوب بنُ إسْحَاق الكِنْدِي	**رسالة في عِلّة نفث الدم/ رسالة في كيفيّة الدماغ/ رسالة في علّة الجُذام وأشْفِيَته/ رسالة في عَضّة الكلب/ رسالة في الأعراض الحادثة من البَلْغَم وعِلّة موت الفَجأة / رسالة في وجع المعدة والنَقْرَس.**	**291**
ابنُ سِينَا	**القانون في الطب/ الشِفاء.**	**457**

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص437.

[2] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص548.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص291.

محمّد بن زكريّا الرَّازْي	كتاب في الفالِج/كتاب في اللَقْوة/كتاب في هيئة الكبد/كتاب في هيئة القلب/كتاب في عِلل المفاصِل والنَقرس وعِرق النَسا/ مقالة في الجُدَري والحَصبة /مقالة في الحَصى في الكلي والمثانة.	422 423
أَبُو الحَسَن ثَابِت بنُ قُرَّة الحَرَّانِي	كتاب في النبض/كتاب وجع المفاصل والنقرس/ جوامع كتاب الأمراض الحادة لجالينوس/ كتاب أصناف الأمراض/ كتاب في الحصى المتولّد في الكلى والمثانة/كتاب في البَياض الذي يظهر في البدن/كتاب في تدبير الأمراض الحادة والحصبة/ اختصار كتاب النبض الصّغير لجالينوس/ مقالة في وجع المفاصل.	298 299 300
صَاعِد بنُ بِشْر	مقالة في مرض المَراقيا ومداواته.	315
يَحْيَى بنُ عُدَي	كتاب في منافع الباه ومضارِّه وجهة استعماله.	318
ابنُ بُطْلَان	كتاب تقويم الصّحّة/ مقالة في شرب الدواء المسهِّل / مقالة في عِلّة نقل الأطباء المَهَرَة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تُعالَج قديمًا بالأدوية الحارّة إلى التدبير المبرَّد كالفالج واللقوة والاسترخاء، وغيرها ومخالفتهم في ذلك.	328
الفَضْلُ بنُ جَرِير التَّكْرِيتِي	من الكتب مقالة في أسماء الأمراض.	328
يَحْيَ بنُ جَرِير التَّكْرِيتِي	كتاب في الباه ومنافع الجِماع ومضارِّه.	329
قِسْطَا بنُ لُوقَا	كتاب في أوجاع النَقْرس / رسالة في أحوال الباه وأسبابه / كتاب في النبض ومعرفة الحِمْيات وضُروب البَحْرانات /مختصَر كتاب في الكبد وخِلقتها.	330
أَحْمَد بنُ أَبِي الأَشْعَث	كتاب في الجُدَري والحصبة والحُميقاء، مقالتان/كتاب في السِّرْسَام والبرْسَام ومداواتهما، ثلاث مقالات/كتاب في القُولَنْج وأصنافه ومداواته والأدويّة النافعة منه، مقالتان/ كتاب في البَرص والبُهاق ومداواتهما، مقالتان/ كتاب في الصَرع/ كتاب في الاسْتسْقَاء/ كتاب الماليخوليا/ كتاب أمراض المعدة ومداواتها.	332
مُوسَى بنُ العَازَار	مقالة في السُّعال.	445
عَلِي بنُ رُضْوَان	كُناش رسالة في علاج الجُذام/ مقالة في الباه / مقالة في أدوار الحمْيات.	566 567

	مقالة في التّنفُّس الشَّديد وهو، ضِيق النفس.	
ابنُ العَين زَرْبِي	مقالة في الحصى وعلاجه.	570
ابنُ جميع	مقالة في الحَدبة/ مقالة في علاج القُولَنْج.	579
الرَّئِيسُ مُوسَى	مقالة في البواسير وعلاجها.	583

6- التّأليف في الباه[1] وطبّ النّساء والأطفال:

على الرّغم من أنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يُسعفنا بمعلومات طبيّة حول طبّ النّساء من أمور الحمل والولادة وما ارتبط بهما، إلا أنّه في خضم ذكره لمؤلّفات الأطبّاء، أحالنا إلى طبّ النّساء، وتميّز أطبّاء المشرق الإسلامي في ذلك، وطبّ النّساء حوته أيضا كتب الأطبّاء الشّاملة الأخرى، مثال ذلك نجد ابن سينا يتعرّض لعسر الولادة لدى المرأة ويفصّل فيها في كتابه "القانون في الطبّ"[2]، ونجد تفصيلات كثيرة لدى الرّازي حيث يتكلّم عن أمراض الحمل والرّحم، ويفصّل في ذلك ويتكلّم عن الجنين وتطوّراته ويذكر علامات الإسقاط وعلامات الحَبل وغيرها[3]، أمّا في الجدول التالي فأحاول ذكر المؤلّفات الخاصّة بطب النّساء والأطفال والّتي تُوحي عناوينها إلى ذلك:

الطّبيب	مؤلّفاته	الصفحة
جِبْرَائيل بنُ بَخْتِيشُوع	كتاب في الباه.	201
يُوحَنَّا بنُ مَاسَوَيْه	كتاب علاج النّساء اللّواتي لا يحبلن حتّى يحبلن / كتاب الجنين.	255
حُنَيْنُ بنُ إسْحَاق	مقالة في كَوْن الجنين.	274
عِيسَى بنُ مَاسَة	مسائل في النّسل والذُريّة/ كتاب الرؤيا يُخبر فيه بالسّبب الذي امتنع به من معالجة الحوامل وغير ذلك.	257
أَبُو الحَسَن ثَابِت بنُ قُرَّة الحَرَّانِي	جوامع كتاب تشريح الرّحم لجالينوس/جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر/ مقالة في صفة كون الجنين/رسالة في اختيار وقت لسقوط النُطفة.	298 300
يَحْيَى بنُ عُدَي	كتاب في منافع الباه ومضارِّه وجِهة استعماله.	318

[1] هو علمٌ يَبحث في كيفيّة المعالجة المتعلّقة بقوّة المباشَرة، لمعرفة الأغذيّة المصْلِحة لتلك القوّة، والأدويّة المقَويّة أو المزيدة للقوّة أو الملذِّذة للجِماع أو المعظِّمة أو المضيّقة، وغير ذلك من الأعمال والأفعال المتعلِّقة بها، كذكر أشكال الجِماع، وحكايات مُحرّكة للشّهوة التي وضعوها لمن ضعُفت قوّة مباشَرته أو بطُلت، فإنّها تُعيدها بعد الإياس. أنظر، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص68.

[2] ابن سينا، القانون في الطبّ، ج2، ص782.

[3] الرّازي، الحاوي في الطبّ، ج3، ص 124 وما بعدها.

يَحْيَ بنُ جَرِير التَّكْرِيتي	**كتاب في الباه ومنافع الجِماع ومضارّه.**	**329**
قسْطَا بنُ لُوقَا	**رسالة إلى أبي محمد الحسن بن مَخْلَد في أحوال الباه وأسبابه على طريق المسألة.**	**330**
أَحْمَد بنُ مُحَمّد البَلْدِي	**كتاب تدبير الحُبَالَى والأطفال والصبيان وحفظ صحّتهم ومداواة الأمراض.**	**333**
كَمَالُ الدّين الحمْصِي	**مقالة في الباه.**	**683**

7–التّأليف في الجِراحة:

كانت الجراحة الطبيّة في العصور الإسلاميّة الأولى تعتبر صنعةً ممتهَنَة، وكان علماء الطبّ المسلمين من الأوائل يترفَّعون عن القيام بها وأدائها، وكانوا يسمُّونها "عمل اليد"[1]، وكانت من مهمّة الحَجّامين الّذين يقومون بالكَيْ، والفصد والحِجامة، وبَتْر الأعضاء تحت إشراف الأطبّاء وإرشاداتهم المخْلِصة، ثمّ لم تمض مدّة حتّى نَبَغ علماء الطبّ المسلمين في تطوير الجراحة الطبيّة والإسهام في تقدُّمها حتّى وصلت إلى درجة عاليّة من الدِّقّة والمهَارة، فقد كانوا أوّل مَن أفرد علم الجراحة الطبية بالكتابة عنه في مواضع مخصوصة من كتبهم الطبيّة[2]، ثمّ أفردوا تآليف مستقلّة فيها، كما فعل خَلَفْ بنُ عباس الزّهراوي الأندلسي (ت427هـ/ 1035م)[3]، حيث ألّف كتاب "التصريف لِمَنْ عَجَزَ عن التأليف"، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها[4].

أمّا في المشرق الإسلامي فإنّنا لا نجد تأليفات كثيرة في الجراحة من خلال ما ذكر ابن أبي أُصَيْبِعَة، باستثناء كتاب واحد، ألّفه تلميذه أَبُو الفَرَج بنُ القَف (ت685هـ/ 1286م)، بعنوان "العُمدة في صناعة الجراحة" ألّفه في عشرين مقالة[5]، وذكر السّبب في تأليفه الكتاب في قوله: "فقد شكا إليّ بعض جرائحيّةِ زمانِنا، قِلّة اهتمام أرباب هذا الفنّ بأمر هذه الصّناعة، وأنّ واحدًا منهم لم يعرف سوى تركيب بعض

---

[1] راغب السرجاني، قصّة العلوم الطبيّة، ص45.

[2] الشنقيطي(محمد بن محمد المختار)، أحكام الجراحة الطبيّة والآثار المترتّبة عنها، ط2، مكتبة الصحابة، جدّة، (1415هـ/1994م)، ص51.

[3] خَلَف بنُ عبّاس الزّهراوي، أبو القاسم، من العلماء، ولد في الزّهراء، قُرب قرطبة وإليها نسبته، كان طبيبًا فاضلًا خبيرًا بالأدويّة المفردة والمركّبة، جيّد العلاج، أشهر كتبه "التّصريفُ لمن عَجز عن التأليف". أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص501.؛ ابن عميرة الضبّي(أحمد بن يحيى بن أحمد، أبو جعفر.ت599هـ)، بُغْية الملتمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م، ص286.؛ حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج2، ص81.

[4] ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص501.

[5] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص768؛ ابن القف الكركي.ت686هـ)، العُمدة في صناعة الجِراحة، تح: سامي خلف الحمارنة، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، 2015م، ج1، ص ص32، 33

المراهِم، وإضافة مفرداتها بعضِها إلى بعض، وأنّه لو سأله سائل: ما هذا المرض الذي تعالجه؟ وما سببه؟ ولِمَ تُداويه بهذه المداواة؟ وما قوّةُ كلِّ واحدة من مفرداتها؟ وما الفائدة من تركيب هذه المفردات ولِمَ لا تُستَعْمَل هي بمفردها؟ لم يكن عنده ما يجيبه عن ذلك سوى أن يقول: "رأيتُ معلِّمي يستعملُها في مثل هذه الصُوَّر فاستعملتُها، ثمّ اعتذَر عنهم بأنّه ليس لهم كتاب يرجعون إليه في هذا الفنّ، بحيث أن يكون جامعًا لما يَحتاج إليه صاحب هذه الصناعة"، ثمّ قال: " ثمّ سألني سؤالاً كثيرًا، أن أُصنِّفَ له كتابًا في ذلك، وأن أذكر له أوّلًا حدَّ هذه الصناعة، ثمّ أذكرُ ما يحتاج إليه ..."[1].

ومنهجه في هذا الكتاب، أنّه كان يعرِض المقالة التي يريد الحديث عنها ويقوم بتقسيم هذه المقالة إلى عدّة فصول، ومن ثَمّ يتناولها فصلاً فصلًا، والمتأمِّلُ يُدرك أنّ كتاب "العُمدة في صناعة الجراحة" لم ينل اهتمام الدّارسين، كما حظِّيّ به كتاب "التّصريف"، بالإضافة إلى كثيرٍ من التّخصّصات التي ألّف فيا أطبّاء المشرق الإسلامي، من غير ما ذكرنا بحسب ما ورد لدى ابن أبي أُصَيْبِعَة، وهو ما يستدعي الخَوْضَ في هذا الموضوع كبحثٍ مستقلٍّ، ليُمكِّننا من الإلمام بجوانب عديدة، تُحيلُنا إلى أهمّيّة التأليف الطبّي، كمظهرٍ من مظاهر ازدهار وتطوّر الطبّ في الحضارة الإسلاميّة عمومًا وفي المشرق الإسلامي بالخصوص.

وفي ختام هذا الفصل يمكن استنتاج عدّة نقاط كالآتي:

بطلبٍ من الخليفة العباسي المقتدر بالله، جَعْفَر، في سنة(319هـ/931م) أُمتُحِن الطّبيب، ردْعًا لأدعياء الطّبّ، وذلك بعد أن اتّصل بالخليفة أنّ خطأً طبيًا جرى على رجلٍ من العامّة من بعض المتطبّبين، فقام بهذا الدّور الطّبيب سِنَان بنُ ثَابِت(ت331هـ/ 943م)، فكتب للمستحقّين منهم رُقعةً بخطّه، يُطْلِق لهم فيها من الصّناعة، واستمرّت بعده عمليّة امتحان الطّبيب سارية فيما لحِق من عصور.

بعد الحكيم أبُقراط، قام العديد من أطبّاء المشرق الإسلامي بالتّنظير لعمليّة امتحان الطّبيب، وعُدّ الطّبيب أبو بكر الرّازي(ت320هـ/932م) من بين الأطبّاء المشهورين في هذا الجانب؛ إذْ بيَّن الأمور الّتي يجب أن يُمتحَن فيها الطّبيب، وقد أُلِّفت العديد من الكتب في إطار الدّعوة إلى امتحان الطبّيب، وكذلك توضيح الأمور التي يجب أن يُمتحَن فيها الطبّيب مثل، كتب الحِسبة، وكتب الأطبّاء أنفسهم، ككتاب "محنة الطبّيب"، وكتاب "معرفة محنة الكحَّالين"، ليُوحَنَّا بن ماسويه(243هـ/857م)، وكتاب "امتحان الأطبّاء"، لحُنَيْن بن إسْحَاق(ت260هـ/ 874م)، وكتاب "رسالة في محنة الطبّيب، وكيف ينبغي

[1]ابن القف الكركي.(ت686هـ)، المصدر نفسه، ص31.

أن يكون حالُه في نفسه وبدنه وسيرته وأدبه"، لأبي بكر محمد بن زكريا الرّازي (ت313هـ/ 925م)، وغيرها.

أمّا أخلاقيات الطّب، فقد كانت ظاهرة جليّة في أطبّاء المشرق الإسلامي، فكان يُشترَط على كلّ من يريد ممارسة الطبّ أن يؤدّي قسَمًا طبيًا يقطع به عهدًا وميثاقًا على نفسه، بتطبيق بنوده على غرار قَسَم أبقراط الطبّي، وهذا القسم يشتمل على الآداب المهنية التي ينبغي أن يلتزم بها الطبّيب في مهنته ضمن المفاهيم الإسلاميّة، الّتي تدعو إلى الفضيلة في ممارسة صناعة الطبّ، مع ملاحظة أنّه لا يوجد قَسَمٌ موَحّد يلتزم به جميع الأطبّاء في المشرق الإسلامي.

وُجدت مؤلّفات عديدة خصّصها بعض الأطباء للتّأليف في أخلاق الطّبيب، مبيّنين الأمور التي يجب أن يكون عليها الطّبيب مثل، كتابُ أدبُ الطّبيب، لإسْحَاق بن عَليّ الرُّهاوي(ق4هـ/10م)، وكتاب أخلاق الطّبيب، لأبي بكر الرّازي(ت313هـ/925م)، وكتاب التّشويق الطبّي، لصاعد بن الحسن أبي العلاء(ت بعد 464هـ/بعد 1071م).

الممارَسة الأخلاقيّة للطّبّ في الحضارة الإسلاميّة كانت في الغالب حسنة الصّورة، مع وجود تجاوزات طفيفة، استنادًا لما ذكره ابن أبي أصيبعة، وتظهر الأخلاق في معالجة الفُقراء والمعدومين دون طلب الأجرة، والامتناع عن صنع السُّمّ، والعمل بما جاء في القَسَمِ الطبّي لأبُقراط الّذي ينصّ " ولا أُعْطِي دواءً، إذا طُلِب منّي دواء قتّالاً، ولا أشير أيضا بمثل هذه المشورة".

لم يذكُر ابن أبي أُصَيْبِعَة معلوماتٍ معمّقة في الجانب الطبّي البحت، باستثناء بعض الإشارات، التي توحي بوجود بعض الأمراض؛ كأمراض العيون المختلفة، والأمراض الباطنية كالقُولَنْج، والعضويّة، والأمراض النّفسيّة، وغيرها من الأمراض، كما أشار إلى بعض العلاجات؛ كالعلاج بالفصد والحِجامة، والعلاج بالأغذيّة والأشربة، والعلاج بالحمّام، والدّهون، والغَرْغَرة، والقيء، وإسهال البطن، والحِمْيّة، وعمل التّرياق وصنع الأدويّة المفردة والمركّبة.

أمّا التأليف الطبّي عند أطبّاء المشرق الإسلامي فقد عرف تنوّعا كبيرا، بحيث تمّ التّأليف في جميع فروع الطّب، كالطبّ الوقائي، وطبّ العيون، والأدوية المفردة والمركّبة والصّيدلة والعقاقير، والتّأليف في الأوبئة والأمراض المختلفة، والتّأليف في الباه وطبّ النّساء والأطفال...

خاتمة

خـاتمة:

من خلال ما تقدّم، تبرز لنا قيمة شخصيّة الطبيب ابن أَبِي أُصيبِعة الذي عُرِف طبيبًا في الكَحالة، شأنُه شأن العائلة والده وجدّه وعمّه، وإلى جانب كونه طبيبا مؤرّخًا فهو أديبٌ شاعرٌ، شهد له معاصروه، وأكّد على ذلك تابعيه، معتمدين كتابه "عُيونُ الأَنبَاءِ في طبَقات الأطبَّاء" كمصدرٍ مهمّ لتاريخ الأطبّاء والفلاسفة، من أوائلهم، على غرار الحكيمين؛ أسْقليبيوس، وأبقراط، إلى أطباء الحضارة الإسلاميّة، حتّى وفاته سنة (668هـ/1270م)، وُلد وعاش ابن أبي أصيبعة في دمشق، وكانت له أكثر من زيارة إلى مصر، تميّزه وعلمه في الطّب شفع له بالخدمة في البَيْمَارِسْتَان الكبير بدمشق، والبَيْمَارِستان النّاصري بمصر، خادمًا للمرضى، ومعالجًا لهم، ومسجّلًا لنوادر الأطباء وحكاياتهم في الطّب، وعلى الرغم من الحالة السّياسية المضطربة جرّاء الهجمات الصّليبيّة وحالة اللّا إستقرار الدّاخليّة، بسبب فوضى الصّراع على الحُكم فهي لم تكن عائقًا له، مثله مثل معاصريه في جميع العلوم.

ألّف ابن أبي أصيبعة عددًا من المؤلّفات؛ كلّها في عِداد المفقودات، باستثناء كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" الذي عُرِف به، لما احتوى عليه من مادة علميّة، ضِمن التراجم الخاصّة بالأطبّاء، ليس في الجانب الطّبي فقط الذي انحصر هذا البحث في معالجته؛ بل كذلك في الجوانب الاجتماعيّة المختلفة كالمعيشة والمعاملات والألبسة والأطعمة...، وعديد الأخبار والأحداث السّياسية، وكذا احتوائه على جوانب اقتصاديّة، بل ويمكن معالجة العديد من المواضيع الأدبيّة فيه، كالسّرد والرواية والشّعر، وغيرها، فهو كتابٌ خصب المعارف، وجب صرف أعين الباحثين نحوه.

تفوّق ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" على سابقيه الّذين أرّخوا للأطبّاء والفَلاسفة، بمعلوماته المتنوّعة التي تحيل إلى سعة اطّلاعه واجتهاده في البحث، مستفيدًا من سابقيه بدايةً، ومن تأخّر الفترة التي كتب فيها كتابه ثانيّةً، ممّا جعله يُحصِّل معلومات ومعارف أكثر، معتمدًا على كتب القُدماء وكُتُب الحضارة الإسلاميّة وكذا على المصادر الشّفويّة، بالإضافة إلى مشاهداته بذِكره لأخبارٍ عن معاصريه ومعارفه، كما وجب القول أنّ هذه المصادر كثيرٌ منها فُقِد، فيكون بذلك قد حفظ نصوصًا ومَرْويات قد اندثرت، وهو ما يزيد من أهميّة هذا الكتاب، وممّا يثير الفضوليّة لدى الباحث للخوْض فيه أكثر.

وعلى الرّغم من أنّ كتابه كان مبنيّ على أساس الطّبقات، إلّا أنّ الطّبقة فيه لم تكن نمطيّة، فاعتمد ابن أبي أصيبعة الطّبقة، من حيث الزّمان في أبوابٍ، واعتمد الطبقة، حسب المكان في أبوابٍ أخرى، وفي أبوابٍ اعتمد الطبقة، من حيث التّمييز، بحسب مقتضيات كتابه، كما أنّه اتّبع منهجًا دقيقًا في بسْط

معلوماته والتّعريف بتراجمه، فكان يدقّق ويستقصي المعلومات، وينقُدها في مواضع ويحلّلها ويقارنها، وفي قليلٍ من المواضع ينقل الرّوايات التاريخيّة ويسردها دون تمحيصٍ، حتّى أنّه يستطردُ في مواضع فيخرُج عن ما هو فيه من مواضيع، كأنْ يُدْرِج قصائد من الشّعر كانت سببًا في اتّضاح ميوله وبراعَته في علومٍ أخرى إلى جانب الطبّ، كالأدب وكذا كتابته التأريخيّة.

وضمن التّراجم، تطرّق ابن أبي أُصَيْبِعة إلى عديد العناصر الخاصّة بحياة الأطبّاء، فإلى جانب الاسم والنّسب عرَّج في الأغلب إلى خدمة المُترجَم له وعلمه، وديانته، وموطنه، ومرتبته ضمن طبقة معيّنة، ومؤلّفاته، وتعلّمه، وتعليمه، وإلى وفاته، ورصْده لمختلف الصّلات والعلاقات بين الأطبّاء، وكذا في علاقاتهم بالخلفاء والحكّام، وكذا ذكر بعضًا من علاجات الأطبّاء...، محاولًا بذلك إبراز كافّة ما يتعلّق بصاحب التّرجمة، من نوادر وأخبار وطرائف، وغيرها، وهو ما يساهم في إعطاء صورة عامّة للمترجَم لهم.

كما تضمّن الكتاب عديد القضايا والمواضيع التي ترقى لأن تكون دراسات أكاديميّة قائمة بذاتها كظاهرة الأُسر الطبيّة، ودور التّرجمة والأخلاقيات الطّبيّة والتّعليم الطبي، وغيرها، كما وجدت إشكاليات تستدعي النّظر والبحث، من ذلك أنِ وجدنا تهافُتًا وتكالبًا من المستشرقين ك"ماكس مايرهوف "على ابن أبي أصيبعة، بسبب عدم وجود ترجمةٍ للطّبيب ابن النّفيس زميله في الدّراسة ومرافقه في البيمارستان، مُحْدِثين بذلك جلبةً عن عدم تفاهمٍ بينهما، مدّعين بأنّ ذلك جعل ابن أبي أصيبعة يُسْقِطُه من كتابه، ومن الإشكاليات عدم إدراج ابن أبي أصيبعة لتَراجم تخصّ نساء طبيبات عُرِفن منذ عهد النبي –صلّى الله عليه وسلّم– وبعده، إلى جانب ترجمته الوحيدة التي ذكرها حول امرأة طبيبة في المشرق الإسلامي، وهي الخاصّة بزينب، طبيبة بني أود، كما أرى أنّ قضيّة تسليم ابن أبي أصيبعة اعتماد الصحابي الخليفة معاوية بن سفيان أطبّاء لاغتيال المناوئين له من أمثال الطّبيب ابن أُثال، موضوع يستدعي البحث فيه، وبالإضافة إلى قضايا أخرى احتواها الكتاب، وجب البحث فيها.

وفيما يخصّ الطبّ في المشرق الإسلاميّ، من خلال هذا الكتاب، فإنّي توصّلت إلى نتيجة مفادها، أنّ العرب والمسلمين تجاوزوا طبّهم البدائي، بأن قاموا بتعريب الطّب اليوناني والفارسي وأسلَمَتِه، من خلال نشاط عمليّة نقل الكتب إلى العربيّة وترجمتها، وقد كُتِب النّجاح لهذه العمليّة، بفضل تشجيع الحكّام والخلفاء لها، بأن هيأوا الظّروف وذلّلوا الصّعاب للمترجمين من الأطبّاء، بالتّشجيع الماديّ المتمثّل في منح الهبات والأعطيات من الأموال والذّهب، وببناء المؤسّسات كبيت الحكمة في بغداد، والعمل على جلب الكتب والمصادر اليونانيّة والفارسيّة من مناطق متنوّعة، حيث كانت تُجلب من البلاد المفتوحة كبلاد الفرس، ومن الأماكن التي تُعتبر مركزا للتجارة كالهند، ومن أماكن أخرى كبلاد الروم وعموريّة، ولغرض

التّرجمة فقد كانت تُبذَل مجهودات كبيرة للحصول على النّسخ الأصليّة، كما تمّ استقطاب أطبّاء الفرس من جُنْدَي سَابُور، ممّن كان لهم التأثير الكبير في حركة التّرجمة، مع ما قدّموه من خدماتٍ طبيّة، فكان أشهرهم وأبرزهم على الإطلاق، حُنَيْن بن إسحاق، كما ساهم تربّع المسلمين على مدنٍ عريقة كانت بمثابة مدارس طبيّة قبل الفتح الإسلامي لها في تطوّر الطّبّ، كالإسكندريّة، وحَرّان وأنطاكية.

مع العلم أنّ المبتغَى من التّرجمة العلميّة هو نقلُ الأفكار والممارَسات العمليّة لصناعة الطّب، وقَبول الأصلح منها، وتعديل أو رفض ما يتعارض مع الدّين والأخلاق والتّجربة، والعمل على تطوير هذه الأفكار للتّفرّد باختراعاتٍ جديدة، فما تُرجِم لم يكن هو الهدف، وإنّما كان كوسيلة لمعرفة الطّريقة والمنهج في البحث، واتّخاذه بداية من أجل الوصول إلى أبعد من ذلك، والتأكيد أنّ ممارسة الطب وامتهانه صالح في كل مكان وعند كل شعب، على اتلاف أصوله وتمذهبه العَقدي.

ساهم في تطوّر الطّب أيضًا تشيّيد البَيْمَارِسْتَانَات الإسلاميّة، حيث عُدَّت في جانبٍ سببًا في تطوّر الطّب، وفي جانبٍ آخر مظهرًا من مظاهر تطوّره؛ إذ أقدم الخلفاء أيضًا على بنائها، فتعدّدت خدَماتها، حيث تجاوزت معالجة المرضى لتَصِير موضعًا لالتقاء الأطبّاء والطّلّاب، ولممارسة التّعليم الطّبي بشقّيْه؛ النّظري في مجالس بالإيوان داخل البيمارستان، والتّطبيقي على سرير المريض، وهو أمرٌ وجب الاقتداء به في مستشفياتنا من أنْ يساهم متعلّموا الطّب مشاركة الأطبّاء معالجة المرضى بمشاهداتهم لهم، ورؤية تعامُلهم مع المرضى، وكيفيّة تشخيصهم للأمراض، لاكتساب المهارات والخبرات، وهذا لا يخصُّ التّعليم النّظري.

وما يلاحظ أيضًا أنّ الأطبّاء كانوا هم المظهر الأبرز لتطوّر الطّب في المشرق الإسلامي، فقد تفنّنوا في علاجاتهم للمرضى، حيث لم يكتفوا بما ترجموه، ونقلوه من الأمّم الأخرى، فقد كان ذلك انطلاقة لاكتشافات جديدة، شملت تخصّصات الطبّ العديدة؛ إذ ضَمّنوا ما توصّلوا إليه في مؤلّفاتهم، ولعلّ أبرز مثال على ذلك كتب الطبيب محمّد بن زكريّا الرّازي، وكتب الشيخ الطبيب ابن سينا، والطّبيب ثابت بنُ قُرّة الحَرّاني، وغيرهم، وهي التّي استغنى بها بعض المتأخّرين في تعلّمهم للطبّ عن كتب اليونانيّين جزئيًا.

كما أنّ هؤلاء الأطبّاء قد جعلوا لأنفسهم عند الخلفاء والحكّام مكانة مرموقة، بأن تفانَوْا في أعمالهم، مُتقِنين لفنّ الخدمة والعلاج، وهو ما أشار إليه ابن أبي أصيبعة، حتّى أنّ القارئ لكتابه يلاحِظ ارتباط أخباره ومعلوماته حول الأطبّاء بالخلفاء والحكّام، وقلّما يذكر علاجات العامّة، وكأنّي به طبّ بَلاط أو خاصّة، أكثر ممّا هو طبّ مُوجّه للعامّة، وربّما هو ما قصده بقوله في بداية كتابه، بأنّه سيذكر المشهورين

منهم، وأولي الفضل في الصّناعة، وبالمقابل عامل الخلفاء والسّلاطين أطبّاؤهم، بالإكرام، ومنح الهبات لهم كالأموال والجامكيّات والضّيعات، واستخلصوهم لأنفسهم وجعلوهم يحضرون مجالسهم، ويستشيرونهم في مواضع عديدة، وجعلوا بعضهم على وظائف في الدّولة كالوزارة، والحِسبة، والقضاء، وغيرها، وهذا يوحي لتمكّنهم من علومٍ عدّة، إلى جانب كونهم أطبّاء، أدباء شعراء، وفقهاء، ولهم معرفة في السّياسة، وكثيرٌ منهم ارتبط لديه الطّب بعلومٍ أخرى كالحكمة والفلسفة، وعلم الفلك والتّنجيم والموسيقى، وهذه الموسوعيّة يحتاجها الأطباء في كلّ طبيب في عصرٍ.

كما يجدر الإشارة إلى أنّ الطّبيب لم يكن مطلقًا، عند حسن ظنّ الخليفة أو الحاكم، فكثيرًا ما كان يتعرّض للنّكبات والعقوبات، بسبب تجاوزه لمهامه أو بتدبيرٍ من حاسدٍ أو عدوّ، فقد عُوقب بسبب أمورٍ تخصّ مهنته كطبيب، كأنْ يُفشي سرًّا أو يصنع سُمًّا أو يعجز عن المداواة جهلًا أو لسوء حظّ، فيثير سخط الّذي يخدمه، كما عُوقِب الطّبيب بسبب أمورٍ في غير الطّب، كأن تكون وظيفته الأخرى كالقضاء أو الوزارة سببًا لسخط العامّة أو من الخاصّة أو من الخليفة والحاكم مباشرةً، ممّا يؤدّي إلى السُخْط عليه، وبقدر غضب المـُعاقِب، ونوع السبب المغضِب للمُعَاقِب تكون درجة العقوبة، فمنهم من قُتِل، ومنهم من سُجن، ومنهم من صودرت أملاكه، ومنهم من طُرِد من العمل ونُفِي.

بالنّسبة لواقع الأطبّاء، فقد كانوا موزّعين على أقاليم المشرق الإسلامي، بحسب ابن أبي أصيْبعة – العراق وبلاد العجم، والهند، ومصر والشّام–، والنّصيب الأكبر كان لأطبّاء العراق بمائة وثلاثةٍ وأربعين(143) طبيبًا، أغلبهم في القرن(3هـ/9م) بواحدٍ وخمسين (51)طبيبًا، في حين بلغ عدد أطبّاء الشّام اثنين وسبعين (72) طبيبًا، أغلبهم في عهد الدّولة الأيّوبيّة (نهاية القرن6هـ/12م. وبداية القرن7هـ/13م) بخمسةٍ وثلاثين (35) طبيبًا، وجاءت مصر ثالثًا بتسعةٍ وخمسين (59) طبيبًا، وهي الأخرى كان أغلبيّة أطبّائها في الحقبة الأيّوبيّة.

أمّا فيما يخصّ معتقَد الأطبّاء، فما تحصّلت عليه من الإحصائيات هو كثرة أطبّاء أهل الذّمة، إلى جانب الأطبّاء المسلمين، وكانوا يمارسون هذه الصّناعة على الخلفاء والحكّام ممّا يبرز إنسانية المهنة؛ إذ لم تكن ديانة الطّبيب تُعتبَر، إذا ما تفانى الطّبيب في أداء مهامّه ضمن تنظيرات الأطبّاء الأخلاقيّة، بدايةً بأبقراط وصولًا إلى تنظيراتهم هم أنفسهم زمن الحضارة الإسلاميّة، وقد تواجد أكثر هؤلاء في كلٍّ من العراق ومصر، أين وُجِد أطباء جندي سابور النّصارى الّذين كانت لهم هجرة إلى العراق وبالذّات بغداد، كما نتج عن تواجد الأقباط بمصر عدد كبير من الأطبّاء النّصارى، إضافةً إلى ما وجد من يهودٍ في مصر.

ومن النتائج المتوصّل إليها توارث الطّب داخل الأسرة الواحدة، فيما يُعرف بالأسر الطبيّة، حيث احتوى الكتاب على أكثر من أربعين أُسْرَةُ طبيّة في المشرق الإسلامي، أغلبها نصرانيّة ويهوديّة، وهذا دليلٌ على التّسامح الدّيني والتّعايش في ظلّ الثّقة المتبادَلة، حيث لم يرتبط الطّب بالدّين، بقدر ما ارتبط بالجانب الإنساني، فاتّصف أطبّاء هذه الأسر، وكذلك بقيّة أطبّاء المشرق الإسلامي في الغالب بالأخلاق والآداب الطبيّة، تحقيقًا وعملًا بما ورد في القَسَمُ والوَصيَّة الطبيّين لأبقراط، ولعلّ من أبرز أُسر العراق؛ أسرة آل بخْتِيشوع (ق2-5هـ/8-11م)، وأسرة ثابت بن قرّة (221-363هـ/836-974م)، ومن أسر مصر؛ أُسْرَةُ بنُ أَبي فَانَة (ق7هـ/14م)، ومن أسر الشّام؛ أُسْرَةُ الرَّحْبِي التي ظهرت في أواخر القرن السّادس وبداية القرن السّابع الهجريين(6هـ/12م)، وكذلك أُسْرَةُ ابن أَبي أُصَيْبِعة أواخر(ق6وبداية7هـ/12و13م)، وكذلك أُسْرَةُ الحَرْثُ بن كِلدة بالجزيرة العربيّة، وأُسْرَةُ ابن رَبْن الطَّبَرِي في بلاد العجم.

عرفت الرّحلة العلميّة في المشرق الإسلامي نشاطًا وحركيّةً كبيرة، كصورة للرحلة العلميّة الدّاخلية، ممّا أبرز عمليات التأثير والتأثّر، وقد كانت تنتهي هذه الرحلة بالتّعلم، والتعليم في المكان الذي ينتقل إليه الطّبيب، كما فعل ابن ابي أصيبعة الذي تتلمذ على عديدٍ من المشايخ في الطّب، على غرار الطّبيب ابن البيطار، وقد كانت هذه الرّحلة تنتهي إمّا بالاستقرار أو بالعودة.

عرفت العلاقات بين الأطبّاء مظاهر عديدة، غلب عليها التّفاهم والتّعاون بين الأطبّاء، منهم المعلّمون ومنهم التلاميذ، ومنهم الأصدقاء والزّملاء، كما ساد بينهم التشاور حول الأمراض، وكيفيّة العلاج، وفي مرّاتٍ يتناظرون، ويراسلون بعضهم في أمور الطّب، ممّا أنتج كتبًا على شكل ردودٍ، كالمقالة التي ردّ بها الشيخ الرئيس ابن سينا على الطّبيب أَبُي الْفرج أَبُو الطّيب، وكردود ابن رضوان على ابن بُطلان، وغيرها من النماذج، كما وجدت علاقات شابتها التوتّرات بين الأطبّاء، وإنْ لم تكن كثيرة، وقد اعتمد ابن أبي أُصَيْبِعة على الشعر كوسيلة لإبراز تلك الأحاسيس المختلفة، فوجدنا الطّبيب إذا كانت علاقاته سيّئة مع طبيب آخر هجاه، وذمّه، وإنْ كان على عكس ذلك مدحه، وأثنى عليه مُبديًا بذلك مظاهر الإعجاب والاحترام.

أمّا فيما يخصّ تعلّم الطبّ وتعليمه، فقد تمّ وفق شروط وضوابط علميّة ومنهجيّة، وضعها وضبطها القدماء من الأطبّاء أمثال أبقراط، ثمّ أكّد عليها أطبّاء المشرق الإسلامي؛ الرّازي، وابن سينا، وابن رضوان، والرُّهاوي، أبو العلاء صاعد، وابن هُبل، وغيرهم، منها الاستعداد، النّفسي والجسماني، ولنجاح العمليّة التعليميّة وجب إخضاع كلٍّ من معلّم الطّب ومتعلِّمه لهذ الشّروط، ولأهميّة ذلك كان ابن أبي أُصَيْبِعَة حريصًا على ذكر الصّفات التي تميّز بها الأطبّاء في بدايات تراجمه، كما أنّه بالغ في حرصه على ذلك،

فافتتح كتابه بذكر تنظيرات الطبيب أبقراط لآداب وأخلاقيات هذه المهنة، من خلال وصيّته وناموسه في الطبّ، أين حدّد شروط المتقدّم لتعلّم الطبّ.

وأكّد على تأدية القَسَم الطبّي البُقراطي الذي يُلزم المتقدّم لممارسة الطبّ تقديم عهود بالتزام الأخلاق والآداب، وعدم تجاوزها، مع أنّ المسلم مطالب بالتزام الآداب والأخلاق في جميع الممارسات المرتبطة بحياته، وكم نحن في أشدّ الحاجة إلى إلزام الأطبّاء بها في وقتنا الرّاهن، بأن تكون هناك ضوابط وشروط مرافقة للجودة العلميّة لدى المتقدّمين بطلب دراسة الطّب، وبأن يتمّ اختيار طلبة الطّب بمراعاة الجوانب الأخلاقيّة التي تظهر في الحالة الجسمانيّة وفي المظهر، وغيرها من الأمور الدّالة على حسن السيرة من غيرها، ثمّ تعميمها على جميع التّخصصات الجامعيّة، كالمقبلين على الامتهان في القضاء والإدارة والتعليم، وغيرها لتحقيق العدل، وتكريسه في المجتمع.

ومن بين الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها طالب الطبّ الاستعداد النّفسي، بالرّغبة والاجتهاد والصّبر، وطبيعته الجيّدة، والاستعداد العلميّ، بحرصه الشديد، فيُقبل على التَعليم ولا يضجر، وأن يكون قلبه سليم، ونظره عفيف، والاستعداد الجسماني، بأن يكون حَديث السّن، معتدل القَامة، مُتنَاسب الأعْضاء، جيّد الفَهم، حَسن الحَديث، وكذلك يهتمّ بمظهره فيكون حسن الملبس طيّب الرّائحة نظيف البَدَن والثّوب، وفي ممارسته للطّب يكون ذكيًّا، عاقلًا، كتومًا للأسرار، مأمونًا ثقةً على الأرواح والأموال، همّه نفع النّاس لا جمع الأموال، وغيرها من الصّفات النّبيلة الّتي تنبعث أساسًا من طبيعة الإنسان المسلم أوّلًا، ثمّ من الطّبيب الملتزم بالقسم الطّبي.

أمّا الأماكن التي خُصِّصت لتعليم الطبّ، فهي على قسمين؛ أماكنٌ يتمّ فيها التّعليم النّظري، كالمساجد ومنازل الأطبّاء التي كانت بها العديد من المكتبات الكبيرة، كالمكتبة التي بدار الطّبيب المظفّر، نَصر بنُ مَحْمُود بنُ الْمُعَرّف(ت. ق6هـ/ 12م)، كما عُرِفت المجالس التّعليميّة للأطبّاء أشهرها مجلس الطبيب أبي بكر محمّد بن زكريا الرازي، ومجلس الطّبيب ابن سينا الذي كان يتمّ فيها التّعليم والتّناظر، وأُنتجت فيها مؤلّفات على سبيل منهج السّؤال والجواب، بالإضافة إلى المدارس الطبيّة النّظريّة التي ظهرت ابتداء من القرن7هـ/13م) كالمدرسة الدّخواريّة، والدُنيْسريّة، وغيرهما، تمّ فيها تحفيظ الكتب الطبيّة، وشرحها وتعديل سلوكيّات الطّلبة، والإجابة عن أسئلتهم ...، وأماكنٌ تجمع بين التّعليم النّظري والتّطبيقي، تمثّلت أساسًا في البَيْمَارِسْتَانات، فلم تكن الدّراسة النظريّة وحدها، والاكتفاء بقراءة الكتب وحفظها أساس للتعليم لدى الأطبّاء في المشرق الإسلامي؛ بل كان التّطبيق العملي والتّجربة والممارَسة من أركان التّعليم، وتمّ ذلك أثناء الدّراسة بالنّسبة للطّلاب، وأثناء الخدمة بالنّسبة للأطبّاء، وقد كان الطّلاب يرافقون

معلّميهم أثناء مرورهم بالمرضى، ممّا يُسهِّل مراقبة الأستاذ عند فحصه، ومعالجته، وملاحظة كيفيّة تصرّفه ومناقشته للمريض، وهذا كلّه داخل البَيْمارستان.

تقديم الدَّرس الطّبي لم يكن يُقدّم بطريقة موحّدة في المشرق الإسلامي، فلكلّ طبيب طريقته في الأداء وفي التّقديم والشّرح، وفي كيفيّة انتظام الطلبة في حلْقته، أمّا وقت الدّرس فالغالب يكون بعد اتمام الطّبيب المعلّم زيارة مرضاه، وأن مكان التَعليم يكون مفروشًا لتنظيم الجلوس، وتكون في مكان التّعليم مكتبة مخصّصة لطلبة العلم والطّب، وبعد إتمام التعلّم في الجانب النّظري بقراءة الكُتب وحفظها وسماع شروحها من المشايخ، يسعى المتعلّم إلى التّمرّس والتّمرّن تطبيقيًا بالملاحظة السّريريّة.

وعُدّ التّعليم التّطبيقي، تعليم تفاعلي، يكون دور الأستاذ هو إثارة فطنة الطّلاب، لا إملاء العلوم وتلقينها، حيث يقف معلّم الطّب بجانب سرير المريض، ويلتفّ حوله تلاميذه، ويبدأ المعلّم باستجواب المريض عن حالته، والطّلبة له ينظرون، فيَرون كيفيّة تشخيص الطّبيب للدّاء الّذي يَشْكو منه المريض، فيسأله عن رغبته في الأكل، ويجسّ نبضه، ويلتمس جلده، ويلاحظ عينيه، وقد ينظر بوله وريقه وبُرازه، فإذا انتهى استجوابه للطّبيب، ترك الأمر للطلّاب كي يُبدوا رأيهم في التّشخيص والعلاج، وقد يتمّ ذلك في إيوان خاص في المستشفى يتدارسون فيها الحالة المرضيّة التي شاهدوها.

وفيما يخصّ المقرّرات الدراسيّة، التي يجب أن تقدّم لطالب الطبّ فهي متنوّعة، منها الثّانوية كالكتب الأوّليّة، ومنها المتخصّصة، فالعلوم الطّبيّة في المشرق الإسلامي المقدَّمة والمناهج التّدريسيّة المتّبعة يختلف في القرون الخمسة الأولى عن ما بعدها من قرون الّتي اعتُمد فيها على كتب الأوائل ومناهجهم التَعليميّة، خاصّةً "كتب جالينوس، وأَبُقْرَاط" الّتي جمعها الإسكندرانيون، وهذا الّذي يُعْرف بالنّظريّة اليونانيّة التي تخضع الطّب للفلسفة، ومع بداية القرن(6هـ/12م) بدأ إهمال طريقة الإسكندرانيّين في التَّعليم وإهمال مصنّفات جالينوس وأَبُقْرَاط، والاهتمام بالموسوعات الطّبيّة الإسلاميّة، ككتب الرّازي، وابن سينا، وغيرها، ومناهجها التَّعليميّة الجديدة، ممّا أعلن عن ظهور مدرسة طبيّة جديدة لتَعليم الطّب ومناهجه، وهي المدرسة الطّبيّة الإسلاميّة.

قبل مزاولة الطّبّ وجب امتحان الطّبيب، لتحقيق جودة العلاج، وتأكيدًا على قدسية وشرف الصناعة، بمنع أدعياء الطّب، حيث عُيّن لهذه المهمّة أطبّاء بكفاءة عاليّة، وذلك بعد أن كان امتحان الطّبيب في البدايات بسيط وعفوي، لكن سرعان ما أصبح يسير وفق منهج دقيق ومحدّد، وذلك بداية من القرن(4هـ/10م)، بأن مُنع جميع المتطبّبين من ممارسة مهنة الطبّ إلّا من امْتُحِن.

ويُعدُّ الطّبيب أبو بكر الرّازي من بين الأطبّاء المشهورين الذين نظّروا للأمور التي يجب أن يُمتحن فيها الطّبيب، كأن يمتحن في أمور النّبض، بأن يعرف الفرق بين القويّ والصّلب، وبين الصّغير والضّعيف، وبين المستوي والمتخلّف، ومعرفة الحِمّيات، والأمراض الحادّة' والبحّارين' ويُسأل كيف يفرِّق بين أنواع الحُمَّى، من أوّل دورها، وكيف تُميّز المركّبة، وكذلك يُمتحن الطّبيب في المعرفة بأزمان الأمراض، وتغيّير العلاج في زمان زمان ويحسب نوع نوع...، وتُعدُّ كتب الحِسبة مرجعًا مهمًّا لمن أراد معلومات حول ما يجب أن يمتحن فيه الطّبيب، موضّحة ومبسّطة، حيث يقوم المحتسب أو القائم على امتحان الأطبّاء باتّباع منهج معيّن للتّفريق بين الأطبّاء، ونظرًا لأهميّته أُلّفت كتب عديدة في إطار الدّعوة إلى امتحان الطّبيب، ولتوضيح الأمور التي يجب أن يمتحن فيها، إضافةً إلى ما جاء في كتب الحسبة، ككتاب "محنة الطّبيب"، وكتاب "معرفة محنة الكحّالين"، ليُوحَنّا بن ماسويه (ت243هـ/857م)، وكتاب "امتحان الأطبّاء"، لحُنَيْن بن إسْحَاق(ت260هـ/874م)، وغيرها.

أمّا أخلاقيات الطّب، فقد كانت ظاهرة جليّة في أطبّاء المشرق الإسلامي؛ حيث أحال ابن أبي أُصَيْبِعَة إلى أوصاف الأطبّاء وآدابهم، فتميّزوا بالفطنة والذّكاء، والرّأفة والشّفقة بالمرضى، والمواظبة على البحث والكشف عَن أسرار الصّناعة وحقائقها، وكان الطّبيب حسن السّيرة، محبًّا للخير وأهله، مجتهدًا في معالجة المرضى، رحيمًا بالخَلْق، طاهر اللّسان، مؤثرًا للجميل، وقد اشترط على من يمارس الطبّ أداء قسَمًا طبيًا يقطع به عهدًا وميثاقًا على نفسه، بتطبيق بنوده على غرار قسم أبقراط الطبّي الذي اشتمل على الآداب المهنيّة التي ينبغي أن يلتزم بها الطّبيب في مهنته ضمن المفاهيم الإسلاميّة، ومن مظاهر الالتزام بها؛ امتناع العديد من الأطبّاء عن صنع ووضع السّم، والمشاركة في الاغتيال، وتظهر الأخلاق أيضًا في مسألة الأجور، بأن عالجوا الفقراء والمعدومين، دون طلب الأجر منهم، وعاملوا المصابين بأمراض نفسيّة باهتمامٍ بالغ، حيث سعوا إلى إيجاد طرقٍ وأساليب لمعالجتهم، ولم يتركوهم فأوجدوا علاجات نفسيّة تتناسب مع عِلَلهم، على عكس ما كان سائدًا في أروبا ذلك الوقت، حسب ما ذكرت المؤرّخة الألمانية زغريد هونكه.

كما خصّص أطبّاء المشرق الإسلامي كتبًا ومؤلّفات في أخلاق الطبيب، و بيّنوا الأمور التي يجب أن يكون عليها، ككتابُ أدبُ الطّبيب، لإسْحَاق بن عَليّ الرُّهاوي (ق4هـ/10م)، وكتاب أخلاق الطّبيب، لأبي بكر الرّازي (ت313هـ/ 925م)، وكتاب التّشويق الطبّي، لصاعد بن الحسن أبي العلاء(ت بعد 464هـ/ بعد 1071م)، وغيرها من المؤلّفات المفقودة، ومن خلال ما تقدّم به ابن أُصَيْبِعَة في ذكره لأخبار الأطبّاء ونوادرهم اتضّح أنّ الممارسة الأخلاقيّة للطّبّ في الحضارة الإسلاميّة كانت في أحسن صُوّرها، على الرّغم ممَّا عرفته في بعض المرَّات من تجاوزات.

وفيما يخصُّ الجانب الطبّي العملي البحث؛ فإنّ ابن أبي أُصَيْبِعَة لم يذكر معلومات كثيرة، وكلّ ما ذكره تقريبًا كان لأحد سببين، إمّا لذكره وفاة شخصيّة ما بمرض معيّن أو ما ذكره من مؤلّفاتٍ طبيّة حملت في عناوينها أسماء أمراض، ومن هذه الأمراض التي كانت منتشرة في المشرق الإسلامي؛ أمراض العيون؛ الرمد والظفرة والجرب والبرد والماء والغلظ والشعر وزيادة اللّحم الذي في المآقي ونقصانه، ومن الأمراض الأخرى؛ مَرضُ الفَالج، ومرض المانيا أو الجنون السّبعي، آفة النّسيان، كما وُجد الصَّرع، والسُّل، والسّكتة، وثقل الّسان واسترخاء الأعضاء، كما وجد أيضًا داء الجرب، وعلّة ذات الجنب، والذّرب، والاسْتِسْقَاء، وأشهر الأمراض انتشارًا في المشرق الإسلامي مرض القُوْلَنْج، ومرض النُّقْرُس ووجع المَفَاصِل، والجُدريّ والحَصْبَة، والحُمَيْقَاء، والبَدَانَة، ومرض الجُذَام، بالإضافة إلى الأمراض النّفسيّة كمرض العِشق والماليخوليا، وغيرها...وهاته الأمراض وغيرها قد أتقن أطبّاء المشرق الإسلامي علاجها، من خلال موسوعاتهم الطبيّة التي عرّفوا فيها هذه الأمراض، وبيّنوا العلاجات اللّازمة، من أدويّةٍ وأغذيّةٍ، وطبٍّ وقائي، وغيرها.

ومن العلاجات التي اعتمدوها؛ الفصد والحجامة، والعلاج بالأغذية والأشربة، والمعالجة الطبيّة للجوانب النفسيّة، ووصف الحمّام، ومعرفة الدهن، والغرغرة، والقيء، وطرق إسهال البطن، كما اعتُمدت الحِميّة، وعرفوا التّشريح والجراحة، وألّفوا الكتب في ذلك، أين اجتمعت لديهم القدرة الممثّلة في المهارة العقليّة واليدويّة، فأبدعوا في طرق التّأليف، ليشهد التّأليف في المشرق الإسلامي حتّى أواخر القرن(7هـ/13م) نزعتين؛ نزعة أولى مالت إلى التّجميع والتّركيب والشّروح والتّفسير وشرح الشّروح والاختصارات، مع بروز الحسّ النّقدي بالمراجعة والتّصحيح والتّعليق ونقد المحتوى، ونزعة ثانية، فيها التحرّر والإبداع في التّأليف ببروز ثمرة المنهج التّجريبي، منتجةً أعمالًا أصليّة ومبتكرات لم يسبقهم إليها أحد، فألّفوا في الطبّ الوقائي، والتّأليف في طبّ العيون، والتّأليف في الأدويّة المفردة والمركّبة والصّيدلة والعقاقير، والتّأليف في الأوبئة والأمراض المختلفة، والتّأليف في الباه وطبّ النّساء والأطفال...

وفي الأخير أقول:

كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء مصدر يحتوي على عديد المواضيع التي تستدعي البحث، بحيث لا يمكن استيعابه إلّا بالتوغّل في جزئياته، والتّدقيق أكثر في معالجة مواضيعه، من خلال دراسات جادّة تعالج مختلف النقاط التي تمّ ذكرها عليها، والتي يرقى كثير منها لأن يكون دراسات مستقلّة تحتاج كلٍّ منها إلى مئاتٍ من الصّفحات.

يجب على مستشفياتنا ومعاهدنا أن تسترجع أدوارها الأولى، بمزاوجة الممارسة الطبيّة ومعالجة المرضى مع تكوين الأطباء تكوينًا ممتازًا وتعليمًا تنافسيًا، وتوسيع ثقافة الأطبّاء، ويمكن لكلّ هذه التحدّيات التي تواجه الطبيب اليوم أن تجد حلولًا مناسبة استلهامًا من القيّم الدينيّة الإسلاميّة، ومن النظام الصّحّي والتعليمي الذي أنتجته المدارس الإسلاميّة الطبيّة في عصرها الذهبي.

وأمّا أخلاقيات المهنة، فهي إلزاميّة لتحقيق النجاح في أداء الواجب المهني، في الطبّ وغيره من الوظائف الأخرى، والأطبّاء في حاجة إلى الالتزام بهذه الأخلاق أكثر من أيّ وقت مضى، خاصّةً أمام ما يواجه الطبيب من عدّة مطالب متعلّقة بالمعطيات الطبيّة الحديثة مثل، تيسير الموت والإنجاب الاصطناعي والمعالجة الجينيّة والتطوّع بالأعضاء وزرْعها، إلى غير ذلك.

ما ذكره الطبيب ابن أبي أصيبعة في كتابه يؤكّد أنّ الطب في المشرق الإسلامي ما هو إلّا تكملةٌ للطب في مناطق سابقة أو موازيّة له ومعاصرة، وأنّ الميزة الإنسانيّة التي يتميّز بها الطبّ علمًا وصناعةً، نظريًا وتطبيقيًا هي التي تجعل الطبيب والمزاول لمهنة الطب ودارسها ومتعلّمها يشعر بالحريّة في أداء ما عليه في كلّ مكانٍ يكون فيه، لأنّ القسم الطبي للجميع، مع ملاحظة أهمّ شيءٍ يتمثّل في أسلمة الطب علمًا ومهنةً في المشرق الإسلامي، دون إقصاء للأطباء الذّمّيين.

الملاحق

الملاحـــق:

<u>الملحق رقم: (1)</u>؛ المتضمّن: قصيدة لابن أبي أُصَيْبِعَة في الصّاحب أمين الدّولة.

قال ابن أبي أُصَيْبِعَة: "وَلما تجلدت -يقصد نسخة كتابه- عَمِلتُ قَصِيدة مَدِيح فِي الصَّاحب أَمِين الدولة، وَبعثت بِالْجَمِيعِ إِلَيْهِ مَعَ قَاضِي الْقُضَاة بِدِمَشْق رفيع الدّين الجيلي؛ ... وَلما وقف أَمِين الدَّولة على ذَلِك أعجبه غَايَة الْإِعْجَاب، وَفَرح بِهِ كثيرا، وَأرْسل إِلَيّ مَعَ القَاضِي المال الجزيل، وَالْخلْع الفاخرة، وتشكّر، وَقَالَ: أشتهي مِنْك أَن كلما تصنفه من الْكتب تعرفنِي بِهِ.

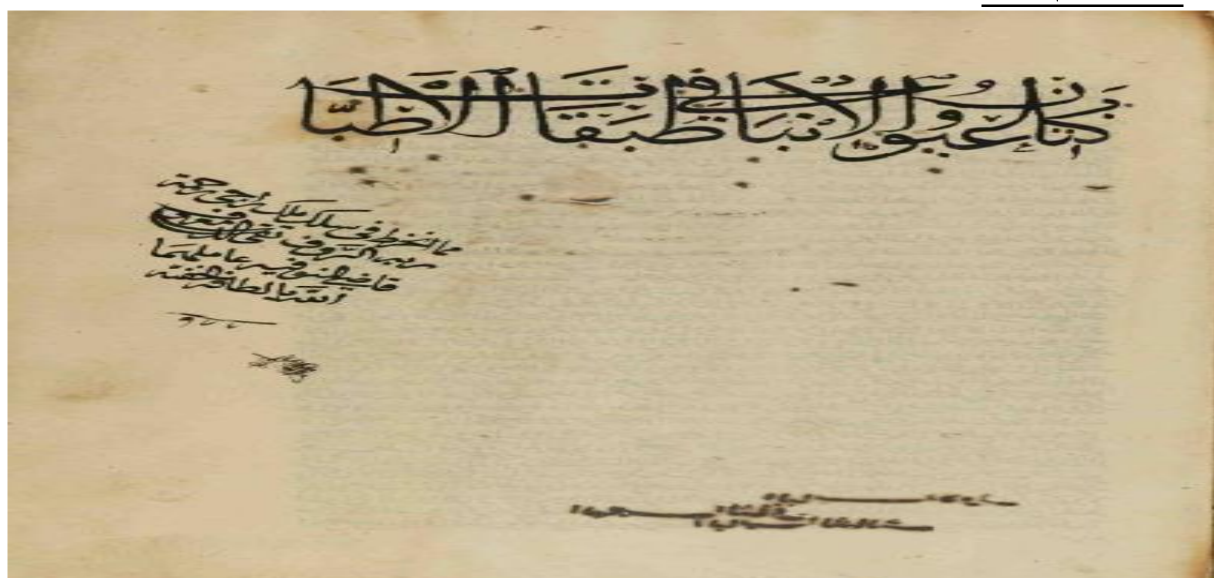
وَهَذِه نُسْخَة القصيدة الَّتِي قلتهَا فِيهِ وَذَلِكَ فِي أَوَائِل سنة ثَلَاث وَأَرْبَعين وستمِائَة:

فُؤَادِي فِي مَحَبَّتِهِم أَسِير ... وَأَنّى سَارَ رَكْبُهمْ يَسِير
يَحِنّ إِلَى العذيب وسَاكِنِيه ... حَنِينًا قَد تَضَمّنَه سَعِير
وَيَهْوى نَسْمَة هَبَّت سَحِيرا ... بهَا من طِيب نَشرهم عَبِير
وَإِنِّي قَانِع بَعْد التَّدَانِي ... بِطَيْف مِنْ خَيَالِهِم يَزُور
وَمَعْسُول اللمى مر التَّجَنِي ... يجُور عَلَى الْمُحب وَلَا يُجِير
تَصَدَّى للصُدُود فَفِي فُؤَادِي ... بِوَافر هَجْره أَبَدا هَجِير
وَقَد وَصلت جُفُونِي فِيهِ سهدي ... فَمَا هَذي القَطِيعَة والنُّفُور
كَأَن قوامه غُصْن رطيب ... وَطَلْعَة وَجهه بدر مُنِير
يَرَى نَشْوان مِن خَمْر التَّصَابِي ... يميد وَفِي لَواحِظه فُتُور
فَفِي وجناته لِلْحسنِ روض ... وَفِي خَدِي مِن دَمي غَدِير
وَكَمْ زَمن أَرَاهُ قَد تَعَدى ... عَليّ وإنَّني فِيهِ صبور
وحَالِي مَعَ بنيه غَيْر حَال ... وَسري لَا يمازجه سرُور
وَأَن أَشْكُو الزَّمَان فَإِن ذخري ... أَمِين الدولة الْمولى الْوَزِير
كَريم أريحي ذُو أَيَاد ... تَعم كَمَا همى الجون المطر
تَسَامى فِي سَمَاء الْمجد حَتّى ... تأثر تَحت أَخْمُصُهُ الْأَثِير
وَهَل شعر يعبر عَن علاهُ ... وَدون مَحَله الشعرى العبور
لَهُ أَمر وَعدل مُسْتَمر ... بِهِ فِي الْخلق تعتدل الْأُمُور
فَفِي الْأَزْمَان للعافي مبر ... وَفِي العَزَمَات للعَادي مبير

لقد فاق الْأَوَائِل فِي الْمَعَالــِي ... وَكَم مِن أَوَّل فَاق الْأَخير
يــــطول الْعَالمـــين بِكُل علم ... وَيقصر عَنهُ فِي رَأْي قصير
وَقد صلحت بِهِ الدُّنْيَا ودانت ... لصالحها الْمَدَائِن والثُّغـــور
أيَا من عَم أنعاما ويَـــا مَنْ ... لَهُ الأفضال وَالْفضل الغزير
لَقَد أَحييت ميت الْعلم حَتَّى ... تبين فِي الْوُجُود لَـهُ نشــور
وأوردت الْأَنَام بحار جــــود ... وَقد كَادَت مَنَاهلُــها تغور
وَكم فِي الطِّبّ من معنى خَفِي ... بشرح مِنْك عَاد لَهُ ظُهُور
وَقد قَاس الرئيس إِلَيْـك يَــوْمًا ... يجده إِلَيْك مَرؤُوسا يصــير
وَهل يحكيك فِي لفـظ وَفـضل ... وَمَا لَك فيهمَا أبدا نَظِـير
وَقد أرْسلت تأليـفا ليَــــبْقَى ... على اسْمك لَا تُغَيّره الدُّهُور
فريد مَا سبــقت إِلَيْـهِ قـدما ... ومولانا بِذَاكَ هُــوَ الْخَبِـير
وَلَكِن فِي علومك فَهُوَ يهــدى ... كَمَا تهدى إِلَى هجر التُّمور
وحاشا أَن أبـكار الْمَـــعَـالِي ... إِذا زفت إِلَى الْمولى تبــور
وَإِن تَكُ زلَّـــة أبديـت فِـيـهِ ... فَعَن أَمْثَــالهَا أَنْت الغـفور الوافر[1]

[1] ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 725-727.

الملحق رقم: (2)؛ المتضمّن: صورتين من مخطوطة كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"[1]





[1] https://www.alukah.net/library/. **تاريخ الإضافة** 27/5/2019 ميلادي – 1440/9/23 هجري. (أصل النسخة في مكتبة ليدن بهولندا).

الملحق رقم (3)؛ المتضمّن: جدول يتضمّن البَيْمَارِسْتَانَات الواردة في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأَطِبَّاء"

البيمارستان	مؤسّسه	أهمّ من عمل به من الأطبّاء	الصفحة
بيمارستان الرَّشيد	هارون الرّشيد (149-193 هـ / 766 - 809 م)	مَاسَوَيْه أَبُو يُوحَنَا وجبرائيل بن بختيشوع	245
البيمارستان المقتدري 306هـ	الخليفة المقْتَدِر بالله (282- 320هـ / 895 - 932 م)	جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع	.302
البَيْمَارِسْتان العَضُدِي في الجَانب الغَربي من بَغداد في 367هـ	عَضُد الدَّولة بنُ بُوَيه (324-372هـ/ 936-983م)	أَبُو الحْسن عَليّ بن إِبْرَاهِيم بن بكس (ق4هـ/ 10م) الطّبيب أبو الفرج بن الطيّب (ت435هـ/ 1043م) أبُو الحَسَن سَعيد بنُ هِبة الله/ سَعيدُ بنُ أَثَرْدِي/ أمين الدولة بن التلميذ	415
بَيْمَرِسْتَان الحربية سنة 302هـ	الوزير أبو الحسن علي بن عيسى	أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدّمشقي	316
مارستان الرّيّ	لم يذكر	محمد بن زكريّا الرّازي	416
بَيْمَارِسْتان بدر غلام المعتضد	لم يذكر	سِنان بنُ ثابت	301 302
بَيْمَارِسْتان السّيدَة أمّ المقْتدر بسُوق يحيَ 306هـ	أبو سعيد سنان بن ثابت	سنان بن ثابت	302
بَيْمَارِسْتان ابن الفرات	لم يذكر	أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة	.305
البيمارستان الفارقي بميَّافارقين بعد سنة 422هـ	نصير الدولة بن مروان	زاهد العلماء	341

بيمارستان أصفهان	لم يذكر	لم يذكر	460
البَيْمَارِسْتان النّوري الكبير سنة 549هـ بدمشق	نُور الدِّين محمُود بن زِنكي (ت569هـ /1174 م)	لأبي المجد بنُ أبي الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله البَاهلي(ت 570هـ/ 1175م)/ مهذب الدِّين ابن النقاش (ت574هـ/ 1179م)/ موفّق الدِّين بنُ المطْرَان (ت587هـ/1191م)/ ومهذّب الدِّين الدَّخْوَار (ت628هـ/1231م) /والطّبيب ابنُ اللّبُودِي (ت622هـ/1225م)/ عِمْرَان بنُ صَدَقة(ت637هـ/1240م)/ سَديدُ الدِّين بن رقيقة (ت635هـ/1238م)/ الطّبيب عُثْمان بنُ يُوسُف بنُ حَيْدَرة الرَّحْبِي(ت 658هـ/1260م)/ شَرف الدِّين الرَّحْبِي (ت667هـ/ 1269م	662 739 759 761...
البَيْمَارِسْتان النَّاصِري أَوْ الصَّلَاحِي سنة 577هـ/1181م	السُّلطان صَلَاح الدِّين يوسف بنُ يوسف بنُ أَيُّوب	الطّبيب رضي الدِّين الرَّحْبي (ت 631هـ/1234م) / إبراهيم بن موسى بن ميمون القرطبي (ت بعد 631هـ/بعد 1234م)/ سديد الدِّين أبو الفضائل داود بن أبي سليمان مولده سنة 556هـ/ 1160م / القاضي نفيس الدِّين بنُ الزُبير (ت636هـ/1238م)/ ابن أبي أُصَيْبِعَة	583 584 586
بيمارستان السِّقطيين أسفل القاهرة	لم يذكر	شهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحَّال	736

الملحق رقم (04) المتضمّن "قَسَم أَبُقْرَاط"

أقسم بِاللَّه رب الْحَيَاة وَالْمَوْت وواهب الصِّحَّة وخالق الشِّفَاء وكل علاج، وَأقسم بأَسْقلَيْبِيُوس، وَأقسم بأولياء الله من الرِّجَال وَالنِّسَاء جَمِيعًا، وأشهدهم جَمِيعًا على أَنِّي أَفِي بِهَذِهِ الْيَمين وَهَذَا الشَّرْط، وَأرى أَن الْمعلم لي هَذِه الصِّنَاعَة بِمَنْزِلَة آبَائِي وأواسيه فِي معاشي وَإِذا احْتَاج إِلَى مَال واسيته وواصلته من مَالِي، وَأما الْجِنْس المتناسل مِنْهُ فَأرى أَنه مساوٍ لإخوتي وأعلمهم هَذِه الصِّنَاعَة ان احتاجوا إِلَى تعلمهَا بِغَيْر أُجْرَة وَلَا شَرط، وأشرك أَوْلَادِي وَأَوْلَاد الْمعلم لي والتلاميذ الَّذين كتب عَلَيْهِم الشَّرْط أَو حلفوا بالناموس الطبي فِي الْوَصَايَا والعلوم وَسَائِر مَا فِي الصِّنَاعَة، وَأما غير هَؤُلَاءِ فَلَا أفعل بِهِ ذَلِك وأقصد فِي جَمِيع التدابير بِقدر طاقتي مَنْفَعَة المرضى، وَأما الْأَشْيَاء الَّتِي تضر بهم وتدني مِنْهُم بالجور عَلَيْهِم فامنع مِنْهَا بِحَسب رَأْيِي، وَلَا أعطي إِذا طلب مني دَوَاء قتالا وَلَا أُشير أَيْضا بِمثل هَذِه المشورة، وَكَذَلِكَ أَيْضا لَا أرى أَن أدني من النسْوَة فرزجة تسْقط الْجَنِين، وأحفظ نَفسِي فِي تدبيري وصناعتي على الزَّكَاة وَالطَّهَارَة وَلَا أشق أَيْضا عَمَّن فِي مثانته حِجَارَة وَلَكِن أترك ذَلِك إِلَى من كَانَت حرفته هَذَا الْعَمَل، وكل الْمنَازل الَّتِي أدخلها إِنَّمَا أَدخل إِلَيْهَا لمَنْفَعَة المرضى وَأَنا بِحَال خَارِجَة عَن كل جور وظلم وَفَسَاد إرادي مَقْصُود إِلَيْهِ فِي سَائِر الْأَشْيَاء وَفِي الْجِمَاع للنِّسَاء وَالرِّجَال الْأَحْرَار مِنْهُم وَالْعَبِيد، وَأما الْأَشْيَاء الَّتِي أعاينها فِي أَوْقَات علاج المرضى أَو أسمعها فِي غير أَوْقَات علاجهم فِي تصرف النَّاس من الْأَشْيَاء الَّتِي لَا ينْطق بهَا خَارِجا فَأَمْسك عَنْهَا وَأرى أَن أَمْثَالهَا لَا ينْطق بِهِ، فَمن أكمل هَذِه الْيَمين وَلم يفْسد شَيْئا كَانَ لَهُ أَن يكمل تَدْبيره وصناعته على أفضل الْأَحْوَال وأجملها وَأَن يحمده جَمِيع النَّاس فِيمَا يَأْتِي من الزَّمَان دَائِما وَمن تجَاوز ذَلِك كَانَ بضده(1).

1 ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص45.

الملحق رقم: (05)؛ المتضمّن: ردود الطّبيب ابن بطلان على الطّبيب ابن رضوان حول ضرورة وجود معلّم للطب وعدم اعتماد الكتب وحدها.

قال ابن أبي أصيبعة: لم يكن لِابْنِ رضوَان فِي صناعَة الطِّبّ معلم ينْسب إِلَيْهِ وَله كتاب فِي ذَلِك يتَضَمَّن أَن تَحْصِيل الصِّنَاعَة من الْكتب أوفق من المعلمين، وَقد ردّ عَلَيْهِ ابْن بطلَان هَذَا الرَّأْي وَغَيره فِي كتاب مُفْرد وَذكر فصلا فِي الْعِلَل الَّتِي لأَجلهَا صَار المتعلم من أَفْوَاه الرِّجَال أفضل من المتعلم من الصُّحُف إِذا كَانَ القَوْل وَاحِدًا، وَأورد عدَّة علل:

الأولى مِنْهَا تجْرِي هَكَذَا وُصُول الْمعَانِي من النسيب إِلَى النسيب خلاف وصولها من غير النسيب إِلَى النسيب، والنسيب النَّاطِق أفهم للتعليم بالنطق وَهُوَ الْمعلم وَغير النسيب لَهُ جماد وَهُوَ الْكتاب وَبعد الجماد من النَّاطِق مطيل طَرِيق الْفَهم وَقرب النَّاطِق من النَّاطِق مقرب للفهم فالفهم من النسيب وَهُوَ الْمعلم أقرب وأسهل من غير النسيب وَهُوَ الْكتاب.

وَالثَّانيَة هَكَذَا النَّفس الْعَلامَة عَلامَة بِالْفِعْلِ وَصُورَة الْفِعْل عَنْهَا يُقَال لَهُ تَعْلِيم والتعليم والتعلم من الْمُضَاف، وَكلما هُوَ للشَّيْء بالطبع أخص بِهِ مِمَّا لَيْسَ لَهُ بالطبع، وَالنَّفس المتعلمة عَلامَة بِالْقُوَّةِ وَقبُول الْعلم فِيهَا يُقَال لَهُ تعلم والمضافان مَعًا بالطبع، فالتعليم من الْمعلم أخص بالمتعلم من الْكتب.

وَالثَّالِثَة على هَذِه الصُّورَة المتعلم إِذا استعجم عَلَيْهِ مَا يفهمهُ الْمعلم من لفظ نَقله إِلَى لفظ آخر وَالْكتاب لَا ينْقل من لفظ إِلَى لفظ، فالفهم من الْمعلم أصلح للمتعلم من الْكتاب وكل مَا هُوَ بِهَذِهِ الصّفة فَهُوَ فِي إِيصَال الْعلم أصلح للمتعلم.

وَالرَّابِعَة الْعلم مَوْضُوعه اللَّفْظ، وَاللَّفْظ على ثَلَاثَة أضْرب قريب من الْعقل وَهُوَ الَّذِي صاغه الْعقل مِثَالا لما عده من الْمعَانِي ومتوسط وَهُوَ المتلفظ بِهِ بالصوت وَهُوَ مِثَال لما صاغه الْعقل وبعيد وَهُوَ الْمُثبت فِي الْكتب وَهُوَ مِثَال مَا خرج بِاللَّفْظِ، فالكتاب مِثَال مِثَال مِثَال الْمعَانِي الَّتِي فِي الْعقل والمثال الأول لَا يقوم مقَام الْمثل لعوز الْمثل فَمَا ظَنك بمثال مِثَال مِثَال الْمثل، فالمثال الأول لما عِنْد الْعقل أقرب فِي الْفَهم من مِثَال الْمِثَال والمثال الأول هُوَ اللَّفْظ وَالثَّانِي هُوَ الْكتاب، وَإِذا كَانَ الْأَمر على هَذَا فالفهم من لفظ الْمعلم أسهل وَأقرب من لفظ الْكتاب.

وَالْخَامِسَة وُصُول اللَّفْظ الدَّال على الْمَعْنى إِلَى الْعقل يكون من جِهَة حاسة غَرِيبَة من اللَّفْظ وَهِي الْبَصَر لِأَن الحاسة النسبية للفظ هِيَ السّمع لِأَنَّهُ تصويت وَالشَّيْء الْوَاصِل من النسيب وَهُوَ اللَّفْظ أقرب من وُصُوله من الْغَرِيب وَهُوَ الْكِتَابَة، فالفهم من الْمعلم بِاللَّفْظِ أسهل من الْكتاب بالخط.

وَالسَّادِسَة هَكَذَا يُوجد فِي الْكتاب أَشْيَاء تصد عَن الْعلم قد عدمت فِي تَعْلِيم الْمعلم وَهِي التَّصْحِيف الْعَارِض من اشْتِبَاه الْحُرُوف مَعَ عدم اللَّفْظ والغلط بزوغان الْبَصَر وَقلة الْخِبْرَة بالإعراب أَو عدم وجوده مَعَ الْخِبْرَة بِهِ أَو فَسَاد الْمَوْجُود مِنْهُ، واصطلاح الْكتاب مَا لَا يقْرَأ وَقِرَاءَة مَا لَا يكْتب وَنَحْو التَّعْلِيم ونمط الْكَلَام وَمذهب صَاحب الْكتاب، وسقم النّسخ ورداءة النَّقْل وادماج الْقَارئ مَوَاضِع المقاطع وخلط مبادئ التعاليم وَذكر أَلْفَاظ مصطلح عَلَيْهَا فِي تِلْكَ الصِّنَاعَة وألفاظ يونانية لم يُخرجهَا النَّاقِل من اللُّغَة كالثوروس وَهَذِه كلهَا معوقة عَن الْعلم

وَقد استراح المتعلم عَن تكلفها عِنْد قِرَاءَته على الْمعلم، وَإِذا كَانَ الْأَمر على هَذَا فالقراءة على الْعلمَاء أفضل وأجدى من قِرَاءَة الْإِنْسَان لنَفسِهِ، وَهُوَ مَا أردنَا بَيَانه.

قَالَ وَأَنا آتِيك بِبَيَان **سَابع** أَظُنهُ مُصدقا عنْدك وَهُوَ مَا قَالَه الْمُفَسِّرُونَ فِي الِاعْتِيَاض عَن السالبة البسيطة بالموجبة المعدولة فَإِنَّهُم مجمعون على أَن هَذَا الْفَصْل لَو لم يسمعهُ من أرسطوطاليس تِلْمِيذه تاؤفرسطس وأوذيموس لما فهم قطّ من كتاب، وَإِذا كَانَ الْأَمر على هَذَا فالفهم من الْمعلم أفضل من الْفَهم من الْكتاب، وبحسب هَذَا يجب على كل محب للْعلم أَن لَا يقطع بِظَنّ فَرُبمَا خَفِي الصَّوَاب وَإِذا خَفِي الصَّوَاب، علم الْأَشْيَاء علما رديا فثار عَلَيْهِ بِحَسب اعْتِقَاده فِي الْحق أَنه محَال شكوك يعسر حلهَا(1).

[1] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص563، 564.

الملحق رقم (06): عشرون مسألة، وردت في الباب الثامن والسبعين من الرّسالة الشّهابية، في امتحان الطّبيب.

من المسائل المختصرة والّتي يمتحن فيها الطبّيب، ما ورد عن جمال الدّين محمد بن إبراهيم المارديني، في معرفة مسائل يمتحن بها من ادّعى صناعة الطبّ وهي عشرون مسألة، وردت في الباب الثامن والسبعين من الرّسالة الشّهابية.

المسألة الأولى: ما الطب؟ وإلى كم ينقسم الطب؟

الجواب : الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان، من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، ليحفظ الصحة الموجودة، ويسترد الصحة المفقودة، وهو قسمان ؛ علم، وعمل.

المسألة الثانية: إلى كم ينقسم علم الطب؟

الجواب : إلى ثلاثة أقسام ؛ الأول معرفة الأمور الطبيعية، الثاني معرفة الأسباب، الثالث معرفة العلامات.

المسألة الثالثة : ما هي الأمور الطبيعية، وكم قسماً هي؟

الجواب : هي الأشياء التي منها يقوم البدن وبوجودها يوجد، وبعدم أحدها يكون الموت، وعددها سبعة ؛ الأركان والأمزجة والأخلاط، والأعضاء والقوى والأفعال، والأرواح

المسألة الرابعة : ما هي الأركان، وكم قسم هي؟

الجواب : هي النار، والهواء والماء والأرض، وعددها أربعة، لا سوى.

المسألة الخامسة : ما الأمزجة، وكم قسم هي؟

الجواب : هي الحار ،والبارد، واليابس والرطب، وهي متولدة من كيفيات متضادة.

المسألة السادسة : ما هي الأخلاط، وكم قسم هي؟

الجواب: هي الدم، والصفراء، والبلغم، والسوداء. وأقسام الدم نوعان، والصفراء سبعة والبلغم تسعة، والسوداء قسمان.

المسألة السابعة : ما هي الأعضاء؟ وكم قسماً هي؟

الجواب : الأعضاء هي آلة البدن، وهي على قسمين ؛ مركبة، ومفردة. أما المفردة ؛ فهي العظام والغضاريف والأعصاب، والأوتار والرباطات، والأغشية، واللحم والشحم وأما المركبة ؛ فهي كالرأس، واليد، والرجل.

المسألة الثامنة : أي الأعضاء أحر في بدن الإنسان؟

الجواب : القلب، ثم الدم، ثم الكبد.

المسألة التاسعة : أيُّ الأعضاء أبردُ في البدن؟

الجواب : العظام، ثم الدماغ، وبعده النخاع، ثم الشحم

المسألة العاشرة : كم هي الأسنان) ، وما مزاج كل واحد منها؟

الجواب : هي أربعة : سن النمو ومنتهاه نحو خمس وثلاثين سنة، وهو حار رطب، وسن الشباب، وهو نحو الأربعين سنة، وسن الكهولة، ومنتهاه نحو الستين سنة، وسن المشايخ، ومنتهاه من الستين إلى آخر العمر، والله أعلم.

المسألة الحادية عشرة : كم هي مراتب الأمراض؟

الجواب : أربع ؛ الابتداء والتزيد، والانتهاء، والانحطاط.

المسألة الثانية عشرة : كم هي أقسام الأمراض الحادثة في الأعضاء؟

الجواب : هي ثلاثة أقسام ؛ الأمراض الحادثة في الأعضاء الآلية، والحادثة في الأعضاء المتشابهة الأجزاء، والمرضُ العام، ويُسمَّى تَفَرُّق الاتصال.

المسألة الثالثة عشرة : كم هي أقسام القوى؟

الجواب : هي ثلاثة، نفسانية ؛ وهي في الدماغ ، وحيوانية ؛ وهي في القلب وطبيعية ؛ وهي في الكبد.

المسألة الرابعة عشرة : كم هي العظام؟

الجواب : هي مائتان وثمانون عظماً ، سوى السمسمانيات، والعظم اللامي ، والذي ربما يوجد في قاعدة القلب (7).

المسألة الخامسة عشرة : ما هي الغضاريف؟

الجواب : هي كالعظام، تنبت على أطراف العظام، بيض لدنة.

المسألة السادسة عشرة : كم هي الأعصاب؟

الجواب : هي سبعة وثلاثون زوجاً، وفرد لا أخ له).

المسألة السابعة عشرة : إلى كم قسم ينقسم علم الطب؟

الجواب ؛ إلى قسمين ؛ حفظ الصحة، وعلاج المرض.

المسألة الثامنة عشرة : أين مسكن السوداء في البدن؟

الجواب ؛ مسكنها في الطحال.

المسألة التاسعة عشرة : أين مسكن الدم في البدن؟

الجواب ؛ في القلب.

المسألة العشرون : أين مسكن الصفراء في البدن؟

الجواب ؛ سلطانها في الكبد، ولطيفها في الرئة. والله أعلم وأحكم. [1]

[1] محمد ياسر زكّور، شرف الطب في التراث العربي، ص 185-188.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أوّلًا: مصادر التّاريخ العام:

1) ابن الأثير(عزّ الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكَرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيْباني. ت630هـ)، **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدْمري، **ط1**، دار الكتاب العربي، بيروت، (1417هـ/1997م).

2) ابن بشكوال(أبو القاسم، خَلَف بن عبد الملك. ت578هـ)، **الصِلة في تاريخ أئمّة الأندلس**، صحّحه وراجع أصله: السيّد عزّت العطّار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي، (1374هـ/1955م).

3) البَلَاذُري(أحمد بن يحيى بن جابر بن داود.ت279هـ)،**فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م.

4) ابن تغْري بَرْدي(أبو المحاسن، جمال الدين.ت 874هـ)، **النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (د.ت)، (د.ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د.ت).

5) التَقِي الفاسي(محمد بنُ أحمد بنُ علي، أبو الطيِّب.ت832هـ)، **شِفاء الغَرام بأخبار البلد الحَرام**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1421هـ/2000م).

6) ابن الجَوْزي (جمال الدّين، أَبو الفرج، عبد الرحمن. ت597هـ):

-**تلقيحُ فُهوم أهل الأَثَر في عيون التّاريخ والسِيَّر**، ط1، شركة دار الأرقم بن أَبي الأرقم، بيروت، 1997م.

- **المنتظِم في تاريخ الأمّم والملوك**، تح: مُحمّد عبد القادر عطا، مصطفي عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1412هـ/1992م).

7) الحموي بن نظيف(أبو الفضائل، مُحمّد بن عليّ.ت. ق7)، **تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان**، تح: دكتور أبو العبد دودو، (د.ط)، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق.

8) أبو حنيفة الدّينوري(أحمد بن داود. ت282هـ)، **الأخبار الطِوال**، تح: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيّال، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1960م.

9) الحنفي عبد الباسط(زين الدّين بن خليل بن شاهين. ت920هـ)، **الرَوْضُ الباسم في حوادث العُمر والتراجم**، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، (1435هـ/ 2014م).

10) ابن خلدون(عبد الرحمن. ت808هـ)، **العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مراجعة: د. سُهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، (1401هـ/ 1981م).

11) ابنُ خليل بنُ شاهين الحنفي(عبد الباسط، زينُ الدّين. ت920هـ)، **الرَوْضُ الباسم في حوادث العمر والتراجم**، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، (1435هـ/ 2014م).

12) ابن دُقْماق(صارم الدين، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت 809 هـ)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تح: الدكتور سمير طبارة، ط1، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، بيروت، (1420هـ/ 1999م).

13) ابن الدَوَاداري(أبو بكر بن عبد الله بن أَيبك ت بعد 736 هـ):

ـ **كنزُ الدُّرر وجامع الغُرر**، تح: أُولْرِخ هارمان، عيسى البابي الحلبي، (1391هـ/1971م)، ج8

.

ـ **كنزُ الدُّرر وجامع الغُرر**، تح: بيرندراتكه، (1402هـ/ 1982م)، ج1 .

14) الذهبي، شمسُ الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. ت748هـ):

-**تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تح: الدكتور بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.

- **العِبَر في خَبَر مَن غَبَرْ**، تح: أبو هاجر، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت).

15) سبط ابن الجَوْزي(شمس الدين، أبو المظفّر، يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله. ت654هـ)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان،** تح: إبراهيم الزيْبق، ط1، دار الرسالة العالميّة، دمشق – سوريا، (1434هـ/2013م).

16) السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. ت911هـ):

-**تاريخ الخلفاء،** تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفي الباز، ط1، (1425هـ/2004م).

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،** تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابي الحَلْبي وشركاه – مصر، (1387هـ/1967م).

17) أبو شامة(أبو القاسم، شهاب الدين، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي.ت 665 هـ)، **كتاب الرَوْضَتين في أخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة،** تح: إبراهيم الزَيبق، ط1، مؤسّسة الرسالة، بيروت، (1418هـ/1997م).

18) ابن شدّاد(يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي المَوْصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين. ت632 هـ)، **النوادر السلطانيّة والمحاسن اليوسفيّة**(سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تح، الدكتور جمال الدين الشيّال، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1415هـ/1994م).

19) الصَّفدي(الحسَن بنُ أَبِي مُحمّد، عبد الله بنُ عمر بنُ محاسن بنُ عبد الكريم الهَاشِمِي. ت.بعد717 هـ)، **نُزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من وليّ مصر من الملوك،** تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، بيروت، (1424هـ/2003م).

20) الطبري(أبو جعفر، مُحمّد بن جرير(224-310هـ)، **تاريخ الرسل والملوك،** تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، (1387هـ/1967م).

21) ابن عبد الحكم(عبد الرحمن بن عبد الله ، أبو القاسم المصري. ت257هـ)، **فتوح مصر والمغرب،** (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينيّة، (د. م ن)، 1415هـ.

22) عبد الحَيْ الحسني(بن فخر الدين بن عبد العلي الطالبي)، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمّى بـ(نُزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)،** ط1، دار ابن حزم، بيروت، (1420هـ/ 1999م).

23) ابن عبد الملك المراكشي(أبو عبد الله، مُحمّد بن مُحمّد. ت703هـ)،**الذَيْل والتكملة لكتابَي الموصول والصّلة**، تح: إحسان عباس وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م.

24) ابن العبري(غريغوريوس، ابن أهرون بن تُوما الملطي، أبو الفرج. ت685هـ):

- **تاريخ الزمان**، تر: الأب إسحاق أرملة، تقديم: الأب جان موريس فييه، دار المشرق، بيروت، 1991م.
- **تاريخ مختصر الدول**، تح: أنطون صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشرق، بيروت، 1992م.

25) ابن عساكر(أبو القاسم، علي بن الحسن، ابن هبة الله. ت571هـ)، **تاريخ مدينة دمشق، وذِكر فضلها وتسمّيّة مَنْ حَلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، تح: محبّ الدين، أبو سعيد، عمر بن غرامة العمروي، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1415هـ/ 1995م).

26) العصامي(عبد الملك بن حسين بن عبد الملك. ت1111هـ)، **سِمْطُ النجوم العَوالي في أنباء الأوائل والتَوالي**، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1419هـ/1998م).

27) ابن العماد الحنبلي(عبد الحيْ بن أحمد بن محمد العَكري، أبو الفلاح.ت1089هـ)، **شَذَرات الذهب في أخبار مَن ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، ط1،دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1986م.

28) ابن العِمراني(محمد بن علي بن محمد. ت580هـ)، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تح: قاسم السامرّائي، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، (1421هـ/2001م).

29) العيْني(بدر الدين محمود. ت855هـ)، **عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان –العصر الأيوبي (525–628 هـ)**، تح: د محمود رزق محمود، (د.ط)، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، (1431هـ/2010م).

30) أبو الفداء(عماد الدين، إسماعيل بن علي. ت732هـ)، **المختصَر في أخبار البشر**، ط1، المطبعة الحسينيّة المصريّة، (د. م ن)، (د. ت).

31) ابن الفوطي(كمال الدّين، أبو الفضل، عبد الرزاق بنُ أحمد بنُ محمد الصابوني. ت723هـ)، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة،** تح: مهدي النّجم، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1424هـ/2003م).

32) ابن قتيبة الدينوري(أبو محمد، عبد الله بن مسلم. ت276هـ)، **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1992م.

33) ابن كثير(أبو الفداء، إسماعيل بن عُمر. ت774هـ):

-**البداية والنهاية**، تح: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1988م.

- **قصص الأنبياء، (مُستَلًّا مِن كتابه: البداية والنّهاية)**، تح، د. مصطفي عبد الواحد، ط1، مطبعة دار التأليف، القاهرة، (1388هـ/1968م).

34) كمال الدين، ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي. ت660هـ)، **بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب**، تح: المهدي عيد الرواضيّة، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلاميّة، لندن، (1438هـ/2016م).

35) مُجِير الدين العليمي(عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي. ت928هـ)، **التاريخ المعتبَر في أنباء مَنْ غَبَر**، تح: لجنة مختصّة من المحقّقين، إشراف: نور الدين طالب، ط1، دار النوادر، سوريا، (1431هـ/2011م).

36) المسعودي(أبو الحسن، على بن الحسين بن على. ت346هـ): **التنبيه والإشراف**، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، (د. ط)، دار الصاوي، القاهرة، (د. ت).

37) ابن مسْكَوَيْه(أبو علي الرازي.ت421هـ)، **تجارب الأمّم وتَعَاقب الهِمم**، تح: أبو القاسم إمامي، ط1، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، (2000 م- 2002م).

38) المقدِسي(المطهر بن طاهر. ت نحو355هـ)، **البَدْءُ والتاريخ**، اعتنى بنشره، كلِمان هُوار، مطبعة برطرند، شالون، أَرنست لرُو الصَحّاف، باريس، ما بين(1899-1919م).

39) المقريزي(تقيّ الدين، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي. ت845هـ)، **السلوك لمعرفة دوّل الملوك**، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1997م.

40) النُعَيْمي(عبد القادر بن محمد. ت927هـ)، **الدّارس في تاريخ المدارس**، تح: إبراهيم، شمس الدين، دار الكتب العلميّة، ط1، 1990م.

41) ابن نقطة(أبو بكر، مُحمّد بن عبد الغني. ت629 هـ)، تكملة الإكمال، تح: عبد القيوم عبد ربّ النبي، ط1، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، (1408-1418هـ).

42) ابن هشام(عبد الملك بن أيوب الحميري المعافِري، أبو محمد، جمال الدّين. ت213هـ)، **السيرة النبويّة**، تح: مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلْبي وأولاده بمصر، (1375هـ/1955م).

43) الواقدي(أبو عبد الله، محمد بن عُمر بن واقد.ت 207هـ):

-**فتوح الشام**، ضبطه وصحّحه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1417هـ/1997م).

- **المغازي**، تح: مارسدن جونس، ط3، دار الأعلمي، بيروت، (1409هـ/1989م).

44) ابن واصل(جمال الدين، محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم. ت697هـ)، **مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح: حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور، (د. ط)، دار الكتب والوثائق القوميّة -المطبعة الأميريّة، القاهرة، مصر، (1377هـ/1957م).

45) ابنُ الوَرْدِي(عمر بن مظفّر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين. ت749هـ)، **تاريخ ابن الوردي**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1417هـ/1996م).

46) اليافعي(أبو محمد، عفيف الدين، عبد الله بن أسعد بنُ علي بنُ سليمان. ت768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعْتَبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1417هـ/1997م).

47) اليُونيني(قطب الدين، أبو الفتح، موسى بن محمد. ت726هـ)، **ذيلُ مرآة الزمان**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، (1413هـ/1992م).

ثانيًا: كتب التراجم والطّبقات:

1) ابن الأثير(عزّ الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَيْباني الجَزَرِي.ت630هـ)، **أسد الغابة**، دار الفكر، بيروت، (1409هـ/1989م).

2) الأصبهاني(أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهران. ت430هـ)، **معرفة الصحابة**، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، (1419هـ/ 1998م).

3) ابن أَبي أُصَيْبِعة(أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخَزْرَجي، موفّق الدين، أبو العباس. ت 668هـ)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا،(د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

4) اسحاق بن حُنَين (ت289هـ/911م)، **تاريخ الأطبّاء والفلاسفة**، تح: فؤاد السيّد، مؤسّسة الرسالة.

5) أبو إسحاق الصريفيني(إبراهيم بنُ محمد بنُ الأزهر. ت641هـ)، **تاريخ نيسابور المنتخَب من السياق**، تح: محمد كاظم المحمودي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قُم، إيران، 1403هـ.

6) ابن بدران(عبد القادر بنُ أحمد بنُ مصطفى بنُ عبد الرحيم بنُ محمد. ت1346هـ)، **مُنادَمَة الأطلال ومُسامَرة الخَيال**، تح: زُهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م.

7) أبو البركات الأنباري(عبد الرحمن بنُ محمد بنُ عبيد الله الأنصاري. ت577هـ)، **نُزهة الأَلْباء في طبقات الأدباء**، تح: إبراهيم السامرّائي، ط3، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، (1405هـ/ 1985م).

8) البَغَوِي(أبو القاسم، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهِنشاه.ت317هـ)، **معجم الصحابة**، تح: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ط1، (1421هـ/ 2000م).

9) البيهقي(ظهير الدّين. ت565هـ)، **تاريخ حكماء الإسلام**، تح: محمد كرد علي، مطبعة الترّقي، دمشق، 1946م.

10)ابن تغري بردي(يوسف، أبو المحاسن، جمال الدّين. ت874هـ)، **مورد اللطافة في مَن ولِيّ السلطنة والخلافة**، تح: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ج1.

11)الثعالبي(عبد الملك بنُ محمد بنُ إسماعيل، أبو منصور. ت429هـ)، **يتيمةُ الدَهْر في محاسن أهل العصر**، تح: د. مفيد محمد قمحية، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، 1983م، ج3 .

12)ابن جلجل(أبو داوود، سليمان بن حَسَّان الأندلسي. ت.بعد377هـ)، **طبقات الأطبّاء والحكّام**، تح: فؤاد سيّد، ط2، مؤسّسة الرسالة، بيروت، (1405هـ/1985م).

13)حاجي خليفة(مصطفي بن عبد الله القسطنطيني. ت1067هـ)، **سلّم الوصول إلى طبقات الفُحول**، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أُوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، 2010م، ج3.

14)ابن حجر العسقلاني(أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. ت 852هـ):

-**الإصابة في تمييّز الصحابة**، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج8.

- **لسانُ الميزان**، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدّة، اعتنى بإخراجه وطباعته: سلمان عبد الفتاح، أبو غدّة، ط1، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، (1423هـ/2002م).

15)الحَمَوي(شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي. ت626هـ)، **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1414هـ/1993م).

16)الخطيب البغدادي(أبو بكر، أحمد بنُ علي. ت463هـ)، **تاريخ بغداد**، تح: مصطفي عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1425هـ/2004م).

17)ابن خلّكان(أبو العباس، شمس الدّين، أحمد بن مُحمّد بن إبراهيم بن أَبي بكر.ت681هـ)، **وَفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، ج3، 1900م.

18)الذهبي(شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. ت748هـ)، **سيَر أعلام النبلاء**، تح: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، (1427هـ/2006م).

19)ابن رجب الحنبلي(زين الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بنُ شهاب الدين، أحمد. ت795هـ)، **الذيْل على طبقات الحنابلة**، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة السُّنّة المحمديّة، القاهرة، (1372هـ/ 1952م).

20)زينب فواز(بنت علي بن حسين. ت1332هـ)، **الدُّرُ المنثور في طبقات ربّات الخُدور**، ط1، المطبعة الكبرى الأميريّة، مصر، 1312هـ.

21)سبط ابن العجمي(أحمد بنُ إبراهيم بنُ محمد بنُ خليل، موفّق الدّين، أبو ذر. ت884هـ)، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، ط1، دار القلم، حلب، 1417هـ، ج1.

22)ابن سعد(مُحمّد بنُ مَنيع الزُّهري. ت230هـ)، **الطّبقَاتُ الكَبير**، تح: عليّ مُحمّد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (1421هـ/2001م).

23)السيوطي(عبد الرّحمن بن أَبي بكر، جلال الدّين. ت911هـ)، **بُغية الوُعاة في طبقات اللغويين والنُحاة**، تح: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، المكتبة العصريّة، لبنان – صيدا، ج2.

24)ابن صاعد الأندلسي(أبو القاسم، أحمد بن صاعد. ت 462هـ/1070م)، **طبقات الأمّم**، نشره وذيّله بالحواشي وأرْدفه بالروايات والفهارس: الأب لويس شيخو اليسوعي، (د.ط)، المطبع الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين، بيروت، 1912م.

25)الصَفَدِي(صلاح الدين، خليل بن أيْبك بن عبد الله. ت764هـ):

-**أعيانُ العَصْر وأعوان النَصْر**، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، (1418هـ/1998م)، ج5.

- **الوافي بالوَفِيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي، (د.ط)، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

26)الضبي بن عميرة(أحمد بن يحيى بن أحمد، أبو جعفر. ت599هـ)، **بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م.

27)ابن طولون(شمس الدين، محمد بن علي. ت953هـ)، **إنباء الأمراء بأنباء الوزراء**، تح: مهنّا حَمد المهنّا، ط1، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت ، (1418هـ/1998م).

28)الطيّب بامخرمة(أبو محمد بنُ عبد الله بنُ أحمد بنُ علي. ت947هـ)، **قلادة النَحْر في وفيات أعيان الدهر**، عُنِيّ به: بو جمعة مكري وخالد زواري، ط1، دار المنهاج، جدّة، (1428هـ/2008م).

29)ابن العديم(كمال الدين، عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي. ت660)، **بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب**، تح: المهدي عيد الرواضيّة، ط1، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلاميّة ، لندن ، إنجلترا ، (1438هـ/2016م) ، ج6.

30)عبد العظيم المِنْذِري(زكيّ الدين، أبو محمد بن عبد القوِي. ت656هـ)، **التكملة لوفيات النَقَلة**، تح: بشّار عوّاد معروف ، ط2 ، مؤسّسة الرسالة ، (1401هـ/1981م).

31)أبو عمر الكِندي(مُحَمّد بن يُوسُف المصري. ت350هـ)، **الوُلَّاة وكتاب القُضاة**، تصحيح: رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيّين ، بيروت ، 1908م.

32)عبد الغني المقدسي(أبو مُحمّد بن عبد الواحد. ت600هـ)، **الكمال في أسماء الرجال**، تح: شادي بن مُحمّد بن سالم آل نعمان، ط1، الهيئة العامّة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسُنّة النبويّة وعلومها، الكويت، وشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، الكويت، (1437هـ/ 2016م)، ج4 .

33)ابن الفوطي(كمال الدّين، أبو الفضل، عبد الرزاق بنُ أحمد. ت723هـ)، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تح: محمد الكاظم، ط1، مؤسّسة الطّبّاعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، 1416هـ.

34)ابن القاضي المكناسي(أبو العبّاس، أحمد بن محمّد. ت1025هـ)، **دُرّة الحِجال في أسماء الرّجال**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ط1، دار التراث، القاهرة والمكتبة العتيقة، تونس، (1391هـ/ 1971م).

35)القِفطي(جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف بن إبراهيم الشَيْباني. ت 646هـ)، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1426هـ/ 2005م).

36)الكُتُبي(محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، الملقّب بصلاح الدين. ت 764هـ)، **فَوَات الوفيات**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1974م.

37)المقريزي(تقيّ الدّين. ت845هـ/1440م)، **المُقَفّى الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م.

38)ابن منظور(مُحمّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدّين الأنصاري. ت711هـ)، **مختصَر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تح: روحيّة النحاس، رياض عبد الحميد مراد، مُحمّد مطيع، ط1، دار الفكر للطّباعة والتّوزيع والنّشر، دمشق – سوريا، (1402هـ/1984م)، ج20.

39)المرزباني(أَبو عبيد الله، مُحمّد بن عمران. ت384هـ)، **معجم الشعراء**، تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط2، مكتبة القدسي، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، (1402هـ/1982م).

40)ابن المستوفي(المبارك بنُ أحمد بنُ المبارك بنُ موهوب اللَخْمي الإِربلي. ت637هـ)، **تاريخ إربل**، تح: سامي بن سيّد خمّاس الصقار، (د. ط)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق.

41)ابن الملقّن(سراج الدين، أبو حفص، عمر بنُ علي بنُ أحمد. ت804هـ)، **طبقات الأولياء**، تح: نور الدّين شريبه، ط2، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، (1415هـ/ 1994م).

ثالثًا، كتب البلدان والرّحلات:

1)الإدريسي(محمد بنُ محمد بنُ عبد الله بنُ إدريس الحَسَني الطالبي. ت560هـ)، **نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ، ج2.

2)اسحاق بن الحسين المنجّم.ت. ق4هـ)، **آكام المُرجان في ذكر المدائن المشهورة في كلّ مكان**، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ.

3)الأَمير محمَّد عَلي(ابن محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي. ت1374هـ)، **الرحلة الشاميّة**، تحر وتق: علي أحمد كنعان، ط1، دار السُوَيْدِي للنشر والتوزيع، أبو ظبي –الإمارات العربيّة المتّحدة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، 2002م.

4)البَيْروني(أبو الرَيْحان، محمد بنُ أحمد الخوارزمي. ت440هـ)، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.

5)ابن جُبير(أبو الحسين. ت614هـ)، رحلة ابن جُبير، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).

6)الحَمَوِي(شِهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرُومي. ت626هـ)، **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

7)الحِميرى(أبو عبد الله، محمد بنُ عبد الله بنُ عبد المنعم. ت900هـ):

-**الروض المِعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسّسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م.

- **صفة جزيرة الأندلس**، تصحيح وتعليق: إ. لافي بروفنصال، ط2، دار الجيل، بيروت، (1408هـ/1988م).

8)ابن حَوْقَل(مُحمّد، أبُو القَاسم. ت. بعد367هـ)، **صورة الأرض**، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938م، ج2.

9)ابن شدّاد(عزّ الدين، أبو عبد الله، محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي. ت 648هـ)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تح: سامي دهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، 1375هـ.

10) صفيّ الدّين القطيعي(عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل. ت739هـ)، **مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ج1.

11) أبو عُبيد البكري(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي. ت487هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، ج2.

12) عليّ باشا مبارك، **الخطط التوفيقيّة الجديدة لمصر والقاهرة ومُدُنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ط2، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، (1425هـ/2004م)، ج8.

13) ابن فضْل الله العُمَري(أحمد بن يحيى، شهاب الدين. ت749هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ.

14) ابن الفقيه(أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن إسحاق الهَمَداني. ت365هـ)، **البلدان**، تح: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1416هـ/ 1996م).

15) القزويني(زكريا بنُ محمد بنُ محمود.ت682هـ)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، (د.ط)، دار صادر، بيروت.

16) مجهول.ت.بعد372هـ)، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تح: السيّد يوسف الهادي، (د. ط)، الدار الثقافيّة للنشر، القاهرة، 1423هـ.

17) المقدِسي(أبو عبد الله، مُحمّد بن أحمد البشاري)، **أحسن التّقَاسيم في مَعْرِفَة الأقاليم**، ط3، دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، (1411هـ/1991م).

18) المقريزي(تقيُّ الدين، أحمد بنُ علي. ت845هـ)، **المواعظ والاعتبار بذِكر الخطط والآثار**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418هـ، ج2.

19) المهلبي العزيزي(الحسن بن أحمد. ت380هـ)، **الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك**، جمع وتعليق: تيسير خلف، (د. ط)، (د. م. ن)، (د. ت).

20) اليعقوبي(أحمد بن إسحاق أبو يعقوب. ت.بعد292هـ)، **البلدان**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422هـ.

رابعًا، كتب المعاجم:

1) ابن الأبار(محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البَلَنسي. ت658هـ)، **إعْتاب الكتاب**، تح: الدكتور صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، ط1، (1380هـ/1961م).

2) أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، **تصحيح لسان العرب**، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، (1422هـ/ 2002م).

3) بدر الدّين الدّماميني(محمد بن أبي بكر بن عمر.ت827هـ)، **مصابيح الجامع**، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، (1430هـ/2009م).

4) أبو بكر الأنباري(محمد بن القاسم بن محمد بن بشار. ت328هـ)، **الزاهر في معاني كلمات النَّاس**، تح: د. حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسّسة الرسالة، بيروت، (1412هـ/1992م)، ج1.

5) التهانوي(محمد بن علي. ت.بعد1158هـ)، **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح: علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تر: د. عبد الله الخالدي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م، ج1.

6) الجَوْهَري(أبو نصر، إسماعيل بنُ حمّاد الفارابي. ت393هـ)، **الصِّحاح تاجُ اللغة وصِحاح العربيّة**، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، (1407هـ/1987م).

7) ابن الحنبلي(محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي. ت971 هـ)، **سهمُ الألحاظ في وهم الألفاظ**، تح: حاتم صالح الضامن، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1407هـ/1987م).

8) الخوارزمي، أبو عبد الله(محمد بن أحمد بن يوسف. ت387هـ)، **مفاتيح العلوم**، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي، (د. ت).

9) الدَّميري(محمد بنُ موسى بنُ عيسى بنُ علي. ت808هـ)، **حياة الحيوان الكبرى**، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1424هـ، ج1.

10)رينهارت دُوزِي بيتر آن (ت1300هـ)، **تكملة المعاجم العربيّة**، تر: محمَّد سَليم النعَيمي، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهوريّة العراقيّة، (1970-2000م).

11)زين الدّين الرازي(أبو عبد الله، محمد بنُ أبي بكر. ت666هـ)، **مختار الصِّحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصريّة – الدار النموذجيّة، بيروت – صيدا، (1420هـ/1999م).

12)السيّد أدّى شير، **الألفاظ الفارسيّة المعرّبة**، المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين، (د.د.ن)، بيروت، 1908م.

13)ابن سيّده(أبو الحسن، علي بن إسماعيل المرسي. ت458هـ)، **المخصّص**، تح: خليل إبراهم جفّال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1417هـ/1996م)، ج3 .

14)السيوطي(جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر. ت911هـ)، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، تح: محمد إبراهيم عبادة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، (1424هـ/2024م).

15)ابن الصابوني(أبو بكر، محمد بنُ أحمد.ت634هـ)، **معرفة الفَرق بين الضاد والظاء**، تح: حاتم صالح الضامن، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، (1426هـ/2005م).

16)الصاحب بنُ عَبّاد(كافي الكفاة إسماعيل. ت385هـ)، **المحيط في اللغة**، تح: محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1414هـ/1994م).

17)الصُحاري(سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي)، **الإبانة في اللغة العربيّة**، تح: د. عبد الكريم خليفة وآخرون، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، (1420هـ/1999م)، ج3 .

18)صديق حسن خان(أبو الطيِّب، محمد صديق خان. ت1307هـ)، **أبجد العلوم**، ط1، دار ابن حزم ، (1423هـ/ 2002م).

19)ابن فارس القزويني الرازي(أحمد بن زكريا، أبو الحسين. ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ/1979م)، ج2 .

20)فانيامبادي عبد الرحيم، **معجم الدخيل في اللغة العربيّة الحديثة ولهجاتها**، ط1، دار القلم، دمشق، (1432هـ/2011م).

21)الفيروزآبادى(مجدُ الدين، أبو طاهر، محمد بن يعقوب. ت817هـ)، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (1426هـ/2005م).

22) مجموعة من المؤلّفين، **المعجم الوسيط**، ط2، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، ج2.

23) ابن منظور(محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين. ت711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3 ، 1414هـ.

24) نشوان بن سعيد الحِمْيَرى اليمني. ت573هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تح، حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت -دار الفكر، دمشق، (1420هـ/1999م)، ج3.

25) نكري(عبد النبي بنُ عبد الرسول الأحمد. ت. ق12هـ)، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، تعريب: حسن هاني فحص، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2000م، ج2.

خامسًا، كتب الأدب:

1) الجاحظ(عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان. ت255هـ):

- **الحيوان**، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1424هـ، ج1.

-**الرسائل الأدبيّة**، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.

2) حسن إسماعيل عبد الرازق، **دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السَيْرافي والجُرْجاني**، ط1، دار الطباعة المحمّديّة، القاهرة، (1411هـ/1991م).

3) أبوحيان التوحيدي(علي بن محمد بن العباس.ت. نحو400هـ)، **البصائر والذخائر**، تح: وداد القاضي، ط1، دار صادر، بيروت، (1408هـ/1988م)، ج4.

4) ابن رشيق القيرواني(أبو على، الحسن الأَزْدي. ت463هـ)، **العُمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، (1401هـ/1981م).

5) ابن سعيد المغربي(أبو الحسن، على بن موسى. ت685هـ)، **المقتطف من أزاهر الطرف**، (د. ط)، شركة أمل، القاهرة، (د.ت).

6) أبو عباس الشُّريشي(أحمد بنُ عبد المؤمن بنُ موسى القَيْسي. ت619هـ)، **شرْحُ مقامات الحريري**، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1427هـ/2006م)، ج1.

7) ابن عبد ربّه الأندلسي(أبو عمر، شهاب الدين، أحمد بنُ محمد بنُ عبد ربّه، ابن حبيب، ابن حدير بنُ سالم. ت328هـ)، **العِقد الفريد**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1404هـ، ج2.

8) القَلْقَشَندي أحمد بن علي. ت821هـ)، **صُبْحُ الأَعشى في صناعة الإنشاء**، شرحه وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1987م.

9) ابن المقَفَّع(عبد الله. ت142هـ)، **كليلة ودِمنة**، ط17، المطبعة الأميريّة ببُولاق، القاهرة، 1937م.

10)ابن منقذ(أبو المظفّر، مؤيّد الدولة، مجد الدين، أسامة بن مُرشد بن علي بن مقلّد بن نصر. ت 584هـ)، **لُباب الآداب**، تح: أحمد محمد شاكر، ط2، مكتبة السُنّة، القاهرة، (1407هـ/ 1988م).

11)النُوَيْري(شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القُرَشي. ت 733هـ)، **نهاية الأَرَب في فنون الأدب**، ط1، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، 1423هـ.

سادسًا، كتب الطب والحكمة:

1) اسحَاق بن عِمران، **مقالة في المالِيخُوليا**، تح: عادل عمراني والراضي الجازي، (د.ط)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2009م.

2) البغدادي(موفّق الدّين، عبد اللّطيف.ت629هـ)، **الطبّ من الكتاب والسنّة**، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، ط3، دار المعرفة، بيروت، (1414هـ/1994م).

3) ابن البَيطار(ضياء الدّين، أبو محمد عبد الله. ت646هـ)، **الجامع لمفردات الأدويّة والأغذيّة**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1412هـ/1992م).

4) ثابت بن قُرّة (ت288هـ)، **كتاب الذّخيرة في علم الطّبّ**، (د.ت.ح)، (د.ط)، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1928م.

5) حُنَين بن إسحاق(194-264هـ)، **العشر مقالات في العَين**، تر: ماكس مايرهوف، المطبعة الأميريّة، القاهرة، 1928م.

6) ربن الطّبري(أبو الحسن، علي بنُ سهل)، **فِرْدَوْس الحكمة في الطبّ**، نَسْخ وتصحيح، محمد الزبير الصدّيقي، مطبع أفتاب، برلين، 1928م.

7) الرّازي(أبو بكر بنُ محمد بنُ زكريا. ت313هـ):

- **أخلاق الطّبيب**، تح: عبد اللطيف محمد العيد، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، (1397هـ/1977م).

- **بُرْءُ ساعة**، تح: خالد حربي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطّبّاعة والنشر، الإسكندريّة، 2006م.

- **الحاوي في الطّبّ**، تح: هيثم خليفة طعيمي، دار إحياء التراث العربي – لبنان، بيروت، ط1، 2002م.

- **سِرُّ صناعة الطب**، تح: خالد حربي، دار الثقافة العلميّة، الإسكندرية، (د.ت).

- **الشّكوك**، تح: مصطفى لبي عبد الغنى، (د.ط)، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، (1426هـ/2005م).

- **المنصوري في الطبّ**، تح: حازم البكري الصّديقي، ط1، المنظّمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم، الكويت، (1408هـ/1987م).

8) الرُّهاوي(إسحاق بن عليّ. ت. ق4هـ)، **أدب الطّبيب**، تح: مريزن سعيد مريزن عسيري، ط1، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، (1412هـ/1992م).

9) سعيد بنُ هِبة الله. ت495هـ/1101م)، **كتاب المُغْنِي في الطِّب**، تح: عبد الرحمن الدُّقاق، ط1، دار النّفائس، بيروت، (1419هـ/1999م).

10)ابن سينا(الحسين بن عبد الله، أبو علي. ت428هـ):

- **القانون في الطبّ**، (د.ط)، تح: محمد أمين الضنّاوي، (د.ت)، ج1 .

-**كتاب السياسة**، تح: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، (د. ت).

11)الشنقيطي(محمد بن محمد المختار)، **أحكام الجراحة الطبيّة والآثار المترتّبة عنها**، ط2، مكتبة الصحابة، جدّة، (1415هـ/1994م).

12)عبد الملك بن حَبِيب(أبو مروان بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي. ت238هـ)، **العلاج بالأغذيّة والأعشاب في بلاد المغرب**، تح: محمد أمين الضنّاوي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م.

13)عُبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع، الرّوضة الطبيّة، تصحيح: القسّ بولس سباط، (د.ط)، المطبعة الرحمانيّة، مصر، 1927م.

14)أبو العلاء صاعد(بن الحسن ت464هـ)، **التّشويق الطبي**، تح: مريزن سعيد مريزن عسيري، مكتب التربيّة العربي، الرياض، (1416هـ/1996م).

15)الفارابي(أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان. ت339هـ)، **كتاب الموسيقى الكبير**، تح: غطّاس عبد الملك خشبة، مراجعة: محمود أحمد الحفني، د ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت).

16)ابن القف الكركي.ت686هـ)، **العُمدة في صناعة الجِراحة**، تح: سامي خلف الحمارنة، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، 2015م.

17)ابن مِسْكَوَيْه(أبو علي، أحمد بنُ محمد بنُ يعقوب. ت421هـ)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، تح: ابن الخطيب، ط1، مكتبة الثقافة الدينيّة.

18)النِّظامي العروضي السَّمَرْقَنْدِي، **جهار مقالة**، حواشي: محمد بن عبد الوهّاب القزويني، تر: عبد الوهاب عزّام ويحي الخشّاب، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1368هـ/ 1949م).

19)أبو نعيم الأصبهاني(أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مِهران. ت430هـ)،
– **الطب النبوي**، تح: مصطفي خضر دونمز التركي، ط1، دار ابن حزم، 2006م، ج1.

20)ابن النَّفيس(علاء الدّين، علي بنُ أبي الحزم. ت687هـ):

- **الشّامل في الصناعة الطبيّة**، الأدويّة والأغذيّة، تح: يوسف زيدان، ط1، المجمع الثقافي، أبوظبي، (2001م، 2002م).

- **الموجز في الطِّب**، تح: عبد الكريم عزباوي، ط5، القاهرة، 2008م.

21)ابن هبل(مهذّب الدّين، أبو الحسن، علي بن أحمد. ت610هـ)، **المختارات في الطّب**، ط1، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانيّة، شبكة كتب الشّيعة، 1362هـ.

22)أبو الوفاء المبشر بن فاتك، **مختار الحكم ومحاسن الكَلِم**، تح وتع: عبد الرحمن بدوي، ط2، (د.د ن)، 1980م.

سابعًا، كتب السياسة الشرعيّة والحِسبة:

1) ابن الأخوة(محمد بنُ محمد بنُ أحمد، ابنُ أبي زيد، ضياء الدين. ت729هـ)، **معالم القربة في طلب الحِسبة**، (د. ط)، دار الفنون، كمبردج، (د. ت. ن).

2) ابن بسّام المحتسِب(محمد بنُ أحمد. ت. نحو626هـ)، **نهاية الرُتبة في طَلَب الحِسبة**، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، (1424هـ/ 2003م).

3) الشّيزري(عبد الرحمن بن نصر. ت. نحو590هـ/1196م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، نشره: السيّد الباز العَريني، إشراف، محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (1365هـ/1946م).

4) الصابئ(هلال بنُ المحسن بنُ إبراهيم بنُ هلال الحرّاني، أبو الحسين.ت448هـ)، **رسوم دار الخلافة**، تح: ميخائيل عوّاد، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986م.

5) ابن الطقطقي(محمد بن علي بن طباطبا. ت709هـ)، **الفخري في الآداب السلطانيّة والدوّل الإسلاميّة**، تح: عبد القادر محمد مايو، ط1، دار القلم العربي، بيروت، (1418هـ/1997م).

6) القلقشندي(أحمد بن علي بن أحمد الفزاري. ت821هـ)، **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تح: عبد الستّار أحمد فراج، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1985م، ج1.

7) الماوردي(أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب. ت450هـ):

-**الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة**، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

- **تسهيلُ النَظَر وتعجيلُ الظَفَر في أخلاق الملك**، تح: محيّ هلال السرحان وحسن الساعاتي، (د.ط)، دار النهضة العربيّة، بيروت.

8) نجم الدّين الطرسوسي(إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد، ابن عبد المنعم. ت758هـ)، **تُحفة الترك فيما يجب أن يعمل في المُلك**، تح: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط2، (د.د.ن)، (د.ت).

ثامنًا، كتب الأنساب:

1) ابن الأثير(عزّ الدّين الجَزَري. ت630هـ)،**اللُباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر، بيروت، (1400هـ/1980م)، ج1.

2) السَّمْعَاني(أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي. ت562هـ)، **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبةُ ابن تيميّة، القاهرة، ج1 .

3) مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، **نسبة ومنسوب**، ط1، (د.د.ن)، (1435هـ/2014م).

تاسعًا، كتب العقيدة والفِرَق:

1) البغدادي(عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني، أبو منصور. ت429هـ): **الفَرْقُ بين الفِرَق وبيان الفِرقة الناجيّة**، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م.

2) ابن تيميّة(تقيّ الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم. ت728هـ)، **التسعينيّة**، تح: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (1420هـ/1999م)، ج1.

3) ابن حزم الظاهري(أبو مُحمّد، عليّ بن أحمد بن سعيد. ت456هـ)، **الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحل**، (د.ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ج1 .

4) الدَيْلميّ(شيرويه بن شهردار، أبو شجاع. ت509هـ)، **الفردَوْس بمأثورِ الخطاب**، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، (1406هـ/1986م)، ج3.

5) الشهرستاني(أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد. ت548هـ)، **المِلَّل والنِّحل**، (د. ط)، مؤسّسة الحلبي، (د.ت).

6) صالح الجعفري(بن الحسين، أبو البقاء الهاشمي. ت668هـ)، **تخجيلُ مَنْ حَرَّف التوراة والإنجيل**، تح: محمود عبد الرحمن قدح، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، (1419هـ/1998م)، ج1 .

7) الطوفي(سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين. ت716هـ)، **الانتصارات الإسلاميّة في كشْف شبه النصرانيّة**، تح: سالم بن محمد القَرْني، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1419هـ، ج1.

8) الفخر الرازي(أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَيْمي. ت606هـ/1210م)، **اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين**، تح: علي سامي النشّار، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ت).

9) الكناني(أبو الحسن. ت240هـ)، **الحيدة والاعتذار في الردّ على مَن قال بخَلْق القرآن**، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، ط2، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، (1423هـ/2002م).

عاشرًا، كتب الفقه:

1) اسحاق بن منصور الكوسج. ت251هـ)، **مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه**، ط1، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، (1425هـ/2003م)، ج1.

2) البركتي(محمد عميم الإحسان المجدّدي)، **التعريفات الفقهيّة**، ط1، دار الكتب العلميّة، (1424هـ/ 2003م).

3) برهان الدين بن مفلح، **المبدع شرح المقنع**، تح: خالد بن علي المشيقح وآخرون، ط1، ركائز للنشر والتوزيع، الكويت، (1442هـ/2021م).

حادي عشر، كتب الحديث النبوي وعلوم القرآن:

1) البخاري(أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البُخاري الجعفي)، **صحيح البخاري**، تح: مصطفى ديب البغا، ط5، دار ابن كثير، ودار اليمامة، دمشق، (1414هـ/1993م).

2) التّرمذي(محمد بنُ عيسى بنُ سَوْرة بنُ موسى بنُ الضَحّاك، أبو عيسى. ت279هـ)، **سُنَن التّرمذي**، تح وتعليق: إبراهيم عَطْوة عَوَض، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحَلْبي، مصر، (1395هـ/1975م)، ج5.

3) الراغب الأصفهاني(أبو القاسم، الحسين بن محمد.ت502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تح: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشاميّة، بيروت، 1412هـ.

4) الهروي(أبو عبيد، أحمد بن محمد. ت401هـ)، **الغريبين في القرآن والحديث**، تح: أحمد فريد المزيدي، مراجعة: فتحي حجازي، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيّة السعوديّة، (1419هـ/1999م)، ج2.

ثاني عشر، كتب الفهارس:

1) ادوارد كرنيليوسفانديك. ت1313هـ)، **اكتفاء القَنُوع بما هو مطبوع**، صحّحه: السيّد محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، (1313هـ/1896م).

2) البغدادي(إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابابي. ت1399هـ)، **هديّة العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنِّفين**، وكالة المعارف، إسطنبول، (1951-1955م).

3) حَاجي خَليفة(مصطفي عبد الله القُسطنطيني. ت1067هـ)، **كشفُ الظّنون عن أسَامي الكُتب والفنون**، تح: إكمال الدين إحسان أُوغْلي وبشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي-مركز دراسات المخطوطات الإسلاميّة، ط1، لندن، إنجلترا، 2021م.

4) ابن النديم. ت380هـ)، **الفهرست**، تع: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، (1417هـ/1997م).

ثالث عشر، المراجع:

1) أحمد إسماعيل الجبّوري وخولة محمود الصميدعي، تاريخ العلوم عند المسلمين، ط1، دار الفكر ناشرون وموزِّعون، عمان، الأردن، 2014م.

2) أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ط2، مطبعة الاعتماد، مصر، (1352هـ/1934م).

3) أحمد بن إبراهيم الصّابوني، **تاريخ حماة**، (د.ط)، مؤسّسة هنداوي، مصر، 2015م.

4) أحمد زكي بك، **قاموس الجغرافيّة القديمة**، ط1، المطبعة الكبرى الأميريّة، بولاق، مصر، (1317هـ/1899م).

5) أحمد عبد الحليم عطيّة، **جالينوس في الفكر القديم والمعاصر**، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1999م.

6) أحمد عيسى. ت1365هـ):

-**معجم الأطبّاء**، ط1، جامعة فؤاد الأوّل، كلّية الطب، (1361هـ/1942م)

- **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ط2، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، (1401هـ/1981م).

- **تاريخ النبات عند العرب**، مؤسّسة هنداوي، مصر، 2013م.

7) أحمد محمود صبحي ومحمود فهمي زيدان، **في فلسفة الطب**، تق: محمود مرسي عبد الله، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1993م.

8) أحمد معمور العسيري، **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام(تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر**، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، (1417هـ/ 1996م).

9) آدم متز، **الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجري**، تر: محمد عبد الهادي أبو ريد، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، مج1.

10) أرنست باركر، **الحروب الصليبيّة**، تر: السيّد الباز العريني، ط2، دار النهضة العربيّة، بيروت، (د. ت).

11) ألدو ميبلي، **العلم عند العرب وأثره في تطوّر العلم العالمي**، تر: عبد الحليم النجّار ومحمد يوسف موسى، طبعة دار القلم، مصر، (1381هـ/1962م).

12) اليان سركيس يوسف بن موسى، **معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة**، مطبعة سركيس، مصر، (1346هـ/1928م).

13) أمين أسعد خير الله، **الطبّ العربي**، المطبعة الأمريكانيّة، بيروت، 1946م.

14) بركات محمد مراد، **ابن النّفيس**، (د.ط)، دار كتب عربيّة، (د.ت).

15) بول غليونجي، **ابن النفيس**، (د.ط)، وزارة الإعلام في الكويت ضمن التراث العربي، (د.ت).

16) جلال شوقي، **العلوم العقليّة في المنظومات العربيّة**، ط1، مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت، (د. ت).

17) جلال محمد عبد الحميد موسى، **منهج البحث العلمي عند العرب**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م.

18) جمال بيضون وآخرون، **تاريخ المشرق الإسلامي**، ط1، دار الأمل، إربد، 1989م.

19) جون سارتون، **تاريخ العلم**، تر: جورج حداد وآخرون، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ج2.

20) حسان شمسي باشا، **الدّاء والدّواء بين الأطبّاء والأدباء**، (د.ط)، دار القلم، دمشق-الدّار الشاميّة، بيروت، (د.ت).

21) حسن نافعة وكليفورد بوزورث، **تراث الإسلام**، تر: حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، عالم المعرفة، الكويت.

22) الخطّاط محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي، **تاريخ الخطّ العربي وآدابه**، ط1، المطبعة التجاريّة الحديثة، مصر، 1993م.

23) خالد أحمد حربي، **علوم حضارة الإسلام ودورها في الحضارة الإنسانيّة**، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الدوْحة، (1425هـ/2005م).

24) خير الله سعيد، **موسوعة الوراقة والورّاقين في الحضارة العربيّة الإسلاميّة**، ط1، مؤسّسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2011م، ج3.

25) رحاب خضر عكاوي، **الموجز في تاريخ الطب عند العرب**، (د.ط)، دار المناهل، بيروت، لبنان، (د.ت).

26) الزِّرِكلي(خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس. ت1396هـ)، **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، 2002م.

27) زيجريد هونكه، **شمس الله تشرق على الغرب**، تر: فؤاد حسنين علي، ط2، دار العلم العربي، بيروت، 1432هـ.

28) السّرجاني راغب، **قصّة العلوم الطبيّة في الحضارة الإسلاميّة**، ط1، مؤسّسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، (1430هـ/2009م).

29) سلام شافعي محمود، **أهل الذّمة في مصر في العصر الفاطمي الأوّل**، (د.ط)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، 1995م.

30) سليمان بن سالم السحيمي، **الأعياد وأثرها على المسلمين**، ط2، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، المملكة العربيّة السعوديّة، (1424هـ/2003م).

31) السيّد الجميلي، **غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1416هـ.

32) السيّد رزق الطويل، **مقدّمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث**، ط2، المكتبة الأزهريّة للتراث، (د.ت).

33) شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، **الجامع لكتب الضعفاء والمتروكين والكذّابين**، مركز النّعمان للبحوث والدراسات الإسلاميّة وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، (1435هـ/2014م).

34) شحاتة محمد صقر، **معاوية بنُ أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحيِّ النبي الأمين –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –كشفُ شُبُهات وردُّ مُفترَيات**، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندريّة، ومكتبة الأصولي، دمنهور، ومكتبة دار العلوم، البحيرة، مصر.

35) الشحّات السيِّد زغلول، **السريان والحضارة الإسلاميّة**، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الإسكندريّة، 1975م.

36) شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ط1، دار المعارف، مصر، (1960-1965م).

37) عبد الرزّاق بن حمدوش الجزائري، **التّداوي بالأعشاب والنّباتات الطبيّة**، (د.ط)، (د.د.ن)، (د.ت).

38) عبد الفتاح عاشور وآخرون، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلاميّة العربيّة**،(د.ط)، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، 1996م.

39) عبد الله عبد الرزاق سعود السّعيد، **الطِّب ورائداته المسلمات**، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، (1405هـ/1985م).

40) علي الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، **معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)**، ط1، دار العقبة، قيصري، تركيا، (1422هـ/2001م).

41) عمر رضا كحّالة (راغب بن عبد الغني. ت 1408هـ):

-**العلوم العمليّة في العصور الإسلاميّة**، (د.ط)، المطبعة التعاونيّة، دمشق، (1392هـ/ 1982م).

– **معجم المؤلّفين**، (د.ط)، مكتبة المثنّى –بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

42) عيسى إسكندر المعلوف، **تاريخ الطبّ عند الأمّم القديمة والحديثة**، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثّقافة، القاهرة.

43) عثماني أمّ الخير، **الحياة الاجتماعيّة في العصر العبّاسي من خلال آثار "الجاحظ"(132هـ/750م-255هـ/869م)**، ط1، دار من المحيط إلى الخليج للنشر والتّوزيع الأردن ودار خالد اللحياني بالسّعوديّة، 2019م.

44) فتحي عثمان، **الحدود الإسلاميّة بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري -في الاتّصال الحضاري-**، (د.ط)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ج3، (د.ت).

45) فروخ عمر، **تاريخ الأدب العربي**، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، ج3، 1989م.

46) فخري الدّباغ، **الأطبّاء الأدباء**، ط1، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، 1990م.

47) فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي**، تر: د عبد الله بن عبد الله حجازي، مر: مازن يوسف عماوي، ط1، جامعة الملك سعود، (1406هـ/1986م).

48) قاسم عبده قاسم وعلي السيّد علي، **الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري**، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، مصر، (د.ت).

49) قدري حافظ طوقان، **علماء العرب وما أعطوْه للحضارة**، منشورات الفاخريّة بالرياض، ودار الكتاب العربي ببيروت، (د.ت).

50) قنواتي شحاتة، **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط**، ط2، أوراق شرقيّة، بيروت، لبنان، 1996م.

51) كامل السامرّائي، **مختصر تاريخ الطّبّ العربي**، (د.ط)، دار النّضال، (د.ت).

52) كُرْد عَلي(محمد بن عبد الرزّاق بن محمّد، ت1372هـ)، **خطط الشّام**، ط3، مكتبة النوري، دمشق، (1403هـ/1983م).

53) كرلونلينلو، **علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، (د.ط)، مكتبة المثّنى، بغداد، (د. ت).

54) ماكس مايرهوف، **من الإسكندريّة إلى بغداد**، ضمن كتاب(التراث اليوناني في الحضارة الإسلاميّة، دراسات لكبار المستشرقين)، جمع وتعريب: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1940م.

55) ماكس مايرهوف، **ابن النفيس**، موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م.

56) ماهر عبد القادر محمد علي، **الطب العربي رؤيّة إبستمولوجيّة**، ط1،دار النهضة العربيّة، بيروت، 1997م.

57) مجموعة من المؤلّفين، **مدوّنة أحكام الوقف الفقهيّة**، ط1، الأمانة العامّة للأوقاف، الكويت، (1439هـ/2017م).

58) محمد إبراهيم الفيومي، **تاريخ الفكر الدّيني الجاهلي**، ط4، دار الفكر العربي، (1415هـ/ 1994م).

59) محمد أحمد الحاج، **النّصرانية من التّوحيد إلى التّثليث**، ط1، دار القلم، دمشق-الدار الشاميّة، بيروت، 1996م.

60) مُحمّد خير رمضان يوسف، **تتمّة الأعلام للزِركلِي**، ط2، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ.

61) محمد رشاد خليفة، **مدرسة الحديث في مصر**، (د.ط)، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، (د.ت).

62) محمَّد عبد الرّحمن مَرحبًا، **من الفلسفة اليونانيّة إلى الفلسفة الإسلاميّة**، ط1، بيروت، لبنان، 2007م.

63) محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة.

64) محمد كامل حسين وآخرون، **الموجز في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب**، (د.ط)، المنظّمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم، ليبيا، (د.ت).

65) محمد مصطفى زيادة، **حملة لويس التّاسع على مصر وهزيمته في المنصورة**، ط1، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة، (د.ت).

66) محمد منير مرسي، **التربيّة الإسلاميّة أصولها وتطوّرها في البلاد العربيّة**، (د.ط)، عالم الكتب، (د.م ن)، (1425هـ/2005م).

67) محمد ياسر زكّور، **شرَفُ الطب في التراث العربي**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2013م.

68) محمود الحاج قاسم محمد:

- **التعليم الطبّي في الحضارة الإسلاميّة**، ط1، دار ماشكي، العراق،2021م.
- **مكتبات الترجمة ومدارس الطبّ الرائدة**، ط1، دار ماشكي، العراق، 2022م.

69) مَحْمُود محمد شاكر، **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**، جمعها وقرأها وقدَّم لها: عادل سليمان جمال، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2003م.

70) مريزن سعيد مريزن عسيري، **تعليم الطبّ في المشرق الإسلامي نُظُمُه ومناهجه حتّى نهاية القرن السابع الهجري**، مركز بحوث الدراسات الإسلاميّة، مكّة المكرّمة، 1412هـ.

71) مصطفي بن حسني السباعي، **مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا**، ط1، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، (1420هـ/1999م).

72) مصطفى الشكعة، **مناهج التّأليف عد العلماء العرب**، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م.

73) مصطفي صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، (د.ط)، دار الكتاب العربي، (د.ت).

74) معروف ناجي، **تاريخ علماء المستنصريّة**، ط1، مطبعة العاني، بغداد، (1379هـ/1959م).

75) نجيب العقيقي، **المستشرقون**، ط3، دار المعارف القاهرة، مصر، 1964م.

76) نشْأَتْ حْمارْنة، **تاريخ أطباء العيون العرب**، ط2، إصدار خاص من مجلّة الكحّال، 1958م.

77) ويليام جيمس ديورَانت، **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، (1408هـ/1988م).

رابع عشر، مقالات المجلّات والمواقع الإلكترونية:

1) رحيم حلو مُحمّد، "**منهج ابن أَبي أُصيبِعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء**"، مجلّة أبحاث مَيْسان، البصرة، العدد الثالث، 2006م.

2) ابن رضوان علي، **مقالة في التطرّق بالطِّب إلى السّعادة**، تح: سلمان قطاية، مجلّة تاريخ العلوم العربيّة، جامعة حلب، المجلّد الثاني، 1978م.

3) عبد الرحمن حمادي، **نظريّات نشوء الطبّ لابن أبي أُصَيْبِعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"**، مجلّة القافلة، العدد 3، مج 34، السعوديّة، 1985م.

4) عبد النّور تادبيرت، **الأخطاء الطبيّة داخل المستشفيات الطبيّة بين القطاع الصِّحّي العام والخاص**، مجلّة إسهامات للبحوث والدّراسات، مج2، العدد2، غرداية، 2017م.

5) غازي فيصل صالح ذياب الدليمي، **مدرسة جُنْدَيْ سَابُور الطبيّة وأثرها في الحضارة العربيّة الإسلاميّة حتّى نهاية القرن الخامس الهجري**، مجلّة كليّة الآداب، العدد31، جوان2017م.

6) مجموعة مؤلّفين، **مجلّة البحوث الإسلاميّة**، الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، (د.م. ن)، (د.ت).

خامس عشر، الموسوعات:

1) ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، **موجز دائرة المعارف الإسلاميّة**، إعداد إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، تر: نخبة من أساتذة الجامعات المصريّة والعربيّة، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، (1418هـ/1998م).

2) مجموعة من المؤلّفين، **موسوعة الفقه الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، مصر، (1418هـ/1997م).

3) مجموعة من المؤلّفين، **موسوعة المفاهيم الإسلاميّة العامّة**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، مصر.

4) محمد الخضر حسين، **موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين**، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، ط1، دار النوادر، سوريا، (1431هـ/2010م).

5) ميشال حايك، **موسوعة النباتات الطبيّة**، ط3، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

6) هيكل نعمة الله وإلياس مَليحة، **موسوعة علماء الطبّ**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1991م.

سادس عشر، الرسائل والأطاريح الجامعيّة وأعمال المؤتمرات والندوات العلميّة:

1) إكرام شهاب أحمد النجم، **الجوانب الاجتماعيّة في العراق وبلاد الشام من خلا ل "كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء" لابن أبي أصيبعة ت 668هـ**، رسالة ماجستير، إشراف: رحيم حلو محمد الباهدلي، جامعة البصرة، كليّة التربيّة للبنات، قسم التاريخ، 2019م.

2) أيمن ياسين عطعط، **منهج السُّؤال والجواب في الطِّب العربي الإسلامي(كتاب انتخاب الاقتضاب أنموذجا)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ العلوم الطِّبيّة، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، قسم تاريخ العلوم الطِّبيّة، (1434هـ/2013م).

3) دحماني محمد، **الموالي وإسهاماتهم الطبيّة في العصر العبّاسي(132-656هـ/750-1258م)**، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، رسالة ماجستير في التّاريخ الوسيط، الجزائر، (2013-2014م).

4) سعيد منصور مرعي القحطاني، **إسهام الوقف في دعم الحركة العلميّة في القرن السابع الهجري**، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى السّعوديّة، (1430/1431هـ).

5) عثماني أم الخير، **"تاريخ الطب والعلوم الطبية من خلال كتب التراجم"**، كتاب المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين" جامعة الشارقة، المجلّد الأوّل، إصدارات مؤسّسة الشارقة الدوليّة لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين- دوريات المؤتمر الثالث لتاريخ العلوم عند العرب و المسلمين، (5 - 7 ديسمبر2017م)، نشر أفريل2018م.

6) علي بن سلطان القاري.ت1014هـ)، **الأثمار الجنيّة في أسماء الحنفيّة**، تح: عبد المحسن عبد الله أحمد، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة بـ «ديوان الوقف السُّنّي» بالعراق، (1430هـ/2009م).

7) علي حسين الشطشاط، **مدرسة حَرّان وأثرها في تقدّم التراث الطبي العربي، ضِمن أعمال ندوة المدارس الطبيّة في الحضارة الإسلاميّة**، طرابلس، ليبيا، (13-15نوفمبر2006م)، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثقافة –إيسيسكو-، الرّباط، المملكة المغربيّة، (1432هـ/2011م).

8) مُحمّد جميل محمود بني عطا، **كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخيّة(من القرن5-8هـ/11-14م)**، أطروحة دكتوراه في تخصّص التاريخ الإسلامي، جامعة اليرموك، (1429هـ/2008م).

9) مصطفى كامل إسماعيل، **التعليم الطِّبي والمدارس الطِّبيّة في الحضارة الإسلاميّة**، ضِمن أعمال ندوة المدارس الطبيّة في الحضارة الإسلاميّة، طرابلس، ليبيا، (13-15نوفمبر2006م)، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثقافة –إيسيسكو-، الرّباط، المملكة المغربيّة، (1432هـ/ 2011م).

10) مؤمن أنيس عبد الله البابا، **البَيْمَارِسْتَانات الإسلاميّة حتّى نهاية الخلافة العباسيّة**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة بغزّة، فلسطين، 2009م.

11) المهندس لطف الله قاري، **كتب المدارس الطِّبيّة في الحضارة الإسلاميّة**، ضمن أعمال ندوة المدارس الطِّبيّة في الحضارة الإسلاميّة بطرابلس –ليبيا-بتاريخ 13-15نوفمبر2011، منشورات المنظّمة الإسلاميّة للتربيّة والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، المغرب، 2011.

12) ناصر بن محمد علي الحازمي، **الحركة العلميّة الطبيّة في بلاد الشّام زمن الحروب الصّليبيّة (492-692هـ/1099-1291م)**، أطروحة دكتوراه في الحضارة والنظم الإسلاميّة، جامعة أمّ القرى، كليّة الشريعة والدّراسات الإسلاميّة، قسم الدّراسات العليا التاريخيّة، السّعوديّة، (1426-1427هـ/2005-2006م).

13) https://www.alukah.net/library

سابع عشر، المراجع باللغة الأجنبيّة:

1) De Lacy O'Leary, D.D, How Greek Science Passed To The Arabs, Printed By Offset London And Rect, London, Third impression 1957.

2) Don Nardo, Genghis khan and the Mongole Empire, Lucent books A part of Gal, Cengage learning, United States of America, 2011.

3) Edward G. Browne, M.B., F.R.C.P., Arabian Medicine Cambridge At The University Press, London, 1921.

4) Gnagoran BI YAO, La croisade chrétienne au moyen âge : un épisode peu glorieux de l'Eglise, © EDUCI 2013. - Godo Godo–RevHist Arts ArchéolAfr, ISSN 1817-5597, n° 23, (2013).

5) Ibn al-Nafis, Abrégé du Canon D'Avicenne, traduit par: Amor Chadli et Ali Hemrit, Simpact, 2006.

6) Lucien Leclerc, Histoire de la médecine Arabe ; expose complet des traductions du grec les sciences en orient ; tome troisième ; paris : Ernest Leroux ; éditeur, 1876

7) SeyyedHossein Nasr, Science and Civilization in Islam, With a Preface by Giorgio De Santillana, ABC International Group, Inc. KAZI Publications, Inc.

فهرس الأعلام والأماكن

-الأعلام-

-أ-

-ب-

-ت-

-ث-

-ج-

-ح-

-ز-

-س-

-ش-

-ص-

-ن-

-هـ-

–و–

–ي–

–الأماكن–

–أ–

–ب–

-ع-

-ف-

-ق-

-ك-

-م-

-ن-

-هـ-

-ي-

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الملخّص باللغة العربية:

تناولت هذه الدّراسة موضوع الطبّ والأطبّاء، من خلال كتاب" عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، لصاحبه الطّبيب المؤرّخ ابن أبي أُصَيْبِعَة(ت668هـ/1270م)، أين تمّ تسليط الضوء على العديد من الجوانب، بدايةً من حياة ابن أبي أُصَيْبِعَة وما تعلّق بها، ودراسة وصْفِيّة ونقديّة للكتاب، ثمّ الحديث عن الطبّ والعوامل المساهمة في نشأته وتطوّره في المشرق الإسلامي، بالخَوْض في جدَليّة نشأة الطبّ، وتبيان علاقة بعض العلوم بالطّب في المشرق الإسلامي كالفلسفة والحِكمة وعلم النُّجوم والفلك، وإبراز مكانة الأطبّاء ودور السّلطة الإسلاميّة في تشجيع حركيّة الطبّ بالمشرق الإسلامي، حيث أنّ الطّبيب كان من مُسْتَلزمات الحكم، والتشجيع على التَّرجمة.

كما شملت هذه الدّراسة على عمليّة إحصائيّة نقديّة لواقع الأطبّاء في المشرق الإسلامي، من خلال كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، لإبراز توزيعهم عبر أقاليم المشرق التي عاشوا فيها، فكان إقليم العراق الأكثر تفوّقًا واستقطابًا لهم، من حيث عدد الأطبّاء، وكذلك توزيعهم، من حيث فتراتهم الزّمنيّة، واستنتاج القرن الّذي حوى أكبر عدد من الأطباء، واستنتاج العصر الذهبي للطبّ في كلّ إقليم، كما تمّ إحصاء الأطبّاء حسب ديانتهم، ومقارنة ذلك مع تركيبة المجتمع، وعرّجت هذه الدراسة على ظاهرة الأُسر الطبيّة، وعلى حياة الأطبّاء، من حيث نكباتهم ومِحنهم، مبرزًا أسباب ذلك ونتيجته وعواقبه، والتطرّق إلى علاقاتهم ببعضهم البعض.

وعالجت الدّراسة تعليم الطبّ؛ مناهجه ومقرّراته في المشرق الإسلامي، من خلال الكتاب السابق، بذكر شروط وصّفاتٍ وجب أن يكون عليها مُتَعَلِّم ومُعَلِّم الطّبّ، محقّقًا وصايا وتنظير الأطبّاء، سواءٌ القدماء كأبُقراط أو المسلمين كالطّبيب محمّد أبو زكريّا الرّازي، ثمّ ذِكر أماكن تعليم الطبّ النّظريّة والتّطبيقيّة، كالمساجد والمجالس الطبيّة الخاصّة، بالإضافة إلى المدارس الطبيّة، وأهمّ البَيمارستانات التي كان لها دورها التّعليمي المساير للدّور العلاجي للمرضى.

وجاء في هذه الدّراسة إبراز المقرّرات الدراسيّة التي كانت ضمن التعليم الطبّي، المتمثّلة في كتب الشريعة والأخلاق والكتب الطبيّة المختلفة، بداية بكتب أبقراط وجالينوس، ثمّ الكتب الطبيّة العربيّة، ودور

الرواية والتجربة في المعالجة والاستفادة منها، أمّا الطرق والمناهج المساعدة على تعلّم الطبّ، فظهر ذلك من خلال الملاحظة السّريريّة، وضرورة قراءة الكتب وحفظها، واعتماد الرَّجز تسهيلًا لذلك.

ومن بين الأمور التي حوتها هذه الدّراسة قضيّة الممارَسة العمليّة والأخلاقيّة للطبّ في المشرق الإسلامي، من خلال ما ورد في "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"، فمن الضّروريات امتحان الطّبيب، والالتزام بالأخلاق والآداب الطبيّة في المشرق الإسلاميّ، ممّا انعكس على جودة الممارسة العمليّة، والتّعامل مع أهمّ الأمراض والعِلل الجسمانيّة والنفسانيّة، مع ما أنتجه الأطبّاء من مؤلّفات كنتاج للممارَسة الطّويلة والتّجربة المكتسَبَة.

الملخّص بالإنجليزيّة:

This study deals with the subject of medicine and physicians, through the book ‘Oyoun al-Anba’ fi Tabaqat al-Atibaa’ by the doctor and historian Ibn Abi Usaybi’a (d 668AH/1270AD), where many aspects were highlighted, starting with the life of Ibn Abi Usaybi’a and its related matters, a descriptive and critical study of the book, then talking about medicine and the factors contributing to its emergence and development in the Mashreq Al Islami, by delving into the dialectic of the emergence of medicine, and showing the relationship of some sciences to medicine in the Islamic Levant, such as philosophy, wisdom, astrology and astronomy. This study will discuss the emergence and development of medicine in the Islamic Levant by delving into the dialectic of the emergence of medicine, showing the relationship of some sciences to medicine in the Mashreq Islami, such as philosophy, wisdom, astronomy and astrology, highlighting the status of doctors and the role of the Islamic authority in encouraging the movement of medicine in the Mashreq Al Islami, as the doctor was one of the requirements of the government, and encouraging translation.

This study also included a critical statistical analysis of the reality of doctors in the Mashreq Islami, through the book ‘Oyoun al-Anbaa fi Tabaqat al-Atibaa’, to highlight their distribution across the Levant regions in which they lived, as Iraq was the most superior and attractive region in terms of the number of doctors, as well as their distribution in terms of their time periods, and conclude This study examined the phenomenon of medical families and the lives of doctors in terms of their calamities and tribulations, highlighting the causes, results and

consequences, and addressing their relationships with each other. The study also examined the phenomenon of medical families and the lives of doctors in terms of their calamities and tribulations, highlighting their causes, results and consequences.

The study dealt with the teaching of medicine; its curricula and courses in the Mashreq Al Islami, through the previous book, by mentioning the conditions and qualities that the learner and teacher of medicine should have, fulfilling the commandments and theories of doctors, whether ancient ones like Hippocrates or Muslims like the doctor Muhammad Abu Zakariyah al-Razi. Mohammed Abu Zakariya al-Razi, then mentioned the places of theoretical and practical medical education, such as mosques and private medical councils, in addition to medical schools, and the most important bimarastans that had an educational role parallel to the therapeutic role of patients.

This study highlighted the curricula that were part of medical education, namely the books of Sharia and ethics and the various medical books, starting with the books of Hippocrates and Galen, then the Arabic medical books, and the role of narrative and experience in treatment and utilisation, while the methods and approaches to help learn medicine were shown through clinical observation, the need to read and memorise books, and the adoption of rhymes to facilitate this.

Among the issues included in this study is the issue of the practical and ethical practice of medicine in the Mashreq Islami, through what is mentioned in 'Oyoun al-Anbaa fi Tabaqat al-Atibaa'. It is necessary to examine the doctor and adhere to medical ethics and morals in the Mashreq Al Islami, which reflected on the quality of practice and dealing with the most important diseases and physical and psychological ailments, with the literature produced by doctors as a result of long practice and acquired experience.